سلسلة الرسائل العلمية

الكنيسة

أسرارها وطقوسها

أ.د. عادل درويش
أستاذ الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر

رسالة دكتوراة أجيزت من جامعة الأزهر - القاهرة







سلسلة الرسائل العلمية

الكنيسة

أسرارها وطقوسها

أ.د. عادل درويش

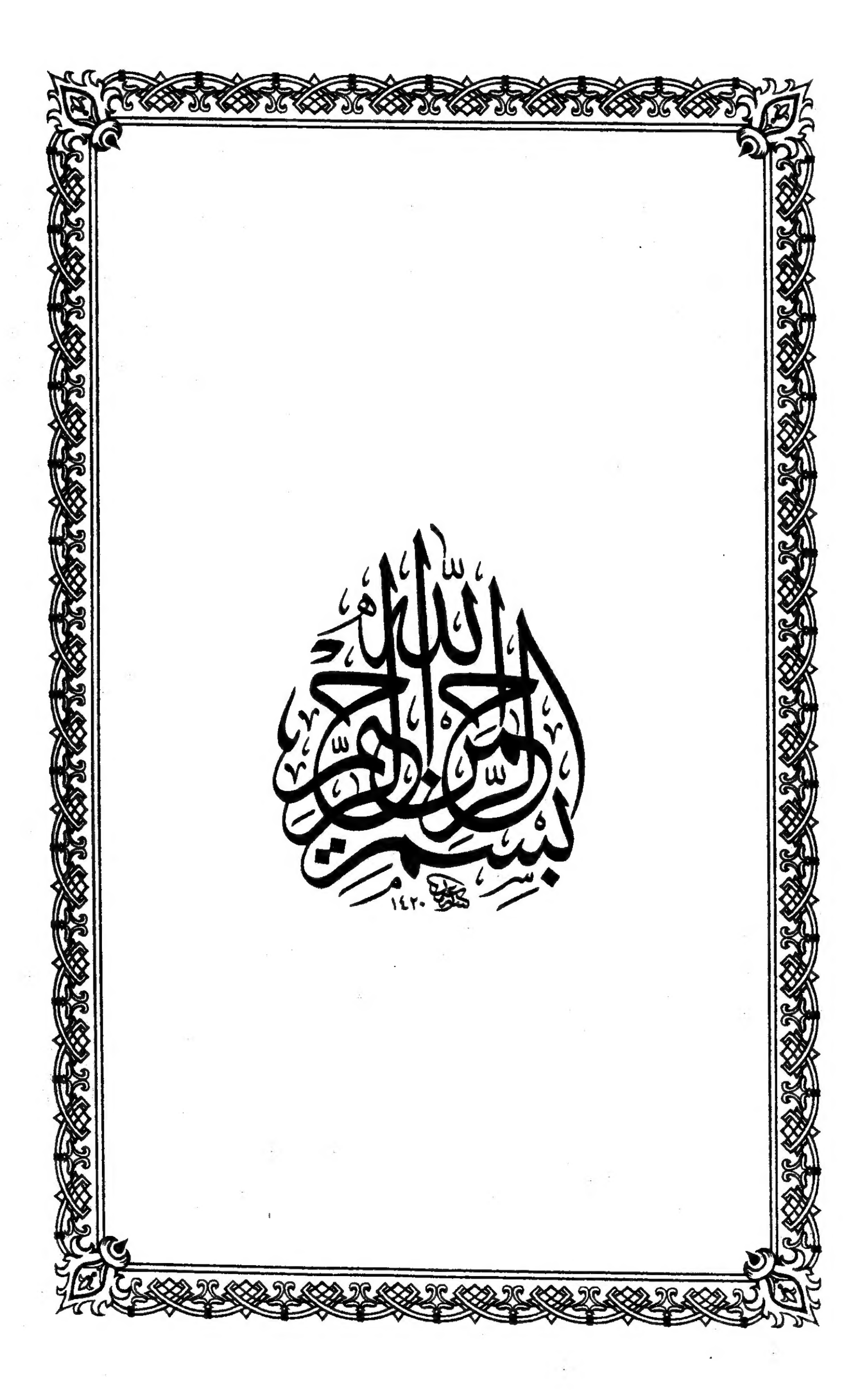
أستاذ الأديان والمذاهب

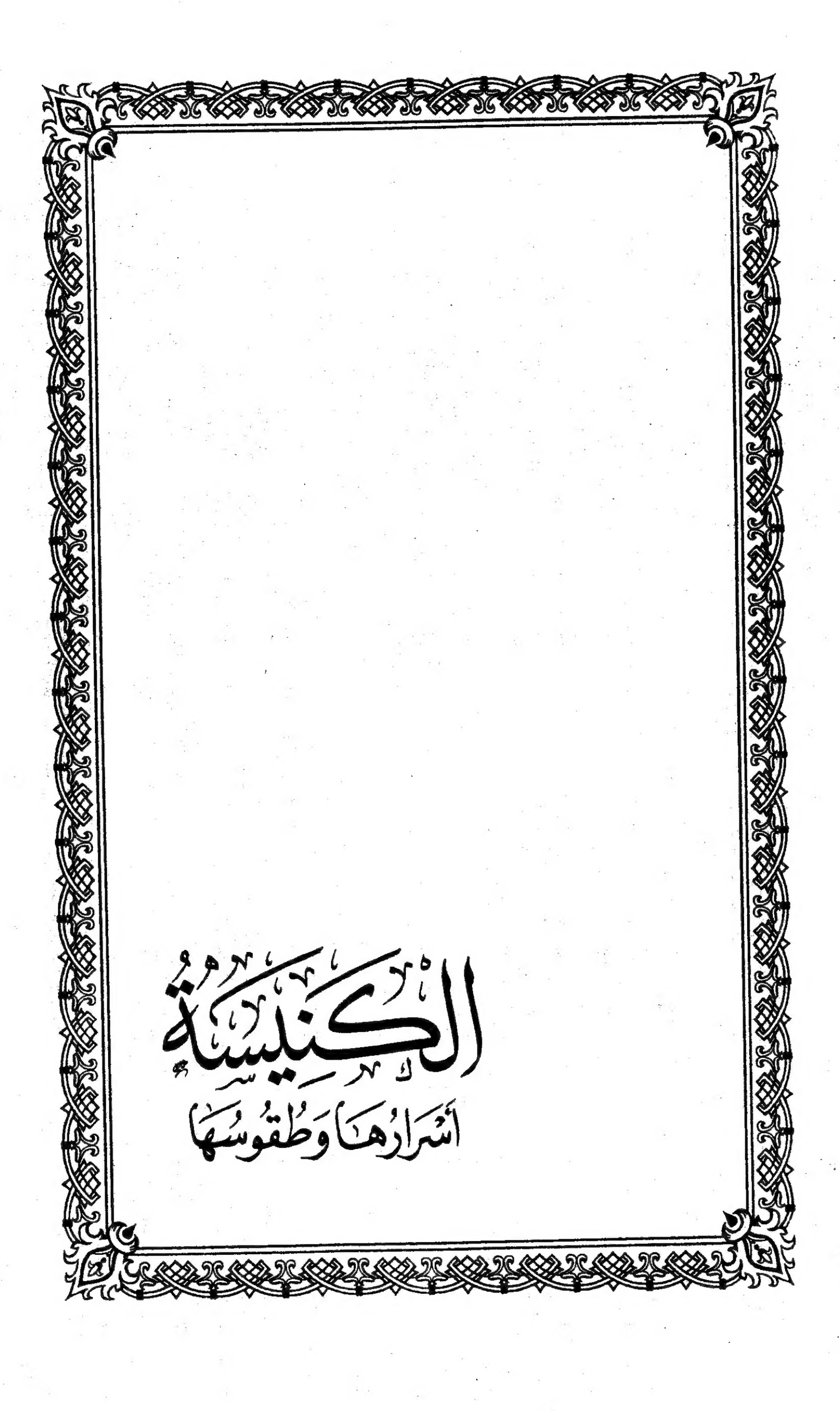
كلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر

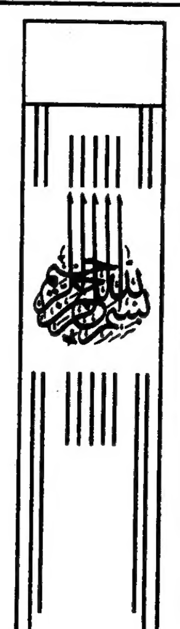
رسالة دكتوراة أجيزت من جامعة الأزهر - القاهرة

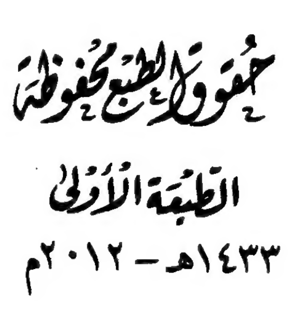
دار بلال بن رباح

دار ابن حزم
القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠


الكنيسة
أسرارها وطقوسها





الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١١٠٩٨

دار ابن حزم

جمهورية مصر العربية - القاهرة
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
تليفون: ٠٠٢٠٢٢٥١٤٣١٤١
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥١١١٧٥٠

دار بلال ابن رباح

٢٦ ش نجيب محفوظ - متفرع من ش عباس العقاد
بجوار الحديقة الدولية - مدينة نصر
ت الإدارة: ٠٠٢/٠١١١١٠٢٢٢٣٧
ت المكتبة: ٠٠٢/٢٦٧٠٨٧٥٨

إهداء

إلى كل منصف حر

يرى الحق حقًّا فيتبعه ويدعو إليه

ويرى الباطل باطلًا فيجتنبه وينهى عنه.

إلى دعاة الإسلام وحملة رسالته.

إلى والديّ الكريمين راجيًا ربي أن يجزيهما عني خير الجزاء.

إلى زوجتي التي شاركتني في تحمل الكثير من أعباء هذا البحث.

إلى أساتذتي ومشايخي الذين أخذت عنهم وتربيت على مائدة علمهم.

وإلى جميع إخواني وأخواتي وكل من شارك بالجهد والدعاء.

أهدي هذا البحث المتواضع.

الحمـد لله الواحد الأحـد، الفرد الصمد، سـبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولـدًا، ولم يكـن له كفوًا أحد، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لاشريك له: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

وأشـهد أن سـيدنا محمدا عبد الله ورسـوله ﷺ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[2].

صلوات الله وسلامه عليك سيدي يا رسول الله، وعلى آلك وصحبك الذين استجابوا لله وللرسول كما أمرهم رب العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾[3] فرضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) سورة الصف: الآية (٩).

(٢) سورة الفتح: الآية (٢٩).

(٣) سورة الأنفال: من الآية (٢٤).

أما بعد:

فلقد امتن الله على عباده بأن أرسل إليهم الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[(١)] فدعوا أقوامهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وكانت المهمة الأولى لدعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام إنما هي الدعوة إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين، قال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[(٢)]، وما من نبي ولا رسول إلا وقال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[(٤)].

والمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام واحد من هؤلاء الرسل المصطفين الأخيار الذين كلفوا بتبليغ دعوة الله تعالى إلى الناس، وقد تمثلت دعوة المسيح عليه السلام لبني إسرائيل في ردهم إلى عبادة الله وتوحيده قائلا لهم: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾[(٥)] وبين لهم عاقبة الشرك قائلًا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[(٦)].

ولقد أخبرنا القرآن الكريم بأن دعوة المسيح عليه السلام لبني إسرائيل كانت التوحيد المطلق لله رب العالمين، التوحيد بكل شعبه، التوحيد في العبادة، فلا يعبد إلا الله، التوحيد

(١) سورة النساء: من الآية (١٦٥).

(٢) سورة النساء: الآية (٢٥).

(٣) سورة المؤمنون: الآية (٢٣).

(٤) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٥) سورة المائدة: من الآية (٧٢).

(٦) سورة المائدة: من الآية (٧٢).

في التكوين، فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له، والتوحيد في الذات فلا ثاني له ولا مثيل له، والتوحيد في الصفات فلا شبيه له، فهو منزه عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

كما ظهر ذلك جليًا في الأناجيل التي لدى النصارى؛ ففي إنجيل يوحنا يقول المسيح مبينًا أن أساس دعوته إنما هو التوحيد: «**وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع الذي أرسلته**»[1]، وفى متى: «**اذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد**»[2].

ولقد تمثلت دعوة عيسى عليه السلام أيضا في إبعاد قومه عن النفاق والرياء وتوجيههم نحو روح الشريعة ولبها الخالص، فقد جاء يمشي على شريعة موسى عليه السلام حيث قال المسيح لبني إسرائيل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[4].

وقد أُرسل عيسى عليه السلام في وقت كان اليهود أحوج ما يكونون إلى من يأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم؛ فقد جرفتهم المادة وأعمتهم الشهوات وسيطر عليهم الرياء وبعدوا بذلك عن روح الشريعة السماوية، فضلوا غيرهم وحادوا عن الصراط السوي.

وقد تلخصت هذه الدعوة التي قام بها المسيح في الدعوة إلى الوحدانية المطلقة لله

(١) يوحنا:١٧ / ٣.

(٢) متى: ٤/ ١٠.

(٣) سورة الصف: من الآية (٦).

(٤) سورة المائدة: من الآية (٤٦).

رب العالمين، وإلى أنه نبي مرسل لبني إسرائيل من قِبَل الله، كما دعاهم إلى التقرب إلى الله عز وجل، كما دعاهم للعمل بشريعة الله.

ولقد سار أتباع المسيح على هذه الشرائع والتعاليم بعد المسيح عليه السلام إلا أن النصارى لم يثبتوا على الدين الصحيح إلا قليلًا فحرفوا وبدلوا تعاليم الله، وجاءوا بتعاليم ومبادئ أطلقوا عليها بعد ذلك الطقوس والأسرار، تلك الطقوس والأسرار التي يبرأ المسيح عليه السلام منها كل البراءة.

وترتب على هذا التحريف الأثر الخطير على الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام فبعد رفع المسيح عليه السلام أصاب النصرانية وأهلها ما أصابها من الاضطهادات والكوارث التي لحقت بها في العصور الأولى، تلك الاضطهادات التي أدت إلى ضياع الإنجيل الذي أُنزل على عيسى عليه السلام، مما دفع آباء الكنيسة ورجالها إلى نسخ أساطير حول شخصية عيسى، ووضعت المؤلفات العديدة اختار منها النصارى أسفار العهد الجديد ـ الأناجيل الأربعة ورسائل الرسل.

وكان لبولس النصيب الأوفى في طمس معالم الديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام وصياغة ديانة جديدة من الخرافات والوثنيات التي ورثها من الديانات القديمة. أما قسطنطين فقد قضى على البقية الباقية حتى أصبحت النصرانية مزيجًا من الخرافات اليونانية والوثنية الرومية، والأفلاطونية المصرية، واليهودية المحرفة واضمحلت بجانبها تعاليم المسيح التي جاء بها وتلاشت كما تتلاشى القطرة في اليم، وصارت نسيجًا جامدًا من معتقدات وتقاليد لا تغذي الروح ولا تمد العقل ولا تشغل العاطفة ولا تحل معضلات الحياة، ولا تنير السبيل بل صارت بزيادات المحرفين وتأويل الجاهلين، تحول بين الإنسان والعلم والفكر، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية لا تمت إلى المسيح عليه السلام بصلة.

ومن هذه التشريعات ما عُرِفَ لدى آباء الكنيسة: بالأسرار والطقوس الكنيسة،

وهذه الأسرار والطقوس لم يتفق النصارى عليها، بل اختلفوا فيها اختلافًا بينًا؛ مما ترتب عليه ظهور الكنائس النصرانية بطوائفها ومذاهبها المختلفة فظهرت الكنيسة الأرثوذكسية، ثم الكاثوليكية، ثم البروتستانتية ولكل منها طقوسها وأسرارها.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد تمثلت أسباب اختياري لهذا الموضوع على النحو التالي:

١- أردت أن أقف على ما عند النصارى من أمور تعبدية، وأسرار وطقوس كنسية يقومون بأدائها، وبيان مدى الصلة بينها وبين ما جاء به المسيح عليه السلام إذ أن الدراسة المقارنة تفيد الداعية إلى الله تعالى؛ فيستطيع من خلالها معرفة وتمييز الحق من الباطل والخطأ من الصواب، فيرد الباطل والخطأ على أهله، ويفنده ويحذر الناس منه، ويقر الحق والصواب ويتمسك به ويدعو الآخرين إليه.

٢- أردت أن أُظهر وجه الحق والصواب في دعوة عيسى عليه السلام، فقد غشيها ما غشيها مما أدخله آباء الكنيسة ورجالها عليها من مبادئ وتعاليم وعقائد تبتعد كل البعد عما جاء به عيسى عليه السلام، وبيان مدى الصلة بينها وبين ما جاء به المسيح عليه السلام.

٣- إن دعاة التنصير يحاولون أن يخدعوا غيرهم ممن يدعونهم إلى الدخول في دينهم، محاولين أن يظهروا لهم أن ما يدعون إليه هو ما جاء به المسيح؛ سالكين كل طرق الغواية والتضليل، معتمدين على جهل كثير من الناس بحقيقة ما يدعون إليه، وصاروا يشككون البسطاء من المسلمين وعامتهم في دينهم، وذلك ببث أفكارهم الإلحادية، فأردت أن أجلي الحقيقة بوجهها الوضاء، وأقف مع هؤلاء وغيرهم موقف الداعية الذي يعرف مواطن الضعف عند القوم ويظهرها على

حقيقتها مبينًا للناس أن هذا الدين الذي كثر أتباعه وصاروا يرددونه ويدعون إليه أنه دين مأخوذ من الوثنيات السابقة على النصرانية من خلال إبراز مدى الصلة والتشابه بين هذه الديانات الوثنية ودين الكنيسة الحالي الذي يدعو إليه آباء الكنيسة ورجالها.

٤- من خلال دراستي للنصرانية - عقائدها وشرائعها - وجدت أن تلك الدراسات التي اشتملت على الكثير مما في النصرانية، مثل عقيدة الألوهية، والتثليث والصلب والقيامة... إلخ، ورغم ذلك لم توجد الدراسة الموضوعية في أسرار وطقوس الكنيسة التي تبين موقف الكنائس من هذه الأسرار والطقوس الكنسية التي تمارس مع كل سر من أسرارها، وبيان الصلة بين الأسرار والطقوس الكنسية عند النصارى وما عند أهل الديانات الوثنية، فكان هذا الدافع من أقوى الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع بالبحث والدراسة.

٥- أردت بهذه الدراسة أن ينتفع بها الدعاة إلى الله وطلاب العلم والمعرفة عامة وطلاب كليات الدعوة وأصول الدين خاصة؛ إذ من واجب الداعية إلى الله أن يكون على علم بالأديان والمذاهب المنتشرة حوله خاصة تلك الأديان التي يعيش أهلها في وسط المسلمين، فما من مجتمع إسلامي إلا ويوجد فيه بعض من الطوائف النصرانية، وكان الفضل في اختيار هذا الموضوع بعد توفيق الله وفضله عليّ إلى **فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رجب الشتيوي**، الذي وجهني إلى الكتابة في هذا الموضوع وشجعني على المضي فيه خدمة للدعوة الإسلامية ودفاعًا عن الحق وبيانًا للصواب، فجزاه الله عنى وعن المسلمين خير الجزاء.

منهج البحث:

أما عن منهج البحث فقد ارتكز على منهج علمي يقوم على الأسس التالية:

١. رغم صعوبة المراجع النصرانية إلا أنني اعتمدت عليها في بيان أسرار وطقوس الكنائس، وأوردت النصوص من مصادرها الأصلية غالبًا، ورجعت إلى المراجع الأساسية عندهم ولم أحاول أن أتدخل في النصوص التي أوردتها بالحذف أو التغيير أو التبديل ولكنني أوردتها كما كتبها أصحابها.

٢. اعتمدت على كتابات علماء الإسلام الذين كتبوا عن النصرانية، فاستشهدت بأقوالهم كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

٣. التعليق على ما أوردته من نصوص بأسلوب الحوار الهادئ الذي لا يجنح إلى الانفعال، وبروح المنهج العلمي الجاد، والمنطق العقلي السليم، والبعد عن الهوى والتعصب، وهو المنهج القرآني الذي أمر به رب العالمين بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾(١)، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾(٢). وكنت في بعض الأحيان إرخاء العنان للخصم أو التسليم ببعض الأفكار والاحتجاج بما هو مسلم به عندهم حتى يكون ألزم للخصم ودافعًا للحجج التي يستدل بها.

٤. بيان الناحية التاريخية للأسرار والطقوس وكيفية ممارستها، وأوجه الاتفاق

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

والاختلاف فيها بين الكنائس النصرانية، وصلة المسيح عليه السلام بها من خلال بيان موقف الإسلام منها.

٥. في خاتمة البحث أبرزت أهمية المسجد في الإسلام، وبينت دوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، وما ينتظر أن يحققه للمسلمين، مع عقد مقارنة بين المسجد في الإسلام والكنيسة في النصرانية، وأوضحت من خلالها مدى بعد الكنيسة عن دين الله الصحيح وتشويهها لفطرة الله التي فطر الناس عليها.

خطة البحث:

أما عن خطة البحث ومحتويات الرسالة فقد جاءت مشتملة على: مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

١- **المقدمة:** وبها سبب اختيار الموضوع وأهميته، ومنهج البحث وخطة البحث.

٢- **التمهيد:** ويشتمل على عدة نقاط وهي:

١- التعريف بالكنيسة في الاصطلاح الكنسي.

٢- التعريف بالسر في الاصطلاح الكنسي.

٣- التعريف بالطقس في الاصطلاح الكنسي.

٤- التعريف بالتقليد في الاصطلاح الكنسي.

٣- الباب الأول: [نشأة الكنيسة وتاريخها عند النصارى] ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول وهي:

الفصل الأول: [نشأة الكنيسة عند النصارى] ويشمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: المسيح لم ينشىء الكنيسة ولم يردها.

المبحث الثاني: تلاميذ المسيح لم ينشئوا الكنسية ولم يريدوها.

المبحث الثالث: بناء الكنائس عند النصارى.

المبحث الرابع: تنظيم الكنيسة عند النصارى.

الفصل الثاني: [سلطة الكنيسة عند النصارى] ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سلطة الكنيسة الدينية.

المبحث الثاني: سلطة الكنيسة السياسية (الدنيوية).

الفصل الثالث: [الانشقاق الكنسي في النصرانية] ويشتمل على ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: الأسباب العامة للانشقاق الكنسي.

المبحث الثاني: الفرق النصرانية القديمة ومبادئها.

المبحث الثالث: الكنائس النصرانية المعاصرة وعقائدها.

٤- الباب الثاني: [أسرار الكنيسة وموقف الإسلام منها] **ويشتمل هذا الباب على تمهيد وسبعة فصول وهي:**

التمهيد: ويشتمل على:

- نشأة الأسرار الكنسية وأسباب ظهورها.
- عدد الأسرار الكنسية.

- زعم آباء الكنيسة فاعلية الأسرار الكنسية.

الفصل الأول: [سر المعمودية وموقف الإسلام منه] ويشتمل على ستة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعريف المعمودية وبيان أدلتها لدى النصارى.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للمعمودية وصلتها بالديانات القديمة.

المبحث الثالث: أنواع المعمودية.

المبحث الرابع: أهمية المعمودية وكيفية ممارستها.

المبحث الخامس: المعمودية لدى الكنائس النصرانية.

المبحث السادس: موقف الإسلام من المعمودية.

الفصل الثاني: [سر مسحة الزيت وموقف الإسلام منه] ويشتمل على خمسة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعريف سر مسحة الزيت وبيان أدلته لدى النصارى.

المبحث الثاني: مسحة الزيت المقدس وتاريخها.

المبحث الثالث: أهمية مسحة الزيت وكيفية ممارستها.

المبحث الرابع: الكنائس النصرانية ومسحة الزيت.

المبحث الخامس: موقف الإسلام من سر مسحة الزيت.

الفصل الثالث: [سر العشاء الرباني الأفخارستيا وموقف الإسلام منه] ويشتمل على ستة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعريف العشاء الرباني وبيان أدلته لدى النصارى.

المبحث الثاني: العشاء الرباني تاريخيا.

المبحث الثالث: أهمية العشاء الرباني عند النصارى.

المبحث الرابع: الطقس الخاص بالعشاء الرباني وكيفية احتفال الكنيسة به.

المبحث الخامس: الكنائس النصرانية واختلافهم في العشاء الرباني.

المبحث السادس: موقف الإسلام من العشاء الرباني.

الفصل الرابع: [سر التوبة وموقف الإسلام منه] ويشتمل على سبعة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعريف التوبة وبيان أدلته لدى النصارى.

المبحث الثاني: الخطيئة وأنواعها عند النصارى.

المبحث الثالث: أهمية التوبة وبيان أنواعها وشروطها.

المبحث الرابع: كيفية ممارسة التوبة واحتفال الكنيسة بها.

المبحث الخامس: صكوك الغفران والتأديبات الكنسية.

المبحث السادس: الكنائس النصرانية وسر التوبة.

المبحث السابع: موقف الإسلام من سر التوبة وصكوك الغفران.

الفصل الخامس: [سر مسحة المرضى وموقف الإسلام منه] ويشتمل على خمسة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعريف مسحة المرضى وبيان أدلتها لدى النصارى.

المبحث الثاني: مسحة المرضى عبر العصور النصرانية.

المبحث الثالث: أهمية مسحة المرضى وكيفية ممارستها.

المبحث الرابع: الكنائس النصرانية ومسحة المرضى.

المبحث الخامس: موقف الإسلام من سر مسحة المرضى.

الفصل السادس: [سر الزواج وموقف الإسلام منه] ويشتمل على سبعة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعريف الزواج وبيان أدلته لدى النصارى.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن الزواج عند النصارى وبيان الغاية منه.

المبحث الثالث: أحكام الزواج عند النصارى.

المبحث الرابع: تعدد الزوجات والطلاق عند النصارى.

المبحث الخامس: الرهبنة والتبتل وموقف الكنيسة منهما.

المبحث السادس: الكنائس النصرانية وسر الزواج الكنسي.

المبحث السابع: موقف الإسلام من الزواج الكنسي.

الفصل السابع: [سر الكهنوت وموقف الإسلام منه] ويشتمل على ستة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعريف الكهنوت الكنسي وبيان أدلته لدى النصارى.

المبحث الثاني: الكهنوت تاريخيا.

المبحث الثالث: درجات الكهنوت الكنسي (درجات الأكليروس).

المبحث الرابع: سلطات آباء الكنيسة والعصمة البابوية.

المبحث الخامس: الكنائس النصرانية وسر الكهنوت.

المبحث السادس: موقف الإسلام من سر الكهنوت الكنسي.

٥- الباب الثالث: [الطقوس الكنسية وموقف الإسلام منها] ويشتمل هذا الباب على تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: ويشتمل على:

- الارتباط بين طقوس الكنيسة والعبادة.
- الطقوس في المصادر النصرانية.

الفصل الأول: [سجود النصارى للهياكل والصور عند دخول الكنيسة وموقف الإسلام منه] ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعريف الهياكل والصور وأدلة النصارى على تقديسها.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية لعبادة الصور والتماثيل وتقديسها.

المبحث الثالث: تأثر النصارى بالأمم الوثنية في تقديس الصور والتماثيل وعبادتها.

المبحث الرابع: الاختلاف الكنسي حول تقديس الصور والتماثيل وعبادتها.

المبحث الخامس: نهي المسيح عليه السلام عن تقديس الصور والتماثيل وتحريم عبادتها.

المبحث السادس: تحريم الإسلام ونهيه لاتخاذ الصور والتماثيل وتقديسها.

الفصل الثاني: [تقديس النصارى للصليب وحمله وموقف الإسلام منه] ويشتمل على ستة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعريف الصلب والفداء.

المبحث الثاني: بيان عقيدة الصلب والفداء عند النصارى ومناقشتها.

المبحث الثالث: بيان عقيدة قيامة المسيح عند النصارى ومناقشتها.

المبحث الرابع: اختلاف الكنائس في تقديس الصليب وحمله.

المبحث الخامس: المسيح عليه السلام لم يعرف الصليب ولم يأمر بحمله.

المبحث السادس: الإسلام ينفى القتل والصلب عن المسيح عليه السلام.

الفصل الثالث: [الصلاة الكنسية وطقوسها وموقف الإسلام منها] ويشتمل على أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: المراد بالصلاة الكَنَسِيَّة لدى النصارى.

المبحث الثاني: أحكام الصلاة عند النصارى.

المبحث الثالث: الصلاة في الكنائس النصرانية.

المبحث الرابع: الصلاة الكنسية لم يأت بها المسيح عليه السلام.

الخاتمة: وتشتمل على ما يلي:

١. أهمية المسجد وبيان دوره في الدعوة إلى الله، والمقارنة بين المسجد في الإسلام والكنيسة في النصرانية.

٢. أهم النتائج.

٣. التوصيات.

٤. المراجع.

٥. الفهرس.

وبعد:

فأرجو أن يكون هذا البحث قد جاء على الصورة اللائقة بالأبحاث العلمية، كما أرجو أن أكون قد وفقت في إبراز موقف الإسلام من أسرار وطقوس الكنيسة.

وأسأل الله أن يتجاوز عَمَّا زل به القلم أو جنح به الفكر، وأن يتقبل عملي بقبول حسن، وأن يلهمني وسائر المسلمين سواء الصراط، إنه سميع قريب مجيب.

المؤلف

د / عادل محمد محمد درويش





الباب الأول

تاريخ الكنيسة ونشأتها عند النصارى



التمهيد

[١] التعريف بالكنيسة في الاصطلاح الكنسي:

جاء في قاموس الكتاب المقدس لدى النصارى:

(الكنيسة: اسم سرياني معناه [مجمع]، والكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد [إكليزيا] فإنها تعني مجمع المواطنين في بلاد اليونان التي كانت الحكومة تدعوهم للتشريع، وقد استعملت الكلمة للدلالة على مجمع المؤمنين؛ حيث كانوا يجتمعون في أوقات منتظمة معينة، أو كلما تسمح الفرصة للعبادة والصلاة، ولما تكاثر عدد أتباع يسوع في مدن متعددة بدءوا باستعمال كلمة [كنائس] بصيغة الجمع للدلالة عليهم، وكانت الجماعة الواحدة في كل بلد تدعى كنيسة، وقد يستعمل لفظ كنيسة الآن للتمييز بين طائفة وأخرى من الطوائف المسيحية إلا أنها لم ترد أصلا بهذا المعنى في الكتاب المقدس، ولا يجوز لطائفة ما الادعاء بأنها هي الكنيسة الوحيدة دون غيرها)(١).

وجاء في معجم اللاهوت الكتابي حول كلمة كنيسة:

(في العالم اليوناني تدل كلمة [*Ekklesía*] التي تشتق منها الكلمة الفرنسية [*Eglíse*] والتي ترجمت بالعربية: «كنيسة» على اجتماع الشعب كقوة سياسية.

هذا المعنى العام يعطي الخلفية للمعنى الديني عندما يتحدث [بولس الرسول] عن الكنيسة في حالة اجتماعها، أما في الترجمة السبعينية، فإن الكلمة تدل على جماعة مدعوة لأداء شعائر دينية، تتخذ غالبا صورة العبادة، والكنيسة والمجمع لفظتان مترادفتان، ولن

---

(١) راجع: قاموس الكتاب المقدس تأليف مجموعة من أساتذة اللاهوت صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ص ٧٨٨، ٧٨٩، ط (٢) ١٩٧١م.

يصبحا متعارضين إلا عندما سيخص المسيحيون أنفسهم باللفظ الأول مطلقين الثاني على اليهود)[١].

ومما سبق يتبين أن كلمة كنيسة اسم سرياني، وكانت تستعمل عند اليونان بمعنى اجتماع الشعب، وأنها مرادفة لكلمة [مجمع]، والتي تدل على مكان اجتماع اليهود إلا أن النصارى أطلقوا كلمة كنيسة عندهم على المجتمعين وعلى مكان اجتماعهم.

يقول القمص يوحنا سلامة: **«اصطلحت الكنيسة على تسمية المكان الذي يعبد فيه المسيحيون ربهم باسم كنيسة من باب تسمية المحل باسم الحال فيه»**[٢].

المراد بالكنيسة عند آباء الكنيسة المحدثين:

يزعم آباء الكنيسة المحدثين أن المراد بالكنيسة هي: الهيئة التي أقامها السيد المسيح على الأرض لتنوب عنه بعد صعوده وتكون أداة لتوجيه النفوس إلى مصدر الخلاص، وقد أيدها بروحه الأقداس[٣].

يقول زكي شنودة: الكنيسة في الأصل هي الجماعة من المؤمنين اعتادوا الاجتماع في مكان واحد للعبادة كما أطلق اسمها على مكان الاجتماع وعلى الكهنة أيضاً[٤].

ويعرف الأنبا صموائيل الكنيسة بقوله: (هي جسد المسيح - هي استمرار التجسد الإلهي، بها أصبحنا شركاء الطبيعة الإلهية، أي: نأخذ من صفات الله)[٥].

---

(١) راجع: معجم اللاهوت الكتابي إصدار جمعيات الكتاب المقدس في المشرق دار الشرق ش م م بيروت ص ٦٧١ ط (٢) ١٩٨٨ م.

(٢) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا جـ١/ ١٣ الناشر مكتبة مارى جرجس بمصر سنه ١٩٦٥م.

(٣) فجر المسيحية سلسلة تاريخ المسيحية حبيب سعيد ص ١١ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بدون تاريخ.

(٤) تاريخ الأقباط زكي شنودة جـ١/ ٢٦٣ مطابع البلاغ القاهرة ط (٢) ١٩٦٨ م.

(٥) الخدمة والعمل الجماعي الأنبا صموائيل ص ٧٥ الناشر: التربية الكنسية بالجيزة ١٩٨٧ م.

ويعرفها القمص مرقس داود بقوله: (أما الكنيسة اصطلاحا فإنها تطلق على الشريعة والرعاة والبناء، وهو المكان المخصص لاجتماعهم لتقديم العبادة لله)[١].

ويقول القس مكرم نجيب: (الكنيسة هي الجماعة التي قبلت الرب يسوع كمخلص وسيدا، وهي تجتمع في مكان معين وزمان محدد لتصغي لصوته، فالكنيسة هنا جماعة مدعوة معا لتمارس معا علاقتها بالله والآخرين)[٢].

ومن خلال هذه التعريفات السابقة يستخلص أن الكنيسة تطلق عند النصارى على المسيح، وعلى المؤمنين به، وعلى مكان الاجتماع والتعبد، وأن هذا الاسم كان عند اليونانيين السابقين على النصارى، وكذلك كان عند اليهود، وكان المراد به عندها هو مكان الاجتماع، فأخذه النصارى وأطلقوه على المكان الذي يتعبدون فيه.

وإذا كانت تلك التعريفات تعني بالكنيسة المسيح أو المؤمنين أو مكان الاجتماع إلا أنها لا تنطبق بكليتها على الكنيسة اليوم؛ فإن هذه الكلمة إذا ما أطلقت الآن ينصرف الذهن إلى مكان تعبُّد النصارى، وكلمة ـ الكنيسة ـ وحدها تُلقى للدلالة على ذلك في العصور الأولى الموحدة، أما بعد انعقاد المجامع الكنسية[٣]، وتعدد المذاهب أصبحت الكلمة المجردة من الإضافات لا تكفي، بل لابد من إضافتها إلى أي مذهب؛ كأن تكون الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية أو البروتستانتية، إذ بتعدد المذاهب تعددت الكنائس، وتشعبت بها الأهواء واختلفت في العقائد والشرائع.

---

(١) تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية القمص مرقس داود ص ٩ مكتبه المحبة.

(٢) أنا والكنيسة والمجتمع مكرم نجيب ص ١٧ دار الثقافة ط (١) ١٩٨٧ م رجع: اللآلئ النفيسة شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جـ١/ ٩٣.

(٣) تطلق المجامع الكنسية على تلك (الهيئات والمؤتمرات الشورية التي اتفق آباء الكنيسة على عقدها بين الحين والحين بأمر من الأباطرة أو الحكام للنظر في أمور العقيدة والشريعة) وهي قسمان مسكونية ومحلية، والذي أسس المجامع هو بولس بعقد مجمع الختان سنه ٥١ م... والذي عقده بولس للنظر في شريعة الختان حيث قرر المجمع عدم الختان، ثم جاء قسطنطين وأمر بعقد أول مجمع مسكوني وهو مجمع نيقية ٣٢٥ م في ألوهية المسيح. راجع: المجامع المسيحية وأثرها على النصرانية ص ٥٨، ٨١ تاريخ الأقباط جـ١/ ١٨٠.

ومصطلح الكنيسة الذي أطلقه النصارى على مكان تعبدهم لم يذكر في [(القرآن الكريم)] مما يدل على أنه لم يكن معروفًا لديهم زمن المسيح عليه السلام إذ أنه لو كان موجودا ومتعارفا عليه لذكره القرآن كما ذكر غيره من أماكن العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[1].

يقول المفسرون: إن الصوامع مكان تعبد اليهود، والبِيَع: مكان تعبد النصارى، والصلوات: مكان تعبد الصابئة، والمساجد: مكان تعبد المسلمين، وقيل: إن الصلوات هي كنائس اليهود، وقيل: كنائس النصارى، وسميت الكنيسة بذلك لأنها يصلى فيها، فهي مجاز من تسمية المحل باسم الحال[2].

[٢] المراد بالسر في المصطلح الكنسي:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: (وردت كلمة سر في العهد الجديد بمعنى حقيقة روحية عميقة لا يقدر إنسان أن يدركها بعقله الطبيعي ولا بفكره الجسدي، كما أنه لا يقدر أن يفهمها فهما صحيحا في هذا العالم؛ لأنها تفوق الإدراك الطبيعي، وتعني الشيء المكتوم في الصدر إلى أن يجئ وقت الإفصاح عنه، فيصبح العلم به في حيز الإمكان)[3].

وفي معجم اللاهوت الكتابي:

(لم ترد اللفظة اليونانية [Mysterion] [أسرار] في الكتاب المقدس إلا في بعض

---

(١) سورة الحج: الآية (٤٠).

(٢) راجع: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي -جـ٢٣/ ٤١ دار الفكر بيروت ط (٢) ١٩٨٣م، تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير جـ ٣ / ٢٢٧ دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١، روح المعاني والسبع المثاني لشهاب الدين السيد الألوسي جـ١٧ / ١٦٣ دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨ م.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٤.

كتب مستحدثة (طوبيا- يهوديت - حكمة - سيراخ - دانيال - مكابين) تقابلها بالآرامية كلمة [زار] التي تعني [شيئا سريا] وتوازيها في اللغة العبرية لفظ: [سور])[١].

وجاء في كتاب: (الأسرار حياة الإيمان) ما خلاصته:

(إن كلمة [سر] غير موجودة في الكتاب المقدس، إنها مشتقة من كلمة لاتينية [سكرمنتوم] وليس لها مقابل في اليونانية، لذلك لا مقابل له في العهد الجديد؛ إذ العهد الجديد وضع باليونانية، وكلمة: [سكرمنتوم] كانت تدل على القَسَم المقدس الذي يقسمه المتخاصمان أمام الهيكل بعد دفع الكفالة من كل منهما، وكلمة [سكرمنتوم] مترجمة عن الكلمة اليونانية [ميستاربون] الموجودة في كتب العهد الجديد الأصلية قرابة ألف سنة، وظلت كلمة [سكرمنتوم] تدل على الأمور المسيحية الداخلية والخارجية إلى القرن الثاني عشر، ثم اقتصر إطلاقها على الأسرار السبعة التي يعتقد النصارى أن المسيح أسسها لهم لتدل على النعمة وتمنحها)[٢].

فكلمه: (أسرار) لم تكن معروفة في العهد القديم من الكتاب المقدس إلا فيما أدخل عليه من أسفار حديثة، كما أنها لم تكن معروفة في اللغة اليونانية وهي مشتقة من كلمة [سكرمنتوم] اللاتينية.

ولم تكن معرفة كلمة: (أسرار) لدى النصارى إلا في القرن الثاني عشر الميلادي، وإن وجد في الكتاب المقدس كلمة السر كثيرا إلا أنها تعني أشياء أُخرى غير الذي تعنيه الأسرار الكنسية السبعة، ونذكر منها: (سر الأب والمسيح)[٣]،

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ٤١٦.

(٢) الأسرار حياة الإيمان تسيو دول ري مرمية تعريب الخوري يوسف ضرغام ص س الكسليك لبنان ١٩٨٦.

(٣) كولوسي ٢/ ٢.

(سر التقوى)[١]، (سر مشيئة الله)[٢]، (سر المسيح والكنيسة)[٣]، (سر الإنجيل)[٤]، (سر الإيمان)[٥]، (سر السبعة كواكب)[٦]، (سر دخول ملئ الأمم ورجوع الأتقياء من اليهود إلى الرب)[٧]، (سر الآثم)[٨]، (سر بابل العظيمة أم الزواني)[٩].

فقد ذكرت الأسرار في العهد الجديد وهي لا تعنى ما تعنيه الأسرار السبعة المعروفة لدى النصارى، فهذه الأسرار المذكورة ليس لها شعائر أو طقوس كالأسرار السبعة.

تعريف السر عند آباء الكنيسة المحدثين:

يقول زكي شنودة: (السر هو عمل مقدس به ينال المؤمن نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة)[١٠].

(والسر في المسيحية يعني عملا مقدسا ينال به المؤمنون تحت علامات منظورة أو محسوسة نعمة الروح الكلي قدسية غير منظورة)[١١].

---

(١) إتيموثاوس ٣/ ١٦.
(٢) أفسس ١/ ٩.
(٣) أفسس ٢/ ٣٢.
(٤) أفسس ٦/ ١٩.
(٥) إتيموثاوس ٣/ ٩.
(٦) رؤيا يوحنا ١/ ٢٠.
(٧) رومية ١١/ ٢٥.
(٨) تسالونيكي: ٢/ ٧.
(٩) رؤيا يوحنا ١٧/ ٥.
(١٠) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٥.
(١١) الخلاصة الشهية في أخص العقائد الأرثوذكسية ص ١٢٢.

ويتبين من هذا التعريف وغيره أن الأسرار الكنسية لها وجهان:

الأول: الوجه المنظور: هو العمل الخارجي الذي يقوم به خادم الكنيسة (الكاهن) والمنظور في المعمودية بالماء وما يفعله الكاهن.

الثاني: الوجه الغير منظور من وجهه نظر النصارى: هو الفاعلية التي يغسل المعمد داخليا ويطهر نفسه من الخطية الجديدة.

فالنصارى يزعمون ويعتقدون أن السر له قوة ذاتية يمنح بها الإنسان النعمة، أي نعمة الله بخلاصهم، وهذا هو معتقد الكاثوليك والنصارى الأرثوذكس في الأسرار، وذلك بخلاف الكنيسة الإنجيلية التي تعتبر الأسرار عبارة عن رموز للدلالة على نعمة الله.

وجاء في علم اللاهوت النظامي أن: (الأسرار تعني في نظر الكنيسة الإنجيلية - أي البروتستانتية - رموزا مقدسة وختاما لعهد النعمة أقامها الله رأسا للدلالة على المسيح وفوائده، ولإثبات نصيبهم فيه، وأيضاً لوضع فرق ظاهر بين أعضاء الكنيسة وسائر العالم ولأجل ربطهم بخدمة الله في المسيح حسب كلمته، والأسرار نظير وسائط فعالة للخلاص ليس بقوة في ذاتها وفي خادمها ولكن بمجرد بركة المسيح وفعل روحه القدس في الذين يقبلونه بالإيمان)(١).

والدارس لأسرار الكنيسة يتبن له أنها تعاريف مستحدثة لدى النصارى، ولم تعرف الأسرار السبعة إلا في القرن الثاني عشر من ميلاد المسيح (وكان أول من صرح بهذه الأسرار السبعة هو [بطرس اللومباردي] في عام ١١٤٠ م)(٢).

ولما كانت هذه التعاريف مستحدثة، وُجِدَ من بين النصارى من تعرض لها بالنقد

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص ١١٣٦ الناشر دار الثقافة المسيحية دار الجيل للطباعة.

(٢) المسيحية في العصور الوسطى سلسلة تاريخ المسيحية جاد المنفلوطي ص ١٠٤ دار الجيل للطباعة.

والرد عليها، يقول عوض سمعان: عَرَّفَ بعض رجال الدين السر بأنه علامة منظورة تحل بواسطتها نعمة غير منظورة، وهذا التعريف لا أساس له في الكتاب المقدس؛ لأنه يعلمنا أن النعمة لا تحل في المواد مثل الماء والزيت والخبز والخمر، ثم تنتقل إلى الشخص الذي يستعملها بل تنتقل مباشرة من الله إلى النفوس المؤمنة والمتفتحة له[١].

ويقول فارس فهيم: السر الكنسي اصطلاح ابتدعه التقليديون (دكاترة) لاهوت روما، وعرفوه بأنه بواسطة الأشياء المنظورة تعطى بركات روحية غير منظورة.

وهم يتكلمون عن سبعة أسرار من بينها المعمودية والتناول، ولكننا لا نجد في الكتاب مثل هذا التعريف أو التعليم، وهذا الخلط بين البركات الروحية والوسائط المادية هو ما يميز البابوية التي قامت أساسا على هذا التعليم، وإن شئت فقل: إنها قامت على الانحراف أو الارتداد عن التعليم الصحيح، وفى أصلها نكوص إلى اليهودية الأرضية وارتداد إلى الغنوسية كفلسفة وثنية[٢].

ورغم هذا الاعتراض والنقد لتلك الأسرار رغم أنها لم تظهر إلا في القرن الثاني عشر وأنها كلمة مشتقة من اللغة اللاتينية، ودخيلة على لغة القوم، إلا أنهم اصطلحوا على تعريفها: بأنها مقدسة ينال المؤمن نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة.

والنصارى يعترفون أن ما يرونه غير ما يعتقدون؛ فهم يرون شيئا و يعتقدون بشيء آخر، ومن هنا يتبين أنه لا يوجد صلة بين ما يرون من أعمال وما يؤمنون به؛ لأن السر بعد ظهوره يكون مطابقا له قبل ظهوره، فالسر هو الذي يُسِرُّه المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها.

---

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٤٢٤ دار الثقافة ط (٢) ١٩٨٥ م.

(٢) المعمودية المسيحية تعريب: فارس فهيم ص ٣ بالهامش الناشر: بيت عنيا مركز المطبوعات المسيحية ط (١) سنة ١٩٩١ م.

[٣] المراد بالطقس في المصطلح الكنسي:

الطقس: كلمة مُعَرَّبَة عن اليونانية ومعناها نظام أو ترتيب، ويراد بها في اصطلاح الكنيسة كما يزعم النصارى أنها نظام الخدمة المقدسة وترتيبها، أي ما يُتلى فيها من صلوات كلامية أو حركات خشوعية أو رمزية، ويدخل في ذلك شكل الكنيسة وأدواتها ورُتب الكهنة وملابسهم(١).

ويعرف زكي شنودة الطقوس فيقول: تعني مجموعة الصلوات والابتهالات التي تتم في الاحتفالات الكنسية، ويتلوها الكاهن ومساعدوه في أداء الأسرار المقدسة وغيرها بترتيب خاص موضوع(٢).

فكلمة طقس تعني الترتيب والتنظيم، وهي كلمة معربة عن كلمة (تاكسيس) اليونانية ولا علاقة لهذه الكلمة في أصلها اللغوي بالعبادة، ومع ذلك فقد استعمل رجال الدين النصارى هذه الكلمة للدلالة على الأعمال التي يشيرون بها في الصلوات إلى بعض الحوادث الدينية(٣).

وهم يجعلون لكل من الأعمال الدينية عندهم طقسا خاصا به، ولابد أن يمارس على أيدي رجال الدين وبواسطتهم، فجعلوا لأسرار الكنيسة عندهم طقوسا خاصة بكل سر منها، ولا يصح أن يقوم به الشخص العادي بمفرده دون الرجوع إلى رجال الكهنوت والاستعانة بهم، فإن لم يرجع إليهم لا يعد آخذا لصفته الدينية في نظرهم.

وهذه الطقوس منها ما هو مرتبط بالأسرار ومنها ما هو مستقل عن الأسرار، فمن طقوس الأسرار: طقس التعميد، وطقس مسحة الزيت، وطقس ممارسة العشاء الرباني،

---

(١) انظر: التقليد المقدس كتابيا تاريخيا كنسيا ملاك لوقا ص ٧٩ مكتبة المحبة ١٩٩١م.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٤.

(٣) راجع كتاب: الكهنوت عوض سمعان ص ٣٠٨.

وطقس الاعتراف، وطقس مسحة المرضى، وطقس الزواج (الخطبة - وعقد الزواج)، وطقس الكهنوت، ومن الطقوس المستقلة عن الأسرار، السجود أمام الهياكل والصور في الكنائس، وطقوس أداء الصلوات، وطقوس تقديم النذور والقرابين[١].

بين الطقوس والعبادة:

من تعريف الطقوس تبين أنها حركات وأفعال تؤدى عند ممارسة الأسرار مرتبة ومنظمة بطريقة معروفة عند النصارى، وبناء على ذلك فلا يصح أن تطلق كلمة طقس ويراد بها العبادة؛ لأن العبادة خضوع وتذلل وانقياد من العبد لله كما يحب الله ويرضى.

وهؤلاء القوم ما توجهوا بالعبادة لله رب العالمين، بل توجهوا بها إلى مخلوق مثلهم ولم تكن موافقة لأوامر خالقهم، بل أدوها كما يشاءون هم لا كما يشاء الله.

جاء في معجم اللاهوت الكتابي عن علامات العبادة: تنحصر هذه العلامات في شكلين: الانطراح على الأرض والتقبيل، كل منهما يتخذ في الطقوس الدينية صورته المقررة ولكنهما يتمشيان دائما مع تصرف الخليقة أمام الله متراوحا بين الرعدة الشديدة والانخطاف العجيب[٢].

وأصل العبودية الخضوع والتذلل، والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنية والظاهرة[٣] وهي ما كانت أثراً لشعور بسلطان لا يُحَدّ ولا يُدرك كنهُه، ولا تحصى نعمته[٤].

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٤، ٢٦٥ التقليد المقدس ص ٨، الكهنوت ص ٢٠٩، النصرانية دراسة مقارنة د/ محمد رجب الشتيوي ص ٢١٨ دار الطباعة المحمدية ط (١) ١٤١٠ هـ ١٩٨٩م.

(٢) معجم اللاهوت الكتابي ص ٥٢٢.

(٣) العبودية للإمام ابن تيمية ص ٤ دار المدني ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

(٤) تفسير القرآن الكريم للإمام محمود شلتوت ص ٢٩ دار الشروق ج (١١) ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

وبالنظر فيما سبق من تعريفات للعبادة يتبين أن الطقوس الكنسية لا تحمل هذه المعاني السامية الخاشعة العميقة التي تحملها كلمة العبادة، إذًا فلا يصح أن يقال: إن الطقوس التي يمارسها النصارى هي عبادة يتعبدون بها لله تعالى.

[٤] المراد بالتقليد في المصطلح الكنسي:

معنى كلمة تقليد: كلمة [تقليد] في اليونانية، كما وردت في العهد الجديد تعني (*Paralamgana*) أي: يتقبل الشيء أو [يستلمه].

واللفظان اليونانيان السابقان يقابلهما في العبرية التعبيران (*Nas ar*) بمعنى [يودع] أو [يسلم] و (*Gibcl*) أي: [يقبل الشيء أو [يستلمه].

وبهذا، فإن التقليد لا يعني [المحاكاة (*Imitation*)] أو هو مجرد [محاكاة للماضي] بل حسبما جاء في الكتاب المقدس: هو تسليم وديعة واستلامها جيلا من بعد جيل[١]، والتقليد: هو ما ليس في الكتاب المقدس من فرائض وأحكام وعوائد اليهود، إنما ما تداولوه من جيل إلى جيل[٢].

وكلمة تقليد تطلق عند النصارى ويراد بها التراث سواء كان تراثا شفهيا أو تراثا كتابيا، وتطلق على تعاليم الرسل من ممارسات طقسية وتعليمية، وتطلق على الروايات التي تحفظ حياة الكنيسة بالمآثر والعادات التي سلمها إليها المسيح ووضعها الرسل موضع التنفيذ.

وتطلق التقاليد على تعاليم المسيح التي علمها للرسل ثم علموها بدورهم إلى التلاميذ مضافا إليها ما يشرعه رجال الكهنوت من شرائع دينية[٣].

---

(١) التقليد المقدس ملاك لوقا ص ٢١ مكتبه المحبة ١٩٩١م.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤١.

(٣) راجع: معجم اللاهوت الكتابي ص ١٩٤، التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي، متى المسكين ص ٢٢ مطبعة دير القدس، أنبا مقارط (٢) ١٩٨٧ م، التقليد المقدس ص ٢٤، ٢٥.

وهم مع قولهم بأن التقليد هو التراث الذي تركه المسيح من بعده لتلاميذه و يطلقون عليه الوديعة الرسولية، إلا أنهم يضيفون إليها أقوال الرسل الحافظين للوديعة بحجة أن الروح التي كانت تنزل على المسيح هي عينها التي توصل معاونتها للرسل وخلفائهم، ويجعلون أقوال آباء الكنيسة ضمن التقاليد.

وللتقاليد عندهم أشكال مختلفة ففي معجم اللاهوت الكتابي:

(التقليد يتخذ أشكالا مختلفة، تبعا لنوعيته، ولشتى الأدوار التي يقوم بها في الكنيسة من روايات عن يسوع، إلى قرارات إيمان، ومن دساتير طقسية إلى مواعظ موجزة عن المعمودية وما أشبة ذلك)[١].

ومن خلال هذا التعريف يمكن القول بأن التقليد الكنسي كما يزعم النصارى يشمل كل التعاليم النصرانية من أسرار وطقوس وشعائر وغيرها.

وهم يدعون بأن التقاليد تلقاها رسل الكنيسة - عن المسيح عليه السلام شفويا، وكانت تلقن من جيل إلى جيل شفويا إلى أن دُونت، وبطرس ويوحنا يقرران في سفر أعمال الرسل أن كل وديعتهم الإيمانية التي تسلموها من المسيح كانت بالنظر والسمع فقط (لأننا لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا)[٢].

ومما لا شك فيه أن هذه التقاليد التي كانت تتناقل شفهيا عبر الأجيال إلى أن دونت قد زيد فيها أو نقص منها، كما حدث بالنسبة للأناجيل التي دونت بعد المسيح، ونالها التحريف والتبديل، وتدخلت فيها الأهواء البشرية، وأصبح لكل كنيسة تقاليد كنسية خاصة بها تُخالف تقاليد الكنائس الأخرى.

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ١٩٥.

(٢) أع: ٤/ ٢٠.

الفصل الأول

نشأة الكنيسة عند النصارى

المبحث الأول: المسيح لم ينشىء الكنيسة ولم يردها.

المبحث الثاني: تلاميذ المسيح لم ينشئوا الكنسية ولم يريدوها.

المبحث الثالث: بناء الكنائس عند النصارى.

المبحث الرابع: تنظيم الكنيسة عند النصارى.



المبحث الأول

المسيح عليه السلام لم يؤسس الكنيسة ولم يردها

يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام هو المؤسس الأول للكنيسة، ويبنون على ذلك تعاليمهم وشروحهم، بل نجدهم يربطون بين الكنيسة والمسيح برباط وثيق؛ لدرجة أنهم يعتبرون أن الكنيسة هي المسيح، وأن المسيح هو الكنيسة، وبناء على ذلك جاءت تصريحاتهم، يقول القس مكرم نجيب: العلاقة التي تربط الرأس بالجسد تربط المسيح والكنيسة، وعلى أساس هذه الشركة بين المسيح والكنيسة تقوم الشركة بين المؤمنين في الجسد الواحد[١].

ويزعم النصارى أن المسيح جاء لبطرس في المنام وقال له: (قم يا بطرس وابن على هذه الصخرة كنيستي)[٢]، ويرد على هذا الزعم أحد مؤرخي المسيحية وهو شارل جنيبير فيقول: (إن المسيح لم ينشئ الكنيسة ولم يردها، بل إنه لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة في رسم خطوط ما نسميه بـ(الكنيسة) وكذلك الحواريون: ساروا على ما سار عليه عيسى ولم يفكروا في إنشاء الكنيسة، بل ظلوا على إخلاصهم للدين وداوموا بكل دقة على شعائره مؤمنين أيضا بأن المستقبل لمملكة الله وليس لكنيسة ما)[٣].

ثم يقول شارل جنيبير: «إن المسيح لم يؤسس شيئا: ولم يأت بدين جديد ولا حتى بأي طقوس العبادة جديد، أما أن تنسب إليه إرادة تأسيس كنيسة تكون كنيسته هو، كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التي يعينها لها والتي يظهر فيها رضاه عنها،

---

(١) أنا والكنيسة والمجتمع، ص ٢٥.

(٢) راجع متى: ١٦/ ١٨ -١٩.

(٣) راجع: المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنيبير ترجمة د/ عبد الحليم محمود ص ١٣٠ ، ١٣١ المكتبة العصرية بصيدا بيروت، بدون تاريخ.

كنيسة يمهد لها فتح الأرض جميعا، فهذا قول لا يقره واقع الأحداث ولا صريح التسلسل التاريخي»[١].

ويواصل شارل جنيبير الرد على مزاعم النصارى حول الكنيسة وتأسيسها فيقول: النصوص الإنجيلية لم تنسب قط إلى المسيح تعبيرا مثل: [كنيستي] أو [كنيسة الآب] إلا في مناسبة واحدة تُقرأ فيها: (إنك أنت - لبطرس - بطرس صخرة وعلى هذه الصخرة ابْنِ كنيستي)، ولكن هذا الحديث المشهور والذي استغل أقصى الاستغلال، لا يمكن بحال من الأحوال الاعتماد على صحته، وإن النصوص والأحداث في تسلسلها، لتدل دلالة قاطعة لا تقبل الجدل على أن أسبقية بطرس الحواري التي يقال في إنجيل [متى] أن [عيسى] قد صرح بها لم يكن لها أي حظ من الواقع ولم توجد قط)[٢].

ويقول ول ديورانت: لقد اتخذ الكاثاري[٣] موقفا صلبا من الكنيسة حيث أنكروا أن الكنيسة هي كنيسة المسيح وقالوا: إن بطرس لم يأت قط إلى روما، ولم يؤسس البابوية (أي الكهنة) وكما وصفوا رجال الدين من الأساقفة والرهبان بأنهم شياطين[٤].

وإذا سلمنا بأن المسيح قد أمر بطرس ببناء الكنيسة على الصخرة فإننا نجد في نفس الإصحاح أن المسيح قال لبطرس: (اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بالله لكن بما للناس)[٥]، فكيف يوفق بين هذا التناقض؟

إن هذا التناقض ليكفي وحده لأن يكون دليلاً على بطلان ما ذهب إليه النصارى

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨.

(٢) راجع: المسيحية نشأتها وتطورها، ص ١٣١.

(٣) الكاثاري: فرقة نصرانية فلسفية تأثرت بمذهب ماني الذي عاش ما بين ٢١٥ ٢٧٦ م.

(٤) قصة الحضارة جـ ٥ م ٤ / ٨٠ -٨٢ بتصرف ترجمة محمد بدران.

(٥) متى: ١٦/ ٢٣.

من نسبة بناء الكنيسة لبطرس بأمر المسيح، كما يدل على أن هذا مختلق على المسيح؛ لأنه لو كان صحيحا ما حدث هذا التناقض.

ويعلق صاحب كتاب: (الفارق بين المخلوق والخالق) على النص الذي يستدلون به بقوله: (يحكم العاقل بفكره السليم أن هذه الجملة لا معنى لها، وأين الارتباط بين قوله: «ابنى كنيستي» وبين قوله: «وأبواب الجحيم»... إلخ، فإن كان هذا يعتبر من الإلهام فإذًا على الإنصاف السلام، وهذه الكنيسة التي عَيَّنَ محلّها بقوله: «وعلى هذه الصخرة» يلزم أن تكون مقتضى الواقعة بنواحي قيصرية فيلبس من بلاد فلسطين وليس هناك كنيسة لبطرس، ولعلها هي كنيسة روما المشهورة باسم بطرس ويا بُعد ما بين المشرق والمغرب)[1].

الجذور التاريخية لنشأه الكنيسة:

وعن نشأة فكرة الكنيسة في النصرانية يقول شارل جنيبير: (يمكن القول بأن فكرة الكنيسة، نشأت عن انتقال الأمل المسيحي من فلسطين إلى ربوع العالم اليوناني، وحتى القرن الثاني لم تكن الكنيسة في الواقع قد بلغت سوى طور الأخوة بين المؤمنين المشتتين في مختلف الكنائس الخاصة، ولا تزال نشأة هذه الكنائس الخاصة نفسها غامضة بعض الغموض بالنسبة إلى الباحثين).

ويُرجع شارل جنيبير إنشاء الكنيسة إلى النظام الروماني الذي كان سائدا، فيقول: وجدت منذ زمن بعيد في قسمي الإمبراطورية الرومانية اللاتيني والروماني، جماعات أو اتحادات دينية أنشئت من أجل غرض واحد: التعاون في الخير أو الحث على التقوى، وسميت عند اليونان ب (الأران) أو (التباس) وعند الرومان ب (الكوليجيا) وتذكر على

(١) الفارق بين المخلوق والخالق عبد الرحمن بن سليم البغدادي ص ١٩٨ مكتبه الثقافة الدينية ط (٢) ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

الأخص من بين ألوان (الكوليجيا) هذه ما أطلق عليه اسم: (كوليجيا تتو يوروم) أي: جماعة مؤلفة من صغار الناس، وكان لكل جماعة مديرها المنتخب وصندوقها الذي تموله الاشتراكات ويشرف عليه مندوب خاص[١].

ولم يكن شارل جنيبير وحده هو الذي قطع بأن المسيح لم يَبْنِ كنيسة ولم يفكر فيها، بل وجد من مؤرخي وكُتّاب النصارى من قال بذلك منهم:

«دن لينق» (*Dean Lnge*) الذي قال: (إن عيسى كان نبيا لمعاصريه من اليهود ولم يحاول قط أن ينشئ فرعا خاصا به بين هؤلاء المعاصرين أو ينشئ له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم)[٢].

ويقول جون لوريمر: (إن التخطيط لمنظمة خاصة يطلق عليها: «الكنيسة» لم يكن في حياة المسيح هو الهدف الأول)[٣].

وإذا كان من القوم من بَيَّنَ أن المسيح لم يؤسس الكنيسة في حياته ولم يفكر فيها فإننا نجد آخرين يقولون: إن الكنيسة أُسِسَتْ يوم الخمسين[٤] بعد صعود المسيح، أي أنه لم يؤسس الكنيسة في حياته، ولم يدخلها؛ لأن الكنيسة أصلا ما أسست إلا بعد رفع المسيح كما نعتقد نحن المسلمين، أو بعد الصلب كما يعتقد النصارى.

ويقول عوض سمعان: (إن الكنيسة تأسست في يوم الخمسين من قيامة المسيح)[٥].

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ص ١٣٢ - ١٣٤ بتصرف.

(٢) راجع: المسيحية د/ أحمد شلبي ص ٦٢.

(٣) تاريخ الكنيسة جون لويمر جـ ١ / ٤٤ دار الثقافة بدون تاريخ.

(٤) يوم الخمسين: هو اليوم الذي يعتقد النصارى أن الروح القدس نزل فيه على التلاميذ بعد صعود المسيح بعشرة أيام، وسمي يوم الخمسين لأنه يأتي بعد خمسين يوما بعد صلب المسيح في زعمهم، ويحتفلون به يوم الرابع عشر أو الخامس عشر من نيسان، ويعرف بعيد العنصرة راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٠ الكهنوت عوض سمعان ص ٤٥٦.

(٥) الكهنوت عوض سمعان ص ٤٥٦ دار الإيمان المسيحية ط (٢) ١٩٨٥ م، وراجع: خمس وخمسون حقيقة من حقائق الإيمان الأساسية ص ٤٧ إصدار مكتبة كنيسة الأخوان ط (٢) ١٩٨٠م.

وعلى ذلك فَكُبْرَى الحقائق: أن المسيح عليه السلام لم ينشئ الكنيسة ولا قال بها، وما أمر أحدا ببنائها، بل لم تكن ظروف العصر الذي كان يعيش فيه تسمح له بذلك، ومن ثم لم يدخل المسيح كنيسة قط؛ لأنها أصلا لم تؤسس إلا بعده.

وإن فكرة الكنيسة لم تظهر إلا بعد المسيح، وبعد دخول بولس في النصرانية، فما قال بها إلا بولس الذي ملأ رسائله بذكرها، ومن ثم فما يوجد في الكنائس من طقوس وأسرار يمارسها رجال الكنيسة لم تكن موجودة زمن المسيح عليه السلام.

فليس للمسيح صلة بالكنيسة ولا بما يمارس فيها من طقوس وأسرار وعادات وتقاليد عبر العصور المختلفة، وما يوجد لدى النصارى من أسرار وطقوس كلها عبادات وثنية مقتبسة من الأمم الوثنية، ويتضح ذلك جليا عند الحديث عن الأسرار والطقوس الكنيسية.

٭٭٭٭٭٭٭

المبحث الثاني

تلاميذ المسيح لم يؤسسوا الكنيسة ولم يريدوها

إذا كان المسيح عليه السلام لم يؤسس الكنيسة فمن الذي أسسها؟

إن الحديث عن تأسيس الكنيسة في النصرانية يتطلب البحث عن موقف تلاميذ المسيح من الكنيسة. هل أسسوها؟ وهل لهم صلة بها؟ ومتى أُسِسَتْ؟ وذلك بعد أن تَبَيَّنَ في المبحث الأول أن المسيح لم يؤسس الكنيسة ولم يكن له بها صلة.

[١] تلاميذ المسيح وتأسيس الكنيسة:

تلاميذ المسيح، وهم من تلقوا التعاليم من المسيح عليه السلام، ويطلق النصارى عليهم الرسل ويريدون بذلك رسل الكنيسة ويعتقدون أنهم هم الذين أسسوا الكنيسة في يوم الخمسين من قيامة المسيح من قبره في زعمهم، وهو اليوم الذي يزعم النصارى أن الروح القدس حل فيه على الرسل وعلى من كان معهم من المؤمنين.

جاء في سفر أعمال الرسل: (ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهما ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا)[١].

يقول يوسف الحداد: إن الكنيسة التي يؤسسها الرسل بتأييد الروح القدس هي ملكوت الله الذي بشر به يسوع في الإنجيل والذي ظل المسيح بعد قيامه أربعين يوما

---

(١) أع: ٢/ ١-٤.

يكلم رسله (في شئون ملكوت الله)[١]، وذكر لوقا هذا في فاتحة سفر الأعمال هو البرهان على أنه يرى ملكوت الله في كنيسة الرسل التي يؤرخ لتأسيسها وانتشارها في كتابه[٢].

وفي معجم اللاهوت الكتابي: ولدت الكنيسة يوم فصح "المسيح" عندما انتقل من هذا العالم إلى أبيه[٣].

والنصارى يطلقون الكنيسة على جماعة المؤمنين بالمسيح (ومن ثَم فالكنيسة ليست هي البناء الذي يجتمع فيه المؤمنون للعبادة، وليست هي الطقوس والعقائد الدينية، وليست هي جماعة رجال الدين في أية طائفة من الطوائف المسيحية)[٤]، بل هي المؤمنون الحقيقيون أنفسهم، فقد قال بولس: (أحب المسيح الكنيسة، وأسلم نفسه لأجلها)[٥].

فهؤلاء المؤمنون بالمسيح عليه السلام كونوا جماعة واحدة أطلق، عليها النصارى فيما بعد كنيسة المسيح، وهذه الجماعة قامت بنشر تعاليم المسيح في البلاد المجاورة لهم؛ ومن ثَمَّ انتشرت تعاليم المسيح في بلاد أخرى، ومن مجموع الكنائس الخاصة تكونت الكنيسة الواحدة الجامعة لهؤلاء المؤمنين المنتشرين في كل البلاد.

ويقول عوض سمعان: (وعن طريق خدمات الرسل الشفوية والتحريرية آمن كثير من اليهود والأمم بالمسيح إيمانا حقيقيا في جهات متفرقة من العالم، وساروا طبقا لما تلقوه من الرسل، من جهة العبادة والخدمة والسلوك، فمن ثَمَّ وإن كانت قد نشأت كنائس في بلاد متعددة لكن هذه الكنائس كانت كنيسة الله الواحدة في إيمانها وعبادتها ومسلكها)[٦].

---

(١) أع: ١/ ٣.

(٢) مصادر الوحي الإنجيلي ص ٢٥٣.

(٣) معجم اللاهوت الكتابي ص ٦٧٥.

(٤) أفسس: ٥: ٢٥.

(٥) مصادر الوحي الإنجيلي ص ٥٥٣.

(٦) الكهنوت ص ٤٥٥، ٤٥٦.

وأطلق النصارى بعد ذلك على الكنيسة، الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية، وسموها: «واحدة» لأن كل المؤمنين الذين تكونت منهم يُعتبرون جسدا واحدا و«مقدسة» لأن المسيح قدَّس الجماعة التي تكونت منهم، و«جامعة» لأنها عمومية بالنسبة للزمان والمكان والأشخاص و«رسولية» لأن الذين أسسوها هم الرسل(١)، وتلك مزاعم النصارى.

والنصارى يزعمون أن الرسل ألهموا من قبل المسيح بتأسيس الكنيسة، وذلك من خلال اجتماع المسيح بهم وتلقينه التعاليم لهم، وتدريبهم على المعمودية والكرازة وكيفية التغلب على الشياطين وشفاء المرضى، وأمرهم بأن يقوموا بتعليم غيرهم والمسامحة، وأمرَهم بالابتعاد عن مواطن الشر والفتنة وغيرها(٢).

وهم في قولهم بتأسيس الرسل للكنيسة يستندون إلى ما جاء في إنجيل متى من قول المسيح لبطرس: (وأنا أقول لك أيضا: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابْنِ كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها)(٣).

ومع أن المسيح لم يقل ذلك لبطرس، ومع بطلان هذا القول وبيان أنه لا أساس له من الصحة، إلا أننا نجد النصارى يعتمدون عليه اعتمادا كليا في ادعائهم أن بطرس قد بني الكنيسة، ويقيسون عليه قيام باقي التلاميذ بمثل ما قام به بطرس.

ويعلق «جون ويسلي» على هذا النص بقوله: (وعلى هذه الصخرة: إنه يشير بوضوح إلى شخصية يسوع المسيح نفسه، باعتبار أنه حجر الزاوية، وهذا المعنى

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٣٦٣ راجع اللآلئ النفيسة جـ١/ ٣٢ وما بعدها.

(٢) راجع: معجم اللاهوت الكتابي ص ٦٧٤.

(٣) متى: ١٦/ ١٨، ١٩ سبق الحديث عن هذا النص، وبيان بطلانه وتناقضه مع ما بعده في المبحث الأول ص ٣١ وما بعدها.

الملحق في هذه العبادة ينتمي إلى بطرس خاصة؛ لأنه بخدمته تأسست الكنيسة أولا بين اليهود، وبعد ذلك بين الأمم، إن بطرس في قائمة الرسل مدعو أولا، ويوضع دائما في المكان الأول)[1].

وبعد رفع المسيح عليه السلام اتخذ تلاميذه بيت أم مرقس يجتمعون فيه كما كانوا يجتمعون فيه على عهد المسيح (كان يجتمع فيه المؤمنون للدرس والصلاة وكان محط رحال الرسل الأبرار بعد السيد المسيح عليه السلام)[2].

وجاء في دائرة المعارف البريطانية عن هذا البيت (أنه كان مركزا للحياة المسيحية في أُورْشَلِيم)[3].

ومن ثَمَّ فقد ادعى النصارى أن بيت أم مرقس هو أول كنيسة في العالم، يقول الكردنيال باوينوس: «إنه كان محط رحال المسيح وتلاميذه، وقد كان هذا البيت أول كنيسة مسيحية)[4].

وسميت فيما بعد باسم: «بيعة صهيون» لأنها تقع على جبل صهيون، وكان في هذا البيت مكان للاجتماع السري يتشاور فيه التلاميذ في أمورهم الدينية والدنيوية ويتدارسون فيه كل ما يهمهم من أمور الحياة ومشاكلها، ويؤدون فيه طقوسهم الدينية، وقد جاء في سفر الأعمال: (حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون، الذي هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت، ولما دخلوا صعودا إلى العلية التي كانوا يقيمون فيها بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس وفيلبس وتوما وبرثولماوس ومتى

---

(١) تفسير إنجيل متى ص ١٥٠.

(٢) راجع: تاريخ مرقس البشير كامل صالح نخله ص ٥٦٠.

(٣) مرقس الرسول شنودة الثالث ص ١٤٠.

(٤) انظر المرجع السابق ص ١٣.

ويعقوب بن حلفي وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب، هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة والنساء ومريم أم يسوع مع إخوته)[١].

إن هؤلاء يعتبرون أن بيت أم مرقس الذي كان يجتمع فيه المسيح وتلاميذه هو أول كنيسة في العالم ويَدَّعون ذلك من قِبَل أنفسهم؛ مع أن المسيح لم يقل بذلك ولا التلاميذ، ولو كان ما يدعونه صحيحا لأُطْلِقَ على كل مكان يجتمع فيه المؤمنون بالمسيح كنيسة.

ويعتبر النصارى الكنيسة التي أسسها الرسل هي ملك الله في مملكة المسيح وهي ملكوت الله الذي بشر به المسيح، كما يعتبرون المسيح رأس الكنيسة، وأن المؤمنين به أعضاء فيها، ومع ذكرهم أن الرسل أسسوا الكنيسة بعد المسيح، وذكرهم الأدلة على ذلك، إلا أننا نجد التناقض الواضح في أقوالهم، فمنهم من يذكر أن المسيح أسس الكنيسة قبل رفعه، ومنهم من يذكر أن الكنيسة أسسها الرسل بعد رفع المسيح يوم الخمسين بعد أن كلمهم المسيح ونزل عليهم فيه الروح القدس.

وهذا الاختلاف والتضارب في الآراء يدل دلالة واضحة على بطلان ما ذهبوا إليه، ويؤكده أن المسيح عليه السلام جاء ليبشر بملكوت الله[٢]، وليس ملكوت الله الذي كان يبشر به هو الكنيسة، إنما هو الملكوت الذي سيأتي من بعده وهو رسول الله محمد ﷺ، وقد نَقَدَ اعتقادَ النصارى في ملكوت الله "رينان" بقوله: (المسيح بشر بملكوت الله فجاءت الكنيسة)[٣]، وإذا كان المسيح يترقب حلول ملكوت الله، فهذا ينفى من منطقه كل فكرة تتعلق بأي تنظيم دنيوي لأتباعه.

---

(١) أع: ١: ١٢ -١٤.

(٢) جاء في إنجيل مرقس: (بعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز بملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله)١٠: ١٤ -١٥.

(٣) مصادر الوحي الإنجيلي ص ٣٥٣.

إن شارل جنيبير يُرجع ظهور فكرة الكنيسة التي يزعم النصارى أن الرسل أسسوها إلى أن الحواريين كانوا يجتمعون مساء كل سبت بعد المسيح يترقبون عودته، ومرت الأسابيع والشهور والسنون دون عودة المسيح إلى أن عمت الفوضى بين المسيحيين وترتب عليها الأضرار والمساوئ إلا أن جماعة منهم وَثَّقُوا فيما بينهم صلة الأخوة وفكروا في تنظيم مجتمع الصفوة، ثم تطورت كل طائفة محلية منهم إلى كنيسة ثم تكونت العامة من مجموع هذه الكنائس الخاصة.

كما يُرجع شارل جنيبير ظهور الكنيسة المسيحية إلى تقليد النصارى لما كان يسير عليه الوثنيون السابقون على عهد المسيح، فأخذ النصارى بهذا النظام من أجل حكومات تدير جماعتهم[1].

ومما يؤيد رأي شارل الأخير ما يراه (إدوارد كونز) من أن ظهور الكنائس المسيحية جاء نتيجة اتصال النصارى بالبوذية التي جاءتهم من بلاد الهند أيام الإمبراطورية الرومانية ومما ذكره من اقتباسات من البوذية لدرجة كبيرة جدا؛ لأن البوذية في عصر بوذا لم تشهد معبدا ولا ديرا، بل عاش بوذا حياة التنقل والتجوال دون مسكن له أو مأوى. ولعل انتشار الأديرة البوذية في أنحاء العالم بعد بوذا بقرون وفي الشرق الأوسط بالذات أيام الإغريق أعطى المسيحية فكرة إنشاء الكنائس على منوالها[2].

ومما سبق يتبين أن الكنيسة لم تظهر في عهد المسيح ولم يعهد ببنائها لأحد ولم يؤسس تلاميذ المسيح الكنيسة، ولم تكن الظروف التي كانوا يعيشون فيها تساعدهم على تكوين الكنيسة أو الاجتماع في أماكن خاصة بهم بل ولم يفكروا في ذلك؛ لما كانوا يعيشون فيه من اضطهاد وعداء دائم من اليهود والحكام الرومانيين.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٣، ١٣٤ بتصرف.

(٢) الهند القديمة حضارتها وديانتها د/ محمد إسماعيل الندوي ص ٢٢١ دار الشعب ١٩٧٠ م.

ويقول القس يوحنا سلامة: في العهد الجديد لم تشيد الكنائس حالا، بل كان المؤمنون يجتمعون حيثما تيسر لهم مكان للاجتماع، وأول مكان اجتمع فيه الرسل هو العلية؛ ذلك لأن ظروف المسيحيين لم تكن أرحب من ظروف الإسرائيليين؛ لأن الضيقات المتنوعة المرة القاسية والعذابات الشديدة التي لاقوها حالت دون تشييد أماكن خصوصية للعبادة حتى يعين لها اسم تعرف به(١).

وعن الحالة التي كان عليها أتباع المسيح يقول الإمام ابن حزم: (إن كل من آمن به، فإنهم كانوا مستترين مخافين في حياته وبعده، يدعون إلى دينه سرا ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته ولا يُظهر دينه، وكل من ظُفر به منهم قُتل إما بالحجارة، وإما صلب، أو قتلوا بالسيف، أو بالسم، فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة وليس لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام)(٢).

فكل ما ذكر عن تأسيس تلاميذ المسيح للكنيسة لا أساس له من الصحة.

تأسيس الكنيسة بعد الرسل:

ويزعم النصارى أن تأسيس الكنائس استمر بعد الرسل كما زعموا أنه كان على عهد الرسل، وانتشرت الكنائس في بلاد كثيرة منها مصر، فقالوا: إن مرقس أسس كنيسة الإسكندرية، ثم انتشرت الكنائس بعدها في مصر(٣).

كما يزعم النصارى أن بطرس أنشأ كنيسة روما والتي تولى رياستها باباوات الكنيسة الكاثوليكية ويطلقون عليها الكنيسة البطرسية نسبة إلى بطرس وهم يعتبرون أنفسهم خلفاء له.

---

(١) اللآلىء النفيسة جـ١/ ٩٥.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم جـ٢ / ٤، ٥ بتصرف مكتبة السلام العالمية.

(٣) راجع: تاريخ الأقباط جـ ١/ ٧٤، ٩٨، تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر ص ٢١.

ويذكر صاحب كتاب: «تاريخ الكنيسة» أن المسيحية انتشرت في بلاد الهند بعد أن ذهب إليها القديس توما في عام ٥٢م، ويطلق على كنيستها الكنيسة السريانية الأرثوذكسية[١].

إلا أنه في عام ١٨٤٢ م قامت بعثة فرنسية للتبشير في (لهاسا) عاصمة التبت والواقعة على رأس جبال الهملايا، وقد اندهش أفراد البعثة حينما وجدوا تشابها كبيرا في المراسيم البوذية وطقوسها وبين المسيحية الكاثوليكية[٢]، فلو أن المسيحية انتشرت في بلاد الهند منذ القرن الأول كما يذكر «جون لوريمر» على أيدي القديس «توما» وتأسس فيها الكنائس لما استغربت هذه البعثة مما وجدته من التشابه بين البوذية والمسيحية، وهذا يدل أيضا دلالة واضحة على أن الكنائس المسيحية مستمِدة لطقوسها وشعائرها من الديانات الوثنية، وبُنيتْ كنائسها على منوال المعابد الوثنية.

كما يدعي النصارى أن النصرانية انتشرت في بلاد الحبشة منذ وقت مبكر وهي أقدم أمة عرفت النصرانية، وقد دخلتها على يد وزير الخزانة في عهد الكنداكة ملكة الحبشة ويستندون إلى ما جاء في سفر أعمال الرسل[٣].

إن المسيح عليه السلام لم يأمر أتباعه بأن يبشروا بالنصرانية خارج بني إسرائيل (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا، إلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[٤].

ولعل السبب في انتشار النصرانية في بلاد أخرى مثل روما والحبشة والهند ومصر

(١) تاريخ الكنيسة جون لوريمر جـ١/ ٢٦ دار الثقافة ١٩٨٥ م.

(٢) انظر: الهند القديمة حضارتها وديانتها ص ٢٢٠.

(٣) راجع: أع: ٨/ ٢٦ -٣٩.

(٤) متى: ١٠/ ٦٥.

وغيرها هو الاضطهاد الشديد الذي وقع وحل بالنصارى منذ عهد المسيح إلى ما بعد رفعه بأربعة قرون، ففر تلاميذه إلى هذه البلاد، وكان فرارهم سببا في نشر تعاليم المسيح، فهم لم يذهبوا إلى هذه البلاد طواعية ورغبة منهم لنشر النصرانية كما يزعم مؤرخو وكُتَّاب النصارى.

وقد اتفقت المصادر المسيحية على أن النصارى نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث كثيرة وشديدة، مما جعلهم يستخفون بدينهم، ومنهم من فرض عليه الاضطهاد، ومنهم من بقي وفي النهاية يستشهد نتيجة للتعذيب والقتل، فكانوا لا قوة لهم تحميهم أو تحمى دينهم من الاضطهادات التي وقعت بهم.

فإن كان النصارى يعترفون بما وقع بالأوائل منهم من العذاب والتنكيل والنفي والاضطهاد من عهد المسيح إلى القرن الرابع الميلادي، فمتى أسسوا الكنيسة كما يزعمون.

وخلاصة القول: إن تلاميذ المسيح لم يؤسسوا الكنيسة كما يزعم النصارى، بل ساروا على خطى معلمهم مقتفين لآثره كما أنه لم تؤسس كنيسة في القرن الأول؛ وذلك لما مرت به النصرانية من اضطهادات متوالية أودت بحياة الكثيرين من النصارى ولم يتنفسوا إلا الصعداء.

۞۞۞۞۞۞۞

المبحث الثالث

بناء الكنائس عند النصارى

لقد أنفق النصارى من أموالهم على بناء الكنائس وتشييدها وزخرفتها وما تحتاج إليه بل أوقفوا علها الأموال الكثيرة.

وإذا كان المسيح عليه السلام لم يَبْنِ الكنيسة ولم يأمر ببنائها، وكذلك تلاميذه إلا أن النصارى تنفيذا لتعاليم بولس قاموا ببناء الكنائس واهتموا بها وبعمارتها.

ولقد بدأ ظهور الكنائس في القرن الثالث والرابع الميلاديين؛ وذلك بعدما أقرت المجامع تعاليم بولس(١).

---

(١) بولس يتحدث، زكي شنودة عن بولس فيقول: ولد في طرسوس من أبوين يهوديين، وكان مكتسبا الرعوية أي الجنسية الرومانية، حتى إذا اكتمل تعليمه بطرسوس أرسل لأورشليم حيث يضلع في الناموس على يد (غمالائيل) أشهر علماء اليهود في عصره، وكان في بداية الأمر معاديا للمسيحيين، وهو الذي كان يسمى (شاول) حتى ظهر له يسوع في طريقه إلى القبض عليهم وصنع معجزة معه فآمن وأصبح من أشد المبشرين غيرة وإخلاصا، وقد خُصِصَ لتبشير الأمم، ومع أنه لم يكن من الاثني عشر أو من السبعين رسولا فقد قام بأعظم عمل تبشيري في تاريخ المسيحية، وقد طاف آسيا الصغرى واليونان وروما. وأسس عدة كنائس في آسيا وأوربا، وقد تحمل في سبيل ذلك اضطهادات كثيرة حتى استشهد أخيرا في روما على عهد نيرون سنة ٨٦ ميلادية، وقد كتب أربع عشرة رسالة باللغة اليونانية.

فهو إذًا يهودي دمًا روميُّ الجنسية، وهو ضليع في الناموس اليهودي، وهو العدو للمسيحية، ثم هو بعد ذلك مؤسس الكنائس، وهو كاتب أربع عشرة رسالة باللغة اليونانية.

فبولس كان عدوا لدودا لأتباع المسيح أنزل بهم أشد أنواع التنكيل والتعذيب باعتراف كتابهم المقدس لديهم وباعتراف بولس نفسه، ومما يؤكد ذلك أن أتباع المسيح بعد إعلان بولس تنصره كانوا يتوجسون منه خيفة؛ وذلك لما يعلمون عنه من عدائه لهم، ففي سفر أعمال الرسل: (لما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، فكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق) أع ٩/ ٢٦ -٢٣.

وبالرغم من عداء بولس الشديد للنصارى والنصرانية إلا أن الكنيسة تعتبره رسولها الأول، ويطلقون عليه رسول الجهاد مع أنه لم يلتق بالمسيح ولم يصاحب تلاميذه، بل كان على خلاف دائم معهم بسبب نشره لفكره الإلحادي الذي يخالف تعاليم المسيح، فبولس هو الذي ألغى الختان، وهو أول من قال بألوهية المسيح وبنوته، وهو الذي قال بصلب المسيح من أجل الفداء عن خطيئة آدم، ولقد ضمن بولس تعاليمه=

واعتنق قسطنطين[١] المسيحية فمَكَّن للنصارى من بناء الكنائس، وعن ذلك يقول جون لوريمر: شهد القرن الثالث تطورا في بناء الكنائس فَقَبْلَ ذلك كان المسيحيون يجتمعون سرا في البيوت، ولكن عندما بدأت السلطات تسمح لهم باقتناء بعض الممتلكات كالمقابر مثلا، وبدءوا بالتدريج يبنون كنائس بسيطة، وهناك أدلة معمارية تدل على أنهم كانوا يُجرون بعض التعديلات في المباني العادية لكي تصبح أماكن للعبادة[٢].

ثم يتحدث جون لوريمر عن بعض الكنائس التي بنيت في القرن الرابع الميلادي فيقول: تميزت هذه الفترة الزمنية بنشاط عظيم في بناء كنائس جديدة على حساب الحكومة، فأعيد بناء كاتدرائية نيكوميديا، كما أعيد بناء الكنيسة الذهبية في أنطاكية، وشيدت كنيسة القبر المقدس وكنيسة بيت لحم، أما كنيسة القديس بطرس العظيمة، وكنيسة بولس الكبيرة فقد تم تشييدها في روما مع صرف آلاف الجنيهات عليها وكنيسة القديس بولس الواقعة خارج روما أطلق عليها اسم بطريرك الإسكندرية[٣].

وأدخل النصارى الفن المعماري في بناء الكنائس، فمنها ما هو على النمط اليوناني ومنها ما هو على النمط الروماني فكانت على شكل مربع، وذلك في الكنائس الشرقية

= التي أدخلها على النصرانية في رسائله، والتي تمثل القسم التعليمي في العهد الجديد، وهذه الرسائل تشتمل على مائة إصحاح من مائتين وستين إصحاحا يشتمل عليها العهد الجديد، وقد قام بولس برحلات تبشيرية إلى بلاد كثيرة لبث فكره الإلحادي راجع: تاريخ الأقباط ج١ ص٧٦، يأهل الكتاب تعالوا ص٩٦ وما بعدها، فجر المسيحية ص٤٠ وما بعدها.

(١) قسطنطين: هو حاكم الرومان الوثني الذي دعا إلى عقد مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م من أجل محاباة رجال الكنيسة وكسب ودهم وعطفهم ليكونوا عونا له في تثبيت أقدامه ومناصرته على أعدائه، فناصر القلة التي تقول بألوهية المسيح؛ لأن ذلك أقرب إلى وثنيته، ومن أجل نشر أفكاره وأفكار رجال الوثنية حارب المخالفين وناصر المؤلهين لعيسى بسيفه، وأدخل الوثنية الرومانية على النصرانية، وقضى قسطنطين على البقية الباقية من تعاليم المسيح بعد أن طمس بولس غالبية معالمها.

(٢) تاريخ الكنيسة جـ٢/ ٩٤.

(٣) المرجع السابق جـ٣/ ٢٩.

والبيزنطية، ومستطيلة كالكنائس الباريليكية ولها قباب نصف دائرية، وهي تعتبر من أهم مميزات الطراز البيزنطي، وكذلك اهتموا بإنارتها وزخرفتها داخليا وخارجيا وأنفقوا على ذلك الأموال الكثيرة.

وبعد اعتراف قسطنطين بالنصرانية وحمايته لها بحث النصارى عن أماكن يتخذونها للعبادة، فاتخذوا من معابد الوثنية عن طريق الهبة أو الشراء أماكن لتكون كنائس، أو بنوا مكان القديم المتهدم مبانيَ جديدةً لهذا الغرض، وكان يغلب على الفن المعماري في الكنائس طابع كل بلد تُبنى فيها، فمنها ما بُنيت على شكل دائري، وأخرى على شكل مستطيل، ويبدو أن هذا التقسيم يرجع إلى ظروف التقاليد والتراث من ناحية، والبيئة من ناحية أخرى؛ لأن النوع الأول كان شرقيا يونانيا في حين كان النوع الثاني غربيا رومانيا[1].

وبنيت الكنائس البيزنطية في أول أمرها على النمطين اليوناني والروماني، ثم تأثرت بالفن الشرقي، وقد بنيت على الشكل المربع وقبابها دائرية وإيوان الكنيسة مربع الشكل له ذراعان جانبيان قصيران ليتخذ الشكل العام للكنيسة هيئة مربع، وشيدت معظم الكنائس البيزنطية من الآجر وكسيت جدرانها من الداخل بالفسيفساء والرخام المنقوش على هيئة صورة رمزية للقديسين وللمسيح وأمه، وكانت أعمدة الكنائس البيزنطية تبنى على أشكال «الطراز» الروماني وتيجانها تأخذ أشكالا هندسية أو نباتية أو حيوانية، وقد بلغت زخرفة الكنائس البيزنطية أرقى مما كانت عليه الكنائس في الغرب.

ومن الكنائس التي بنيت على الطراز البيزنطي كنيسة القديس «أبي صوفيا» (التي تم بناؤها على عهد «جستنيان» سنة ٥٣٧م، وهي أعظم مثل للكنائس البيزنطية، وهي مشيدة من الآجر، وخط مسقطها الأفقي على هيئة صليب يوناني متساوي الأذرع

(١) أوربا العصور الوسطى د/ سعيد عبد الفتاح عاشور جـ٢/ ٢٧٥ دار النهضة العربية ط (٣) ١٩٧٢م.

تقريبا؛ إذ يبلغ طول أحدهما ثمانين مترا والآخر طوله خمسة وسبعون مترا، وعند تقاطع الذراعين توجد قبة يبلغ قمتها على سطح الأرض ستين مترا تقريبا، ويتخلل محيط هذه القبة أربعون نافذة مرتبة مرصوصة وفق نظام هندسي بديع يكفل دخول قدر كافٍ من الضوء إلى داخل الكنيسة على أنه إذا كانت جدران الكنيسة مشيدة من الآجر إلا أنها مغطاة من الداخل بالرخام والفسيفساء المختلف الألوان كما امتاز داخل الكنيسة بالأعمدة الكثيرة والنقوش الجميلة)[١].

ويبني النصارى كنائسهم الحالية على شكلين:

الأول: على شكل السفينة، مربعًا أو مستطيلًا (من الشرق إلى الغرب).

الثاني: على شكل الصليب.

وبناء الكنيسة على كلا الرسمين ينقسم إلى قسمين:

الأول: محل وقوف الشعب.

الثاني: الهيكل، وفصل بينهما بحاجز خشبي أو حجر يعرف بالحجاب.

محل وقوف الشعب: هو مكان خاص بالشعب حيث يجتمعون معا للصلوات والاشتراك مع الكاهن في تقدمة القداس والتأمين على دعائه وسماع الكتب الإلهية والوعظ والتعليم، ويوجد في هذا القسم صفوف تفصل بينها حواجز خشبية تسمى خوارس ويوضع في هذا القسم المنجلية[٢]، والمنبر والمنادة وكرسي الأسقف وتعلق

---

(١) أوربا العصور الوسطى جـ١/ ٢٥٨، تاريخ المسيحية فجر المسيحية ص ١٩٤.

(٢) المنجلية: هي كلمة يونانية معناها مكان الإنجيل، وتكون غالبا قائمة على أربعة أرجل على شكل مائل إلى الأمام، والقسم الأسفل منها عبارة عن خزانة لحفظ كتب الخدمة والدفوف أو النواقيس والمنجلية تشير إلى جبل سيناء الذي صعد إليه موسى وتسلم الشريعة من الله. راجع: الطقوس الكنسية ص ٢٨.

المصابيح والثريات للإضاءة، وبيض النعام[1] للزينة وفيه تتم الكنيسة صلوات مسحة المرضى، وسر الزيجة وغيرها من الطقوس الكنسية.

ويحتوى الهيكل على المذبح الذي تقدس عليه القرابين بكلمة الله والصلاة، وتبنى الكنائس إلى جهة المشرق بعلة أن الشمس تطلع من ناحية الشرق التي أشرق منها المسيح[2].

واتخذت الكنيسة أشكالا معمارية مختلفة عبر العصور متأثرة كما سبق بالبيئات والثقافات المختلفة في البلاد التي بنيت فيها[3].

اهتمام النصارى ببناء الكنائس في أنحاء العالم:

ازداد اهتمام النصارى ببناء الكنائس والإكثار منها؛ وذلك بعد أن انتشرت الكنيسة البولسية في كثير من بلاد العالم، وزاد اهتمامهم أكثر في هذا القرن، وكان الدافع الأساسي وراء ذلك هو ازدياد البعثات التنصيرية التي أرسلها باباوات النصارى إلى بلاد العالم وبخاصة البلاد الإسلامية للتأثير على عقلية أهلها كي يعتنقوا النصرانية، ومن وسائلهم لتحقيق هذا الهدف بناء الكنائس في الأماكن التي يحلون بها.

إن هؤلاء المنصرين يريدون أن يؤثروا في (أذهان الشرقيين بالأبنية الفخمة العظيمة، فكنائس الإرساليات ومدارسها وأنديتها يجب أن تكون في رأى هؤلاء المبشرين شاهقة

(١) يعلق بيض النعام في هذا الخورس ليكون أمام المصلين مذكرا إياهم بالقيامة، وخص بيض النعام دون سائر الطيور؛ لأنه يضع البيض ثم يظل ناظرا إليه بعين ساهرة حتى يفقس. راجع الطقوس الكنسية ص ٢٨.

(٢) راجع: اللآلئ النفيسة جـ١/ ٧٩ وما بعدها.

(٣) تحدث الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور عن الفن المعماري للكنائس النصرانية في عدة عصور مبينا الأشكال المعمارية المختلفة التي بنيت عليها الكنائس؛ فتحدث عن الكنائس البيزنطية والبازيليكية، وتحدث عن الطراز الرومانسكي، والفن القوصي في الكنائس القوصية راجع: أوربا العصور الوسطى جـ٢/ ٢٧٧.

غريبة المظهر حتى تؤثر في عقول الزائرين وفي عواطفهم وخيالاتهم، إن ذلك في اعتقاد المبشرين يقرب غير النصارى من النصرانية)[١].

وهم يختارون الأماكن الهامة لبناء الكنائس، كأن تبنى في قلب المدن والأحياء في البلاد الإسلامية، وأن تكون في كثير من الأحوال بجوار المساجد أو قريبة منها، بل ويبنون الكنائس في الأحياء التي لا يسكنها أحد من النصارى، ويوم إقامة أي قداس يجلب لها نصارى من أماكن أخرى لإقامة القداس الديني[٢].

وسوف أتحدث ـ إن شاء الله تعالى ـ عن بناء الكنائس في بعض البلاد الإسلامية مع ذكر بعض الكنائس التي أقامها النصارى في هذه البلاد.

بناء الكنائس في مصر:

مصر من بلاد العالم الإسلامي التي بني النصارى فيها الكنائس وشيدوها واهتموا بعمارتها وزخرفتها وإنارتها، وقد زاد عدد الكنائس فيها بدرجة كبيرة، وهذه الكنائس منها ما يتبع المذهب الكاثوليكي، ومنها ما يتبع المذهب البروتستانتي، ومنها ما يتبع المذهب الأرثوذكسي، وكنائس أخرى تتبع الطوائف المتصلة بهذه المذاهب الثلاثة، يقول القس منسي يوحنا: كانت الكنائس القبطية عقب دخول المسيحية مصر تزداد يوما بعد يوم، ويوم أن دخل الإسلام مصر بلغ عددها ما يقرب من ١٥ ألف كنيسة[٣].

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية الدكتور / مصطفى خالدي، د/ عمر فروخ ص ٢٠٨ المكتبة العصرية بيروت ط (٤).

(٢) راجع: غارة تبشيرية جديدة على أندونسيا أبو هلال الأندونيسي ص ٢٨ دار الشروق ط (٤) ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(٣) راجع: تاريخ الكنيسة القبطية منسي يوحنا ص ٥٠١ مكتبة المحبة ١٩٨٣م.

وقد ذكر المقريزي في الخطط كنائس النصارى القديمة في مصر[1]، وقد أنفق النصارى من أموالهم على بناء الكنائس وأوقفوا عليها الأوقاف الخاصة بها والتي يؤخذ ريعها للإنفاق عليها وعلى رجال الدين، ومنهم من شيد الكنائس على نفقته الخاصة واشترى أملاكا وأوقفها عليها، وذلك مثلما حدث من إبراهيم الجوهري[2]، والقس صالح حنا الله[3].

ومن الكنائس القديمة في مصر:

(١) **كنيسة الإسكندرية:** وهي أقدم كنيسة بنيت في مصر قبل كنائس القاهرة وكان بها آريوس الذي انعقد من أجله مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وإيناسيوس الذي كان يقول بألوهية المسيح.

(٢) **كنائس منطقة حصن بابليون بمصر القديمة وهي:** الكنيسة المعلقة، وأبو سرجة والقديسة بربارة، وكنيسة مارى جرجس، وكنيسة العذراء الشهيرة بقصرية الريحان.

(٣) **كنائس مصر القديمة الصغرى بديري بابليون الدرج:** وهي كنيسة العذراء، وكنيسة القديسين أبي كير ويوحنا، وكنيسة الأمير تادرس، وكنيسة القديس ميخائيل العدوية بطرة، وكنيسة السيدة العذراء بطرة.

(٤) **كنائس الفسطاط:** وهي كنيسة أبي السفين، وكنيسة الأنبا شنودة، وكنيسة العذراء الدمشيرية وكنيسة مارمينا بفم الخليج.

---

(١) راجع: الخطط للمقريزي جـ١/ ٥١٠-٥٢٠.

(٢) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن ١٩ ص ١٩٢.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر ص ٦٤.

(٥) كنائس القاهرة: وهي كنيسة العذراء بحارة الروم، وكنيسة العذراء بحارة زويلة والكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية، والكنيسة البطرسية للرسولين بطرس وبولس وكنيسة الأنبا رويس[١].

وتتابع بناء النصارى للكنائس، فقد بنيت الكنيسة البطرسية والتي أسسها بطرس غالى سنة ١٩١١م، وهو الذي كان وراء تأسيس المذهب الكاثوليكي في مصر.

ومنذ عهد الخديوي إسماعيل سمح للنصارى ببناء الكنائس، وقد قام محمد على بمنعهم من بنائها فقامت كنيسة لأقباط طنطا في عهد سعيد باشا سنة ١٨٥٥م وكان أقباط طنطا يصلون في كنيسة بلدة «سبرباي» قرب طنطا، وأنشئت كنيسة للأقباط في حارة السقائين وكنيسة العذراء بالفجالة، وفى سنة ١٨٨٦م بني سلامة عجمي الكنيسة المرقسية بالجيزة والكنيسة الإنجيلية بالأزبكية بنيت سنة ١٨٦٣م وكان للبروتستانت في نهاية ق١٩ (٤٤) كنيسة جديدة[٢].

وتأسست في مصر أول كنيسة إنجيلية في منطقة درب الجنينة بالموسكي بالقاهرة سنة ١٨٦٠م، وكان للإنجيليين كنائس في حارة السقائين بعابدين والمعادى والقللي والفجالة، وشبرا مصر، والملك الصالح، ومصر الجديدة، ومنشية الصدر، والعباسية وحلوان والشرابية والزيتون، وشبرا والنزهة، وفى الإسكندرية كنيسة العطارين وكنيسة محرم بك، وكنيسة السراي وكنيسة سيدي بشر، وكنيسة الإبراهيمية، وكنيسة سيدي بشر المحطة والتي تأسست بجهود الكنيسة الإنجيلية[٣].

---

(١) راجع: الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة، د/ حبيب سعيد ص٥ مكتبة المحبة ١٩٧٩م.

(٢) المجتمع القبطي في مصر في ق ١٩ ص ١٢٠ بتصرف.

(٣) راجع: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر ص ٨٣.

وقد كثرت كنائس النصارى في مصر بمذاهبها الثلاثة في سائر البلاد إلى أن وصلت إلى القرى والكفور التي يقطنها أقلية نصرانية، وهذه الكنائس أنفقوا عليها الأموال الكثيرة في تشييدها، وأوضح مثال على ذلك كنيسة العباسية التي تلفت أنظار المارين إليها؛ وذلك لفخامة مبناها.

وبجانب الكنائس يوجد للنصارى أديرة في مصر موزعة في الوجه البحري والوجه القبلي، ومن هذه الأديرة أربعة بوادي النطرون، وهي دير العذراء بالبرموس، ودير العذراء المعروف بدير السريان، ودير أنبا الشويجا، ودير أنبا مقار، وثلاثة بالوجه القبلي وهي دير الأنبا أنطونيوس، ودير أنبا بولا، ودير العذراء بالمحرق، ويوجد بالقاهرة خمسة أديرة للراهبات هي: دير ماري جرجس، ودير أبي سفين بمصر القديمة، ودير الأمير تادرس بحارة الروم، ودير مارجرجس، ودير العذراء بحارة زويلة[١].

بناء الكنائس في إندونيسيا:

تعتبر إندونيسيا من أكبر بلاد العالم الإسلامي مساحة وأكثرها سكانا إذ يصل عدد سكانها ما يقرب من مائتي مليون نسمة، وقد مارس النصارى فيها التنصير بين أهلها[٢]، واهتموا ببناء الكنائس فيها وتشييدها وعمارتها، فبنيت (كنائس ومعاهد وجامعات ودور أيتام وملاجئ ومستشفيات ومستوصفات (كلها مسيحية) حتى في المناطق التي عرفت بنقائها الإسلامي من أتباع الأديان الأخرى، ومباني هذه المؤسسات تعتبر نماذج فخمة لفن المعمار الحديث، وموقعها في المدن والأقاليم توحي كأن إندونيسيا بلد نصراني[٣].

وهم في سبيل حصولهم على الأماكن الهامة يلجئون إلى طريقة الإغراء المادي،

---

(١) راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٥٥٢.

(٢) سيأتي الحديث إن شاء الله تعالى في الباب الثاني عن ادعاء النصارى عالمية التنصير.

(٣) غارة تبشيرية على إندونسيا ص ٢٨.

فيرفعون ثمن الأرض إلى درجة لا يتخيل أصحابها أن يحصلوا على مثل هذا الثمن أبدا فيجبرون على بيع أراضيهم، (ففي قطعة أرض لا تزيد قيمتها عن مائتين وخمسين ألف روبية دفع فيها الكاثوليك مليون روبية وبنوا عليها كنيسة)[١].

ولقد تغلغل النصارى في كل جزر إندونيسيا وبنوا فيها الكنائس وأنفقوا عليها الأموال الكثيرة، وقد أصدر مجلس الكنائس الإندونيسي خريطة مبينا فيها أسماء ومواقع الكنائس في إندونيسيا[٢] وهذه الكنائس كلها بروتستانتية المذهب، ولا شك أنه قد بني بعد إصدار هذه الخريطة الكثير من الكنائس، وفى صومترا وحدها يوجد ثمانون كنيسة بناها المنصرون[٣].

وكل ذلك إن دل فإنما يدل على نشاط النصارى واهتمامهم ببناء الكنائس وإنفاق الأموال عليها.

بناء الكنائس في الأردن:

الأردن من بلاد العالم الإسلامي التي بنى فيها النصارى ولا يزال يبنون كنائس لهم فيها، وقد تَكَوَّنَ في الخمسينات مجلس أعلى نصراني برئاسة مطران ومساعديه وأهداف هذا المجلس تتلخص فيما يلي:

(١) شراء الأراضي، وقد رُصد لذلك أموال كثيرة، ويلاحظ في عملية الشراء اختيار الأراضي الواقعة على منافذ المدن الكبرى، ويتبع في شراء الأراضي أن يشتريها أحد النصارى لنفسه، وبعد أيام يُوقفها على كنيسة معينة.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨. (م ٤ الكنيسة).

(٢) هذه الخريطة ملحقة بكتاب: غارة تبشيرية على إندونسيا ص ٨٨، ٨٩ وعددها يزيد على أربعين كنيسة.

(٣) راجع: الغارة على العالم الإسلامي أ. ل شاتليه ترجمة: محب الدين الخطيب مساعد إليافي مكتبة أسامة بن زيد ص ٣٨ بدون تاريخ.

(٢) بعد شراء الأراضي و إيقافها تقام عليها كنائس و يراعى عند تصميمها أن تكون قلاعًا حربيةً ومستودعاتٍ للأسلحة لا أماكن عبادة، ومن هذه القلاع ما يشرف على منافذ القدس الثلاثة المؤدية إلى رام الله والخليل وعمان[١].

بناء الكنائس في السودان:

يمارس المنصرون أعمالهم التنصيرية في السودان وبالأخص في الجنوب، كما بنوا فيها الكنائس، ومنها على سبيل المثال: كنيسة الخرطوم، أسسها القس «حبرا حنا» سنة ١٩٠٣م، وكنيسة أم درمان، وتعرف الآن بالكنيسة المتحدة، وهي تابعة للكنيسة الإنجيلية، والكنيسة الأسقفية معا، وأيضا كنيسة الخرطوم بحري، وكنيسة عطبرة، وكنيسة وادي مدني، وكنيسة بورسودان، وكنيسة القصارف وكنيسة الأبيض، وكنيسة تل دوليب والكنيسة المتحدة والتي اشتركت في بنائها الإرساليات الأمريكية الأسقفية، والكنيسية القبطية الأرثوذكسية، وكنيسة أبونج في جنوب السودان[٢].

ويذكر الدكتور/ عبد الودود شلبي: أن الكنائس النصرانية في مدينة الخرطوم يزيد عددها على عدد المساجد (إذ يوجد أربعة مساجد، هي مسجد القوات المسلحة، ومسجد الجامعة، ومسجد الخرطوم الكبير، بينما تجد من الكنائس كاتدرائية القديس متى، وكنيسة الأسقفية في قصر الشعب، وكنيسة العذراء، وكنيسة القديس فرانسيس، وكنيسة فيللا جليدا، وثلاث من هذه الكنائس تطل على النيل الأزرق، وليس هناك مقارنة في فخامة مبانيها ونظافتها بالنسبة لمساجد المنطقة، وكذلك الأمر في الخرطوم بحري؛

(١) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير إبراهيم سليمان الجيهان ص ٣١، الزحف إلى مكة ص ٣٨.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر أديب نجيب سلامة ص ٩٩ وما بعدها، دار الثقافة ط (١) ١٩٢ مو المجتمع القبطي في مصر في القرن ١٩ رياض سوريال ص ٢١٨ مكتبة المحبة ١٩٧١ م.

تطل بعض كنائسها على النيل الأزرق وتجاور الجامع البحري الكبير وتتفوق عليه في العلو والجمال الهندسي، وهذا يعنى أن العاصمة المثلثة صار عليها الطابع الكنسي في عمارتها بالرغم من أن الأغلبية الساحقة من سكانها مسلمون، مما يعطي انطباعا خاطئا للوافد والزائر.

ثم يقول د/ عبد الودود شلبي: إن هناك ظاهرة جديدة ألا وهي ظاهرة الكنائس العشوائية التي أخذت تقوم دون تصديق في المناطق السكنية كأمبدة جنوب وأمبدة شمال وفى مدينة الثورة، وفى حي كوبري، وحلفاية الملوك، والأماب بحر أبيض والعزوزاب، والتي بلغ عددها ستا وعشرون كنيسة عشوائية[1].

وبعد،،،

فإن النصارى قد اهتموا ببناء الكنائس في شتى أنحاء العالم سواء العالم الإسلامي أو غير الإسلامي، مع أنهم يستندون في بنائها على نص لا أساس له من الصحة، وينفقون عليها الأموال الكثيرة بناء وتشييدا وزخرفة وغيرها من ألوان البزخ والترف.

وهذه الكنائس تمثل المذاهب النصرانية الثلاثة والطوائف التابعة لكل مذهب، وهم يبغون من وراء ذلك نشر تعاليم بولس في أنحاء العالم، وعلى وجه الخصوص في بلاد العالم الإسلامي، ولكن لن يتحقق لهم ذلك بمشيئة الله تعالى. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ**﴾[2].

---

(١) الزحف إلى مكة ص ١٣٥، ١٣٦ بتصرف.

(٢) سورة التوبة الآيتان (٣٢، ٣٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

❁❁❁❁❁❁❁

(١) سورة الأنفال الآيتان (٣٦، ٣٧).

المبحث الرابع

تنظيم الكنائس عند النصارى

إن الحديث عن تنظيم الكنيسة يدور حول مالية الكنيسة، وعن الطرق التي اتبعها رجالها لجمع المال، وسن القوانين الخاصة بها، وكذلك استغلال هذه الأموال في بناء الكنائس وتفننهم في أشكالها المعمارية، والعمل على نشرها في كثير من بلاد العالم وزيادة أعدادها عن طريق الإكثار من بنائها، والاهتمام بها.

[١] النظام المالي للكنيسة:

من المعروف عند النصارى أن المسيح عليه السلام وأتباعه كانوا يعيشون في هذه الدنيا عيشة الزاهدين، ودعا عيسى أتباعه إلى الزهد في الدنيا والانسلاخ الكامل عنها وعن متاعها وعدم الاتكال على المال لأنه يحجبهم عن الدخول في ملكوت الله فقال: (ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله)[١].

كما بَيَّنَ المسيح عليه السلام أن المال ليس هو كل شيء بالنسبة للإنسان، بل على الإنسان أن يسخر المال في طاعة الله تعالى، وَبَيَّنَ أن مصير الأغنياء الذين يركنون إلى الدنيا اعتمادا على أموالهم، وثواب الذين تركوها طاعة لله وزهد فيها، فيذكر أن إنسانا غنيا مترفا متنعما يلبس الآرجون، ويتمتع بها في الدنيا ثم مات فكان مصيره إن كان من أصحاب الجحيم، وأن فقيرا كان مصابا بجروح ويأكل من فتات مائدة الأغنياء، ولما مات حملته الملائكة إلى جوار إبراهيم عليه السلام[٢].

(١) مرقس: ١٠/ ٢٣.

(٢) راجع لوقا: ١٦/ ١٩ -٢٥.

فإذا كانت هذه هي تعاليم المسيح عليه السلام فيما يتصل بالمال واقتنائه، فهل سار أتباعه على هذه التعاليم من بعده؟

لقد سار أتباع المسيح عليه السلام من بعده مقتفين أثره فزهدوا في الدنيا وتصدقوا بالمال وجعلوه وسيلة توصلهم إلى طاعة الله ونيل رضوانه، وجاءت النصوص في المصادر النصرانية تدل على ذلك، ففي سفر أعمال الرسل قصة حنانيا وامرأته سفيرو وقد (باع ملكا واختلس من الثمن، وامرأته لها خبر ذلك وأتى بجزء ووضعه عند أرجل الرسل فقال بطرس: يا حنانيا، لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل؟ أليس وهو باقٍ كان يبقى لك ولما بيع ألم يكن في سلطانك، فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر، أنت لم تكذب على الناس بل على الله)[1].

وجاء في كتاب المواعظ الإلهية أن: أعضاء الكنيسة في العهد الرسولي كانوا يبيعون ممتلكاتهم ويضعون أثمانها عند أرجل التلاميذ الذين يقومون بتوزيعها على المحتاجين من الشعب[2]، لكن خلف من بعد هؤلاء الأتباع خلف ضيعوا تعاليم المسيح واتبعوا أهواء نفوسهم وجمعوا الأموال بكل الطرق واكتنزوها وكونوا لأنفسهم الضياع الواسعة، والنظم المالية الخاصة بها والتي تستقل استقلالا كليا عن مالية الدولة، وصارت الكنيسة في كل بلاد العالم دولة داخل كل دولة توجد فيها.

ممتلكات الكنيسة:

لقد كانت أموال الكنيسة في العصور الأولى أموالا منقولة؛ وذلك لأنه لم يكن مسموحا لأي هيئة حكومية أن تقتني عقارات دون موافقة الإمبراطور، إلا أنه بعد فترة

---

(١) أ.ع ٥/ ١ -٤.

(٢) المواعظ الإلهية لقداسات آحاد وأعياد السنة القبطية القمص لوقا الأنطيوني ص ٨٧ دار الجيل للطباعة ط (١) ١٩٨٧م.

من الزمان سُمح باقتناء العقارات (وسمح للمسيحيين باقتناء الأراضي داخل حدود رومية فقط على أن تَقَدُّمَ المسيحية وسعةَ انتشارها وكثرة أعدادها كان لها شأن في تخفيف صرامة القوانين، وما بلغ القرن الثالث نهايته حتى كانت الكنائس الغنية في رومية، وميلانو وقرطاجنة، وأنطاكيا، والإسكندرية، وغيرها من مدائن إيطاليا والولايات الشرقية، قد فازت بقسط وافر من المنح والهبات الغنية)[1].

وتعتبر الهبات والمنح والعطاءات التي كانت تُقَدَّم من الأغنياء ومن الفقراء من أسباب زيادة مالية الكنيسة، ولم تكتف الكنيسة بذلك بل اقتطعت الإقطاعيات الواسعة من ممتلكات الأغنياء، وفرضت الضرائب على أتباعها وكذلك العشور الذي كان مفروضا على النصارى مقابل الخدمة التي تقدمها الكنيسة لهم.

لقد كانت الكنيسة تمتلك إقطاعيات شاسعة كما كانت تمتلك الكثير من القصور المنيفة المؤثثة بأفخر أنواع الرياش، ومعظم هذه الممتلكات آلت إلى الكنيسة عن طريق الهبات والتقدمات الكبيرة للأساقفة والأديرة لكي تتولى إدارتها مقابل تقديم العون لهؤلاء الحكام في خلال الأزمات، وتقديم جزء من حصيلة إيرادات تلك الضياع لخزينة الملك، وكانت الكنيسة تمتلك ربع الأراضي في كل من إنكلترا وفرنسا، كما كانت تمتلك أكثر من هذه النسبة في كل من إيطاليا وأسبانيا[2].

لذلك تدفق المال بغير حساب في خزانة الكنيسة من ريع هذه الأراضي، ومن العشور التي كان يدفعها الناس مقابل تمتعهم بالخدمات التي كانت الكنيسة تقدمها لهم أو مقابل صكوك الغفران، كما كان يقدم الناس للكنيسة من أموالهم ومرتباتهم الخاصة ومن دخول أراضيهم وما تكسبه أيديهم عطاء أسبوعيًا أو شهريًا ثابتاً.

(١) فجر المسيحية ص ١٠٨.

(٢) المسيحية في العصور الوسطى ص ٩٠، ٩١ راجع قصة الحضارة جـ ٢٢ / ٣٩.

ويقول حبيب سعيد: (كان على كل مؤمن أن يقدم طواعية إلى مال عام مشترك، تقدمته الأسبوعية أو الشهرية كل على قدر طاقته المالية وتقواه الروحية، وإن كثيرين من المؤمنين باعوا أراضيهم ودورهم فأغنوا بذلك الكنيسة على حساب أطفالهم البائسين الذين وجدوا شحاذين؛ لأن والديهم كانوا قديسين)[١].

بل إن الكنيسة جعلت هذا العطاء واجبا على المؤمنين بها لا يخضع للحكومة المدنية؛ وذلك ليستعينوا به على العبادات الإلهية، والخدمة الكنسية، ولخدمة رجال الدين، الذين يقومون بالأعمال الكنسية، بالإضافة إلى غير ذلك من الغايات التي تجمع الكنيسة المال من أجلها[٢].

وفى أثناء الحروب الصليبية استغلت الكنيسة نفوذها لجمع المال من أتباعها وفرضت الضرائب على النصارى، فلقد (حققت تلك الحروب زيادة لنفوذ البابا، إذ خضع لسلطانه جميع الحكام في دول غرب أوربا فقدموا الكثير من ممتلكاتهم، وفى أثناء تلك الحروب كانت الكنيسة تقوم بتحصيل تلك الضريبة التي ظل الناس يدفعونها بعد ذلك فترة طويلة، فكانت مصدراً كبيراً من مصادر الدخل يدر إيرادا كبيراً لخزانة البابا[٣].

فالحرب الصليبية التي شنها الغرب النصراني على بلاد العالم الإسلامي كانت مصدر ثروة لا تُقدر لروما البابوية، وكانت أملاك كل محارب من النصارى توضع تحت حراسة الأسقف، إلى أن يعود المحارب من الحرب، وغالبا لا يعود، فتُضم أمواله إلى أملاك الكنيسة.

---

(١) فجر المسيحية ص ١٠٨.

(٢) راجع: في الرهبان وأموال الكنيسة ومعنى الكلمات للكنائس الشرقية البابا بيوس الثاني عشر تعريب أكاكيوس كوساقب ص ١٢١ المطبعة البولسية لبنان ١٩٥٢م.

(٣) راجع: المسيحية في العصور الوسطى ص٨٧، ٨٨، ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم ص ٦٩ عالم المعرفة ١٤١٠م/ ١٩٩٠م.

وبلغت ممتلكات الكنيسة من الأراضي في بلاد أوربا ربع أو ثلث المساحة الكلية للأراضي، وكان النصارى ينظرون إلى هذه العطاءات من الأراضي والممتلكات على أنها حجوزات في قصر السماء، وازدادت إيرادات الكنيسة عاما بعد عام إلى أن وصلت إلى ما يقرب من مائتي مليون جنية ويزيد، ولكن بدلا أن تنفق هذه الأموال في معونة الفقراء الذين كانوا يعيشون في ترف دونه ترف كبار الأشراف[١].

ومما ساعد على زيادة ثروة الكنيسة ما كان فيه الإنسان الأوروبي من قلق نتيجة الصراع بين السلطة والكنيسة، فإذا وقع عليه الظلم من سلطة الدولة استعان بسلطة الكنيسة، فيسلم أمواله وأملاكه إليهم فتقوم باغتصاب هذه الأموال.

ويذكر «ول ديورانت» ستة أسباب لتجمع الثروة في يد الكنيسة وهي:

أولاً: أن معظم من كانوا يوصون بأموالهم عند وفاتهم كانوا يتركون لها بعض المال وقاية لهم من نار الجحيم؛ وذلك لأن رجال الكنيسة هم الذين يعطون التصريح للدخول إلى الدار الآخرة.

ثانياً: أن أملاك الكنيسة كانت أكثر أماناً من كل ما عداها من انتهاب اللصوص والجنود والحكومات، فقد كان الناس يتنازلون عن ممتلكاتهم للكنيسة ويمتلكونها بوصفهم عمالا للكنيسة، وبعد مماتهم تؤول كل ممتلكاتهم إلى الكنيسة.

ثالثاً: تنازل الناس عن ممتلكاتهم إلى الكنيسة من أجل دعم الحروب الصليبية التي شنوها على الشرق الإسلامي.

رابعاً: أن مئات الألوف من الأفدنة قد آلت إلى الكنيسة؛ لأن طوائف الرهبان هي التي أصلحتها.

---

(١) راجع: تاريخ القرن التاسع عشر محمد قاسم بك حسين حسنى باشا ص ٣٢١ المطبعة الأميرية ١٩٥٣م.

خامسا: أن ممتلكات الكنيسة لا تؤول إلى غيرها سواء بالبيع أو التنازل عنها بوسائل غاية في التعقيد، أي أن ممتلكات الكنيسة قابلة للزيادة وغير قابلة للنقص.

سادسا: أن أملاك الكنيسة كانت معفاة من الضرائب التي تفرضها الدولة على سائر الناس[(١)].

ولما كانت الكنيسة تتبع في جمع المال وتكوين ثرواتها طرقا غير مشرعة ومثقلة لكواهل الناس وُجد من تمرد على نظام الكنيسة وسلطتها، وانتزع منها بعض أملاكها فأصبحت هذه الثروة المكدسة موضع حسد الدولة ومطامعها؛ فقد صادر «شارل مارتل» أملاك الكنيسة ليمول بها حروبه، وأصدر «لويس التقي» القوانين التي تحرم على من كان له أبناء أن يوصى بأملاكه إلى الكنيسة، وجرد «هنري الثاني» إمبراطور ألمانيا كثيرا من الأديرة من أراضيها، وقال في تبرير هذا العمل: إن الرهبان قد نذروا أن يعيشوا فقراء، ووضعت بعض القوانين الإنجيلية الخاصة بالأموال المرصودة قيودا على انتقال الأملاك إلى «الهيئات» أي الجماعات الكنسية، واستولى «إدوارد الأول» من الكنيسة الإنجيلية في عام ١٢٩١م على عشر أملاكها، كما استولى منها في عام ١٢٩٣م على نصف دخلها السنوي، وبدأ «فليب الثاني» سنة ١٢٩٤م فرض الضرائب على أملاك الكنيسة في فرنسا[(٢)].

حق البابا المالي:

للبابا دخل خاص يأتيه من النصارى الكاثوليك في كل البلاد على هيئة ضريبة مفروضة له تعرف «بفلس بطرس»، وكان الباباوات يصدرون المراسيم في القرون الوسطى تخول للنصارى الحق في تملك أراضي غيرهم باعتبارهم كفاراً.

(١) قصة الحضارة جـ ٢٢ / ٣٩، ٤٠ بتصرف.

(٢) المرجع السابق جـ ١٦ / ٧٠.

وتكون هذه الأراضي ملكا للكنيسة والمكتشفين؛ وذلك لأن الكنيسة ربطت قوتها بثرائها فلجأت منذ عهد مبكر إلى استخدام سلطانها الروحي في مد سلطانها المادي على الأراضي والممتلكات في البلاد المسيحية أيضا؛ وذلك لحث المواطنين على التبرع بالأراضي ووقفها لخدمة الكنيسة(١).

وكان لرجال الدين نصيب في العشور والنذور والبواكير التي يتقرب بها النصارى إلى الكنيسة، كما كان لهم نصيب في كل تجارة يتاجرون فيها سواء كانت مشروعة أم غير مشروعة، لقد كانت الملكة «إليزابيث الأولى» تاجرة رق وكانت شريكةً لأكبر تاجر رقيق في عصرها واسمه «جون هوبكنز»، وكانت السفينة التي

تحمل المخطوفين من أفريقيا اسمها: «يسوع له المجد»، وكان القس ورجال الكنيسة يتقاضون ضريبة عن كل «رأس» ولم يكونوا يسمحون بإبحار السفن المحملة بالرقيق قبل التسليم من يد النخاس الأبيض الذي يدفع هذه الضريبة قبل الإبحار من شواطئ الشحن(٢).

إن الباباوات ورجال الكنيسة عاشوا عيشة كلها رفاهية وتنعيم، ولم يكن هناك فَرْق بينهم وبين الأمراء؛ وذلك لِمَا كانوا يتمتعون به من غنى وما كان في حوزتهم من أموال وممتلكات.

ويذكر ول ديورانت: أن رجال الدين النصارى بلغ بهم الانحطاط مبلغاً عظيماً من أجل جمع المال وتكثير الثروات لدرجة أنهم ما كانوا يُعَيَّنُونَ لتدينهم وتقواهم بل كانوا يُختارون عادة لثرواتهم أو لِصِلاتهم السياسية أو لكفايتهم الإدارية، وكان هؤلاء

---

(١) راجع: المسيحية في العصور الوسطى ص ٩١، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ١٤٣.

(٢) راجع: الزحف إلى مكة -د/ عبد الودود شلبي ص١٢٦، ١٢٧، الزهراء للإعلام العربي ط (١) ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

القساوسة يرون أنفسهم شيوخا ورجال سياسة قبل أن يكونوا رجال دين، فكانوا يستمتعون بمباهج الحياة، ثم ينتهي «ول ديورانت» إلى أن الكنيسة قد أنستها حاجات السلطة وما يلزمها من المال ما كان عليه الرسل الأولون من زهد وفقر[1].

هناك اتهامات كثيرة ضد البابوية، لكن التهمة الأكثر انتشاراً كانت الاستغلال المالي، فقد ضج الناس بالشكوى من أعلى حاكم إلى أدنى قروي؛ لأن الكنيسة عاشت للمال، ومن داخل الكنيسة كان ضغط البابا على الأساقفة الذين عصروا الكهنة وهم بدورهم عصروا الشعب.

قال مواطن أسباني: أرى أننا نادراً ما نحصل على شيء من خُدَّام المسيح إلا بالمال، فالعماد بالمال، والزواج بالمال، والاعتراف بالمال، ولا سر المسحة الأخيرة بدون المال، يبدو أنهم في كل يوم اخترعوا طرقًا جديدة لتنمية دخول الكنيسة، فقد كان هناك محصلون خصوصيون من قبل البابا سافروا إلى الأرياف، كانوا يطالبون بعشر دخل الكاهن ويحصلون على كل حصيلة الكاهن عن السنة الأولى من خدمته، وبالطبع كانت المراكز والوظائف الكنسية لمن يدفع المبلغ الأكبر، والضرائب كانت تفرض سنويا على رؤساء الدولة، وإذا سافر البابا أو احتفل بأحد الأعياد، حينئذ تفرض لذلك ضريبة إضافية.

وجاء في قانون الكنيسة الكاثوليكية أن (للكنيسة أيضا حقًّا لا يخضع للسلطان المدني، أن توجب على المؤمنين تأدية ما هو ضروري للعبادة الإلهية، ولمعيشة الإكليروس وسواه من الخدم عيشة لائقة، ولسوى ذلك من الغايات الخاصة بالكنيسة)[2].

ويقدرون أن الكنيسة في فرنسا وألمانيا استولت على ما يتراوح بين ثلث إلى نصف

(١) انظر: قصة الحضارة جـ ٢٢ / ٤١.

(٢) في الرهبان وأموال الكنيسة ص ١٢١.

كل أملاك الدولة، في إنجلترا تلقت الكنيسة وصرفت حوالي (٢٥٪) من الدخل القومي، وفى هذه الفترة من التاريخ لم يعد الناس يفكرون في الكنيسة على أنها مؤسسة للخدمة أو الألوهية لكن بالأحرى كملكية خاصة بكبار رجال الأكليروس، وُجدت لتجلب لهم امتيازات ومكاسب اقتصادية[١].

وبهذه الطرق المشروعة وغير المشروعة جمع الباباوات ورجال الدين النصارى الأموال الكثيرة وحصلوا على الممتلكات والأراضي الشاسعة، وكان المنصرون في كل بلد يحتلها الاستعمار الغربي يعملون على جلب المال إلى الكنيسة بأي وسيلة كانت، ويقتطعون الأراضي لهم ويبنون بها كنائس، ويجعلون لكل كنيسة أرضا خاصة بها يقوم الأهالي بزراعتها ويكون خراجها للكنيسة.

وكانوا يجعلون للكنيسة السلطة على أهل البلاد التي يحتلونها، كما حدث في كثير من البلاد الإسلامية، ففي الحبشة سمحت السلطة للنصارى بفرض الضرائب الباهظة على المسلمين من أجل إفقارهم، كما سمحت للكنيسة بمصادرة أموالهم وأملاكهم لصالحها وتعرض المسلمون لبطش الكنيسة وقسوتها[٢].

فالكنائس في كل بلاد العالم لها ممتلكاتها الخاصة بها، والتي تنفق منها على بناء الكنائس وعلى القساوسة، وفى مصر نجد الكنائس على مختلف مذاهبها لها ممتلكاتها الخاصة بها والتي تُمول من الهبات والعطاءات والإقطاعيات، ولا أدل على ذلك مما تستحوذ عليه الكنيسة المصرية في وادي النطرون من آلاف الأفدنة، والتي يعود خراجها إلى خزانة الكنيسة وليس إلى خزانة الدولة.

---

(١) راجع: تاريخ الكنيسة جون لوريمر جـ٤ / ٣٧، ٣٨ دار الثقافة.

(٢) راجع: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام عبد الله التل ص ١٧٣ المكتب الإسلامي ط(٢) ١٤٩١هـ/ ١٩٩١م.

القوانين الخاصة بأموال الكنيسة:

ولما كانت الكنيسة شغلها الشاغل هو جمع المال وتكديسه ـ فأتباعها أجدادهم اليهود الذين اشتهروا في كل عصر بجمع المال ـ سنت الكنيسة القوانين الخاصة بالمال، ومن هذه القوانين ما جاء في كتاب الرهبان وأموال الكنيسة.

أولاً: في طرق اكتساب الأموال الكنسية: جاءت عدة قوانين منها:

[١] القانون (٢٣٦):

البند (١): في استطاعة الكنيسة أن تكتسب أموالاً بأي وجه عادل كان من وجوه الحق الطبيعي أو الوضعي التي بها يجوز لسواها أن يكتسب.

البند (٢): أن ملكية الأموال تعود تحت سلطة الحبر الروماني إلى الشخص المعنوي الذي اكتسبها على وجه شرعي.

[٢] القانون (٢٣٧):

إذا قسمت منطقة شخص معنوي كنسي فضم جزءاً منها إلى شخص معنوي آخر أو أنشئ للجزء المنفصل شخص معنوي متميز فيجب أن تقسم السلطة الكنسية التي تعود إليها القسمة، والأموال المشتركة التي كانت لمنفعة المنطقة كلها، وكذلك الدين الذي كان يثقل المنطقة كلها، على ما يجب من التناسب بمقتضى الإنصاف مع الاحتفاظ بالموجبات المتضامنة و إرادة مؤسس الأموال أو واهبيها الأتقياء، والحقوق المكتسبة على وجه شرعي والشرائع الخاصة التي يخضع لها الشخص المعنوي.

[٣] القانون (٢٣٩):

فليقم على وجه أمين المؤمنون بالمسيح بواجب وفاء العشور والبواكير وفقا للشرائع والعوائد المرعية في كل طقس ومكان.

[٤] القانون (٢٤١):

البند (١): يستطيع البطريرك:

١- أن يقبل للبطريركية الوصايا، والإرث والهبات، والإسعافات سواء أكانت من مرؤوسيه الخاصين أم من الغرباء، وعليه أن يوظف المال أو ينفقه فيما يصادف من ضرورة وفقاً لإيرادات المحسنين التَّقوِيَّة وللأحكام القانونية.

٢- أن يوجب على الرؤساء الكنسيين المحليين في بطريركيته - إن كانت في ذلك عادة جارية - «المفروض القانوني» معتدلا، ومع صيانة القانونين ٢٤٣، ٢٤٤ أن يوجب على المؤمنين وعلى الأشخاص المعنويين ما ألف من عشور وتقادم وجمع حسنات.

البند (٢): أما تحديد العشور والتقادم وجمع الحسنات، التي يجب أن تؤدى أو تقدم للبطريق، فيعود إلى المجتمع البطريركي.

البند (٣): فلتطبق الأحكام الموضوعة للبطريرك في البند ١-٢ على رئيس الأساقفة.

[٥] القانون (٢٤٣):

يستطيع الرئيس الكنسي، مدفوعاً بضرورة خصوصية في الأبرشية، أن يوجب على الوظائف ذات الدخل جميعها، علمانية كانت أم رهبانية ضريبة خارقة العادة ومعتدلة بعد سماع المستشارين الأبرشيين.

[٦] القانون (٢٤٥):

البند (١): ما لم يستدرك الشرع غير ذلك، أن تحديد رسم لأفعال الولاية غير القضائية

على اختلافها أو تنفيذ رقيم أصدره الكرسي الرسولي أو البطريرك، أو في فرصة توزيع الأسرار أو شبه الأسرار، يعود إلى الأساقفة الملتئمين في المجامع الخاصة أو في المؤتمرات.

البند (٢): ليعيش رؤساء الطوائف المختلفة الذين لهم ولاية في المكان الواحد، أن توضع للجميع، بعد تبادل الآراء، لائحة أو قاعدة واحدة للأرسم.

[٧] القانون (٢٤٦):

مع الاحتفاظ بأحكام القوانين التالية، تتخذ الكنيسة التقادم في شأن الأموال الكنسية كطريقة للاكتساب وللإبراء، على ما هو عليه في شرع كل أمة المدني على الوجه الآتي:

١- يجب أن تحتفظ الشريعة النافذة في المكان حيث الأعيان الثابتة في التقادم لاكتساب ملكية الأموال الثابتة، أو حق عيني آخر يتناول الأعيان الثابتة.

٢- في التقادم في مادة العقود يجب أن تحفظ الشريعة التي يختارها المتعاقدون أنفسهم، فإن لم يختاروا فليحفظ ما يرسمه القانون ٢٧٨ البند٢.

٣- في كل ما سوى ذلك من التقادم يجب أن تحفظ شريعة من يوجه التقادم ضده.

[٨] القانون (٢٤٧):

لا يخضع للتقادم:

١- ما هو بحق إلهي، طبيعيًا كان أم وضعيًا.

٢- ما يمكن أن يحاز بامتياز رسولي فقط.

٣- الحقوق الروحية التي لا أهلية للعاملين لها إذا كان المراد به تقادما لمنفعة العالمين.

٤- حدود البطريركيات ورئاسات الأسقفيات والأقاليم الكنسية الأبرشيات المعنية وغير المرتاب فيها.

٥- حسنات القداديس وأعباؤها.

٦- الوظيفة ذات الدخل الكنسية دون حجة.

[٩] القانون (٢٤٩):

إن الأعيان الثابتة والمنقولة الثمينة والحقوق الشخصية والعينية والدعاوى الشخصية والعينية التي تعود إلى الكرسي الرسولي تكتسب بتقادم يدوم مائة سنة، أما التي تعود إلى البطريركية، فبخمسين سنة، والتي تعود أخيراً إلى سواهما من الأشخاص المعنوية الكنسية فبثلاثين سنة.

[١٠] القانون (٢٥١):

البند (١): من يستطيع أن يقرر مخيرا في شأن أمواله بموجب الحق الطبيعي أو الكنسي، يستطيع أن يترك مالا للمنشآت التقوية بفعل بين الأحياء أو بفعل بسبب الموت.

البند (٢): فلتحفظ إن أمكن في الإيرادات الأخيرة لخير الكنيسة، مراسم الشرع المدني، وإذا أهملت، فلينبه الورثة إلى الواجب الثقيل الذي يقيدهم أن ينفذوا إرادة الوحي.

[١١] القانون (٢٥٢):

فليعمل بمنتهى الجد بإيرادات المؤمنين الواهبين أموالهم للمنشآت التقوية والموصين

لها بها سواء أكان ذلك بفعل بين الأحياء أم بسبب الموت، وذلك بما يشمل منها أيضا طريقة إدارتها و إنفاقها[1].

القوانين الخاصة بإدارة أموال الكنيسة:

وقد وردت عدة قوانين بشأن إدارة أموال الكنيسة منها:

[١] القانون (٢٥٧):

أن الحبر الروماني هو المدبر والموزع الأعلى لجميع الأموال الكنسية.

[٢] القانون (٢٥٨):

البند (١): يجب على البطريرك أن يسهر بجد على إدارة الأموال الكنسية في البطريركية كلها.

البند (٢): فلينبه البطريرك الرئيس الكنسي الذي لم يقم وفقا للقانون (٢٦٢) قيماً، وليسمه البطريرك نفسه إذا ذهب التنبيه سدى.

البند (٣): يعود الحق والواجب المنصوص عليهما في البند، خارج البطريركيات، إلى المتروبرليت، أما في رئاسات الأسقفيات فيعود إلى رئيس الأساقفة في شأن المتروبوليت نفسه، فيما يتعلق بالأبرشية الخاصة به، وبالأبرشيات الخاضعة له.

[٣] القانون (٢٦٢):

البند (١): فليكن في الدائرة الأسقفية قسم لإدارة الأموال الكنسية ملك الأبرشية نفسها، يؤلفه قيم ومحاسب وغيرها من الموظفين الضروريين.

---

(١) راجع كتاب: في الرهبان وأموال الكنيسة من ص ١٢٣ - ١٢٩.

البند (٢):

١- لابد أن تكون للقيم الصفات نفسها التي تقتضى في القيم البطريركي.

٢- يمكن أن يعطى القيم، إذا دعا الأمر لذلك رفيقا أو رفقاء، معاونا أو معاونين ولو من العلمانيين.

البند (٣): يعود إلى القيم تحت سلطان الأسقف أن يدير أموال الأبرشية ويسهر على إدارة أموال الكنيسة في الأبرشية كلها، وأن يدير أمر حفظها وصيانتها ونموها، وأن يسد النقصان المسبب عن أعمال مديري الأموال المحليين، وأن يدير بنفسه الأموال التي تخلو من مدير يعين بحكم الشرع.

البند (٤): يجب على القيم أن يؤدى سنويا وكلما طلب منه ذلك إلى الأسقف حسابا عن الإدارة، ويتخذ الأسقف أحد المستشارين الأبرشيين ويفحص وإياه الحساب الذي أواه القيم ويطلع على الصندوق ويقوم في الوقت المناسب وعلى وجه مفاجئ أيضا بالإشراف على الأموال والوثائق والإسناد المالية أو يأمر بالقيام بذلك.

[٤] القانون (٢٧٤):

يجب على مديري الأموال المنصوص عليهم أيا كانوا، كلما اختصت الأموال بكنيسة حي لجمهور رهباني، ولو غير معصوم، أن يؤدوا وقفاً للرسوم الحساب للرئيس الرهباني الذي تعنيه الرسوم نفسها، ما لم يرسم غير ذلك صريحا.

[٥] القانون (٢٧٧):

لا يستطيع مديرو الأموال أن يغادروا حسب المهمة التي اضطلعوا بها صريحا أو مضمرا ولو لم يلتزموا بحجة وظيفة ذات دخل أو منصب كنسي[١].

(١) راجع كتاب: في الرهبان وأموال الكنيسة ص ١٣٢ -١٤٣.

القوانين الخاصة بالمؤسسات التقوية:

[١] القانون (٢٩٤):

يراد بالمؤسسات التقوية: الأموال المعطاة على أي وجه كان لشخص معنوي في الكنيسة، بثقلها مؤبداً أو إلى زمن طويل، واجب القيام، من دخلها السنوي بتقديم الذبيحة الإلهية بعض مرار أو بطقوس كنسية معينة، أو ببعض أعمال التقوى أو المحبة.

[٢] القانون (٢٩٥):

للرئيس الكنسي المحلى أن يفرض قواعد في كمية المال التي لا يمكن دونها أن تقبل المؤسسة التقوية، وفي توزيع إيرادها حسب الأصول.

[٣] القانون (٢٩٦):

١- لكي يستطيع الشخص المعنوي قبول مؤسسات كهذه قبولا صحيحاً يقتضي إذنا خطيا من الرئيس الكنسي المحلي، وعلى هذا لا يمنع هذا الإذن قبل أن يثبت لـه شرعيًّا أن في استطاعة الشخص المعنوي أن يقوم بالعبء الجديد المراد قبوله وبالأعباء التي سبق وقبلها، وليحرص أكثر ما يمكن على أن يوافق تماما الدخـلُ والأعباء التي عليه حسب عادة كل أبرشية.

٢- ليس لمؤسس الكنيسة أو وليها أي حق على أن يتدخل في قبول المؤسسة التقوية أو في إقامتها أو في إدارتها.

[٤] القانون (٢٩٧):

فلتودع النقود والأموال المنقولة المخصصة وفقا (بمؤسسة ما) حالاً في مكان أمين يعينه الرئيس الكنسي بقصد أن يحافظ على النقود أو ثمن الأموال المنقولة، ولتوظف في أقرب وقت

لمنفعة المؤسسة نفسها توظيفاً أمينا ومفيداً حسب بصيرة الرئيس الكنسي، وبعد سماع من يعنيهم الأمر ومجلس الإدارة الأبرشي، وليذكر العبء صريحا ومعينا باسمه.

[٥] القانون (٢٩٨):

البند (١): يجب أن تدون المؤسسات حتى التي تصير شفويًا.

البند (٢): لتحفظ بأمانة نسخة عن صك التأسيس في خزانة الدائرة، ونسخة أخرى في خزانة الشخص المعنوي الذي تخصه المؤسسة[١].

والذي يفحص هذه القوانين يتبين له أنها وضعت لخدمة الباباوات ورجال الدين؛ لأنها تساعدهم على جمع الأموال، واقتناء الممتلكات بطريقة رسمية قانونية بها يستحلون أكل أموال الناس بالباطل، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾[٢].

كما يتبين أن مادة هذه القوانين وغيرها جمعت من الشتات، كل فقرة من فقراتها جاءت من قرارات عدة مجامع كنسية، من هذه المجامع، مجمع الإسكندرية للأقباط سنة ١٨٩٨م، ومجمع الشرفة للسريان سنة ١٨٨٨م، المجمع المقدس لنشر الإيمان ٢ حزيران ١٧٦٠م، ومجمع الأرمن سنة ١٩١١م، المجمع اللبناني للموارنة سنة ١٧٣٦م، مجمع أفسيس للأرمن سنة ١٢٤٦م، مجمع القسطنطينية الرابع سنة ٨٦٩م، ومجمع نيقية الثاني ٧٨٧م، وغيرها من المجامع الكنسية، التي لم تجتمع إلا لخدمة الكنيسة ورجالها ولتحقيق أغراضهم.

✡✡✡✡✡✡✡

---

(١) راجع: في الرهبان وأموال الكنيسة ص ١٥٢ - ١٥٤.

(٢) سورة التوبة: من الآية (٣٤).

الفصل الثاني

سلطة الكنيسة عند النصارى

المبحث الأول: سلطة الكنيسة الدينية.

المبحث الثاني: سلطة الكنيسة السياسية (الدنيوية).



المبحث الأول

السلطة الدينية للكنيسة

يدور الحديث في هذا المبحث عن السلطة الدينية التي أعطاها رجال الكنيسة لأنفسهم، من حيث حقهم في التشريع وسن القوانين وفرض آرائهم على العقول البشرية، ومحاولة إلغائها ومحاكمة الصادر عنها، إذا لم ترض الكنيسة عنه، وغيرها من الأمور التي ما كان ينبغي لهم أن يقحموا أنفسهم فيها، وهم فيما يذهبون إليه يستندون إلى ما جاء في نصوص العهد الجديد منسوباً إلى المسيح عليه السلام من قوله: (الحق أقول لكم: كل ما تربطوه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء، وأقول لكم أيضاً: إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لها من قبل أبي الذي في السماوات)[١].

وقول المسيح لبطرس: (وأعطيك مفاتيح السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محولّا في السماوات)[٢].

وهم يفسرون كلمة المفتاح في هذا النص بالسلطة التي أخذت من اليهود وأعطيت لأتباع المسيح، جاء في تفسير إنجيل متى:

(إن المفتاح كان معروفاً جيداً عند اليهود بأنه يشير إلى السلطة في استيداع «مفاتيح» ملكوت السماوات كان في إعطائه السلطة لأن ينشر عن الملكوت جهاراً لكل من يعيشون في ولاء وخضوع للمسيح كملك وليقود البشر إليه، ملكوت السماوات في كامل معناه هو في فتح باب الإيمان في خدمة بطرس، وبواسطته، وأن الطقوس الموسوية

(١) متى: ١٨/١٨ -١٩.

(٢) متى: ١٦/١٩.

توضحت بأنها ألغيت وأن الروح القدس قد أعطى للأمم كما لليهود، وفي كلتا الحالتين ما عمله بطرس هنا على الأرض كان مصدقاً عليه في السماء)[١].

إن النصارى يستدلون بهذا النص على السلطة التي أعطاها المسيح لرجال الدين بل لكل مؤمن به فهم مختلفون، فمنهم من يقول بأن السلطة معطاة لبطرس خاصة، ومنهم من يقول بأن هذه السلطة هي بيد كل مؤمن، وأما عن الربط والحل في النص فمنهم من يرى أن المسيح أعطى بطرس السلطان المطلق ليحل ويربط كل ما يراه مناسباً، وقد ورث هذا السلطان عن بطرس رجالُ الدين المكرسون الذين يقومون بخدمه الكنيسة ونشر تعاليمها، ومنهم من يرى أن السلطان الذي أعطاه الله لبطرس لشرح كلمته وإعلان مقاصده باعتباره أحد التلاميذ، فهذا الوعد ليس مخصصاً لبطرس وحده بل لكل تلاميذ المسيح، ومنهم من يرى أن مقصد المسيح من الحل والحرمة، أن يأخذ بطرس مكان المجتهد في الكنيسة، فيحرم ما هو محرم وضد إرادة الله، ويحلل ما هو محلل، ولا يتنافى مع تعاليم الإله، أي أن بطرس سيكون مسئولاً في الكنيسة ليقود المؤمنين الناشئين إلى التعاليم الصحيحة والقرارات الهامة التي لها شأن في بناء كنيسة المسيح[٢].

وقد سبق الحديث عن بطلان ما زعم القوم من وصية المسيح لبطرس ببناء الكنيسة وبيان النصوص الواردة بشأن بطرس.

ومع بطلان ذلك إلا أن رجال الدين يحلون ويحرمون بما خولوه لأنفسهم من سلطة دينية زاعمين أنهم أخذوها من المسيح الذي أعطاها للتلاميذ والتي انتقلت منهم إلى من بعدهم وهكذا دواليك.

---

(١) تفسير إنجيل متى ص ١٥١.

(٢) راجع: (سؤال وجواب) مجموعة أسئلة وأجوبة حول الإيمان والحياة المسيحية ص ٩٧ صادر عن المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط ـ بيروت ـ لبنان.
وراجع: مصادر الوحي الإنجيلي جـ٢/ ٥٤٦ وما بعدها، اللآلئ النفيسة جـ١/ ٨٥.

وبناء على ذلك عقدوا المجامع، وكان أولها المجمع الأورشليمي سنة ٤٥م، وفيه نوقش موضوع «قبول الأمم في الإيمان»، وقرر فيه المجتمعون قبول غيرهم من الأمم في الدخول في النصرانية مع تخفيف أحكام الشريعة عليهم مدعين أن ذلك إلهام من الروح القدس (لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم المخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعم ما تفعلون كونوا معافين)[1].

فهم ادعوا أن الروح القدس نزل عليهم وأمرهم أن يحفظوا الأحكام على الأمم التي تريد الدخول في دينهم ولا يحرموا عليهم إلا أربعة أشياء: (تحريم الأكل مما ذبح للأصنام، وتحريم الدم، والحيوان الذي مات مخنوقاً، وحرمة الزنا) وما دون ذلك فهو حلال، فأحلوا ما حرم الله تعالى على عباده مثل حِل أكل الخنزير وشرب الخمر وإلغاء الختان.

الجهاز الكنسي والسلطة التشريعية:

على أساس ما اعتمد عليه النصارى من إسناد المسيح السلطة الدينية لهم بدأ الرسل ينتشرون في البلاد ويترأسون أتباع المسيح في كل بلد يحلون فيها وينظمون لهم شئونهم الدينية مُوهمين الأتباع أنهم يتصرفون حسب إلهام الروح القدس لهم، وقد أسس هؤلاء الرسل **مؤسسة الشماسة** لمساعدتهم في قيادة الجماعة المسيحية بعد أن كثر عددهم وانتشروا في البلاد، فقد جاء في سفر أعمال الرسل: (وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كُن يُغْفَل عنهن في الخدمة اليومية فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا: لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد، فانتخبوا أيها الأخوة سبعة رجال منكم مشهود لهم ومملئون من الروح القدس حكمة

(١) أ.ع: ١٥/ ٢٨-٢٩.

فنقيمهم على هذه الحاجة، وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة، فحسن هذا القول أمام كل الجمهور فاختاروا إستفانوس رجلاً مملوءا من الإيمان والروح القدس فيلبس، ويروخورس، ونيكانور، وتيمون، وبرميناس، ونيقولاوس دخيلا أنطاكياً الذين أقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيادي)[١].

فقد عين الرسل هؤلاء السبعة شماسة يعاونوهم في الشئون الإدارية الخاصة بالكنيسة وبأتباعها، ثم أسسوا بعد ذلك مؤسسة الكهنة وكانت وظائفهم دينية، فكانوا يظهرون إلى الرسل ببحثهم في أمور العقيدة والشريعة.

وأفتى الرسل والكهنة في أمور الشريعة باسمهم وباسم الروح القدس (لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة)[٢]، وهم يستدلون بذلك على أنهم معصومون من الخطأ؛ لأنهم مؤيدون بالروح القدس.

وكان لكل واحد من هؤلاء مهمة منوطة به لا يتعداها إلى غيرها، فالذين أطلقوا عليهم «الرسل» كانت مهمتهم التبشير بالنصرانية بين الأمم المختلفة، أما الأنبياء فكان عملهم مقتصرا على مكان واحد يقومون فيه بتقديم الخدمة في الكنيسة التي يشرفون عليها.

وكان هناك معلمون مهتمون، مهمتهم تفسير الكتب المقدسة وتعليم الجدد أمور الدين، وكان هناك تمييز بين من ادعوا أنهم ألهموا من الروح القدس، وبين من انتخبهم أعضاء الكنيسة للقيام بخدمات تدبيرية كالأساقفة والشماسة.

ويذكر جون لوريمر: (أن بولس هو الذي أشار إلى الوظائف الكنسية التي ظهرت في أول المسيحية؛ وذلك من خلال رسائله، منها وظيفة الرسل، والأنبياء والمعلمين

---

(١) أ.ع: ٦/ ١ -٧.

(٢) أع: ١٥ / ٢٨.

والمبشرين والرعاة، وفي الرسائل الرعوية يعطي رأيه في المؤهلات التي تحتاجها كل وظيفة، ولكنه أيضا لا يبدي اهتماماً كبيراً بالامتيازات التي لها، أما هو فيذكر عن نفسه ومعه تيموثاوس في تحيته لكنيسة «فيلبى» أنهما عبدان للرب، ولكنه يخاطب أولاً جميع القديسين أي كل المؤمنين ثم الأساقفة الشماسة ولا بد أن كان هناك عددا من الأساقفة في الكنيسة مع عدد آخر من الشماسة مما يدل على أن هؤلاء الأساقفة في مسئولياتهم الإشرافية كانوا بمثابة شيوخ)[١].

إن الشيء الذي يثير بادئ ذي بدء انتباه أي باحث في مجال انتصار المسيحية هو:

أولا: قوة الوظائف القدسية وسيطرتها؛ إذ يتبين له أن حياة كنيسة المسيح جميعها قد انطوت عليها ضمائر الأساقفة[٢]، وبمرور الأيام مارس هؤلاء الأساقفة

والشماسة أعمالا أخرى بجانب الأعمال التي كان كل واحد مكلفاً بها؛ مما أدى إلى عواقب وخيمة على المجتمعات النصرانية.

ويقول حبيب سعيد:

(وقد مارس قادة ذلك المجتمع وظائف عديدة، مثل الأخطاء في العقيدة التي أسموها هرطقة، أو إدانة أفاعيل التحزب، أو مناهضة الإخوة المشاغبين المخطئين وطردهم من أحضان المجتمع الذي تجاسروا على تعكير سلامته وسعادته)، وقد تعلم أولئك الحكام الكنسيون، أن يجمعوا بين حكمة الحيّات وبراءة الحمائم، وكثيراً ما أساءوا التقدير في كلتا الحالتين[٣].

(١) تاريخ الكنيسة لوريمر جـ/ ٦٩، ٧٠ بتصرف.
(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٨٣.
(٣) فجر المسيحية ص ٨٦ - اللآلئ النفيسة جـ ١/ ٦٨.

وكان أول ما ظهر من الوظائف الكنسية وظيفة الشماس، ثم وظيفة أسقف وشيخ، وكان الاثنان بمعنى واحد في أول الأمر، ثم ارتفع الأسقف على الشيخ، ثم الكهنة ثم المطارنة والقارئون والمساعدون، ثم ظهر منصب البابا الذي يعتبر أعلى منصب كنسي[١].

وسوف أتناول بمشيئة الله تعالى بالتفصيل المهام التي يقوم بها كل واحد من هؤلاء عند الحديث عن سر الكهنوت.

وخلاصة القول في ذلك: أن الوظائف الكنسية ظهرت منذ أن كان بولس يشرع للنصرانية، وكان الدافع من وراء ظهورها محاولة معالجة ما كان يقع فيه قادة الكنيسة من أخطاء وسوء تصريف الأمور الخاصة بالكنيسة وبأتباعها.

وظل الأمر على هذه الحالة من ظهور الوظائف الكنيسة إلى أن انقسمت إلى مذاهب مختلفة فأصبح لكل مذهب جهازه الكنسي الخاص به، والذي يقوم على تنظيم أمور الكنيسة من ناحية العبادة والتشريع وسن القوانين وعقد المجامع وغيرها.

وهذه الأجهزة المذهبية يعتبرها النصارى عالمية لا تؤثر فيها الحدود الجغرافية أو الإقليمية وتَكَوَّنَ ما أصبح يُعْرَفُ بالمجالس الملية أو الأجهزة الكنيسة، والتي ينطوي تحتها ويخضع لنظامها وسلطتها كل الكنائس في العالم[٢] ثم تَكَوَّنَ مجلس الكنائس العالمي الذي يجمع كل الكنائس المسيحية بمذاهبها وطوائفها المختلفة، ويتكون هذا المجلس من مجلس الكنائس ومجلس التبشير.

وقد تَكَوَّنَ هذا المجلس (في نيودلهي عام ١٩٦١م، اتحد المجلسان: مجلس الكنائس والمجلس التبشيري في جهاز ضخم هو «مجلس الكنائس العالمي (W.G.G) ولأول مرة في

---

(١) راجع: تاريخ الكنيسة جـ١/ ١٤٨، ١٤٩، جـ٣/ ١١٨، فجر المسيحية ص ٧٨، المسيحية في العصور الوسطى ص ٩٢ وما بعدها.

(٢) راجع: قصة الكنيسة القبطية جـ٥/ ٢٤ وما بعدها، تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر ص ١٣٤ وما بعدها، والاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، إبراهيم خليل أحمد، ص٣٠.

تاريخ العالم المسيحي، تعلن الكنائس الأرثوذكسية والرومانية الكاثوليكية والإنجيكانية والبروتستانتية أنها كنائس مسئولة عن تبشير العالم بالإنجيل[1]، وبذلك انتقلت سلطة الكنيسة من سلطة محلية إلى سلطة عالمية متمثله في مجلس الكنائس العالمي.

وترتب على ما أعطته الكنيسة لنفسها من سلطة دينية أن أصبح لها حق التشريع لأتباعها مادام أن رجال الكنيسة هم خلفاء الرسل والمسيح ومؤيَّدون في اعتقادهم بالروح القدس ومعصومون من الخطايا[2]، إذن فلهم حق التشريع وسن القوانين وتوقيع العقوبات كما سن لهم ذلك بولس، رسول المسيحية الملهم والذي كان أول مشرع في النصرانية فأحل ما حرم الله، وقد سبق بيان ذلك فجاء من بعده فساروا على نفس الطريقة متبعين خطى بولس.

القانون الكنسي:

القانون الكنسي هو الذي تحكم به الكنيسة أتباعها وتطبقه عليهم، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو، مما استمد القانون الكنسي مواده التشريعية؟ أو ما هي مصادر القانون الكنسي؟

ويقول ول ديورانت: نشأ القانون الكنسي شيئًا فشيئًا من العادات الدينية القديمة ومن آراء آباء الكنيسة، وقوانين روما أو القبائل المتبربرة، وقرارات مجالس الكنيسة، وقرارات البابوية وآرائهم، وعدلت أجزاء من قانون جستنيان[3]، لكي تشرف على

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٢٠٧.

(٢) سيأتي الحديث إن شاء الله عن عصمة البابا ورجال الدين عند الحديث عن سر الكهنوت في الباب الثاني.

(٣) جستنيان: إمبراطور الدولة الشرقية (٥٢٧ م-٥٦٥م) وقد قام بجمع القانون الروماني وتبويبه وتنظيمه، فقد كانت المحاكم الرومانية في ذلك الوقت تعتمد على مجموعتين قانونيتين: مجموعة تشمل الأوامر والتشريعات التي سنها الأباطرة، وأخرى تشمل كل كتابات المشرعين والفقهاء من رجال القانون، ولما كانت هذه التشريعات تعتبر من أعظم التراث الفكري الروماني والتي كادت أن تندثر، قام جستنيان=

سلوك رجال الدين وأعيدت صياغة بعضها الآخر لكي يتفق مع آراء الكنيسة في الزواج والطلاق والوصايا، وأعيدت مجموعات من الشرائع الدينية في البلاد الغربية في القرنين السادس والثامن، وطبقت قوانين الكنيسة الرومانية في صيغتها النهائية التي كانت عليها في العصور الوسطى على يد جراتيان (*Gratan*) حوالي عام ١١٤٨م[١].

مصادر القانون الكنسي:

حسب ما ذكر ول ديورانت هي:

١- الكتاب المقدس لدى النصارى.

٢- العادات الدينية، وهي ما تعرف بعرف وعادات البلاد.

٣- القوانين الرومانية.

٤- قانون جستنيان.

ويضاف إلى ذلك تأثير القانون الكنسي بالشريعة الإسلامية في البلاد الإسلامية، وبخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية.

وإتماماً للفائدة يمكن تناول هذه المصادر بشيء من التوضيح:

١- **الكتاب المقدس لدى النصارى:** ويشتمل على العهد القديم والعهد الجديد، والعهد القديم يشتمل على أربعة أقسام، وهي أسفار موسى الخمسة، والأسفار التاريخية والأسفار النبوية، والأسفار الشعرية، ويعتبر العهد القديم مصدراً

=بجمعها وترتيبها وتنظيمها مما كان له الأثر البالغ في مستقبل القانون الروماني - راجع: أوربا العصور الوسطى جـ٢/ ٢٠٢.

(١) قصة الحضارة جـ١٦/ ٤٥، أوروبا العصور الوسطى ج٢ ص٢٠٦، المسيحية ص٢٢٨ وما بعدها.

هامًا في الأمور التشريعية بالنسبة لليهود والنصارى، إلا أن النصارى أصبحوا لا يعملون بما فيه من أحكام إلا مع ما لا يتعارض مع الأناجيل، وأما العهد الجديد فيشتمل على الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا ورسائل الرسل المنسوبة إلى بولس، وبطرس، ويعقوب، ويوحنا، وتعتبر الأناجيل أساساً للقانون الكنسي وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية.

٢- **تعاليم الرسل:** تأتي في المرتبة الثانية بعد الكتاب المقدس وهي آراء وقوانين نسبوها إلى الرسل، وأقدم الكتابات في هذا الصدد كتاب يعرف بمذهب الاثني عشر رسولاً، ثم الدسقولية، أو تعليم الرسل، وقد وضعت في القرن الثالث، ومن أهم ما ألف في تعاليم الرسل المؤلف المسمى باسم: «الدساتير الرسولية».

٣- **المجامع الكنسية:** لقد أصدرت المجامع الكنسية قرارات اعتبرت مصدراً يستند إليه القانون الكنسي، وأخذ النصارى بما سنته المجامع العامة، أما قرارات المجامع المحلية فقد التزمت بها الكنائس التي عقدتها باسمها.

٤- **تعاليم آباء الكنيسة:** استمد القانون الكنسي أيضا من نشاط رجال الكنيسة وتعاليمهم وما تعرف بالمراسيم سواء كان مصدرها المطارنة أو الباباوات، أو مؤلفاتهم أو مواعظهم.

٥- **القانون الروماني:** إن العلاقة بين القانون الكنسي والقانون الروماني كانت قوية وواضحة من عدة نواح هامة منها: أن القانون الروماني كان مصدرا قويا استقى منه القانون الكنسي، وأيضاً لأن القانون الكنسي جاء بمثابة رد فعل قوى للقانون الروماني حتى يكون للبابوية سند قوى تستند إليه كما استندت الإمبراطورية إلى القانون المدني[1].

---

(١) أوربا العصور الوسطى جـ٢/ ٢٠٧.

وظل القانون الروماني يدرس في جامعات أوربا مع القانون الكنسي. إلى أن ألغاه الباباوات عام ١٢٢٩م؛ لأنه منافس قوى وخطير للقانون الكنسي.

٦- **الشريعة الإسلامية:** فتأثر القانون الكنسي بها وبخاصة فيما يتعلق بأحكام الأحوال الشخصية؛ فقد حلت أحكام الشريعة الإسلامية محل القانون الروماني في البلاد التي فتحها المسلمون، وممن تأثر في كتاباته بأحكام الشريعة الإسلامية (يشوع بخت) النسطوري في كتاب الشرائع والأحكام، وكذلك ابن العسال في كتاب القوانين، وغيرهم كثير[1].

فهذه هي المصادر الأساسية التي استمد منها القانون الكنسي مواده بالإضافة إلى ما استجد من أحكام في العصور المسيحية المختلفة عبر التاريخ، ولقد كان القانون الكنسي مشتركاً بين النصارى جميعاً، إلا أنه بعد الانشقاق اتخذت كل كنيسة قانوناً خاصًّا بها مع القانون الكنسي العام، ولما ظهر المذهبان الشرقي والغربي، وُجد ما يعرف بالقانون الكنسي الشرقي والقانون الكنسي الغربي، مع اعتبار القانون الذي كان قبل الانشقاق مشتركاً بين الكنائس.

وقد زاد الخلاف بين كل من القانون الكنسي الشرقي والغربي على مر الزمان نظراً للظروف المختلفة التي أثرت في كل منهما، بالرغم من اشتراكهما في كثير من القواعد والمصادر، ثم انتهى الأمر إلى وضع المجموعة الكنسية (*Canonicl Cadex Turis*) في سنة ١٩١٧م على نمط المجموعات الحديثة وهي متأثرة بحد كبير بالقانون الروماني.

وفي الشرق تأثر القانون الكنسي بالبيئة إلى حد كبير، فتأثر بالقانون البيزنطي الذي

(١) راجع: أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين - د/ توفيق حسن فرج ص ١٤٥، ١٤٦ منشأة المعارف بالإسكندرية ط (٣) ١٩٦٩م، دراسات في قوانين الأحوال الشخصية، صليب سوريال ص ١٤-١٧ مكتبة التربية الكنسية ط (١) ١٩٩٠م.

كان مطبقاً في الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وأخذ عنه كثيراً من الأحكام وبخاصة فيما يتعلق بالطلاق.

كما تأثر بالشريعة الإسلامية، وخاصة في البلاد التي خضعت للحكم الإسلامي، وقد روعيت ظروف البيئة التي نما فيها الفقه الشرقي بالنسبة للكاثوليك الشرقيين عندما وضع لهم تقنين خاص بهم ينظم مسائل الزواج، بالإرادة الرسولية الصادر سنة ١٩٤٩م وإن كانت القواعد التي وضعت في هذا الشأن لم تخرج كثيراً، كما وضع للغربيين سنة ١٩١٧م[١].

ويشتمل القانون الكنسي على ما كان يشتمل عليه القانون المدني وزيادة، فهو لا يقتصر على البحث في تكوين الكنيسة وعقائدها وأعمالها، بل يبحث في القواعد التي يتعامل بها غير المسيحيين، وفيما يتعلق بأمر الإلحاد وتنظيم الحروب الصليبية وقوانين الزواج، وشرعية الأبناء، والمهر، والزنا، والطلاق، والوصايا، والدفن، وأحوال الأرامل واليتامى وقوانين الإيمان والمعابد، والوصايا، والمتاجرة بالدين، والدرجات الكهنوتية والسب، والربا، والأثمان العادلة، وتنظيم المدارس والجامعات، وأمور الحرب والسلم، وما يجب أن تكون عليه المحاكم الكنسية والأحكام البابوية، وحق الطرد والحرمان، وتوقيع العقوبات والعلاقة بين المحاكم المدنية والدنيوية، وبين الدولة والكنسية، وكانت الكنيسة تفرض على أتباعها اتباع هذا القانون، ومن يخالفه توقع عليه العقوبة[٢].

وخلاصة القول في القانون الكنسي أنه قانون وضعي من وضع البشر لا يمت إلى دين الله الذي شرعه لعباده بصلة، فهو من تنظيم رجال الكنيسة الذين شرعوه، ويشرعون كل يوم ما يدعم سلطتهم الدينية والسياسية، ولخدمة أغراضهم الإلحادية،

(١) راجع أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين ص ١٣٥ وما بعدها، وقصة الحضارة جـ١٦/ ٤٥، ٤٦.

(٢) راجع: قصة الحضارة جـ١٦/ ٤٦، ٤٧.

ولقمع أتباعهم حتى لا يفكروا في يوم من الأيام أن يرفعوا أصواتهم على رجال الدين، أو ينقضوا تعاليمهم أو ينقدوها، تلك التعاليم التي تمليها عليهم أهواؤهم، والتي ما أنزل الله بها من سلطان.

موقف الكنيسة من العلم:

لقد كان للكنيسة ورجالها موقف معاد من العلم والعلماء؛ وذلك لأن الكنيسة أرادت من أتباعها أن يلغوا عقولهم، ولا يسمعون إلا لما تأذن الكنيسة بسماعه، وعدوا الخارج على ذلك هرطقيا وما يأتي به من تعاليم هرطقة يجب أن تحارب ويحارب أصحابها.

والهرطقة التي حاربتها الكنيسة هي كل فكر أو اعتقاد تراه الكنيسة مخالفاً لها، فرأي يراه عالم في العلوم الكونية هرطقة، ومحاولة فهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسي هرطقة، وانتقال شيء يتصل بالكنيسة هرطقة، ومساعدة واحد من هؤلاء والرضا عن اتجاهه هرطقة، على أن رؤساء الكنيسة طالما رمى بعضهم بعضا بالهرطقة خدمة لمطامعهم الخاصة[١].

فكل عالم يأتي بنظرية علمية أو ببحث علمي، أو بأي شيء يتصل بالفكر، فإن الكنيسة تحكم عليه بالهرطقة، وتكون عقوبته الحرمان أو الإعدام.

الأسباب التي أدت إلى الصراع بين الكنيسة والعلم:

إن من الأهمية بمكان ذكر الأسباب التي أدت إلى الصراع بين الكنيسة والعلم؛ وذلك قبل الحديث عن جرائم الكنيسة التي ارتكبتها ونفذتها ضد العلماء بواسطة محاكم التفتيش، ومن هذه الأسباب:

---

(١) المسيحية ص٢٥٦.

١- **السبب الأول:** التحريف والتغيير والتبديل الذي أدخل على تعاليم المسيح عليه السلام ولحق بها؛ فإن التعاليم الإلهية تتسم بالسهولة والبساطة، وموافقتها للعقل، أما التعاليم المسيحية فما هي إلا أساطير وخرافات وفلسفات وثنية، يقول ول ديورانت: إن المسيحية كانت آخر شيء ابتدعه العالم الوثني القديم[١].

فجاءت التعاليم المسيحية غاية في التعقيد وإلغاء العقل وبخاصة فيما يتعلق بالعقيدة، (وأنشأت هذه الكنيسة مجموعة عقائد جديدة بالغة التعقيد، واعتمدت على شخصية المسيح)[٢].

يقول الجاحظ: (لو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم في الألوهية)[٣].

وصرح النصارى بعدم فهم عقائدهم والتعبير عن حقيقتها، وعن إقناع الناس بها، ولما استيقظت العقول من غفلتها وهمت بالخروج من الظلمات المحيطة بها وجدت الكنيسة المسيطرة على مقاليد السلطة والتي تحارب كل من يفكر بالخروج على تعاليمها.

٢- **السبب الثاني:** تحريف التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وضياع الإنجيل الصحيح المنزل على عيسى عليه السلام، وترتب على ذلك أن أدخلوا في كتبهم ما ليس منها؛ مما أدى إلى ظهور الأخطاء التي لا تتفق مع العلم الصحيح.

(١) قصة الحضارة م٣ جـ٣/ ٢٧٦.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٢٧.

(٣) المختار في الرد على النصارى - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي ص٩٥ - دار الصحوة ط (١) - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: من أعظم أخطاء رجال الدين في أوربا، ومن أكبر جناياتهم على أنفسهم وعلى الدين، أنهم دسوا في كتبهم المقدسة معلومات بشرية ومسلمات عصرية عن التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية، ربما كانت أقصى ما وصل إليه العلم في ذلك العصر، وإذا كان ذلك في عصر من العصور غاية ما وصل إليه علم البشر فإنه لا يُؤْمَن عليه التحول والتعارض، ولعلهم فعلوا ذلك بنية حسنة ولكنه كان أكبر جناية على أنفسهم وعلى الدين؛ فإن ذلك كان سببا للكفاح المشئوم بين الدين والعلم الذي انهزم فيه ذلك الدين المختلط بعلم البشر الذي فيه الحق والباطل الخالص والزائف هزيمة منكرة وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده.

وقدس رجال الدين كل ما تناقلته الألسنة واشتهر بين الناس، وذكره بعض شراح التوراة والإنجيل ومفسريهما من معلومات جغرافية وتاريخية وطبيعية، وصبغوها صبغة دينية وعدوها من تعاليم الدين وأصوله التي يجب الاعتقاد بها ونبذ كل ما يعارضها، وألفوا في ذلك كتباً وتآليف وسموا هذه الجغرافية (الجغرافية المسيحية) وعضوا عليها بالنواجذ وكفَّروا كل من لم يدن بها[1].

وقد خلق هذا الوضع الخطير نوعا من العداء بين رجال الدين وأصحاب الفكر.

٣- **السبب الثالث:** ويتلخص في أن رجال الدين أقحموا أنفسهم في غير تخصصهم وفيما ليس لهم به علم أو دراية، ونصبوا أنفسهم حكاماً على كل نشاط أو فكر علمي، مما أدى إلى الصراع بين الكنيسة ورجال العلم.

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبو الحسن الندوي ص١٩٣ بتصرف المركز الإسلامي للطباعة والنشر (١٠) - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٧م.

الوسائل التي اتبعتها الكنيسة لقمع أهل العلم:

بالرجوع إلى المصادر التي تحدثت عن العقوبات الكنسية، نجد أن الكنيسة اتبعت وسيلتين لتنفيذ عقوباتها هما: **أولها**: الحرمان من الكنيسة، **ثانيها**: محاكم التفتيش.

فقد كان القانون الكنسي، يتضمن عدداً من العقوبات التي توقع على كل من يخرج على نظامها، وهذه العقوبات كانت تتراوح بين الإيقاف المؤقت وبين الفرز أو القطع أو الفصل من عضوية الكنيسة، وكانت لكل مخالفة عقوبتها المناسبة، وكانت عقوبة الحرمان أو الفرز شيئاً رهيباً بالنسبة لأهالي العصور الوسطى[1].

أولاً: الحرمان من الكنيسة:

الحرمان من الكنيسة كان من الوسائل التي استخدمتها الكنيسة أول الأمر لمعاقبة الخارجين عليها في نظرها، وكان الحرمان يقوم على وسائل الإرهاب الروحية، وقد قُسم إلى قسمين: حرمان أصغر، وحرمان أكبر.

١- الحرمان الأصغر:

ويكون الحرمان الأصغر بإبعاد الشخص من ممارسة الشعائر والطقوس في الكنيسة، وتوقيع هذه العقوبة من حق كل واحد من رجال الدين في أي كنيسة (وكان معناه عند المؤمنين العذاب الدائم في نار الجحيم إذا مات الآثم قبل العفو عنه)[2].

٢- الحرمان الأكبر:

إذا كان الحرمان الأصغر يوقعه أي واحد من رجال الكنيسة، وتقتصر على عدم

---

(١) فجر المسيحية ص٩٩.

(٢) قصة الحضارة جـ١٦/ ٤٧.

المشاركة في الشعائر والطقوس الكنسية، فإن الحرمان الأكبر لا يوقعه إلا لجنة دينية كنسية أو مطارنة، ويترتب عليه طرد الشخص من الكنيسة، ويحرم عليه التعامل مع غيره.

يقول «ول ديورانت» عن الحرمان الأكبر:

(لا يصدره إلا مجلس ديني أو مطارنة أعلى مرتبة من القساوسة كما أنه لا يصدر إلا على شخص داخل دائرة مجال أولئك المطارنة، وإذا صدر أُبْعِدَ المحروم من كل اتصال قانوني أو روحي بالمجتمع المسيحي، فلا يستطيع أن يقاضي أو يرث، أو يعقد عقداً صحيحاً من الوجهة القانونية، ولكن يجوز لغيره أن يقاضيه، ويَحْرُمُ على أي مسيحي أن يؤاكله أو يكلمه وإلا حق عليه الحرمان الأصغر)[1].

وكان من قرارات الحرمان ما كان يصدر ضد مجتمعات كاملة كقرية أو مدينة، وبلغت قرارات الحرمان بالجملة، ومن الكثرة أن أضحت أقسام كثيرة من المجتمع المسيحي محرومة كلها في وقت واحد، ومنها ما لم تكن تعرف أنها محرومة، أي أن القرارات كانت تصدر ويحكم فيها غيابياً دون علمِ مَنْ صدرت ضدهم، ولقد استخدم البابا (جريجوري السابع ١٧٠٣م - ١٠٥٨م) الحرمان الفردي والجماعي لتوطيد سلطته البابوية وحَمْل الناس وإجبارهم على الاعتراف بسلطة البابوية وكونها مصدراً فيما يتصل بالسياسة والدين.

ويقول د/ سعيد عاشور:

(إن هذين السلاحين لم يكونا جديدين على الكنيسة، ولكن «جريجوري السابع» استخدمها في عنف وقوة وبطريقة فعالة، أما السلاح الأول فهو توقيع عقوبة الحرمان (القطع - الشلح) بطريقة فردية شخصية، أي ضد فرد معين مقصود بالذات، وعندئذ

(١) أوربا العصور الوسطى جـ٢/ ٣، ٤.

يصبح هذا الشخص منبوذاً مطروداً من المجتمع المسيحي فلا يسمح لأحد بالاقتراب منه أو التعامل معه سوى زوجته وأولاده.

وأما السلاح الثاني فهو عقوبة الحرمان الجماعي التي توقع على مجتمع بأكمله، سواء كان هذا المجتمع مدينة أو إقليماً أو مملكة بأسرها، وفي هذا الحالة تغلق الكنائس أبوابها في ذلك المجتمع ويضرب رجالها عن تأدية أعمالهم فلا يجد الناس أحداً يقضي مصالحهم المرتبطة بالكنيسة كمراسيم التعميد والزواج والشعائر الجنائزية، فضلا عن انقطاع الروابط التي تربط ذلك المجتمع ببقية العالم المسيحي).

واستغل الباباوات قرارات الحرمان ضد الخصوم السياسيين ولأغراض أخرى كالغش في الأموال المقدمة من الأفراد للكنيسة وغيرها مما ترتب على ذلك أن وجدت قطاعات كبيرة من المجتمعات موقع عليها الحرمان[١].

محاكم التفتيش:

ظهرت محاكم التفتيش في بلاد أوروبا في أواخر القرن الثاني عشر، وأوائل القرن الثالث عشر، وقد أسسها البابا (أنوسنت الثالث ١١٨١م - ١١٨٥م)، وارتبط ذكر محاكم التفتيش باسم (أنوسنت الثالث ١١٩٨ - ١١١٦م)، فهو الذي أرسى قواعدها وأشرف على قيامها[٢].

(وكانت هذه المحاكم بابوية محضة تستمد سلطتها من البابا مباشرة، ولا دخل للحكومات في تصرفاتها، اللهم إلا قيامها بتنفيذ أحكامها، أما قضاتها فكانوا من رجال الدين المعروفين بتعصبهم الشديد للكاثوليكية، وكانت المحاكمة في هذه المحاكم سرية

---

(١) راجع: قصة الحضارة جـ١٦ ص٤٨.

(٢) راجع: محاكم التفتيش نشأتها وتطورها، د/ إسحاق عبيد ص١٣، ١٤، دار المعارف ط (١) سنة ١٩٧٨م.

ومن واجباتها مراقبة المطبوعات والمدارس وتقرير الكتب التي يسمح بتداولها و إحراق الكتب التي لا تتفق مع المذهب الكاثوليكي، ومن وظيفتها التجسس بكل الطرق على من يشتبه في عقيدتهم والقبض عليهم ومحاكمتهم في جلسات سرية وتعذيبهم بمختلف الطرق القاسية حتى تُكرههم على الاعتراف بالإلحاد وحين إذ يُوَقَّع عليهم العقاب بالإحراق أو السجن المؤبد وبمصادرة أملاكهم، حتى التائبون منهم كانوا يسجنون طوال حياتهم تطهيرا لهم من جريمة الإلحاد)[١].

وزادت حملات الباباوات لقمع الحركات المعارضة للقوانين الكنسية، فكانت الحكومات المدنية تقوم بتسليم الخارجين في دائرتها إلى محاكم التفتيش، وعُدِّلَ القانون الكنسي بحيث يشمل العقوبات التي كانت تصدرها محاكم التفتيش.

(وفي عام ١٢٢٤م سن الإمبراطور «فردريك الثاني» قانونا يقضي بإعدام كل من ينحرف ويحيد عن تعاليم الكنيسة، وكانت لمحاكم التفتيش أجهزتها «البوليسية» والقضائية الخاصة بها، والمتهمون الذين كانوا يقدمون للمحاكمة أمام تلك المحاكم لم يكن مسموحا لهم بالدفاع عن أنفسهم، وفي أغلب الأحوال، كان يحكم بإدانتهم.

وكان التعذيب الوحشي وسيلة من الوسائل التي استخدمتها تلك المحاكم والسلطات التابعة لها لانتزاع الاعترافات من أولئك المتهمين، وقد أخضعت الحكومات المدنية في أوربا الغربية كلها كافة أجهزتها في خدمة محاكم التفتيش، من جهة القبض على الهراطقة وتنفيذ الأحكام التي تصدرها ضدهم[٢].

---

(١) راجع: المجاميع المسيحية وأثرها على النصرانية د/ محمد رجب الشتيوي ص ٣٨٣ مطبعة التقدم ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) راجع: فجر المسيحية ص١٠٢، البابوية وسيطرتها على الفكر الأوربي في العصور الوسطى د/ أحمد علي عجيبة ص١٨٣ وما بعدها، حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا- العدد الثالث ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م، وقصة الحضارة جـ١٦ ص٩٣-٩٥.

فأنشئت محاكم التفتيش ونُظمت لتكون أداء تحقيق مستديمة تحت إدارة السلطة الكنسية لمهاجمة الفكر والضمير الإنساني بالنار والعذاب، وكانت هذه المحكمة تتكون من المفتش الكنسي نيابة عن البابوية ويعاونه في هذا جماعة من رجال الدين المعروفين بالتعصب والولاء الشديدين للكاثوليكية، وتستمد المحكمة سلطتها من البابا مباشرة، ولا دخل للحكومة في تصرفاتها إلا القيام بتنفيذ الأحكام الصادرة عنها بالعقوبة على المخالفين، ولا حق للمذنبين في الدفاع عن أنفسهم، ومن كان يقوم بأداء الشهادة يُعذب؛ لذلك امتنع الناس عن أداء الشهادة.

واستخدمت المحاكم أفظع وسائل التعذيب والإرهاب القاسية لإجبار المتهم على الاعتراف بما يُوَجَّه له من اتهامات، وكانوا يوضعون في سجون ضيقة، ويقيدون بالأغلال ويحرمون من الطعام والشراب، والنوم في الزنزانات وقوفاً، وذلك لعدم سماح المكان إلا لذلك، وعُرفت هذه الزنزانات بالزنزانات الخشنة[١].

جرائم الكنسية في حق العلم والعلوم:

لقد استعملت الكنيسة أفظع أنواع القتل والتعذيب مع العلماء، والتي تدل على قساوة قلوب رجال الدين الذين يَدَّعُون أنهم رسل سلام وأرباب محبة إلى العالم ويرددون ما نُسب إلى المسيح (لا تقاوموا الشر، بل من لَطَمَكَ على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً)[٢]، وقوله: (أحبوا أعداء كم، باركوا لاعنيكم، وأحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم)[٣].

---

(١) راجع: محاكم التفتيش ص٥٠.

(٢) متى: ٥/ ٣٩ - ٤٠.

(٣) متى ٥/ ٤٤.

فهم يدعّون ذلك و يرتكبون أفظع الجرائم في حق الإنسانية والدين والعلم، وسلكوا كل الوسائل والطرق اللإنسانية في التعذيب للمخالفين.

من وسائل وطرق التعذيب: تعليق المتهم من يديه ورجليه على الحائط ومنها دفع المتهم إلى مكان عال ثم الرمي به ليهوى على الأرض، ومنها الكي بشعلة نار ملتهبة، وأيضا طرح المتهم على منصة في وضع مثلث مع ربطه بحبل يلتف عقداً حول جميع أعضاء جسده، وينتهي الحبل المعقود برافعه تلم كل الشمل، فإن لُمِسَتْ الرافعة رضرضت أعضاء الجسد الموثوق وقد تُمزقها تماماً.

وقد يوثق المتهم وساعداه مقيدان من وراء ظهره ثم يرفع إلى ربوة عالية، ومنها يركل ليسقط على الأرض، وأحيانا كانت تربط الأثقال في قدمي المُعَذَّب الموثوق حتى يكون سقوطه مروعاً ومريباً.

ومن وسائل التعذيب طلي قدمي المتهم بالشحم وإشعال النار فيهما، وبعد جرعة من المس بالنار تطفئ النار، ويظهر مفتش المحكمة لانتزاع اعتراف المتهم، وفي كثير من الأحيان كان المتهم يموت من التعذيب والإرهاب قبل أن يدلي باعتراف ما للمحكمة(١).

وكانت الأحكام تصدر دائما من محاكم التفتيش إما بالإعدام وإما بالسجن المؤبد مع إذاقة المتهم أقصى ألوان التعذيب في تلك الحالتين، ثم زيد على هذين الحكمين مصادرة الأملاك والأموال وهدم المنازل بل والمنازل المجاورة للمتهمين، كل ذلك بعد إبادة الخارجين وتنفيذ الأحكام عليهم، بل وتحريم أموال الهراطقة في نظر الكنيسة على أولادهم وإن كانوا موالين للكنيسة، ولا غبار ولا شبهة عليهم.

كذلك لجأت البابوية إلى هدم منازل الهراطقة، فقد كتب البابا «أنوسنت الثالث» في ٢٣ سبتمبر سنة ١٢٠٧م، يأمر بأن تهدم جميع الدور التي استخدمت كملجأ للهراطقة

---

(١) راجع: محاكم التفتيش ص٥٠.

أو كندوة لنشر آراء المهرطقين على أن تدك من سقفها حتى أساسها، ولما أن جاء البابا أنوسنت الرابع في١٥ مايو سنة ١٢٥٢م، رأى ضرورة هدم المنازل المجاورة لمنزل الهرطقيين خشية أن تكون قد تلوثت بوباء الهرطقة كما يعتقدون(١).

ولم تكتف محاكم التفتيش بذلك بل أمرت بحرق جثث الموتى من الهرطقيين؛ اعتقاداً منهم أنه قد يصاب المكان الذي يضم الرفات بالدنس؛ مما دعاهم إلى نبش القبور فأهينت حرمة جثث كثيرة وسط قرع الطبول ولهيب المحرقة.

وانتشرت محاكم التفتيش في العالم المسيحي الغربي كله، ولم ينج منها أحد ممن وجهت الكنيسة أنظارها إليه واتهمته بالخيانة والخروج على التعاليم، ومن نجا في حياته لم ينج بعد الموت فكانت تخرج جثته وتحرقها، ولم ينج من هذه المحاكم المسلمون في بلاد الأندلس فقد اعتدى عليهم النصارى وأذاقوهم أقسى أنواع العذاب وشردوهم وعملوا على إبادتهم ومحوهم من الوجود(٢).

إن نفوذ محاكم التفتيش تَخَطَّى أوربا وَعَبَرَ البحر وتغلغل مع الفاتحين الأسبان إلى ربوع أمريكا لأول عهدها بالغزو والفتح، وكانت الفظائع التي ارتكبت هناك سواء من الفاتحين أو من رجال الدين ضد الهنود الحمر لا تعد ولا تحصى.

وكانت الطامة من وراء محاكم التفتيش ما جرته من ويلات على العلماء والباحثين؛ فقد أذاقتهم ألوان العذاب وأبادت منهم الكثير، وبلغت الضحايا حدًّا فوق التصور، وقدرهم قسيس أسباني كان أميناً عامًّا لمحكمة التفتيش من ١٧٩٨-١٨٠١م، وهو «جون

---

(١) راجع: محاكم التفتيش ص٥٥.

(٢) راجع في هذا الموضوع:

١- محاكم التفتيش ص٤٠-٥٠.

٢- قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص٥٠.

٣- المسيحية ص٢٥٦.

٤- المجامع المسيحية ص٣٨٥.

٥- أوروبا والإسلام ص٢٢.

أنطونيو ليوزنت» ـ بأنهم بلغوا بين عامي ١٤٨٠-١٤٨٨م ثمانية آلاف وثمانمائة أحرقوا، وستة وتسعين ألفا وأربعمائة وتسعين عوقبوا، وبين عامي ١٤٨٠-١٥٠٨م وجد واحدا وثلاثين ألفاً وتسعمائة واثني عشر أحرقوا، ومائتين وواحدا وتسعين ألفا وأربعمائة وأربعة وتسعين حُكم عليهم بعقوبات صارمة[١].

وفي جنوب فرنسا و إيطاليا أنشئت محكمة التفتيش بطلب «توركماندا»، ففي مدة ١٨سنة، من سنة (١٤٨١-١٤٩٩م)، حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا، وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا، وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت، ثم أحرقت كل توراة بالعبرية)[٢].

كما يذكر الإمام محمد عبده: أن محاكم التفتيش حكمت من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ م إلى سنة ١٨٠٨ م على ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة، منهم نحو مائتي ألف أحرقوا بالنار أحياء[٣].

ومن المفكرين الذين تعقبتهم محاكم التفتيش للحكم عليهم وعلى فكرهم: كوبر بيكس، وبرونو، وجاليليو، وديكارت وغيرهم، وقد قال ديكارت حينما سمع بما حدث لجاليليو: (لقد كان لهذا النبأ أعمق الأثر في نفسي حتى كدت أعقد العزم على أن أحرق كل مخطوطاتي أو على الأقل أخفيها عن الأنظار، و إذا كانت حركة الأرض غير صحيحة فإن كل مبادئ الفلسفة عن «ميكانيكية العالم» خاطئة؛ لأنها كلها مترابطة يؤيد بعضها بعضا، ولكنى على أي حال لن أنشر شيئا يتضمن كلمة واحدة تغضب الكنيسة)[٤].

---

(١) راجع: الإصلاح الديني من قصة الحضارة جـ٣٢ / ٨٩.

(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ـ الشيخ محمد عبده ص٣٤ مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ـ بدون تاريخ.

(٣) المرجع السابق ص٣٦ راجع: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٩٤.

(٤) قصة الحضارة جـ٣٠ / ٢٣٢.

وبرونوا: كان قسيسا ودرس علم الفلك، وساوره الشك في العقيدة النصرانية المثلثة وطقوسها المبهمة، فطاردته الكنيسة وحكمت عليه بالموت حرقا (ففي يوم ١٩ من فبراير ١٥٩٩م جرد من ثيابه وربط لسانه وشد إلى خازوق من الحديد، فوق ركام من الحطب، وأحرق حيا على مشهد من جمع غفير)[١].

ولما قال «دي رومنيس»: أن قوس قزح ليست قوسا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده إذا أراد، بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء فَجُلِبَ إلى روما وحُبِسَ حتى مات، ثم حُوكِمَتْ جثته وكتبه وحكم عليها وألقيت في النار، وقيل في علة الحكم: إنه أراد الصلح بين كنيستي روما و إنجلترا، وأي ذنب أعظم من هذا الصلح؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بأن قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء[٢].

وجاليليو صاحب الاختراعات والقوانين في علم الفيزياء والذي قدم أبحاثا عن الحركة والمادة وأضاف إلى العلم الجديد، إلا أن الكنيسة حاربته وحاربت فكرته ومنعت نشر وقراءة كتبه، وقُبِضَ عليه وقُدِّمَ للمحاكمة عدة مرات، وفي ٢٢ من يونيه عام ١٦١٦م أصدرت المحكمة قرارها بإدانة جاليليو بالهرطقة والتمرد والعصيان، وعرضت عليه الغفران بشرط تأدية القسم علنا أمام الجمهور بالتخلي عن آرائه، فنفذ كل ما طلبته منه الكنيسة ومحكمتها[٣].

إن الكنيسة كانت تنادي بأن الأرض مستوية ومركزها في بيت المقدس، وظنت في تلك الأيام أن الأرض وحدها هي العالم الذي يتكون منه الكون، وأن الشمس والكواكب تدور حول الأرض، ولما حاول هؤلاء العلماء إثبات أن هذا الظن غير صحيح

(١) أوربا والإسلام - د/ محمد سيد أحمد المسير ص١٩ - وانظر: ماذا خسر العالم ص١٩٤.

(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص٣٣.

(٣) راجع: قصة الحضارة جـ٣٠ / ٢٦٤، ٣٧٨ عصر العقل.

وأن الكون أكبر من الأرض، وأن الأرض تدور حول الشمس، قالت الكنيسة: إن هذا الكشف يتعارض مع الافتراض المسيحي وفكرة الخلاص[١].

وحاربت الكنسية ما يتصل من الفكر بعلاج الإنسان؛ مثل مقاومتها للحقن تحت الجلد أو أخذ مواد مخدرة تساعد في العلاج وعمليات الولادة[٢].

وأنشأت الكنيسة بجانب محاكم التفتيش مراقبة المطبوعات وحتمت على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفه على هذه اللجنة، ومن لم يعرض مؤلفه تصادره ويعاقب صاحب المؤلف والمطبعة، كل ذلك من أجل أن تضمن الكنيسة أن لا ينشر ما يخالف العقيدة الكاثوليكية أو ما لا تقره الكنيسة[٣].

وهكذا كانت الكنيسة لفترة طويلة من الزمن حجر عثرة في سبيل التقدم العلمي وكان وراء كل ما فعلته الكنيسة ما أعطته لنفسها من سلطة دينية على أتباعها وعلى الناس، تلك السلطة التي تحتكر حق التفكير على نفسها وتأمر أتباعها بإلغاء العقل.

۞۞۞۞۞۞۞

---

(١) راجع: محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن - إبراهيم خليل ص ١٠٦، أوربا والنصرانية ص ١٦، ٢٠ - وماذا خسر العالم ص١٩٤.

(٢) راجع: الإسلام والنصرانية ص ٣٨، وأوروبا والإسلام ص١٧.

(٣) المرجع السابق ص٣٣.

المبحث الثاني

سلطة الكنيسة السياسية

السلطة الزمنية وهي ما تعرف بالسلطة السياسية والتي ظهرت في الكنيسة بعد أن أسست السلطة الدينية، والتي تعتمد على أن البابا ورجال الكنيسة يعتبرون أنفسهم نوابا في الأرض عن المسيح، وأصبح من الأصول النصرانية التي تمسكت بها الكنيسة: «السلطة للقسيسين والطاعة على العامة» وكل رأي لم يصدر عن ذلك الأصل الديني الذي يربط ويحل في الأرض والسماء فهو باطل يجب مقاومته بكل ما يستطاع[١].

وهذه السلطة لم تظهر إلا بعد ما أعلن قسطنطين تنصره وحمايته للنصارى، وصارت المسيحية دين الدولة الرسمي، وانتقلت من هيئة سرية مطاردة مضطهدة إلى كنيسة لها الحول والطول، تساندها الإمبراطورية كلها، وتعضدهم قوات الدولة[٢].

وأصبح قسطنطين يُعرف بحامي حمى النصرانية، وكانت السلطة الدينية والسياسية في بداية الأمر في يد الإمبراطور (وأصبح الإمبراطور قسطنطين، الذي يعد أول من رسم لخلفائه من بعده طريق القيصرية البابوية التي أخذ الأباطرة يعملون جاهدين على تعميق جذورها، حتى أصبحت تمثل عند بداية القرن الثامن سمة بارزة من أهم سمات الحكم في الإمبراطورية البيزنطية، وصار «جستنيان» خطوات بعيدة على الطريق، وتكشف متجدداته التي أصدرها لتنظيم الأمور الكنسية عن مدى رغبته الجانحة وإيمانه العميق بسيادته على الكنيسة، بل لقد كان يؤمن تماما بأن من حقه أن يختار

(١) الإسلام والنصرانية ص ٣٨.

(٢) راجع: فجر المسيحية ص ١٤١-١٤٣، البابوية وسيطرتها على الفكر الأوربي في العصور الوسطى ص ١٢١.

لرعيته العقيدة التي يجب عليها اتباعها دون مناقشة، فالناس عادة على دين ملوكهم، فلما كان عهد ليو الثالث الإيزوري، بلغت القيصرية الباباوية شأناً عظيماً)[١].

واستمرت النصرانية على هذا الوضع في عصرها الأول، فلم يعرف فرق بين السلطتين الدينية والسياسية، فكان تعيين الأساقفة من حق الإمبراطور وحده، وكذلك إدارة شئون الكنيسة ولم تبق الكنيسة على هذه الحالة بل حاول الأساقفة الاستقلال بشئونها عن الدولة بعد أن فرضت الدولة سلطتها على الكنيسة إلا أن الكنيسة وقفت أمام الدولة تتحداها وتأبى الخضوع لها، وتنكر عليها سلطانها وتدخلها في شئونها، ودخلت الكنيسة في مواجهة وصراع مع الدولة من أجل استقلالها بالسلطة.

فنجد «أمبروسيوس» أسقف ميلانو (سنة ٣٣٩ -٣٩٧ م) يغلق كل باب يحاول منه الإمبراطور التدخل في شئون الكنيسة، وعندما حاول الإمبراطور أن يعين أساقفة رد عليه قائلا: نحن طبقا لناموس يسوع المسيح لن نستجيب لذلك القانون الذي يجيز مثل هذه القرارات.

وأيضا: كما أنه لا يصح أن تنكر الدولة حرية التعبير، كذلك أيضا يتحتم على الكاهن أن يعبر عما يشعر به؛ لأن الكاهن بفضل وظيفته المقدسة رسول يُعلن ملكوت المسيح والحياة الأبدية، وعارض «أمبروسيوس» في أن تقبل الكنيسة هبات عامة؛ حيث إن هذا الأمر يجعل الكنيسة معتمدة على الدولة في شئون الإمبراطورية، فالكنيسة باعتبارها تمثل الله على الأرض ملتزمة بأن تحكم استقامة أو خطأ أي وضع دنيوي أو أي تصرف للحكومة، فكانت الكنيسة ضميرا للدولة، وهي بذلك أعلى من حكامها»، إن الالتزام بالخدمة المسيحية هو التزام على الحاكم كما هو التزام على الرعايا، لأن الإمبراطور مثله مثل أحقر فرد من أفراد الشعب، هو أحد أبناء الكنيسة[٢].

---

(١) تفسير التاريخ علم إسلامي - د/ عبد الحليم عويس ص٩٤ - دار الصحوة للنشر ١٤٠٧ هـ.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة جـ٣/ ١٦٢، ١٣٣.

وبناء على ذلك أخذت الكنيسة تنظم شئونها وشئون الدولة واقتبست نظمها من النظم الإمبراطورية، فجعلت الكنيسة المدينة أصغر وحدة في نظامها، وعينت في دائرتها أسقفا وأطلقت عليها أبرشية، ومن جملة الأبرشيات تتكون الولاية التي يحكمها ويشرف عليها أسقف أكبر، ومن جملة هذه الولايات المتقاربة تكونت وحدة الكنيسة وجعلت لها مقرا يشرف عليه عدد من كبار الأساقفة، وتجمعت كل الكنائس المتفرقة تحت هيئة واحدة عليا سميت المجمع المسكوني، وهو يشبه المجلس الإمبراطوري في دستور الدولة، وقد انهار دستور الدولة، وحل مكانه دستور الكنيسة وأخذت الكنيسة تدعم سلطتها بسن القوانين، وتنظيم الإدارة التي يشرف عليها المطارنة والأساقفة والشمامسة والقارئون، والمساعدون، وانتشرت الأسقفيات التي تشتمل على عدة أبرشيات، وهذه تشتمل على عدة دوائر[١].

ومن الباباوات الذين كان لهم دور فعال في توجيه سياسة الكنيسة، البابا «داماسوس الأول» (٣٦٦-٣٨٤ م).

يقول د/ سعيد عاشور:

(إن هذا البابا كتب مؤلفا استعرض فيه مكانة كرسي روما الأسقفي وأكد سيادة البابوية وسموها، كما عهد هذا البابا إلى جيروم بترجمة الإنجيل إلى اللاتينية)[٢].

أما البابا ليو الأول (٤٤٠-٤٦١م) فقد تم في عهده الاعتراف بسيطرة البابوية على كافة الكنائس المحلية حيث منح الإمبراطور «فالنتيان الثالث» (٤٢٥-٤٥٥م) البابا سلطة تشريعية في الإمبراطورية الرومانية الغربية، وأصدر مرسوما يؤكد فيه سلطة أسقف روما عن جميع الكنائس النصرانية وخضوع أساقفة الغرب له[٣].

---

(١) انظر: فجر المسيحية ص ١٤٥، تاريخ المسيحية جـ٣/ ١١٨.

(٢) راجع: أوربا العصور الوسطى جـ١/ ٥٤.

(٣) راجع: قصة الحضارة جـ ١ م ٤ صـ ١٠٥.

أسباب ظهور البابوية وازدياد نفوذها:

توجد عدة أسباب أدت إلى ظهور البابوية وازدياد نفوذها، ودعم سلطتها منها:

١- ضعف سلطة الأباطرة وانهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب سنة ٤١٦م فقد أدى ذلك إلى ازدياد سلطة البابا وارتفاع شأنه في أوربا.

يقول شارل جنيبير:

(انهار النفوذ الإمبراطوري الروماني في الغرب خلال القرن الخامس، وبدأ أول الأمر أن الكنيسة قد قويت بذلك، ونما سلطانها، ولكأنها أصبحت فريسة للإمبراطورية في الميدان السياسي بعد أن ورثتها فيما مضى في الميدان الأخلاقي والديني، فلقد ظلت المعقل الوحيد لمبدأ الوحدة المركزية الرومانية، بل لم يلبث أن أرادت لنفسها إدارة ملكية حقيقية، وكانت قوة الضمانات التي تمنحها لرعاياها من أمن وحماية في هذا العصر المضطرب وسيلة ممتازة للدعاية لها ساعدت كثيرا على نمو «كاثوليكيتها»)[١].

وقد تجمعت عدة عوامل لتساعد البابوية على الاستمرار في تنفيذ هذه السياسة، ومن أهمها الظروف التي سادت إيطاليا من جهة، وانصراف الإمبراطورية البيزنطية إلى مشاكلها الشرقية من جهة أخرى؛ مما جعل عبء حماية إيطاليا وحضارتها يقع على كاهل البابوية وحدها، والظلام الذي عم الغرب والعمل على بقاء الحضارة الغربية واستمرارها بات متوقفا على الإصلاح الديني، وأن هذا الإصلاح يتوقف بدوره على قيام سلطة كنسية مركزية قوية تستطيع الصمود في وجه السلطة الزمنية، ومناضلتها من أجل الاعتراف بسمو الكنيسة وسيادتها[٢].

(١) المسيحية نشأتها وتطورها صـ ١٩٢، المسيحية في العصور الوسطى صـ ٣١.

(٢) راجع: أوربا العصور الوسطى جـ١/ ٢، ٣.

٢- ومما ساعد على ازدياد نفوس البابوية ما كانوا يمتلكونه من أموال و إقطاعيات وموارد مالية متنوعة المصادر، حققت لهم النفوذ المعنوي بجانب النفوذ المادي؛ فقد كان الأساقفة يقتطعون الأراضي ويجمعون الضرائب ويأخذون الهبات؛ مما ساعدهم على تكوين الجيوش التي دعمت سلطتهم المدنية بجانب السلطة الدينية.

٣- ظهور شخصيات قوية كان لهم الأثر الكبير على زيادة نفوذ البابوية، أمثال جريجوروس الأول أول بابوات روما، والذي تولى من سنة (٥٩٠م - ٦٠٤م)، وقد عُرِفَ بالصلاح والتقوى والتواضع، والحكمة، وقد أكسب البابوية منزلة رفيعة، ومكانة سامية، وقام بالمهام السياسية بجانب المهام الدينية، وحارب المخالفين، وأعد الجند وحصن الأسواق وشحن القلاع وعقد المفاوضات، ومد نفوذه إلى أفريقيا وأسبانيا و إنجلترا[١].

يقول حبيب سعيد:

(وفي عهده، أفلحت البابوية في الاحتفاظ ببعض وظائف الحكومة المدنية، وضم شمل كنائس الغرب تحت رعويته، و إدارة أملاك الكنيسة وأموالها مستقلة عن الدولة، ومحاولة انتزاع السلطة الدينية العليا من بطريرك القسطنطينية، وتركيزها في رومية كمركز للمسيحية)[٢].

٤- نظرة الناس إلى الأساقفة نظرة تقديس على أنهم يمثلون البر والتقوى في وقت انحرف فيه معظم الحكام عن الطريق الصحيح لتحكم الشهوات والأهواء فيه، وكان البابا في نظرهم ممثلا لسلطان أعظم من سلطان الملوك، وهذا السلطان هو القانون الأخلاقي الذي يعتبر واحداً من أقوى الأسباب التي أدت إلى زيادة نفوذ البابا وسلطانه[٣].

---

(١) راجع: المسيحية في العصور الوسطى ص ٣٣، وأوربا العصور الوسطى جـ١/ ١٤٨ -١٤٩.
(٢) فجر المسيحية صـ ١٩٩.
(٣) راجع: المسيحية في العصور الوسطى صـ٣٢.

٥- يذكر جاد المنفلوطي أن: انتشار الإسلام كان سبباً من الأسباب التي لعبت دوراً رئيسياً في تثبيت سلطان البابا، وتوسيع دائرة نفوذه بعدما وضع المسلمون أيديهم على الأقطار التي كانت مركزاً لثلاثة من الكراسي البطريركية في الشرق، بينما كانت الكنيسة في الغرب في أوج مجدها ونهضتها وانتشارها عن طريق البعثات التبشيرية التي انطلقت هنا وهناك، كل هذا زاد من أهمية الكنيسة الغربية برئاسة «بابا رومية» خاصة بعد أن ضعفت الكراسي الأخرى المناهضة له في بلدان الشرق[١].

لماذا تهيأت الرئاسة لأسقف روما وحده؟

تهيأت الرئاسة لأسقف روما دون غيرهم؛ وذلك للظروف التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية في الغرب فأتاحت الفرصة لهذه الرئاسة، وقد تبين ذلك عند ذكر الأسباب التي ساعدت على ظهور البابوية، يضاف إلى ذلك اعتقاد باباوات روما أنهم خلفاء بطرس رسول المسيح المُقَدَّم، والذي أسس المسيحية في روما، وكان أول أسقف على كنيستها كما يزعمون والذي يعتبر في اعتقادهم خليفة المسيح الأول في الأرض[٢].

ويضاف إلى ما سبق أن بابا روما لم يكن له منازع في بلاد الغرب على السلطة بعكس ما كان في بلاد الشرق، فقد كانت السلطة في الإمبراطورية القسطنطينية موزعة على أساقفة وبطاركة القسطنطينية، وأنطاكيا والإسكندرية والقدس، مضافا إلى ذلك ما كان لكنيسة روما من موارد مالية كثيرة جعلتها ترسل المعونات إلى الكنائس الأخرى[٣].

---

(١) المسيحية في العصور الوسطى صـ ٣٥، ٣٦ بتصرف.

(٢) ما ذهب إليه النصارى من أن بطرس أسس كنيسة روما باطل ولا أساس له من الصحة، وقد سبق بيان ذلك في الفصل الأول - راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ١٧٧ وفجر المسيحية صـ ٤٦.

(٣) راجع: النصرانية والإسلام، المستشار محمد عزت الطهطاوي - مكتبة النور ط (٢) ١٩٨٧م -١٤٠٧هـ.

وترتب على ما سبق من عوامل وأسباب أدت أو ساعدت على ظهور البابوية وزيادة نفوذها أن حدث تغيير في الكنيسة، يوضحه ما يلي:

(١) أذاعت الكنيسة أن مكانتها أسمى من مكانة الملوك والأباطرة.

(٢) أن البابا له السيادة العليا على القضاء والإدارة.

(٣) أن البابا وحده هو المشرع والمفسر للكتاب المقدس.

(٤) أن مفتاح الرحمة وباب السماء في أيدي البابا ورجال الكنيسة.

واستند الباباوات في تأكيد سلطتهم وسيادتهم على الملوك بوثائق مزورة تضمنت مراسيم إمبراطورية أو بابوية لتضفي صفة الشرعية على سيطرتها على رجال الدين من جهة، وعلى سلطتها الدنيوية بوجه عام من جهة أخرى.

الوثيقة الأولى: سميت «بهبة قسطنطين» والغرض منها إثبات سلطة البابوية الزمنية وسيادتها على الغرب الأوربي.

الوثيقة الثانية: سميت «بالأحكام البابوية المزورة»، وهي مجموعة الأحكام التي قوت فيما بعد سلطان البابوية، وحق الأساقفة في أن يستأنفوا أحكام مطارنتهم إلى البابوية أنفسهم، وبالإضافة إلى طائفة من القرارات الصادرة عن المجامع الدينية والبابوية، وتشتمل أيضا على عدد من المراسيم والخطابات التي تعزى إلى البابوية وتدل على عدد من المراسيم والخطابات التي تعزى إلى الباباوات مبتدئة من كلمنت الأول (٩١ -١٠٠م) إلى ملخيارس (٣١١-٣١٤م) وكان الهدف منها أيضا ألا يدعى أي مجلس من مجالس الكنيسة إلى الاجتماع، وألا

تفصل في أي مسألة من المسائل الكبرى إلا بعد موافقة البابا، وتدعي أن الباباوات أصحاب السلطان العالي[١].

البابوية بين الازدهار والانحطاط:

بعد أن حقق الباباوات الانتصار على الإمبراطورية وانتزاع السلطة السياسية من أيديهم وأصبح الإمبراطور يُعَيَّن من قبل البابا، بعد أن كان البابا يعين من قبل الإمبراطور وبعد تحقيق هذا الانتصار أصبح الباباوات يتمتعون بالسلطة المطلقة، السياسية والدينية، وقد ازدهرت البابوية فترة طويلة من الزمن، وبالأخص في فترة البابا «ليو الأول» (٤٤٠-٤٦١م) الذي فرض السيطرة البابوية على كل بلاد أوربا الغربية.

وفي فترة البابا «جريجوري الأول» (٥٩٠-٦٠٤م) حيث اكتسب عصره منزلة رفيعة ومكانة سامية، وبلغت السياسة البابوية ذروتها حين وضع البابا «ليو الثالث» (٧٩٥-٨١٦م) التاج على رأس شارلمان سنة ٨٠٠م لِيُتَوَّجَه إمبراطورا على الدولة الرومانية ولم يعد يعترف لشخص ما أنه إمبراطور إلا إذا مسحه أحد الباباوات[٢].

ولكن لم يستمر حال الباباوات على هذا، فقد نخر الفساد في عظامها في القرنين التاسع والعاشر؛ وذلك لفساد رجال الدين الذين ساروا وراء شهواتهم ولإشباعها شربوا الخمر وارتكبوا جرائم الزنا (ولم تكن الباباوية بمنجاة من هذه المساوئ التي كانت هي الطابع المميز لحياة عامة العصر، وعلى مدى مائة وخمسين سنة، بدأت بسنة ٨٩٠م، حيث وصلت حالة الباباوية إلى أحط درجات الانحطاط، وأصبح مركز البابا موضع نزاع بين القادة السياسيين المتنافسين وأتباعهم وكثيرا ما قامت الحروب بسببه، وبعض الذين شغلوا ذلك المنصب، في خلال تلك الفترة لم يكونوا فوق مستوى الشبهات، بل

(١) راجع: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوربي في العصور الوسطى صـ ١٣٨ -١٤٥.
(٢) راجع: المسيحية في العصور الوسطى صـ ١٤.

إنهم كانوا من ذوي السمعة السيئة وارتكبوا أفظع أنواع الجرائم وأبشعها، وظل هذا المنصب في أيدي بعض النسوة المغمورات المنتميات لإحدى العائلات، هؤلاء كن يُعْطِين ذلك المنصب لمن يروق لهن، مما دعا الإمبراطور «أوتو الأول» للعمل على إنقاذه من هذا الدرك الذي تردى فيه، فجعل تعيين البابا وعزله حقا من حقوقه هو)[١].

وأدى الوضع المتردي للبابوية إلى تمكين الحكومات من السيطرة على الكنيسة، ولكن ما لبثت البابوية أن تماسكت وأعادت سيطرتها وسياستها، وذلك بعد أن دعا البابا نيقولا الثاني عام ١٠٥٩م إلى عقد مجمع ديني في روما لتنظيم اختيار البابا وإنقاذ البابوية من الانحلال والانحطاط، وانتهى المجمع بأن تتولى أساقفة روما انتخاب البابا أولاً، ثم يدعى الناس ورجال الدين عامة بعد ذلك للموافقة على هذا الاختيار، ويختار البابا من بين رجال الدين في روما نفسها، وعند عدم توفر الشروط في رجال الأكليروس في روما يمكن أن ينتخب البابا من غيرهم[٢].

وبتولي جريجوري السابع البابوية في عام ١٠٧٣م استطاع أن يعيد للكنيسة سيطرتها وللبابوية نفوذها.

ومارست الكنيسة سلطانها وبسطت نفوذها على كافة شئون الحياة اليومية لسكان أوربا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وبلغ نفوذ البابوية السياسي والديني ذروته في القرن الثالث عشر عندما أصبح البابا يتمتع بسلطانه الزمني والروحي في أوربا الغربية يهيمن على كنيسة ضخمة ذات إدارة منظمة لها قوانينها ومحاكمها وتقاليدها، فإذا أراد البابا أمرا فعلى الملوك طاعته وإلا تعرضوا لعقوبة الحرمان والطرد من الكنيسة، وما يتبع ذلك من متاعب لا قِبَل لهم بها داخل البلاد وخارجها[٣].

---

(١) المسيحية في العصور الوسطى صـ ٤٠، ٤١ بتصرف.

(٢) راجع: أوربا العصور الوسطى جـ١/ ٣٣٣.

(٣) راجع: أوربا العصور الوسطى جـ٢/ ٥، المسيحية في العصور الوسطى ص٧١.

وقد ذكر «ول ديورانت» أن البابوية بلغت ذروة الازدهار في الفترة ما بين عام (١٠٨٥-١٢٩٤م)[١]، كان ممن تولى البابوية في هذه الفترة «أنوسنت الثالث» (١١٩٨-١٢١٦م) والذي ساعدته الظروف على السيطرة الكاملة على إيطاليا كلها بلا منازع؛ فقد رفع من شأن البابوية وسلطانها إلى مرتبة عالمية كما أنه استطاع أن يفرض الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فرضاً على القسطنطينية وكنيستها الأرثوذكسية وحقق حلم البابوية في السيادة على العالم[٢].

وحقيقة الأمر أن هؤلاء الباباوات ما استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من سيطرتهم على السلطة الدينية والسياسية إلا بالقمع والتعذيب والحرمان، وقد تبين عند الحديث عن محاكم التفتيش أن «أنوسنت» الثالث ارتبط اسمه بمحاكم التفتيش، التي أعدمت وسجنت وشردت الأبرياء وقمعتهم بالحديد والنار.

الصراع بين البابوية والإمبراطورية:

لقد حققت البابوية خلال العصور الوسطى سيطرتها على زمام الأمور السياسية الدينية وتمتعت بالنفوذ القوي وتحكمت في سير الأحداث في البلاد الأوربية.

وصار البابا رأس الكنيسة ومصدر ولايتها ومشرع أحكامها والحارس عليها، ومعلم أتباعها المعصوم من الخطأ، المستمد للأحكام من المسيح مباشرة فهو نائبه في الأرض.

---

(١) قصة الحضارة جـ١٦/ ٧٥.

(٢) راجع في ذلك:
١- قصة الحضارة جـ١٦ / ٥٩.
٢- أوربا العصور الوسطى جـ٢/ ٥.
٣- تاريخ الكنيسة جـ٤/ ٢٩.
٤- تاريخ أوربا العصور الوسطى لفشر، القسم الأول ص٧١.

وأصبح البابا رأس الجهاز السياسي في أوربا في العصور الوسطى، حتى اعتبره المعاصرون ملك الملوك وأمير الأمراء[1].

وساعدت الظروف البابا على تقوية نفوذه وسيطرته وعقد المجامع التي تحكم بلعن وطرد من يخالف أوامر الكنيسة أو يخرج عليها، وقد تبين سابقا كيف استغل الباباوات والكنيسة محاكم التفتيش لتحقيق السيطرة على السلطة الدينية والسياسية.

وقد أدى ذلك إلى مزيد من الصراعات بين البابوية وأصحاب السلطة السياسية يقول جاد المنفلوطي:

(مضى عهد طويل والكنيسة تمارس سلطاتها ووصيتها على الملوك والأمراء وشعوبهم ومَن وراءهم، فاستقر في أذهان رجال الدين أن هذه الوصاية حق من حقوق السيادة التي لا تنازع، وأمر مُسَلَّم به لا مجال للخروج عليه، ولكن جاء الوقت الذي جلس فيه على عرش إنكلترا الملك «إدوارد الأول» وعلى عرش فرنسا الملك فيليب الرابع الملقب «بفيليب الجميل» وفي عهدهما أثير سؤال خطير: أيُّ السلطتين أولى بمباشرة السلطات المدنية: الكنيسة أم الدولة؟ وهل من حق الملك أن يفرض ضرائب على ممتلكات الكنيسة أم لا؟!! وكانت هذه بداية عصر جديد)[2].

وقد بدأ الصراع بين الباباوية والإمبراطورية في القرن الحادي عشر ثم اشتد وحمي وطيسها وانتصرت فيها الباباوية أولاً ثم ما لبثت أن لحقتها الهزائم المتتالية، وكان بداية الصراع عندما أراد الأباطرة التدخل في نظام الكنيسة وتغييره بما يتفق مع أهوائهم ورغباتهم، وبالأخص فيما يتعلق بمسألة الزواج والطلاق (وقد كان الملوك يتزوجون ويزوجون أولادهم من أميرات لم يسبق لهم أن رأوهن، بقصد لم شمل البلاد، فإذا لم

---

(١) أوربا العصور الوسطى جـ٢/ ٢.

(٢) المسيحية في العصور الوسطى ص١٦٠.

يحدث توافق في الزواج طلب الزوجان الطلاق، وقد تكون مصالح الدولة قد تغيرت وصار من اللازم عقد اتفاق مع دولة أخرى، فيصبح عقد زواج جديد أمراً لازماً، وهنا كانت الكنيسة تتدخل لمنع الطلاق؛ لأن الزواج سر مقدس كالمعمودية والعشاء الرباني، وكسر عهد الزواج مستحيل مادام الطرفان تعاهدا على أن يظلا آمنين طوال حياتهما)، وقد حدثت حالة من هذا النوع للملك فيليب ملك فرنسا الذي تزوج من أميرة دانمركية، وأصدر البابا حكما بالتحريم على فرنسا كلها)[1].

وحدث أيضا صراع بين البابا وهنري الرابع ملك ألمانيا حينما استغاث به أساقفة ألمانيا ضد البابا الذي أصدر حكما بتحريم زواج الأساقفة، وانتهى الأمر بأن عزل هنري الرابع البابا وعين بابا مكانه[2].

وحدث مثل ذلك في إنجلترا بين بابا روما و«هنري الثامن» ملك ألمانيا؛ وذلك بشأن زواجه من أرملة أخيه «آرثر» وهي « كاترين» بنت «فروماندو و إيزابلا» ملكي أسبانيا الذي حرمه البابا أولا، ثم بشأن زواجه الثاني من «آن بولسين» إحدى سيدات القصر، فأراد «هنري» أن يستصدر قراراً من البابا بحل زواجه، فلجأ البابا إلى المماطلة، وبعد سبع سنوات كاملة ضاق «هنري الثامن» ذرعا بالبابا ووعوده، فلماذا لا يمسك بالسلطة، التشريعية ويلغى سلطان البابا نهائيا ويضع حَدًّا لتدخله في شئون إنجلترا والتوقف نهائياً عن دفع أي نوع من الهبات أو الضرائب للكنيسة؛ وبذلك انتصرت الإمبراطورية على البابوية في إنجلترا[3].

وظل الصراع قائماً بين السلطة والباباوية، فالكنيسة لا تأتمر بأمر الدولة، ولا الدولة

---

(١) مواقف من تاريخ الكنيسة- ولاند بليتنون- ترجمة عبد النور ميخائيل ص٧٧، ٧٨ دار الثقافة ١٩٧٨م تصريف.

(٢) انظر: المرجع السابق صـ ٨٠، وتاريخ الكنيسة جـ٤/ ٢٧.

(٣) راجع: المسيحية في عصر الإصلاح - عزت زكي - صـ ١٤١، ١٤٢ دار الجيل للطباعة ١٩٨٠م.

تنفذ شرع الكنيسة، فقد حدث في إنجلترا أن عين الملك «جون» صديقا له رئيسا لأساقفة «كنتر بري» فأصر البابا على اختيار شخص آخر، وأن يطرد الأساقفة والرهبان الذين يقبلون الشخص الذي اختاره البابا، ووضع البابا إنجلترا تحت حكم التحريم، وأخيراً خضع الملك جون للبابا[1].

ولما حاول البابا «يونيفاس الثامن» أن يفرض سلطته الدينية والسياسية على بلاد أوربا، لقي مواجهة عنيفة من «إدوارد الأول» ملك إنجلترا، و«فيليب الرابع» ملك فرنسا اللذين تصديا له بكل قوة ومن ورائهما جبهة قوية متماسكة، وقد أفلحا في منع البابا من التدخل في شئون بلديهما، وبعد مقاومة اضطر البابا للاستسلام.

ثم حدث خلاف بعد ذلك بين البابا وفيليب الرابع ملك فرنسا فأصدر البابا قرارا بحرمان فيليب وقطعه من عضوية الكنيسة، ووجه إليه إنذارا بعزله من العرش، فعل البابا كل ذلك باعتباره ملكا للملوك، ولكن الملك لم يهتم بذلك وامتنع عن إرسال الجزية إلى روما كالمعتاد، وأرسل بعد ذلك خادمه «نوحارية» للقبض على البابا[2].

وأحدث القبض على البابا «يونيفاس الثامن» للبابوية ضربة قاصمة وجرحاً لا يلتئم أصابها في صميمها فزالت هيبتها وانحط قدرها واهتزت صورتها، ولم تكتف السلطات الفرنسية بذلك، بل عملت على الحط من قدر الباباوات في نظر الناس، والتحقير من شأنهم وساعدها على ذلك فساد القصور البابوية وتسلطهم على الناس ونهب أموالهم، والاستيلاء على ممتلكاتهم.

وكانت الضربة الأشد للبابوية بعد أن عاد البابا إلى روما الذي كان قد اتخذ أفنيون بفرنسا مقرا للبابوية بعد النفي من روما سنة (١٣٠٩هـ - ١٣٧٨م)، وفي عام ١٣٧٨م تم

(١) مواقف من تاريخ الكنيسة صـ ٨٢.

(٢) راجع: المسيحية في العصور الوسطى صـ ١٦٦، ١٦٧، تاريخ الكنيسة جـ٤/ ٣٠.

اختيار البابا (أريان السادس) للجلوس على الكرسي البابوي في رومية إلا أن الكرادلة الفرنسيين قاموا بانتخاب بابا آخر هو «أكلمندس السابع» للجلوس على الكرسي البابوي في «أفنيون» واستمر وجود اثنين من الباباوات فترة امتدت ثلاثين عاما، وترتب على ذلك انقسام في الكنيسة امتد حتى شمل بلاد أوربا الغربية بأسرها، ولعبت الخلافات السياسية والأهواء الشخصية دوراً كبيراً في اختيار الكرسي الذي تدين له بالولاء وتتبعه هذه الدولة أم تلك(١).

وفي ألمانيا حدث الصراع بين البابوية الإمبراطورية على من هو صاحب الحق في حكم البلاد، فقد كان يسوء أباطرة ألمانيا (أن ينساب الذهب في شكل أجور وهبات لكنيسة بطرس من ألمانيا إلى إيطاليا)، وكانوا يرون أن السياسة البابوية ليست إلا جهوداً تبذلها رومية اللاتينية لإعادة سيطرتها القديمة على البلاد تزدريها إيطاليا وتسميها بلاد الشمال التيوتوتية الهمجية(٢).

وقد حدث صراع بين البابا يوحنا الثاني والعشرين والإمبراطور لويس الذي كان أميراً على بافاريا بعد أن قتل موهلدورف ونصّب لويس نفسه إمبراطوراً، فأمر يوحنا أن يجرد نفسه من الألقاب والسلطات، ويمثل أمام المحكمة البابوية ليتلقى الحكم بعصيان الكنيسة فأبى لويس، وأصدر قراراً بحرمانه ١٣٢٤م وطلب إلى جميع المسيحيين في الإمبراطورية أن يخرجوا عن طاعته، وحكم بحرمان إقليم يعترف به ملكا عليه، فتجاهلت معظم ألمانيا هذه المراسيم؛ لأنهم كانوا يعدون بابوات أفنيون خدامها وحلفاء لفرنسا(٣).

---

(١) راجع: المصدر السابق ص١٧٠.

(٢) قصة الحضارة جـ١٤ / ٣٩٣.

(٣) راجع: قصة الحضارة جـ٢٢ / ٢٦١، ٢٦٢.

وهكذا فقدت البابوية سلطتها التي تمتعت بها فترة طويلة من الزمان والتي اكتسبتها عن طريق محاكم التفتيش، وتمرد الملوك والأباطرة عليها وساعدهم على ذلك أيضا ظهور حركات الإصلاح في أوربا.

وكما سجل التاريخ الصراع العنيف بين المسيحية ورجال العلم والفكر الحر، سجل أيضا الصراع الذي استمر عدة قرون بين البابوية والإمبراطورية كان النصر للبابوية في أول الأمر ثم لحقتها الهزيمة، وما لبثت أن شَمَّت أنفاسها وانتصرت ثم لحقتها الهزيمة الأخيرة التي أنهت سلطانها في كثير من بلاد أوربا التي لم يبق للبابوية منها اليوم إلا الفاتيكان، وكم من مرة حاولت البابوية إعادة سلطانها ولكنها باءت بالخسران في كل مرة، وأتى القرن الثامن عشر والكنيسة تحلم بإعادة سابق سيطرتها على العالم الأوربي، وتسعى جاهدة لاسترداد ما فقدته من سلطان على الضمائر والنفوس والقلوب، وشعر كبار الكتاب بالخطر يتهدد الإنسانية في صورة محاكم التفتيش فحمل «فولتير» و «روسو» وغيرهما حملة شعواء على رجال الدين المسيحي وتخطت حملتهم رجال الدين إلى المسيحية نفسها، فأخذوا يقوضون قيمتها، ويهدمونها بمعاول من فولاذ.[1]

خلاصة واستنتاج:

بعد هذه الدراسة حول سلطة الكنيسة الدينية والدنيوية (السياسية) يتبين أن رجال الدين النصارى يستندون فيما يدعونه من سلطة دينية على سند غير صحيح إلا أنهم استغلوه أسوأ استغلال لفرض الهيمنة الكنسية على الناس فشرعوا للناس أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، وبلغ من جرأتهم على الله أنهم حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرمه.

ودعماً لهذه السلطة الدينية كونوا الأجهزة الكنسية والتي لها الحق أيضا في السلطة

(١) راجع: أوروبا والإسلام - د/ عبد الحليم محمود، ص٢٤ المكتبة العصرية بدون تاريخ.

التشريعية والتي يزعم أصحابها أنها مؤيدة من الروح القدس؛ لذلك لا تعصى أوامرهم ويعتبرون مَنْ خرج على طاعتها متمرداً على سلطان الله الذي وَرَّثَهُ المسيح لبطرس الذي ينوب عنه في هذه الأرض.

وبناء على ذلك شرعت الكنيسة في تحديد الوظائف الكنسية والمهام المنوطة بأصحابها وتنفيذا لتعاليم بولس، فهو أول من حدد هذه الوظائف، وبعد أن انقسمت الكنيسة أصبح لكل كنيسة جهاز خاص بها، ووظائف مستقلة، ويضفون على هذه

الأجهزة صفة العالمية إلى أن تَكَوَّن مجلس الكنائس العالمي، والذي تخضع له كل الكنائس في العالم بمذاهبها وطوائفها المختلفة.

ومن منطلق هذه السلطات كان للكنيسة قانون خاص بها وبما يتصل بها في الداخل والخارج مستمِدا لمواده التشريعية من عدة مصادر منها الكتاب المقدس، وتعاليم الرسل، وآباء الكنيسة، والمجامع الكنسية، والقانون الروماني، وقانون جستنيان، وأحكام الشريعة الإسلامية في البلاد الإسلامية التي يقطنها أقلية نصرانية.

ودُرسَ القانون الكنسي في جامعات أوربا، وألغي تدريس القانون الروماني لمنافسته الشديدة للقانون الكنسي، ذلك القانون الذي لا يمت لدين الله من قريب ولا بعيد بل هو من صنع رجال الكنيسة الذين صاغوه كي يدعم سلطتهم ويقوى نفوذهم ويزيد من سيطرتهم.

إن الكنيسة كان موقفها موقف المعادى للعلم والعلماء ولكل مستنير، فعذبت العلماء وشردتهم، وكثير منهم أجبر على الكتمان والتراجع عما وَصل إليه من فكر وأبحاث، ومن لم يتراجع كان مصيره الإعدام حرقاً أو صلباً أو السجن المؤبد.

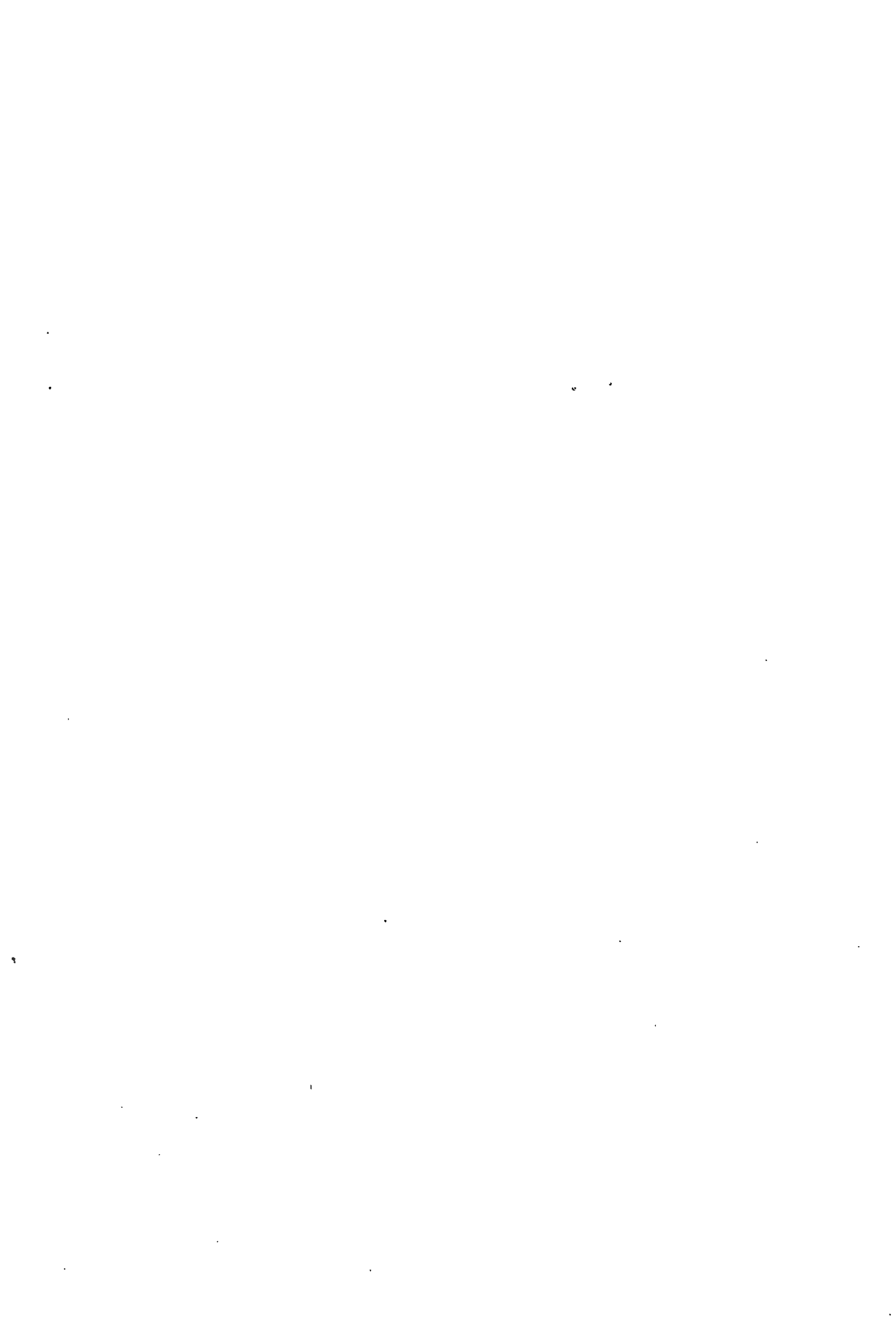
وقد اتخذت الكنيسة لتحقيق سيطرتها وسائل الحرمان ومحاكم التفتيش والتي تُعْتَبَرُ

وصمة عَارٍ في جبين الكنيسة لا يُمحَى، وإن مُحيت الكنيسة من الوجود، فقد ارتكبت تلك المحاكم أفظع الجرائم التي لم يعرف تاريخ الإنسانية لها مثيلا، والتي من آثارها ما ارتكبه النصارى الصليبيون من غارات إجرامية على العالم الإسلامي فأحرقوا كتب العلم وشردوا أهل البلاد ومن بقي مات قتيلا، فهذه امتداد لتلك.

إن هذه المحاكم لم تكن مقتصرة على النصارى فحسب، بل شملت المسلمين في بلاد الأندلس والهنود الحمر في الأمريكتين.

ولقد تمكنت الكنيسة من فرض سلطتها السياسية بجانب السلطة الدينية، فنزعوا السلطة من أيدي الأباطرة، وزاد نفوذ الباباوات، وساعدهم على ذلك عوامل كثيرة دعموا بها سلطانهم، ونموا ثرواتهم وكونوا لهم الجيوش الخاصة بهم، ودخلوا في صراع مع الأباطرة دام عدة قرون، وانتهى بضياع سلطان الباباوات في بلاد كثيرة من العالم وعادت السلطة إلى الحكام المدنيين.

وفي النهاية يمكن القول بأن الكنيسة الرومانية التي فقدت سلطانها وهيمنتها التي استمرت قرونا طويلة إلا أن الكنائس المحلية اليوم، وإن كانت تتبع مجلس الكنائس العالمي الذي يضم جميع الكنائس الشرقية والغربية على السواء، أقول: إن هذه الكنائس المحلية في كل دولة لها سلطتها الدينية الخاصة بها، ولها مواردها المالية الخاصة والتي لا تخضع لمالية الدولة وسلطتها مهما ادعى ذلك المروجون المغرضون والأدعياء.



الفصل الثالث

الانشقاق الكنسي في النصرانية

المبحث الأول: الأسباب العامة للانشقاق الكنسي.

المبحث الثاني: الفرق النصرانية القديمة ومبادئها.

المبحث الثالث: الكنائس النصرانية المعاصرة وعقائدها.



المبحث الأول

الأسباب العامة للانشقاق الكنسي

لقد انتهت المجامع الكنسية التي عقدها آباء الكنيسة بانشقاق الكنيسة إلى عدة كنائس وطوائف مختلفة في مذاهبها وعقائدها، ويمكن تلخيص أسباب الانشقاق فيما يلي:

تنقسم أسباب الانشقاق إلى أسباب دينية، وأسباب سياسية.

أولا: أسباب الانشقاق الدينية:

أ- الاختلاف في العقيدة:

[١] الاختلاف في المسيح عليه السلام والزعم بأنه ابن الله:

لقد اختلف النصارى في المسيح عليه السلام بعد رفعه؛ فمنهم من قال: إنه إله، ومنهم من قال: إنه بشر نفخ الله في مريم فكان المسيح بأمره تعالى، وأنه إنسان يطرأ عليه ما يطرأ على أي إنسان.

يقول متى في إنجيله: (أما ولادة يسوع فكانت هكذا، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجِدَتْ حبلى من الروح القدس)[١].

وأول من قال ببنوة عيسى هو بولس، بعد أن دخل في النصرانية (وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا ابن الله)[٢]، ودعا أهل رومية إلى ذلك قائلا: (بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لإنجيل الله، الذي سبق

(١) متى: ١/ ١٨.
(٢) أع: ٩/ ٢٠.

فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القدس)[١].

وقد أحدث ادعاء بنوة عيسى بن مريم لله تعالى اختلافا بين النصارى، وعقدت المجامع للاتفاق على رأى واحد إلا أنهم انتهوا إلى الزعم بأن المسيح إله؛ فكان ذلك سببا من أسباب الانشقاق فظهر فريق المؤلهين وفريق الموحدين.

[٢] القول باللاهوت والناسوت:

كان من أسباب الاختلاف أيضا اختلافهم في المسيح من ناحية القول باللاهوت والناسوت (ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلام؛ فمنهم من قال: أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، ومنهم من قال: انطبع فيه انطباع النقش في الشمع، ومنهم من قال: ظهر له ظهور الروحاني بالجسماني، ومنهم من قال: تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء، والماء اللبن)[٢].

وهم فيما ذهبوا إليه يستندون إلى ما ورد في الإنجيل، ففي إنجيل يوحنا قوله: (البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان)[٣]، وفي إنجيل متى: (هي ذا العذراء تحبل وتلد ابناً، ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره: الله معنا)[٤].

---

(١) رومية: ١/ ١ – ٤.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣٤.

(٣) يوحنا: ١/ ١-٣.

(٤) متى: ١/ ٢٣.

ومن زَعْم يوحنا في المسيح القول بالحلول والاتحاد فالإله الأب حل في الإله الابن؛ فصار يعمل بعمله، واستند إلى نص ذكره في إنجيله، قوله: (أنا والأب واحد)[١]، (إن الأب في وأنا فيه)[٢].

فاختلفوا في القول باللاهوت والناسوت، ثم اختلفوا في طبيعة المسيح: هل هي طبيعة إلاهية أم هي طبيعة ناسوتية بشرية؟ وهل له مشيئة واحدة؟ أم له مشيئتان؟ فترتب على ذلك اختلافهم في العقيدة، والذي ترتب عليه الانشقاق وظهور الفرق والمذاهب، وعُقدت من أجل ذلك المجامع إلا أنها كانت تنتهي دائمًا بالخلاف وَلَعْن المجتمعين بعضهم لبعض، كما حدث في مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م، ومجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، والقسطنطينية سنة ٦٨٠م.

وكلما اختلفوا غالوا في الدين وأدخلوا فيه ما ليس منه وابتعدوا عن التوحيد الخالص الذي جاء به المسيح عليه السلام، ومن ثم خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾[٣].

[٣] زعم ألوهية الروح القدس وانبثاقه:

اختلف النصارى في الروح القدس: هل هو إله أم لا؟ ثم انتهوا إلى أنه إله، ثم اختلفوا هل هو منبثق من الأب أم من الابن أم منهما معا؟ وانعقد لذلك مجمع أطلق عليه مجمع الروح القدس سنة ٣٨١م في القسطنطينية، وأثبتوا أن الروح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من طبيعة الأب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة[٤].

---

(١) يوحنا: ١٠/ ٣٠.

(٢) يوحنا: ١٠/ ٣٨.

(٣) سورة المائدة الآية (٧٧).

(٤) راجع: الانشقاق الكنسي ص ٤٤.

وبذلك أصبح الإله مكونا من ثلاثة أقانيم هي: الأب والابن والروح القدس، وفي عام ٨٦٩م عقد مجمع في القسطنطينية للبحث في مسألة انبثاق الروح القدس، وقرر أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معا؟ إلا أن القائلين بانبثاق الروح القدس من الأب فقط دون الابن عقدوا مجمعا سنة ٨٧٩م أقروا فيه عقيدتهم، ثم بعد ذلك انفصلت الكنيسة المسيحية إلى شقين: الأول: الكنيسة الشرقية والتي تعتقد بانبثاق الروح القدس من الأب فقط، والثاني: الكنيسة الغربية التي تعتقد بانبثاق الروح القدس من الأب والابن معاً.

يقول الشيخ / محمد أبو زهرة:

«إن كنيسة القسطنطينية ومَن والاها من بعد اعتقدوا أن الروح القدس من الأب وحده لا من الأب والابن، وكنيسة روما ومَن والاها قد اعتقدوا أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً، وعقد كل فريق مجمعاً شايع اعتقاده وتابعه فيما اقتنع به، وكان المجمع المشايع لرومية سنة ٨٦٩ م، والمشايع للأخرى بعده بعشر سنوات سنة ٨٧٩ م[١]».

[٤] تسميتهم مريم أم المسيح بأم الإله:

وهذا أيضا كان من أسباب الانشقاق الدينية التي تتصل بالعقيدة، فقد اختلفوا في مريم أُمّ المسيح فقالوا: نسميها والدة الإله[٢]، وذهب إلى القول بذلك: الأرثوذكس والكاثوليك (العاقبة والمكانية)؛ لأنها في زعمهم أم الإله وحيث يطلب من الفرع يطلب من الأصل من باب أولى؛ لأن الأصل هو مريم أنجبت الفرع الذي هو عيسى الإله في زعمهم[٣].

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٦١.

(٢) يقصدون بالإله: عيسى بن مريم الذي جعلوه ابنا لله وإلها مع الله.

(٣) راجع: هداية الحيارى ص ٢٦٠، ٢٦١ بالهامش.

وكان من المعارضين لذلك سنطور أسقف القسطنطينية، فدعا « كيرللس» أسقف الإسكندرية لعقد مجمع أفسس سنة ٤٣٢م للبحث في مسألة ألوهية مريم، وأثبت المجتمعون أن مريم العذراء والدة الله، وعارض ذلك أتباع الكنيسة الغربية الكاثوليكية؛ مما زاد في الانشقاق بين الكنائس.

يقول الإمام ابن القيم: (والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر ومغفرة الذنوب، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده الذي يعتقد عامتهم أنه زوجها ولا ينكرون ذلك عليهم سورا وسندا وذخرا وشفيعا وركنا، ويقولون في دعائهم: يا والدة الإله اشفعي لنا، وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ويسألونها ما يُسْأَلُ الإله من العافية والرزق والمغفرة)[١].

ولقد جاء في قانون الإيمان عندهم والذي أقره مجمع أفسس سنة ٤٣١م قولهم: (نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله؛ لأنك ولدت لنا مُخَلِّص العالم، أتى وخلَّص نفوسنا، والمجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح)[٢].

[٥] عبادة الصور والأيقونات والخلاف حولها:

كان من أسباب الانشقاق اختلاف النصارى حول الأيقونات والصور، فكان منهم من يقدسها ويعظمها، ومنهم من رفض عبادتها وتقديسها، والذي أظهر هذا الخلاف اتصال النصارى بالمسلمين بعد انتشار الإسلام؛ مما كان له الأثر الأكبر في تصحيح عبادة الناس في هذه البلاد.

(١) هداية الحيارى ص ٢٦١.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ١٤٢.

وقد أدرك الإمبراطور «ليو الثالث» أن عبادة الأصنام والخزعبلات أصبحت من أهم عوامل الشقاء السائد في الإمبراطوريتين الشرقية والغربية، فأخذ على عاتقه أن يستأصل الشر فأصدر سنة ٧٢٦م، مرسومه الأول ضد عبادة التماثيل، وأردف ذلك بحملة لتحطيم التماثيل بالقوة، واضطهاد كل من يتمسك بها؛ فأثار بذلك نزاعاً استمر أكثر من قرن، ولقد ثار في وجه «ليو» جميع الكهنة والرهبان تقريبا[١].

وعقد «قسطنطين بن ليو الثالث» مجمعاً سنة ٧٥٣-٧٥٤م للنظر في الصور والتماثيل ووجوب تحطيمها، واستمرت جلسات المجمع ستة أشهر وخرجت قراراته على النحو التالي:

١- عبادة الصور هي إفساد للمسيحية وتجديد للوثنية.

٢- تحريم تصوير المسيح في أي شكل من الأشكال.

٣- كل الرموز المرئية إلا في القربان المقدس تعتبر إلحاداً أو هرطقة[٢].

وبعد فترة جاء مجمع نيقية الثاني فأبطل قرارات هذا المجمع، وأثبت أن عبادة الهياكل والصور الدينية تتفق مع الكتاب المقدس ويجب أن تكرم، ويُسجد لها تكريماً واحتراماً.

ثم عقد مجمع فرانكفورت سنة ٧٩٤م، لتحطيم عبادة الصور والتماثيل، وردًا على قرارات المجمع النيقاوي الثاني بهذا الشأن وإبطال قراراته، ثم انعقد مجامع لتحريم عبادة الصور وأخرى لتحليلها، وكل مجمع يلعن أتباعه الآخرين

---

(١) راجع: الانشقاق الكنسي ص ١٢١.

(٢) راجع: يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٣٧.

ويبطل قراراتهم مما ترتب عليه الانشقاق بين الكنائس الشرقية والغربية، بل بين أتباع الكنيسة الواحدة.

الاختلافات الدينية في جانب التشريع:

يمكن تلخيص هذه الأسباب فيما يلي:

١- اختلافهم في مسألة الختان.

٢- اختلافهم حول التعميد.

٣- اختلافهم في حكم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر.

أما عن مسألة الختان فقد عُقد لها المجمع الأول في أورشليم لبحثها، فقد كان الختان مباحا في شريعة موسى وعلى عهد عيسى، إلا أن بولس حرمه من أجل اعتناق الوثنيين للنصرانية؛ استمالة لهم، ومن أجل كسبهم أنصاراً للدين الجديد (فعندما سمع بولس بتضرر الوثنيين من الختان ألغى هذه الشريعة بكل بساطة وأنكر كونها شريعة إلهية)[1].

وكان تحريم بولس للختان له الأثر الواضح في الانشقاق الكنسي؛ إذ أن هذا المجمع قد سَنَّ سُنَّةَ التحريف والتغيير في النصرانية وسنةَ جمع المجامع لدراسة ما يتعلق بالديانة النصرانية[2].

أما فيما يتعلق بالتعميد للهراطقة الراجعين إلى الكنيسة بعد خروجهم عنها فقد أحدث ذلك اختلافا بين الكنائس وظل الخلاف قائما بين الكنائس في تعميد الهراطقة المنشقين على كنائسهم، فكنائس آسيا الصغرى، وكيليكية، وغلاطية وسوريا ومصر،

---

(١) الله واحد أم ثالوث - محمد مجدي سرحان ص ٨٦، وما بعدها.

(٢) المجامع المسيحية ص ١١٠.

وأفريقيا كانوا يعمدون الراجعين إليهم غير أن كنائس رومية والكنائس الغربية لم تكن تعمد الراجعين إليها[١].

أما فيما يتعلق بحكم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر فإن شريعة التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام واتبعها عيسى عليه السلام جاءت بتحريمها، ففي شأن الخنزير جاء في سفر اللاويين (والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر، فهو نجس لكم من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا إنها نجسة لكم)[٢].

وفي قاموس الكتاب المقدس: والخنزير من الحيوانات النجسة؛ وذلك لأنه قذر وهو لا يجتر طعامه وَيُوَلِّد لحمه بعض الأمراض إذا لم ينضج عند طبخه، وكان محرما على العرب تربيته، وقد حرم القرآن أكله كما حرمتها التوراة، وقد حسبه الفينيقيون والأثيوبيون والمصريون نجساً، مع أنهم في مصر كانوا يقدمون خنزيرا ذبيحة في العيد السنوي لإله العمر ولأزوريس (باخوس)، أما عند اليهود فكان لحم الخنزير محرما لقذارته)[٣].

أما بشأن شرب الخمر فقد جاءت النصوص في العهد القديم بتحريمه[٤]، وجاء في قاموس الكتاب المقدس: (وقد أعلن الكتاب المقدس أن شرب الخمر غباوة، وقد اتخذت في العهد القديم احتياطيات كثيرة لوقاية الناس من الإفراط في شربها كمزجها بالماء، وقد نهى الكتاب عن السكر والخمر وعلم أن السكر بها خطيئة)[٥].

وبالرغم من وجود هذه النصوص وغيرها بشأن تحريم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر إلا أن بولس وبطرس اتفقا في المجمع الأورشليمي على تحليلها، مما ترتب عليه

---

(١) راجع: الانشقاق الكنسي ص ٦٠.

(٢) اللاويين: ١١/ ٧ – ٨.

(٣) ص ٣٥٠.

(٤) راجع: أشيعاء ٥/ ١١–١٢، أفسس: ٥/ ١٨، اكو: ٥ / ١١، رسالة بطرس الأولى: ٤/ ٣.

(٥) ص ٣٤٧.

حدوث الخلاف بين النصارى، ولم تلتزم الأمم بقرارات المجمع؛ فلقد كان الموقف حساسا للغاية بين أهل الختان حيث كان حماسهم للناموس القديم، وثقل عليهم أن يتخلوا نهائيا وللحال عن ظقوسهم التي تشبعوا بها وقتاً طويلاً، وحدثت البلبلة في كثير من البلاد مما جعل بولس يكتب رسائله إلى أهل هذه البلاد لنشر دعوته، ولم يكن الخلاف وعدم الالتزام من الأمم فقط بل إن الخلاف وقع من أول الأمر بين بولس وبرنابا حتى فارق أحدهما الآخر[1].

وترتب على ما ذهب إليه محللو لحم الخنزير وشرب الخمر بداية ظهور الخلاف بين النصارى، والذي كان بمثابة البذرة التي بذرت لتنتج ما جاء بعد ذلك من خلاف وشقاق.

وحول سؤال عن سبب الانشقاق الحاصل في الكنيسة المسيحية ولماذا تنقسم المسيحية إلى طوائف؟ يقول صاحب كتاب: «سؤال وجواب»: بالنسبة للطوائف التي نراها اليوم والاختلافات فيما بينها فإنها ترجع إلى الاختلاف حول تفسير الكتاب المقدس؛ إذ ترى كل فئة أن تفسيرها أو وجهة نظرها هي أكثر صحة من الأخرى، كما أن هناك بعض اختلافات بين بعض الفئات بالنسبة للأمور الطقسية والتقليدية[2].

ثانيا: أسباب الانشقاق السياسية:

أما عن أسباب الانشقاق السياسية فيمكن تلخيصها في نقاط محدودة وبإيجاز؛ وذلك لسبق الحديث عنها في الفصل السابق عند الحديث عن سلطة الكنيسة الدينية والسياسية وبيان الصراع الذي حدث بين الكنيسة والعلماء وحرص الباباوات على العمل لازدياد نفوذهم ومن هذه الأسباب:

---

(١) المجامع المسيحية ص ١٠٨، ١٠٩ بتصرف.

(٢) سؤال وجواب، صدر عن المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط ص ٧٤، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

١- سيطرة حكام الرومان واضطهادهم للنصارى وللنصرانية، فلقد لقي النصارى أنواعاً كثيرة من الاضطهاد في فترة الأربعة قرون الأولى وكان من أشهر الاضطهادات ما وقع في عهد نيرون (٥٤-٦٨م)، ودومتيانوس، وتراجان، وإدريانوس، وماركوس أويليوس وسيتموس سفيروس وكاراكلا ومكيميانوس، وديسيوس، وفاليريان، ودقلديانوس وغاليروس، وقلسيمان.

٢- حب الباباوات للسلطة والرياسة ودعم ذلك بالسيطرة المالية.

٣- التنازع على الكراسي البابوية، والصراع بين الكنيسة والدولة.

٤- فساد رجال الدين وأكثرية بابوات الغرب، فقد ارتكبوا كل الجرائم التي يندى لها جبين الرجل العادي فضلا عن رجال الدين أهل التوجيه والإرشاد، منها على سبيل المثال لا الحصر: اتخاذ الأخدان والقتل والتعامل بالربا وأخذ الرشوة ونهب الأموال وجمعها من كل طريق مشروع وغير مشروع.... إلخ.

٥- الحروب الصليبية التي وجهت إلى الشرق الإسلامي[١].

❁❁❁❁❁❁❁❁

(١) يمكن الرجوع إلى رسالة الانشقاق الكنسي للوقوف على المزيد من المعرفة حول هذه الأسباب من ص ٣٧-٧٦.

المبحث الثاني

الفرق النصرانية القديمة ومبادئها

ترتب على الانشقاق الذي كان ملازماً للنصرانية منذ العصر الأول لها إلى يومنا هذا أن ظهرت فِرق وطوائف شتى في النصرانية في القديم والحديث، لكل منها عقيدتها ومبادئها التي تخالف بها الأخرى، وفي هذه النقطة من هذا البحث يدور الحديث حول هذه الفرق إن شاء الله تعالى على سبيل الإيجاز.

تعريف الفرقة والطائفة:

التعريف اللغوي: جاء في لسان العرب: والفِرْقَةُ: طائفة من الناس، والفريق أكثر منه، والفِرْقُ والفِرْقَةُ والفَريقُ: الطائفةُ من الشيء المُتَفَرق، وأَفْرَاقُ جَمْعُ فِرْق، وفرق جمع فِرْقةٍ[1]، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾[2].

وفي الاصطلاح: طائفة أو مجموعة من الناس تكون لهم آراء خاصة معينة، ولها مؤسس يكون أول من يبتدع تلك الآراء ثم يتبعه أناس على ذلك، وقد يوافقون مخاليفهم وقد يكفرونهم ويقاتلونهم ويستحلون دمائهم[3].

وفي الحديث الشريف عن عوف بن مالك الأشجعي أن النبي ﷺ قال: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة والذي نفسي بيده**

---

(١) لسان العرب جـ٥/ ٣٣٩٨، باب الفاء فصل الراء.

(٢) سورة التوبة: من الآية (١٢٢).

(٣) دراسة لبعض ما صح من الأحاديث في التحذير من تفرق الأمة ص ٣ نقلا عن الانشقاق الكنسي ص ١٣٣.

لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: الجماعة»[1].

تقسيم الفِرَق:

تنقسم الفرق النصرانية إلى فرق قديمة وفرق حديثة معاصرة، ثم إن الفرق القديمة تنقسم إلى فرق موحدة وفرق مؤلهة ومثلثة، فالفرق الموحدة هي التي ظهرت في عصر التوحيد والذي يبتدئ من زمن المسيح إلى الزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية الأول ٣٢٥م أو ما ولي ذلك بقليل.

وأما الفرق المؤلهة فعصرها يبتدئ بعد مجمع نيقية، وبعد تسلط أباطرة الرومان على النصارى والنصرانية وطمسهم لنور التوحيد لدى المسيحيين ومنعهم الموحدين من نشر دعايتهم.

أ- الفرق القديمة الموحدة:

ومن أهم الفرق الداعية إلى نور التوحيد وبشرية عيسى عليه السلام، فرقة الآبيونية والشمشاطية، والآريوسية، وفيما يلي تعريف مختصر لكل منها:

[١] فرقة الأبيونية:

وهم أتباع «أبيون» وترى هذه الفرقة أن عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه التوراة، وتقر بجميع شرائع التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام، وتنكر ألوهية عيسى وتعتقد أنه مجرد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة إنجيل

---

(١) سنن ابن ماجه جـ٢/ ١٣٢٢ كتاب الفتن، باب افتراق الأمم حديث رقم ٣٩٩٢ ط. عيسى الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (م ٨ الكنيسة).

خاص بها مدون باللغة الآرامية يتضمن تفصيل ما تؤمن به من عقائد، وقد ظلت موجودة حتى أواخر القرن الرابع الميلادي[١].

[٢] فرقة الشمشاطية:

وهم أتباع «بولس الشمشاطي» وكان أسقف أنطاكيا عام ٣٦٠م، وهم من الموحدين، ويرون أن المسيح بشر رسول وأنه عبد لله، خلقه الله في بطن مريم بدون أب وتنكر ألوهيته، ويقول عنهم الإمام ابن حزم: (ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي، وكان بطريكا بأنطاكيا قبل ظهور النصرانية، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد لله ورسول كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه، وكان يقول: لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس)[٢].

وإذا كان بولس يقول: لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس كما ذكر الإمام ابن حزم فإنه يلفتنا إلى محك الخلاف بين الموحدين والمؤلهين حول الكلمة والروح القدس، فيقول الشيخ أبو زهرة: (ويظهر من هذا أن هاتين الكلمتين كانتا المثار الذي يثير منه أنصار ألوهية المسيح الشبهات حول التوحيد ليلقوا الريب في نفوس معتنقيه، فإذا استولى الريب عليهم ألقوا أمانيهم، ووجدوا من الحيرة والاضطراب ما يتخذونه ذريعة إلى ما يريدون)[٣].

ويذكر ابن البطريق عن بولس الشمشاطي ما يتفق مع قول الإمام ابن حزم، فيقول في بيان مذهبه: (إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا

---

(١) راجع: الأسفار المقدسة ص ١٢٤.

(٢) الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٧.

(٣) محاضرات في النصرانية ص ١٥١.

في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم (أي أنه محدث وليس قديماً)، ويقولون: إن لله جوهر واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أي الابن) ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية وهم البوليقانيون)[١].

[٣] فرقة الآريوسية:

الآريوسيون هم أتباع «آريوس» أسقف الإسكندرية، وكان داعيا لمذهب التوحيد، على الرغم من أن كنيسته كانت تزعم القول بألوهية المسيح، إلا أنه كان يواجه أصحاب عقيدة ألوهية عيسى بالحجة والبرهان، وكان قوي التأثير واضح الحجة فيما يدعو إليه، وانتشر مذهبهم في فلسطين وأسيوط والإسكندرية ومقدونية والقسطنطينية، وعلى الرغم من محاربة كنيسة الإسكندرية لمذهبه إلا أن أكثر أتباعه وأقواهم بما يعتقدون كانوا في الإسكندرية.

وظهر آريوس في بداية القرن الرابع الميلادي، وكان ينادي بأن المسيح ليس إلَهًا ولا ابنَ إلهٍ إنما هو بشر مخلوق، وفي بيان مذهبه يقول الإمام ابن حزم: (وكان قسيساً بالإسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى بها خلق السماوات والأرض)[٢].

وانتشر هذا المذهب وكثر أتباعه (وكان منهم أصحاب مقدنيوس وكان بطريركاً في القسطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين بن قسطنطين، باني القسطنطينية، وكان هذا الملك آريوسيا كأبيه، وكان من قوم مقدونيوس، هذا التوحيد المجرد، وأن عيسى عبد مخلوق، إنسان نبي، رسول الله كسائر

(١) راجع: الأسفار المقدسة ص ١٣٤-، وراجع: محاضرات في النصرانية ص ١٥١.

(٢) الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٧-، وراجع: الأسفار المقدسة ص ١٢٥.

الأنبياء عليهم السلام، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله عز وجل، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان، خلق الله كل ذلك[١].

وكانت عقيدة الوحدانية، وأن عيسى عبد الله ورسوله هي العقيدة السائدة عند جمهور النصارى في القرون الثلاثة الأولى وبداية القرن الرابع، ولم يكن لدى أعدائهم القوة لمحاربتهم إلى أن جاء مجمع نيقية بعد قرون إلا أنه اليوم لا وجود له بين النصارى.

ويذكر الإمام ابن القيم أن النجاشي كان على مذهب الموحدين فيقول: وقالت «الآريوسية» وهم أتباع آريوس: (إن المسيح عبد الله كسائر الأنبياء، وهو مربوب مخلوق مصنوع، وكان النجاشي على هذا المذهب، وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة، وفعلوا به ما يفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب)[٢].

ب- الفرق القديمة الوثنية (فرق التعدد):

ومن أهم الفرق التي مالت إلى التعدد والشرك فرقة المرقونية، والبربرانية والألبانية وفيما يلي تعريف مختصر بكل منها:

[١] فرقة المرقونية:

المرقونيون: هم أتباع «مرقيون» وكان قسيساً، ثم حُكم عليه بالطرد والحرمان، وهم يعتقدون أن هناك آلهة ثلاثة: صالحاً، وطالحا، وعدلاً بينهم، ولعل هذه النحلة من آثار المجوس؛ لأنهم يقولون بإله الخير وبإله الشر[٣].

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) هداية الحيارى ٣١٠، ٣١١.

(٣) محاضرات في النصرانية ص١٥٣ بتصرف.

الإله الأول: الإله العادي، ويدعى الإله «ديمبرج» ومعناه الخالق والمهندس، وهو الإله الذي يعبده بنو إسرائيل واتخذهم شعباً مختاراً، وأنزل التوراة عليهم، وظل سلطانهم قائماً حتى ظهر الإله الثاني فأبطل أعمالهم وانتهى سلطانه.

الإله الثاني: إله الخير الذي ظهر في شخص المسيح وخلص البشرية من الخطايا، وهم لا يعترفون بالتوراة ولا بمعظم أسفار العهد الجديد، ولا يعترفون إلا بإنجيل لوقا ورسائل بولس بعد إدخال تعديلات عليها تتفق مع آرائهم ومعتقداتهم، ومن مبادئهم: تحريم الزواج تحريماً قاطعاً على جميع أتباعها، ويوجبون على من ينضم إليهم من أتباع جدد أن يطلق زوجته إن كان متزوجا، وإلا لا يمكن قبوله ولا تعميده[١].

ويذكر ابن البطريق أن أصحاب هذه النحلة (زعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين وأنكروا بطرس)[٢].

وقد حاربت الكنيسة هذه الفرق حرباً شعواء، وعلى الرغم من ذلك فقد انتشر هذا المذهب وتبعه خلق كثير في إيطاليا وأفريقيا ومصر، وكان لهم شأن حتى منتصف القرن الثالث، ثم أخذ أمرها يضمحل وأتباعها يتناقصون، إلى القرن العاشر الميلادي ثم انقرضوا[٣].

[٢] فرقة البربرانية:

وأتباع هذه الفرقة: يقولون إن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل[٤]،

(١) الأسفار المقدسة ص ١٢١، ١٢٢ بإيجاز.

(٢) محاضرات في النصرانية ص ١٥٣.

(٣) راجع: الأسفار المقدسة ص ١٢٢.

(٤) الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٧.

ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالت كلماته في قوله تعالى مبينا ما يكون بينه سبحانه وتعالى وبين عيسى عليه السلام يوم القيامة، من قوله له: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1].

ورد عليهم سبحانه في السورة بقوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾[2].

ويبدو من ذكر القرآن لآراء هذه الفرقة أنه كان لا يزال لمذهبها أتباع على عهد الرسول ﷺ في القرن السابع الميلادي.

ويذكر الإمام ابن حزم أن هذه الفرق قد بادت[3] وأصبح ليس لها وجود إلا أنه قد تركت هذه الفرق آثارا عقائدية كان لها أكبر الأثر على معتقدات النصارى في كثير من مذاهبهم فيما يتصل بالطقوس والأعياد وبخاصة في عيد السيدة مريم.

(١) سورة المائدة الآيات (١١٦ :١١٨).

(٢) سورة المائدة: الآية (٧٥).

(٣) راجع: الفصل في الملل والنحل جـ١ / ٤٨.

[٣] فرقة الأليانية:

وهذه الفرقة تؤله المسيح وتقرر أنه ابن الله إلا أن لها تصوراً خاصًا حول هذه العقيدة وعقيدة الصلب؛ فهم يرون أن الصلب والآلام إنما وقع في العين كالخيال والصور في المرآة، وأن الكلمة لم تستغرق أكثر من لحظات، فهي مرت في بطن مريم كما يمر الماء بالميزراب، دخلت من أدناها وخرجت من محل خروج الولد من ساعته.

ويوضح الإمام الشهرستاني عقيدتهم بقوله عنهم: (إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئاً لكنها مرت بها كالماء بالميزراب، وما ظهر بها من شخص المسيح عليه السلام في الأعين فهو كالخيال والصورة في المرآة، وإلا فما كان جسما متجسما كثيفا في الحقيقة، وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والحسبان)، وهؤلاء يقال لهم: الأليانية، وهم قوم بالشام واليمن وأرمنية قالوا: وإنما صُلب الإله من أجلنا حتى يخلصنا، وزعم بعضهم: أن الكلمة كانت تدخل جسم المسيح عليه السلام أحيانا، فتصدر عنه الآيات من: إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وتُفارقه في بعض الأوقات فترد عليه الآلام والأوجاع[١].

ويؤخذ من قول الشهرستاني أن هذه الفرقة كانت تقول بأن المسيح ابن الله وأنه ذو طبيعتين؛ أحدهما بشرية وهي التي وقع عليها الصلب والتعذيب، والأخرى طبيعة إلهية وهي التي أحيا بها الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص.

جـ - الفرق القديمة في عهد التثليث:

ويقصد بهذه الفرق التي ظهرت في عهد التثليث، والذي بدأ بعد كمال قانون الإيمان،

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٤٢ بتصرف، وراجع: محاضرات في النصرانية ص ١٥٢.

وهم من يقولون بأن الله ثالث ثلاثة، الأب، الابن، وروح القدس، وهذه الفرق تتفق على ألوهية المسيح، إلا أنهم يختلفون في طبيعته؛ هل هي بشرية وإلهية؟ أو هي إلهية فقط؟ وما هي كيفية الاتصال بينهما؟ وعن مشيئة المسيح هل هي مشيئتان أم واحدة؟

ويحدد الإمام الشهرستاني مناطق الخلاف بين هذه الفرق في أمرين:

الأول: كيفية نزوله واتصاله بأمه، وتجسد[1] الكلمة.

الثاني: كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة.

أما التجسد فلهم في كيفيته وكذلك الاتحاد كلام: فمنهم من قال: أشرق على الجسد إشراق النور على الجسد المشف، ومنهم من قال: انطبع فيه انطباع النقش في الشمع، ومنهم من قال: ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني، ومنهم من قال: تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء اللبن.

وقالوا في الصعود: إنه قتل وصلب، قتله اليهود حسداً وبغياً وإنكاراً لنبوته ودرجته، ولكن القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي، وإنما ورد على الجزء الناسوتي؟

ولهم في النزول اختلاف، فبعضهم يرى أنه سينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام، وبعضهم يرى أنه لن ينزل إلا يوم الحساب؛ لأنه بعد أن قُتل وصلب نزل ورآه شمعون الصفا وتحدث إليه وأوصاه ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء().

فهذه الفرق المثلثة اتفقت في عقيدة إلوهية المسيح واختلفوا في غيرها من العقائد، ومن هذه الفرق:

---

(١) يقصدون بالتجسد: تجسد الله، ويعنون به الكلمة التي اتصلت بجسد عيسى.

[١] فرقة الملكانية:

أما عن سبب تسمية هذه الفرقة بالملكانية فيقول الإمام الشهرستاني: «إنها سميت بالملكانية نسبة إلى «ملكا» الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية[١].

ويقول الإمام ابن حزم: هي مذهب جميع ملوك النصارى، ومذهب عامة أهل كل مملكة النصارى، ومذهب جميع نصارى أفريقية وصقلية والأندلس، وجمهور الشام[٢]، وقال بهذا الإمام ابن القيم[٣].

آراؤهــــم:

١- يقولون بأقنوم العلم، ويعتبرونه الكلمة التي اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته، وهم يقولون باللاهوت والناسوت، وأن الروح القدس يعنون به أقنوم الحياة ويقولون عن الاتحاد: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما تمازج الخمر اللبن أو اللبن الماء.

٢- قالوا: إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي، وهو قديم أزلي، من قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلها أزليا، والقتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معاً، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل، وعلى المسيح.

٣- وقالوا: إن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أقانيم: أب، وابن، وروح القدس

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٦ بتصرف.

(٢) الفصل في الملل والنحل جـ٢/ ٤٨.

(٣) راجع: هداية الحيارى ص ٣٠٩.

وكلها لم تزل، وأن عيسى عليه السلام إله تامّ كله وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت إلهاً وإنساناً، وأنهما معاً شيء واحد ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهؤلاء هم الذين أخبر الله تعالى عنهم في القران الكريم بقولة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[1].

٤- تؤمن هذه الفرقة بالقيامة وبحشر الأبدان، ومنهم من قال بحشر الأرواح دون الأبدان، وأن عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن وجهل، وعاقبة الأخيار سرور وفرح، وأنكروا أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب.

٥- ومن مبادئهم التشريعية أنهم لا يختنون، وربما أكل بعضهم الميتة، وممن اعتنق مذهبهم: «الروم، والفرنجة ومن والاهم»[2].

هذا المذهب تمثله في هذا الزمان الكنيسة الكاثوليكية الغربية فهذه امتداد لتلك، وأضافت إلى هذه التعاليم: عصمة البابا، والعشاء الرباني، وصكوك الغفران وغيرها.

---

(١) سورة المائدة: الآيتان (٧٢، ٧٣).

(٢) راجع في ذلك: الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣٦، الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٨، هداية الحيارى ص٣٠٩، الانشقاق الكنسي ص ١٤١.

[٢] فرقة النسطورية:

وهم ينتسبون إلى «سنطور» ويذكر الإمام الشهرستاني أنه ظهر أيام المأمون[١]، وهذا غير مستقيم؛ لأن سنطور كان بطريركاً للقسطنطينية سنة ٤٢٨م، وقد انعقد مجمع أفسس الثالث سنة ٤٣١م للحكم على أفكاره وآرائه فحكم بتكفيره وتحريم كتبه[٢].

مذهبه وعقيدته:

وأما عن المذهب فيقول سنطور: (إن مريم لم تلد إلهاً، بل ما يولد من الجسد إلا الجسد، وما يولد من الروح هو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنساناً هو إله للاهوت[٣] وأن الله تعالى لم يلد الإنسان، وإنما ولد الإله، تعالى الله عن كفرهم[٤].

وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثاني وهو الابن لم يتجسد ولم تلده مريم، بل إن مريم ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني، وهذا الاتحاد مجازى وليس حقيقيا، فهو بمنزلة الابن[٥].

وهم يقولون: إن القتل والصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تحله الآلام[٦].

---

(١) راجع: الملل والنحل ص ٢٣٩.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ١٦٠، والفصل جـ١/ ٤٨.

(٣) تاريخ الأقباط جـ١/ ١٦٠.

(٤) راجع: الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٨.

(٥) راجع: محاضرات في النصرانية ص ١٥٧.

(٦) راجع: الملل والنحل ص ٢٤٠.

ومن أتباع سنطور من يقول: بأن للمسيح شخصين وطبيعتين لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لها إرادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصانا ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بذلك إلهاً وإنساناً، فهو الإله بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان[١].

وهذه الفرقة يوجد لها أتباعها في الموصل والعراق وفارس وخراسان[٢]، ولا يزال يوجد بعضهم إلى اليوم في جبل سنجار في حدود إيران وفي مليار بالهند ولهم كنائس في تلك الجهات تؤمن بالعقيدة النسطورية، يقول جاد المنفلوطي: (واصلت الكنيسة النسطورية التقدم والانتشار وحازت شهرة كبيرة في خلال هذه الفترة من العصور الوسطى)، وفي القرن الثالث عشر الميلادي، كان هناك سبعون أبرشية خاضعة للبطريق النسطوري، وهذه الأبرشيات كانت تضم جموعاً غفيرة من المسيحيين المنتشرين بين إدسا في سوريا وبكين في بلاد الصين، ومن سيبريا في روسيا حتى جنوب بلاد الهند، لكن بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر خسرت الكنيسة النسطورية الكثير من مناطق نفوذها بسبب هجمات المغول، ومنذ ذلك الحين لم تتمكن تلك الكنيسة من استعواض خسائرها ولا زالت في بلاد الفرس وإيران وسوريا بعض الكنائس النسطورية[٣].

وهم يلتزمون بتقاليد دينية مما يلتزم به عند غيرهم من الكنسيين، وليس عندهم تقاليد إلا أن أساقفتهم يلتزمون التبتل، والامتناع عن الزواج، وذلك منذ سنة ١٨٣٠م[٤].

---

(١) هداية الحيارى ص ٣١٠، النصيحة الإيمانية ص ٦٠.

(٢) الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٨.

(٣) المسيحية في العصور الوسطى ص ١٥٥، ١٥٦.

(٤) راجع: محاضرات في النصرانية ص ١٥٩.

[٣] فرقة اليعقوبية:

وهم ينسبون إلى يعقوب «البرذعاني» الذي كان راهباً بالقسطنطينية[١]، ويقول الإمام ابن القيم: (هم أتباع يعقوب البرادعي، وَلُقِّبَ بذلك لأن لباسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها، ولم يكن يعقوب هو مؤسس هذه الفرقة، وإنما نسبت إليه؛ لأنه كان من أنشطها)[٢].

وكان ظهور هذه الفرقة بعد المجمع القسطنطيني الثاني سنة ٥٥٣م، الذي قرر مذهب الطبيعة الواحدة سبباً في تشجيعهم على إقامة كنيسة منفصلة تعرف باسم الكنيسة اليعقوبية[٣].

أتباع اليعقوبية:

انتشرت اليعقوبية في بلاد كثيرة؛ وذلك لنشاط الداعي إليها وهو يعقوب البرادعي، فقد كان داعية قوي الشكيمة قوي العارضة بليغ الأثر، وأخذ يجول في البلاد الرومانية إلى مصر، يدعو الناس إلى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية ويبث ذلك المذهب في نفوسهم ويدخله في قلوبهم، وسلك في سبيل ذلك المخاطرة والجرأة، ولا يأبه لقوة مهما تكن ولا لذي خطر مهما يكن شأنه[٤].

وانتشر هذا المذهب في بلاد النوبة والحبشة وفي سوريا وبلاد الشام، وتطلق على كنيستهم الكنيسة (السريانية) أو العاقبة، ومذهبها هو مذهب كنيسة الأقباط في مصر.

---

(١) الفصل جـ١/ ٤٨.

(٢) هداية الحيارى ص ٣٠٨.

(٣) راجع: يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٣٤.

(٤) راجع: محاضرات في النصرانية ص ١٤٠.

وإن كانت كنيسة الأقباط: سابقة على هذا المذهب؛ لأن مذهبها نشأ قبل المذهب اليعقوبي، وأصبح مذهبا جديدا في المسيحية[١].

عقائد الكنيسة اليعقوبية:

١- يقولون بالأقانيم الثلاثة، وأن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده، ومنهم من يقول: (إن المسيح هو الله، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي حكم الصفة، بل صار هو هو، وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر بصورة حيوان)[٢].

٢- يقولون إن للمسيح طبيعتين؛ لاهوتية وناسوتية اتحدتا في طبيعة واحدة فصار إلها واحداً وإنساناً واحداً، وهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين.

٣- يقولون: إن مريم ولدت الله عز وجل وأنه تألم وصلب متجسداً ودقت المسامير في يديه ورجليه ومات، ودفن وقام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء[٣].

وقالوا: إن القتل والصلب وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين، وقالوا: لو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد[٤].

---

(١) المجامع المسيحية ص ٢٨٢ بتصرف.

(٢) الملل والنحل ص ٢٤١.

(٣) النصيحة الإيمانية ص ٥٩.

(٤) الملل والنحل ص ٢٤٢.

وبعد: فهذه هي الفرق الثلاثة القديمة النصرانية التي قالت بالتثليث، وقد لعبت دوراً رئيسياً في تشكيل العقيدة المسيحية على مر التاريخ، إلا أن أسماءها لم تعد باقية إلى اليوم وإن كانت آراؤها هي التي تحكم الفرق الموجودة في هذه الأيام مثل الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت.

✡✡✡✡✡✡✡✡

المبحث الثالث

الكنائـس النـصـرانية المعـاصرة وعقائدها

يوجد في النصرانية المعاصرة ثلاث كنائس وهي:

[١] كنيسة الأرثوذكس.

[٢] كنيسة الكاثوليك.

[٣] كنيسة البروتستانت.

ويدور الحديث في هذا المبحث ـ إن شاء الله ـ عن هذه الكنائس والمذاهب التي انشقت عنها وبيان عقائدها.

أولا: الكنيسة الأرثوذكسية وعقائدها:

الأرثوذكس معناها: «الدين القويم»؛ لأنها مأخوذة من كلمة يونانية معناها: الحق القويم أو المذهب المستقيم، ولهذا عرفت الكنيسة الأرثوذكسية بأنها الكنيسة القاطعة كلمة الحق باستقامته المقدسة التي لا عيب فيها ولا دنس[(١)].

وتعرف الكنيسة الأرثوذكسية بكنيسة الروم الأرثوذكس الشرقية أو اليونانية؛ لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا، والبلقان واليونان وكان مقرها الأصلي القسطنطينية[(٢)].

وظهرت هذه الكنيسة بعد مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩م الذي قرر أن الروح

(١) النصرانية، دراسة مقارنة ص ١٩٢.

(٢) المسيحية ص ٢٣٨.

القدس انبثق من الأب ورفض قرارات مجمع القسطنطينية الذي سبق انعقاده عام ٨٦٩ م والذي تقرر فيه أن الروح القدس منبثق من الأب والابن، وقد أعقب ذلك أن انسلخت كنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الأم، أطلقت الكنيسة اليونانية على نفسها كنيسة الروم الأرثوذكس وهي لا تعترف لبابا روما بالسيادة.

عقائد كنيسة الأرثوذكس:

تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، هم الأب، الابن، الروح القدس، وأن هذه الأقانيم الإلهية هم طبيعة واحدة، وذات واحدة، وجوهر واحد، وقد دعا الأقنوم الأول أباً ووالداً، ودعا الأقنوم الثاني ابناً أو مولوداً، وليس المقصود بالولادة هنا خروج كائن من كائن أو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود، وإنما المقصود بها أن الأقنوم الأول هو بمثابة ينبوع أعطى الأقنوم الصادر عنه طبيعته وجوهره كله.

وقد دعا الأقنوم الثالث الروح القدس، ليس لأن بينه وبين الأقنومين الآخرين تمييزاً في روحانية الجوهر، فهم متساوون في ذلك، والروح القدس ـ وإن كانت له طبيعة الأب وجوهره كالابن ـ إلا أنه لم يدع ابناً أو مولوداً، بل يقال له روح منبثق؛ أي صادر عن الأب، وهذا سر من أسرار اللاهوت الغامضة التي لا يمكن إدراك كنهها بالعقل البشرى، وإنما ينبغي أن نؤمن بها كما وردت في الأناجيل[1].

كما تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأن الروح القدس منبثق من الأب فقط على نحو ما جاء في قرار المجمع القسطنطيني الأول عام ٣٨١م، وتعتقد أن للمسيح بعد التجسد طبيعتين؛ إلهية وإنسانية اتحدتا فيه بلا امتزاج ولا انفصال وألفتا أقنوماً واحداً هو يسوع المسيح الإله المتأنس.

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٤٠، ٢٤١ وما بعدها بإيجاز.

وتعتقد أن تفسير الكتاب المقدس من اختصاصات معلمي الكنيسة ورجالها دون غيرهم، وتعتقد بتكريم الصور والأيقونات التي هي للمسيح والقديسين، ووجوب السجود لها، ولا تقول بعصمة البابا وتعترف بأسرار الكنيسة السبعة(١).

الكنائس المنشقة عن الكنيسة الأرثوذكسية:

لقد انشقت عن الكنيسة الأرثوذكسية عدة طوائف، وصار لكل منها مذهبها وكنيستها، وهذه الطوائف هي طائفة الأقباط الأرثوذكس، وطائفة العاقبة الأرثوذكس، والنسطورية والأقباط الأرثوذكس، والأرمن، والمارونية، وقد سبق الحديث عن العاقبة والنسطورية، ويأتي الحديث عن الطوائف الباقية.

[١] كنيسة الأقباط الأرثوذكس:

وكلمه الأقباط: تعنى المصريين، وهي مجتزأة من كلمة (إيجيبتوس) التي أطلقتها اليونان على مصر، بعد حذف علامة الرفع (أوس) تصبح الكلمة (إيجيبت) مكونة من مقطعين (أي) وتعنى أرض أو دار، وجيبت، أي قفط أو جفط فيكون المعنى: أرض القبط أو دار القبط، وبعد حذف أداة التعريف (إي) تصير (جيبت) ثم نطقها العرب في مصر (قبط)(٢).

وتعتبر الكنيسة القبطية من أبرز الكنائس المنشقة عن الكنيسة الأرثوذكسية، وحدث ذلك على أثر قرارات مجمع خلقيدونية؛ فقد قرر (أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين) وذلك في مقابلة أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة الذي قال به «أوطيخا وديقسورس» وتعتقد الكنيسة الأرثوذكسية القبطية

---

(١) راجع: النصرانية دراسة مقارنة ص ١٩٧، ١٩٨ - المسيحية في العصور الوسطى ص ١٥٣.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٥، ٦ مذكرات في معالم تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية جـ١/ ٣.

بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة للمسيح ولا تعترف بمجمع خلقدونية ولا بمجامع القسطنطينية[1].

ومنذ هذا المجمع ولدت كنيسة الأقباط المصرية الأرثوذكسية في مصر ترأسها اليوم كنيسة الكاتدرائية بالعباسية بالقاهرة تحت رياسة البابا شنودة الثالث، وقد ذكر في مجلة الكرازة المسيحية أن الكنيسة القبطية يتبعها كنائس في كندا وأمريكا، ففي كندا يوجد تسع كنائس قبطية، وفي أمريكا نيويورك وشرق أمريكا وجنوبها وغربها كاليفورنيا يوجد اثنتان وثلاثون كنيسة تقريبا، وكلهن يقوم على خدمتهن أساقفة أقباط تابعون لمذهب الأقباط بمصر[2].

عقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ومبادئها:

يوضح صاحب تاريخ الأقباط عقيدة الأقباط بقوله:

١- تعتقد الكنيسة القبطية أن للمسيح بعد التجسد طبيعة واحدة متحدة.

٢- تعتقد الكنيسة القبطية أن الروح القدس منبثق من الأب وحده.

٣- تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس غير البروتستانتية بوجود نظام الكهنة ووجوب إقامة المذبح والبخور والهيكل والحجاب وسائر الطقوس المتعلقة بذلك.

٤- تعتقد الكنيسة القبطية أن الإيمان والأعمال معا ضرورة للخلاص لكونها علة التبرير.

---

(١) النصرانية دراسة مقارنة ص ١٩٩ بتصرف.

(٢) راجع: مجله الكرازة المسيحية – السنة السابعة عشر سنة ١٩٨٩م ص ١٨ وما بعدها.

٥- تحافظ الكنيسة القبطية على التقليد وهو النظام الذي تلقته عن الرسل وآباء الكنيسة الأوائل، ولم يدون في الكتب.

٦- تعتقد الكنيسة القبطية في قدسية الأسرار السبعة.

٧- تتمسك الكنيسة القبطية بفريضة الصوم.

٨- رتبت الكنيسة القبطية أعياداً خاصة تقيمها إكراماً للمسيح وللشهداء والقديسين.

٩- تعتقد الكنيسة القبطية أن للشهداء والقديسين مقاماً رفيعاً أمام الله؛ ولذلك تطلب احتياجاتها من الله بواسطتهم، أي أنها تستشفع بهم، وتقدس صور القديسين للتذكرة والعبرة.

١٠- تعتقد الكنيسة القبطية بوجوب الصلاة على أنفس المنتقلين الصالحين وطلب الرحمة لها.

١١- تعتقد الكنيسة القبطية بصحة نظام الرهبنة.

١٢- تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية أن السيد المسيح بعد موته ذهبت نفسه الطاهرة وهي متحدة باللاهوت إلى الجحيم وخرجت نفس آدم وحواء وجميع الأنفس المسجونة بطائلة الخطيئة الأصلية وماتوا على الرجاء وأصعدتهم إلى الفردوس.

١٣- تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية بقانونية الأسفار المحذوفة وهي أسفار طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ والمكابين الأول والمكابين الثاني وبروخ وبعض قطع من سفري أستير و دانيال.

١٤- تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية أن درجات الكهنوت ثلاث؛ وهي الأسقفية والقسوسية والشماسية[1].

[٢] كنيسة الأرمن:

انشقت كنيسة الأرمن عن كنيسة الأرثوذكس بعد مجمع خلقدونية عام ٤٥١م، والذي قرر أن للمسيح طبيعتين فرفضوا ذلك؛ لأنهم يعترفون بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة؛ مخالفين بذلك عقيدة الأرثوذكس، مما سبب الانشقاق بينهما، وموطنهم الأصلي أرمنيا، وينتشرون في مصر، وبعض بلاد الشرق الأوسط، ولهم تقاليد وطقوس دينية مختلفة، ولهم بطاركة مستقلون بهم؛ وذلك لاستقلالهم عن الكنائس الأخرى[2].

وهم لا يستعملون زيت الزيتون في التقديس بل يستبدلونه بزيت السرج، ويقولون في التقديس: (قدوس الله - قدوس القوي - قدوس الذي لا يموت، المصلوب لأجلنا)[3].

[٣] الكنيسة المارونية:

تنسب المارونية إلى «يوحنا مارون»، أحد رهبان دير مارون في جبال لبنان، واشتهر يوحنا برأيه سنة ٦٦٧م، وهو أن المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو إرادة أو مشيئة واحدة، وهو مذهب بين المذهبين المشهورين بين الكنائس، وهما المذهب القائل بالطبيعتين والمشيئتين والمذهب القائل بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة.

وبعد أن حكم مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨١م) بلعن وتكفير يوحنا

---

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٥ - ٢٧٧ بتصرف.

(٢) راجع: النصرانية والإسلام للطهطاوي ص ١٤٢، تاريخ الكنيسة الإنجيلية ص ٣٩.

(٣) المجامع المسيحية ص ٥٠٠.

وحرمانه هو ومن ذهب مذهبه وانتحل نحلته خرج يوحنا بمذهبه، وأسس كنيسة المارونية، وكان هو أول أسقف لها في سنة ٦٨٥م.

ونزل بأتباع الطائفة الأذى والاضطهاد الشديدان، مما ألجأهم إلى الفرار إلى جبال لبنان واعتصموا بها واستوطنوها، إلى أن استمالهم أساقفة روما وقربوهم إليهم باستعمال الحيلة والسياسة، حتى خضعوا للرئاسة البابوية في روما مع عدم اتفاقهم معهم في الآراء على أن يبقوا على ذلك، وتم هذا الاتحاد سنة ١١٨٢م، وما زالت هذه الطائفة تسكن جبال لبنان ولها كنائسها وبطاركتها الخاصة بهم، وإن كانت تقر بالرياسة لبطريك روما[١].

وطائفة المارونية لا تتفق مع الكاثوليك في شيء، وهم أقرب للأرثوذكس ويشتركون معهم في عدة أمور منها:

١- أنهم يبيحون زواج الكهنة.

٢- ويتناولون الأسرار الظاهرة تحت الشكلين أي الكاثوليكي، والأرثوذكسي؛ وعلى هذا فالكنيسة المارونية قد أخذت مذهبها من الكنيستين؛ إذ أنهم يوافقون الأرثوذكس في أكثر الأمور، ولكنهم يتحدون مع الكنيسة البابوية، وكان الأولى والأسهل أن يتحدوا مع الكنيسة الأرثوذكسية والمتفرعين عنها[٢].

وهذا إن دل فإنما يدل على أن هذه الكنائس خاضعة في عقيدتها ومبادئها إلى أهواء قساوستهم ورجال الدين عندهم.

---

(١) راجع: محاضرات في النصرانية ص١٤٣، ١٦٠، الأسفار المقدسة ص١٣٤، النصرانية والإسلام للطهطاوي ص١٣٩، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٢٥٤.

(٢) راجع: المجامع المسيحية ص ٤٩٩. (م ٩ الكنيسة).

ثانيا: الكنيسة الكاثولوكية[١] وعقائدها:

المذهب الكاثوليكي: هو مذهب الكنيسة الكاثوليكية الغربية المنشقة عن الكنيسة الشرقية، وذلك بعد المجمع المسكوني الثامن، واختلافهم على انبثاق الروح القدس، فقالت الكنيسة الغربية: إن الروح القدس منبثق عن الأب فقط؛ مما ترتب عليه حدوث الاختلاف بينهما وانشقاق كل واحدة منهما عن الأخرى، وكونت الكنيسة الغربية الكاثوليكية مذهبا خاصا بها[٢].

ويدعي الكاثوليك أن مؤسس كنيستهم بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم، وأن بابوات روما خلفاؤه، ولذلك فَهُمْ يسمون كنيستهم بالبطرسية أو الرسولية أو اللاتينية أو العامة؛ لأنها تُدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في بلاد العالم، وتسمى أم الكنائس ومعلمتهن؛ لأن معنى كاثوليك (العام)، وتسمى كذلك الغربية اللاتينية؛ لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني مثل بلاد: إيطاليا، وبلجيكا، وفرنسا، وأسبانيا، والبرتغال، وشعوبها منتشرة في أقطار الغرب، كما تسمى كذلك كنيسة روما[٣].

والبلاد التي يدين أهلها بالمذهب الأرثوذكسي يوجد فيها نصارى كاثوليك يتبعون كنيسة روما، ويرأسهم بطاركة كاثوليك خاضعون لرياسة بابا روما، ويتبع هذه الكنيسة مجمع الكنائس، وهو مكون من مجلس الكرادلة ويرأسه البابا، ولهذا المجمع الحق في إصدار إرادات بابوية، وهي في نظرهم إرادات إلهية.

---

(١) جاءت كلمة «كاثوليك» ومنها «الكثلكة» من الكلمة اليونانية «كاثوليكوس»، بمعنى جامعة؛ لذا فإن القول بالكنيسة الكاثوليكية يعنى الجامعة - راجع: تاريخ الكنيسة الإنجيلية ص ٢٦.

(٢) راجع: الأسفار المقدسة ص ١٣٦، المسيحية ص ٣٤٧.

(٣) النصرانية، دراسة مقارنة ص ٢٠٣.

مبادئ الكنيسة الكاثوليكية وعقائدها:

١- تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بأن الله واحد بثلاثة أقانيم إلهية متساوية في الجوهر والصفات، وهي: الأب والابن والروح القدس، والثلاثة عندهم آلهة.

٢- تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد، أحدهما لاهوتية والأخرى ناسوتية.

٣- تعتقد بأن الروح القدس منبثق من الأب والابن.

٤- تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بالنار المطهرية التي تعتقل فيها النفوس التي لم تَصِلْ إلى درجة النقاوة الكاملة، وتظل تعذب في النار عذابا أليما حتى تفي ما بقى عليها من الدَّين للعدل الإلهي، وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت.

٥- تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بأن الكنيسة لها الحق في مغفرة الخطايا للأفراد بدون توبة؛ لأنها هي التي تملك حق الغفران للخطايا لمن تشاء، لذلك راحت تبيع صكوك الغفران، بل وذهبت إلى أن الغفران ليس قاصرا على الأحياء، وإنما ينسحب كذلك على النفوس القائمة بعد الموت في المطهر.

٦- تعتقد في عِصمة البابا من الخطايا، وأنه يحق له أن يفعل ما يريد ويشرع لهم ما يشاء.

٧- يتم التعميد عند الكاثوليك عن طريق الرش، ويتم المسح بالميران بعد بلوغ سن الرشد.

٨- ليس بلازم استعمال الخبز المخمر في إتمام سر التناول، بل يكفي في ذلك الفطير، ومنعت عامة الشعب من تناول الدم الكريم واقتصرت على رجال الدين.

٩- حرمت الكنيسة الكاثوليكية الزواج على جميع رجال الدين.

١٠-حرمت الطلاق في جميع الأحوال حتى في حالة الزنا، وكل ما تبيحه في هذه الحالة التفرقة الجسدية بين الزوجين مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية.

١١- لا يمسح بالزيت المقدس إلا للمشرفين على الموت.

١٢- اتخذت الكنيسة الكاثوليكية التماثيل المنحوتة، والصور للمسيح والقديسين.

١٣- أباحت الكنيسة الكاثوليكية ما حرمه مجمع أورشليم من حرمة الدم ولحم المنخنقة.

١٤- تفسير الكتاب المقدس مختص بالبابا دون غيره؛ فهو أعلى من المجامع[١].

الكنائس المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية وعقائدها:

[١] كنيسة الكاثوليك القدماء:

نشأت هذه الكنيسة بعد المجمع المسكوني العشرين المنعقد عام ١٨٦٩م، والذي قرر عصمة البابا؛ مما ترتب على ذلك انشقاق الكنيسة الكاثوليكية إلى شقين: الكنيسة الكاثوليكية القديمة، وأتباعها يرفضون قرار عصمة البابا، والكنيسة الكاثوليكية الحديثة التي تقول بعصمة البابا، وعلى أثر هذا القرار الذي قرره المجمع قام أكابر اللاهوتيين الألمانيين، وكذلك الآباء الفرنسيون، والإيطاليون وكثير من المسيحيين الغربيين برفض هذه العقيدة المضادة للكتاب

---

(١) راجع في ذلك:
١- تاريخ الأقباط جـ٢/ ٢٧٧ - ٢٧٩.
٢- الأسفار المقدسة ص ١٣٧ - ١٣٩.
٣- يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٦١.
٤- الأديان في كفة الميزان ص ٤٨.
٥- النصرانية دراسة مقارنة ص ٢٠٣ وما بعدها.
٦- الانشقاق الكنسي ص ١٥٧ وما بعدها.

المقدس، وهجروا الكنيسة البابوية ولقبوا أنفسهم كاثوليك قدماء، وأرادوا بهذه التسمية أن يدللوا على أنهم كاثوليك حقيقيون يحافظون على عقائد الكنيسة الكاثوليكية، ويرفضون البدع العصرية الجديدة مثل عصمة البابا وغيرها.[١]

عقائد الكاثوليك القدماء:

يخالف الكاثوليك القدماء الكنيسة الكاثوليكية وعقائدها فيما يأتي:

١- رفضوا عصمة البابوية التي قررها المجمع الفاتيكاني العشرون المنعقد سنة ١٨٦٩م.

٢- رفضوا الاعتقاد بأن مريم ولدت بلا خطيئة، أي بلا دنس في حملها.

٣- أدخلوا في عقيدتهم اللغة المفهومة من الشعب عوضا عن اللغة اللاتينية التي كانوا يستعملونها بالإلزام.

٤- قرروا وجوب انتخاب رجال الدين (الأكليروس) بصوت الشعب.

٥- أبطلوا العادة البابوية، وهي أن يتناول الشعب الأسرار الطاهرة تحت شكل الخبز فقط.

٦- عزموا على إبطال تولية الأكليروس الإجبارية.

٧- وقفوا في وجه البابوية، وطالبوا بالاتحاد مع الكنيسة الأرثوذكسية إلا أنه لم يتم ذلك؛ لاختلافهم في انبثاق الروح القدس، وعلى ذلك فالكنيسة الكاثوليكية القديمة تخالف الكاثوليك والأرثوذكس في مذهبها وعقيدتها[٢].

---

(١) راجع: المجامع المسيحية ص ٤٥٦، يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٥٤.

(٢) راجع: النصرانية دراسة مقارنة ص ٢٠٦.

[٢] الكنيسة الإنكليكانــية:

نشأت الكنيسة الإنكليكانية على يد (يوحنا وكلف) الذي عارض تعاليم الكنيسة البابوية الغربية وحارب معتقداتها، إلا أن الكنيسة وقفت ضده هو وأتباعه واتهمتهم بالهرطقة.

يقول الدكتور / رءوف شلبي:

ظهر يوحنا وكلف الذي عكف على وضع حلول للعلاقة بين السلطتين العلمانية والكنيسة ووصل إلى: (أن الرب وحده له ملك السماوات والأرض، وأن جميع الصالحين لهم حق في ملكية الأرض، وأن هذه الملكية حق عامّ مشاع بينهم؛ لأن الملكية الفردية إنما جاءت نتيجة لخطيئة آدم، وعلى ذلك لا يصلح أن تتردى الكنيسة في هذه الخطيئة، وكانت عاقبته أن طُرد هو وأتباعه من «أكسفورد» واعتزل بقية حياته في قريته حتى مات عام ١٣٨٣م)(١).

إلا أن مبادئه لم تمت بموته، بل قام هذا المذهب على يد أتباعه وأسسوا كنيستهم المسماة الإنكليكانية، والتي قامت مبادئها على تعاليم «يوحنا وكلف» وساعدهم على نشر مبادئهم وعقيدتهم، وانفصالهم عن الكنيسة البابوية الملك «هنري الثامن» الذي اعتبر نفسه رئيساً لكنيسة إنجلترا، وبذلك حلت كنيسة إنجلترا محل كنيسة روما(٢).

عقائد الكنيسة الإنكليكانية:

١- تعتقد الكنيسة الإنكليكانية بانبثاق الروح القُدس من الأب والابن.

---

(١) يا أهل الكتاب تعالوا صـ٢٦٨، المسيحية في العصور الوسطى ص ١٧٢- ١٧٥.

(٢) راجع: المجامع المسيحية ص ٥٠٨.

٢- تعتقد بأن المجامع المسكونية التي عقدتها الكنيسة يجوز أن تخطئ.

٣- لا تعترف إلا بسر المعمودية وسر العشاء الرباني من بين أسرار الكنيسة السبعة.

٤- أنكروا عقيدة استحالة الخبز والخمر في العشاء الرباني إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين.

٥- عدم اعتبارها سر الأفخارستيا كذبيحة كفارة عن الخطايا.

٦- إنكار عصمة البابا وإنكار ادعائه أنه نائب عن المسيح في الأرض، وإنكار صكوك الغفران(١).

[٣] الكنيسة اليانسانسئية:

انشقت كنيسة اليانسانسئية عن الكنيسة الغربية على يد أحد المصلحين وهو (كرنيليوس بانسنيوس) أسقف مدينة هيرة سنة ١٨٣١م، وانتشر مذهبه في هولندا وبلاد البلجيك وأسس كنيسة في تلك البلاد وجعلها مستقلة تماما عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية، ولا يخضعون لبابا روما.

وعلى هذا فإن هذه الكنيسة تخالف الكنيسة الغربية في أنها لا تعترف بسيادة البابا عليها ولا تعترف كذلك بعصمة البابا، وهذه الكنائس الثلاث (الكاثوليك القدماء، والإنكاليكانية، واليانسانسئية) هي أهم الكنائس التي انشقت عن الكنيسة الغربية انشقاقا تاما(٢).

وتوجد كنائس أخرى تعتنق المذهب الكاثوليكي غير الثلاثة السابقة،

---

(١) راجع: كنز النفائس في اتحاد الكنائس ص٦٦، ٦٧، المسيحية في العصور الوسطى ص١٧٣.

(٢) المجامع المسيحية ص٥٠٩.

ومن هذه الطوائف الكاثوليكية في مصر، طائفة الروم الكاثوليك، الكلدان الكاثوليك، والموارنة الكاثوليك، والسريان، والأقباط الكاثوليك، واللاتينيون الكاثوليك، وهذه الطوائف الكاثوليكية تتحد مع الأقباط الكاثوليك[١] في الأمور التالية:

١- الاعتراف بالرئاسة العليا للبابا في روما.

٢- وحدة الاعتقاد الديني في جميع المبادئ على الإطلاق.

٣- وحدة قانون الزواج.

٤- عدم إجازة التطليق والاستعاضة عنه بالتفريق الجسماني[٢].

ثالثا: الكنيسة البروتستانتية وعقائدها[٣]:

ظهر المذهب البروتستانتي في خلال القرن السادس عشر، وكان بداية ظهوره في ألمانيا حيث نادى به الراهب الألماني «مارتن لوثر» وانتشر في الشرق خلال القرن التاسع عشر عن طريق الإرساليات الأمريكية وتبعه أنصار من المسيحيين على اختلاف طوائفهم.

وهذا المذهب لا يعترف برئاسة دينية ولا يرى في رجال الدين وعلى رأسهم البابا إلا رجالا عاديين اختيروا لتمثيل الشعب وقيادته، فلا يملكون منح الغفران، وإنما يُمنح

(١) راجع: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر ص ٢٩ وما بعدها.

(٢) شرح الأحوال الشخصية للمصريين الغير مسلمين - تادرس ميخائيل تادرس ص ١٥٠.

(٣) أطلق على هذه الطائفة اسم البروتستانتية: أي نحلة الحجتين أو المعترضين، وجاء في المعجم الوسيط: البروتستانتية: مذهب مسيحي نشأ من حركة الإصلاح الكنسي التي قام بها (لوثر) ويدعو إلى تحرير الفرد من سلطان الكنيسة وجعله مسؤلا أمام الله وحده، ويقابله (الكاثوليكية) (والأرثوذكسية) - المعجم الوسيط جـ١/ ٥٣ باب الباء - ط (٢) مجمع اللغة العربية.

الغفران لمن تاب وندم على خطيئته، ويَمنح هذا المذهب لكل فرد أن يفسر الكتاب المقدس بنفسه، فهو يقوم على إتاحة المناقشة والجدل فيما ورد في الكتاب المقدس.

(وقد دعا إلى ظهور هذه النحلة أمور كثيرة يرجع أهمها إلى مظاهر الفساد التي بدت في كثير من أمور الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها، وما أحدثته من بدع، ومسلك قسيسها والقوّامين عليها، وإلى تحكمها في تفسير كل شيء، ومحاولة فرض آرائها على جميع أتباعها حتى الآراء التي لا علاقة لها بالدين؛ كالآراء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة وشئون السياسة ونظم الحكم وما إلى ذلك)[١].

ولهذه الأسباب وغيرها ظهرت حركة الإصلاح في القرن السادس عشر وكان من دعاتها «مارتن لوثر» والذي تنسب البروتستانتية إليه، وهو أول من قال ببطلان صكوك الغفران، وعارض تعاليم الكنيسة، فأصدر البابا قراراً بحرمانه واعتباره كافراً زائغ العقيدة.

يقول رولاند بينتون:

(كان الإصلاح اللوثري بمثابة الشرارة التي انطلقت فأشعلت الحماس الكامن في القلوب رغبة في الصلاح، فانفصل الكثيرون عن الكنيسة الكاثوليكية دون أن يندمجوا في الكنيسة اللوثرية، وأسسوا كنائس خاصة لهم، ذهبوا فيها إلى مدّى أبعد مما ذهب إليه لوثر وأبطلوا الكثير من الممارسات الكاثوليكية، وقد أطلق المنفصلون على أنفسهم لقب: (الكنائس المصلحة)، وقد نشأت في سويسرا ثلاث كنائس بدأت أولا في زيورخ وأطلقت على نفسها اسم: «المصلحة»، ونشأت الثانية في نفس المدينة وأطلقت على نفسها اسم: (المعمدانية)، وانتشرت تعاليمها في هولندا وإنجلترا، ثم فيما بعد بأمريكا، أما الثالثة فقد نشأت في الجزء الألماني من سويسرا في جنيف بقيادة جون كلفن، وأطلقت

---

(١) الأسفار المقدسة ص١٤٠، راجع: تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ص١١٥ وما بعدها.

على نفسها اسم: «المشيخية»، وتقوت الأخيرة في فرنسا وهولندا واسكتلندا و إنجلترا وأمريكا(١).

وكنائس المذهب البروتستانتي لا يطلق عليها أسماء القديسين أو الرسل أو أحد من الحواريين، وغالبيتها تسمى بالكنيسة البروتستانتية أو المشيخية، أو الإنجيلية أو تتسمى بأسماء البلاد التي فيها، بخلاف الكاثوليك والأرثوذكس الذين يسمون الكنائس بأسماء العذراء والرسل والشهداء(٢).

عقائد الكنيسة البروتستانتية ومبادئها:

تتفق الكنيسة البروتستانتية مع غيرها من الكنائس فيما يتعلق بجوهر العقيدة فيقولون بالتثليث وألوهية المسيح وبنوته لله وصلبه، وقيامته ورفعه، وحسابه للعالم يوم القيامة.

وتتلخص المبادئ البروتستانتية فيما يلي:

(١) تعتقد الكنيسة البروتستانتية بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية.

(٢) يعتقد البروتستانت أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً.

(٣) لا تؤمن الكنيسة البروتستانتية بنظام الكهنة ولا بوجوب إقامة مذابح ولا بخور ولا هيكل ولا حجاب في نظام العهد الجديد.

(٤) يعتقد البروتستانت أن الأعمال غير ضرورية للخلاص؛ لأنها ليست عله التبرير كالإيمان بل هي ثمرة الإيمان ونتيجة التبرير.

---

(١) مواقف من تاريخ الكنيسة ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) راجع: اللآلئ النفيسة شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جـ١/ ١٠٥.

(٥) لا يعترف البروتستانت إلا بالكتاب المقدس فلا تعترف بتعاليم الرسل أو آباء الكنيسة الأوائل التي لم تدون في الكتاب المقدس، وتعتبر الأسفار المحذوفة غير قانونية.

(٦) لا تؤمن بالأسرار السبعة، ولا تعترف إلا باثنين فقط وهما المعمودية والعشاء الرباني، وأن العشاء لا يتحول إلى جسد المسيح بل تبقى الخمر خمراً ويبقى الخبز خبزا على حالتهما والجسد داخل فيها.

(٧) تنكر فريضة الصوم، وتنكر التبرير بهذه الأعمال الكنسية؛ ومن ثم تنكر الأعياد جميعها والتي تقام للمسيح والشهداء أو للقديسين.

(٨) تحرم الاستسقاء بالشهداء والقديسين وتنكر اتخاذهم وسطاء.

(٩) لا تؤمن بالسجود للإيقونات ولا للقديسين، ولا معنى الصلاة على الصالحين وطلب الرحمة لهم.

(١٠) لا تؤمن بنظام الرهبنة وتقول: إن عدم زواج رجال الأكليروس هو منافٍ للكتاب المقدس؛ ولذلك ترفض هذا الحكم.

(١١) لا تعترف بالنظام البابوي ولا بالدرجات الكنسية فكلها عندهم درجة واحدة.

(١٢) تحرم الكنيسة البروتستانتية أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعمد(١).

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٥، ٢٧٧، ومحاضرات في النصرانية ص ١٨٤ - ١٨٧، الأديان في كفة الميزان ص ٥٠، الأسفار المقدسة ص ١٤٤-١٦٤، يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٩٢ وما بعدها، والنصرانية دراسة مقارنة ص ٢٥٨، المسيحية ص ٢٤٠.

الكنائس البروتستانتية:

الكنيسة البروتستانتية كغيرها من الكنائس التي انقسمت إلى مذاهب شتى، تَزَعَّم كلَّ مذهب رجلٌ يدعو إلى الإصلاح بما يتفق مع هواه، ولكل كنيسة من هذه الكنائس عقائدها ومبادئها، ومنها على سبيل الإيجاز:

[١] كنيسة المانونايت:

وهي تُنسب إلى كاهن لاتيني اسمه: «مينون» انضم إليه كاهن اسمه: «ستروخ»، ولا تعترف هذه الكنائس بمعمودية الكنائس الأخرى، وتخالف الكنائس الأخرى بالإضافة إلى ذلك في أنها لا تؤيد وجود محاكم وحكومات مدنية، وتحرم الحرب وسفك الدماء، ويرفضون معمودية الأطفال.

[٢] الكنيسة الإسفانكفليدية:

وتنسب إلى «إسفانكفليدية» الذي ظهر بأمريكا سنة ٩٩١م، ويعتقد بوجوب ظهور علامات الإيمان وتحول العشاء الرباني إلى جسد المسيح، من دم ولحم.

[٣] الكنيسة الإسرائيلية الحديثة:

وتنسب إلى امرأة اسمها «حنة» تزعم أنها المرأة المذكورة في سفر الرؤيا، ويزعم أتباعها أنهم هم الإسرائيليون الحقيقيون، ولا يفرقون بين اليهودية والمسيحية، وظهرت في القرن التاسع عشر.

[٤] الكنيسة اليونانية:-

تنسب إلى أتباعها من اليونان الإنجيليين.

[٥] الكنيسة الهورنهوتية:

في مدينـة هورنهوت المسكوسـونية، وتحـاول هذه الكنيسـة التوفيق بين الكنائس البروتستانتية[١].

هذه بعض الكنائس والمذاهب المنشقة عن الكنيسة البروتستانتية والتي تسمت بأسماء أصحابها الذين أسسوها.

وتعرف الكنائس البروتستانتية في مصر بالإنجيلية، وإن كان أتباعها ينتسبون إلى مذاهب مختلفة، بمعنى أن أتباعها يتبعون الإنجيل ويفهمونه بأنفسهم دون الخضوع لأحد آخر أو طائفة أخرى.

إن الكنيسة البروتستانتية التي تبنت حركة الإصلاح في الكنيسة لم تُبطل أصلا من أصول النصرانية المحرفة والتي تعتقدها الكنائس الأخرى، وهي لم تعمل إلا على عدم غلو الرؤساء ورجال الدين في السلطة، فلم يكن الإصلاح للنصرانية وإرجاعها إلى أصولها النقية؛ لذلك بقيت موضوعات ضخمة لم يَتَطَرَّق إليها الإصلاحُ مثل قضية التثليث، والصلب والخطيئة والبحث عن إنجيل المسيح، وتصحيح التعاليم بإبعاد الدخيل على تعاليم المسيح الصحيحة التي جاء بها.

يقول الشيخ / محمد أبو زهرة:

(فإذا كان المصلحون قد قرروا أن يأخذوا مذهبهم الديني من الكتب الصحيحة، وقرروا أن يرفضوا سلطان المجامع والكنيسة معا، فإن المنطلق الذي يسيرون عليه كان يوجب عليهم أن يرفضوا أقوال المجامع القديمة، ومنها ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.

---

(١) راجع: المجامع المسيحية ص ٥١٤-٥١٦.

ثم يقول: وكنا نود أن يدرسوا قرارات هذه المجامع، وينظروا إلى سندها وقوتها، فإن لم يروا السند قويا رفضوا تلك القرارات، ولكنهم لم يسيروا في منطلقهم إلى أقصى مداه فرفضوا آراء الكنيسة في أمور، أعظمها شأناً ما بيناه، ولم يتجهوا إلى لب العقيدة)[١].

وهكذا بقيت المسيحية مثلثة بعد ظهور المذهب البروتستانتي، فلم يعودوا إلى التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام، وكثرت فيهم الفرق والمذاهب والتي لم تتفق فرقتان منهم مع بعضهما إلا فيما يتصل بالصلب والتثليث، فلا توجد أمة أشد اختلافا في معبودها ونبيها ودينها من النصارى، وصار الصراع بين الكنائس شيئا مألوفا، بل بين أصحاب المذهب الواحد، مما أدى إلى الاضطراب في العقيدة والطقوس التعبدية والشعائر الدينية.

ولقد نعى الله تعالى عليهم بسبب هذا الاختلاف فقال:

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧ ﴾[٢].

وما اختلفوا إلا بسبب ابتعادهم عن تعاليم دينهم الذي جاء به المسيح، فقد أخبرهم وأمرهم بتوحيد الله وعبادته، قال تعالى على لسان المسيح:

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢ ﴾[٣].

وقد نطق عيسى عليه السلام في المهد، يقول الله تعالى مخبرا عن ذلك على لسان عيسى عليه السلام:

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ ﴾[٤].

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٨٨، راجع: الإسلام والنصرانية -محمد عبده ص ٤١.

(٢) سورة مريم: الآية (٣٧).

(٣) سورة المائدة: الآية (٧٢).

(٤) سورة مريم: الآيات (٣٠-٣٢).

وقال: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[١].

وقال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[٢].

وفي إنجيل يوحنا منسوبا إلى المسيح: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)[٣].

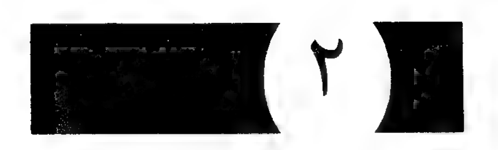
فهذه النصوص قاطعة في دلالتها على بشرية المسيح عليه السلام، ودعوته إلى وحدانية الله تعالى وعبادته وحده دون سواه.

✿✿✿✿✿✿✿

(١) سورة مريم: الآية (٣٦).

(٢) سورة المائدة: الآية (١١٧).

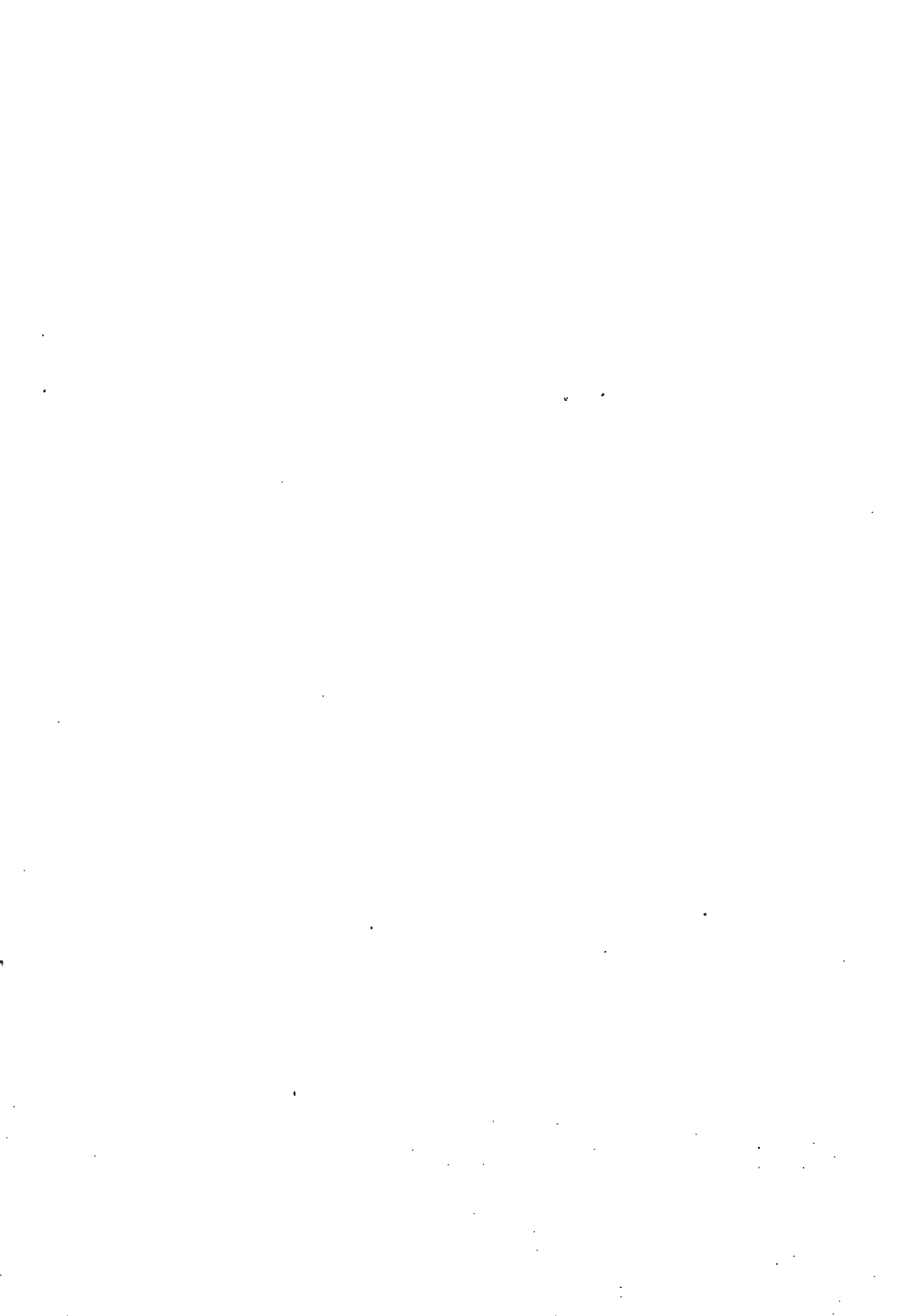
(٣) إنجيل يوحنا: ١٧/ ٣.



الباب الثانى

أسرار الكنيسة وموقف الإسلام منها

الفصل الأول: سر المعمودية وموقف الإسلام منه
الفصل الثاني: سر مسحة الزيت وموقف الإسلام منه
الفصل الثالث: سر العشاء الرباني الأفخارستيا وموقف الإسلام منه
الفصل الرابع: سر التوبة وموقف الإسلام منه
الفصل الخامس: سر مسحة المرضى وموقف الإسلام منه
الفصل السادس: سر الزواج وموقف الإسلام منه
الفصل السابع: سر الكهنوت وموقف الإسلام منه



تمهيد

تطلق الكنيسة مصطلح الأسرار السبعة على المعمودية والتثبيت والتوبة والكهنوت والزواج ومسحة المرضى والعشاء الرباني، وتعتبر كل واحدة منها سرًّا من أسرارها المقدسة، وقبل الحديث عن الأسرار وما يتصل بها أرى من الأهمية الحديث عن نشأتها وفاعليتها في نظر النصارى، واختلافهم في عددها.

نشأة الأسرار الكنسية وأول من قال بها وأسباب ظهورها:

يختلف النصارى في تحديد زمن نشأة الأسرار، فمنهم من يقول: إنها نشأت في عهد المسيح عليه السلام، ومنهم من قال: إنها نشأت في يوم الخمسين، ومنهم من قال: إنها ظهرت في القرن الثاني عشر، ومنهم من قال غير ذلك، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنها ليست بأسرار، ولكن هذا زعم آباء الكنيسة.

ويزعم ملاك لوقا: (أن المسيح هو الذي أسس هذه الأسرار، فَسِرّ الكهنوت أسسه يسوع بنفسه عندما أقام الاثنا عشر تلميذاً ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا)، ويستدل بما جاء في إنجيل مرقس من أن المسيح (صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه وأقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا، ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين)[1].

ثم يذكر ملاك لوقا: (أن المسيح أسس سِرّ مسحة المرضى، سِرّ المعمودية والعشاء الرباني)[2]، ومع أن ملاك لوقا يذكر أن المسيح هو الذي أسس أسرار الكنيسة إلا أنه

(١) مرقس ٣/ ١٣ -١٥.

(٢) راجع: الإفخارستيا كتابيا وتاريخيا وكنسيا - ملاك لوقا ص ٧١-٧٢، مكتبة المحبة سنة ١٩٩١ م.

(م ١٠ الكنيسة).

يذكر عقب ذلك أن الرسل تلاميذ المسيح قد أسسوا أشياء لم يضع لها المسيح نظاما، وقد احترمت الكنيسة هذه النظم كما لو كان المسيح قد وضعها، فهذا اعتراف منه بأن المسيح لم يضع هذه الأسرار فهو يناقض نفسه وهو يريد أن يقنع غيره برأيه ويحاول أن يبعد عن نفسه التناقض في أقواله فيقول: (وقد وضع الرسل تلك الحدود، وإن كان الرب لم يضعها بنفسه من قبل، وعلى هذا القياس نقول: إن عدم وضع الرب بنفسه الأسرار السبعة بكاملها لا يصح اتخاذه برهاناً ضد عقيدة التعليم للأسرار السبعة بجملتها)(١)، وكيف لا يكون هذا دليلا قائما على بطلان ما ذهب إليه من قوله بأن المسيح قد أسس الأسرار وأكملها الرسل من بعده؟

وإذا تركنا هذا الرأي بعد بيان بطلانه نجد أن القمص «تادرس ملطي» يقطع بأن الأسرار قد أسسها تلاميذ المسيح بإلهام الروح القدس الذي ظهر لهم وحل فيهم يوم الخمسين مدعيا بأن ما يأتي به هؤلاء التلاميذ لم يكن من قِبَل أنفسهم بل من قبل الروح القدس، ومن بين ما جاء به التلاميذ عن الروح القدس الأسرار الكنسية فيقول: (فالروح القدس للكنيسة هو الذي أوجدها وهو يحيا فيها ويعمل فيها كجماعة كما في كل عضو من أعضائها، هذه الحياة السرائرية الكنسية تحقق وجود الكنيسة ونموها، هذا يتحقق بواسطة الروح القدس في الأسرار الكنسية: المعمودية، الميرون، الأفخارستيا، التوبة والاعتراف، مسحة المرضى، الزواج، الكهنوت)(٢).

وإذا كان صاحب الرأي الأول يذكر أن المسيح أسس الأسرار، وصاحب الرأي الثاني يذكر أن الرسل هم الذين أسسوا الأسرار، فإننا نجد آراء أخرى تناقض هذين الرأيين.

---

(١) الإفخارستيا – ملاك لوقا ص ٧٣.

(٢) الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والعقائد جـ(٧) – عطية الروح القدس – القمص تادرس ملطي – تعريب الراهب برنابا ص ٥٣. الناشر كنيسة القديسين ط (١) ١٩٩١م.

فيذكر عوض سمعان: (أن الأسرار كانت تستعمل في القرن الثاني لدى بعض المسيحيين للتعبير عن «العهد المقدس» بين الله وبين الناس كما كانت تستعمل للتعبير عن الأمور التي يترتب عليها نتائج روحية، مثل الصلاة والفداء والقيامة، وفي أواخر هذا القرن استعملها بعض رجال الدين بمعنى علامة منظورة تدل على حقيقة غير منظورة، وقد استعملت بهذا المعنى للمعمودية والعشاء الرباني وزيت المسحة، ثم للكهنوت في أواخر القرن الثالث، وبذلك أصبحت الأمور التي تُدعى عندهم أسرار بالمعنى المذكور أربعة فقط، وفي القرن الرابع أخذ بعض رجال الدين يحيطون المسيحية بمظاهر من الهيبة الشكلية؛ وذلك في نظر الناس الذين لا يدركون هيبتها الروحية فأطلقوا على الكثير مما يجري في نطاقها من أعمال أسراراً)[1].

وهذا الرأي يبين أن أسرار الكنيسة لم تظهر إلا في القرن الثاني الميلادي، ولم تظهر مرة واحدة بل ظهرت على مرات مختلفة، ويستدل بهذا على أن الأسرار ظهرت نتيجة لأهواء شخصية بغرض إعادة الثقة بين رجال الكنيسة وأتباعها من النصارى، وكلما فُقدت الثقة بين الكنيسة وأتباعها جاء رجالها بِسِرٍّ من الأسرار مدعين أن الروح القدس ألهمهم به من أجل إعادة الثقة المفقودة، أي أن الأسرار السبعة لم تظهر مرة واحدة.

ويذكر جاد المنفلوطي أن أول من صرح بهذه الأسرار السبعة هو «بطرس اللومباردي» في عام ١١٤٠م[2].

ويذكر شارل جنيبير: أن الأسرار الكنسية ظهرت في المسيحية نتيجة للتركيبات الفكرية لبولس وللتفاعلات التي كانت في ذاكرته[3]، أي أنه يُرْجع ظهور الأسرار الكنسية إلى عصر بولس.

---

(١) الكهنوت، عوض سمعان ص ٤٢٣، ٤٢٤ بتصرف، راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص٩.

(٢) راجع: المسيحية في العصور الوسطى ص ١٠٤.

(٣) راجع: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٥.

وفي موضوع آخر يذكر شارل جنيبير: (أن الأسرار لم تظهر في المسيحية إلا في القرن الثاني ولم تظهر كلها مرة واحدة، بل ظهر القربان «العشاء الرباني» أولا ثم سر التوبة ولم تظهر بقية الأسرار في بداية القرن الثالث فيقول: (إن النصوص التي ترجع إلى بداية القرن الثالث التي درسناها في غير تحيز لا تشير البتة إلى أثر للشعائر القدسية الأربعة الأخرى التي سوف تتحدد في الكنيسة بمرور الزمن، وهي: التثبيت «في الدين»، والتنصيب «في الوظيفة الكنسية»، والزواج، والمسحة الأخيرة بالزيت المقدس للموتى)[1].

ومما سبق يتبين أن الأسرار لم تكن معروفة على وجه التحديد عند النصارى، ولم تكن موجودة في زمن المسيح ولا زمن تلاميذه، ولم تكن من الأمور التشريعية ولا التعبدية التي جاء بها، وأنها حين ظهرت لم تظهر مرة واحدة، بل كان الدافع وراء كل سِرٍّ هو تحقيق أغراض وأهواء آباء الكنيسة ورجالها.

عدد الأسرار الكنسية:

اختلف النصارى في عدد الأسرار كاختلافهم في زمن نشأتها، فمنهم من قال: إنها سبعة أسرار، ومنهم من زادها، ومنهم من أنقصها.

ويذكر صاحب كتاب: «الأسرار حياة الإيمان»[2] أنه: (طيلة ألف ومائتي سنة في الكنيسة لم يكن معنى كلمة «سر» قد اتضح بعد، لذلك لم يكونوا يعرفون كم عدد الأسرار).

ويذكر «عوض سمعان» أن الأسرار بلغت (١٢ في القرن التاسع، ثم ٣٠ في القرن العاشر، وبعد ذلك اختصروها إلى ٧ أسرار باعتبار السبعة عدداً كاملاً)[3].

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٤.

(٢) ص ٤ بتصرف.

(٣) الكهنوت ص ٤٢٤.

وأما القمص «يوحنا سلامة» فيذكر أن الأسرار متعارف على أنها سبعة بين الكنائس فيقول: (مما لا خلاف فيه أن جميع الكنائس المسيحية الشرقية والغربية تعتقد معنا بوجود سبعة أسرار في الكنيسة يجب ممارستها بحسب النظام والترتيبات الموضوعة لها من الآباء، وقد استعملت الكنيسة هذه الأسرار جيلا بعد جيل ولا تزال تستعملها إلى الآن)[١].

وما ذكره يوحنا سلامة غير مُسَلَّم به؛ إذ أن الكنائس البروتستانتية تختلف مع كل من الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية في عدد الأسرار.

فالكاثوليك والأرثوذكس يتفقون على أن عدد الأسرار سبعة ويخالفهم البروتستانت؛ إذ لم يعترفوا إلا بسرين من الأسرار السبعة، وهما المعمودية والعشاء الرباني، بل إنهم يختلفون فيما بينهم في عدد الأسرار ولم يحصل بينهم اتفاق في عددها (فلوثر وميلانكتون) قبلا ثلاثة أسرار فقط، وهي (المعمودية، والشكر، والتوبة): واعتقدوا أن السرين الأولين أصليان، وأما «زوينكل» فلم يقبل سوى سر الزيجة عوضاً عن التوبة، «وكلفينوس» قبل سر الكهنوت، لكن أتباعهم ارتأوا أخيراً أنه لا يوجد إلا سران اثنان فقط، وهما المعمودية والعشاء الرباني، وحجتهم في ذلك أن الكتاب لم يذكر أن الأسرار سبعة[٢].

وإذا كان حبيب جرجس ذكر أن مارتن لوثر لم يعترف إلا بثلاثة أسرار فإن «رولاند بينتون» يذكر أن لوثر قال: إن المسيح لم يضع سبعة فرائض بل فريضتين؛ هما المعمودية والعشاء الرباني، أما الخمس الباقية فليست فرائض، ولو أننا لا نتركها كلها نترك مسحة المائتين بالزيت، ولكن لا نترك الزواج وإن كنا لا نعتبره فريضة،

(١) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة - القمص يوحنا سلامة جـ٢/ ٦، طـ٢ ١٩٢٥م، طبع بمطابع عين شمس بتصرف.

(٢) أسرار الكنيسة السبعة ص ١٩، راجع: تاريخ الكنيسة جون لوريمر جـ٤/ ١٢٤.

والسبب في عدم اعتبار الزواج فريضة أن كل الناس يتزوجون، بينما الفرائض يمارسها المسيحيون وحدهم[١].

والبروتستانت أصحاب الرأي القائل بأن الأسرار الكنيسة اثنان، وبنوا مذهبهم وعقيدتهم في الأسرار على:

(١) أن الكتاب المقدس لم ينص على أن عدد الأسرار سبعة.

(٢) أن يسوع لم ينشئ إلا سرين فقط وهما العمودية والأفخارستيا.

(٣) أن الأسرار الخمسة الأخرى ليست لها علامات منظورة.

وإذا كان أصحاب هذا الرأي يذكرون أن الكتاب المقدس لم يذكر أن الأسرار سبعة فإن أصحاب الرأي الآخر يردون عليهم بقولهم: إن الكتاب المقدس لم يذكر أن الأسرار اثنان[٢].

فكلاهما يعترفون بأن الكتاب المقدس لم يحدد الأسرار لا باثنين ولا بسبعة، وكل منهما ليس له دليل قوي على ما يذهب إليه ويتمسك به، وهذا دليل قائم على بطلان ما يمارسونه في الكنيسة من أسرار، بل هو أقوى دليل على أن المسيح عليه السلام ما كان يعرف شيئا عن هذا الأسرار، وما دار بخلده أن يكون الدين سرًّا من الأسرار.

بل على العكس من ذلك فإن المسيح عليه السلام جاء بالتشريع والأحكام ظاهراً بيّنًا، وقال لبني إسرائيل: (ما جئت لأنقض بل لأكمل) والذي جاء ليكمل لابد وأن يبين للناس ما جاء به من التشريع، والكنيسة حينما جاءت بهذه الأسرار أَسْمَتْ ذلك سرًّا، والحقيقة أنه ليس في أي دين من الأديان الإلهية ما يطلق عليه بالسرّ، وذلك لا يكون

(١) مواقف من تاريخ الكنيسة – رولاند بيتنون – ترجمة القس عبد النور ميخائيل ص ١١٠ ط «٢» ١٩٧٨م – دار الثقافة.

(٢) الأفخارستيا – ملاك لوقا ص٧.

إلا في المذاهب والأديان الوضعية كما في البوذية والكونفيشيوسية من أسرار، كما عند الدروز والباطنية من أسرار.

ومع بطلان ما ذهب إليه النصارى من القول بالأسرار إلا إنهم لا يزالون متمسكين بها ويمارسونها ويؤدون الطقوس الخاصة بها ويختلقون ما يبررون به أقوالهم وأفعالهم.

زعم أباء الكنيسة فاعلية الأسرار الكنسية:

ويزعم النصارى أن للأسرار الكنسية أهميتها وفاعليتها بالنسبة للممارسين لها، ويرتبون لكل سرٍّ أهميةً خاصةً به وفعلاً ناتجاً عنه، فيقول حبيب جرجس: (فالأسرار تفعل فعلاً حقيقيًّا في المؤمن المشترك بها؛ فإن الماء والروح في سر العمودية يلده ثانية ويقدسه وينقيه، ومسحة الميرون تمنحه ثباتاً وتهبه حلول الروح القدس، وبتناوله سرَّ الشكر يوهب عدم الموت والثبات في المسيح، وبوضع اليد في الكهنوت تمنح للمرتسمين نعمة خاصة لتكريسهم لخدمة الأسرار المقدسة بحسب طبيعته وجوهره يفعل فعلاً غير منظور ويمنح لكل من يتقدم إليه[1].

ويذكر جاد المنفلوطي أن (هذه الأسرار كانت تُمارس باعتبارها وسائط ينال الناس عن طريقها الخلاص، وكان الاعتقاد السائد أن لهذه الأسرار في ذاتها قوةً سريةً أو قُلْ سحرية تؤثر في نفوس الناس، وأنها تؤدي بالعابدين الذين يمارسونها إلى الحصول على النعم الإلهية، وبغض النظر عن حالتهم الروحية لا فرق في هذا بين المؤمن وغير المؤمن فبالمعمودية يتجدد المعتمد، وبالتناول يحصل المتناول على جسد المسيح ودمه، وبالتالي ينال الحياة الأبدية، ولكي تكون لهذه الأسرار فاعليتها يجب أن تتم ممارستها على يدي كاهن ممن حصلوا على سر الكهنوت)[2].

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة ص٩، راجع: تاريخ الكنيسة لجـــون لوريـمر جـ٣/ ١٢٥.

(٢) المسيحية في العصور الوسطى ص١٠٦.

وإذا كان النصارى يدَّعون فاعلية الأسرار عند الممارسين لها فقد وجه إليها عدة اعتراضات منها:

(١) أن ادعاء النصارى فاعلية الأسرار يتناقض مع ادعائهم بأن مواهب الروح القدس تنالها النفس قبل ممارسة الأسرار كما جاء في كتابهم المقدس[1].

(٢) يتناقض قولهم بفاعلية الأسرار مع ما جاء في كتابهم من أن نوال نعمة الخلاص متعلق على الإيمان وحده[2]، فهم يدعون أن فاعلية الأسرار ينالها الصالح وغير الصالح بل إن القول بفاعلية الأسرار يبطل قيمة الإيمان؛ لأنه بممارسة الأسرار يتساوى المؤمن الطائع مع غيره من العاصين، ويترتب على ذلك عدم وجود قيمة للإيمان، كما يترتب على ذلك أن خلاص العبد من الذنوب والخطايا لا يناله بالطاعة والتوبة بل بممارسة الأسرار.

(٣) إن الذي بيده النفع والضر هو الله وحده دون سواه، إلا أن عقيدة النصارى في فاعلية الأسرار يجعل للإنسان مثل ذلك، أي أن الكهنة الذين يمارسون طقوس الأسرار ينفعون ويضرون في زعمهم، كما أن فاعلية الأسرار تَنْسب إلى المادة المخلوقةِ القوةَ في الحصولِ على النعمة.

ومن خلال هذه الاعتراضات نتبين بطلان ما يعتقده النصارى من فاعلية الأسرار والأهمية التي يرتبونها على ممارستها.

✡✡✡✡✡✡✡✡

---

(١) راجع: أع: ٦/ ٣-٦.

(٢) راجع أع: ١٦/ ٢٩ -٣١.

الفصل الأول

سر المعمودية
وموقف الإسلام منه

المبحث الأول: تعريف المعمودية وبيان أدلتها عند النصارى.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للمعمودية وصلتها بالديانات القديمة.

المبحث الثالث: أنواع المعمودية.

المبحث الرابع: أهمية المعمودية وكيفية ممارستها.

المبحث الخامس: المعمودية لدى الكنائس النصرانية.

المبحث السادس: موقف الإسلام من المعمودية.



المبحث الأول

تعريف المعمودية وبيان أدلتها

أ- تعريف العمودية:

[١] التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب: العمد: ضد الخطأ في القتل وسائر الجنايات، وقد تعمده وتعمد له، وعمده يعمده عمدا، وتعمده: قصده، والمعمود المشغوف عشقا، وقيل: الذي بلغ به الحب مبلغا، قلب عميد: هَدَّه العشق وكسره، وعميد الوجع مكانه، والمعمد والعمد والعمدان والعمداني: الشاب الممتلئ شبابا، وقيل: هو الضخم الطويل(١).

وفي مختار الصحاح: (العِماد) بالكسر: الأبنية الرفيعة تذكر وتؤنث، الوحدة عمادة. (وعمد) الشيء وقصد له أي (تعمد) وهو ضد الخطأ، و (عمد) الشيء (فانعمد) أي: أقامه بعماد يعتمد عليه، بابها ضرب، و(عمود القوم) و(عميدهم) سيدهم، و(العمدة) بالضم ما يعتمد عليه، و (اعتمد) على الشيء واتكأ، واعتمد عليه كذلك اتكل().

[٢] تعريف العماد في الاصطلاح الكنسي:

جاء في معجم اللاهوت الكتابي تحت كلمة: (معمودية): (إن الفعل باليونانية «*Vaplein baptirein*» يعني (غطس) وغسل؛ فالعماد تغطيس أو غسل، ورمزية الماء كعلامة تطهير أو حياة كثيرة الشيوع في تاريخ الأديان)(٢).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: (المعمودية: طقس الغسل بالماء رمزا للنقاوة

---

(١) لسان العرب جـ١/ ٣٠٩٦ وما بعدها بتصريف، القاموس القويم جـ٣/ ٣٥.

(٢) معجم اللاهوت الكتابي ص٧٥٤.

والانخراط في سلك طائفة ما، وقد عرف اليهود هذه العادة واستعملوها كما يفهم من الكتاب المقدس، ولما جاء يسوع تَبَنَّى هذا الطقس وجعله فريضة في الكنيسة المسيحية؛ إذ أنه جعل التعميد بالماء باسم الثالوث الأقدس علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة وعلى الانتساب رسميا إلى كنيسة المسيح، ويصرح الله للمتعمد بوساطة هذه العلامة بغفران الخطايا، ومنح الخلاص، أما المعتمد فيتعهد هو أو المسئولون عنه بالطاعة لكلمة الله أو التكريس لخدمته، أي أن المعمودية تختم وتشهد على اتحاد المؤمنين بالله بالإيمان، والنبوة وغفران خطاياه بموت المسيح وقيامته[١].

وكلمة (المعمودية) معربة من الكلمة السريانية (معموديتو) ومعناها (الغسل لأجل التطهير) وهي نفس الكلمة المترجمة «غسل» ومن كلمة المعمودية اشتقت كلمتا: اعتمد وعماد وغيرها[٢].

واللفظة: (عماد) اصطلاح قد اصطلح عليه المسيحيون للدلالة على العلامة التي توضع على من أمر بإيمانه المسيحي جهاراً[٣].

تعريف المعمودية عند آباء الكنيسة ورجالها:

يقول زكي شنودة: (المعمودية هي سر مقدس به نولد ميلاداً ثانياً بالماء والكلمة)[٤].

ويعرف حبيب جرجس المعمودية بقوله: (المعمودية سر مقدس به نولد ميلاداً ثانياً بتغطيسنا في الماء ثلاث دفعات على اسم الثالوث الأقدس: الأب والابن والروح القدس)[٥].

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

(٢) راجع: الكهنوت ص ٣٥٨ بالهامش، الخلاص بين الوحي والمفاهيم البشرية ص٥.

(٣) راجع: تفسير إنجيل متى ص ٤٢.

(٤) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٥، راجع: الدين المسيحي للأنبا يؤانس ص ١٢٥.

(٥) أسرار الكنيسة السبعة ص ٢٢ .

ويعرفها «دنيس كلارك» بقوله: المعمودية هي طقس أو شعيرة دينية تُجرى للمؤمن بتغطيسه بالماء أو بالرش، فيعلن بذلك إيمانه وتوبته عن الخطايا والتزامه لعمل إرادة الله[١].

ويقول عوض سمعان: (إن العماد باسم المسيح هو إشهار الإيمان به أو بالأحرى الاعتراف الرسمي بالموت معه والقيام معه، وذلك بوساطة النزول في المعمودية والصعود منها[٢].

ويقول القس مكرم نجيب: المعنى الكبير للمعمودية أنها علامة الدخول في العهد مع الله، وأننا صِرْنَا ملكاً له متحدين به، وأنها الشركة والارتباط والاندماج والوحدة بالرأس وبالجسد، وأنها الاختباء في المسيح والنجاة والخلاص به والتعهد بسلوك الضمير الصالح في حياة القيامة[٣].

وبعد عرض تعريفات النصارى للمعمودية يتبين أنهم يتفقون على تقديس سر المعمودية، بل هو من أهم الأسرار وأولها عندهم، وبالرغم من هذا فإن منهم من يقول: إن التعميد يكون باسم المسيح، ومنهم مَن يقول: باسم الروح القدس، ومنهم من يقول: إنه باسم الثالوث، وهذا إن دل فإنما يدل على أن هؤلاء القوم يمارسون عبادتهم حسب أهوائهم ودون ضابط لهم من الشرع.

وهم يعتبرون الشخص المتعمد متشبها بالمسيح، فحينما يغطس في الماء يموت كما مات المسيح، وحينما يخرج من الماء يُشْبِه قيامة المسيح كما يزعمون، وعلى أي وصف

---

(١) سيرة المسيح وتعاليمه - دنيس كلارك ص ٢٧٦.

(٢) الكهنوت ص ٣٥٨، راجع: مصادر الوحي الإنجيلي جـ٢/ ٤٦٥.

(٣) المعمودية بين المفهوم والممارسة - مكرم نجيب ص ٤٦ - وراجع مبادئ العقائد المسيحية أصالتها وفاعليتها ص ٦٨.

وأية حالة يمكن القول بأن المعمودية عند النصارى هي: (سر مقدس به يولد الشخص المعمد ميلاداً ثانياً بالماء والكلمة، تعبيراً عن تطهير النفس من الخطايا والذنوب).

ولقد أطلق آباء الكنيسة على المعمودية أسماء مختلفة تدل كما يقولون في الواقع على طبيعة البركات التي يحصل عليها المعمد منها[1] وأهمها: الولادة الثانية، والمسحة، والاستنارة، والخلاص، والعطية، وتقديس، وينبوع مقدس، وحميم، وختم الإيمان، وختم الدين المسيحي، التطهير، وماء الحياة الدائم[2].

[٣] بيان أدلة المعمودية:

يستدل النصارى على ما يذهبون إليه من اعتقادهم بفرضية سر المعمودية بما ورد من نصوص يحتوى عليها كتابهم المقدس، ومن هذه النصوص ما جاء في إنجيل متى: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس)[3]، في إنجيل مرقس: (وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وأكزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن)[4].

وفي إنجيل يوحنا: (إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله)[5]، كما يعتمد النصارى في تعميدهم على ما جاء في إنجيل متى من أن يسوع جاء من الجليل إلى الأردن وطلب من يوحنا أن يعمده (حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلا: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ،

---

(١) راجع: اللاهوت في إنجيل يوحنا ص١٨١.

(٢) راجع: المعمودية - جورج حبيب ص ٩٤، ٩٥، وأسرار الكنيسة السبعة ص ٢٢.

(٣) متى: ٢٨/ ١٩.

(٤) مرقس ١٦/ ١٥، ١٦.

(٥) يوحنا: ٣/ ٥.

فأجاب يسوع وقال له: امسح الآن؛ لأن هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر، حينئذ مسح له، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وأتيا عليه، وصوت من السماوات قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)[١].

وقال بطرس: (توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس)[٢]، وما جاء في رومية: (إننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات)[٣].

وإذا كان النصارى يستدلون بهذه النصوص وغيرها من نصوص العهد الجديد؛ فقد وُجد لديهم أيضا ما يستدلون به من أقوال آباء الكنيسة، ومنها قول كيرلس الأرشليمي: (عظيمة هي المعمودية؛ فهي معدة فداء عن المأسورين وصفحا عن الأوزار، وموتاً عن الخطية، وولادة ثانية للنفس، وثوباً نيراً، وختماً مقدساً لا ينفك، ومركبة إلى السماء، إنها تعليم الفردوس وعلة الملكوت ومنحة التبني)[٤].

ويقول أوغسطينوس: لنا ميلادان: أحدهما أرضي، والآخر سماوي، الأول من الجسد، والثاني من الروح، الأول عن الرجل والمرأة، والثاني عن الله والكنيسة، الأول يجعلنا أبناء الجسد، والثاني يجعلنا أبناء الروح، الأول يصيرنا أبناء الموت، والثاني أبناء القيامة، الأول يجعلنا أبناء اللعنة والغضب، والثاني أبناء البركة والمحبة، الأول يقيدنا بأغلال الخطية الأصلية، والثاني يحلنا من رباطات كل خطية[٥].

---

(١) متى: ٣/ ١٣ - ١٧.

(٢) أع: ٢/ ٢٨.

(٣) رومية: ٦/ ٣، ٤.

(٤) صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية صـ٨ مكتبة المحبة.

(٥) صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية صـ٨ مكتبة المحبة.

فهذه هي أدلة النصارى على سر المعمودية عندهم، وسوف يتضح -إن شاء الله تعالى- بطلان هـذه الأدلة عند تفنيدها؛ وذلك عند البحث في موضوع عالمية التنصير عند النصارى، وعند الحديث عن المسيح عليه السلام وصلته بمعمودية النصارى، وبيان موقف الإسلام منها.

✡✡✡✡✡✡✡

المبحث الثاني

الجذور التاريخية للمعمودية عند النصارى وصلتها بالديانات القديمة

يربط النصارى بين المعمودية وبين ما حدث من أمور خلال التاريخ الإنساني، فقبل خلق السماوات والأرض كان الكون كله ماء، والنصارى يزعمون أن هذا الماء هو أساس ماء المعمودية ويستندون بما جاء في سفر التكوين: (في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه)(١).

يقول حبيب جرجس:

(قد رمز إلى المعمودية في العهد القديم بأمور كثيرة، منها أن روح الله كان يرف على وجه المياه في بدء الخليقة إشارة إلى بث الحياة في المادة)(٢).

إن النصارى يؤولون النص على حسب أهوائهم كي يتفق مع عقائدهم وشعائرهم، ولأن كان الله تعالى قد جعل الماء سببا من أسباب الحياة فقال في القرآن: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾(٣)، فإن ذلك لا يكون دليلًا أبداً على ما ذهب إليه النصارى من هذا الربط بينه وبين المعمودية.

كما يربط النصارى بين الطوفان الذي حدث على عهد نبي الله نوح وبين المعمودية،

---

(١) سفر التكوين ١/١ -٢.

(٢) أسرار الكنيسة السبعة صـ٢٣.

(٣) سورة الأنبياء: من الآية (٣٠).

فمع أن الله قد جعل الطوفان انتقاما منه من العاصين المتمردين على أوامره، والذين آذوا نبيه نوحا عليه السلام، إلا أن النصارى يزعمون أن الطوفان كان تعميدا للكون كله، وأن نوحاً ومن معه في السفينة قد تطهروا جميعا، ففي رسالة بطرس الأولى (كانت أَنَاةُ اللهِ تنتظرُ مرَّةً في أيام نوح إذْ كان الفلك يبنى الذي فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء، الذي مثاله يخلصنا نحن الآن، أي المعمودية)[(١)].

وجاء في كتاب المعمودية المسيحية:-

(فالخلاص خلاص حقيقي على الأرض كان خلاص نوح، لكنه يشير إلى الخلاص الأبدي، أي: كما أن نوحا وبيته قد خُلصوا في الطوفان وخرجوا إلى أرض مطهرة هكذا نحن نخلص في ماء المعمودية والخروج منه رمزان لخلاص أبدي)[(٢)].

و إذا كان النصارى يقولون بأن المعمودية تطهير من الذنوب، فكيف يربطون بينها وبين الذين كانوا في الفلك مع نبي الله نوح عليه السلام؟ أليس هؤلاء أطهاراً وطائعين لله؟ وكيف يكون الطوفان تعميداً للكون، ولمن كان مع نوح؟ إن هذا لا يجتمع حسب زعم النصارى أنفسهم.

كما يدعي النصارى أن بين المعمودية عندهم وختان خليل الله إبراهيم صلة؛ فقد كان الختان تطهيراً والمعمودية تطهير، وهم يربطون بين نصوص العهدين القديم والجديد من أجل دعم رأيهم والاستدلال به على ما يذهبون إليه.

ففي العهد القديم: (قال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي أنت، ونسلك من بعدك، ويختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم،

(١) أبط: ٣/ ٢٠ -٢١.

(٢) المعمودية المسيحية - تعريب فارس فهمي صـ ٢١، ٢٢ - الناشر بيت عنيا - ط (١) ١٩٩١م. وراجع: المعمودية بين المفهوم والممارسة صـ ٤٠.

ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم وليد البيت، والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك، يختن ختان وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبديًّا، وأما الذكر الأغلف الذي لا يُختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدي)[١].

وجاء في العهد الجديد في رسالة بولس إلى أهل كولوسي: (انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أمكان العالم وليس حسب المسيح، فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا وأنتم مملوؤن فيه الذي هو رأس كل رياسة وسلطان وبه أيضا ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضا معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات)[٢].

يقول صليب سوريال: (يشير الختان في العهد القديم إلى المعمودية في العهد الجديد، فكما أن الختان كان علامة الدخول في عهد مع الله، كذلك المعمودية هي علامة الدخول إلى ملكوت الله)[٣].

إن هؤلاء القوم ألغوا شريعة الختان التي جاء بها إبراهيم ومن بعده موسى وعيسى، إلا أنهم لما أرادوا أن يستدلوا على أقدمية المعمودية ربطوا بينها وبين الختان، ومع أن الختان هو قطع الغرلة؛ اللحمة الزائد فوق الفرج، والعماد على زعمهم هو الاغتسال بالماء، وأن كلا منهما تطهير، إلا أنه لا يستدل بالختان على أقدمية المعمودية على أن الختان عُرف في العهود القديمة بالمعمودية.

---

(١) تك: ١٧ / ٩-١٤.

(٢) كولوسي: ٢/ ٨-١٢. (م ١١ الكنيسة).

(٣) دراسات في أسفار موسى الخمسة، صليب سوريال ص٦٠٠ مكتبة التربية الكنسية الأرثوذكسية ط(١) سنه ١٩٨٧م.

ولم يقتصر رجال الكنيسة على ذلك بل واصلوا خلطهم وتشويه الحقائق، فأولوا غرق فرعون ومن معه في البحر ونجاة موسى وبني إسرائيل بما يتفق مع قولهم بالمعمودية (فإن البحر كان رمزا إلى ماء المعمودية، والسحابة إشارة إلى الروح القدس، ففرعون كان رمزاً إلى الشيطان الذي ينسحق في مياه المعمودية)[١].

وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: (فإني لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر)[٢].

ويعقب القس مكرم نجيب على قول بولس بقوله: (إن الرسول بولس يريد أن يقول: إن المعمودية هي اتحاد بالرب يسوع كرأس كما اتحد الشعب بموسى، وهي اندماج المعمد وارتباطه وانضمامه إلى شعب الرب الواحد المترابط كما حدث للشعب كله في البحر وفي السحابة)[٣].

ويقول حبيب جرجس: (ووجه التشبيه ظاهر في هذا المثال، وهو أنه كما أن الإسرائيليين اعتمدوا لموسى بعبورهم في بحر الموت الرمزي وخرجوا إلى شاطئ النجاة، هكذا الذين يعتمدون للمسيح في ماء المعمودية، يعبرون بحر الموت ويخلصون ويخرجون إلى شاطئ الحياة بالقيامة من الأموات)[٤].

إن الله تعالى فلق البحر معجزة لنبي الله موسى فأغرق فرعون ومن معه بذنوبهم وعصيانهم لربهم، ونجا موسى ومن معه من المؤمنين الطائعين فساروا على الماء ولم يغرقوا

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة ص٢٣.

(٢) اكو ١٠/ ١ - ٢.

(٣) المعمودية بين المفهوم والممارسة ص٣٦.

(٤) أسرار الكنيسة السبعة صـ٣٤.

ولم يكونوا خارجين ليعمدوا ويتطهروا كما يزعم النصارى، بل كانوا خارجين فارين من طغيان فرعون وتعذيبه، فكيف يقوم ذلك ليكون دليلاً للنصارى على معموديتهم؟

ويذهب النصارى إلى أنه قبل (أن يأمر المسيح بفريضة المعمودية المسيحية كانت المعمودية عند اليهود تُمارس في أكثر من مظهر أو معنى؛ إذْ كانت تشير في المعنى الواسع إلى التطهيرات المختلفة عندهم؛ إذْ قيل: (وأشياء أخرى تسلموها للتمسك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة)، ولفظ (غسل) المذكور هنا هو ذات اللفظ المستعمل لكلمة (عماد) وقيل: (وهي قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة)، والكلمة (غسلات) هي ذات الكلمة المستعملة (للعماد) ومن ثم فالعبارة عند اليهود كانت تشير أساساً إلى التطهير)[١].

وهم يدعون أيضا أن هارون تعمد بالماء قبل أن يأخذ الكهنوت مستدلين بما جاء في سفر الخروج: (وتقدم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتَغْسِلُهُمْ بِمَاءٍ)[٢].

ويقولون: إن في أمر الكهنة بالاغتسال عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع دليلاً على صلة ذلك بمعموديتهم: (تصنع مِرْحَضَةً من نحاس وقاعدَتَها من نحاس للاغتسال وتجعلُهَا بين خيمة الاجتماع والمذبح، وتجعل فيها ماء فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع، يغسلون بماء لئلا يموتوا، أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ليوقدوا وقودا للرب يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله في أجيالهم)[٣].

يقول صليب سوريال: (تغسلهم هذا أول ما ذكر من الغسل الديني في الكتاب

(١) القضايا المسيحية الكبرى - إيماني ص٤٩٠.

(٢) خروج: ٢٩/ ٤.

(٣) خروج: ٣٠/ ١٨-٢٢.

المقدس، والماء رمز طبيعي إلى الطهارة، والغسل به من أنسب ما يشير إلى الطهارة من الخطية، وقد بقي رمزا إلى ذلك في الدين المسيحي والعماد)[١].

و إقرار هذا القس بأن هذا الغسل بالماء هو أول ما يشير إلى الطهارة في الكتاب المقدس، وهذا ينقض ما ذهب إليه هو وغيره من النصارى الذين يربطون بين المعمودية والماء الذي كان موجودا قبل خلق الكون، وكذلك بين المعمودية والطوفان والختان على عهد إبراهيم عليه السلام، فهم قوم يطوعون النصوص حسب أهوائهم، وإن لم تأت معهم طوعاً لووا عنقها ليًا حتى تتفق مع ما يزعمون.

زعم النصارى معمودية يوحنا:

يزعم النصارى أن يوحنا (يحيى بن زكريا عليهما السلام) كان يقوم بتعميد اليهود في زمانه، وكان يعمدهم بالتوبة، ويدَّعون أن المسيح ذهب إليه وطلب منه أن يعمده في نهر الأردن، ففي إنجيل متى: (حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلا: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ، فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر حينئذ سمح له، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وأتيا عليه)[٢].

فقد كان النبي (يحيى) يوحنا المعمدان يكرز يدعو إلى التوبة في كل المناطق المحيطة بنهر الأردن من الشرق ومن الغرب، وكان يحض الناس على ترك خطاياهم وأن يعلنوا ذلك باعتمادهم بالماء؛ لذلك سمي يوحنا المعمدان[٣].

(١) دراسات في أسفار موسى الخمسة ص٢٤٤.

(٢) متى: ٣/ ١٣ - ١٦.

(٣) راجع: سيرة المسيح وتعاليمه ص٤٠.

والنصارى يحدثون علاقة بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح فقد تعمد المسيح في زعمهم بمعمودية يوحنا، كما تَعَرَّفَ بولس على تلاميذ يوحنا المعمدان، الذين اعتمدوا بمعموديته، ففي سفر أعمال الرسل أن بولس (جاء إلى أفسس، فإذا وجد تلاميذ قال لهم: فبماذا اعتمدتم، فقالوا: بمعمودية يوحنا، فقال بولس: إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده، أي بالمسيح يسوع، فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع)[١].

فمعمودية يوحنا هي مقدمة حسب رأيهم لمعمودية المسيح الذي أتم معمودية يوحنا بعد مجيئه، ويقول يوحنا المعمدان في إنجيل متى: (أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار)[٢].

وما سبق من معموديات كالطوفان على عهد نوح والختان على عهد إبراهيم وغرق فرعون على عهد موسى ومعمودية يوحنا فكل هذه تعتبر في نظر الكنيسة مقدمة لمعمودية المسيح، يقول حبيب جرجس: (هذه المعموديات المذكورة لم تكن سوى رموز إلى معمودية المسيح ورسوم ومقدمات سابقة لظهور سرِّ المعمودية المسيحية، وفرق كبير بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح)[٣].

الجذور الوثنية للمعمودية النصرانية:

إن الباحث في الديانات الوثنية يتبين له أنها كانت تُمارس التعميد للأشخاص الداخلين فيها والأطفال بعد الولادة كما هو عند النصارى اليوم، وإن كان هناك بعض الاختلاف في طريقة الممارسة، إلا إنه يوجد قاسم مشترك بين المعمودية الوثنية والمعمودية النصرانية، وهذا يدل على أن اللاحق قد أخذ من السابق.

---

(١) متى: ٣/ ١١.

(٢) أسرار الكنيسة السبعة ص٢٣٠.

(٣) راجع: القضايا المسيحية الكبرى ص٤٩١، سيرة المسيح ص٧٤.

فعن العماد عند الصابئة[١] يقول السيد عبد الرازق الحسيني: إذا مرت على المولود خمسة وأربعون يوما وَجَبَ أن يعمد بعماد الولادة فيصبح الطفل طاهرا من دنس الولادة، وذلك بأن تذهب به أمه في يوم الأحد أو في أحد أيام الأعياد إلى عالم من درجة «كنزبرا»[٢]، أو من درجة «ترميد»[٣] فينطلق بها إلى ساحل النهر ومعه مؤمنان: أحدهما من درجة «ترميدة» والآخر من درجة «حلالي»[٤]، وبعد أن يلبس الجميع لباس الاعتماد المعروف بالرستة، ويلفون «النصيفة» حول رقابهم يتوضأ المؤمن ويصلي على رأس الطفل صلوات يستنزل بها عليه بركات الاعتماد وهو ملثم، ثم يضع خاتما من الآس الأخضر في خنصر يد الوليد اليمنى، ويسمونه: «كلية» ويدخل في الماء الجاري إلى ركبتيه وبيده عصا، فيتبعه الحلالي حاملا للطفل ويخوض في الماء إلى ركبتيه ويكون الجميع متجهين نحو الجدي، وعندها يشرع المؤمن في تلاوة نصوص مندائية مستخرجة من كتبهم المقدسة، ثم يغترف حفنة من الماء ويصبها على الحلالي (حامل الطفل) بثلاث وجبات قائلا للطفل بلغته المندائية ما معناه: (أعمدك باسم الثلاثة: الله ومندايس ويحيى يوحنا، أعمدك معمودية بهرام العظيم ابن روربي لتكون معموديتك حارسة لك، ورافعة إياك إلى العلاء)[٥].

---

(١) الصابئة: هم قوم كانوا يعبدون آلهة متعددة، فمن الصابئة عبدة الكواكب، ومنهم عبدة النار، ومنهم من كان يعبد إله الخير وإله الشر، ومنهم من كان يعبد إلها واحد، ومن الصابئة قومٌ لازالوا الآن في العراق.

(٢) الكنزبرا: هي الدرجة الثالثة من درجات علماء الصابئة، ويشترط فيمن يريد أن يرتقي إليها أن يكون فاضلا محترما ولبقا ومطلعا على كثير من التفاسير والشروح الدينية وحافظ الكتاب «الكنزا» وأن يكون متزوجا وغير عقيم.

(٣) الترميدة: هي الدرجة الثانية عن الصابئة، ويشترط في صاحبها أن يكون فقيهاً في كتابي التعميد والأذكار، أو حفظ قسماً كبيراً منهما، وبعد أن يجرى الرسوم الخاصة بهذه الدرجة؛ وذلك بأن يتعمد بالانغماس في الماء.

(٤) الحلالي: يسميه العامة (الشماس) ويشترط فيه أن يكون تام الخلقة سليم الحواس والجسم، وأن يكون سليل عائلة (حلالية) وأن يكون دارسا لكتب الدين الأولية ص٩٥.

(٥) الصابئون في حاضرهم وماضيهم - السيد عبد الرازق الحسيني ص١٢٠، ١٢١، المكتب العربي لتوزيع المطبوعات - بغداد ط «٩» ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

ومن هذا يتبين مدى التشابه بين المعمودية عند النصارى وعند الصابئة وأن اللاحق يقلد السابق، وقد سبقت الصابئة النصرانية في الزمان مما يُستنتج منه أن النصرانية مقلدة للصائبة في المعمودية.

ولم يقتصر النصارى على الأخذ من الصابئة، بل أخذوا من غيرهم، ففي المقابلة التي عقدها البيروتي بين ما يقول البوذيون[١] عن بوذا وما يقوله النصارى عن المسيح جاء في هذا الفترة العشرين منها:

(وقد عمد بوذا المخلص وحين عمادته بالماء كان روح الله حاضراً وهو لم يكن الإله العظيم فقط روح القدس الذي صار تجسد كوتوما لما حل على العذراء مايا).

ويوحنا عمد يسوع بنهر الأردن، وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل الروح القدس الذي فيه تم تجسده عندما حل بالعذراء مريم فهو الابن والأب وروح القدس[٢].

وهذا يدل على اقتباس النصرانية من البوذية ما يتصل بالتعميد؛ وذلك بسبب كونها متأخرة جدا «أي النصرانية» بالنسبة إلى البوذية بما يقرب من خمسة قرون، وناهيك بالدور الذي لعبته البوذية في العالم الروماني قبل ظهور المسيح عليه السلام وبعده.

كما تحدث البيروتي عن التعميد عند الأمم الوثنية فذكر أنه كان يمارس عند الهنود والفرس في أفريقيا، وعند الرومان والجرمانيين والمكسيكيين، وسكان نيوزيلاندا ثم

---

(١) البوذيون: هم أصحاب بوذا الموجود إلى الآن في صورة وثن يتخذه البوذيون إلها يعبدونه في شبه القارة الهندية واليابان، ومنهم من يوجد في دول شرق آسيا.

(٢) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية - محمد بن طاهر التنير البيروتي - تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي ص٢٠٨ دار الصحوة للنشر ط «١» ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، الديانات القديمة - محمد أبو زهرة ص٩ - دار الفكر العربي ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

يذكر قول (لندي): (إذا تصفحنا التاريخ نرى طقس العماد قديم العهد جدا، فقد كان شائعا في آسيا وأمريكا، وكان سكان البرازيل يعمدون أولادهم الذكور والإناث في الهيكل المدعو «هيكل الصليب»، فكان يصب الماء من إبريق، وكانوا يدعون العمادة «ماء الولادة الثانية»)(١).

ومما لا شك فيه أن بولس الذي استقى ثقافته من الفكر الوثني الروماني وغيره كان على علم بالتعميد عند الأمم الوثنية فأدخله في النصرانية كما أدخل غيره من العبادات الوثنية، ومما يؤكد ذلك أن غالبية النصوص التي تتحدث عن التعميد في العهد الجديد تضمنتها رسائل بولس.

ويقول كامل صالح نخلة: جاء في كتاب عبادة الآلهة في الإسكندرية تأليف ج. لافلية عن معمودية التوبة والتطهير من الخطايا بالغسل والرش ما يأتي:

أ- معمودية التوبة أو الغسل بالماء: إن أول الاختبارات الاستغفارية التي تنقى هو التطهير بالماء، ويقول عنه ما روى «أنه العماد».

فيقود الكاهن الأكبر طالب الغفران متبوعا بموكب من المؤمنين إلى حمام موجود بجوار المعبد، وهناك يغطس الطالب المذكور في حوض مخصوص لهذا الغرض، ثم يقوم الكاهن المرشد بتلاوة صلاة خاصة إلى الآلهة، ثم يسكب الماء على كل جسم طالب الغفران وبعد ذلك يعودون به إلى المعبد حيث يسجد أمام صورة إيزيس، ثم يلقن بعد ذلك بالأسرار الفائقة الوصف.

ب- التطهير برش الماء: إن الاحتفال بتقديم القربان الذي يلي الاحتفال الأول هو أهم جزء في الحفل، وله ميزة خاصة، ويقام الاحتفال بساحة المعبد الموجود فيها

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص١٨١.

مذابح أخرى مختلفة، فيدور الكاهن حولها وهو يتلو الصلاة المعتادة ويرش الماء المأخوذ من عين سحرية جارية بلا شك من النيل.

جـ- تقديس المياه: إن الشخص الرئيسي في مشهد تقديس المياه الذي يستلفت النظر هو الكاهن القائم أمام مقصورة الإله في المعبد، والذي يلزم مكانه واقفاً حاملاً بين يديه المرتفعتين نحو صورة جرة ملفوفة في ثنايا جلبابه[1].

وبعد فإن ما جاء به آباء الكنيسة ليس من وحي السماء الذي بلّغه لهم عيسى عليه السلام، بل هو مما أخذوه من الأمم الوثنية الكافرة السابقة عليهم، وهكذا يتضح مدى التشابه بين معمودية النصارى ومعمودية أصحاب الديانات الوثنية وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2].

✿✿✿✿✿✿✿

(١) تاريخ مرقس البشير - كامل صالح نخلة ص٨٥ وما بعدها بتصرف.

(٢) سورة التوبة - من الآية (٣٠).

المبحث الثالث

أنواع المعمودية

تنقسم المعمودية عند النصارى بحسب الأشخاص الممارِسين لها إلى نوعين وهما:

[١] معموديـــة الأطفال.

[٢] معموديـــة الكـبار.

أولا: معمودية الأطفال:

يختلف النصارى حول معمودية الأطفال بين مبيح لها ومانع[١]، إلا أن غالبيتهم يقولون بوجوب تعميد الأطفال ويأتون بأدلة على ذلك منها:

(١) أن تعميد الأطفال حرص على أبديتهم ضروري لقول المسيح: (إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله)[٢]، فكيف يمكن أن نمنع عنهم العماد فنعرضهم لهذا الحكم الإلهي الذي لم يحدث فيه أن المسيح استثنى منه الأطفال حينما قال هذا.

(٢) إن القول بالمعمودية يعطي الأطفال فرصة لممارسة الحياة داخل الكنيسة والتمتع بكل أسرارها الإلهية وبكل تأثيرها، وكل عمل النعمة فيها وفاعليتها في حياتهم، وبهذا نعدهم إعداداً عمليًا لحياة الإيمان، وإن تركناهم بدون تعميد نكون قد حرمناهم من وسائط النعمة والإيمان.

---

(١) راجع: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

(٢) يـو: ٣/ ٥.

(٣) قول المسيح: (من آمن واعتمد خلص)[١]، فالمقصود به الكبار الذين في سن يسمح بإدراك معاني الإيمان، ولهذا لا يمكن أن يعمد الكبار إلا إذا آمنوا عملاً بقول المسيح، أما من جهة الأطفال فينطبق عليهم قول المسيح أيضا (دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم؛ لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات)[٢].

(٤) من جهة الإيمان، ليس عند الأطفال ما يمنع الإيمان مطلقا؛ لأنهم لم يدخلوا في مرحلة الشك والفحص والتفكير التي عند الكبار، وهم في إيمان يصدق كل شيء ويقبله، فليس عندهم رفض الإيمان ولا مقاومة الإيمان ولا سلبيات تمنع ملكوت الله.

(٥) يقولون: إن الذين ينكرون معمودية الأطفال إنما ينكرون لزوم المعمودية للخلاص[٣]؛ لأنهم لو آمنوا بلزوم المعمودية لكان من الخطورة أن يحرموا الطفل من الخلاص.

(٦) يقولون أيضاً: إن تعميد الأطفال يشير إليه الكتاب المقدس فيما ذكره الكتاب من عماد الأسرة بأكملها، أو شخص وكل بيته، وليس من المعقول أن كل هؤلاء الذين آمنوا لم يكن في عائلاتهم أطفال، مثل عماد سجان فيلبى قال له بولس وسيلا: (آمِنْ بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك)[٤]، وعماد ليديا بائعة الأرجون قيل إنها: (اعتمدت هي وأهل بيتها)[٥]، وقال بولس: (وعمدت أيضا بيت إسطفانوس)[٦].

---

(١) مرقس: ١٦/ ١٦.

(٢) متى: ١٩/ ١٤.

(٣) راجع: مرقس ١٦/ ١٦، ٢ تي ٢/ ٤.

(٤) أع: ١٦/ ٣١.

(٥) أع: ١٦/ ١٥.

(٦) اكو: ١/ ١٦.

ويقولون: إن الكتاب المقدس لا توجد فيه آية واحدة تنص على عدم معمودية الأطفال، وجاءت تعاليم آباء الكنيسة متضمنة على تعميد الأطفال، كما أن تعميدهم قديم في التاريخ.

(٧) يستدلون على معمودية الأطفال بالختان الذي كان مفروضاً أولا مدعين أن المعمودية قد حلت محله؛ فالأطفال من قَبْل كانوا يُختنون في اليوم الثامن من ولادتهم، ويجب أن يعمدوا في مثل هذا اليوم من الولادة.

(٨) يقولون: إن المسيح نفسه بارك الأطفال بركة خاصة، ودعاهم إليه قائلاً: (دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم؛ لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات)[١]، وقد قدس بعضهم وملأهم من روحه كما قدسه أرميا، ويوحنا الذي امتلاء من الروح القدس في بطن أمه، فلا مانع يمنع الأطفال مطلقاً من تجديدهم وامتلائهم بالروح القدس[٢].

والقائلون بمعمودية الأطفال ينتهون إلى أن منع الأطفال عن المعمودية بدعة غريبة مضادة للكتاب ولتعليم الرسل وقدراتهم ولنظام الكنيسة منذ ابتدائها، وهم لا يعيدون تعميد الأطفال بعد وصولهم سن البلوغ، كما لا يعاد تعميد من ارتد عن الإيمان عندهم ثم عاد إلى النصرانية ثانية، ونهت الكنيسة عن تأخير العماد بعد الأربعين أو الثمانين يوماً أو السنة، وإلا فيبحث عن السبب، كما يوقع على والد الطفل عقاب إذا تعمد تأخير العماد.

يقول القمص يوحنا سلامة: (فرضت الكنيسة عقاباً على الوالد إذا أخر عماد ولده تعمداً، وهو حرمانه من الاشتراك في جسد الرب ودمه الأقدسين مدة سنة كاملة مع الصوم

---

(١) متى: ١٩/ ١٤، ١٨ / ١٠، مرقس: ١٠ / ١٥، لوقا: ١٨/ ١٥-١٢.

(٢) راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص ٢٩ - ٣٢، القضايا المسيحية جـ٢/ ٣٧ - ٤١، المعمودية بين المفهوم والممارسة ص ٧٥ وما بعدها، المعمودية المسيحية ص ٣٨.

والصلاة، وبالعقاب نفسه إذا احتج بعدم لياقة الكاهن تأديباً له في الحكم على راعيه قبل اليوم، ولأن مفعول السر لا يتوقف على قداسة الكاهن أو عدمها فقوة المعمودية واحدة متساوية، وإنما يطلب أن لا يكون الكاهن غريباً عن الكنيسة ولا من مذمته ظاهرة، أما إذا نذر عماد ابنه في كنيسة أخرى فلا بأس من وفاء نذره فيها غير أنه لا يجوز للوالدين أن يهملا عماد ابنهما زيادة عن المدة المعينة وهي من ثمانية أيام إلى أربعين)[١].

أما عن حكم من مات من الأطفال قبل التعميد فيقول القس إلياس مقار:

(إن خلاصهم متحقق بفداء المسيح الذي رفع عنهم على الصليب، عقوبة الخطية الموروثة من آدم، وبما أن هؤلاء الأطفال لم يمارسوا أية خطية فعلية، وعدالة الله لا يمكن أن تحاسبهم على ذنب لم يجنوه ومسئولية لم يعرفوها أو يختبروها، وعمل لم يأتوا به أو يقصدوه، كان القول بأن موتهم بدون معمودية لا يعطيهم الخلاص ليس منافيا فقط لكل منطق، بل فيه تعريض غير كريم وشنيع بجميع الصفات الإلهية المنسوبة إلى الله)[٢].

ويقول القديس إغريغوريوس الثاولوغوس: (إن الأطفال غير المعمدين لا يمجدون ولا يعذبون من الديان العادل؛ لأنهم إن كانوا غير مستنيرين وغير مقدسين بالمعمودية لم يخطئوا خطية شخصية؛ ولذا لا يستحقون كرامة ولا قصاصاً)[٣].

ويلزم على هذا أن الأطفال لا يولدون بالخطية الموروثة؛ لأنه إذا كان هؤلاء الصغار يخلصون لا محالة وإنهم لا يهلكون فإن معنى ذلك أنهم لا يولدون بالخطيئة الأصلية «خطيئة آدم» وإلا لهلكوا؛ لأنهم لم يؤمنوا بالمسيح الذي خلصهم من الخطيئة الأصلية، وما دام الأطفال لا يولدون بالخطيئة الأصلية فقد تهدم الأساس الذي بني عليه عقيدة الخلاص،

---

(١) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جـ٢/ ٤٨ بالهامش.

(٢) القضايا المسيحية الكبرى - إيماني - ص ٥٠١.

(٣) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ص ٤٧ بالهامش.

ومثل هذا الاعتراض هو الذي جعلهم يقللون من فاعلية الخطية الأصلية في هلاك النفس فيقولون: (ولكن لابد من تمييز الخطية الأصلية عن الخطية الفعلية المرتكبة بالاختيار، فالخطية الأصلية وحدها لا تسبب هلاك النفس؛ لكون نصيب الفداء بكفارة المسيح ينسب رأسا إلى الأطفال لأجل خلاصهم من الخطية الأصلية بدون لزوم إجراء سر المعمودية)[١].

وقد وقفت بعض المذاهب النصرانية ضد القول بوجوب تعميد الأطفال بدعوى أن الأساس في المعمودية أنها رمز يشير إلى حقيقة وما لم تثبت الحقيقة فلا يصح الإشارة إليها برمز، كما قالوا: إن المعمودية تلحق الإيمان لا العكس؛ إذ جاء قول المسيح: (من آمن واعتمد خلص)[٢].

وأضافوا أن الخصي الحبشي، وليديا، وسجان فيلبى وغيرهم عمدوا قبل الإيمان؛ وعليه فلا يجوز معمودية الصغار ممن لم يدركوا بعد الإيمان المسيحي والولادة الجديدة[٣].

ثانيا: معمودية الكبار:

يقوم النصارى بتعميد من لم يسبق لهم التعميد من قبل من الكبار والبالغين، ومن يدخل في النصرانية من اليهود أو من غيرهم.

يقول مكرم نجيب: (إن الآيات والأحداث التي تظهر ذلك في العهد الجديد مرتبطة بالبعد والخلفية التاريخية التي تمت فيها، فلقد كانت المسيحية في نشأتها الأولى وكل من كان يقبل الإيمان والإعلام المسيحي كان من اليهود أو من الوثنيين، وقد كانوا في غالبيتهم من الكبار)[٤].

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص ١٠٥٨.

(٢) مرقس: ١٦/ ١٦.

(٣) راجع: القضايا المسيحية الكبرى - إيباني ص ٤٩٦ -، علم اللاهوت النظامي ص ١٠٨٥.

(٤) المعمودية بين المفهوم والممارسة ص٧٤.

ويقوم النصارى أيضا بتعميد المرأة بعد الولادة، فإذا ولدت ذكراً تأتي إلى الكاهن بعد أربعين يوماً فيبدأ الكاهن بالصلاة ويقول: (أرحنا يا الله الأب ضابط الكل، أيها الثالوث المقدس ارحمنا، أيها الرب إله القوات كن معنا؛ لأنه ليس لنا معين في شدائدنا وضيقاتنا سواك، ثم يقول الصلاة الربانية، ثم يأتي الكاهن بالبخور لتحليل المرأة ويكمل ما تبقى من تراتيل وترانيم، وإذا كانت المرأة قد وَلَدَتْ أنثى تأتي بعد ثمانين يوما فيصلي صلاة الشكر ويرفع البخور ثم يقرأ البولسية، أي يقول: بولس في كورنثوس ٧/١٢-١٤)[١].

ويوجد عن الصابئة مثلما عن النصارى أو ما يشبهه كثيراً، بالنسبة لتعميد المرأة الوالدة، ففي اليوم السابع تغتسل، وفي أول يوم أحد بعد يوم الثلاثين من الولادة إذا كان المولود ذكراً، وبعد اليوم الثاني والثلاثين إذا كان المولود أنثى، ويجب على المرأة أن تتعمد هي ورضيعها ويصر بعضهم على أن مدة هذه الفترة أربعون يوما واثنان وأربعون يوما على التوالي[٢].

وهكذا نرى التشابه الكبير بين المعمودية عند الصابئة ومعمودية النصارى سواء كانت معمودية الأطفال أو الكبار.

تعميد الجمادات:

وأقصد بتعميد الجمادات، تعميد الأشياء التي لا حركة لها من المقتنيات مثل البيوت والسيارات والمصانع، فإن النصارى يقومون بتعميد بيوتهم سواء كانت جديدة أو مشتراة من غيرهم، وكذلك المصانع والسيارات وغيرها من الأشياء.

يذكر الإمام القرافي:

(أن النصارى تقدس دورهم بالملح، قال قسيسهم حفص: لأنا وجدنا أن إلياس تلميذه

(١) راجع: صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية -مكتبة المحبة ص٩، ٢٤.

(٢) راجع: الصابئة المندائيون ص ٩٦، ١٧٨.

إليسع مكث بمدينة أريحا فشكا أهلها أن عيناً يخرج منها ماء كثير لا ينتفع به لذلك، فأمر أن يؤتى بإناء جديد، فأدخل فيه الملح وقدس به ماء العين فعذبت، فلذلك صرنا نقدس بالملح، وهذا فاسد؛ لأن إلياس عليه السلام فعل ذلك على وجه المعجزة والكرامة، لا أن يكون حكماً شرعيًّا كما روى في الأناجيل أن عيسى عليه السلام سأله أعمى أن يرد بصره، فأخذ قطعة طين فجعلها في عينه فأبصر[1]، فكان ينبغي أن تقدسوا بيوتكم بالطين؛ لأن عيسى أولى من إلياس عليهما السلام)[2].

وجاء في كتاب صلوات الخدمات عن تعميد المنازل الجديدة:

(يأتي الكاهن والشمامسة إلى المنزل الجديد ويحضرون إناءً مملوءًا بالماء، فيبدأ الكاهن بالصلاة الربية ثم صلاة الشكر ويرفع البخور ثم يصلي أوشية[3] المرضى وبعدها أوشية المياه أو الزروع أو الأهوية «حسب ما يناسب اليوم» ثم الثلاث الأواشي الصغار وقانون الإيمان وبعد ذلك التحاليل ويختم بالبركة والصلاة الربانية، ويرش البيت ومرافقه بالماء)[4].

وكما يعمد النصارى بيوتهم يعمدون غيرها مثل السيارات والمصانع والمحلات ويتشبهون في ذلك بالصابئة الذين يقومون بتعميد الخضراوات والأغذية وتطهيرها بالغسل في ماء النهر ويعمدون القدور وأواني الطبخ في أوقات معينة[5].

✿✿✿✿✿✿✿✿

---

(١) يوحنا: ٩/ ١ - ٧.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ص ٤٠٥.

(٣) أوشية: من الكلمة اليونانية (افشي) ومعناها صلاة أو طلبة، والأواشي عبارة عن صلوات أو طلبات لمناسبات مختلفة كأواشي المرضى والمسافرين والراكبين وغيرهم، راجع: طقوس الكنسية ص٧١.

(٤) راجع: صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص١٧٠.

(٥) راجع: الصابئة المندائيون ص١٠٣، ١٠٤.

المبحث الرابع

أهمية المعمودية وكيفية ممارستها

[١] أهمية المعمودية:

يعتقد النصارى أن للمعمودية أهمية كبيرة بالنسبة لهم، مما يجعلهم يحرصون على ممارستها والاهتمام بها، فهم يعتقدون أن العماد يمنح نعمة الميلاد الثاني، أي الميلاد الروحي، كما أنه يمنح نعمة التقديس والتبرير وغفران الخطايا الموروثة عن آدم، والخطايا الفعلية التي ارتكبها الشخص ذاته قبل العماد، وهو يمنح نعمة التبني لله والوراثة في السماء والوحدة في كنيسة المسيح التي لا تتجزأ[١].

ويذهبون إلى أن المعمودية علامة الكنيسة المسيحية في كل عصورها، وكانت ولا تزال الطريق إلى الكنيسة والمسيح، ففي ممارستها طاعة لأمر المسيح حينما قال: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به)[٢].

ويذهب النصارى إلى أن المعمودية ليست علامة خارجية، بل أن أساسها هو عمل يسوع من موت وقيامة، وبالتالي فهي في مدلولها الفدائي التاريخي تعلن وتعبر عن هذا العمل العظيم في حياتنا وعدم إدراك أهمية المعمودية، ويعتقدون أن المعمودية تعطيهم قوة يتمتعون بها في الحياة ويطعمون وَيَتَّحِدُونَ في المسيح)[٣].

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٦، مبادئ العقائد المسيحية ص٨٥، قصة الحضارة جـ١٦/ ١٣

(٢) متى: ٢٨/ ١٩.

(٣) راجع: المعمودية بين المفهوم والممارسة ص٧٢، ٧٣.

ويذكر الأنبا شنودة فاعلية المعمودية في عدة نقاط بقوله:

١- المعمودية يتم بها الخلاص.

٢- بالمعمودية تنال الميلاد الثاني من الماء والروح.

٣- المعمودية هي غسل من الخطايا.

٤- المعمودية بها مغفرة الخطايا.

٥- المعمودية هي موت مع المسيح وقيامه معه.

٦- في المعمودية عملية تجديد.

٧- في المعمودية نلبس المسيح.

٨- في المعمودية انضمام لعضوية الكنيسة(١).

وللأهمية التي يعتقدها النصارى في المعمودية يحافظون عليها ويمارسونها، كلهم صغيراً وكبيراً، ومن لم يعتمد عندهم فليس بمسيحي حقيقي.

صلة المعمودية بغيرها من الأسرار:

ومما يزيد من أهمية المعمودية عند النصارى الصلة التي بينها وبين غيرها من الأسرار الأخرى، يقول حبيب جرجس:

(لسر المعمودية الرتبة الأولى بين الأسرار السبعة المقدسة؛ لأنه بمثابة باب يدخل منه المؤمن إلى الكنيسة وملكوت النعمة طبقا لقول الرب يسوع: «إن كان أحد لا يولد

---

(١) راجع: اللاهوت المقارن ص٢٤، ٢٥، الأسرار حياة الإيمان ص١١١، أسرار الكنيسة السبعة ص٣٨، ٣٩، سؤال وجواب جـ٢/ ٢٩، المسيحية ص١٦٩.

من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله»[١]، ولذلك يمنح هذا السر للمؤمن قبل أي سر آخر، ومن لا يقبله فلا حق له في الاشتراك في باقي الأسرار)[٢].

ويربط النصارى بين المعمودية والعشاء الرباني مستدلين بما جاء في رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس: (وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحيًا)[٣]، فهم يشيرون إلى المعمودية بسير موسى وبني إسرائيل في البحر، وعن العشاء الرباني بأكلهم من طعام واحد، ويعتبرون المعمودية رمزاً للاتحاد بالمسيح في موته، والعشاء الرباني هو مشاركة في جسد المسيح ودمه.

وهم يعتبرون المعمودية والعشاء الرباني ليس بسرين منفصلين، بل حقيقة واحدة ذات عملين، وذبيحة واحدة ذات فعلين.

ويقول متى المسكين: (نحن نشترك في الفعل الأول للذبيحة المعمودية؛ إذ أن المعمودية هي اشتراك فعلي إيماني في موت المسيح، فنحن نموت معه، وندفن معه حينما نعتمد له، فنموت عن حياة الخطية، وندفن الجسد العتيق مع الخطية، أما الفعل الثاني للذبيحة أي القيامة بين الأموات والقيامة بلا خطية لحياة البر فنحصل عليه بالتناول حينما نأكل الجسد الحي والدم الحي)[٤].

كما يربط النصارى بين المعمودية والتوبة مستدلين بما جاء في أعمال الرسل: (توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس)[٥].

---

(١) يو: ٣/٥.

(٢) أسرار الكنيسة السبعة ص٢٢.

(٣) أكو: ١٠/ ٢-٣.

(٤) الكنيسة الخالدة ص٧٦، ٧٧.

(٥) أع: ٢/ ٣٨.

فهم يربطون بين الإيمان بالمسيح والتوبة والمعمودية، حيث يعتبرون المعمودية تكفيراً عن الخطيئة المورثة في زعمهم.

كما يربطون بين سر المعمودية وسر الكهنوت، حيث إن رجال الكهنوت لا بد أن يكونوا معمدين، كما أن الذين يمارسون سر التعميد هم رجال الكهنوت؛ فالرباط بينهما رباط متبادل[1].

ويربطون بين المعمودية وتثبيت العماد؛ إذ أن المعمد بعد الانتهاء من تعميده يحتاج إلى تثبيت التعميد (فالمعمودية هي تطعيم المعمد في المسيح وفي كنيسته في كل مكان في العالم، ولكن التثبت وما يشابهه في بعض الكنائس الأخرى مثل فكرة «الانضمام» إلى عضوية الكنيسة المحلية)[2]، وهم يجعلون التثبيت السر الثاني بين أسرار الكنيسة السبعة ويمنحه الإنسان بعد الانتهاء من تعميده، وهكذا يربط النصارى بين سر المعمودية وبين بقية أسرار الكنيسة.

كيفية ممارسة العماد:

قبل الحديث عن الطقس الخاص بممارسة العماد، يمكن القول بأن للعماد طريقتين عند النصارى، وهما التعميد بالتغطيس، والتعميد بالرش، ويختلفون حول هاتين الطريقتين، فمنهم من يمارس التعميد بالتغطيس ويرفض طريقة الرش، ومنهم من يكتفي بالرش.

أولا: التعميد بالتغطيس:

تتم الكنيسة الأرثوذكسية المعمودية بطريقة التغطيس ولهم على ذلك براهين وأدلة منها:

---

(١) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ٢٨٣. (م ١٢ الكنيسة).

(٢) المعمودية بين المفهوم والممارسة ص ٩٢.

[١] يستدلون بما جاء في الكتاب المقدس بشأن معمودية يوحنا وتعميد المسيح، فقد كانت بالتغطيس ففي إنجيل متى: (فلما اعتمد يسوع صعد من الماء)[١]، وفي ذلك برهان جلي على أنه كان مغمورا بالماء ونازلاً فيه حتى أنه صعد منه، وأن ممارسة يوحنا للتعميد في نهر الأردن وعدم الاكتفاء بالرش والسكب لدليل على أن التعميد يتم بالتغطيس[٢].

[٢] ما جاء بشأن تعميد فيلبس للخصي الحبشي: (فعمده ولما صعد من الماء خطف روح الرب فيلبس)[٣]، فلو كان العماد بالرش جائزاً لقنع فيلبس بالقليل من الماء برشه على الخصي وهو في المركبة دون أن يكلفه بالنزول إلى الماء[٤].

[٣] كلمة معمودية معناها صبغة، ولا يمكن أن تتم الصبغة إلا بالتغطيس، يقول «كاريد تارنز»: المعمودية هي التغطيس بالماء هذا هو معنى الكلمة اليونانية، والتغطيس هو العمل الوحيد الذي يطابق وصف المعمودية الذي وصل إلينا في العهد الجديد[٥].

[٤] المعمودية هي عملية موت مع المسيح ودفن معه[٦]، وعملية الدفن لا يمكن أن تتم إلا بالتغطيس والخروج من جرن المعمودية إلى القيامة مع المسيح بعد الموت والدفن معه، أما الرش فلا يمكن أن يعبر عن عملية الموت والقيامة[٧].

---

(١) متى: ٣/ ١٦، مرقس ١/ ١٠.

(٢) راجع: أسرار الكنيسة ص٣٣، المجتمع القبطي في مصر في - ق١٩ ص٢٢٣.

(٣) أع: ٨/ ٣٨-٣٩.

(٤) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٦٢، ٦٣، اللاهوت المقارن جـ١/ ٣٤.

(٥) راجع: هذه عقيدتنا ص١٥١.

(٦) راجع: رومية ٦/ ٤، كو ٢/ ١٣، واللآلئ النفيسة جـ٢/ ٦١.

(٧) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ٣٢، واللآلئ النفيسة جـ٢/ ٦١.

[٥] يستدلون بأقوال رسلهم وآبائهم، ومنها قول بولس: (خلصنا بغسل الميلاد الثاني)[١]، (قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب)[٢]، وفي هذه النصوص تشبيه (المعمودية بالقبر، والتغطيس بالدفن، والانتشال بالقيامة، ولا يصح تشبيه الموت مع المسيح إلا بذلك، فحيث إن المعمودية هي مثال موت المسيح ودفنه وقيامته فلا يصح إتمامها إلا بالتغطيس الذي به نتحد مع المسيح ويشبه موته ودفنه؛ لأنها تمثل موتنا ودفننا وقيامتنا معه)[٣].

هذا هو قول الأرثوذكس في المعمودية بأنها لا تكون إلا بالتغطيس، وذلك بسبب أن الكلمة اليونانية للمعمودية تعني التغطيس، وكذلك لأن المسيح عمده يوحنا بالتغطيس، وكذلك الرسل والكنيسة المسيحية الأولى عمدت بالتغطيس، هذا إلى جانب الفقرات التي وردت في الكتاب المقدس الدالة على ذلك.

ثانيا: طريقة الرش:

يقوم البروتستانت بممارسة المعمودية بطريقة الرش، وكذلك الكاثوليك الذين غيروا طريقة التغطيس التي كانوا يمارسونها في الكنيسة في العصور الأولى واستعملوا طريقة الرش، ويوجه أصحاب هذه الطريقة إلى القائلين بالتغطيس النقد ويفندون أدلتهم التي يعتمدون عليها فيقول «وليمن»: (يصر المعمدانيون على أن تغطيس الجسم لا بد منه للمعمودية ولأنه لا يلزم أي شيء أكثر من الغسل بالماء سواء كان ماء قليلا كما في حالة الرش أو السكب، أو ماء كثيراً كما في حالة التغطيس[٤].

---

(١) تي: ٣/ ٥.

(٢) أع: ٢٢/ ١٦.

(٣) أسرار الكنيسة ص٣٤، ٣٥.

(٤) راجع: تفسير أصول الإيمان جـ٢/ ١٣٠.

ويرد القس إلياس مقار على القائلين بالتغطيس مستدلين بمعمودية يوحنا وما جاء من نصوص في الكتاب المقدس بقوله: (مع أن هذه المعمودية، معمودية يوحنا إلا أنها تختلف إلى حد ما عن المعمودية المسيحية، فإنها لم تعطنا صورة قاطعة عن كيفية ممارسة يوحنا لها في ذلك الوقت، وَهَبْ أن معمودية يوحنا كانت بالتغطيس لوجوده على مقربة من النهر، فهل يستطيع أحد أن يقطع أن معمودية الثلاثة آلاف يوم الخمسين كانت بالتغطيس؟ وأين حدث هذا؟ وكيف تتم في يوم واحد وفيهم الرجال والنساء والكبار والصغار معا؟، ومن ذا الذي يمكن أن يجزم أن معمودية بولس في بيت يهوذا في دمشق[1]، وبمعمودية كرنيليوس في بيته[2]، كانت جميعا بالتغطيس؟ قد يقول البعض: إن التغطيس يرجع إلى القول (فدفنا معه بالمعمودية للموت)[3]، غير أن هذه الحجة لا يمكن أن تكون قاطعة في تأكيد التغطيس كالوسيلة الوحيدة للمعمودية؛ إذ تنهض في مواجهتها حجة أخرى مفادها، أن «الغسل» الذي استعملت فيه ذات الكلمة المخصصة للمعمودية وأشرنا إليه سابقا[4]، لا يمكن أن يفيد التغطيس)[5].

وبناء على ذلك فإنهم لا يقصرون التعميد على التغطيس بل يجيزونه بالرش والسكب، ووجد من أتباع الرأي الأول من يعارض اقتصار الكنيسة على التعميد بالتغطيس، جاء في كتاب المعمودية قول صاحبه: (أما طريقة العماد فإن هناك بعضا ممن يتوقف كل شيء في نظرهم على الطريقة التي تمارس بها المعمودية وعندهم أنه إذا لم يغمر المعمد تماما في الماء فإن معموديته تذهب هباء، وما أشد عبارات الاحتقار التي

---

(١) أع: ٩/ ١٨.

(٢) أع: ١٠/ ٤٨.

(٣) رومية: ٦/ ٤.

(٤) راجع: مر ٧: ٤، عب ٩/ ١٠.

(٥) القضايا المسيحية الكبرى، إيماني ص ٥٠٠.

يتكلمون بها على رش الأطفال دون أن يعرفوا أن الكتاب استعمل هذا المعنى على الأقل في موضع واحد[١].

ومن النصارى من يقول بأن تعميد الأطفال يتم بالرش، أما الكبار فيتم تعميدهم بالتغطيس؛ وذلك لأن الصغار يتعرضون للخطر بتغطيسهم في الماء، يقول ول ديورانت: (كانت طريقة غمر الطفل كله قد استبدلت بها تدريجيا طريقة الرش؛ لأنها أقل خطراً على الصحة من الطريقة الأولى في الأجواء الباردة، وكان في وسع أي قسيس أو أي مسيحي عند الضرورة أن يقوم بعملية التعميد، وكانت طريقة تأجيل التعميد حتى يكبر الطفل.

كما أن الأرثوذكس يقولون بجواز العماد بالرش في أحوال استثنائية كالمرض الشديد والإشراف على الموت، فيقول القمص يوحنا سلامة: (إن الكنيسة تجيز العماد بالرش وتعتبره صحيحاً ولكن في ظروف خصوصية ولدواع اضطرارية مثل أن يكون المراد عماده في مرض خطير أو في سجن، اللذين يتعذر معهما التغطيس وماعدا ذلك فهي لا تسمح بالرش، ثم إنها أجازت العماد في البيت إذا استدعت الظروف ولكن في إناء جديد أو وعاء بيتي نظيف ونهت عن استعمال الإناء الذي استعمل لإتمام العماد في شيء أخر)[٢].

الطقس الخاص بالعماد:

قبل إجراء الطقس تشترط الكنيسة في الشخص المعمد شروطاً هي:

(١) الإيمان بالمسيح يسوع قبل كل شيء، ثم تتركهم بغير عماد يتأهبون في أثنائها

---

(١) راجع: المعمودية بين المفهوم والممارسة ص ١٠٦.

(٢) اللآلئ النفسية في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جـ٢/ ٦٤، تاريخ الأقباط جـ١/ ٣٦٦.

لقبول العماد، فإذا رأت في هذه المدة إصلاحا من طالبي العماد قبلتهم وعمدتهم وإلا ردتهم أو أطالت مدة اختبارهم زماناً آخر.

(٢) أن يعترف بهذا الإيمان ويقر به علناً.

(٣) أن يتوب عن خطاياه.

(٤) أن يرفض الشيطان وكل تعاليمه المضلة[1].

كما يشترط ألا تتم ممارسة العماد إلا على يد كاهن الكنيسة وبواسطته وحده؛ وذلك لادعائهم أن المسيح منح حق العماد للرسل، والرسل منحوه الكنيسة[2].

وإذا كانت الكنيسة تقول بموجب ممارسة العماد على يد كاهن، وذلك لأن الرسل استخلفوا الكنيسة لممارسة العماد إلا أنه لا يوجد دليل على ذلك، يقول عوض سمعان: (إن فكرة وجوب وجود خلفاء للرسل لكي يقوموا بالعماد لا تستند إلى أساس كتابي أو تاريخي؛ وذلك لسببين الأول: أن الرب لم يعين بولس الرسول للعماد، مع أنه أعظم الرسل وأكثرهم جهارا في نشر الإنجيل، الثاني: أن الشمامسة والمبشرين والأنبياء والمؤمنين الحقيقيين العاديين الذين كانوا يكرزون بالإنجيل كانوا يقومون بالعماد حتى في أيام الرسل أنفسهم[3].

(١) راجع: اللآلئ النفسية جـ٢/ ٩، ١٠، أسرار الكنيسة ص٤٤.

(٢) راجع تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٦، اللاهوت المقارن جـ١/ ٢٩.

(٣) راجع: القضايا المسيحية الكبرى - إيماني ص٤٩٩.

تبريك ماء العماد:

يستخدم النصارى الماء في ممارسة طقس العماد معللين ذلك بما يلي:

(١) أن الماء يغسل الأقذار، والمعمودية تنقي من جميع الخطايا.

(٢) الماء يجدد وينعش الجسم والمعمودية تحيي خواص النفس.

(٣) لأن بالماء قوام الحياة، والمعمودية تمنح الخلاص.

(٤) لأن المعمودية مثال موت المسيح ودفنه ولابد أن تماثله في الدفن[1].

ويقوم الكاهن المخصص لممارسة العماد بتبريك الماء الذي يغطس فيه الشخص الذي يريد التعميد ويقول الكاهن: (بقوتك غير المنظورة يا رب تصنع العجائب في أسرارك، وطوال تاريخ الخلاص استعملت الماء خليقتك، لتفهمنا نعمة العماد، منذ بدء العالم كان روحك يرف على الحياة لكي تقبل زرع القوة التي تقدس، في موج الطوفان رمزت إلى العماد الذي ينعش؛ لأن الماء كان رمزاً أيضاً إلى موت الخطيئة وولادة كل بر).

جعلت أبناء إبراهيم يعبرون البحر الأحمر على الأقدام لكي يرمز الشعب الناجي من العبودية إلى شعب المعمدين.

وابنك الحبيب الذي نال العماد من يوحنا في مياه الأردن قبل وشم الروح القدس، ولما كان على الصليب سال من جبينه المفتوح دما وماء، لما قام من الموت قال لتلاميذه: (اذهبوا وعلموا كل الأمم وعمدوا باسم الأب والابن والروح القدس)، الآن يا رب

---

(١) أسرار الكنيسة ص٢٢، عقائد أساسية، مدخل إلى علم اللاهوت ص١٤٣، اللاهوت المقارن جـ١/ ٤٠- ٤٣، اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٥٦.

انظر بحب إلى كنيستك وفجر فيها نبع العماد، وبهذه المياه، فليعط الروح القدس نعمة المسيح لكن يغتسل الإنسان، المخلوق على صورتك، من الأدناس التي تشوه هذه الصورة وليولج من الماء والروح لحياة أبناء الله الجديدة.

نسألك يا رب بنعمة ابنك، أن تأتي قوة الروح القدس على هذه المياه لكي ينهي للحياة مع المسيح كل من يعتمد ويدفن مع المسيح بيسوع المسيح ربنا آمين[(١)].

وبعد تبريك الماء يتم الكاهن سر المعمودية كما يأتي:

(يبدأ الكاهن بالصلاة كالمعتاد ثم يتلو الطلبة المرتبة من الكنيسة وبعد رفع البخور لله تقرأ الرسائل فالثلاث تقديسات فأوشية الإنجيل فالمزمور فالإنجيل باللغة القبطية وترجمته[(٢)]، بعد قراءة الإنجيل يصلي الكاهن السبع أواشي الكبار، ثم ينفخ الكاهن في الماء ٣ مرات بمثال الصليب، وفي كل مرة يقول: «قدس هذا الماء بعد ذلك يرشمه أيضا بمثال الصليب وفي نهاية الرشم الثالث يخاطب الشماس الشعب قائلا: صلوا من أجل السلامة، ثم يصلي قداس المعمودية كما هو مدون في الكتاب الخاص به ويختمه بالصلاة الربانية فالتحاليل الثلاثة في ختام تحليل الابن يقول الشماس: خلصت حفاء مع روحك أيضا.

ثم يسكب الكاهن على ماء المعمودية من دهن المسحة « الميرون» ثلاث نقط بمثال الصلب ويرشم باسم الثالوث الأقدس، ثم يتلو هذه المزامير وهي مز ٢٩: ٣ - ٤، ٣٤ :١١ ٥١ :٧ - ١١، ١٣٢ :١٣ ثم المزمور ١٥٠ باللحن، بعد ذلك يأخذ الكاهن الطفل من الشماس وينزع عنه ثيابه، ثم يمسكه بيديه الواحدة «اليمنى» على رأسه الأخرى «اليسرى» برجليه ويغطس في الماء[(٣)].

---

(١) يقرأ الأرثوذكس من (تي ٢/ ١١ - ١٧، والكاثوليك من أيوه - ١٢، الأبركسيس من أع ٨/ ٣٦ - ٤٠، والمزامور ٣٢/ ١ - ٢ والإنجيل من يو ٣/ ١ - ٢١.

(٢) الغاليلاون: هو زيت قسطنطيني تغلى فيه أتفال الطيوب التي تبقى في الميران بعد تصفيته.

(٣) راجع اللآلئ النفسية ص٣٥ - ٦٠، صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٣٨ - ٥٦.

وتختلف كيفية التعميد في الكنيسة من زمان إلى آخر، ويدل على ذلك ما ورد من عدة صيغ للتعميد منها ما ذكرها الأستاذ / محمد مجدي مرجان[1] بقوله: (بمجرد ولادة الطفل يحضره والداه إلى الكنيسة لتعميده وإلا ظل كافرا، فبالعماد فقط يصير الإنسان مسيحيا، وطريقة العماد في الكنائس هي نفس طريقة يحيى عليه السلام، صنعوا بئرا أو بحيرة صغيرة في كل كنيسة، على غرار نهر الأردن الذي كان يعمد يحيى فيه الناس وملأ البحيرة بالماء فإذا احتاجوا لتعميد شخص لتنصيره سواء كان طفلا حديث الولادة ولد لأبوين مسيحيين أو كان رجلا أو امرأة اعتنقت المسيحية حديثا فإنه يخلع ملابسه ويصير عاريا كما ولدته أمه ثم يأتي الكاهن ويساعده ويحملونه ويضعونه داخل البئر ويقومون بتغطيسه بأكمله ثلاث مرات في البحيرة حتى يظهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد ويصير مسيحيا مباركا[2].

ويذكر الأستاذ / عبد الله الترجمان كيفية أخرى لممارسة النصارى فيقول: (وصفة التغطيس أن في كل كنيسة حوضا رخاما وميزانا يملأه القسيس بالماء ويقرأ عليه ما تيسر من الإنجيل ويرش فيه ملحا كثيرا وشيئا من دهن البلسان فإن كان أحد يطلب أن يتغطس ممن تنصر وهو رجل كبير السن يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ليشهدوا عليه ـ بزعمهم أ بين يدي الله بالتغطيس.

ويقول له القسيس عند حوض الماء المتقدم ذكره: يا هذا، اعلم أن التنصير أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة، وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلا بالتغطيس وأن ربنا عيسى ابن الله، أنه التحم في بطن أمه، وأنه صلب، ومات وعاش وصار حيا ثلاثة أيام من دفنه، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، ويوم القيامة هو الذي يحكم بين الخلق

---

(١) كان قسيسا نصرانيا فهداه الله للإسلام.

(٢) المسيح إنسان أم إله ص٥٩.

وأنك آمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة، فهل آمنت بهذا كله؟؟ فيقول المتنصر: نعم فحينئذ يأخذ القسيس صحيفة من ماء ذلك الحوض، ويسكبها عليه، وهو يقول له: وأنا أغطسك باسم الأب والابن والروح القدس ثم يمسح الماء عنه بمنديل وينصرف وقد دخل دين النصارى.

وأما تغطيس ولدان النصارى، فهو في اليوم الثامن من ولادتهم، يجئ بهم آباؤهم إلى الكنيسة ويوضع الولد بين يدي القسيس فيخاطبه القسيس بالكلام المتقدم ذكره فيقرر عقائدهم عليه، ويجاوب عنه أبوه وأمه بقولهما: نعم ثم يحملان ولدهما وقد تنصر، فهذه صفة تغطيسهم وعلموا أن هذا الماء الذي يضعه القسيس في أحواض الكنائس منه ما يبقى أعواما وأحقابا طويلة ولا يبين ولا يتغير، فيتعجب عوام النصارى من ذلك، ويعتقدون أنه بركة القسيس وبركة الكنيسة، ولا يعلمون أن ذلك من كثرة الملح ودهن البلسان، وهما اللذان يمنعان من تعفن الماء، والقسيس لا يرمي ملحا ولا دهنا بلسان إلا في الليل أو في وقت لا يراه أحد من عامة النصارى البتة.

وهذا من بعض حيل القسس في ضلالتهم وإضلالهم، وقد كنت في الجاهلية زمانا في ذلك الدين صنعت ذلك وغطست كثيرا من النصارى مرارا، والحمد الله الذي هداني إلى الحق، وأخرجني من الظلمات إلى النور[1].

وهكذا يختلف النصارى حول كيفية ممارسة التعميد في كل زمان ومكان باعتراف أهل الدين أنفسهم.

إعادة المعمودية:

يختلف النصارى حول إعادة المعمودية فمنهم من يقول بإعادتها ومنهم من منعها

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص٧٤ - ٧٦.

والقائلون بإعادتها، ويبررون قولهم بأن المعمودية السابقة لم تكتمل فيها شروط التعميد وأيضا من يقول بعدم معمودية الأطفال يعيد تعميدهم عند البلوغ، وكذلك تعاد المعمودية لانتقال الشخص من كنيسة إلى أخرى.

وعن إعادة المعمودية لعدم اكتمال شروطها يقول ـ الأنبا شنودة الثالث: حينما يوجد الإيمان الواحد توجد معه المعمودية الواحدة؛ ولذلك نحن لا يمكن مطلقا أن نعيد معمودية إنسان تعمد في كنيسة لها نفس إيماننا الأرثوذكسي كذلك المعمودية ينبغي أن يقوم بها كاهن شرعي له كل سلطانه الكهنوتي الذي يسمح له بإجراء سر المعمودية المقدس مؤمنا بكل فاعلية هذا السر؛ فمثلا الكنائس التي لا تؤمن بسر الكهنوت، وليس لها كهنة، كما لا تؤمن بأن المعمودية سر ولا تؤمن بفاعلية المعمودية كما نؤمن، فكيف تقبل معموديتها ونفس الوضع مع الكنائس التي تؤمن بسر المعمودية وفاعليته، وبسر الكهنوت، ولكنها بحروم الآباء، وينبغي أن تزال الحروم أولا ثم نقبل أسرارها[1].

ومن هذا يتبين أن الكنيسة الأرثوذكسية لا تقبل من تعمد في الكنيسة البروتستانتية؛ لأن البروتستانت يعمدون بالرش فقط كما لا يوجد لديهم كهنة يمارسون التعميد بخلاف الأرثوذكس الذين يشترطون أن يقوم بالمعمودية كاهن شرعي (لذا نحن لا نقبل أية معمودية لا يقوم بها الكاهن، ولا نقول: إننا نعيدها إنما نعمد المنضم إلينا بمعمودية على يد كاهن تحمل فاعلية روحية لازمة للخلاص، وبدونها لا يخلص... مهما كانت المعمودية الأولى على اسم الثالوث المقدس، مادام بنقصها ثلاثة أمور هامة، إذ أنها:

أ- ليست على يد كاهن شرعي.

(١) اللاهوت المقارن ص٤٨ - سنوات مع أسئلة الناس ص٥٠، راجع اللآلئ النفسية جـ٢/ ٤٧.

ب - ليست سِرًّا.

جـ - ليست لها فاعلية روحية[١].

كما قالوا بإعادة عماد الهراطقة التي مارسوها لاعتبارهم هؤلاء الكهنة في حالة النجاسة، وأن المعمودية تُمارس بحضور الروح القدس، وهؤلاء الأشخاص تركهم الروح القدس لنجاستهم فلا يمكن أن تمارس الأسرار[٢].

وقد أحدث عماد الهراطقة والجاحدين خلافا كثيرا بين الكنائس المسيحية منذ فجر المسيحية[٣].

ومع وجود من قالوا بإعادة تعميد الأطفال والهراطقة وجد أيضا من قالوا بعدم إعادة التعميد مرة ثانية، يقول حبيب جرجس: إن الكنيسة تعترف وتعلم طبقا لتعليم الرب رسله بأن المعمودية واحدة؛ ولذلك قررت في قانون الإيمان هكذا: (تعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وتعنى بذلك عدم وجود جواز إعادتها ثانية متى تمت قانونيا حسب الشروط[٤].

وفي كتاب المعمودية المسيحية: (أما تكرار عماد البالغين على أساس اعترافهم بالإيمان فهذا هو الشيء المبتدع حديثا، هو أمر ينبني على خطأ أساس في معنى هذا الطقس... لا نجد أية إشارة على الإطلاق إلى تكرار عماد البالغين الذين يؤمنون إلا بعد مرور حوالي ألف سنة، جاءت هذه الإشارة فيما كتبه شخص يدعى بطرس برويز في

(١) المعمودية بين المفهوم والممارسة ص١١٠.

(٢) راجع: تاريخ الكنيسة لجون لريمون جـ٣/ ٨٢.

(٣) راجع: تاريخ الكنيسة لجون لريمون جـ٤/ ١٧١.

(٤) أسرار الكنيسة ص٤١، راجع: اللآلئ النفسية جـ٣/ ٤٥.

سنة ١١٣٠ ميلادية عن منع عماد الأطفال[1]. وهكذا نجد النصارى في حال خلاف دائم حول أسرارهم المقدسة وحول المعمودية وإعادتها وعدم إعادتها، وكل منهم يعطل رأي الآخر ويقول بصحة رأيه، وهكذا يعيدون كل يوم ما كان يحدث بين أسلافهم من اختلافات وطرد ولعن كل فريق للآخر منذ انعقاد مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م.

(١) المعمودية المسيحية ص٧٩.

المبحث الخامس

المعمودية لدى الكنائس النصرانية

من خلال الحديث عن سر المعمودية يمكن بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكنائس النصرانية بشأن المعمودية فيما يلي:

١- تتفق الكنائس النصرانية على القول بالمعمودية، إلا الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية تعتبرها من أسرار الكنيسة، أما البروتستانت لا يرون المعمودية سِرًّا؛ إذ لا يعترفون بأسرار الكنيسة، بل يطلقون عليها فريضة المعمودية.

٢- يقوم الكاثوليك والأرثوذكس بتعميد الأطفال عند الولادة مستدلين بما جاء في العهد الجديد من نصوص، كما يقومون بتعميد الكبار من الداخلين الجدد في الدين وكذلك يعمدون الأماكن والبيوت والمحلات والمصانع وغيرها من الأشياء، أما البروتستانت فيمارسون التعميد مع الكبار البالغين فقط، فهم لا يعمدون الأطفال؛ وذلك لعدم إدراكهم حقيقة التعميد في طفولتهم، كما يمارسون تعميد الكبار الداخلين في الدين.

يقول شنودة الثالث: (نحن نعمد الأطفال على إيمان الوالدين، أما البروتستانت فلا يؤمنون بمعمودية الأطفال؛ لأنهم يشترطون إيمان المعمد ذاته، ولكن بعض البروتستانت يوافقون على معمودية الأطفال على إيمان والديهم، وهكذا اتفق معنا الإنجيليون في مصر[1]).

٣- تقوم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بإجراءات التعميد بالتغطيس ومعها سائر

(١) اللاهوت المقارن جـ١/ ٢٢.

الكنائس الرسولية، أما الكنيسة الكاثوليكية فقد عمدت منذ القرن الثالث إلى إتمام السر بطريق الرش، ويشترط الأرثوذكس والكاثوليك عند ممارسة التعميد أن يجرى الطقس على يد كاهن الكنيسة المخصص لذلك، أما البروتستانت فلا يشترطون ذلك فهم لا يعترفون بدرجات الكهنوت، يقول الأنبا شنودة: (نحن في الأرثوذكسية نشترط أن الذي يجريها -يعني «المعمودية للمؤمن» لابد أن يكون كاهناً شرعيًّا، أما البروتستانت فلا يؤمنون بالكهنوت البشري إطلاقا، وعندهم تتم المعمودية بوساطة خادمٍ وليس كاهناً، ومن الجائز أن يكون شيخاً أو قسيساً[1]).

٤- لا تعترف الكنيسة الأرثوذكسية بتعميد البروتستانت؛ لذلك تعيد تعميد من يدخل من البروتستانت في المذهب الأرثوذكسي بحجة أن تعميدهم غير مكتمل الشروط الموضوعة للعماد، وتقبل الكنائس الأرثوذكسية من تعمد في الكنائس الكاثوليكية[2]، وتقبل الكنائس الإنجيلية انضمام أي أعضاء إليها من أي كنيسة مسيحية حيث إنه نال المعمودية من كنيسته الأصلية التي نشأ فيها[3].

وتختلف الكنائس الأرثوذكسية من العائلة غير الخلقيدونية وهي القبطية السريانية والأرمينية والحبشية والهندية، فهي تختلف فيما بينها فيما يلي:

(أ) تقبل هذه الكنائس جميعاً معمودية الكنائس الكاثوليكية، ماعدا الكنيسة القبطية التي كانت تقبل معمودية الكنائس الكاثوليكية حتى عهد البابا «كيرلس السادس ١٩٧١م»، ولا تدهن بالميران الراغبين من الكاثوليك في الانضمام إليها.

---

(١) المرجع السابق جـ١/ ٢٢.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٨، الدين المسيحي ص ١٢٦.

(٣) راجع: المعمودية بين المفهوم والممارسة ص ١٢٣، ١٢٤.

(ب) تقبل هذه الكنائس جميعاً عدا القبطية والحبشية معمودية الكنائس الإنجيلية التي تؤمن بالثالوث وتمارس المعمودية باسم الأب والابن والروح القدس، وتكتفي برشم الميران فقط، وقد قادت هذه الحركة الكنيسة الأرمينية ثم تبعتها في ذلك الكنيسة السريانية[١].

٥ - اختلفت الكنائس حول تعميد الهراطقة؛ هل هو صحيح أم باطل؟ وإذا رجع أحدهم إلى الكنيسة هل يعاد تعميدهم أم لا؟

(فكنائس آسيا الصغرى والكبادوك وكيليكية وغلاطية وسورية ومصر وإفريقية كانت تعتقد أن المعمودية لا تعتبر صحيحة ذات قوة فعالة ما لم تكن بيد رؤساء الكنيسة الأرثوذكسية التي تجرى كل الأسرار على وجه صحيح؛ ولذلك كانوا يعيدون معمودية من يرجع إلى حضن الكنيسة من الهراطقة، غير أن رومية والكنائس الغربية كانت تقول: إن كل معمودية باسم الثالوث الأقداس هي مقبولة؛ ولهذا لم يكونوا يعمدون التائبين من الهراطقة وكانوا يكتفون بوضع الأيدي والصلاة على من اهتدى منهم)[٢].

٦- وحول غاية المعمودية اختلفت الكنائس النصرانية؛ فمنها من يرى أنها رمز وإشارة للحقيقة الداخلية التي تحددها النعمة الإلهية نتيجةً للإيمان، والبعض الآخر يرى أنها هي التي تُحدث التجديد والمغفرة.

فالغرض من المعمودية في نظر الإنجيليين: أنها علامة ظاهرة لدخول المعمودية إلى الكنيسة أو أن الغرض من ممارستها هو (إشهار الإيمان بالمسيح)[٣]، وهي برغم ذلك رمز

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٥.

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٩٩.

(٣) الخلاص بين الوحي والمفاهيم البشرية ص ٥.

أو إشارة إلى ما تحدثه النعمة الإلهية من خلاص الإنسان وتجديد النفس لا أنها هي التي تُحدث هذا الخلاص وهذا التجديد؛ فهي علامة خارجية للحقيقة الداخلية التي تحدث نتيجة للإيمان بيسوع، بينما تبين الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية: أن المعمودية شركة حقيقية مع المسيح؛ فالإنسان الذي يغطس تماما تحت الماء يشبه إنساناً مات مع المسيح وعندما يخرج من الماء فذلك يشبه القيامة مع المسيح فهو يخرج إنساناً جديداً لحياة جديدة[١].

هذه هي أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكنائس النصرانية حول المعمودية، وإن كانت لم تتفق إلا في الاعتراف بالمعمودية، وفي غير ذلك يوجد الخلاف بينها، ولم تتفق المذاهب النصرانية جميعا فيما يتصل في كيفية ممارستها وإعادتها وفيمن له حق التعميد ومَن الذي يقوم به وغير ذلك مما يتصل بالمعمودية.

۞۞۞۞۞۞۞

(١) تفسير سفر أعمال الرسل ص ١١٤.

المبحث السادس

موقف الإسلام من المعمودية

يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام قد تعمد من يوحنا المعمدان في نهر الأردن، يقول متى في إنجيله: (حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلا: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليَّ؟ فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن؛ لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر، حينئذ سمح له، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وأتيا عليه[1].

يقول زكي شنودة: (في عهد طيبار يوس ظهر يوحنا المعمدان في فلسطين مبشرا بمجيء يسوع المسيح وكان يعمد الناس في نهر الأردن فجاء يسوع حين كان في نحو الثلاثين من عمره واعتمد منه)[2].

فإذا كان النصارى يجعلون التعميد فريضة مقدسة لديهم من أجل محو الخطايا عن البشر ويزعمون أن المسيح جاء ليتحمل الخطايا عن البشر فكيف يكون محتاجا للتعميد من يوحنا.

ومع قولهم بأن المسيح أتم معمودية يوحنا إلا أنهم مختلفون حول تعميد المسيح: هل عمد أحدا في حياته؟ ومتى بدا التعميد؟ أم أن التلاميذ هم الذين قاموا بالتعميد؟

ففي إنجيل يوحنا: (جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية ومكث معهم هناك،

---

(١) متى: ٣/ ١٣ -١٦.

(٢) تاريخ الأقباط جـ ٦ / ١٧٠.

وكان يعمد وكان يوحنا أيضا يعمد في عين نون)[١] ويقول: (إن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه)[٢] وفي سفر أعمال الرسول: (قال لهم بطرس: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس)[٣].

وفي قاموس الكتاب المقدس:(كان تلاميذ المسيح يعمدون الذين عمدهم يوحنا ثانية)[٤].

أما عن زمن ممارسة المسيح للتعميد فلم يتفق عليه النصارى بل لم يتفقوا على زمن بدء التعميد، يقول أحد كُتّابهم: (يصعب تحديد الوقت الذي فيه بدأت المعمودية المسيحية، و إنما بدأت زمنَ المسيح) يقول يوحنا في إنجيله: (وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، ومكث معهم هناك وكان يعمد، وكان يوحنا أيضا يعمد في عين نون)[٥].

ويقول البشير نفسه: (إن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه)[٦]، ويحتمل أن الكنيسة كانت في أول عهدها تعمد باسم يسوع[٧].

ومنهم من يقول بأن أول معمودية كانت يوم الخمسين، أي يوم حلول الروح القدس بعد أن قبل التلاميذ معمودية الروح والنار[٨].

(١) يوحنا: ٣/ ٢٢ -٢٣

(٢) يوحنا ٤/ ٢٠.

(٣) أع: ٢ - ٣٨.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٨، معجم اللاهوت الكتابي ص٧٥٤، وعلم اللاهوت النظامي ص ١٠٧٣.

(٥) يوحنا: ٣/ ٢٢-٢٣.

(٦) يوحنا: ٤/ ٢.

(٧) سؤال وجواب جـ٢/ ١٢٣.

(٨) راجع: متى ٣/ ١١، لو ٣/ ١٦.

ويذكر حبيب جرجس أن: (سر المعمودية المسيحية قد أسسه المسيح بعد قيامته؛ إذ كان قد تمم الفداء وقال لتلاميذه: عَلَنًا بعد قيامته: (دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس[١])[٢].

ويرد على ذلك فارس فهمي بقوله: (إننا نؤمن بيقين أن معمودية الماء لن تدخل بأحد إلى السماء، أبدا ولا حتى الطقس نفسه (العماد كفريضة) لا يرتبط بالسماء على الإطلاق، إنك لا تجد شيئا من هذا في الكتاب، إن العماد كفريضة تمارس للارتباط بالأرض وبالنظام الأرضي)[٣].

وبالرجوع إلى النصوص الخاصة بذكر تعميد المسيح عليه السلام يتضح مدى التناقض الشديد بينها مما يدل على بطلان هذه الروايات، وأنها نُسبت إلى المسيح زورا وبهتانا، فالنص السابق في إنجيل متى[٤]، يذكر أن المسيح ذهب إلى يوحنا وطلب منه أن يعمده، ولكن يوحنا طلب أن يُعَمَّد من المسيح، وفي نفس الإنجيل يُخبر متى أن يوحنا لم يعرف المسيح. فيقول (أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر، فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران)[٥].

فبين متى في هذا النص أن يوحنا لم ير المسيح قبل ذلك ولم يعرف عنه شيئا رغم ما ذكره عن تعميد يوحنا في الإصحاح الثالث.

ويذكر يوحنا في إنجيله أن يوحنا المعمدان قد رأى المسيح قبل ذلك فيقول: (وشهد

(١) متى ٢٨ / ١٨ -١٩.

(٢) راجع أسرار الكنيسة السبعة ص ٢٤.

(٣) المعمودية المسيحية ص ٩.

(٤) متى ٣/ ١٣ - ١٦.

(٥) متى ١١/ ٢-٤.

يوحنا قائلا: إني رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه، وأنا لم أكن أعرفه لكن الذي أرسلني لأعمده بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلا ومستقرا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس، وأنا قد رأيت وشهدت)[١].

وفي إنجيل العبرانيين رواية عن هذه الفترة من سيرة المسيح عليه السلام جاء فيها أن أمه وأخوته قالوا: له إن يوحنا المعمدان يوالي التعميد لغفران الخطايا فقم بنا إليه ليعمدنا فقال لهم: (أي خطية جنيت حتى أذهب إليه لتعميدي، اللهم إلا أن يكون هذا القول الذي قلت)[٢]، ومن خلال استعراض هذه النصوص نجد التناقض صريحا واضحا بينها فمرة تذكر أن يوحنا عمد المسيح عند نهر الأردن، ومرة تذكر أن المسيح اعترض على تعميده من يوحنا معللا ذلك بأن الذي يعمد محتاج إلى ذلك كي تغفر له خطاياه، لكن أي خطيئة ارتكبها حتى يعمد؟

يقول القرافي: (إن قولكم: إن يحيى عليه السلام عمد المسيح عليه السلام فهل كان عيسى عليه السلام قبل ذلك مقدسا أم لا؟ فإن قالوا: مقدسا فلا أثر لتعميده، وإن قالوا: لا، فكيف يعتقدون أن من ليس بمقدس إله أو ابن الإله؟ وأنتم تقولون: إن أرواح القدس مثل الحمامة البيضاء، وهل هذا كله إلا هذيان وضرب من الخذلان؟)[٣].

ومن هذا يتبين أن التعميد وطقوسه التي تمارسها الكنيسة عبر العصور النصرانية لم يأت به المسيح ولم يأمر به أحد من حوارييه، بل إن يوحنا لم يعمده على هذا النحو المعروف لدى النصارى[٤].

(١) يوحنا ١/ ٢٢ - ٣٥.

(٢) عبقرية المسيح ص ١٥٦.

(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٣٩٥ الإعلام بما في دين النصارى من أوهام ص ٤٠٥.

(٤) راجع: النصرانية دراسة مقارنة ص ٢٣٠.

وقد جاء في إنجيل مرقص: (أقبل إليه رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، وقالوا له: بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا؟ فأجاب يسوع وقال لهم: وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة، أجيبوني، ففكروا في أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء يقول: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا: من الناس، فخافوا الشعب؛ لأن يوحنا كان عند الجميع أنه بالحقيقة نبي، أجابوا وقالوا ليسوع: لا نعلم، فأجاب يسوع وقال لهم: ولا أنا، أقول لكم: بأي سلطان أفعل هذا)[١]، ففي هذا النص اعتراف من المسيح بأن المعمودية ليست من عند الله؛ إذ لو كانت من الله لأخبر القوم بذلك.

ويذكر متى في إنجيله أن يوحنا المعمدان لم يعمد المسيح؛ لأنه أقوى منه فيقول: (أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدى هو أقوى منى الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم)[٢].

إن ما يستدل به النصارى على أن المسيح عليه السلام أمرهم بالتعميد لا يقوم به الدليل على ذلك، فهم يستدلون بقول المسيح: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وأنت تعلم أن التعميد هو من الأركان الخمسة لدين النصرانية، ولم يذكر تلك العبارة غيره، والعجب أنهم نسبوا هذا القول المفترى إلى المسيح بعد الصلب مع أن التعميد من مهمات دينهم فَلِمَ لم يُبلغهم المسيح ذلك قبل الصلب حينما كان يعظهم في الهيكل؟)[٣].

وبذلك تَبَيَّنَ بطلان ما ذهب إليه النصارى من القول بالمعمودية، وأنها فريضة فرضها الله عليهم وقولهم: إن الأنبياء مارسوها من قبل ومارسها يحيي وعيسى عليهما

---

(١) مرقس: ١١/ ٢٧ -٣٣.

(٢) متى: ٣/ ١١.

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٦.

السلام وقد تهاوت وبطلت أدلتهم التي يستندون إليها، لكن إذا كانت المعمودية لم يأت بها المسيح فمن أين جاء بها النصارى؟

إن النصارى جاءوا بالمعمودية وطقوسها من عند الأمم الوثنية، وقد اتضح ذلك عند الحديث عن صلة المعمودية عند النصارى بالأمم الوثنية السابقة عليهم، وظهر مدى التشابه الكبير بين معمودية النصارى ومعمودية هذه الأمم، فقد كانت المعمودية عند الرومان والهنود والبوذيين والصابئة وقدماء المصريين معمودية بالتوبة والغسل بالماء والغمس فيه والرش به كما كانوا يقدسون الماء كما يفعل النصارى في كنائسهم.

وإذا كان التشابه بين معمودية النصارى ومعمودية الأمم الوثنية كبيرا وواضحا لدرجة أنه من الصعوبة التفريق بينهما، وهذا يعني أن واحدة استعارت من الأخرى، والمنطق يقول: إن اللاحق متأثر بالسابق، واللاحق هنا هو النصرانية حيث إن تلك الديانات كانت منتشرة كما بَيَّنَّا سابقا في بلاد اليونان والرومان قبل ظهور النصرانية بمئات السنين؛ وبذلك نصل إلى أن المسيح عليه السلام لا صلة له بما يمارسه النصارى وينسبونه إليه من المعمودية وطقوسها.

رأي الإسلام في التعميد:

وتعقيبا على ما يذهب إليه النصارى من تعميدهم للأطفال وبيان رأي الإسلام أقول: إن هؤلاء يستدلون على أن معمودية الأطفال حلت محل الختان، وبالرجوع إلى كتبهم المقدسة يتبين - على حد قولهم - أن المسيح اختتن وتعمد؛ مما يدل على أن أيا منهم لا يُجْزِئ عن الآخر؛ لأنه إذا كان التعميد يجزئ عن الختان، أو بدل الختان بالتعميد لبين ذلك لهم المسيح ولمنعهم من الختان، وَلَمَّا لم يبين ولم يفعل ما يدل على أن المعمودية لم تحل محل الختان فإن ما ذهب إليه النصارى باطل ولا أساس له.

إن هـؤلاء القوم يُغـيرون الفطرة الإلهية التي فطر الله عليهـا الناس جميعا، ألا وهي الإسـلام الذي ارتضـاه الله دينا لعباده يتعبـدون به له وحده، قال تعـالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾[1]، وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[2]، يقول القرطبي: (صبغة الله) قال الأخفش وغيره: دين الله، وهو بدل من ملة.. وعن قتادة قال: إن اليهـود تصبغ أبناءهم يهـودا، وإن النصارى تصبغ أبناءهم نصـارى، وإن صبغة الله الإسلام، قال الزجاج: ويدلك على هذا أن صيغة بدل من ملة، وقال مجاهد: أيْ فطرة الله التي فطر الناس عليها... قال ابن عباس: هو أن النصارى كانوا إذا وُلد لهم ولد فأتى عليه سـبعة أيام غمروه في مـاء لهم يقال له: ماء المعمودية، فصبغـوه بذلك ليطهروه به مكان الختـان؛ لأن الختان تطهير، فإذا فعلوا ذلك قالـوا: الآن صار نصرانيا حقا، فرد الله تعالى ذلك عليهم بأن قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي صبغة الله أحسن صبغة وهي الإسلام[3].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[4].

إن النصارى بتعميدهم لأطفالهم يغيرون فطرة الله التي فطر الناس عليها، ويتمسكون بعبادات واهية لا أساس لها من الصحة فهي مختلقة من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان، وهم يتشبهون بالأمم الوثنية التي تقوم بمثل هذه الممارسات كالصابئة

(١) سورة الروم: الآية: (٣٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٣٩).

(٣) تفسير القرطبي جـ١/ ٥٢٨ بتصرف.

(٤) صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة الروم - جـ٣/ ١٧٣.

التي تُعمد الأطفال وتجعل للتعميد طقوسا خاصة به والتي تمارس بواسطة رجال الدين عندهم[١].

الغرض من دعوى التعميد الكنسي:

إن الذي ينظر في دعوى التعميد الكنسي يتبين له جليا أن آباء الكنيسة إنما هدفوا من وراء تلك الدعوى إلى غرض خبيث، هو دعوى عالميةِ النصرانيةِ، ومن ثَم كانت دعاوى التنصير المنتشرة في أنحاء العالم؛ فحيث إن التعميد إنما هو الدخول في النصرانية والمسيح قد عُمِّدَ في زعمهم، فإن هذا التعميد يجب أن يحل العالم كله؛ ومن ثم بذلت الكنائس وما زالت تبذل الكثير والكثير في دعوى التنصير التي يقوم بها المنصرون النصارى في أنحاء العالم خاصة العالم الإسلامي، ومن هذا المنطلق يقومون بدعوة غيرهم للدخول في دينهم ويستندون في دعوتهم إلى ما جاء في الأناجيل من نصوص منسوبة للمسيح، ومنها ما جاء في إنجيل مرقس: (اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها)[٢]، وما جاء في إنجيل متى (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، علموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به)[٣]، وفي إنجيل لوقا: (وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم)[٤].

وللرد على هذه الدعوى أقول: إن هذه النصوص التي يُسْتَند إليها فيما يذهبون إليه من عالمية التنصير لا تقوم دليلا على دعواهم؛ وذلك لعدم صحة نسبتها للمسيح عليه السلام، فالنص الذي ورد في إنجيل مرقس ـ الذي يعتبر أقدم الأناجيل ـ لم يكن موجودا في

(١) راجع: الصابئة المندائيون ص ٩٦، الصابئون ماضيهم وحاضرهم ص ١١٩.

(٢) مرقس ١٥/ ١٦.

(٣) متى: ٢٨/ ١٩-٢٠.

(٤) لوقا: ٢٤ / ٤٧.

النسخة القياسية للكتاب المقدس، يقول الأستاذ/ أحمد عبد الوهاب عن إنجيل مرقس: (إن نهاية هذا الإنجيل - كغيره من الأناجيل وخاصة إنجيل متى - غير متفق عليا في النسخ المختلفة؛ إذ أن الإصحاح (١٦) - وهو الأخير - من إنجيل مرقس يحتوي على (٢٠) عشرين عددا، لكن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ بالرغم من ظهورها في أغلب المخطوطات الموجودة إلى الآن من إنجيل مرقس إلا أن النسخة القياسية المراجَعة للكتاب المقدس كانت على صواب تامّ في معاملتها لهذه الأعداد من ٩ إلى ٢٠ على أنها غير شرعية؛ ولذلك نقلتها من الأصل إلى الهامش.

(إن هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها الزمني بالضبط، ولكنها قبلت كجزء من إنجيل مرقس حوالي عام ١٨٠م كما أن مؤلفها غير معروف البتة)[١].

ومن هذا يتبين أن إنجيل مرقس ينتهي عند الإصحاح الثامن، وعلى ذلك يكون النص الذي استندوا إليه من الجزء الدخيل على إنجيل مرقس، ولما كان كل من متى ولوقا قد استخدم إنجيل مرقس أساسا لإنجيله فإن ما جاء بخاتمتهما خاصًّا بتبشير العالم لا يصح أساسا لعالمية التنصير.

ويضاف إلى ما سبق أن نص إنجيل متى الذي يعتمدون عليه في دعوى عالمية التنصير نجده وصية منسوبة إلى المسيح فيما يزعمون بعد قيامته من القبر، أي أن المسيح لم يتكلم بها في حياته ولم يسمعها منه أحد من حوارييه: (لذلك فهي إن زُعم صدورها منه بعد القتل والصلب فتكون من قبيل الرؤى والأحلام أو الأوهام مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان كلية على تلك العبارات المنسوب صدورها إلى المسيح)[٢].

كما أن هذه الفقرات التي يعتمدون عليها تتضمن عبارات التثليث وهي اسم الأب

---

(١) حقيقة التبشير ص ١٧.

(٢) النصرانية والإسلام - للطهطاوي ص ٢٩٧.

والابن والروح القدس، وهذا لا يستقيم مع دعوة المسيح عليه السلام إلى التوحيد، وقد سبق بيان أن هذه العبارات قررتها المجامع؛ فقد قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ألوهية المسيح، وقرر مجمع القسطنطينية ٣٨١م ألوهية الروح القدس، وهذا يدل دلالة واضحة وقاطعة على أن هذه النصوص نسبت إلى المسيح عليه السلام زورا و بهتانا.

ومما يؤكد ذلك أن الأب عبد الأحد داود الأشوري العراقي يقول في كتابه «الإنجيل والصليب»: (إن تلك العبارات جمل إلحاقية يجب طيها؛ بمعنى أنها لم تكن في النسخ القديمة لهذا الإنجيل)[١].

لقد كانت دعوة المسيح عليه السلام خاصة لبني إسرائيل، وقد صرحت بذلك الأناجيل التي تحت أيديهم ومنها:-

١- ما جاء فيها من تصريح المسيح بأنه لم يُرسل إلا لبني إسرائيل: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[٢]، ولهذا اقتصرت رسالته على قراهم وأرضهم والمنتسبين إليهم وجاء في إنجيل برنابا: (وقد أقامني الله نبيا على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء)[٣].

٢- حينما جاءت امرأة كنعانية تستعطف المسيح، وتطلب إليه أن يدعو لابنتها المريضة قال لها: (ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب)[٤].

٣- لما جاء الملاك إلى السيدة مريم وبشرها بولادة المسيح أخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب: (فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم؛ لأنك قد وجدت نعمة عند الله،

---

(١) راجع: النصرانية والإسلام ص ٢٩٧.

(٢) متى: ١٥/ ٢٤.

(٣) برنابا ٥٢/ ١٣.

(٤) متى: ١٥/ ٢٦.

وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع، وهذا يكون عظيما وابنا عظيما وابن العلا يدعى و يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية)(١).

٤- جاء في إنجيل متى: (وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا؛ لأن منك يخرج مدير يرعى شعبي إسرائيل)(٢) كما ورد في نفس الإنجيل أن المسيح عليه السلام قد اختار له اثني عشر تلميذا ليساعدوه في نشر دعوته واختارهم من بين اليهود وَبَيَّنَ أنهم لم يطالبوا بإدانة أحد عدا بني إسرائيل: (فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم؛ إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد مَتَى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر)(٣).

(هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا، و إلى مدينه للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)(٤).

٥- إذا كان النصارى يدعون عالمية النصرانية فكيف يتفق هذا مع ما تذكر الأناجيل عن عودة المسيح ثانية إلى الأرض، وخاصة قبل أن يكمل تلاميذه الاثنا عشر التبشير في مدن إسرائيل، فجاء في إنجيل متى: (فإني الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان)(٥).

(١) لوقا ١/ ٣٠-٣٣.

(٢) متى: ٢/ ٦.

(٣) متى: ١٩/ ٢٧-٢٨.

(٤) متى: ٥:١٠-٦.

(٥) متى ١٠/ ٢٣.

فهذه النصوص السابقة وغيرها تعني بوضوح أن ما يذهب إليه النصارى من القول بعالمية التنصير لا أساس له من الصحة، وأن المسيح عليه السلام لم يأمر بذلك، و إذا كان الأمر كذلك فمن الذي قال بعالمية النصرانية؟

إن أول من قال بعالمية النصرانية هو بولس، وقد جاءت نصوص رسائله التي تضمنها العهد الجديد تشرح ذلك باستفاضة، ومن هذه النصوص ما جاء في رسالته الأولى إلى أهل رومية: (الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لا طاعة الإيمان في جميع الأمم)(١)، (إني مديون لليونانيين والبرابرة وللحكماء والجهلاء، فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضا، لأني أستحي بإنجيل المسيح؛ لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولا ثم اليوناني)(٢).

وجاء في رسالته إلى أهل كورنثوس: (لأننا جميعا بروح واحد أيضا اعتمدنا إلى جسد واحد يَهُودًا كنا أم يونانيين، عبيدًا أم أحرارا، وجميعنا سقينا روحا واحدا)(٣).

وفي رسالته إلى أهل غلاطية: (لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع؛ لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح، ليس يهوديا ولا يونانيا، ليس عبدا ولا حرا، ليس ذكرا وأنثى؛ لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع، فإنكم كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثه)(٤).

وفي رسالة بولس إلى أفسس: (إنكم كنتم في ذلك الوقت بدون المسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهد الموعد لا رجاء لكم وبلا إله في العالم، ولكن الأب في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبل بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح)(٥).

---

(١) رومية: ١/ ٥.

(٢) رمية: ١/ ١٤-١٦.

(٣) ١ كو ١٢/ ١٣.

(٤) غلاطية: ٣/ ٢٦ -٢٩.

(٥) أفسس: ٢/ ١٢ - ١٣.

وبالمقارنة بين هذه النصوص وبين ما ورد في الأناجيل نجد أن المسيح عليه السلام ما أورد عبارة واحدة عن عالمية دعوته بل كلها تنص على أن رسالته كانت لبني إسرائيل، وأن نصوص رسائل بولس كلها من أقواله هو وحده، وليست من أقوال المسيح عليه السلام.

يقول الدكتور/ أحمد شلبي: (من الواضح للذي يقرأ رسائل بولس أنه لم يورد دليلا واحدا ولا كلمة واحدة تُنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية، وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره، شأنه في ذلك شأن التدليل على عدم ضرورة الختان وعلى كثير من التعاليم)(١).

إن من كُتَّاب النصارى مَن يعترف بأن المسيح لم يأت بدين عالمي وما أَمَرَ أتباعه به وما قال بذلك تلاميذ المسيح، بل إن القول بعالمية النصرانية من بنات أفكار بولس، يقول حبيب سعيد: (لم يفقه التلاميذ الأولون في بادئ الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت، ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت إلى تضاعف الرسالة من هذه الناحية، وعرف أنها لليهودي الأممي، والبربري واليوناني والذكر والأنثى، على السواء دون تفريق أو تمييز)(٢).

إن بولس هو الذي أباح لغير اليهود الدخول في دين المسيح، ولأجل ذلك ألغى شريعة الختان ـ كما سبق بيانه ـ من أجل تسهيل دخول الأمم الأخرى في النصرانية، وسار على تعاليمه النصارى فقالوا بتحريم الختان، وأحل أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، والقول بعالمية النصرانية (وغير ذلك من العقائد والشعائر التي لها صلة بديانات هذه الأمم واتجاهاتها فتدفق الغربيون لذلك على دين بولس، بينما نفر منه الشرقيون وكان هذا سببا في نقل المسيحية من دين شرقي إلى دين غربي تقريبا)(٣).

---

(١) راجع: المسيحية ص ١١١.

(٢) أديان العالم الكبرى ص ٢٨٤.

(٣) المسيحية ص ١١١.

ولقد قرر القرآن الكريم أن المسيح عليه السلام لم يكن إلا رسولا لبني إسرائيل دون غيرهم، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١] وقال تعالى فيما يحكيه القرآن عن المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾[٢].

ونستخلص مما سبق أن ما يذهب إليه النصارى من ادعائهم بعالمية النصرانية لا أساس له من الصحة، كما أن قيامهم بتعميد غيرهم من الأمم الأخرى مخالف لما جاء به المسيح عليه السلام، ومع ذلك نجدهم يقومون بتنصير غيرهم ويبذلون كل جهد من أجل ذلك، فأقاموا مؤسسات عالمية تقوم بممارسة التنصير وأرصدوا لهذه المؤسسات الأموال الطائلة لإنفاقها على وسائل التنصير التي يهدفون من ورائها إلى تحقيق أغراضهم[٣].

ومن الأهداف التي يسعى المنصرون إلى تحقيقها تبديل عقائد الشعوب وأنماط حياتهم وبخاصة شعوب العالم الإسلامي، ومقاومة الدين الإسلامي وهدمه في قلوب المسلمين وإضعاف صلة المسلم القوية ومن ومن بدينه، وقد صرح بذلك صموئيل زويمر بقوله: (إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد، ومزية هدم، أو بالأحرى مزيتي تحليل وتركيب)[٤].

كما أن من أهداف التنصير العمل على استمرار الحروب الصليبية، وإن كانت الحروب العسكرية قد انتهت فإنها قد تحولت إلى حرب فكرية لتشويه الأفكار السليمة وزعزعة العقيدة الصحيحة ويمكن تلخيص أهداف التبشير في نقطتين رئيسيتين وهما:

---

(١) سورة آل عمران: من الآية: (٤٩).

(٢) سورة الصف: الآية: (٦).

(٣) راجع: المال بين اليهودية والنصرانية والإسلام - رسالة ماجستير للباحث - مخطوطة بمكتبة كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٩٠ م ص ١٩٦ وما بعدها، وفيها بيان بالدعم المادي للتنصير من جميع المؤسسات النصرانية الرسمية وغير الرسمية التي تنفق على المنصرين والوسائل التنصيرية في العالم.

(٤) الغارة على العالم الإسلامي ص ١٠٣.

[١] هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله وجعلهم مُسُوخًا لا تعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا على العقيدة القوية والأخلاق الفاضلة.

[٢] إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار والتحكم في مقدراته و إمكانياته[١].

وسائل التنصير:

يستخدم المنصرون عدة وسائل لممارسة التنصير لكي يحققوا أهدافهم التي يسعون إليها، ومن هذه الوسائل على سبيل الإيجاز:

١- الشئون الاجتماعية: وذلك بجعلها ستارا يستندون خلفه، يقول زويمر: (إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة كانت لاهوتية دينية محضة، أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية)[٢] فهم يستغلون حالات الفقر والحاجة لاستمالة الناس إلى الدخول في دينهم، ويندمجون وسط العمال كي يسيطروا على الأوساط المسيحية وربط التقدم في أي مجتمع بالمسيحية[٣].

٢- استمالة المسلمين والاتصال بهم.

٣- التركيز على المرأة المسلمة وبث أفكارهم التنصيرية في عقلها.

٤- التقاط أطفال المسلمين وتربيتهم تربية نصرانية.

---

(١) راجع: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ١٦٢.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص ١٠٣.

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية - د/ مصطفى الخالدي - د/ عمر فروج ص ٢٢، ٢٣ - المكتبة العصرية - بيروت ط (٢) ١٩٥٧م.

٥- استدراج المسلمين إلى الجمعيات النصرانية لبث الفكر النصراني في أذهانهم.

٦- استخدام الطب ووسائل العلاج في التنصير يقول المبشر موريسون: (نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين[١] في المستشفيات أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة، معرفة ربنا يسوع المسيح وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة الحية)[٢].

٧- إثارة الفتن الداخلية والعمل على عدم استقرار شعوب العالم الإسلامي.

٨- العمل على تمزيق الوحدة الإسلامية.

٩- العمل على هدم الرابطة الدينية والدعوة إلى الشعوبية والقومية بين أبناء الإسلام.

١٠- إذاعة الدعوات المشبوهة مثل الدعوة إلى التسامح المشبوه والدعوة إلى الحوار المشبوه.

١١- التركيز على التعليم الإرسالي فهو أقوى وسائل التبشير والصحافة والطبع والنشر.

١٢- التركيز على تشويه صورة الإسلام، وتحريف فهم القرآن، والطعن في السنة والصحابة والعمل على إخراج المسلمين من دينهم.

وغير هذه الوسائل كثيرة مما يتخذه النصارى لتحقيق أهدافهم التنصيرية[٣].

---

(١) المرضى الذين يأتون إلى المستشفى من غير أن يناموا فيه.

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٥٩، ٦٠.

(٣) راجع في ذلك:
١- الغارة على العالم الإسلامي ص ٢٤، ٧١.
٢- رد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم ص٢٧٨.
٣- التبشير والاستعمار حملات وأحقاد ص ٨ - ٣٤، ١٣٩ - ٢٤٧.
٤- التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٥٨ - ٢١٨.

ويعمل النصارى على ترجمة الكتاب المقدس إلى جميع لغات المسلمين على اختلاف لهجاتهم، وفي ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين الذي عقد في «كلوراد» سنة ١٩٧٨ م قدم د/ رايبيرن إحصائية بترجمات الكتاب المقدس إلى لغات المسلمين، فيذكر أن العهد الجديد قد ترجم إلى لغات المسلمين الأكثر انتشارا فيما بعد عام ١٨٠٠ م وهي كالآتي:

البنغالية عام ١٨٠١ م، الأردية عام ١٨١٤ م، البنجابية عام ١٨١٥ م، الفارسية عام ١٨١٥ م، والبشتو عام ١٨١٨ م، والسندية عام ١٨٩٠ م، الجاوية عام ١٨٢٩ م الأذربيجانية عام ١٨٧٨ م، الوندانية عام ١٨٧٧ م، الكورمانجية (الأكراد الشماليون) عام ١٩٧٢ م، الهوسا عام ١٨٨٠م، النوبية عام ١٩١٥ م، العربية (المصرية) عام ١٩٣٢ م المورية عام ١٩٣٩ م، الفولاني عام ١٩٦٣ م العربية التشادية عام ١٩٦٧ م.

وأندونسيا لها أكثر من ٥٠ مشروع ترجمة، فترجم العهد الجديد إلى الأندونسية ـ الجاوية ومنيا نجكابو ـ سوندانية ـ أنجكولا، وفي الفلبين تمت ترجمة العهد الجديد في سوبانان إلى لغة مارجوزا وتيوبيج أولايويان، ونشر سفر التكوين بلغة المارينا، ونشر إنجيل يوحنا بلغة الماجندنا وبالعربي واللاتيني والإجندناو.

وكذلك ترجم العهد الجديد في الهند وبنجلاديش إلى البنغالية والأردية وغير ذلك

= ٥- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ١٦٣ - ١٩٢.
٦- المجتمع القبطي في مصر في القرن ١٩ ص ١٢١، ١٨٨ .
٧- الزحف إلى مكة ص ١٥، ٦٣، ١٣٢ .
٨- ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص ١٨، ٢٧ .
٩- إسهام كنائس الشرق الأوسط في التعليم ص ١١ - ١٢٧ .
١٠- العمل الاجتماعي في الكنيسة ص ٧٧ .
١١- أنا والكنيسة والمجتمع ص ٢٩ - ٣٢.
١٢- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص ٤٧ وما بعدها.

من اللغات في بلاد العالم الأخرى مثل باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وبلاد العالم العربي ترجم إلى لهجات كل بلد من بلاده، وكذلك أواسط آسيا وإيران وأفريقيا، ومن المهم القول بأنه في خلال عشرة السنوات ما بين عام ١٩٦٧ م، وعام ١٩٧٧ م فإن الكتاب الأول نشر في ٢٥٠ لغة، أربع أو خمس منها من اللغات الواسعة الانتشار بين المسلمين، وفي خلال نفس المدة نشر العهد الجديد في ١٠٠ لغة، ومنها لغتان تعتبران من اللغات الإسلامية واسعة الانتشار هما العربية (التشادية) والأندونيسية[١].

لقد قامت الكنيسة بنشر الإلحاد بين الناس وساعدهم على ذلك الاستعمار الذي احتل بلاد العالم الإسلامي، فقد تعاونت الكنيسة معه وكانت دائما في خدمته.

وتحت عنوان الكنيسة في خدمة السياسة الغربية يقول الدكتور/ أحمد شلبي:

(يندهش الباحث عندما يرى كبار رجال الكنائس يتناسون المسيحية ومبادئها الأصلية السمحة ويجندون أنفسهم لخدمة الاستعمار وهم يتخذون الدين المسيحي وسيلة للضغط على الشعوب المسيحية النامية حتى لا تتطور، وحتى تبقى بمنأى عن الرقي والتصنيع والتقدم، وإذا كانت الكنيسة في الغرب تبارك التصنيع، فإنها تعارضه في الشرق؛ لأن العامل ـ في زعمها ـ يعتبر نفسه خالقا وهذا يتنافى مع الإيمان، واعتبار الإنسان مخلوقا، وترى الكنيسة أن الثروة التي ستعود على البلاد من التصنيع ستجلب الشر على المسيحيين بالبلاد النامية.. وترى الكنيسة أن التقدم لن يتم إلا بالتضحية بالتراث والتقاليد الموروثة، ولذلك فهي تقرر أن الاحتفاظ بالتراث والتقاليد خير من التقدم الاقتصادي)[٢].

ومن المؤسف أن تتعاون الكنيسة مع الاستعمار، وهذا يتعارض مع ما تدعو إليه من

---

(١) راجع: ورقة العمل المقدمة إلى مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين سنة ١٩٧٨.

(٢) المسيحية ص ١٨٥، ١٨٦.

المحبة والسلام والتسامح وكيف يسوغ لها المالاتاتاتأن تحارب دينا من الأديان الإلهية ـ والتي تنتسب إليها ـ وهو دين الإسلام الذي يدعو إلى الإيمان بالله ورسوله و يدعو إلى فضائل الأخلاق، ويحارب الإلحاد والفساد بكل أنواعه[١].

وعقد النصارى المؤتمرات لدراسة الخطط لمحاربة الإسلام، وكيفية تحويل أتباعه إلى النصرانية، ومن أشهر هذه المؤتمرات مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦ م ومؤتمر أودنبرج سنة ١٩١٠ م، ومؤتمر لكنو بالهند سنة ١٩١١ م، ومؤتمر القدس سنة ١٩١١ م.

وتعاون المنصرون مع المستشرقين لمحاربة الإسلام والمسلمين فأُلفت الكتب التي تهدف إلى تشويه الإسلام ومنها:

كتاب «ميزان الحق» ألفه الدكتور فاندر المستشرق الأمريكي والدكتور ستكليرتسدل وهو من أخطر الكتب التي ألفت في هذا الميدان على الإطلاق؛ إذ ملأه بأباطيل وأكاذيب من نسج الخيال والتلفيق، وكتاب (الهداية)، وكتاب: (مقالة في الإسلام) ألفه المستشرق «سال»، وكتاب: (مصادر الإسلام) ألفه «سنكلير تسدل»؛ حيث حاول تفنيد الوحي الإلهي ونقد حقيقة نزول القرآن على محمد ﷺ، ويؤكد إبراهيم خليل أن (هذه الكتب الأربعة تُعتبر من أخطر المراجع للهجوم على الإسلام والقرآن الكريم والرسول الأمين)[٢].

وتعاون التنصير والاستشراق مع الاستعمار لاحتلال بلاد الشرق الإسلامي وأذاقوا المسلمين أشد أنواع التعذيب والتنكيل والقتل والتشريد[٣]، ومارس النصارى طريقة

(١) راجع: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٥٣ وما بعدها.

(٢) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ص ٨٥.

(٣) راجع: الغارة على العالم الإسلامي ص ١٩، ٤٠، محنة الأقليات المسلمة في العالم ص ٤٥، ٧٤، ١٠٧، ١١٧، ١٢٧، ١٣٣، والأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ص ١٧١ وما بعدها.

التفرقة بينهم وبين غيرهم من أهل الإسلام، بل وبين النصارى الأصليين والداخلين الجدد في النصرانية في مجال التجارة والسياسة والدين[١].

وإذا كان هذا هو موقف أهل النصرانية من دين الإسلام فإن على المسلمين أن يواجهوا هذا العداء الظاهر بالعودة الصحيحة إلى الإسلام والاعتصام بحبل الله والتمسك بسنة رسول الله، وإعداد العدة للرد على كل من تسول له نفسه بالطعن في الإسلام أو التشكيك في تعاليمه أو التهوين من شأنه، أو من يعمل على زعزعة العقيدة عند المسلمين، وقد انعقدت المؤتمرات الإسلامية من أجل دراسة الطريقة المثلى لمواجهة التنصير[٢]، كما وجدت دراسات من علماء الإسلام بهذا الشأن[٣]، لو دخلت مرحلة التنفيذ العملي لكانت كفيلة بمواجهة خطر التنصير ورد كيد الأعداء إلى نحورهم.

✿✿✿✿✿✿✿

---

(١) راجع: مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٢٧٤، حقيقة التبشير ص ١٠٤ - ١٤١.

(٢) راجع: حقيقة التبشير ص ٢٠٩ وما بعدها.

(٣) راجع: التبشير والاستشراق أحقاد وحملات ص ٣٦٣ وما بعدها، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص ١٥٨ وما بعدها، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب المعاصر ص ٧٢٠، أوربا والإسلام ص ٣٢.

الفصل الثاني

سر مسحة الزيت وموقف الإسلام منه

المبحث الأول: تعريف سر مسحة الزيت وبيان أدلته لدى النصارى.
المبحث الثاني: مسحة الزيت المقدس وتاريخها.
المبحث الثالث: أهمية مسحة الزيت وكيفية ممارستها.
المبحث الرابع: الكنائس النصرانية ومسحة الزيت.
المبحث الخامس: موقف الإسلام من سر مسحة الزيت.



المبحث الأول

تعريف سر مسحة الزيت وبيان أدلته

أ- التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب عن كلمة مسح: المسح: إمرارك يَدَك على الشيء السائل أو المتلطخ تريد إذهابه بذلك؛ كمسحك رأسك من الماء وجبينك من الرشح، مسحه يمسحه مسحا ومسحه وتمسح منه وبه[١].

وفي القاموس القويم: (مسح الشيء يمسحه مسحا من باب فتح: أجرى يده عليه وأزال ما عليه من تراب وغيره.. ومسح الكاهن لرأس الطفل أو الملك بالزيت: دهنه به ليباركه بزعمهم، ويطلق المسيح على المبارك الذي مُسِحَ بالزيت من الكهنة أو الذي باركه الله من غير أن يمسحه الكهنة)[٢].

وعن كلمة (تثبيت) جاء في لسان العرب: ثبت الشيء يثبت ثباتا وثبوتا فهو ثابت وثبيت وثبت، وأثبته هو، وثبته هو، ثبته بمعنًى، وشيء ثبت: ثابت ويقال ثبت فلان في المكان تثبيت ثبوتا فهو ثابت إذا أقام به[٣].

وجاء في مختار الصحاح: ((ثبت) الشيء من باب داخل و (ثباتا) أيضا (ليثبتوك) أي: يخرجوك خراجة لا تقوم معها، و (تثبت) في الأمر و (استثبت) بمعنى وجل ثبت، بسكون أي (ثابت) القلب ورجل له ثبت عن الجملة بفتح الباء بحجة و (التثبيت) الثابت العقل)[٤].

---

(١) لسان العرب جـ٦/ ٤١٩٦، مختار الصحاح ص ٦٢٤.

(٢) القاموس القويم جـ٢/ ٢٢٥.

(٣) لسان العرب جـ١/ ٤٦٧، القاموس القويم جـ١/ ١٠٥.

(٤) مختار الصحاح ص ٨١، ٨٢.

ب- تعريف مسحة الزيت في اصطلاح الكنيسة:

جاء في معجم اللاهوت الكتابي عن مسحة الزيت: هي اشتراك في مسحة يسوع البنوية مسحة روحية ننالها بالإيمان، وقبل أن ينال الموعوظ ختم الروح قبل العماد، يكون قد مسحه الله: أي قد أدخل الله فيه تعليم الإنجيل، وغرس في قلبه الإيمان بكلمة الحق؛ من أجل هذا يسمي يوحنا هذه الكلمة الصادرة عن المسيح: «زيت مسحة»[١].

ويعرف زكي شنودة سر مسحة الزيت بقوله: هو سر ينال به المعتمد ختم موهبة الروح القدس والثبات في الإيمان، وبدونه تكون المعمدية ناقصة، وغير قانونية؛ لأنه كما أن السيد المسيح حل عليه الروح والقدس شبه حمامة على إثر عماده في نهر الأردن هكذا يجب مسح المعتمد بالميرون[٢] [٣].

ويعرفه القمص يوحنا سلامة بقوله: سر المسحة هو السر الثاني من أسرار الكنيسة السبعة، به ينال المعتمد مواهب الروح القدس لتثبيته في الإيمان وتقويته في النعمة ونموه في الحياة الروحية[٤].

فيرى النصارى أن روح القدس تحل على الشخص الذي نال نعمة المعمودية المقدسة عندهم، وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة على يد كهنتها بمسح المعمد بدهن الميرون المقدس، تشبها بالحنوط والطيب الذي دهن به جسد المسيح عند دفنه بزعمهم، وقد اقتسمها الرسل بعد قيامة المسيح وتوارثها آباء الكنيسة عن الرسل.

---

(١) راجع: معجم اللاهوت الكتابي ص ٧٣٧.

(٢) الميرون: كلمة يونانية معناها (طيب) وتطلق في الاصطلاح الكنسي على المزيج السائل المركب من نحو ٣٠ صنفا من أصناف الطيور والعطور كالمر والعود والسلخة وقصب الذريرة وعود اللبان، وزيت الزيتون المعطر بأدهان بلسمية، راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص ٥٧، الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٨.

(٣) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٦، أسرار الكنيسة السبعة ص ٤٧.

(٤) اللآلئ النفيسة شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جـ٢/ ٧١.

جـ- أدلة سر المسحة عند النصارى:

يذهب النصارى إلى أن المسيح هو الذي أسس سر مسحة الزيت مستدلين بما جاء في إنجيل يوحنا: (إن عطش أحد فليقبل إليَّ ويشرب، مَن آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي، قال هذا من الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه؛ لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد؛ لأن يسوع قد مجد بعده)[١].

وفي سفر أعمال الرسل: (فلما اعتمدوا باسم الرب يسوع، ولما وضع بولس بداية عليهم حل الروح القدس عليهم)[٢].

وفي رسالة يوحنا الأولى: (وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء، وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حق وليست كذبا كما علمتكم تتثبتون فيه)[٣].

كما يستند النصارى إلى أقوال رسلهم وقديسهم على سر التثبيت؛ فيذكر زكي شنودة أن الكنيسة قد تسملت صنع الميرون المقدس من الرسل؛ وذلك أن الرسل حفظوا ما كان من الحنوط على جسد السيد المسيح حين دفنه مع الحنوط الذي أحضرته النسوة، ثم أذابوه في زيت الزيتون وقدَّسوه في علية صهيون، وجعلوا منه دهنا مقدسا خاتما للمعمودية ووزعوه في كل الجهات، وصاروا يدهنون به المؤمنين[٤].

ومن أقوال قديسيهم التي يستدلون بها على مسحة الزيت (الميرون): قول القديس

---

(١) يو ٧/ ٣٢ - ٣٩.

(٢) أع: ١٩ / ٥ - ٦.

(٣) ١ يو: ٢/ ٢٠، ٢٧.

(٤) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٦، اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٧٢.

كبريانوس: (من اعتمد ينبغي أن يمسح أيضا، لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحا لله ويأخذ نعمة المسح)[١].

ويقول القدسين توما الأكويني: (التثبيت بالنسبة إلى العماد هو كالنمو بالنسبة إلى الولادة)[٢].

❂❂❂❂❂❂❂

(١) صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٥٨.

(٢) الأسرار حياة الإيمان ص ٨٩.

المبحث الثاني

مسحة الزيت المقدس تاريخيا

يُرجع النصارى نشأة مسحة الزيت إلى أيام نبي الله موسى عليه السلام، ثم ينسبونها من بعده إلى الملوك وأنبياء بني إسرائيل إلى زمن المسيح عليه السلام.

فيذكرون أن الله أمر موسى عليه السلام أن يمسح بالزيت المقدس الهيكل والمذبح لتقديسهما، ثم أمر بأن يمسح به أخاه هارون مسيحا مقدسا للرب، وفعل موسى ما أمره الله به: (ثم أخذ موسى دهن المسحة، ومسح المسكن وكل ما فيه وقدسه، ونضح منه على المذبح سبع مرات، ومسح المذبح وجميع آنيته المرحضة وقاعدتها لتقديسها، وصب من دهن المسحة على رأس هارون ومسحه لتقديسه، ثم قدم موسى بني هارون وألبسهم أقمصته ونطقهم بمناطق وشد لهم قلانس كما أمر الرب موسى)[١].

وفي سفر صموئيل الأول أن يهوه أمر صموئيل أن يمسح شاول كي يكون مسيحا مخلصا لشعب إسرائيل: (غدا في مثل الآن أرسل إليك رجلا من أرض بنيامين، فمسحه رئيسا لشعبي إسرائيل فيخلص شعبي من يد الفلسطينيين؛ لأني نظرت إلى شعبي؛ لأن صراخهم قد جاء إليَّ، فلما رأى صموائيل شاول أجابه الرب: هو ذا الرجل الذي كلمتك عنه، هذا يضبط شعبي، فتقدم شاول إلى صموائيل في وسط الباب وقال: أطلب إليك أخبرني أين بيت الرائي)[٢].

ويذكر النصارى أن إيلياء مسح بعض الأشخاص ملوكا ومسح إليشع نبيا كما ورد في سفر الملوك الأول: (... وبعد النار صوت منخفض خفيف، فلما سمع إيلياء لف وجهه

(١) اللاويين: ٨/ ١٠-١٣.

(٢) سفر صموئيل الأول: ٩/ ١٦-٨.

بردائه وخرج ووقف في باب المغارة، وإذا بصوت إليه يقول: ما لك ههنا يا إيليا؟ فقال: غِرت غيرة للرب إله الجنود، الآن بنو إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها فقال له الرب: اذهب راجعا في طريقك إلى بريّة دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على آرام، وامسح ياهو بن نمشي ملكاً على إسرائيل، وامسح إليشع بن شاقاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك)[1].

كما جاء في أسفار العهد القديم أن داود عليه السلام صار مسيحا[2]، وكذلك مسح سليمان عليه السلام ملكا بعد وفاة أبيه داود[3].

ومنذ عهد يعقوب عليه السلام يعتبر المسح بالزيت المقدس من أعظم الشعائر لتقديس، وتكريم الناس أو الأماكن، فكل ما يمسح بالزيت يصير مقدسا لله، ولا يمسح بهذا الزيت المقدس من الناس سوى الكهنة والملوك والأنبياء؛ ولذلك سُمي هؤلاء مسحاء الله، أي المختارين، والمباركين من الله[4].

إن استدلال النصارى بما جاء من نصوص في العهد القديم على مسحة الزيت التي مسح بها الأنبياء والملوك من بني إسرائيل لا يقوم دليلا على سر مسحة الزيت التي تُمارس في الكنائس النصرانية، يقول عوض سمعان: (السبب في استعمال كلمة (المسحة) للإشارة إلى الروح القدس، فلا يرجع إلى أنها هي بعينه، بل إلى أنه هو الذي كان يرمز إليه بها في العهد القديم؛ لأن كل الذين كانوا يقدسون لخدمة الله في هذا العهد كانوا يمسحون بدهن يُدعى (دهن المسحة) رمزا إلى تأييد الروح القدس لهم.. إن قول الوحي: إن الله مسحه بالروح القدس، معناه أن الروح القدس حل عليه لا أكثر ولا أقل)[5].

(١) سفر الملوك الأول: ١٩ / ١٣- ١٦.

(٢) راجع: صموئيل الثاني: ٥/ ٣-٥، مزمور: ٢٨/ ٨ - ٩، ٤٥ / ٧، ٨٤ / ٨ - ١٠.

(٣) سفر الملوك الأول: ١/ ٣٩.

(٤) راجع: النصرانية والإسلام ص ٢٢٤.

(٥) الكهنوت ص ٤٤٧.

وعن مسحة الملوك بالزيت المقدس جاء في معجم اللاهوت الكتابي: (إن زيت المسحة الملكية يستحق في أعلى درجة لقب: «دهن البهجة» فهو علامة خارجية للاختيار الإلهي، ويصاحبه حلول الروح الذي يستحوذ على المختار، وهذه العلاقة بين المسحة والروح هي أصل رمزية الزيت الأساسية في أسرار المسيحية)[١].

ويدعي النصارى أن مسحة الميرون (الزيت المقدس) عوض عن الحمامة التي حلت على المسيح بعد عماده[٢]، كما يَدَّعُونَ أن المسيح أسس لهم سر مسحة الزيت مستدلين بما جاء في إنجيل يوحنا[٣]، ولكن النص لا يدل على أن المسيح أسس هذا السر فهو يشير إلى موهبة كان مزمعا أن يهبها المسيح للمؤمن، وهي عطية الروح القدس[٤].

ومارس رسل النصارى بعد المسيح هذا السر بوضع الأيدي على المعتمدين لنوال موهبة الروح القدس، وكان وضع الأيدي خاصا بالرسل وحدهم؛ لأنهم ـ كما يزعمون ـ ورثة المسيح[٥].

ففي سفر أعمال الرسل: (فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم: أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون، لِيَكُنْ هذا معلوما عندكم وأصغوا إلى كلامي؛ لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون؛ لأنها الساعة الثالثة من النهار بل هذا ما قيل بيوئيل النبي، يقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاما)[٦].

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ٤٠٦.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٦.

(٣) راجع: يو: ٧/ ٣٧ -٣٩.

(٤) راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص ٤٨.

(٥) راجع: الدين المسيحي ص ١٢٦.

(٦) أع: ٢/ ١٤ -١٧.

ويذكر حبيب جرجس: أن العنصرة[١] كانت تثبيتا للرسل، وفي ذلك اليوم قبلوا هذا السر المقدس بمعجزة من الروح القدس مباشرة؛ إذ لم يكن في الكنيسة أحد قبلهم ليمنحهم إياه، وأما الرسل فقد أعطوا هذا السر لغيرهم من المؤمنين؛ لأن المخلص أقامهم خداما لإنجيله لأسرار نعمته، وما تم للرسل في يوم الخمسين يمنح لكل مؤمن لدى قبول سر التثبيت[٢].

كما يذهب النصارى إلى أن رسل المسيح حفظوا الحنوط الذي كان على جسده وقت دفنه مع الحنوط الذي أحضره النسوة، وأذابوه في زيت الزيتون، ووزعوه على الكنائس فكانوا يدهنون به من يتعمد من النصارى، ولما اتسع نطاق الكرازة وامتد إلى أقاصي الأرض لم يكن في وسع الرسل أن يطوفوا كل الأقطار لوضع أيدهم على المعتمدين ومنحهم موهبة الروح القدس؛ لهذا أرشدهم الروح القدس أن يعوضوا عن وضع الأيدي بالمسح بالميرون فصنعوه، وخولوا للقسوس الذي أقاموهم حق مسح المعتمدين به[٣].

وحينما جاء القديس مرقس إلى مصر كان معه جزء منه، فاستعمله لذلك الغرض وتسلمه خلفاؤه من بعده إلى عهد أثنا سيوس الرسولي، وقد أضاف هذا الجزء الباقي منه من الأفاوية العطرية التي أمر الله موسى بصنعها كما ورد في التوراة، وبعد أن طبخ الميرون هو والأساقفة والكهنة بعث منه إلى البلاد المسيحية، وقد استن سنته البطاركة من بعده حتى لا تنفذ هذه الذخيرة المقدسة، وقد تم تجهيز الميرون المقدس من عهد الرسل إلى اليوم خمسا وعشرين مرة[٤].

---

(١) يوم العنصرة: هو من أعياد اليهود التي كانوا يحجون فيها إلى أورشليم، ويذكر في أول سفر أعمال الرسل أن الروح القدس حل على الرسل والكنيسة في عيد العنصرة واستولى على جماعة المسيح تنفيذا للنبوءة وتتميما لوعد المسيح – راجع: مصادر الوحي الإنجيلي جـ٢/ ٤٦٣، ٥٢٠.

(٢) أسرار الكنيسة ص ٤٨، ٤٩ بتصرف.

(٣) راجع: خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٧٧.

(٤) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٩٦، اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٨٠، ٨١.

ويذكر عوض سمعان أن مسحة الزيت ظهرت في القرن الثاني الميلادي نتيجة استحسان فريق من الأساقفة أن يمسحوا الذين يقبلون المعمودية بزيت الزيتون العادي؛ لأنهم وجدوا أن كلمة (المسحة هي التي يشتق منها اسم المسيح (بمعنى ممسوح)، في كل اللغات، وكان غرضهم من هذا العمل، أن يعلنوا للمذكورين أنهم أصبحوا مسيحيين، واستحسن آخرون المسح بالزيت؛ لأنهم وجدوا أنه كان يستعمل في العهد القديم لمسح الملوك والكهنة، رمزا إلى حلول الروح القدس عليهم؛ ومن ثَم كان المسح بالزيت رمزا إلى حلول الروح القدس عليهم، وصيرورتهم ملوكا وكهنة بالمعنى الروحي.

وأخذ الاعتقاد بشأن الزيت يتطور، حتى ذهب كثير من الأساقفة في القرن الرابع إلى أنه هو الواسطة الوحيدة التي يحل بها الروح القدس فأعدوا صلاة خاصة بمسحة الزيت لها تلاوتها وقراءتها، ومزجوا الزيت بثلاثين صنفا من العطور لتبرير تصرفاتهم لدى أتباعهم.

وفي القرن التاسع ذهب بعض الأساقفة إلى أن زيت المسحة لا يبقى بعد صلاتهم عليه زيتا عاديا، بل يصبح «موهبة المسيح وحضور الروح القدس، وفاعلا أيضا فعل الموهبة» وبناء على ذلك أمر مجمع بافيا سنة ٩٥٠م باستعمال الزيت في الكنائس اللاتينية لتقديس وتثبيت النصارى، ولم يستعمل الزيت عند الأرمن إلا في القرن الرابع عشر[١].

ولا تزال الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية تمارس تثبيت العماد للمعمدين لديها إلى يومنا هذا؛ وذلك لأنه سر من أسرار الكنيسة السبعة المعترف به عندهم.

---

(١) الكهنوت - عوض سمعان ص ٤٤٩ وما بعدها بتصرف وإيجاز.

المبحث الثالث

أهمية مسحة الزيت وكيفية ممارستها عند النصارى

أ- أهمية مسحة الزيت:

يعتقد النصارى أن لمسحة الزيت أهمية كبرى بالنسبة لهم مما يجعلهم يحرصون على ممارستها، ومن أسباب أهميتها عندهم ما يلي:

١- أن التثبيت هو إعلان الإيمان، وفيه يثبت الشخص إعلانه المسيحي عن توبته وإيمانه وتكريسه، ويثبت بوضع يد الأسقف على الشخص لحمايته وقوة له في أيامه القادمة[1]، ويمنحه العقل والمعرفة وتقوية الإرادة في العبادة مخافة الرب.[2]

٢- إن التثبيت انضمام للطائفة التي يتبعها الشخص من خلال كنيسته المحلية، وبالتالي للطائفة التي تتبعها[3].

٣ - في التثبيت تكريس للخدمة، ويشتمل على صلاة أن يحفظ الرب الشخص له دائما ناميا في روحه مثمرا في خدمته[4] هذا الختم لا يمحى، كما لو كان بالحديد المحمى؛ لأن الروح لا يعاد بل يعطي ذاته، لكي يعلمنا أن نعطي ذواتنا بدون حساب[5].

٤ - لأن لكل سر علامة ظاهرة ومادة منظورة؛ فالمسح إشارة إلى المسحة الروحية،

---

(١) راجع: المعمودية بين المفهوم والممارسة ص ٩٢، الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٨.

(٢) أسرار الكنيسة ص ٦٠.

(٣) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٩.

(٤) راجع: المعمودية بين المفهوم والممارسة ص ٩٣.

(٥) الأسرار الكنيسة السبعة ص ٧٥، اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٧٨.

كما أن المعمودية لها علامة ظاهرة وهي الماء مشابهة لفعلها في الجسد تمام التشابه لفعلها في النفس، وهكذا المسحة علامة منظورة، ومعنى للمسحة الداخلية التي من القدوس[1]، والنعمة السرية في سر الميرون هي حلول الروح القدس[2].

ب - صناعة الزيت المقدس:

اقتصر النصارى في عصورهم الأولى على استعمال الزيت المقدس في مسحة الميرون[3]، ثم زادت العناصر المستعملة في صناعة الزيت المقدس إلى أن وصلت نحو ٣٠ صنفا من أصناف الطيور والعطور كالمر والعود والسليخة وقصب الذريرة وعود اللبان[4].

ويذكر زكي شنودة العناصر التي يتركب منها الزيت المقدس وهي: (القرفة والسوسن والصندل والقرنفل والزعفران والعود الهندي والبلسان وغير ذلك، ويتولى الكهنة دقها ثم طبخها، ثم يضيفون إليها الخميرة المقدسة التي يمتد تاريخها إلى الدهن الذي صنعه الرسل)[5].

أما عن كيفية عمل الميرون بعد تجهيز العناصر التي يصنع منها يقول القمص يوحنا سلامة: (إنه بعد تجهيزها مع دهن البلسان وزيت الزيتون الفلسطيني الصافي «تسحق سحقا جيدا» وفي نسخة أخرى: تنقع في الماء مدة ١٢ ساعة «ومواد الإيقاد من أغصان الزيتون أو خشب القندول، وخشب الصور التي عفت منها الرسوم والآثار وتهشمت

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة ص ١٠٩.

(٢) اللاهوت المقارن جـ١/ ٣٧.

(٣) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٨.

(٤) أسرار الكنيسة السبعة ص ٧٥.

(٥) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٧.

فأصبحت بلا فائدة ولا قيمة» ويتلى على الميرون أثناء طبخه أغلب أسفار الكتاب المقدس ولا سيما سفر المزامير)[١].

وتقديس الميرون قاصر على رؤساء الكهنة، أما ممارسته فمن حق الكهنة جميعا، وبعد جمع العناصر الخاصة بصناعة الزيت وطبخها يصلي الكاهن عليها قائلا: (أيها القادر وحده صانع جميع العجائب، الذي لا يعسر عليك شيء، لكن إرادتك وقوتك فاعلة في كل شيء، أنعم بالروح القدس عند نضج الميرون المقدس، ليكن خاتما محييا، وثباتا لعبيدك بابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا هذا الذي من قبله، بك المجد..... [٢]).

ويذكر القمص يوحنا سلامة طقس آخر لتقديس الميرون فيقول: (عندما يتم تجهيز وطبخ الميرون على الكيفية التي مر بيانها يقام مذبحان من خشب في الهيكل، أحدهما في الجهة القبلية «جنوب مذبح القربان» والآخر شمالا «في الجهة البحرية»، ويوضع على الأول الميرون، وعلى الثاني الغاليلاون، ثم يلبس الأب البطريرك ومن معه الملابس الكهنوتية ويبدأ بتقديس الميرون[٣]).

وبعد الانتهاء من الصلاة على العناصر التي يتكون منها الزيت، يعتبر الزيت مقدسا عند النصارى يستعمله الأسقف أو الكاهن في ممارسة تثبيت العماد لدى المعمدين.

أما زيت الغاليلاون فهو زيت يَدهن به الكاهن من يريد العماد قبل تغطيسه في الماء؛ زعما منهم أنه يطرد الشيطان، ويتركب الغاليلاون من ثلاثة أشياء هي:

(١) زيت الزيتون النقي.

---

(١) اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٨٢، ٨٣.

(٢) صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٥٩ وما بعدها.

(٣) راجع: اللآلئ النفيسة شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جـ/ ٨٦ : ٩٨.

(٢) أتفال الطبخات الأربع لزيت الزيتون المقدس، وتشتمل في الطبخات الحالية على ثلاثة وعشرين مادة من مواد الميرون.

(٣) خميرة الغاليلاون القديمة التي توضع على طبخة الغاليلاون بغلي أتفال الميرون مع زيت الزيتون.

ويصلى على الغاليلاون صلاة خاصة بتقديسه، تتلى عليه بعد الصلاة على الميرون ويشترك فيها مع البابا الأساقفة، ثم يرشم البابا الغاليلاون مثل رشم الميرون المقدس[١].

جـ- طقس سر المسحة وكيفية تتميمه:

لا يقوم بممارسة تثبيت العماد إلا الأساقفة ويساعدهم في ذلك القساوسة، وقد كانت الكنيسة تمارس التثبيت بمسح الشخص بالزيت، ثم زادوا وضع الأيدي على الشخص من أجل مباركته وتقديسه[٢].

ويذكر حبيب جرجس: إن سر المسحة كان قائما في الكنيسة القديمة بمسح الميرون لا بوضع الأيادي، وقد أضافت بعض كنائس الغرب وضع الأيادي في تتميمه... وقد قال بعض اللاهوتيين: إن وضع اليد الذي كان الرسل يمنحون به للمؤمنين مواهب الروح القدس لم يكن منفصلا عن المسيح في تتميم سر المسحة، بل كان ولم يزل متحدا معه؛ لأن راعى الكنيسة حين يتم السر داهنا بيده جبهة المعتمد وسائر أعضاء جسده ويرفع يمينه عليه ليدهنه، فيرفعه بيمينه يكون قد وضع يده عليه وتم وضع اليد[٣].

وعند ممارسة الأسقف طقس التثبيت يقول: (أيها الإله الكلي الصلاح، انظر إلى هؤلاء المعمدين الذي نضع عليهم أيدينا: في العماد، حررتهم من الخطيئة وولدتهم من

(١) راجع: سنوات مع أسئلة الناس ص ٦٤.

(٢) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٦.

(٣) أسرار الكنيسة السبعة صـ ٥٨.

الماء والروح، كما وعدت، أحل الآن عليهم بروحك القدس، أعطهم ملء الروح الذي حل على ابنك يسوع: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والمحبة البنوية، املأهم من روح العبادة)[1].

أما عن كيفية الرشم بالميرون المقدس: يأخذ الكاهن الميرون المقدس ويصلي عليه ثم يمسح الكاهن الأطفال بالميرون المقدس بمثال الصليب كل واحد (٣٦) رشما.

أولا: يرشم النافوخ، والمنخارين، والفم والأذن اليمنى والعين اليمنى، والعين اليسرى، والأذن اليسرى (٨ رشوم) وهو يقول: باسم الأب والابن والروح القدس مسحة نعمة الروح القدس آمين.

ثانيا: يرشم القلب والسرة والظهر والصُّلب (٤ رشوم) وهو يقول: مسحة عربون ملكوت السماوات، آمين.

ثالثا: يرشم مفصل الكتف الأيمن من فوق، والإبط، ومفصل الكوع الأيمن ومثناه، ومفصل الكف الأيمن وأعلاه (٦ رشوم) وهو يقول: دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة، آمين.

رابعا: يرشم مفصل الكتف الأيسر من فوق، والإبط، ومفصل الكوع الأيسر ومثناه ومفصل الكف الأيسر وأعلاه (٦ رشوم) وهو يقول: كمال نعمة الروح القدس، ودرع الإيمان والحق، آمين.

خامسا: يرشم مفصل الورك الأيمن، والحالب الأيمن، ومفصل الركبة اليمنى ومثناه ومفصل عرقوب الرجل اليمنى وأعلاه (٦ رشوم) وهو يقول: كما نعمة الروح القدس، ودرع الإيمان والحق، آمين.

---

(١) الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٧.

سادسا: يرشم مفصل الورك الأيسر والحالب الأيسر وأعلاه (٦ رشوم) ويقول: أدهنك (يا فلان) بدهن مقدس باسم الأب والابن والروح القدس، آمين.

وعند انتهاء رشم كل طفل من الأطفال يضع يده على كل واحد ويقول: تكون مباركا ببركات السمائيين، وبركات الرب يسوع المسيح وباسمه، هنا ينفخ في وجه المعتمد ويقول: اقبل الروح القدس، وكن إناء ظاهرا من قبل يسوع المسيح ربنا، هذا الذي له المجد مع أبيه الصالح وروح القدس، الآن...إلخ.

بعد هذا يلبس المعتمد ثوبا أبيض وهو يقول: لباس الحياة الأبدية غير الفاسدة آمين[١].

ثم يصلي الصلاة الخاصة بذلك ويشاركه في ترتيل قراءاتها الشمامسة، ولا يعاد تثبيت العماد لأي شخص مرة ثانية؛ لأنه لا يتم للإنسان إلا مرة واحدة كالمعمودية[٢].

ويربط النصارى بين التثبيت والتعميد، ويجعلوهما شيئا واحدا لا ينفصل أحدهما عن الآخر، فكل واحد يتمم الآخر (العماد يعطي الروح والتثبيت يعطيه كاملا، هذان السران إذن يتطلب أحدهما الآخر، كما الولادة تتطلب النمو، وكما الحياة تتطلب الصحة)[٣].

والعماد المقرون بالميرون هو تنزيل الروح القدس للشهادة كما جاء في سفر أعمال الرسل (ستعمدون بالروح القدس... وتكونون لي شهودا)[٤].

(١) راجع: صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٥٩ -٦٢، اللآلئ النفيسة شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جـ٢/ ١٠٤ - ١١٧.

(٢) راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص ٦٠.

(٣) الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٥.

(٤) راجع: أعمال الرسل ١/ ٨٢٥.

فروح الله يحل على المعمد ليكون شاهدا للمسيح، فالشهادة المسيحية هي عمل الروح القدس[(١)].

والنصارى يعتبرون العماد دخولا في عائلة الله، والتثبيت يجعلهم بالروح صانعي الحياة، وبالعماد تكون الكنيسة عائلتهم، وبالتثبيت تكون مشروعا يجب القيام به، والمعمد يعترف بحقيقة الإيمان، المثبت يلج إلى داخلها[(٢)].

ومع هذه الصلة الوثيقة التي تعقدها الكنيسة بين العماد والتثبيت إلا أنها تَعتبر كل واحد منها سِرًّا مستقلا عن الآخر، ويعللون ذلك بما يلي:

١- أن الرسل كانوا يتممون هذا السر بوضع اليد بعد المعمودية.

٢- أنهم بوضع اليد كانوا يمنحون للمؤمن موهبة حلول الروح القدس.

٣- أن الرسل عندما كانوا يضعون أيديهم على المعتمد كانوا يصلون إلى الله ليحل الروح القدس، ومن ذلك يظهر أنه عمل سري قائم بنفسه مستقل عن المعمودية.

٤- إن هذا السر المنفصل عن سر المعمودية هو سر مؤسس من المسيح نفسه[(٣)].

❁❁❁❁❁❁❁

(١) مصادر الوحي الإنجيلي ص ٣٠.

(٢) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ١١١.

(٣) راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص ٥٠، اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٧٨، ٧٩.

المبحث الرابع

الكنائس النصرانية ومسحة الزيت

تختلف الكنائس النصرانية حول مسحة الزيت المقدس كاختلافهم في كل شيء يتصل بالعقيدة والشريعة، فأتباع الكنائس البروتستانتية لا يعترفون بسر مسحة الزيت ولا ما يتصل بها من طقوس وممارسات[1]، وإن كان القمص يوحنا سلامة ذكر في كتابه اللآلئ النفيسة[2] أن الطوائف البروتستانتية تعتبر مسحة الزيت سرًّا فهذا غير صحيح؛ لأنه يستدل بما ذكر في كتب البروتستانت عن المعمودية؛ إذْ أنهم يمارسون التعميد بوضع الأيادي على الذين اعتمدوا ولم يفرقوا بين التعميد ووضع الأيادي بجعلها سرين منفصلين.

وتعترف الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية بسر تثبيت العماد إلا أنهم لا يتفقون في بعض ما يتصل به من أمور ومنها:

١- تمارس الكنائس الأرثوذكسية تثبيت العماد بعد التعميد مباشرة، أما الكنائس الكاثوليكية الغربية فتؤخر ممارسة طقس التثبيت للأطفال المعتمدين إلى بعد تجاوزهم سن الطفولة، كي يشتركوا فيه بعقل ومعرفة كافية[3]، فهم يختلفون في السن الذي يمارس فيه تثبيت العماد.

٢- من الكنائس ما يكتفي في ممارسة الطقس بأن يضع الأسقف وأعوانه يده على الشخص الذي يمارس له طقس التثبيت وهذا ما كانت تسير عليه الكنائس الكاثوليكية في العصور الأولى، أما الكنائس الأرثوذكسية فتجمع بين المسح

---

(١) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٢.

(٢) ص ٧٤، ٧٥.

(٣) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٤، تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٩، قصة الحضارة جـ١٦/ ١٤.

بالميرون ووضع الأيادي عند ممارسة الطقس، ويعتبرون وضع الأيدي هو الختم، وذلك الزيت هو المسحة المقدسة[١].

٣- للكنيسة الكاثوليكية تراتيل خاصة بها عند ممارسة الطقس تختلف عما يرتل في الكنائس الأرثوذكسية عند ممارستها لمباركة الزيت، وكذلك عن الصلوات التي تقام وعند المسحة على بدن الشخص المثبت[٢].

٤- كان الزيت الذي تستعمله الكنيسة في العصور الأولى يقتصر على الزيتون، إلا أن الكنائس المعاصرة خلطت زيت الزيتون بثلاثين صنفا من العطور، وعللوا ذلك بقولهم: «إن أخذوا العطيات أو بالحري العطور ومزجها بزيت الزيتون[٣].

---

(١) راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص ٥٨، الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٨.

(٢) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ١٠٧، صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٥٩ وما بعدها.

(٣) راجع: الكهنوت - عوض سمعان ص ٤٥٠.

المبحث الخامس

موقف الإسلام من سر مسحة الزيت

إن المسيح عليه السلام لم يمسح بالزيت أحدا من أتباعه، ولم يكن للمسح طقس خاص به على عهد المسيح، ولم يصنع المسيح الزيت المقدس كما يصنع القساوسة، وذلك بشهادة القوم أنفسهم.

ويقول عوض سمعان: (إن الروح القدس حل على التلاميذ دون أن يضع المسيح يده عليهم كما أنه لم يأمرهم بوضع أيديهم على المؤمنين لكي يحل الروح عليهم؛ ولذلك نرى أنه عندما آمن «كرنيليوس» والذين كانوا معه كما قال لهم بطرس الرسول عند فداء المسيح وقيامته من الأموات حل عليهم الروح القدس في الحال، وهذا دليل على أنه يحل بمجرد الإيمان بالمسيح أو بالأحرى الإيمان الحقيقي به، وليس بواسطة وضع أيدي فريق من الناس مهما كان شأنهم)[١].

وبالرغم مما يؤخذ عليه قول عوض سمعان إلا أنه يقوم دليلا على بطلان ما نسبه الأرثوذكس والكاثوليك إلى المسيح من تأسيسه لمسحة الزيت.

وهم يستدلون بمسحة الزيت بالحمامة التي يدَّعون أنها حلت على المسيح عند خروجه من نهر الأردن والتي تدل على الروح القدس، واستبدلوا الحمامة بمسحة الزيت يقول زكي شنودة:

(إن المسيح حل عليه الروح القدس شبه حمامة على إثر عماده في نهر الأردن، هكذا يجب مسح المعتمد بالميرون، وهو الزيت المقدس على إثر خروجه من المعمودية؛ لأن الميرون هو عوض عن الحمامة التي حلت على السيد المسيح بعد عماده)[٢].

---

(١) الكهنوت ص ٤٣٥.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٦.

فإذا سلمنا جدلا أن الروح القدس كان شبه الحمامة، فما هي صلة الحمامة بالزيت المقدس؟ وهل توجد دلالة على أن الزيت بدلا من الحمامة؟ كلا، إنه لا توجد صلة ولا دلالة بينهما.

ثم إن زكي شنودة يذكر أن الرسل حفظوا ما كان من الحنوط على جسد السيد المسيح عند دفنه مع الحنوط الذي أحضرته النسوة، فأي حنوط يقصد؟ وأي جسد يتحدث عنه؟ وهذا اعتراف منه بأن مسحة الزيت وصناعته وممارسة طقسه لم يكن على عهد المسيح، إلا أنه مع بطلان كل ما يذهبون إليه ينسبونه إلى المسيح بل ويتقولون الأقاويل وينسبوها إليه عليه السلام وهو منها براء.

إن مسحة الزيت ظهرت في الكنيسة نتيجة استحسان (فريق من الأساقفة في القرن الثاني أن يمسحوا المؤمنين الذين يقبلون المعمودية بزيت الزيتون العادي؛ لأنهم وجدوا أن كلمة المسحة هي التي يشتق منها اسم المسيح «بمعنى الممسوح» في كل اللغات، وبعد ذلك أخذ شأن الاعتقاد بهذا الزيت يتطور شيئا فشيئا حتى ذهب كثير من الأساقفة في القرن الرابع إلى أنه هو الوساطة الوحيدة التي يحل بها الروح القدس)[1]، هذه شهادة يشهد بها صاحبها على بطلان ما يذهب إليه قومه.

وإذا كان الروح القدس ـ حسب زعمهم ـ يحل بمسحة الزيت، فلماذا لا يمسح به الكهنة أنفسهم ومن معهم بدلا من أن يطلبوا من الله حلول الروح عليهم، وقيامهم بالصلاة الخاصة بذلك؟ أليس ذلك دليلا على أنهم يناقضون أنفسهم؟ بل ويخدعونها ويظنون أنهم يخدعون الناس.

إن النصارى يقولون: إن كلمة المسحة اشتق منها اسم المسيح حيث كان رؤساء الكهنة والملوك يمسحون بالزيت قبل نوالهم رتبتهم الكهنوتية أو الملوكية.

---

(١) راجع: الكهنوت ص ٤٣٥، ٤٤٩، ٤٥٠.

أقول: إن كلمة المسيح لم تطلق على عيسى عليه السلام وحده، إنما أطلقت على كل ممسوح بالزيت أو الدهن حقيقة، وعلى المصطفى من الله نبيا أو عالما أو ملكا، وأطلقت مجازا بمعنى المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة، وإن كان النصارى يستدلون باشتقاق المسيح من المسحة على ممارستهم سر مسحة الزيت فإن هذا لا يصلح أن يقوم دليلا؛ لأنهم يعترفون أن هارون وبنيه مسحوا، وكذلك الأنبياء من بعده، ولم يكن أتباعهم يمارسون ما يمارسه النصارى في كنائسهم محتجين بمسح الأنبياء بالدهن أو بالزيت.

وعن عقيدة النصارى في حلول الروح القدس بوساطة مسحة الزيت، يقول عوض سمعان: (أنها بنيت على فهم بعض النصوص الكتابية فَهْمًا يختلف عن المقصود منه فهي تجعل الوساطة لحلول الروح القدس على البشر وساطة مادية خارجية، لا علاقة لها بالتوبة والإيمان الحقيقي والصلة الروحية بالله، فإذا أضفنا إلى ذلك الذين يمسحون بالزيت مرات متعددة لا تظهر فيهم ثمار الروح القدس وطول الأناة واللطف والوداعة والتعفف كنتيجة مباشرة لهذا المسيح، اتضح لنا أن الاعتقاد لا يؤيده وحي أو اختبار، بل هو تنكر للحقائق المسيحية وعودة إلى الطقوس اليهودية التي لا تجدي ولا تفيد[1].

وخلاصة القول: إن المسيح عليه السلام لم يمسح بزيت مقدس، ولم يقدس زيتا ولم يأمر أحدا بممارسة المسح، ولم يصنع زيتا، وبناء على ذلك فإن كل ما يذهب إليه النصارى من ممارساتهم لمسحة الزيت المقدس في كنائسهم لا أساس كتابيا صحيحا له؛ وذلك باعتراف كُتَّابهم.

كما أن هذا يتعارض مع فطرة الله التي فطر الناس عليها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ

(١) - الكهنوت ص ٤٥١، ٤٥٢.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[2]، وإن ما جاءت به الكنائس من هذه الأسرار إنما هو من الغلو في الدين وقد نهاهم عنه رب العالمين، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[3].

۞۞۞۞۞۞۞۞

---

(١) سورة الروم: الآية: (٣٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٣٨).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٧٧).

الفصل الثالث

سر العشاء الرباني ـ الأفخارستيا ـ وموقف الإسلام منه



المبحث الأول

تعريف العشاء الرباني وبيان أدلته عند النصارى

أولا: تعريف العشاء الرباني:

[١] التعريف اللغوي:

(العشاء) مفتوح ممدود: الطعام بعينه وهو ضد الغداء[١]، أكل العشاء فهو عاشٍ، وعشيت الرجل إذا أطعمته العشاء.... والعشاء بالفتح والمد: الطعام الذي يؤكل عند العشاء، وهو خلاف الغداء[٢].

[٢] تعريف العشاء الرباني في اصطلاح الكنيسة:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: (الوجبة الرئيسية في اليوم كانت طعام العشاء وكانوا يتناولونها وقت غروب الشمس عندما كان يتوقف المسافرون عن الاستمرار في رحلتهم ليقضوا الليل أو عندما كان العمال يعودون من الحقل، هذا هو الوقت الذي أطعم فيه المسيح الخمسة الآلاف... وبما أن العشاء الرباني يهبنا هذا الروح لذا سمي شركة جسد المسيح ودمه على سبيل التعظيم، ويراد بشركة الروح القدس حلوله فينا)[٣].

وعرَّف كُتَّابُ النصارى العشاء الرباني بعدة تعريفات، فيعرفه حبيب جرجس بقوله: (سر الشكر هو سر مقدس، به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر)[٤].

---

(١) مختار الصحاح ص ٤٣٥.

(٢) لسان العرب جـ٤/ ٢٩٦٢.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٩٥، ٩٨.

(٤) أسرار الكنيسة ص ٦٢، خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - حبيب جرجس ص ٣٨ ط (٩) ١٩٢٥ م مكتبة الهلال.

ويعرفه زكي شنودة بقوله: (سر الأفخارستيا هو سر جسد ربنا المسيح ودمه تحت عوارض الخبز والخمر، وهو يتم إحياء لذكرى ذبيحة الصلب)[1].

ويعرفه جون لوريمر بقوله: (هو سر فيه يحل المسيح حقيقة، وفيه يشترك المؤمن في الجسد والدم، وهو ذبيحة يقدمها الكاهن إلى الله، ويطلب من الله النعمة للأحياء والأموات)[2].

ومما سبق من تعريفات يتبين أن العشاء الرباني عند النصارى يرمز إلى عشاء المسيح مع تلاميذه حيث أكلوا الخبز وشربوا النبيذ (الخمر)، والعشاء عندهم سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح ويشرب دمه، تحت شكلَي الخبز والخمر، وأن الخمر يشير إلى دم المسيح الذي سفك لنجاة البشر، والخبز يشير إلى جسده الذي كسر لهذا الغرض أيضا.

أسماء العشاء الرباني:

يطلق النصارى على هذا السر بالإضافة إلى العشاء الرباني أسماء كثيرة ومتعددة منها: سر الشكر، والعشاء السري، والعشاء الإلهي، ومائدة الرب، ومائدة المسيح والمائدة المقدسة، والمائدة السرية، وسر الذبح، وخبز الرب، وخبز الله، والخبز السماوي، والخبز الجوهري، وجسد المسيح، والجسد الرباني والخلاص والمقدس، ودم المسيح، والدم الكريم، وسمي أيضا شركة، واتحادا وكأس الحياة الخلاصة، والأسرار المقدسة، والأسرار الإلهية، والأسرار المخوفة السماوية، والذبيحة المقدسة السرية وكأس البركة، وسر الأفخارستيا، وسر التناول، سر العهد الجديد[3].

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٧ - راجع: تفسير أصول الإيمان جـ٢/ ١٣٧.

(٢) تاريخ الكنيسة جـ٢/ ٤٨.

(٣) أسرار الكنيسة السبعة ص ٦٢، ٦٣، علم اللاهوت النظامي ص ١٠٩٠، سر العشاء الرباني ص ٨، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه ص ٥٤٦.

ثانيا: أدلة النصارى على العشاء الرباني:

ينسب النصارى إلى المسيح عليه السلام تأسيس وترتيب سر العشاء الرباني مستدلين بما جاء في الأناجيل من نصوص منسوبة إليه منها ما جاء في إنجيل متى: (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا: اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا)[١]

وقال مرقس: (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر وأعطاهم، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم، وقال لهم: هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين)[٢].

وقال لوقا: (وأخذ خبزا وكسر وأعطاهم قائلا هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري، وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم)[٣].

وفي يوحنا: (فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير؛ لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه)[٤].

ويقول بولس: (إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا، وشكر فكسر

(١) متى: ٢٦/ ٢٦ -٢٨.
(٢) مرقس: ١٤/ ٢٢، ٢٣.
(٣) لوقا: ٢٢ـ١٩، ٢٠ .
(٤) يوحنا: ٦/ ٥٣ -٥٦.

وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكري، كذلك الكأس أيضا بعدما تعشوا قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري؛ فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ)[1].

فهذه النصوص وغيرها[2] يعتمد عليها النصارى فيما يذهبون إليه من تقديس العشاء الرباني وممارسة الطقس الخاص به ناسبين كل ذلك إلى المسيح عليه السلام.

✡✡✡✡✡✡✡

(١) ١ كو: ١١/ ٢٣-٢٦.

(٢) راجع: ١ كو ١٠ / ٣-٤، ٤، ١٣، عب ١٣ / ١٠، أع ٢/ ٤٢ - ٤٦، مر ١٤/ ٢٢.

المبحث الثاني

العشاء الرباني تاريخيا

يذهب النصارى إلى أن العشاء الرباني أسسه لهم المسيح عليه السلام، وذلك ليلة عيد الفصح الذي يحتفل به اليهود، (ففي ذلك الوقت قبل أن يقدم اليهود فصحهم بيوم واحد أرسل اثنين من تلاميذه إلى أورشليم ليعدا الفصح وفي الليلة التي فيها أسلم حضر مع تلاميذه الاثني عشر إلى صهيون، وهناك غسل أرجل تلاميذه معلما إياهم التواضع، ثم سلمهم سر جسده ودمه الأقدسين)[1].

وهم يقصدون بسر جسده ودمه العشاء الرباني المكون من الخبز والخمر زاعمين أن الخبز يتحول إلى جسد المسيح والخمر يصير إلى دمه، وقد ورد في أناجيلهم نصوص تدل على أن المسيح كانت له عدة مواقف مع تلاميذه ومع غيرهم في إشباعهم من الطعام القليل ففي أثناء زيارة المسيح «لقانا» - قرية بالجليل - كان فيها عرس وقد دعي إليه المسيح وأمه و إخوته وتلاميذه من مدينة الناصرة، وفي أثناء العرض فرغت الخمر .فعلمت مريم العذراء بذلك بسبب معرفتها القريبة بأهل العرس، وأخبرت المسيح بذلك فحول أجران الماء إلى خمر.

وجاء في إنجيل يوحنا بهذا الشأن: (كان عرس في قانا الجليل، وكانت أم يسوع هناك، ودعي أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر، قال لها يسوع: ما لي ولك يا امرأة؟ لم تأت ساعتي بعد، قالت أمه للخادم: مهما قال لكم فافعلوه، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة، قال لهم يسوع: املئوا الأجران ماء فملئوها إلى فوق

(١) أسرار الكنيسة السبعة صـ ٦٤، الأسرار حياة الإيمان ص ١٨٨.

ثم قال لهم: استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكاء، فقدَّموا فلمَّا ذاق رئيس المتكاء الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من أين هو، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكاء العريس وقال له: كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون، أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن)[1].

ويقول جورج فورد: (فلا عجب إذا كان المسيح الذي يحول الماء إلى خمر بأسلوب طبيعي في عروق الكرمة، ثم في الأوعية المعهودة، يكون له الحق والمقدرة أن يفعل الأمر نفسه لكن على كيفية جديدة خارقة للعادة)[2].

ومما ينسبوه إلى المسيح وبينه وبين العشاء الرباني شبه كبير، معجزة تكثير المسيح الخبز وقد أوردها كل من متى ومرقس في إنجيليهما[3].

ومنذ أن حدث ما كان ليلة عيد الفصح والنصارى يربطون العشاء الرباني بالكنيسة[4] ويأتون بنصوص من أناجيلهم، وأقوال رسلهم يؤيدون بها ما يذهبون إليه بشأن العشاء الرباني.

وعن أساس نشأة العشاء الرباني وتطوره يقول شارل جنيبير: كان الاثنا عشر أيضا، عندما يلتقون في دار أحد الإخوة «يطعمون الخبز جماعة» واتخذ هذا التقليد الشائع بين بني إسرائيل، والذي نرجح أن عيسى كان يقوم به أيضا عند مشاركته للحواريين في الطعام اتخذ في معناه لديهم ثوبا رمزا للوحدة وحدة بين أعضاء الجماعة ووحدة بينهم وبين المسيح، غير أن الدلائل كلها تشير إلى أنهم حتى ذلك القوت لم يكونوا ليربطوا بصلة ما

---

(١) يوحنا: ٢/ ١ -١٠.

(٢) القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ص ١٠٤.

(٣) راجع: متى ١٥/ ٣٢-٣٨.

(٤) راجع: المعمودية المسيحية ص ٦٣.

بين «كسرة الخبز» وبين موت المسيح، ولم يحملوا التقليد في ذاته فيما تبلغ به مستوى الشعائر القدسية، كما لم يرجعوا أصل وجوده ووجوب القيام به إلى تعاليم أستاذهم[١].

فشارل جنيبير يبين أن المسيح وتلاميذه كانوا متبعين لتقاليد قومهم في تناولهم الخبز جماعة، أي أنها لم تكن حديثة النشأة على عهد المسيح، كما بين أن المسيح فعل ذلك ليوحد بين تلاميذه وبين أتباعه، ولم يفعل ذلك ليربط بينه وبين موته كما يزعم النصارى كما أنهم لم يجعلوا هذا العشاء من الشعائر المقدسة ولم يذكروا أن المسيح أمرهم بذلك.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس بشأن القربان المقدس في العهد القديم قول صاحبه: (الأكل المقدس: كان يسترجع الفصح إلى ذاكرة العبرانيين ذكرى نجاة الأبكار وقت أن كانوا في مصر، وكان الاشتراك في تناول الطعام المقدس يرتبط مع كثير من الذبائح العبرانية وبخاصة ذبيحة السلامة، وبعدما كانت تقدم أجزاء من بعض الذبائح للرب على المذبح كان الكهنة ومعشر العابدين يأكلون الباقي منها؛ مثلا لتناول الطعام بعد تقديم الذبيحة في أيام صموئيل، وكان الوثنيون يشتركون في موائد مقدسة لديهم، ومع هذه الموائد أحيانا ما كانوا الوثنيون يسكرون.

ويستعيد عشاء الرب المسيحي إلى الذاكرة ذبيحة المسيح عنا، وفي بعض الأحيان كان يسبق عشاء الرب في الكنيسة الأولى وليمة تسمى وليمة المحبة)[٢].

ويُرجع شارل جنيبير سبب ظهور العشاء الرباني بين الأسرار المقدسة عند النصارى إلى أن بولس هو الذي أحدثه في النصرانية مثلما أحدث غيره من التعاليم التي غير بها وبدل تعاليم عيسى عليه السلام فيقول: (شعر بولس بضرورة الكشف عن المغزى العميق

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠.

لتقليد تناول الخبز جماعة، ولقد وجد له تفسيرا برباط لا ينقصم إلى عذاب عيسى الذي تحمله لتخليص البشرية وغمره غمرا بذلك المفهوم الخصب للتضحية من أجل التكفير ومن أجل التقرب والمشاركة في الذات الإلهية فجعل منه غاية لسرور رفيع وتذكرة ورمزا حيا أرادهما عيسى نفسه فيما زعم بولس لما لقيه من عذاب الصلب... ولم يكن قد قدر لأي طقس من طقوس «الأسرار الوثنية» أن يذخر بمعانٍ وفية وبآمال جذابة مثل ما ذخرت به الطقوس الخاصة بالقربان لدى بولس، غير أنها كانت من قبيل عائلة الطقوس الوثنية ولم تكن نابعة من روح الدين اليهودي ولقد دخلت في كنيسة الحواريين «قطعة من الوثنية»، ولكن المسيحيين تقبلوها أيضا بصدر رحب؛ لأنها أضافت إلى إيمانهم درجة أخرى من التسامي)[١].

أي أن العشاء الرباني لم يكن سرا من الأسرار المقدسة على عهد المسيح إنما أدخله بولس على النصرانية ضمن التعاليم الوثنية التي أدخلها عليها، وعلى هذا فإن العشاء الرباني وثنية منقولة من وثنية العبادات التي كانت متفشية في الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت مثل المثرية الفارسية، فقد كان من طقوسها العشاء الرباني[٢].

ومع تصريح شار جنيبير بوثنية العشاء الرباني إلا أن النصارى يزعمون أن بولس تسلم الوصية به من المسيح[٣]، ولكن كيف كان ذلك؟ والنصارى يعترفون بأن بولس لم يلتق بالمسيح ولم يتفق مع أحد من تلاميذه ثم يذكر شارل جنيبير أن اجتماع القربان أصبح منذ القرن الثاني «قداسا» ـ أي سلسلة منتظمة من القراءات والصلوات الجماعية والدروس والتراتيل تجد قمتها العليا في تقديس الأصناف الإلهية وفي تناول القربان[٤].

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١١٠.

(٢) راجع: مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ١٥٩.

(٣) راجع: خمس وخمسون حقيقة من حقائق الإيمان ص ٥٠.

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٦٠.

ويؤكد هذا ما ذكره متى الديري من أن المؤمنين كانوا يجتمعون في العصر الرسولي في البيوت لكسر الخبز في أول كل أسبوع، وللسجود والعبادة في كل يوم[١].

إذًا فلم يكن للعشاء الرباني طقس خاص به في العصور الأولى بل كانوا يأكلون الخبز في اجتماع لهم في بيت أحدهم تعبيرا عن الأخوة، وقد جاء في نصوص العهد الجديد تصريح بذلك يقول بولس في رسالته لأهل رومية: (سلموا على بريسكلا وأكيلا وعلى الكنيسة في بيتهما)[٢]، ويقول لفليمون: (وإلى الكنيسة التي في بيتك)[٣] ويقول للإخوة في كولوس: (سلموا..... على غفاس وعلى الكنيسة التي في بيته)[٤].

فيتضح من هذا أن كسر الخبز كان في البيوت وهي لم يوجد فيها مذبح لعشاء الرب أو لغيره؛ لأن المذابح لا تكون في بيوت بل في هياكل[٥].

أما عن نشأت عقيدة حضور المسيح في العشاء الرباني الذي يتمسك به النصارى ويزعمون تحول الخبز إلى جسده والخمر إلى دمه يقول ول ديورانت: (نشأت عقيدة حضور المسيح في أثناء العشاء الرباني نشأة بطيئة، وكانت الصياغة الرسمية لهذه العقيدة هي التي أذاعها مجلس نيقية في عام ٧٨٧ م ثم قام راهب بندكت فرنسي يدعى رتراموس عام ٨٥٥ م وقال: إن الخبز والخمر المقدسين لم يكونا جسم المسيح ودمه إلا بطريقة روحية لا جسدية، قام برنجر رئيس شماسة نور حوالي عام ١٠٥٤ م وجهر بارتيابه في تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه فكان جزاؤه الحرمان من الدين)[٦].

---

(١) عشاء الرب: متى الديري ص ٤٣.

(٢) رومية: ١٦/ ٣-٤.

(٣) فليمون ١/ ٢.

(٤) كو: ٤/ ١٥.

(٥) راجع: عشاء الرب ص ٤٣.

(٦) قصة الحضارة جـ١٦/ ١٨.

وجاء في القرار الذي صدر في مجمعي (ترنت) المنعقد من سنتي ١٥٤٥ م، ١٥٦٣ م بشأن العشاء الرباني ما نصه: (قد اعتقدت كنيسة الله دائما بأنه بعد التقديس يوحد ربنا الحقيقي مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر.... لأن يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخمر وجميع أجزائه، وقد اعتقدت الكنيسة أيضا اعتقادا ثابتا بأن تقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز إلى جوهر جسد ربنا وكامل جوهر الخمر إلى جوهر دمه.)[١].

جرت الكنائس النصرانية على محاكاة العشاء الرباني حسب ما ورد في تعاليم رسلهم وآبائهم في أعيادهم على الأخص، ويعتبرونه من أهم عباداتهم.

وكانوا في كل عصر يدخلون التعديلات على طقوس العشاء الرباني بالإضافة أو بالحذف، وكلما جاءهم بابا جديد نقض ما كان عليه سلفه؛ فصلاة الفرض ـ العشاء ـ التي أعلنها بيوس الخامس سنه ١٥٦٨ م، بدل فيها كليمنصوص الثامن سنة ١٦٠٢ م ثم أوريانوس الثامن ١٦٣٣ م، ونقحها بيوس العاشر ١٩١١ م، وفي سنة ١٩٤٥ م أصدر بيوس الثاني عشر ترجمة جديدة للمزامير، وأعاد النظر فيها بولس السادس، وقداس بيوس الخامس يدل في ليتورجيته[٢] وجدده سنة ١٩٥٦ م، بيوس الثاني عشر، وهكذا كل واحد من الباباوات ينقض ويبدل ويعدل فيما كان عليه سابقه ولا زال ذلك يحدث في الكنائس إلى يومنا هذا، وذلك باعتراف القوم أنفسهم[٣].

٥٥٥٥٥٥٥

(١) الأسفار المقدسة ص ١٣٨، محاضرات في النصرانية ص ١٨٦.

(٢) الليتورجية: تعني الخدمة العامة التي تؤدى لأجل الجماعة، والليتو: بمعنى جماعة، وروجيا: تعني عملا.

(٣) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ٢٢٨ وما بعدها، والقضايا المسيحية الكبرى، إيماني ص ٥٠٧ وما بعدها.

المبحث الثالث

أهمية العشاء الرباني عند النصارى

يمثل العشاء الرباني أهمية كبيرة عند النصارى بل و يعدونه من أهم الأسرار المقدسة؛ وذلك لما يأتي:

[١] يعتبر النصارى العشاء الرباني عهدا بين المسيح وأتباعه وتلاميذه من المؤمنين في كل زمان ومكان، وهو مكتوب بالدم، عهد الجود، والإحسان، والغفران، وقد حل العشاء الرباني محل الفصح اليهودي وهذا يعطي الحياة المسيحية معنى أعمق أثرا وأبعد مدى، بل إن الفصح اليهودي لم يكن إلا رمزا للمسيح، والنصارى يعتبرون قيامهم بالعشاء الرباني ولاء منهم للمسيح ودليلا على الاستعداد التام لتنفيذ ما يطلبه منهم مهما يكن الثمن(١).

[٢] يعتقد النصارى أن أكلهم العشاء الرباني يهب لهم الحياة؛ إذ أنهم يشتركون في جسد المسيح بأكلهم الخبز الذي يتحول إلى جسده وبشربهم الخمر الذي يتحول إلى دم المسيح بحيث لا يبقى من الخبز والخمر الأصليين شيء إلا الظواهر الخارجية وحدها، أي أن العشاء في قوة العهد يتحول إلى شركة دائمة مستمرة بين المسيح والنصارى وبينهم بعضهم بعضا، وهم يعتبرون أنفسهم أعضاء في جسد المسيح ومشاركين في طبيعته الإلهية(٢).

[٣] العشاء الرباني - في زعمهم - يهديهم النمو في النعمة والكمال الروحي والحياة في

---

(١) راجع: القضايا المسيحية الكبرى - إيماني ص ٥٠٢، الأسرار حياة الإيمان ص ١٣١.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٨، الأفخارستيا ص ٥٧، القضايا المسيحية الكبرى ص ٥٠٣، القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ص ٤٥٦، والأسرار حياة الإيمان ص ١٣١.

يسوع. فإذا كان القوت العادي يغذي الجسم ويقويه ويعيد إليه قواه ويمنحه دقائق حيوية جديدة فكم بالحري هذا القوت الروحي يمنحنا الصحة والغذاء لأرواحنا، ويوحدنا بالمسيح ويشفي ضعفنا وينقي نفوسنا من الخطايا[1].

[٤] يعتقدون أن العشاء الرباني يُذَكِّرهم بما حدث للمسيح، وهذا يوجب عليهم أن يطيعوا أمره ويمارسوا هذا السر المقدس وبذلك يُحْيِي في فكر مَن حوله ذكرى موته الكَفَّارِيِّ لأجل البشر وذكر عشاء العرس المعد لجميع المؤمنين[2].

[٥] يزعمون أن العشاء الرباني يذكرهم بشكر رب السماء مصدر كل عطية صالحة وكل موهبة تامة، وفي التكسير للخبز مشابهة بينهم وبين المسيح، فكما أن الخبز لا يحيي الأجساد إلا بعد كسره، كذلك لا يحيي المسيح موتى الذنوب والخطايا إلا بعد أن تألم وصلب أولا، وفي المباركة يذكرون المسيح صاحب السلطان المعطى له من الأب، وفي أخذهم الخبز يتذكرون أنه هو الطريق والحق والحياة، وليس أحد يأتي إلى الأب إلا به[3].

[٦] يقولون: إن في الاجتماع حول المائدة إشارة إلى اجتماعهم في السماء عند العرش السماوي، حيث الوليمة العظيمة للمفديين في المسيح، وهكذا تربط الفريضة بين ماضي الكنيسة وحاضرها ومستقبلها، فهي تذكرنا بما حدث في أورشليم عندما أجرى يسوع هذه الفريضة لأول مرة، وتجمعنا في الحاضر أمام المائدة، وترفع أشواقنا إلى السماء حيث المسيح جالس[4].

---

(١) راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص ٩٢، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي - فايز فارس ص ٢٣٨.

(٢) راجع: القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ص ٤٥٦، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٣٩.

(٣) راجع: مبادئ العقائد المسيحية ص ٨٦، الأسرار حياة الإيمان ص ١٣١، القول الصريح في سيرة يسوع ص ٤٥٤.

(٤) راجع حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٣٩.

فهذه هي أهم الأسباب التي تجعل للعشاء الرباني أهميته الكبرى عند النصارى وتجعلهم يعتقدون في فاعليته، وتجعلهم يحافظون عليه وممارسة الطقس الخاص به والمشاركة فيه.

صلة العشاء الرباني بالأسرار:

تربط الكنيسة بين العشاء الرباني وبين غيره من الأسرار مثل المعمودية والزواج، فَهُمْ يربطون بين العشاء والمعمودية ويجعلون بينهما صلة؛ وذلك لأن بولس قرن بينهما في حديثه عنهما وذكرهما في رسالته الأولى لأهل كورنثوس بقوله: (وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاما واحدا روحيا)(١).

(أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة)(٢).

ويقول فهيم عزيز: (فالعشاء الرباني والمعمودية يرتبطان بهذا المفهوم الخاص بالرسول ارتباطا وثيقا)(٣).

ويقول القس مكرم نجيب: (المعمودية هي رمز اتحاد بالرب في موته، والعشاء الرباني هو المشاركة في جسد المسيح ودمه)(٤).

والمعمودية تفتح الطريق للكنيسة حيث تشير الكنيسة في رفقة عشاء الرب في رابطة الشركة التي تتجدد في العشاء كرابطة العهد الجديد، رابطة جسد المسيح تحت إرشاد قيادة الروح القدس(٥).

---

(١) ١ كو: ١٠ / ٢، ٣.

(٢) ١ كو: ١٢/ ١٣.

(٣) الفكر اللاهوتي في كتابات بولس - فهيم عزيز ص ٢٦٥.

(٤) المعمودية بين المفهوم والممارسة ص ٩٣.

(٥) المرجع السابق ص ٩٤.

وعن وجه الشبه بين الأفخارستيا والزواج يقول رفيق جريش: (الأفخارستيا أعظم الأسرار هي في الواقع سر المحبة الإلهية للإنسان، وهي أيضا العهد الجديد الأبدي بين الله والإنسان، والزواج كذلك هو سر محبة الرجل والمرأة، وهو أيضا عهد أبدي بينهما، في الأفخارستيا يصبح الله والإنسان جسدا واحدا، الأفخارستيا ذبيحة حب وتناول القربان المقدس وهي اعتراف من قِبل الإنسان بهذا الحب الإلهي، وفي سر الزواج كل من الزوجين يبذل ذاته يقدم نفسه وجسده كذبيحة من أجل الآخر في كل مراحل وتقلبات الحياة.

إن غسل الأرجل قبل العشاء يدل على بذل الذات، وفي الزواج مطلوب من الزوج والزوجة بذل الذات كل من أجل خدمة الآخر على مثال يسوع المسيح[1] وهكذا يعقد النصارى الصلة بين سر العشاء الرباني وبين غيره من الأسرار الكنيسة وهذه الصلة تزيد من تمسكهم واهتمامهم بهذا السر.

✡✡✡✡✡✡✡

(١) الزواج هذا السر العظيم - رفيق جريش ص ٨٣، ٨٤ بإيجاز - مؤسسة بيتر للطباعة ١٩٩٠م.

المبحث الرابع

الطقس الخاص بالعشاء الرباني وكيفية احتفال الكنيسة به

(١) صناعة العشاء والشروط الخاصة به:

يتكون العشاء الرباني من الخبز والخمر المقدسين في اعتقاد النصارى، هذا الخبز وهذه الخمر، ثمرة الأرض وعمل الإنسان، معدان طبيعيان للتقاسم على المائدة؛ لذا أسس الرب الأفخارستيا بمناسبة وليمة كوجبة طعام.

وأصناف القربان من خبز وخمر في عقيدة بولس ينظر إليها على أنها طعام معجز يجب إعداد النفس قبل تناوله إعدادا دينيا خاصا به، وإلا كان المآل إلى التهلكة[١].

ويقوم الكاهن بتلاوة القراءات الخاصة وأداء الصلوات والدروس والتراتيل (فعندما يتلو الكاهن أثناء خدمة القداس قول السيد له المجد: (خذوا كلوا هذا هو جسدي، وهذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا) ثم يتلوا صلاة استدعاء الروح يتحول الخبز والخمر الموضوعان على المذبح إلى جسد المسيح ودمه الطاهرين)[٢].

ويصنع الخبز من الدقيق والزيت واللبان، (والدقيق هو رمز إلى حياة المسيح الكاملة في كل دقائقها، والزيت رمز إلى الروح القدس الذي كان المسيح ممتلئا به، واللبان رمز إلى حياة المسيح العطرة)[٣].

---

(١) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ١٤٤.

(٢) راجع: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٦٠.

(٣) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٨.

وقد يكون فطيرا ملتوتا بالزيت أو رقاقا مدهونا بزيت ويقوم الكاهن بأداء الصلاة لتقديس الخبز والخمر ويقول في هذه الصلاة: (من أجل الكأس نشكرك يا أبانا، لأجل الكرمة المقدسة من ذرية داود عبدك، والتي أظهرتها لنا في يسوع ابنك، المجد لك للأبد، من أجل الخبز المكسور: نشكرك يا أبانا من أجل الحياة والمعرفة التي أعطيتها لنا في ابنك يسوع المسيح، المجد لك إلى الأبد، كما أن الحبوب بذرت على الجبال ثم جمعت على رغيف واحد اجمع أولادك المؤمنين المشتتين في كل الأرض في ملكوتك؛ لأن لك الملك والقوة في يسوع المسيح إلى الأبد)[١].

وعند مباركة العشاء يصلي الكاهن سرا ويقول: (ليحل روحك المقدس، علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة، ويطهرها وينقلها ويظهرها قدسا لقديسيك، ويرشم القربانة ثلاث مرات وهو يصرخ ويقول: (وهذا الخبز جسدا مقدسا له) ثم يرشم الكأس ثلاثا وهو يصرخ أيضا: وهذه الكأس أيضا دم كريم لعهده الجديد) ويصيح الشعب في الحالين: «آمين»)[٢].

ولا يقوم بممارسة مباركة العشاء الرباني إلا كاهن الكنيسة المختص بذلك، فلا يصح لأحد من أفراد الشعب صنع العشاء، إلا أنه وجد من النصارى من يعارض اختصاص القس بممارسة الطقس، يقول عوض سمعان: (لا توجد آية واحدة في الكتاب المقدس تنص على أن القيام بالعشاء الرباني منوط بالقسوس أو أصحاب المواهب، بينما توجد آيات متعددة تدل على أن القيام به خاص بجميع المؤمنين الحقيقيين...)[٣].

وبعد صنع العشاء ومباركته وحلول روح القدس عليه يقوم الكاهن بتوزيع كسر

(١) مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٢٥.

(٢) سنوات مع أسئلة الناس ص ٤٠.

(٣) الكهنوت ص ٢٨٨.

الخبز وكاسات الخمر على الحاضرين والمشتركين في العشاء (ولا يجوز أن يتناوله غير المؤمنين المستعدين، والذين بلا لوم أو عثرة، وأن من يأخذه من غير معرفة أو فهم أو اعتراف بالإيمان المسيحي أو من يأخذه وهو يحمل في نفسه خطية مستترة أو ظاهرة، أو ذنبا معينا يعرض نفسه لغضب الله وعقابه، ويكون مجرما في جسد الرب ودمه)[١].

فالنصارى يشترطون أن يكون المشترك في العشاء من المؤمنين بالمسيح، وأن تكون حياته خالية من الشر، وأن يكون من المفديين بدم المسيح والذين هم أعضاء في جسده ومن المغتسلين بدمه[٢].

(٢) احتفال الكنيسة بالعشاء الرباني:

تحتفل الكنائس النصرانية بالعشاء الرباني كتذكرة بالعشاء الذي شارك فيه المسيح تلاميذه ليلة عيد الفصح اليهودي، وقد كان ذلك ليلة الخميس، لكن النصارى يحتفلون بالعشاء في مناسبات أخرى، يقول جون لوريمر: (كانت الكنيسة تقدم العشاء الرباني كل يوم أحد ولكن كانت هناك بعض الاجتماعات الأخرى: فكان هناك اجتماع خاص كل يوم للتعليم واجتماع آخر نسائي، وعندما كانت تضاء المصابيح يتقدم الأسقف أو الشيخ ليشكر الله على عطايا اليوم كله، وكانت هناك ولائم المحبة التي يرأسها الأسقف التي تبدأ بالبركة من بعض المزامير وبركة الناس[٣].

ويذكر إلياس مقار أن المسيح لم يعين ميعادا لتناول هذه الفريضة؛ لهذا فإنه يتحدد ميعاد بحسب الاستعداد والملاءمة، فيجوز تناول الفريضة كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر أو ما أشبهه، بحسب المواءمة والترتيب، على أنه في كل الحالات ينبغي أن

---

(١) القضايا المسيحية الكبرى ص ٥١٣.

(٢) راجع: عشاء الرب ص ١٢٨ وما بعدها، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٤٤.

(٣) تاريخ الكنيسة جـ٢/ ٩٨ وما بعدها.

يقوم الخدام المُعَيَّنُون للخدمة بترتيب المائدة وإقامتها على أن لا يكون اقتراب مواعيد ممارستها أو تباعدها ما يمكن أن يقلل من هيبتها وقدسيتها وجلالها وجمالها ونظامها(١).

وتختلف الكنائس في طريقة احتفالها بالعشاء، بل ويختلف الاحتفال من عصر إلى عصر؛ فكان لليهود المتنصرين صلاة خاصة بتقديس العشاء، وللمتنصرين من الأمم صلاة أخرى تختلف عن غيرهم(٢)، فيصف «جستين ماريتر» طريقة الاحتفال بهذه الشعيرة في عصره أنه يعقد في الكنيسة مجلس على كل أيام الأحد، ويبتدئ بأدعية وأناشيد ثم يُقَبِّل الحضور بعضهم بعضا، ويتبادلون الترحيب، ثم يؤتى بالخبز والخمر، ويدعو رئيس المجلس الأب والابن، والروح القدس بالبركة ويؤمن الحضور على الدعاء، ثم يوزع شمامسة الكنيسة الخبز والخمر على الحاضرين، وما أن تتم هذه العملية حتى يتحول الخبز جسد المسيح، والخمر دمه، ويجدد الحاضرون بتناولهما عقيدة الكفارة(٣).

وذكر صاحب كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب كيفية أخرى لاحتفال النصارى بالعشاء الرباني فيقول: (إن القسيس يأمر خادمه أن يعجن له فطيرة من سميد صافٍ ويخبزها، ثم يحملها القسيس مع زجاجة خمر إلى الكنيسة ويأمر بضرب الناقوس، وإذا اجتمع النصارى للصلاة ووقفوا صفوفا في الكنيسة يصب عليهم القسيس من خمر الزجاجة شيئا في كأس من فضة، ويجعل تلك الفطيرة بيده المباركة ويرفع عينه إلى السماء، إلى القادر على كل شيء، وبعد التمجيد الواجب كسرها وأطعم الحواريين كسرة كسرة، وقال لهم: كلوا هذا جسدي، وحين يتم القسيس هذا الكلام يسجد بذاته لتلك الفطيرة محققا أنه جسد عيسى، وأن عيسى هو ابن الله، يقول القسيس في سجوده مخاطبا الفطيرة: أنت إله السماوات والأرض، أنت الذي تجسدت في بطن مريم، أنت ابن الله المولود قبل

---

(١) القضايا المسيحية الكبرى ص ٥١٤ بتصرف، العشاء الرباني - نقولا بشارة ص ٢٢.

(٢) راجع: الشكر نشأته والأدوار التي مر بها ص ٨٠ وما بعدها.

(٣) راجع: في العبادات المسيحية ص ١٢.

العوالم كلها، أنت من أجل أن تخلصنا من أيدي الشياطين، أنت الذي جالس إلى يمين أبيك في السماء، نسألك أن تغفر لي ولأمتك التي خلصتها بدمك ثم يظهر تلكم الفطيرة لصفوف النصارى فيقع جميعهم لها ساجدين، ثم بعد ذلك يأخذ كأس الخمر، ويقول لهم القسيس: إلهنا المسيح قبل موته وأخذ كأسا من الشراب وأعطاه للحواريين وقال لهم: اشربوا هذا دمي، ثم يسجد القسيس للكأس ويريه النصارى فيسجدون له، ثم يأكل الفطيرة ويشرب ذلك الخمر ويقرأ بعد ذلك ما تيسر من إنجيله، ثم يعطى الدعاء ويتفرقون، فهذه صلاتهم وقربانهم، نعوذ بالله من الخذلان)[١].

وعن الأشكال المختلفة التي كانت تحتفل بها الكنيسة بالعشاء الرباني في العصور المختلفة يقول تسيود ول ري - مرمية: (في العصر الأول يتم الاحتفال بوليمة تبدأ بمقبلات بين تجمعات صغيرة أعضاؤها وقوف كما يبدأ لقاء وبانتظار المتأخرين، وكان كل واحد يبارك كأس خمر: (مبارك أنت أيها الرب إلهنا، الملك الأبدي، يا من خلقت ثمرة الكرمة) ثم كانوا يغسلون أيديهم وهم يصلون وتبدأ عندئذ الوليمة: كان يجلس كل في محله ويمنعون المتأخرين من الدخول، كانوا يحملون الخبز إلى الرئيس فكان يباركه.... ثم يكسر كسره ويوزعه على الحاضرين، وهو يذكر المسيح الذي أضاف: (هذا هو جسدي، وفي نهاية الوليمة كانوا يملئون الكأس للمرة الثالثة، وكانوا يضيفون إلى الخمر ضعفه من الماء ويبدأ الرئيس الصلاة الكبرى، وبعد حوار قصير كان الرئيس يتابع وحده صلاة الأفخارستيا، لكن هذه الطريقة للاحتفال بالأفخارستيا لم تعمر طويلا)[٢].

ثم يتابع تسيودول ـ مرمية ذِكره لكيفية الاحتفال بالعشاء الرباني في الكنيسة عبر عصورها المختلفة مُبيِّنًا مدى الاختلاف والتغيير الذي حدث ويحدث في صورة الاحتفال

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص ٨٩- ٩١.

(٢) الأسرار حياة الإيمان ص ٢٢١ بتصرف.

في كل عصر من العصور النصرانية إلى العصر الحاضر، ومن بين الاحتفالات التي تتمسك بها الكنيسة الكاثوليكية ما ذكره القديس يوستنيوس جاء فيه: (في اليوم المدعو (يوم الشمس) كان جميع من ينتمي إلينا من سكان المدن والأرياف يجتمعون في مكان واحد: يقرءون مذكرات الرسل وكتابات الأنبياء حسبما يسمح لهم الوقت، بعد القراءة يبدأ الرئيس بالكلام حاضا الحضور على اتباع هذه التعاليم السامية، ثم نقف جميعنا ونرفع الصلوات إلى الله بصوت عال ولأجل المعمدين ولأجل سائر المسيحيين المنتشرين في العالم، ثم نتعانق جميعا بعد الصلاة.

وبعدها يقدمون لرئيس الإخوة خبزا وكأسا من الخمر والماء فيأخذها ويمجد أبا الكون ويسبحه باسم ابنه وروحه القدس، ثم يشكر طويلا لأجل هذه الأشياء التي وهبنا الله إياها، بعد أن ينتهي الرئيس من الصلاة والشكر يصرخ الحاضرون: آمين، وبعد أن يشكر الرئيس ويجيب المؤمنون، يوزع الذين ندعوهم شمامسة على كل الحاضرين قطعة من الخبز المقدس ومن الخمر الممزوج ماء، ويحملون منها إلى الغائبين)(١).

فكل كنيسة تحتفل بالعشاء حسب تقاليدها كما رسمه آباؤهم ومعلموهم وعلى كيفية يتم بها الاحتفال بالعشاء الرباني في الكنائس النصرانية على اختلاف مذاهبها وطوائفها، إلا أن غالبيتهم يتفقون على أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه تحت تأثير حلول الروح القدس الذي يستحضره الكاهن الذي يمارس الطقس.

يقول القس إلياس مقار: إنه بمجرد تلفظ الكاهن بالقول: (هذا هو جسدي) (هذا هو دمي يستحيلان(٢) كلاهما إلى جسد الرب ودمه حقيقة، ولا يعودان بعدُ خبزا وكأسا،

(١) راجع: الأسرار حياة الإيمان صـ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) الاستحالة: تعني أن من أكل الخبز وشرب الخمر من الكنيسة في يوم الفصح فإن ذلك يستحيل فيه، وكأنه قد دخل في جوفه لحم المسيح ودمه، وأنه قد امتزج في تعاليمه بذلك.

وقد دعي العشاء لذلك (ذبيحة القداس، وهو ذبيحة حقيقية كفارية لا تتوقف استحالتها على حياة الكاهن أو أفعاله الشخصية ما دامت الكنيسة قد أقامته في منصبه الكهنوتي بعد رسامة صحيحة)[١].

وقد صرح آباء الكنيسة باستحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح، فيقول القديس كيرلس الأرشليمي: (لكونه هو نفسه تكلم وقال عن الخبز: هذا جسدي فمن يجسر بعد ذلك أن يرتاب، ولكونه هو نفسه ثبت وقال: هذا هو دمي فمن يتوهم أو يقول إنه ليس دمه؟[٢].

ويقول غريغوريوس: (إنني أعتقد وأقر بالحقيقة أن الخبز يستحيل اليوم أيضا؛ إذ يتقدس بالكلمة الإلهية إلى جسد الإله الكلمة)[٣].

ويعتبر النصارى الخبز والخمر اللذين يصيران إلى المسيح جزءا من جسده الذي يسجدون له، فَهُمْ لذلك يسجدون لوليمة العشاء الرباني المعد للأكل والشرب بعد تقديسها وقبل تناولها، يقول حبيب جرجس: (وبما أن الخبز والخمر في هذا السر الأقدس هما جسد المسيح ودمه فيجب أن تقدم لهما العبادة والسجود)[٤].

إن ما تذهب إليه الكنائس فيما يتصل بممارسة العشاء الرباني لم يكن موجودا في عصر الرسل وذلك باعتراف أحد كتابهم.

يقول عوض سمعان: (إن الرسل لم يشيدوا لممارسة العشاء الرباني بناء خاصا يدعى هيكلا أو أقاموا مذبحا ليضعوا عليه هذا العشاء، بل كانوا يقومون به في بيوت عادية

---

(١) القضايا المسيحية الكبرى صـ ٥٧، تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٨، الأفخارستيا صـ ٢٥.

(٢) أسرار الكنيسة السبعة صـ ٧٠.

(٣) الأفخارستيا صـ ٢٨.

(٤) أسرار الكنيسة السبعة صـ ٧٥.

وطبعا على موائد الطعام العادية التي فيها، إنهم كانوا يمارسون العشاء الرباني دون أن يلبسوا ملابس خاصة أو يستعملوا آلات موسيقية مثل الدفوف والصنوج، ولم يقسموا المؤمنين إلى فريق كقسوس وشمامسة لتقوم كل فرقة بدورها في العبادة).

ثم يقول (من جهة رفع الشكر لله، بالرجوع إلى الكتاب المقدس لا تعثر على عبارات الشكر التي رفعها مرة واحدة من الرسل لله عند ممارسة العشاء الرباني، ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم لم يعملوا صيغة ما للشكر يجب استعمالها عند ممارسة العشاء المذكور)[1].

وتضع الكنيسة شروطا لمن يريد أن يشترك في العشاء ويتناول منه وهي:

١- أن يعترف الإنسان بخطاياه على يد خدام الرب في الكنيسة لكي ينال الحل والغفران على خطاياه والصفح من الرب.

٢- أن تكون صادرة عن ندامة حقيقية وانسحاق قلب.

٣- أن يتعهد الخاطئ بعدم رجوعه إلى الخطية مرة ثانية.

٤- أن يتعهد بعمل الفضيلة عوضا عن الرذيلة والامتناع عن كل الوسائل والطرق التي ربما تؤدي به إلى السقوط في الخطية وارتكاب الآثام والموبقات.

٥- أن يتناول الشخص وهو صائم وأن يكون الصوم تسعة ساعات على الأقل...

٦- ألا يجامع زوجته ليلة التناول[2].

---

(١) الكهنوت - عوض سمعان صـ ٢٨٦، ٢٨٨.

(٢) راجع: سر العشاء الرباني - نقولا بشارة ص ٢١، ٢٢ - مطبعة التوفيق بمصر بدون تاريخ.

المبحث الخامس

الكنائس النصرانية واختلافهم في العشاء الرباني

لم يختلف النصارى في شيء من الأسرار كاختلافهم حول العشاء الرباني، فقد جعلته كلتا الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية سِرًّا من أسرار الكنيسة السبعة المتفق عليها عندهم، بينما خالفتهم في ذلك الكنيسة البروتستانتية والتي لم تعترف بأسرار الكنيسة السبعة وجعلت العماد والعشاء الرباني فريضتين لديها يقوم بها أتباعها، وهذه هي نقاط الاختلاف بين الكنائس حول العشاء الرباني:

[١] صناعة وليمة القربان:

لقد اختلفت الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية حول استعمال الفطير في العشاء الرباني بدل الخبز، ونشأت بينهما منازعة شديدة على هذا الموضوع في القرن الحادي عشر؛ فالكنيسة الأرثوذكسية رفضت استعمال الفطير؛ لأنه عندهم من العوائد اليهودية التي لم يلتزموا بها بعد، أما الكنيسة الكاثوليكية فقد حكمت بمناسبة استعمال ـ الفطير ـ بأنه النوع الوحيد الجائز استعماله باعتبار قانون الكنيسة غير أن استعمال خبز الخمير يجوز بمعنى أن ذلك لا يفسد السر(١).

وتقصر الكنيسة الكاثوليكية التناول من العشاء على رجال الدين دون عامة الشعب الذين يتناولون الفطير دون الخمر يقول زكي شنودة: (درجت الكنيسة القبطية على أن تستعمل في إتمام سر التناول الخبز المختمر، وأن تناول الخبز والخمر للجميع، أما الكنيسة الكاثوليكية فقد استبدلت الخبز المخمر بالفطير، كما أنها منعت عامة الشعب من تناول الدم الكريم)(٢).

---

(١) راجع: علم اللاهوت النظامي صـ ١٠٩٢.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٩، الأسفار المقدسة صـ ٣٩، سر العشاء الرباني - نقولا بشارة صـ ٣٠.

إلا أن الكنيسة الكاثوليكية: لما رأت أن كثيرين من أتباعها الشرقيين لم يقبلوا هذا التعليم - فلئلا ينشقوا عن كنيستهم - سمحت لهم بإتمام السر بالخبز والخمر، مدعية أنه لا يجوز تقديس هذا السر بالنوعين سواء من الخمير أو الفطير، ولكنها لا تتممه إلا بالفطير(١).

وتقوم الكنيسة البروتستانتية بتناول الخبز والخمر بالتعاقب؛ كل على حده بخلاف الأرثوذكس الذين يتناولون العنصرين معا دون ترتيب، فعند البروتستانت: (لا يجوز بتاتا خلط العنصرين كأن يعطيا معا في معلقة أو ما أشبه، كما لا يجوز الاقتصار على إعطاء الخبز دون الكأس، والتفرقة بين الشعب وخدام الدين في الأمر، كما يظهر من البدعة التي دخلت إلى الكنيسة الكاثوليكية بعد ألف عام)(٢).

وترفض الكنيسة البروتستانتية التفرقة بين الأشخاص بالنسبة لتناول العشاء الرباني: (يجب أن لا يسمح بوجود أي فوارق بين بعض المؤمنين والبعض الآخر عند ممارسة العشاء الرباني، فإن الغني والفقير، والكبير والصغير، بل والواعظ أيضا كل هؤلاء سواء؛ لأنهم جميعا كانوا أمواتا بالذنوب والخطايا ومعرضين للهلاك الأبدي(٣).

[٢] يقوم بإعداد الوليمة القربانية للعشاء الرباني في الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية القساوسة ويساعدهم الكهنة إن احتاجوا إليهم، أما الكنائس البروتستانتية فهم ينكرون وجود خلفاء الرسل يقومون بإعداد الوليمة، فيجوز لكل المؤمنين القيام بإعداد العشاء، يقول عوض سمعان: (إن العشاء الرباني ليس ذبيحة ولا يتطلب القيام به وجود كهنة.. فإن الرب لم يأمر بالالتجاء إلى شخص معين لكي يقوم

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة صـ ٩٣.

(٢) القضايا المسيحية الكبرى صـ ٥١٣، عشاء الرب صـ ٧٠، ٧١.

(٣) الشكر نشأته والأدوار التي مر بها صـ ٢٨.

بهذا العشاء لأجلنا... وإذا كان الأمر كذلك فليس هناك مجال للاعتقاد بوجوب وجود خلفاء للرسل أو كهنة بالمعنى الحرفي يكون من حقهم وحدهم القيام بالعشاء الرباني[1].

[٣] وقت الاحتفال بالعشاء الرباني:

تحتفل الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية بالعشاء الرباني كل يوم أحد من كل أسبوع، وكذلك بعد ممارسة طقس العماد والتثبيت للمعمدين، أما البروتستانت فلا يحتفلون بالعشاء الرباني إلا إذا كانت له مناسبة تدعو إليه، يقول القس إلياس مقار: بما أن السيد لم يعين ميعادا لتناول هذه الفريضة... فإنه لهذا السبب يتحدد الميعاد بحسب الاستعداد والملاءمة) وقد غير النصارى يوم الاحتفال بالأفخارستيا عن اليوم الذي يزعمون أن المسيح مارسه فيه، فهم يذكرون أن المسيح صنع لهم العشاء يوم الخميس وهم يمارسونه يوم الأحد.

[٤] وعن تناول الأطفال من العشاء فإن الكنائس النصرانية تختلف حوله اختلافا كثيرا، فالأرثوذكس يوجبون اشتراك الأطفال في العشاء الرباني، فكما أن لهم الحق في ممارسة المعمودية وتثبيت العماد، فكذلك لهم الحق في التناول من قربانة العشاء، ولكن كنيسة رومية (الكاثوليكية) حرمت الأطفال من سر الميرون، ومن سر الشركة المقدس بدعوى أنهم لا يفهمونه[2].

ويعلل «متى الديري» حرمان الأطفال من التناول من القربانة بقوله: (إن مائدة الرب تتطلب من الراغبين في الاشتراك فيها أن يفهموا الغاية من هذا الاشتراك، وأن

(١) الكهنوت صـ ٣٨٨ بتصرف، راجع: الشكر نشأته والأدوار التي مر بها صـ ٢٩.

(٢) راجع: أسرار الكنيسة السبعة صـ ٧٠، ٧٦.

يكونوا أيضا قادرين على امتحان أنفسهم.. والأطفال لا يفهمون معنى امتحان أنفسهم ولا قدرة لهم على تنقيتها، وكذلك من أهداف ممارسة عشاء الرب أيضا التخيير بموته وانتظار مجيئه الثاني ليأخذ كنيسته للمجد، والأطفال لا قدرة لهم على مشاركة المؤمنين البالغين في هذا أو ذلك)[١]، وقد ذكر «كالفن» أن العشاء الرباني ليس للأطفال لعدم توافر شروط امتحان النفس قبل التقدم للمائدة[٢].

وبالرغم من اعتراض الكاثوليك والبروتستانت على مشاركة الأطفال في تناول قربانة العشاء إلا أن الكنيسة الأرثوذكسية تتمسك بمشاركة الأطفال في العشاء الرباني.

[٥] كما تختلف الكنائس النصرانية في نظرتها إلى العشاء الرباني؛ فالبروتستانت ينظرون إلى العشاء الرباني على أنه تذكار بفداء المسيح للخطيئة التي ارتكبها آدم، وتذكار لمجيئه ليدين الناس، فهو تذكار للماضي والمستقبل، فهم يكسرون الخبز لمجرد الذكرى ويدعون ذلك فريضة وليس سِرًّا كنسيا[٣].

ومن هؤلاء زونيكلي (أوزونجلي) وقد تبعه الأرمنيون والسوسينيون[٤]، وأهم ما في هذا التعليم أنه يرفض رفضا باتا حضور المسيح سواء بطريقة حقيقية أو بطريقة روحية ويعتبر العشاء الرباني مجرد ذكرى لحادثة صلب المسيح وقيامته.

يقول د/ حنا جرجس الخضري عن هذا التعليم: (إن ممارسة العشاء الرباني تعني بالنسبة للمصلح السوسري ذكرى لموت المسيح وقيامته، فإن «زونيكلي» وأتباعه لا يرون في العشاء الرباني إلا مجرد ذكرى؛ فإن الخبز المكسور والخمر المصبوب يذكران

---

(١) راجع: أسرار الكنيسة السبعة صـ ٩١.

(٢) عشاء الرب، متى الديري صـ ١٦١، ١٦٢.

(٣) راجع: المعمودية بين المفهوم والممارسة صـ ٩٧.

(٤) راجع: علم اللاهوت النظامي صـ ١١٠١.

بموت المسيح الذي قدم نفسه من أجلنا، وفي كل مرة يجتمع الإخوة لممارسة هذه الفريضة ويتذكرون هذه الحادثة التاريخية العظيمة وينادون بها)[١].

وينظر الكاثوليك والأرثوذكس إلى القربان نظرة تقديس لدرجة أنهم بعد أن يبارك القسيس الطعام يسجدون ويصلون له لزعمهم أنه أصبح جزءا من جسد المسيح الذي يقومون بالصلاة إليه[٢].

[٦] الاستحالة:

تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن المسيح موجود في العشاء الرباني بجسده ولاهوته معا، وأنه عندما يقول الكاهن: (هذا هو جسدي يتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه الحقيقيين)، وعلى حد قول آبائهم: (ما كان قبلا خبزا يستحيل كله إلى جسد المسيح، وكل ذرة من الخبز، وكل قطرة من الخمر تحتوي المسيح الكامل، وبعد أن تتم هذه الاستحالة يقدم الكاهن المسيح ذبيحة عن الأحياء والأموات)[٣] كما أنهم يعتبرون الأفخارستيا اتحادا بين الله والإنسان، وكل إنسان مدعو إليها كي يتحد بيسوع[٤]، وهم يعتقدون أن مَنْ أكل العشاء الرباني فكأنه أكل المسيح ذاتَه، ولذلك قصرت الكنيسة هذا السر على رجال الأكليروس[٥]، فالخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح بعد تقديسه وقبل الأكل، فمَن أكَلَ منه فهو يأكل المسيح.

أما الكنيسة الأرثوذكسية فتعتقد أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد ودم المسيح

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي صـ ٣٣١.

(٢) راجع: الأسرار حياة الإيمان صـ ١٤٦، محاضرات في النصرانية صـ ١٨٦، اللاهوت المقارن جـ١/ ١٤، أسرار الكنيسة السبعة صـ ٧٥.

(٣) المسيحية في العصور الوسطى بتصرف صـ ١٠٦.

(٤) راجع: الأسرار حياة الإيمان صـ ١٨٧، عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت صـ ١٥٦.

(٥) راجع: العشاء الرباني – عوض سمعان صـ ٣١.

بطريقة سرية بعد تناوله، يقول حبيب جرجس: إن التقدمية المقدسة لا تبقى بعد البركة خبزا بسيطا ولا خمرا بسيطا بل يتناولهما المؤمنون بأنها جسد المسيح نفسه حسب قوله الطاهر؛ وذلك يتم باستحالة سرية لا تدرك بالحواس.

يقول زكي شنودة: (تعتقد الكنيسة أن سر القربان المقدس يحتوى حقيقة بحالة ذاتية وجوهرية على جسد ودم ونفس ولاهوت السيد المسيح، أي أن الخبز والخمر يصيران حقيقة وفعلا بحسب جوهرها جسد الرب ودمه ذاته بحيث لا يبقى من الخبز والخمر الأصليين شيء إلا الظواهر الخارجية وحدها[1]، ويعتقدون أن فاعليه العشاء مستمدَّة من ذاته وليست من إيمان الذين يأكلون، (ولم يقتصر الأمر عند هذا الوضع، بل أن البابا «هنوريوس» تحت تأثير الكردينال «ريدو» قرر أن العشاء الرباني لا يستحيل فقط إلى ناسوت المسيح بل وإلى لاهوت أيضا، وبذلك أصبح الكاهن، كما قال البابا أريان: هو الذي يعمل المسيح ويقدمه لله ذبيحة كَفَّارِيَّة عن الناس؛ ومن ثَم أخذ معظم القائلين بلا استحالة يقدمون السجود للعشاء الرباني[2].

أما الكنيسة البروتستانتية فلا تؤمن بالاستحالة؛ لأنها تعتبرها تعليما محدثا متأخرا وطارئا في التاريخ الكنسي، يقول يوسابيوس القيصري ٣٣٠ م: إن تذكار ذبيحة المسيح على مائدته بواسطة (رموز الجسد والدم) وبين إثناسيوس عام ٢٧٠ م في شرح الإصحاح السادس من يوحنا: (إن مناولة جسد المسيح ودمه حقيقةً أمر لا يقبل، والمعنى الذي يقصده المسيح في هذه الآيات لا يُفهم إلا روحيا) وقال باسيليوس عام ٣٧٥ م: إننا نأكل جسد المسيح ونشرب دمه إذا صار لنا شركة بالكلمة والحكمة بواسطة تجسده، وحياته البشرية)[3].

(١) راجع: أسرار الكنيسة صـ ٧٤، المبادئ المسيحية جـ٢/ ١١٧.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٨، القضايا المسيحية الكبرى صـ ٥٠٧.

(٣) المجامع المسيحية وأثرها على النصرانية صـ ٣٧٢.

ويقول القس فايز فارس: (والواقع أن عقيدة الاستحالة لم تدخل إلى الكنيسة المسيحية إلا في عصور متأخرة، فقد أقر مجمع القسطنطينية سنه ٧٥٤ م بأن العناصر في فريضة العشاء الرباني هي مجرد رموز، ولم تظهر فكرة الاستحالة إلا في مجمع النيقوي الثاني سنه ٧٧٨م، أما في الكنيسة الكاثوليكية فابتدأ التفكير في عقيدة الاستحالة في السنودس الروماني سنة ١٠٧٩ م، وأصبحت عقيدة رسمية بعد المجمع اللاتراني الرابع سنة ١٢١٥م[١].

كما ترفض الكنيسة البروتستانتية فكرة الاستحالة؛ لأنها تواجه عقبات كتابية كما أنها مضادة للحس؛ إذ أن الحس يشهد ببقاء الخبز والكأس على ما هما عليه دون تغير؟!! فالخبز لا زال خبزا بشهادة البصر والذوق والشم واللمس، وإذا تُرك الخبز فسد كالخبز العادي، وكذلك الخمر، إنه ليس في قدرة مخلوق كائنا من كان أن يبتدع نظرية خاصة بالمسيح لا يمكن أن يسندها إلى وحي أو عقل أو قياس، ولهذه الأسباب لا تقبل الكنائس البروتستانتية جمعاء الاستحالة وترفضها تماما؟؟[٢].

وفيما يتعلق بتناول العشاء أو فاعلية تناوله، فقد اشتهر في تاريخ الكنيسة في هذه المسألة أربعة أقوال:

الأول: تعليم زونيكلي (أزونيجلي) وقد تبعه الأرمنيون والوسينون وهو أن العشاء الرباني ليس إلا مجرد ذكرى، وأنه خالٍ من حضور المسيح سواء كان حضورا روحيًا أو جسديًا؛ ولذلك فإنه ليس له أدنى فاعليه ذاتية.

---

(١) راجع: القضايا المسيحية الكبرى صـ ٥٠٧.

(٢) راجع: القضايا المسيحية الكبرى صـ ٥١٠ وما بعدها، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي صـ ٢٤٢ وما بعدها، محاضرات في النصرانية صـ ١٨٧، الأسفار المقدسة صـ ١٤٥ - وقد أورد صاحب كتاب: الفارق بين المخلوق والخالق روايات وأقوال كثيرة للنصارى حول تقديس القربان والاستحالة كل منها يناقض الآخر ولم تتفق روايتان منهم - راجع صـ ٣٥٥، ٣٥٦ وقد ذكر عوض سمعان هذه الاختلافات في جدول يوضحها - راجع: الشكر صـ ١١٧ - ١٩٩.

الثاني: تعليم «مارتن لوثر» وهو: أن العشاء الرباني له فاعلية ذاتيه حقيقية وتأثير فعلي بشرط أن يكون المتناوِل له مؤمنا، والقول بالفاعلية الذاتية للعشاء إنما هو ناتج عن القول بحلول المسيح جسديا بكيفية خارقة للعادة في الخبز والخمر.

الثالث: تعليم الكنيسة الكاثوليكية ـ وتشاركها في نفس التعليم مع اختلاف بسيط الكنيسة الأرثوذكسية ـ وهو: أن العشاء الرباني له فاعلية ذاتيه طبيعية لا تتوقف على إيمان المتناول، وهذا القول ناتج عن القول بأن الخبز والخمر يستحيلان بطريقة حقيقية إلى جسد المسيح ودمه.

الرابع: تعليم « كلفن» وهو تعليم الكنيسة الإنجيلية وهو: أن العشاء الرباني له قوة روحية عظيمة في بنيان المشتركين في تناوله واتحادهم بالمسيح، وهذا القول ناتج عن القول بأن المسيح يحضر فعلا في العشاء الرباني ولكن بطريقة روحية[1].

هذه هي المذاهب الأربعة الرئيسية وعقائدها فيما يختص بموضوع العشاء الرباني، ولقد حاول أتباع كل مذهب من هذه المذاهب أن يجدوا نصوصا كتابية تؤيد قولهم ومذهبهم، وفعلا وجد أصحاب كل مذهب من النصوص ما يؤيد قوله ومذهبه، كما أنهم لم يتفقوا على شيء مما يتصل بالعشاء الرباني، وإن اتفق اثنان في شيء خالفتهما الأخرى، وهذه هي طبيعة أهل الباطل وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

---

(١) راجع: الخلاص: الشكر صـ ٥٤٧ - ٥٥٣، علم اللاهوت النظامي صـ ١١٠١ وما بعدها.

(٢) سورة الحشر من الآية: (١٤).

المبحث السادس

موقف الإسلام من العشاء الرباني

يدعي النصارى أن المسيح عليه السلام قد أسس لهم العشاء الرباني؛ وذلك قبل ذهابه بيوم، وجاءت نصوص أناجيلهم تتحدث عن ذلك، ولكن بالرجوع إلى تلك النصوص نجد أنها متناقضة فيما بينها؛ مما يدل على بطلان هذه الدعوى.

قال «يوحنا»: إن أول آية أظهرها المسيح عليه السلام هي تحويل الماء خمرا[١] ولم يذكر الثلاثة الأخر، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين، وإن كانت غير صحيحة عندهم فكيف ينقل الدين عن شخص واحد هو يوحنا، وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر.

كما ذكر يوحنا أن المسيح غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل[٢]، وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع، ولم يذكر الثلاثة الأخر، فإن كان كذبا دخل الخلل، وإن كان صدقا فَلِمَ أغفلوه؟ فدخل الخلل أيضا[٣].

إن متى في إنجيله يذكر أن التلاميذ هم الذين أعدوا الفصح مع صاحب البيت الذي أرسلهم إليه[٤]، وذكر مرقس نفس الواقعة حيث جعل جميع حركات المسيح معجزات[٥]، ونسى أن عيسى عليه السلام امتنع من إظهار معجزة لليهود[٦]، ولوقا ذكر هذه المعجزة في إنجيله[٧] مقتفيا أثر مرقس ولكن خالفه في البعض.

(١) راجع: يوحنا: ٢/ ١ - ١١.

(٢) راجع يو ١٣/ ٤-١١.

(٣) راجع: بين الإسلام والمسيحية صـ ١٤٤.

(٤) راجع: متى: ٢٦/ ١٧ -١٩.

(٥) راجع: مرقس ١٤/ ١٢-١٦.

(٦) الفارق بين المخلوق والخالق صـ ٣٥٠.

(٧) راجع: لوقا ٢٢/ ٧ - ١٣.

وقد وقع بين الروايات اختلافات ومنها: (أن مرقس جعل السؤال ابتداء من التلاميذ، وذكر أن الذين أمرهم بالذهاب اثنان، ولم يذكر اسميهما، ولوقا خالفه في ذلك حيث سماهما، وهما بطرس ويوحنا، وأن المسيح أرسلهما ابتداء من غير اقتراح، وسؤال من التلاميذ، ويوحنا أغمض عن ذكر هذه المعجزة، وهنا فائدة نذكرها للمطالع: وهي أنه يفهم من عدم ذكرها في يوحنا واختلاف الثلاثة فيها أنها لم تكن إنجيلا، وعلى فرض صحة وقوعها، فهي لم تكن إلهاما، ولو كانت من الإنجيل وإلهاما لها اختلفوا فيها ولا كان يهملها يوحنا البتة بل هو خبر، وكل منهم ذكره على حسب ما بلغه[١].

ويوحنا الذي كان حاضرا لعيسى حتى رفع لم يذكر شيئا من خبز الخبز والخمر في إنجيله، وهذا من الاختلاف الذي يدل على كذب مَتَّى ونقله للمحال والبهتان[٢].

وبناء على ذلك فقط سقط استدلالهم بهذه النصوص الواردة في الأناجيل المعتمدة لديهم فيما يتصل بتأمين الأفخارستيا.

ويذكر متى زيادة عما في الأناجيل الأخرى أن المسيح سفك دمه من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا[٣] وذلك بأكلهم دمه في العشاء الرباني وبمضاهاة نص إنجيل متى بنصوص الأناجيل الأخرى يتبين ما بينهم من التحريف الواضح.

وعن ادعاء النصارى أن تناول العشاء سبيل للحصول على الغفران يقول عوض سمعان:

(جعل التناول من العشاء الرباني هو السبيل للحصول على الغفران عن عدم وجود أساس له في الكتاب المقدس... فإنه يحول السبيل إلى الغفران من عمل روحاني في النفس

---

(١) الفارق بين المخلوق الخالق صـ ٥٣١، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم صـ ٩٥، ٩٦، إنجيل المسيح عليه السلام بين وحي السماء ووضع البشر صـ ١٣٢ -١٣٦.

(٢) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب صـ ٨٨ بتصرف.

(٣) متى: ٢٦ / ٢٨.

بواسطة التوبة والإيمان الحقيقي إلى عمل جسماني بواسطة الأكل والشرب الماديين، الأمر الذي يتعارض مع مبادئ المسيحية جميعا)[١]، وهل يصدق أن قليلا من دقيق إذا عجن وخبز وَهَمْهَمَ عليه القسيس يصير إلَهًا يُعبد ويُخشى قهره وسطوته ويطلب منه الغفران.

إن هؤلاء القوم يصرون على أن المسيح عليه السلام قد بارك هذا الطعام والشراب مع بطلان أدلتهم ـ فإن الله تعالى في معرض حديثه عن المسيح ونفيه لألوهية عيسى دلل على ذلك بأنه كان يأكل الطعام قال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[٢].

فالمسيح كان يأكل كما يأكل ويشرب سائر البشر، ولم يذكر لأتباعه أن الطعام والشراب يتحولان إلى جسده ودمه، ولم يأمرهم بتقديس الطعام من بعده ولا السجود له إلا أنهم يصرون على مخالفتهم للمسيح، ألم يأت منسوبا إلى المسيح قوله: (للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)[٣]، وجاء في سفر الخروج ضمن الوصايا العشر في شريعة التوراة: (لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن؛ لأني أنا الرب إلهك إله غيور)[٤].

فإذا كانت تعاليم المسيح وشريعة التوراة تَنْهَى عن السجود لغير الله فكيف أَحَلَّ النصارى لأنفسهم أن يقدسوا الطعام والشراب بالسجود لهما؟

---

(١) الكهنوت صـ ٢٧٣.

(٢) سورة المائدة من الآية: (٧٥).

(٣) لوقا: ٤/ ٨.

(٤) سفر الخروج: ٢٠/ ٣٠٥.

إنهم ينسبون إلى المسيح عليه السلام أنه شرب الخمر، وذلك زور وبهتان، وقد جاءت نصوص العهدين القديم والجديد بتحريم الخمر والسكر ومنها: (ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر، المتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر، وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم، وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون)[١] (الخمر مستهزئة المسكر عجاج ومن يترنح بها فليس بحكيم)[٢] (محب الخمر والدهن لا يلا يستغنى)[٣]، (لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة)[٤] (وأما الآن فكتبت إليكم أن كان أحد مدعو أخا زانيا أو طماعا أو عابد وثن أو شتاما أو سكيرا أو خاطفا ألا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا)[٥].

فهذه النصوص وغيرها أثبتت تحريم الخمر، فكيف يفهم ما نسبوه إلى عيسى عليه السلام مِن شربه لها؟ وبم نفسر هذا التناقض؟

بل إن النصوص التي يوردونها بشأن العشاء الرباني تتضمن أن المسيح لم يشرب الخمر ولم يأمر أحدا بشربها: (لأني أقول لكم: إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله)[٦].

وإذا كان الخمر مقدسا إلى هذه الدرجة فكيف ينادي المصلحون بمحاربة الإدمان والسكر في أجيال بني الإنسان؟ وهل يكون السكر عبادة يُتقرب بها إلى الله؟ أليس ذلك طريقا للهاوية يسقط فيها المجتمع فلا ينهض أبدا؟[٧].

(١) أشعياء: ٥/ ١٢،١١.

(٢) أمثال: ٢٠ / ١.

(٣) أمثال: ٢١/ ١٧.

(٤) أفسس: ٥/ ١٨.

(٥) اكو: ٥/ ١١.

(٦) لوقا: ٢٢ / ١٨، مرقس ١٤/ ٢٥، متى ٢٦ / ٢٦.

(٧) راجع: أوربا والنصرانية - د/ محمد المسير صـ ٣٣.

إن المسيح عليه السلام لم يأمرهم أن يأكلوا جسده أو يشربوا دمه، بل لم يوجد في تاريخ البشرية مَن وصى بأكل جسده وشرب دمه، ولم يزعم ذلك إلا النصارى الذين استباحوا ذلك مع المسيح: يقول القرافي: (والله إن هذه بالخيانات الموبقات أليق منه بالقرب الموجبة للمثويات: وقد اقتصر اليهود على القتل والصلب، وكأن النصارى لم يرضوا بهذا للرب. حتى مزقوا لحمه على رؤوس الأشهاد، وشربوا دمه في المواسم والأعياد، وإنما يفعل ذلك أرباب الضغائن والأحقاد، ومع ذلك فقد جعلوا هذه الفضائح كتابا يُتلى، ووصايا ربانية تُملى)[1].

والنصارى فيما يذهبون إليه من إباحة أكل الإله مثلهم مثل عبدة الأصنام الذين كانوا يصنعون أصنامهم من التمر فإذا جاعوا أكلوها، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيرا من خلقه.

يقول ول ديورانت: أعلن مجلس لاتران في عام ١٢١٥م أن هذه العقيدة من المبادئ الأساسية في الدين المسيحي، وأضاف مجلس ترنت إلى هذا القول في عام ١٢٦٠م أن كل جزء من الخبز المقدس مهما كُسِّرَ يحتوي جسم عيسى المسيح كله، ودمه، وروحه وبهذه الطريقة تُعظم الحضارة الأوربية والأمريكية اليوم شعيرة من أقدم الشعائر في الأديان البدائية وهي أكل الإله[2].

وقد لقيت دعوى استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح معارضة من بين النصارى الذين لم يقتنعوا بما تدعيه الكنيسة، وفندوا النصوص التي استدل بها القائلون بالاستحالة ((إذ أن المنادين بفكرة الاستحالة يتمسكون بحرفية قول المسيح: (هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري..) غير أنه لا يمكن الأخذ بهذه الحرفية؛ لأن الأخذ بها

---

(١) الأجوبة الفاخرة صـ ٣١٥ وما بعدها.

(٢) قصة الحضارة جـ١٦/ ١٨.

يعني أن المسيح إذ كسر الخبز وقدم الكأس في العلية معناه أن جسده المكسور، ودمه المسفوك قد قدما في العلية... وبأي معنى يمكن أن يكون الجسد في الوقت نفسه صحيحا ومكسورا والدم مسفوكا، وغير مسفوك؟.. في الواقع أن الاستحالة تواجه من العقوبات الكتابية ما لا يستطيع تخطيه بتاتا))(١).

ويعارض دعوى الاستحالة عوض سمعان بقوله: (إن خبز العشاء الرباني وخمره لم يتحولا إلى جسد المسيح ودمه عند قوله الأول: إنه جسده وعن الثاني إنه دمه، بل ظلا خبزا وخمرا عاديين كما كانا من قبلُ، وهذا دليل على أن حديث المسيح عنها كان حديثا مجازيا.

ثم يقول: إن المسيح لم يعط العشاء الرباني لتلاميذه، لكي يقدموه بدورهم كذبيحة لله لأجل التكفير عن خطاياهم.. بل أعطاهم إياه لكي بالأكل والشرب منه يتذكرون محبته الفائقة التي تجلت في ذبيحته هذه حتى تطيب قلوبهم وتظل غلى ولائها له في كل حين وذلك لأجل خيرهم وفائدتهم)(٢).

إن دعوى النصارى استحالة العشاء الرباني إلى جسد المسيح عليه السلام يتناقض مع العقل والمنطق فضلا عن أن أدلتهم الكتابية لا ترقى لدرجة الاستدلال؛ وذلك لبطلانها وما يصنعه النصارى اليوم من طقوس يمارسونها بالنسبة لصناعة العشاء الرباني، وصلوات يؤدونها عند تناول القربان لم تكن على عهد المسيح فهو لم يمارسها ولم يأمر بممارستها كما يدعي النصارى، وقد ثبت أن المسيح لم يكن له صلة بالعشاء الرباني الذي يمارسونه.

ويوجه الإمام القرافي إلى النصارى هذا النقد فيقول: (كيف ينقلون عن التوراة أن المشروع في القربان الأنعام، وهم يغيرونه ويبدلونه بالخبز والخمر؛ لأنهم متبعون لهواهم فاستغلوا الأنعام لغُلُوِّ ثمنها، فعدلوا إلى الخبز والخمر لقلة ثمنها، ولما يجدونه فيه

(١) راجع: القضايا المسيحية الكبرى صـ٥٠٩، ٥١٠.

(٢) الكهنوت صـ٢٤٦، ٢٥٠.

من اللذة في الخمر.. وأما قول عيسى عليه السلام: من أكل لحمي وشرب دمي كان في وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء فقد حمله النصارى على ظاهره، وكانوا على المسيح أشد من اليهود فقتلوه وتركوه والنصارى يأكلون ويشربون دمه، ومعلوم أن هذا في العداوة والنكاية أشد من نكاية اليهود.... إنه عليه السلام عبر عن المعنى المعقول بمثال محسوس وشبه غذاء الأرواح بغذاء الأجساد، وهو عليه السلام أتى بأنواع الهدايات وتفاصيل الأحكام وليس المراد بالخبز المحسوس ولا الدم المشاهد؛ لأن ذلك كفر اتفاقا، وما ذكرناه معنى جليل يناسب منصبه فيتعين أنه الحق، وذكرت هذا التأويل؛ ليعلموا أنا أَوْلَى الناس بعيسى عليه السلام منهم في جميع الأحوال، ولكلامه عليه السلام محامل أخرى حقة، ولا يحتاج معها إلى إبطال التوراة التي صرح عليه السلام بأنه لا يبطل شيئا منها)[١].

فإذا كان المسيح عليه السلام لم يؤسس العشاء الرباني ولم يأمر به ولم يأت بطقوس خاصة به ولم يمارسها ولم يأمر بممارستها فمن أين جاء النصارى بهذه الطقوس؟

إنه بالرجوع إلى المصادر التي تتحدث عن الديانات الوثنية يتبين أن النصارى قد اقتبسوا العشاء الرباني من هذه الديانات.

يقول شارل جنيبير: إن العشاء الرباني دخل النصرانية ضمن ما دخلها من الشعائر الوثنية وهي تدل على فكرة المنقذ التي تعبر عن موت الإله والمشاركة في جسده بعد الموت؛ وذلك لأنه قدَّم نفسه ضحية من أجل إنقاذ البشر... إن هذا التصوير للقربان إنما يعني إدخال قطعة من الوثنية في الدين المسيحي، وعلينا أن نفهم من ذلك بطبيعة الحال أنها قطعة من: (وثنية الأسرار) وأن العشاء الرباني عادة أُخذت عن الأديان السابقة للمسيحية[٢].

---

(١) الأجوبة الفاخرة صـ ٤٠٢، ٤٠٤.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها صـ ١٦١ بتصرف.

ويقول ول ديورانت عن العشاء الرباني:

(ومن الديانات التي اقتبست منها النصرانية طقوس العشاء الرباني الميثرية الفارسية والديانات المصرية القديمة يقول أورنست كيللت: إن التشابه بين الطقوس السرية لديانات ميثرا والمسيحية مذهلة وهي محيرة فعلا لدرجة أن السبب الوحيد الذي أعطاه آباء الكنيسة تبريرا لذلك كان قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح)[١].

وعن طقوس الديانات المصرية يقول شارل جنيبير: إن أسرار سيبيل وأتيس كانت تُفرض على الأتباع المشاركة في مأدبة صوفية يصرح لهم بعدها بأن يعلنوا: لقد أكلنا مما احتواه النسطور، وشربنا مما كان في الصنج فأصبحنا من أتباع أتيس، والنسطور: آلة موسيقية اختصت بها سيبيل، بينما اختصت أتيس بآلة أخرى هي الصنج[٢].

كما يوجد مثل هذه الطقوس القربانية عند الصابئة؛ إذْ يقوم رجال الدين عندهم بإعداد الطعام وتقديسه وتقديمه لأفراد طائفتهم، كما أن طقوسهم التي يمارسونها عند إعداد الطعام تشبه إلى حد كبير ما عند النصارى من طقوس[٣].

إن التشابه بين النصرانية والوثنية ـ بالنسبة للعشاء الرباني ـ كبير وواضح لدرجة أنه من الصعوبة التفرقة بينهما، وهذا يعني أن واحدة استعارت من الأخرى، والمنطق يقول: إن اللاحق متأثر بالسابق، واللاحق هنا هو النصرانية حيث إن تلك الديانات كانت منتشرة في بلاد اليونان والرومان قبل ظهور النصرانية بمئات السنين.

إن المسيح عليه السلام ليس له صلة بالعشاء الرباني لا من قريب ولا من بعيد ولم يأمر أحدا بتقديس الخبز والسجود له وسوف يتبرأ يوم القيامة من عقيدة النصارى الباطلة

(١) راجع: حقيقة التبشير صـ ٨٠.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها صـ ٧٧، مناظرة بين الإسلام والنصرانية صـ ١٥٩.

(٣) راجع: الصابئة المندائيون صـ ٣٢٧ - ٣٢٩، الصابئون في حاضرهم وماضيهم صـ ١٠٤.

وصنيعهم كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[1].

وهكذا انتقلت النصرانية من سهولتها التي جاء بها عيسى إلى هذا الكم المعقد الذي يأباه العقل ويرفضه وحي الله، إن آباء الكنيسة فعلوا ذلك من أجل أكل أموال الناس بالباطل، وجعلوا أنفسهم مشرِّعين للنصارى، ولقد نعى الله تعالى عليهم هذا الصنيع بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[2] وينعي على النصارى اتباعهم لهم فيقول تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[3].

خبر المائدة كما ورد في القرآن الكريم:

جاء ذكر خبر المائدة في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: الآية (١١٧).

(٢) سورة التوبة: من الآية (٣٤).

(٣) سورة التوبة: الآية (٣١).

(٤) سورة المائدة الآيات: (١١٢-١١٥).

يقول الإمام الزمخشري: فإن قلت: كيف قالوا: هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما، ثم أتبعه قوله: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ كلام لا يَرِد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه: (اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة، وقرئ: (هل تستطيع ربَّك)، هل تستطيع سؤال ربك، والمعنى: هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله)[1].

وعن نزول المائدة أو عدم نزولها نجد أن العلماء فريقان، فريق يرى أن المائدة نزلت وآخر لا يرى أنها نزلت:

أما عن رأي الفريق الأول:

فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من عدة طرق عن ابن عباس أنها نزلت، وكذا أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ أنها نزلت، وآثار أخرى تدل على أنها نزلت.

ويقول ابن كثير عن الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم: (هذا أثر غريب جدا قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم وأكمل والله سبحانه وتعالى أعلم، وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى بن مريم إجابة من الله لدعوته كما دل على ذلك ظاهر السياق من القرآن العظيم: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾[2] الآية.

---

(١) راجع: تفسير الزمخشري جـ١/ ٦٣٥ سورة المائدة.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢/ ١٢٠، وتفسير الألوسي جـ٧/ ـ ٦٢.

ويقول القرطبي قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ هذا وعد من الله أجاب به سؤال عيسى كما كان سؤال عيسى إجابة للحواريين، وهذا يوجب أنه قد أنزلها ووعده الحق، فجحد القوم وكفروا بعد نزولها فمسخوا قردة وخنازير[١].

وذكر الرازي أن الجمهور الأعظم من المفسرين قال: إنها نزلت: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ وهذا وعد بالإنزال جزما من غير تعليق فوجب هذا النزول[٢].

أما القائلون أنها لم تنزل:

فقد ورد ذلك عن مجاهد والحسن روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد في قوله: ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال: هو مَثَلٌ ضربه الله ولم ينزل شيء، وعن مجاهد أيضا: (قال مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا فأبوا أن ينزل عليهم، وعن قتادة قال: كان الحسن يقول لما قيل لهم: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ قالوا: لا حاجة لنا فيها فلم ينزل، وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن، وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله ويكون موجودا في كتابهم متواترا ولا أقل من الآحاد، والله أعلم.

ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت وهو الذي اختاره ابن جرير قال: لأن الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾، هذا القول هو ـ والله أعلم ـ الصواب كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم[٣].

---

(١) تفسير القرطبي جـ ٤/ ٢٣٦٦.

(٢) تفسير الرازي جـ ١٢/ ١٤١.

(٣) تفسير ابن كثيرا جـ ١/ ١٢٠، تفسير الألوسي جـ ٧/ ٦٢، ٦٣.

وإن كان جمهور العلماء يرى أن المائدة قد نزلت إلا أن الرأي الأقوى هو رأي القائلين بعدم النزول؛ وذلك للأسباب الآتية:

[١] صحة أسانيد روايات الحسن ومجاهد وهما من القائلين بعدم النزول وضعف وغرابة روايات القائلين بالنزول وخاصة ما جاء عن رواية ابن أبي حاتم التي قال فيها ابن كثير، هذا أثر غريب جدا، قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة، وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم وأكمل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

[٢] عدم ذكر خبر المائدة في كتب النصارى؛ إذ لو كانت نزلت لكان ذلك متناقَلا ومعروفا عندهم، يقول سيد قطب: (وقصة المائدة ـ كما أوردها القرآن الكريم ـ لم تَرِد في كتب النصارى، ولم تُذكر في هذه الأناجيل التي كتبت متأخرة بعد عيسى عليه السلام بفترة طويلة)[١].

[٣] قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ مقيد بقوله عز وجل: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فأبوا أن تنزل عليهم، حين عُرض عليهم العذاب، وعن الحسن: والله ما نزلت، ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة؛ لقوله: ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ ولما كان هذا غير معروفا لدى النصارى، فإنه دليل على عدم نزولها[٢].

[٤] إنهم لَمَّا كانوا في حالة تردد وسألوا عيسى أن يسأل لهم ربه المائدة زجرهم، ولما أصروا على إنزالها شرط الله عليهم أن من لم يؤمن بعد نزولها لعذبه عذابا شديدا، ولما كان الشرط من الله شديدا عليهم طلبوا عدم إنزالها فلم تنزل، والله أعلى وأعلم.

---

(١) في ظلال القرآن جـ٢/ ٩٩٨.

(٢) راجع: تفسير الزمخشري جـ١/ ٦٥٤ سورة المائدة.

وقد روى أصحاب الأناجيل معجزةً لعيسى عليه السلام وهي إطعام ما يقرب من خمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وسمكتين، وجاء في إنجيل متى: (وأما يسوع فدعا تلاميذه وقال: إني أشفق على الجميع؛ لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون، ولست أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطريق، فقال له تلاميذه: من أين لنا البرية خبز بهذا المقدار حتى يشبع جمعا هذا عدده، فقال لهم يسوع: كم عندكم من الخبز، فقالوا: سبعة وقليل من صغار السمك، فأمر الجموع أن يتكئوا على الأرض، وأخذ السبع خبزات والسمك، وشكر وكسر وأعطى تلاميذه والتلاميذ أعطوا الجمع فأكل الجميع وشبعوا، ثم رفعوا ما فضل من الكسر سبعة سلال مملوءة، والآكلون كانوا أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد[١].

وروى مثل ذلك لوقا ومرقس[٢]، وأيضا يوحنا وإن كانت روايته فيها[٣] اختلاف، ويدعي النصارى أن المائدة التي ورد ذكرها في القرآن هي القربان الذي يُتقرب به، في كل قداس ويرد عليهم الإمام القرافي بقوله: (إن من العجائب أن يُدَّعَى أن المائدة التي نزلت من السماء هي القربان الذي يتقربون به مع الذي يتقربون به من مصنوعات الأرض، وأين المائدة من القربان نعوذ بالله من الخذلان، بل معنى الآية أن الله تعالى طرد عادته، وأجرى سنته أنه متى بعث للعباد أمرا قاهرا للإيمان لا يمكن للعهد معه الشك، فَمَنْ لم يؤمن به بعدُ عَجَّلَ له العذاب لقوة ظهور الحجة... ثم يقول: ولا تعلق للمائدة بقربانهم البتة، بل المائدة معجزة عظيمة وهي أمر خارق، القربان أمر معتاد ليس فيه شيء من الإعجاز البتة فأين أحد البابين من الآخر، لولا الغي الضلال[٤].

(١) متى ١٥ / ٣٢ - ٣٨.

(٢) لوقا ٩ / ١٠ - ١٧، مرقس: ٦ / ٣٤ - ٤٤، ٨ / ١ - ٩.

(٣) يوحنا ٦ / ٢٥ - ٣٤.

(٤) راجع: الأجوبة الفاخرة صـ ١٢٦، ١٢٧.

وإذا كان النصارى ينسبون إلى عيسى عليه السلام أنه بارك الخبز وكسره لهم وأكل منه أتباعُه فلم لا يُحمل ذلك على أنه معجزة لعيسى عليه السلام، وإذا كان المسيح عليه السلام فعل لهم ذلك فهل القساوسة والكهنة يرتقون لمكانة المسيح حتى يصنعوا مثلما صنع؟

ونحن المسلمين نعتقد أن الرسول ﷺ له من معجزات مباركة الطعام القليل ليأكل منه العدد الكثير، وكذلك معجزة نبع الماء من بين أصابعه الشريفة يوم الحديبية[١]، ولم يصنع ذلك المسلمون، ولم يدعوا أنهم يفعلون كما فعل الرسول أو صنعوا له قداسا أو طقوسا، أو خصصوا له كهنة مثلما يصنع النصارى، ولا أجد في نهاية هذا المبحث إلا أن أذكر النصارى بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧ ﴾[٢].

وصدق الله العظيم: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝١٤ ﴾[٣].

✿✿✿✿✿✿✿

---

(١) راجع: الإعلام بما في دين النصارى من أوهام صـ ٣٥١-٣٥٦.

(٢) سورة المائدة الآية: (٧٧).

(٣) سورة المائدة الآية: (١٤).

الفصل الرابع

سر التوبة
وموقف الإسلام منه

المبحث الأول: تعريف سر التوبة وبيان أدلته عند النصارى.
المبحث الثاني: الخطيئة وأنواعها عند النصارى.
المبحث الثالث: أهمية التوبة وبيان أنواعها وشروطها.
المبحث الرابع: كيفية ممارسة سر التوبة واحتفال الكنيسة به.
المبحث الخامس: صكوك الغفران والتأديبات الكنسية.
المبحث السادس: الكنائس النصرانية وسر التوبة.
المبحث السابع: موقف الإسلام من سر التوبة وصكوك الغفران.



المبحث الأول

تعريف سر التوبة وبيان أدلته

تعريف التوبة في اللغة:

(التوبة) الرجوع عن الذنب وبابه قال و (توبة) أيضا الأخفش: (التوب) جمع توبة كعمومة وعوم.... وقال و (المتاب) التوبة، وتاب الله عليه وفقه لها، وفي كتاب سيبويه (التوبة) التوبة وهي بوزن التبصرة واستتابه سأله أن يتوب[1].

وجاء في لسان العرب: التوبة الرجوع من الذنب في الذنب وفي الحديث: (الندم توبة)، والتوب مثله... و(تاب) إلى الله يتوب توبا وتوبة ومتابا: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة....... وقال أبو منصور: أصل تاب عاد إلى الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه أي: عاد عليه بالمغفرة، وقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ أي: عُودوا إلى طاعته وأنيبوا إليه، والله التواب: يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه.

واستتيب فلان: عُرضت عليه التوبة مما اقترف، أي الرجوع والندم على ما فرط منه. واستتابه: سأله أن يتوب[2].

تعريف التوبة في الاصطلاح الكنسي:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: أول التوبة تغيير في الفكر يصحبه أسف وندامة على عمل شيء، ما كان يتمنى عامله عدم وقوعه، ولكنه يمكن وقوع الندامة لسبب نتائج

(١) راجع: مختار الصحاح صـ ٨٠، المعجم الوجيز صـ ٧٩.

(٢) لسان العرب جـ١/ ٤٥٤ بتصرف، راجع: القاموس القويم للقرآن الكريم جـ١/ ١٠٢.

الخطية بدون قصد تركها... وأما التوبة للحياة فهي الحزن والندامة على ارتكاب الشر والابتعاد عن الخطية وبغضها وبذل الجهد في الاتكال التام على نعمة الله ومساعدة الروح القدس للابتعاد عنها والانقياد إلى مشيئة الله والخضوع لأوامره الطاهرة[١].

ومن هذا التعريف يتبين أن التوبة عند النصارى نوعان: الأول: ندم على الخطيئة دون العزم على تركها، والثاني: ندم على ارتكاب الخطيئة وعدم الرجوع إليها ولكن التائب يستعين في توبته بالروح القدس كي تكون مقبولة عند الله؛ ولذلك تطلق التوبة عند النصارى على الاعتراف، ويُقصد به اعتراف الإنسان بالذنب أمام الكاهن الذي يمارس طقوس سر التوبة.

يقول البابا شنودة: إن التوبة عمل داخل القلب، يشمل الندم وتبكيت الضمير والعزم على ترك الخطية، وتركها بالفعل قلبا وعملا، ولكن التوبة تتم داخل الكنيسة بالاعتراف والتحليل من جهة الخاطئ، والاعتراف بالخطية من جهة الكاهن، قراءة التحليل ومنح المغفرة[٢].

أي أن التوبة لا تقبل إلا بوجود طرفين يشتركان فيها؛ الأول التائب الذي ارتكب الذنب، والثاني الكاهن الذي يعترف المذنب أمامه ويقوم بتحليله من الخطيئة ومنحه الغفران.

وسر التوبة في عرف الكنيسة الكاثوليكية ينقسم إلى فضيلة وإلى سر، والنوع الأول يقوم بالحزن على الخطية، والعزم على تركها، وقصد التكفير عنها لله.

أما النوع الثاني فهو على غرار عمل المسيح لأجل غفران الخطايا المرتكبة بعد المعمودية، على يد كاهن ذي سلطان وإيفاء الخاطئ عن نفسه لمتطلبات العدل الإلهي،

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٢٤.

(٢) اللاهوت المقارن جـ١/ ١٣٣، حياة التوبة والنقاوة صـ٨.

فمادة السر هي عمل التائب المتضمن الندامة، وإيفاء القانون، ويراد بالندامة الحزن أو الأسف، والاعتراف الذي يتضمنه هذا السر، ينبغي أن يكون شفويا للكاهن، وهذا يعني أنه لا يمكن أن تغفر خطية يرتكبها الإنسان بعد معموديته، ما لم يعترف بها مرتكبها للكاهن، الذي له سلطان الحل والربط[١].

ويعرف زكي شنودة التوبة بقوله:

((هذا السر هو اعتراف الإنسان للكاهن بخطاياه وذنوبه وجرائره ومعاصيه))[٢].

ويقول حبيب جرجس: ((سر التوبة هو سر مقدس به يرجع الخاطئ إلى الله ويتصالح معه تعالى باعترافه بخطاياه أمام كاهن الله ليحصل على حل منه بالسلطان المعطى له من الرب يسوع))[٣].

والاعتراف في اصطلاح الكنيسة: هو إقرار الخاطئ بخطاياه، رجلا كان أم امرأة أمام كاهن الله، إقرارا مصحوبا بالندامة والتأسف والعزم الثابت على ترك الخطية وعدم الرجوع إليها؛ لينال الحل منه بالسلطان المعطى له من الله[٤].

فالاعتراف عند النصارى هو: ذهاب المخطئ إلى رجل الدين والإفضاء له بكل ما اقترفه من آثام، وهذا الاعتراف يسقط عن الإنسان العقوبة، يطهره من الذنب، وهم يدعون أن رجل الدين يقوم بطلب الغفران للمذنب من الله[٥].

---

(١) راجع: المسيحية في العصور الوسطى صـ ١٠٥.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٩.

(٣) أسرار الكنيسة صـ ١٠٣ - راجع: كفارة المسيح صـ ٦٠.

(٤) راجع: محمد ﷺ، إبراهيم خليل صـ ١٧١، أسرار الكنيسة صـ ٤٦.

(٥) راجع: المجامع المسيحية صـ ٢٢٧، النصرانية دراسة مقارنة صـ ٢١٧، يا أهل الكتاب تعالوا صـ ٢٦٠، والنصرانية والإسلام صـ ٦٦.

ومن أسماء هذا السر عند النصارى: سر التوبة، وسر الاعتراف، وسر المصالحة وحل الخطايا، وسر المعمودية الثانية[١].

أدلة النصارى على سر التوبة:

يعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام أسس لهم سر التوبة بعد قيامته من بين الأموات، وبعد نفخه في وجوه تلاميذه (قال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)[٢] وقوله: (الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء)[٣]، ويستدلون على الاعتراف بما جاء في سفر أعمال الرسل: (وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم)[٤]، وجاء في رسالة يعقوب: (إن كان قد فعل خطية تغفر له، اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفعوا)[٥] وفي رسالة يوحنا الأول: (إن قلنا: إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا)[٦].

ومما سبق يتبين أن التوبة عند النصارى تتضمن ندم العبد على ما ارتكب من خطايا والاعتراف بكل شيء أمام الكاهن الذي يعمل على قبول التوبة.

---

(١) راجع: أسرار الكنيسة صـ١٠٣.

(٢) يوحنا: ٢/ ٢٢، ٢٣.

(٣) متى: ١٨/ ١٦، ١٨/ ١٩.

(٤) أع: ١٩/ ١٨.

(٥) يعقوب: ٥/ ١٥، ١٦.

(٦) ايو: ١/ ٨، ٩.

المبحث الثاني

الخطيئة وأنواعها عند النصارى

الخطية هي التعدي على شريعة الله وأحكامه، وكل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضا، وخطية الترك هي إهمال ما تفرضه شريعة الله، أما خطية الفعل فهي ارتكاب ما نهت عن تلك الشريعة[١].

ويقول عوض سمعان: الخطيئة في نظر الله ليست هي الشر الشنيع فحسب كما يعتقد البعض بل هي أيضا مجرد الانحراف عن كماله تعالى، سواء أكان هذا الانحراف بالاتجاه إلى الشر أم بالتقصير في عمل الخير[٢]!!

ويستدل على قوله بعدة نصوص منها: (فكرة الحماقة خطية)[٣]، و(من قال: يا أحمق يستوجب نار جهنم)[٤]، (وكل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين)[٥]، (من يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له)[٦]، كل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضا، والخطية هي التعدي)[٧].

أنواع الخطيئة:

تنقسم الخطيئة عند النصارى إلى خطيئة أصلية موروثة، وخطيئة فردية:

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٤٤.

(٢) الكهنوت صـ ١٩، إيماني صـ ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣) أمثال: ٢٤ / ٩.

(٤) متى: ٥ / ٢٢.

(٥) متى: ١٢ / ٢٦.

(٦) يعقوب: ٤/ ١٧.

(٧) يوحنا: ٣/ ٤.

(١) الخطيئة الأصلية الموروثة:

وهي الخطيئة التي ينسبها النصارى إلى آدم عليه السلام، حينما عصى الله وأكل من الشجرة المحرمة عليه هو وزوجته، وحقيقة ذلك أن الله تعالى خلق آدم وحواء وأسكنهما الجنة، وأحل لهما كل أطيابها، وما نهاهما عن شيء إلا عن شجرة واحدة أوصاهما ألا يقرباها، ولكن آدم وحواء عصيا ربهما وأكلا من الشجرة فترتب على ذلك وقوعهما في الخطأ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[1] ولكن هل أصر آدم وحواء على فعلتهما؟

يحدثنا القرآن الكريم أن آدم وحواء تابا إلى الله وندما على فعلتهما فقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

ولكن النصارى يرون أن الله سبحانه وتعالى لم يغفر لآدم خطيئته، بل لم تقتصر هذه الخطيئة على آدم وحواء، فلقد امتدت بحكم الدم الموبوء بالخطيئة إلى البشرية كلها على مر الأجيال، فجلبت الدمار على البشر أجمعين، وكل ما نُحِسّ به نحن البشر من شك أو نزوع إلى الفتنة وما إليها من الدس والوقيعة والرياء والخديعة، أصول الجرائم وأساسها كلها منحدرة من مصدر واحد هو الأبوان الأولان[4].

---

(١) سورة البقرة: الأيتان: (٣٥، ٣٦).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٣٧).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٢٣).

(٤) راجع: المسيح إنسان أم إله صـ ١٤٣، راجع كفارة المسيح صـ ٢١.

ويشير إلى ذلك بولس في رسالته إلى أهل رومية بقوله: (من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، وهكذا واجتاز الموت إلى جميع الناس؛ إذ أخطأ الجميع)[1].

ويؤكد ذلك القس إلياس مقار بقوله: (وغير خاف أن الأبوين لم يصبحا خاطئين فحسب بل مورثين للخطية لجميع أبنائهم على وجه التعاقب والاستمرار.. ومن ثم فمن العبث أن يقال: إن خطية آدم لم تنحدر إلينا)[2].

ويقول القس لبيب ميخائيل: لقد كان آدم نائبا وممثلا لجميع الجنس البشرى الذي كان في صلبه يوم تعدى وصية الله... فبعد طرحه من الجنة ولد نسل ساقط نظيره في حالة الفساد الروحي والأدبي، وتحت حكم الموت الدنيوية التي استحقها بعصيانه وتمرده على الله، وقد ورث هذا النسل عن أبويه الأولين حياة العداوة لله والتمرد على شرائعه ووصاياه[3].

ولكن: هل أصر آدم وحواء على فعلتهما؟ ألم يندما عليها ويستغفرا ربهما؟ وهل تاب الله عليهما فجنبهما وأبناءهما مغبة الانحدار في مهاوي الضلال؟ ولكن النصارى ينفون ذلك نفيا قاطعا، ويرون أن الله لم يغفر لآدم وحواء خطيئتهما بل تركهما وأبناءهما من بعد تحت حكم الدينونة، ولكن إلى متى يظل آدم وأبناؤه مدنسين بهذه الخطيئة؟

إن النصارى يزعمون أن الله تدخل في حل هذه المشكلة بأن أرسل المسيح الذي تجسد وصلب وسفك دمه ليكفر عن خطيئة آدم، يقول القس وديع ميخائيل: كان لابد أن يتدخل الله بنفسه لكي يحل مشكلة عدالته ورحمته وما كان في الاستطاعة أبدا إيجاد

(١) رومية: ٥ / ١٢.

(٢) القضايا المسيحية الكبرى - إيماني صـ ٣٧٣.

(٣) قضية الصليب - لبيب ميخائيل صـ ٥١.

حل لهذه المعضلة إلا عن طريق الله، خاصة وأن العالم كله بدخول الخطيئة إليه، واجتياز الموت إلى جميع أفراده بلا استثناء تحت قصاص من الله[١].

يقول بولس في رسالته إلى العرانيسين: «كل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة»[٢]، ولكن ما هي الفدية التي يمكن أن تكفر عن آدم؟ وما هي الدماء التي يكفي سفكها لتخليص آدم وزوجته وذريته من الخطيئة؟

يقول إبراهيم لوقا: إن الفدية يجب أن تكون طاهرة من كل عيب ودنس مقدسة بلا لوم وليس في كائنات العالم بأسرها من هو طاهر وقدوس وبلا عيب سوى الله عز وجل، ويجب أن تكون أيضا عظيمة القدر توازي قدر نفوس البشر التي خلقت على صورة الله ومثاله وليس في العالم بأسره من له هذه القيمة التي توازي ثمن العالم بأجمعه سوى الله؛ ومن هنا نشأت مشكلة أخرى هي أن الله لا جسد له يقدمه فدية عن العالم، فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسدا فيه يتحد اللاهوت والناسوت، وهذا ما تم في السيد المسيح باعتباره الله ظهر في الجسد ففي المسيح كمال مطلبَي العدالة والرحمة[٣].

ومع قول النصارى بأن المسيح صُلب ليكفر عن الخطيئة الموروثة إلا أنهم يقولون بأن كل إنسان ورث الخطيئة كما ورث الصفات الوراثية الجسدية، وهذا آخِر ما وصل إليه النصارى عن الخطيئة الموروثة فداء لخطيئة آدم، وأصبح هذا أساسا لعقيدة صلب الإله، وأن الإله صُلب حلا للمشكلة التي وجد نفسه فيها عندما أكل آدم من الشجرة المحرمة كما يدعي النصارى أن هذه الخطيئة أورثت آدم وذريته العار والخزي والخجل

---

(١) راجع: براهين ألوهية المسيح صـ١١٢.

(٢) عبرانيين: ٣/ ١٩.

(٣) المسيحية والإسلام صـ ١٦٢.

والخوف والعداوة والحياة المعذبة والموت[1]، هذا هو رأي الغالبية العظمى من النصارى، وقد وُجد منهم مَن أنكره، إلا أنه قوبل بالاتهام بالهرطقة والكفر، ومنهم: بيلاجوس الذي قال: إن كل بَشَرِيٍّ يولد بقدرة كاملة على اختيار الخير أو الشر، وآرمينوس الذي قال: إن خطية أبوينا الأولين أضعفت من قدرتنا الروحية دون أن تتسرب إلينا وتعمل فينا، ونرث كل آثارها ونتائجها على وجه الإطلاق[2].

ولم يوجد في الأناجيل المعتمدة لدى النصارى نص واحد على لسان المسيح عليه السلام يشير من قريب أو من بعيد إلى هذه الخطيئة الأزلية الموروثة عن آدم وحواء[3].

(٢) الخطيئة الشخصية (الفردية):

ويقصد بها ما يرتكبه الإنسان من تَعَدٍّ على الآخرين بالقول والفعل[4]، وعلى هذا فالخطيئة الفردية عند النصارى تنقسم إلى خطيئة بالفعل وخطيئة بالقول.

[١] الخطيئة بالفعل: هي ما يقوم الإنسان بعمله عن قصد ضد إرادة الله، كالقتل والزنا والسرقة، والغش في البيع والتعدي على الآخرين وكل ما شابه ذلك من الخطايا الفعلية، وقد ورد النهي عن ذلك: (لا تقتل) (لا تزن) (لا تسرق)[5].

[٢] الخطيئة بالقول: ((ترتكب الخطيئة بالقول عندما يستعمل الإنسان لسانه لقول ما لا يجب قوله، كالشتائم والألفاظ البذيئة والحلف كذبا، واللعن، وعندما يشهد الإنسان شهادة زور ويهدد الآخرين، وقد ورد النهي عن ذلك: (لا تنطق

---

(١) راجع: القضايا المسيحية الكبرى - إيماني صـ ٣٧٦ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق صـ ٣٧٣.

(٣) راجع: كفارة المسيح صـ ١٠.

(٤) راجع: حوار بين مسلم ومسيحي - د/ محمد فؤاد الباشمي صـ ١٢٤.

(٥) سفر الخروج: ٢٠ / ١٣ -١٥.

باسم الرب إلهك باطلا)[١]، (لا تشهد على قريبك شهادة زور)[٢] (من الفم الأحد لا تخرج بركة ولعنة، لا يصلح يا إخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا)[٣]))[٤].

أما عن خطورة الخطيئة ونتائجها فيذكر برنابا قولا منسوبا إلى المسيح يقول فيه: ((ويل للعالم؛ لأنه سيحل به عذاب أبدي، ما أتعسك أيها الجنس البشرى؛ فإن الله قد اختارك ابنا واهبا إياك الجنة، ولكنك أيها التعيس سقطت تحت غضب الله بعمل الشيطان وطردت من الجنة وحكم عليك بالإقامة في العالم النجس حيث تنال كل شيء بكدح، وكل عمل صالح لك يحبط بتوالي ارتكاب الخطايا، وإنما العالم يضحك والذي هو شر من ذلك من الخاطئ الذي يضحك لخطاياه ولا يبكي عليها))[٥].

ونتائج الخطيئة في العالم الحاضر الموت الأدبي والقصور الذاتي، وفي العالم الآخر عقوبتها عذاب أبدي[٦]، وفقد الصورة الإلهية، والكرامة، وفقد البساطة والنقاوة[٧] ومن آثارها أن يعيش الإنسان حياة القلق وعدم الاستقرار ويتعرض أحيانا للأمراض النفسية[٨].

وبعدُ، فهذه هي أفكار النصارى فيما يتعلق بالخطيئة، سواء كانت موروثة كما يزعمون أو شخصية صادرة عن الإنسان، وهي أفكار باطلة كل البطلان فيما يتعلق بالخطيئة الموروثة، وفيما يتعلق بالخطيئة الشخصية فهي آراء متضاربة بين الخطأ

---

(١) خروج: ٢٠ / ٧.

(٢) خروج: ٢٠ / ١٦.

(٣) يعقوب: ٣/ ١٠.

(٤) راجع: سؤال وجواب جـ٢/ ٦٤.

(٥) إنجيل برنابا: ١٠٣ / ١٦ -٢١.

(٦) راجع: الكهنوت - عوض سمعان صـ ٢٠، ٢١.

(٧) راجع: حياة التوبة والنقاوة صـ ٧٠ وما بعدها.

(٨) راجع: كفارة المسيح صـ ٢٧ وما بعدها، مبادئ العقائد المسيحية صـ ٢٣ وما بعدها.

والصواب، ويغلب عليها طابع المبالغة النابعة من عدم معرفتهم بقدر الله وعظمته، فهو جل جلاله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

ويمكن القول بأن فكرة الخطيئة عند النصارى هي الأساس الذي بنوا عليه دينهم من التجسد والصلب والفداء وسفك الدماء والقيامة وغيرها من المسائل العقائدية الباطلة التي يخوضون فيها.



المبحث الثالث

أهمية التوبة وبيان أنواعها وشروطها

أهمية التوبة:

يعتقد النصارى أن للتوبة أهمية خاصة عندهم ومنها:

١- لا يتم الخلاص عندهم بدون التوبة: (إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون)[١]، وقد (أعطى الله الأمم التوبة للحياة)[٢].

٢- للتوبة أهمية لأن بها يستحق النصارى دم المسيح للمغفرة.

٣- التوبة تسبق المعمودية؛ لأن فيها مغفرة للخطايا (توبوا وليعتمد كل منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا)[٣]. يقول زكي شنودة: أقيم سر التوبة ليكون بمثابة الدواء الشافي في الخطية المقترفة بعد إقبال سر المعمودية[٤].

٤- التوبة تلازم الإيمان وتسبقه، فالإيمان بدون توبة لا يُخَلِّص أحداً، ولأن عدم التوبة يُهلك الإنسان[٥].

٥- التوبة تسبق التناول من الأسرار المقدسة، يقول بولس: (..ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب دينونة لنفسه، غير مميز لجسد الرب.. لأننا لو حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا)[٦].

---

(١) لو ١٣/ ٣.

(٢) أع: ١١ / ١٨.

(٣) أع: ٢ / ٢٨.

(٤) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٩.

(٥) راجع: مصادر الوحي الإنجيلي جـ٢/ ٩٢.

(٦) اكو ١١ / ٢٧ - ٣١.

٦- تسبق التوبة جميع أسرار الكنيسة، لكي يستحق الإنسان فاعلية الروح القدس فيه ولكي ينال مغفرة بالتوبة تؤهله لنعمة الروح القدس العاملة في الأسرار، والتوبة شرط لازم لمغفرة الخطايا[١]، (وأهم أثمار سر الاعتراف الحصول على غفران الخطايا وسلام النفس)[٢].

ويقول حبيب جرجس: التوبة صلح مع الله، وتطهير للخطية، ومحو للمؤثم وبغض للشرور والرجوع إلى الله، تصلح ما أفسدته الخطية وتبني ما هدمته المعصية، تجدد قلب الخاطئ وتلبث الإثم حالة البر، تطرد الفساد وتقوم الملكات الردية، تنير العقل، وتطرد أعماد الظلمة، وتحجز الشر، تعيد السقيم صحيحا، والعليل معافًى، والشره عفيفا والغافل منتبها متيقظا، والسارق أمينا، والقاتل بريئا، ترد وتشفي وتبرر العاصي والضال والشرير والمجرم والأثيم وتدخلهم جميعا دار الأمان[٣].

ص٦٠، ذبيحة الاعتراف ص٣٢.

أنواع التوبة:

تنقسم التوبة عند النصارى إلى توبة فردية، وتوبة جماعية.

التوبة الفردية: وهي ما يقوم به الشخص من إقرار بذنبه واعتراف بين يدي الكاهن وندمه على ما ارتكب من إثم.

التوبة الجماعية: هي اعتراف جماعة بخطاياهم مرة واحدة أمام الكاهن في الكنيسة[٤].

---

(١) راجع: حياة التوبة والنقاوة ص٢٧، ٢٨، كفارة المسيح

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٩، مصادر الوحي الإنجيلي جـ٢/ ٥٤٤

(٣) سر التقوى صـ١٩٧.

(٤) راجع: الأسرار حياة الإيمان صـ٣٤٩، ٣٥٠.

شروط التوبة:

للتوبة أربعة شروط وهي:

١- انسحاق وندامة على الخطايا السالفة، وقد اعترف جميع آباء الكنيسة بأن الانسحاق والندامة على الخطية خاصة جوهرية للتوبة، ولا يجب أن يكون هذا الانسحاق ناتجا عن الخوف من العقاب بل ينبغي أن يكون ناشئا عن شعور بأنه أغضب الله المحسن إليه.

٢- عزم ثابت على إصلاح السيرة، ولا فائدة للتوبة بدون هذا الشرط قال يسوع للمخلوق الذي شفاه: (ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضا لئلا يكون لك أَشرُّ)[١]، وقال للخاطئة: (ولا أنا أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضا)[٢]، وقال بطرس: (توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرح من وجه الرب)[٣].

٣- الإيمان الثابت بالمسيح يسوع ورجاء في تحننه (وليس بأحد غيره الخلاص؛ لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص)[٤]، (وله يشهد جميع الأنبياء أن كل مَن يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا)[٥]، وقال بولس: (فإذا قد تبررنا بالإيمان مع الله بربنا يسوع المسيح الذي به أيضا قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء الله)[٦]، (فمن ثم يقدر أن يخلص أيضا إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله؛ إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم)[٧].

---

(١) يو: ٥/ ١٤.
(٢) يو: ٨/ ١١.
(٣) أع: ٣/ ١٩.
(٤) أع: ٤/ ١٢.
(٥) أع: ١٠/ ٤٣.
(٦) رومية: ٥/ ١، ٢.
(٧) عب: ٧/ ٢٥.

٤- الاعتراف الشفوي بالخطايا أمام الأب الروحي؛ لأن المسيح أعطى الكهنة سلطان حل الخطايا وربطها في هذا السر؛ إذ (لا يمكن أن تغفر خطية يرتكبها الإنسان بعد معموديته ما لم يعترف بها مرتكبها للكاهن، الذي له سلطان الحل والربط)[1]، وكيف يمكن للكهنة أن يغفروا الخطايا أو يمسكوها دون أن يعلموها ويفحصوها؟ وكيف يعرفونها بدون الاعتراف بها؟[2].

نتائج سر التوبة عند النصارى:

لسر التوبة نتائج عند النصارى ومنها:

١- مسامحة الخاطئ ونيله غفران خطاياه (من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)[3].

٢- التوبة تمحو الخطايا وعدم ذكر الله لها.

٣- التبرر من الخطية؛ لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع)[4].

٤- نيل الخلاص والحصول على رجاء الحياة الأبدية (اليوم حصل خلاص لهذا البيت)[5].

٥- الانعتاق من عقاب الخطية: (أقول لكم: بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون)[6].

---

(١) المسيحية في العصور الوسطى صـ ١٠٥.

(٢) راجع: أسرار الكنيسة صـ ١٠٧، ١٠٩، الكهنوت صـ ٣٠٣، الأسرار حياة الإيمان صـ ٣٤٢، وعقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت صـ ١١٦، خمس وخمسون حقيقة صـ ٢٠.

(٣) يوحنا: ٢/ ٢٣.

(٤) لوقا: ١٨ / ١٤.

(٥) لوقا: ١٩ / ٩.

(٦) لوقا: ١٣ / ٣.

٦- المصالحة مع الله ونوال سلامه: (فإذا قدر تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله)[1].

٧- الحصول على رتبة البنوة التي فقدها الخاطئ بخطيئته، جاء في إنجيل لوقا: (فرجع إلى نفسه، وقال: كم أجير لأبي يفضل عنه الخبز، وأنا أهلك جوعا، وأقوم وأذهب إلى أبي وأقول له: يا أبي، أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا اجعلني كأحد أجراك، فقام وجاء إلى أبيه، وإذا كان لم يزل بعيدا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقلبه، فقال له الابن يا أبي، أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقا بعد أن أدعى ابنا، فقال الأب لعبيده: أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتما في يده وحذاء في رجليه وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح)[2].

علامة قبول التوبة عند النصارى:

من علامات قبول التوبة عند النصارى كما ذكرها رجال الدين عندهم هي[3]:

[١] الاعتراف بالخطأ أمام الله في الصلاة، وأمام الكاهن في الكنيسة، والاعتراف بالخطأ إلى من أذنب إليه، واعتراف الشخص بالخطأ بينه وبين نفسه.

[٢] الخجل والخزي من بشاعة الخطية.

[٣] الندم والألم والدموع من العقوبة.

[٤] الانسحاق والاتضاع من أثر الخجل والندم والشعور بمذلة الخطية.

---

(١) رومية: ٥ / ١.

(٢) لوقا: ١٥ / ١٧ -٢٣.

(٣) راجع: أسرار الكنيسة صـ ١١٦، وكفارة المسيح صـ ٦٠.

[٥] إصلاح نتائج الخطأ على قدر ما يستطيع الإنسان.

[٦] الإشفاق على المخطئين لأن التوبة تَنْزِع من قلب التائب كل قسوة.

[٧] الإنسان التائب الباكي على خطاياه يكون دائما وديعا هادئا لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشارع صوته.

[٨] الإحساس بالحرارة الروحية تجعل الإنسان في تغيير حياته إلى أفضل؛ فالتوبة تولد داخل قلب الشخص محبة نحو الله.

[٩] السير في الحياة الفاضلة، وبهذا ينال التائب المغفرة.

[١٠] النقاوة بأن يعمل الإنسان الفضيلة بدون جهاد، وبدون تعب وبدون صراع؛ لأنه يوجد داخله ما اومها[١].

✿✿✿✿✿✿✿

(١) راجع: حياة التوبة والنقاوة صـ ٢٢٠ – ٢٤٦، خمس وخمسون حقيقة صـ ٢٥، عقائد أساسية، مدخل في علم اللاهوت صـ ١١٧ ١١٨.

المبحث الرابع

كيفية ممارسة سر التوبة واحتفال الكنيسة به

كان بنو إسرائيل يقدمون قربانا أمام الكاهن عند المذبح وقت اعتراف الإنسان بخطئه وقد كان ذلك يتم علنا أمام الكاهن.

ويذهب النصارى إلى أن النصرانية سارت في عهد الرسل على هذا النحو إذ كان الاعتراف بالخطيئة يتم علنا أمام الجميع يقول لوقا في أعمال الرسل: (كان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم)[١].

ولكن لطبيعة الخجل في الإنسان ولشعور القلب المنسحق والضمير الحي بعظم جرمه مهما كانت تفاهة الخطية رتب آباء الكنيسة أن يكون الاعتراف سرا)[٢].

وفي العصور الأولى للنصرانية كان الاعتراف بالخطيئة يتم في سرية إذا كانت الخطيئة سرية، وقد يعلم اسم الخاطئ من أجل حصول عثار تبعده الجماعة عن المناولة من الأفخارستيا مع إخوته وتجعله في صف التائبين إلى أن يتم تكفيرا مناسبا، وبعد ذلك يحلونه علنيا وجماعيا على يد الأسقف يوم خميس الأسرار، ويقبل من جديد في الكنيسة وفي المناولة وهذه هي الحلة الجماعية[٣].

ويذكر ول ديروانت أن من عقائد الكنيسة: (أن المسيح غفر الخطايا، وأنه منح الرسل هذه القدرة نفسها قدرة الربط والحل، وأن هذه القدرة قد انحدرت بالتوارث من الرسل إلى المطارنة الأولين، ومن بطرس إلى البابوات، ثم وهبها المطارنة إلى القسيسين في القرن الثامن، واستبدلت بطريقة الاعتراف السري...)[٤].

---

(١) أع: ١٩ / ١٨.

(٢) دراسات في أسفار موسى الخمسة صـ ٢٧٨.

(٣) الأسرار حياة الإيمان صـ ٣٤٩.

(٤) راجع: قصة الحضارة جـ ١٦/ ١٤، ١٥.

ويقول شارل جنيبير: في نهاية القرن الثاني بلغ تنظيم طقوس التوبة من النمو والتحديد مبلغا كبيرا، إلا أنه يبدو أن مفاهيمها اللاهوتية القدسية لم تكن قد أخذت بعدُ في البروز حقيقة، ولكنه من المؤكد لدينا أنها أصبحت منذ ذلك الحين أمرا لازما في نظر المسيحيين، وأنها كانت موجودة ضمنا في الطقوس التي اتخذتها السلطان الكنيسة (الحل) أو (العقد) على الأرض على حد سواء[١].

وفي سنة ١٢١٥ م قرر مجمع لاتران الرابع أن يتكرر الاعتراف والعشاء كل عام، وإذا أهملهما إنسان حُرم من جميع خدمات الكنيسة ومن دفنه دفنة مسيحية، ووضع على كل توبة خاتما، ومعنى هذا الخاتم أنه لا يجوز لقس أن يُفش ما اعترف له به، ونشرت منذ القرن الثامن قوائم تحدد الكفارة القانونية التي قررتها الكنيسة لكل مذنب[٢].

ويذكر كُتَّابُ النصارى أن الكنيسة منذ عصر الرسل كانت تمارس سر التوبة، وحافظت عليه وعلمه الآباء، وقد ورد في أوامر الرسل تذكير لمتقدمي الكنيسة بأنهم اؤتمنوا على سلطان الحل والربط، وذكر الوجوه التي بها يفحصون الخطاة ويرشدون التائبين، وقد مارس الرسل هذا السلطان[٣]، ولم يعط السلطان الحل والربط لبطرس وحده بل للكنيسة جمعاء[٤].

الصلوات الخاصة بالتوبة:

يجعل النصارى للتوبة صلوات منها اليومية، منها ما يمارسها الكاهن عن اعتراف الشخص أمامه أو اعتراف الجناة بخطاياهم.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها صـ ١٦٣.

(٢) راجع: قصة الحضارة جـ ١٦/ ١٥، النصرانية والإسلام صـ ٦٦.

(٣) راجع: أسرار الكنيسة صـ ١٠٤.

(٤) الأسرار حياة الإيمان صـ ٣٥٤.

ويذكر البابا شنودة الثالث: أن الكنيسة وضعت صلوات يومية تطلب فيها التوبة يقول المصلي في صلاة النوم: (هو ذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوبا ومرتعبا من أجل كثرة ذنوبي... فتوبي يا نفس مادمت في الأرض ساكنة، أي جواب تجيبين وأنت على سرير الخطايا منطرحة، وفي إخضاع الجسد متهاونة).

وفي صلاة الغروب: (إذا كان الصديق بالجهد يخلص، فأين أظهر أنا الخاطئ؟).

وفي صلاة نصف الليل: (أعطني يا رب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت في القديم للمرأة الخاطئة)، (طهرنا من دنس الجسد والروح، وانقلنا إلى سيرة روحانية، لكي نسعى بالروح ولا نكمل شهوة الجسد)[1].

أما عن التوبة الفردية والخطوات التي تتبع عند ممارستها فقد ذُكِرَت في كتاب الأسرار حياة الإيمان وهي بإيجاز كما يلي:

يذهب الشخص الخاطئ إلى غرفة منفردة يستقبله فيها الكاهن، لا يستقبله باسمه بل يستقبله باسم أبي الابن الضال، وباسم الكنيسة ليتصالح معها ومع الله بواسطة الكاهن ويرسم الكاهن إشارة الصليب على جبين الخاطئ باسم الأب والابن والروح القدس، ثم يقول الكاهن: (ليعطيك الله أن تعرف خطاياك على ضوء محبته، ادن من الله بثقة، فهو لا يريد موت الخاطئ بل أن يرتد ويحيا ليقبلك الله وقد جاء ليدعو لا للأبرار بل الخطاة فثق به).

ويجيب المذنب: آمين.

ثم يقرأ الكاهن أو التائب نصا من الكتاب المقدس يتحدث عن رحمة الله ويدعو إلى الارتداد، ومن هذه النصوص: (لقد أخذ عاهاتنا وحمل أوجاعنا فحسبناه ذا برص

---

(١) راجع: حياة التوبة والنقاوة صـ١٦، ١٧.

مضروبا من الله ومذللا جرح معاصينا وسحق لأجل آثامنا فتأديب سلامنا عليه بجراحه شفينا، كلنا ضللنا كالغنم، كل واحد مال إلى طريقة فألقى الرب عليه إثم كلنا)[١].

(يا شعبي اذكر هذا، إنك عبدي، قد جلبتك فأنت عبد لي، وأنت يا شعبي لا تخيب أملي، قد محوت كالسحاب معاصيك، وكالغمام خطاياك، ارجع إليّ فإني قد افتديتك)[٢].

(وكان جميع العشّارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه، فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين: هذا يقبل خطاة ويأكل معهم، فكلهم بهذا المثل قائلا: أي إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحدا منها ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده)[٣].

(ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب)[٤]، (إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم)[٥] (يا أولادي، لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق، وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكن قلوبنا قدامه لأنه إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شيء)[٦].

ويعترف التائب بخطاياه بكل بساطة وتواضع، ويشدد على ما يجب أن يتغير في حياته كي يعيد الصداقة التامة مع الله والقريب، ويساعد الكاهن التائب على التوبة، والكاهن ملزم أن يكتم السر بحكم وظيفته، ثم يفرض الكاهن على التائب تكفيرا مناسبا لفظاعة الخطيئة وطبيعتها كالصلاة، أو قراءة كتابية أو أي عمل فيه طاعة،

---

(١) راجع: أشعيا ٥٣ / ٤ -٦.

(٢) راجع: أشعياء: ٤٤/ ٢٢،٢١.

(٣) لوقا: ١٥ / ١-٤.

(٤) رومية: ٥/ ٩،٨.

(٥) ايو: ١/ ٩.

(٦) أيو: ٣: ١٩،١٨.

و يصلي التائب وقد يشاركه في الصلاة الكاهن، وهي صلاة يطلب فيها الغفران فيقول: أبانا الذي في السماوات.. (اذكر مراحمك يا رب وإحساناتك لأنها منذ الأزل هي، لا تذكر خطايا صباي ولا معاصي كرحمتك اذكرني أنت من أجل جودك يا رب)[١].

(ارحمني يا الله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك امح معاصي اغسلني كثيرا من إثمي ومن خطيتي طهرني؛ لأني عارف بمعاصي وخطيتي أمامي دائما، إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت قلبا نقيا اخلق في يا الله روحا مستقيما جدد في داخلي)[٢].

ويقول التائب بنفسه:

يا أبت قد أخطأت إلى السماء وأمامك ولا أستحق بعدُ أن أدعى لك ابنا، يا رب، أشفق علي أنا الخاطئ، يا يسوع المسيح مخلص العالم، أسألك، كاللص الذي فتحت له باب الفردوس: (اذكرني يا رب في ملكوت).

يا رب أخطأت إليك وإلى إخوتي، لكن عندك المغفرة، فاقبل ندامتي وأعطني القوة لأعيش وفاقا لمحبتك، أيها الرب يسوع، يا من شئت أن تدعى صديق الخطاة، بحق سر موتك وقيامتك، خلصني من خطاياي، ليكن سلامك في داخلي لكي أحيا أكثر فأكثر في الحب والعدالة والحق.

أيها الرب يسوع المسيح، يا حمل الله الحامل خطيئة العالم، بحق نعمة روحك القدوس، تنازل وصالحني مع الأب، اغسلني بدمك من كل هفوة واجعلني إنسانا يحيا ليذيع مجدك، أيها الروح القدس، ينبوع المحبة، إني أدعوك بثقة، طهرني وأعطني أن أحيا ابنا للنور.

ثم بعد ذلك يقف الكاهن، ويبسط يديه أو يمناه فوق رأس التائب، ويلفظ صيغة

---

(١) مزمور ٢٥/ ٦،٧.

(٢) مزمور ٥١ /١ -٤، ١٠.

الحلة فيقول: (وأنا باسم الأب والابن والروح القدس، أحلك من خطاياك) ويرسم الكاهن على التائب إشارة الصليب

ويقول في صلاته التي ترافق رفع اليد: (فليظهر لك الأب رحمته بموت ابنه وقيامته صالح العالم مع ذاته وأرسل روحه القدوس لمغفرة الخطايا، فليعطك المغفرة والسلام بواسطة خدمة الكنيسة، وأنا باسم الأب والابن والروح القدس أحلك من كل خطاياك، فيجيب التائب: آمين.

ويدعو الكاهن التائب إلى فعل الشكر، ويجيب عليه.

فيقول الكاهن: أد الشكر لله لأنه صالح.

التائب: إن إلى الأبد صالح.

الكاهن: قد غفر الله خطاياك، فاذهب بسلام المسيح.

التائب: الشكر لله.

الكاهن: طوبى لمن غُفِرَتْ خطيئته وأُزِيلَت هفوته، طوبى لمن نسي الرب إهانته، افرح وسر بالرب واذهب بسلام.

التائب: آمين.

الكاهن: لتكن لك آلام ربنا يسوع المسيح، وصلاة العذراء مريم وجميع القديسين وكل ما فعلت من خير واحتملت من شر لمغفرة خطاياك، ولازدياد النعمة، وللحياة في الله.

التائب: آمين[1].

---

(١) راجع: الأسرار حياة الإيمان صـ ٣٦٢ - ٣٧٠.

كيفية التوبة الجماعية:

يذكر صاحب كتاب «الأسرار حياة الإيمان» أن ممارسة التوبة الجماعية تتم بالاستقبال وغناء أنشودة الافتتاح، وهي دعوة إلى التوبة والثقة وتصاحبها الموسيقى في الغناء، ثم يسلم الكاهن على الجماعة ويقول أحدَ هذه الصيغ:

ليمنحكم الله أبونا يسوع المسيح الذي مات عن خطايانا النعمة والسلام - مبارك الله الآن ودائما.

نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الأب، وشركة الروح القدس فلتكن معكم دائما الآن ودائما. ومن روحك.

النعمة والسلام من لدن الله أبينا ويسوع المسيح الذي أحبنا طهرنا من خطايانا بدمه. آمين.

ثم يتلو الكاهن مقدمة تخلق جو الاحتفال، وتكون بمثابة تصميم له ثم يدعو الحضور إلى الصلاة وصيغتها: -

يقول الكاهن: يا إخوتي، يدعونا الله إلى التوبة فلنسأله نعمة توبة حقيقية.

وتؤدى صلاة صامته.. ثم صلاة حرة يقولون فيها:

أرسل روحك يا رب ولغسلنا في ينابيع التوبة الصافية، وليجعل منا ذبيحة حية لنستطيع أن نرتل مجدك في كل مكان وأن نعترف برحمتك يسوع المسيح ربنا. آمين.

أيها الإله الصالح والرءوف، أنت لا ترضى موت الخاطئ، بل ارتداده، تعالَ وساعد شعبك ليرجع إليك ويحيا، هبنا أن نسمع كلمتك ونعترف بخطيئتنا فنستطيع عندئذ أن نشكرك لأجل غفرانك، وإذ نعيش في حقيقة الحب نسير في خطى ابن يسوع المسيح الذي يملك معك إلى الأبد... آمين.

أيها الرب إلهنا: حبك أقوى من إهانتنا إنك تستقبل من يحاول أن يعود إليك. انظر إلينا بحسب محبتك، فنحن نعترف أننا خطئنا إليك، هبنا أن نحتفل بسر رأفتك وأن تغير حياتنا لنعرف معك الفرح الذي لا يزول، بالمسيح ربنا... آمين.

يا إله الحنان والشفقة، عندما نتأمل بصليب ابنك الذي صار خطيئة لأجلنا نفهم أنك لا ترغب إلا في الصفح، ولا تريد سوى تقديسنا.

انظر إلى عقولنا وقلوبنا المفعمة توبة، وارض بحنوك، بأن تطهرنا تماما من خطايانا وبأن تجددنا في فرح روحك القدوس وقوته، لكي نشدو عدلك ونذيع إلى الأبد مديحك بيسوع المسيح ربنا.. آمين.

ويكملها بقولهم: الله الحي يعمل دائما في قلب البشرية.

ثم يختار بعد الصلاة نصا يبشر بالمغفرة ويدعو إلى الارتداد ومنها ما جاء في إنجيل متى ٣/١-٤،١٢/١٢-١٧، ٩/٩-١٣، ولوقا ٢/٨-١٤، ٤/١٦ -٢١،٦/٣٦ -١٤،٣٨/١٢ -٢٤.

وإذا كان الجمهور قليل العدد لا بأس في أن تكون العظة مشاركة في الكلمة يفتتحها الكاهن ويختتمها، ثم يكون هناك وقت للصمت لكي يتمكن كل واحد من فحص ضميره ومن اتخاذ موقف ندامة، بوسع الكاهن أو خادم آخر أو أحد الحضور أن يساعد إخوته بجمل قصير أو بطلبة تناسب الموقف.

يُدْعَى الحاضرون عندئذ إلى الوقوف أو الركوع أو الانحناء ويتلون معا صيغة اعتراف جماعي مثل:» أنا أعترف لله.. «.

ثم يقفون ويجيبون على طلب الكاهن أو يشاركون في نشيد ويختمون دائما بالصلاة الرِّبيَّة.

الكاهن: فلنركع أيها الإخوة ولنعترف بخطايانا وَنُصَلِّ لأجل خلاص كل منا.

الجميع: أنا أعترف لله الأب الضابط الكل.

الكاهن: فلنطلب بتواضع إلى المسيح مخلصنا ليشفع عند الأب لكي يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل شر.

- يا من أرسلت تحمل البشرى السارة إلى الفقراء وتشفي منكسر القلوب.

الجميع: نرجوك فاستجب لنا.

الكاهن: يا من جئت تدعو لا الأبرار بل الخطاة نرجوك فاستجب لنا.

- يا من غفرت من كل قلبك للخاطئة فأظهرت نحوك حبا كبيرا. نرجوك فاستجب لنا.

- يا من لم تستنكف من العيش مع العشارين والخطاة، نرجوك فاستجب لنا.

- يا من حملت على منكبيك النعجة الضالة لتعيدها إلى الحظيرة، نرجوك فاستجب لنا.

- يا من دعوت «زكا» العشار إلى التوبة والحياة الجديدة، نرجوك فاستجب لنا.

- يا من وعدت اللص التائب على الصليب بالفردوس، نرجوك فاستجيب لنا.

- يا من أنت جالس عن يمين الأب تشفع بنا، نرجوك فاستجب لنا.

الكاهن: الآن كما أمرنا المسيح ذاته، لنصل معا إلى الأب ليغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر بعضنا لبعضنا، ولينجنا من كل شر.

الجميع: أبانا الذي في السماوات...

الكاهن: أيها الإله: يا من أعدت المساعدة لضيفنا، أعطنا فرح الارتداد لنستطيع أن نحيا أبناء ليسوع المسيح ربنا.

الجميع: آمين.

وإذا كان الاعتراف والحلة فرديين، فعلى الذين يريدون أن يعترفوا بخطاياهم للمعرف ويقبلوا الحلة، أن يتوزعوا على الكهنة الحاضرين فيأخذ كل واحد (قصاصة) فيما تتم الاعترافات الفردية، نستطيع خلق جو من الموسيقى أو من التأمل مع فترات صمت، وبعض جمل من القراءات أو إحدى صلوات الجماعة لتشفع في الخطاة يليها أوقات صمت، عند نهاية الاعتراف، يجتمع المعرفون حول رئيس الجماعة الذي يدعو إلى فعل الشكر، وللاحتفال بالشكر ثلاث طرق:

- ترنيمة جماعية، وصلاة ختامية.

- أو على العكس، صلاة يتلوها المحتفل يليها نشيد.

- أو صلاة ملحنة يجيب عليها الحاضرون، ويقولون في الصلاة:

أيها الأب القدوس، يا من خلقتنا من جديد على صورة ابنك، لقد أريتنا رحمتك، أعطنا الآن أن نكون في العالم علامة محبتك بيسوع المسيح ربنا.

الجميع: آمين.

يا رب بمحبتك، جعلتنا نشعر بفرح حضورك وبغزارة غفرانك؟ فنريد أن نمدحك ونشكرك، أبعد عنا ما قد يفصلنا عنك وعن إخوتنا نسألك ذلك بيسوع المسيح ربنا.

أيها الإله الذي صالحتَ البشرية جمعاء؛ إذ أعطيتها ابنك الحبيب أعطنا أن نتذوق هذه المصالحة في واقع حياتنا لكي يشرق على العالم فرح قيامتك بيسوع ربنا.

الجميع: آمين.

أيها الإله، أنعمت علينا بالبرارة حين كنا خطاة، وجعلتنا سعداء حين كنا بؤساء هلمَّ إلى معونتنا وضاعف لنا مواهبك: بررتنا بالإيمان فامنحنا نعمة الثبات، بالمسيح ربنا» ج. آمين.

أيها الإله، يا من منك يأتي كل نور، لقد أحببت العالم بحيث أعطيته ابنك الوحيد ليخلصه صليبه، افتدانا، وموته استحق لنا الخلاص وقيامته أعدت لنا المجد، فيه الآن نضرع إليك أن تساعدنا في كل شيء.

أهلنا لأن نحبك، ضع الإيمان في قلوبنا والعدالة والصلاح في مسلكنا والحقيقة على شفاهنا والحكمة في كل حياتنا، أهلنا لأن ننال يوما المكافأة التي ننتظرها منك بالمسيح ربنا «ج» آمين.

وفي الختام يصرف المحتفل التائبين ويباركهم(١).

ويوجد طقس المصالحة مع الحلة العلنية يتلوه الكاهن ويلحنه ويداه مبسوطتان فوق التائبين.

وتؤدى صلاة التوبة في أي وقت، وغالبا ما تؤدى في أيام الأعياد، مثل عيد الميلاد والصوم الكبير، والعشانين، والزمن الفصحى والآحاد، وقد يصاحبها تقديم قرابين تتناسب مع كل زمن الطقس الذي تؤدى فيه صلاة التوبة.

يقول صاحب كتاب تحفة الأريب: إن النصارى يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، وأن كل من يخفي منه ذنبا فلا ينفعه إقراره، فهم في كل سنة عند صيامهم يمشون إلى الكنائس، ويقرون بجميع ذنوبهم للقسيس فيصل إليه ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها له، وهم يعتقدون أن كل ذنب غفره القسيس فإنه مغفور عند الله تعالى(٢).

---

(١) راجع: كتاب الأسرار حياة الإيمان صـ ٣٧٠ - ٢٧٦.

(٢) - تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب صـ ٩١.

المبحث الخامس

صكوك الغفران والتأديبات الكنسية

صكوك الغفران:

صكوك الغفران: هي صكوك يغفر لمشتريها جميع ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، وصك الغفران يباع كأسهم الشركات، وقد يمنح الشخص بناء على هذا الصك أمتارا في الجنة على حسب مقدار المبلغ الذي يقدمه للكنيسة، وهذه الصكوك مكتوبة وتعطى لمن يريد غفران ذنبه فتمحوها مهما اقترف الإنسان من خطايا.

ولقد اخترع هذه الصكوك البابوات، ليجمعوا بها الأموال واستندوا في ذلك إلى ما نسبوه إلى المسيح من قوله: (من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)[١]، وقوله: (الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء)[٢].

وفي مجمع اللاتران الرابع سنة ١٢١٥ م، تقرر أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء[٣] وعلى أساس هذا القرار وتلك النصوص الوضعية منح البابوات ورجال الكنيسة سلطات دينية ترفعهم إلى مرتبة غفران الذنوب، وقد كان الاعتراف يتكرر عدة مرات على مدى الحياة، إلا أنه منذ سنة ١٢١٥ م أصبح لازما مرة واحدة على الأقل، وقد مارس رجال الكنيسة هذه السلطة، وشاع بين النصارى أن الله يغفر لمن رضي عنه آباء الكنيسة، فانتشرت بذلك صكوك الغفران ومارستها كل الكنائس التي تخضع للكنيسة البابوية[٤].

---

(١) يوحنا: ٢٠/ ٢٣.

(٢) متى:بب ١٨/ ١٨.

(٣) راجع: يا أهل الكتاب تعالوا صـ ٢٤٧، المجامع المسيحية صـ ٣٨٠.

(٤) راجع: الأجوبة الفاخرة صـ ٥٦ بالهامش.

وانصرف رجال الكنيسة عن الشئون الدينية وتحايلوا على اصطياد المال بكل طريق وبدلا من أن يكون الغفران نتيجة التوبة والاعتراف أصبح يباع كالسلعة ويقدر بالمال[١].

ويذكر ول ديورانت: أن صكوك الغفران قد منحت منذ القرن التاسع، وأعطي بعضها في القرن الحادي عشر للحجاج الذين يزورون الأضرحة المقدسة، وكان أول صك بالغفران الكلي هو الذي عرضه أرباب الثاني سنة ١٠٩٥م على من يشتركون في الحروب الصليبية الأولى، وكانت لمن يتلون أدعية معينة أو يؤدون خدمات دينية خاصة، أو ينشئون القناطر أو الطرق أو الكنائس أو المستشفيات أو يعطون الغابات، واستغل أناس ذلك فزوروا صكوك الغفران وباعوها، وندد مجلس مينز الديني عام ١٢٦١م بكثير من موزعي هذه الصكوك ووصفهم بأنهم كاذبون أشرار، شهرت بهم مجالس كنيسة أخرى مثل مجلس فنين ١٣١١م، ومجلس رافنا ١٣١٧ م، لكن هذه المساوئ لم تنقطع[٢].

وقد ظهرت صكوك الغفران بصفة رسمية بعد انتهاء الحروب الصليبية على هيئة صكوك مكتوبة بصيغة معروفة، وسبب ظهورها في هذا الوقت هو أن البابوات كانوا خلال هذه الحروب يفرضون على النصارى ضريبة الحرب، وكانت تعرف (بعشور صلاح الدين) وبعد انتهاء هذه الحروب انتفى سبب جمع هذه الضريبة فبدءوا يفكرون في طريقة أخرى لجمع المال فكانت صكوك الغفران[٣].

---

(١) راجع: المسيح والمسيحية والإسلام صـ١٢٨.

(٢) راجع: قصة الحضارة جـ ١١ / ١٦، ١٧.

(٣) راجع: ماهية الحروب الصليبية صـ٣٢.

يقول عزت زكي:

«ماتت الدجاجة التي كانت تبيض ذهبا للبابوات، وبدأت المشكلة من جديد، كيف يخترع البابا قصة جديدة تكون مصدر ربح يعوض لهم ما ضاع؟»[١].

فكانت تطبع الصكوك وتباع كلما احتاج البابا إلى مال أو أراد أن يبني كنيسة.

موقف الكنيسة من صكوك الغفران:

أقرت الكنيسة صكوك الغفران وأصبح حقا خالصا لها، وقد أقر ذلك أيضا المجمع الثاني عشر وجعل صك الغفران لمن يستحقه فلا تفريط في إعطائه للناس، إلا أن القساوسة والبابوات لم يراعوا ذلك، (لقد أتى حين من الدهر من بعد أن أعطى رجال الدين أنفسهم ذلك الحق أن أفرطوا في إعطائه إفراطا شديدا وأنشئوا له صكوكا تباع وتشترى فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا ومتعة من متعها، وبذل العصاة في سبيلها المال وما كان عليهم من حرج في أن يرتكبوا ما شاءوا من الموبقات، وينالون ما تهوى الأنفس من معاصٍ، مادام ذلك يفتدى بالمال قل أو جل[٢].

ولقد بلغ الأمر غايته بما صنعه البابوات بصكوك الغفران فقد أعلن البابا (بونفاس) أن السنة الأولى من القرن الثالث عشر أنها سنة اليوبيل فتجمع الناس في روما لزيارة قبور الرسل والقديسين، وتحدد لمن يزور هذه القبور من أهل روما ثلاثين يوما، ومدة خمسة عشر يوما لغير أهلها، ومن يستكمل هذه الفترة فله الحق في أن يحصل على الغفران الكامل لخطاياه كلها ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فأقبل الناس من كل بلاد أوربا رغبة منهم في محو ذنوبهم، وكانوا يقدمون الأموال الطائلة التي كانت كل يوم تجرف

---

(١) المسيحية في عصر الإصلاح صـ ٤٠.

(٢) محاضرات في النصرانية صـ ٢٧٢، النصرانية والإسلام صـ ١٣٧.

بالمجاريف، وزار روما في هذه السنة ما يقرب من مليونين من الأنفس وكلهم يرغب في نيل الغفران البابوي.

واستمر البابوات يحتفلون باليوبيل، ونظرا لرغبتهم في جمع المال قللوا الفترة الزمنية بالاحتفال به فجعلها البابا (كلمندس السادس) كل خمسين سنة وجعلها (أربان السادس) كل ثلاثين سنة، وجعلها (بولس الثاني) كل خمس وعشرين سنة.

ثم تغيرت الحالة بعد ذلك فصارت صكوك الغفران ملكا مشاعا للجميع وفي أي وقت من الأوقات، بل إن الكنيسة خصصت من يقوم ببيع صكوك الغفران في الطرقات وكان يقوم بهذا جماعة من رجال الكنيسة ويقومون بعمل الدعاية ويشرحون للناس فوائد صكوك الغفران، فإذا وصل الموكب إلى مدينة ما، يتجه إلى بيت الحاكم ويوجه إليه التحية لتلهب قلوب كبار المدينة وصغارها بالحماس، وأحيانا كان يحدث اتفاق سري بين بائع الغفرانات وبين الحاكم، على أن يتقاسم معه الأرباح مقابل تشجيعه له وسرعان ما ترى الجموع وقد خرجت من كل مكان يحملون الشموع والرايات والشعارات كما في الموالد الشعبية، ويتقدمهم الضاربون على الطبول والدفوف، أما الموكب نفسه فكان يضم الراهبات والرهبان وهم يهتفون: اشتروا اشتروا والنواقيس تدق، والكل في فرح[١].

وكان من بين بائعي الغفرانات رجل يدعى (جون تتزل) فكان يملأ المدينة التي كان ينزل بها بصياحه ينادي على الناس شارحا لهم وواعظا، وكان الناس يتناقلون عظاته، وكان من أقواله: لا توجد خطية مهما عظمت لا تستطيع الغفرانات أن تكفر عنها ـ أيها الكاهن ـ أيها النبيل أيتها الزوجة ـ الشاب ـ الشابة ـ تعالوا إن غفراناتي لا تقف عند حد الأحياء فقط بل تتجاوزها إلى الموت، ألا تسمعون أقرباءكم في أعماق الهاوية يصرخون

(١) المسيحية في عصر الإصلاح صـ ٤٧ بتصرف.

مستغيثين إننا نتعذب ونقاسي أهوالا مرة وفي إمكانكم إنقاذنا بشيء من الإحسان التافه - أيها الأغنياء وقساة القلوب ألا تدركون أنه في نفس اللحظة التي ترون فيها نقودكم في قاع الصندوق تنطلق النفس من المطهر وتطير حرة إلى السماء، إن الرب إلهنا قد سلم كل السلطان إلى البابا[١].

ولقد علل رجال الكنيسة صحة الغفران بصك الغفران بأن الدم الذي سفكه المسيح كان كافيا للخلاص بكميات أوفر من حاجة الجنس البشري، وأن قديسين وشهداء كثيرين عملوا الصالحات بما هو أكثر من اللازم لخلاص ذواتهم، هكذا بقيت هذه الخزينة الأبدية من الاستحقاقات التي أمكن السحب منها بواسطة صك الغفران للخاطئ العادي، وفي وقت لاحق امتد مبدأ صكوك الغفران ليشمل المسيحيين الذين احتجزوا في المطهر وكان في استطاعة أقاربهم أن يشتروا صكوك الغفران ليحصلوا لهم على الإفراج[٢] وكانت الكنيسة أيضا تعتقد أن في ذلك ترويضا للطباع الخشنة، وتهذيب الطبيعة البشرية المتمردة التي وجدت الكنيسة ذاتها مضطرة للتعامل معها[٣].

وبذلك عمت صكوك الغفران فأصبحت تُمنح للأحياء والأموات، وطُبعت وأصبحت لها صيغة معروفة وثابتة في كل الكنائس، وعند القساوسة والرهبان والباباوات، وأودعت هذه الصكوك لدى القساوسة لحين شرائها.

نص صك الغفران:

(ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان، ويحللك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحللك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات

---

(١) المرجع السابق صـ٤٨ بتصرف.

(٢) تاريخ الكنيسة جـ٤/ ٤٨.

(٣) راجع: المسيحية في العصور الوسطى صـ٩٩.

الكنسية التي استوجبتها أيضا من جميع الأفراد والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة و إن كانت محفوظة لأبينا الأقداس البابا، والكرى الرسولي، وأمحو جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التي ربما جلتها على نفسك في هذه الفرصة وارفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر وأردك حديثا إلى الشركة في أسرار الكنيسة وأقرانك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذان كان عند معموديتك حتى أنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب و يفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، و إن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس[١].

هذه صورة لنص صك الغفران، الذي يعطى للنصراني الذي يريد الخلاص من ذنوبه التي ارتكبها، ويختلف ثمن الصك باختلاف حالة المشتري من غني أو فقير، وكذلك حسب نوع الذنب الذي ارتكبه، يقول عزت زكي: كانت هناك تسعيرة: الذنب الأكبر غفرانه بسعر أكبر... التكفير عن الخطية المميتة له سعر يزيد عن سواها ـ الكذب والنصب والسرقة لها أسعار أقل ـ وليفعل الخاطئ ما يشاء فهناك صك مكتوب بإمضاء البابا نفسه يضمن غفران السماء[٢].

ولقد استغل الباباوات صكوك الغفران أسوأ استغلال؛ فيذكر ول ديورانت: أن هذا النظام كان يستخدم أحيانا لتحقيق أغراض سياسية، وذلك حين كان القساوسة مثلا يأبون أن يغفروا للذين يناصرون الأباطرة على الباباوات، وكان يستخدم في محاكم التفتيش كما حدث حين أمر القديس «شارل برمبو» (١٥٣٨ -١٥٨٣) رئيس أساقفة

(١) محاضرات في النصرانية صـ ١٧٢، المسيحية صـ ٢٥٤، الأسفار المقدسة صـ ١٤٢.

(٢) المسيحية في عصر الإصلاح صـ ٤٧.

ميلان قساوسته أن يطلبوا إلى من يأتونهم للتوبة على أيديهم أن يخبروهم بأسماء كل من يعرفونهم من الملحدين أو ممن تحول حولهم شبهة الإلحاد[١].

وعلى أي حال فإن صكوك الغفران تعتبر مصدرا ماليا هاما من مصادر المال عند النصارى، ولكنه خاص بالقساوسة والبابوات والكنائس، وهذا الصك دعوة لارتكاب الجرائم والآثام؛ لأن الإنسان يستطيع بقدر من المال أن يمحو ذنوبه التي ارتكبها فيتمادى في عصيانه؛ لأنه عرف كيف تُمحى، وبالرغم من كل هذا فإنه وُجد من بين النصارى من اعترض على صكوك الغفران مثل لوثر وأتباعه، وأنكر «هس» صكوك الغفران قائلا: إن البابا لا يجب أن ينعت بالأقداس، ولا أن تُقَبَّل رجلاه، ولا يجب الخضوع للبابا إذا أمر بما يضاد الكتاب المقدس، وأن البابا إذا لعن أو حرم أحد ظلما، فاللعنة والحرم يرتدان على رأسه وأن واجب الحكام العلمانيين أن يلزموا رجال الدين بالسير في الكتاب المقدس[٢].

ولقد ارتكب رجال الكنيسة الجرائم الخلقية التي يندى لها الجبين، وذلك من جراء صكوك الغفران والتي تعتبر وصمة عار في جبين النصرانية وأتباعها؛ إذ لم تقف مسألة غفران الذنوب عند صكوك الغفران، بل سرعان ما دخلها عنصر جديد فاضح، ذلك ما يسمى (بالاعتراف) فكان على المذنب أن يعترف بذنبه في خلوة مع قسيسه ليستطيع هذا القسيس أن يغفر له ذنوبه وفي خلوات الاعتراف حدثت أشياء يقشعر لها الوجدان[٣]، لأن الطريقة التي يتم بها الاعتراف تشجع على الفساد الأخلاقي، حيث تأتي المذنبة إلى القسيس وقد تكون فاجرة، وقد يذهب هو إلى بيتها، فيدخل معها الغرفة ويغلق بابها عليهما بعد أن يسند عكازه على الباب، وبذلك يحرم الدخول عليهما

---

(١) راجع: قصة الحضارة جـ١٦/ـ١٥.

(٢) المجاميع المسيحية صـ ٤١١.

(٣) المسيحية صـ ٢٥٥.

حتى ولو كان مريد الدخول زوجها ومن المعلوم أن إنجيلهم لا يرغب في الزواج بل يفضل حياة التبتل والعزوبة؛ ولهذا فزواج رجال الدين غير مرغوب فيه، بل محرم عليهم عند بعض الفرق بقرار مجمع اللاتران الثاني عشر المسكوني سنة ١٢١٥م، كما أن هؤلاء القساوسة في أديرتهم وكنائسهم يأكلون ما لذ وطاب من الطعام بغير حساب، ولا شك أن أكله الطعام الفاخر تزيد قوته وتعظم حاجته إلى النساء وتشدد غلمته، وأمامنا رجل ممتلئ قوة وحيوية يعيش عيشة ترف وبذخ، ويحرم عليه دينه الزواج، فيأتي ويحبس نفسه مع امرأة تفضي إليه وقد يكون من بين هذه الذنوب الفجور والزنا، ولا يخفى على ذي لب فحش هذا الصنيع وشناعة هذا الجرم وما يؤدي إليه[١].

ولم يقتصر جلب المال على صكوك الغفران بل تعداها إلى لب رجال الكنيسة، المال عن طريق الهبات أو الوصايا نظير تلاوتهم الأدعية والصلوات التي يقولون إنها تقتصر المدة التي تقضيها روح الميت في المطهر لتعاقب عن ذنوبها وكان الصالحون الأتقياء من الناس يخصصون من أموالهم جزءا كبيرا لهذا الغرض لتنجو به روح قريب لهم أو ميت فارق الحياة الدنيا أو ليقصروا المدة هم أنفسهم في المطهر بعد موتهم أو يلغوها إلغاء تاما[٢].

فهل تستطيع الكنيسة بعد هذا أن تدعو إلى الفضيلة أو خُلق وهي مستنقع الرذائل كلها؟؟

وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ

(١) راجع: الأجوبة الفاخرة صـ ٣٢٨، الفارق بين المخلوق والخالق صـ ٦٤، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير صـ ٦٢، ٦٣، هذا هو الحق رد على مفتريات كاهن كنيسة - ابن الخطيب صـ ٥٩، ٦٠.

(٢) راجع: قصة الحضارة جـ ٢٢ / ٥٢.

تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[2]

التأديبات الكنسية:

التأديبات الكنسية تعني تلك العقوبات والشروط التي وضعتها الكنيسة على المخطئين كي تقبل توبتهم ويعودوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصية مستندين إلى قول بولس: (لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله، إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين فأي ابن لا يؤدبه أبوه)[3]، وقوله: (ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكي لا ندان مع العلم)[4].

وتقسم الكنيسة التائبين إلى:

١- رتبة الباكين الذين لم يكن لهم حق في حضور الخدم الشريفة بل كانوا يقفون خارج الكنيسة ويقفون خارج الكنيسة ويتضرعون بدموع إلى الداخلين في الهيكل ليصلوا من أجلهم.

٢- رتبة السامعين الذين كان مسموحا لهم أن يدخلوا الكنيسة ويقفوا في موضع خاص بهم ويسمعوا التعاليم، كلام الله والصلوات.

٣- رتبة الراكعين الذين كانوا يقفون مدة أكثر من الأولين ركوعا أمام باب الهيكل.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٤٤).

(٢) سورة التوبة: من الآية (٣٤).

(٣) عب: ١٢ / ٦، ٧.

(٤) اكو: ١١ / ٣٢.

٤- رتبة المشتركين الذين كانوا مع المؤمنين في الصلاة دون أن يتناولوا من الأسرار المقدسة[١].

ومن القوانين التي شرعتها الكنيسة لتأديب الخاطئ (الصوم الخصوص؛ علاوة على الأصوام المفروضة على جميع المؤمنين، وصلوات يقدمها الخاطئ في مخدعه مع عدد من الركعات وتوزيع جزء من ماله صدقة على الفقراء، وتأجير التناول من الأسرار المقدسة وقتا مناسبا لثقل خطيته)[٢].

والقوانين التي سنها النصارى لعقوبة الخاطئين لم يشهد لها نص من التوراة ولا من الإنجيل، ومن خرج منهم عنها أو اعترض عليها يعد مذنبا، فإذا تاب غفروا له وأخلوه الكنيسة، و إذا لم يغفر له أبعدوه عن الكنيسة وطردوه، وللذنب المغفور كفارة، والذي يحددها القساوسة (وكانت الكفارة التي تضعها الكنيسة تتخذ في العادة صورة تكرار بعض الأدعية أو إخراج الصداقات أو الحج إلى بعض الأضرحة المقدسة، أو الاشتراك في حرب صليبية ضد الأتراك ـ أو غيرهم ـ أو التبرع بالمال أو العمل لبعض المشروعات الاجتماعية كتجفيف مستنقع، أو إنشاء طريق أو بناء قنطرة أو مستشفى أو كنيسة[٣].

وقد أورد الإمام القرطبي في كتاب: «الإعلام» مجموعة من القوانين التي يطبقها النصارى على الخاطئين، وهي على سبيل الإيجاز:

القسم الأول: العابثون بالصبيان:

العابثون بالصبيان لا يغفرون لهم ولا يعطونهم قربانا أبدا ولا عند وفاتهم.. إن كل

(١) أسرار الكنيسة صـ ١١٧.

(٢) أسرار الكنيسة صـ ١١٧، ماهية الحروب الصليبية صـ ٢٢ وما بعدها.

(٣) قصة الحضارة جـ ٢٢ / ٤٩، المسيحية في العصور الوسطى صـ٩٧.

من أتى هذه الفاحشة (أسقفا) فليعزل، ويبعد إبعادا شديدا دائما، وإن كان من غيرهم فلينكل له نكالا شديدا ويضرب الفاعل والمفعول: مائة سوط، وينفيان النفي الدائم، ولا يعطيهم أحد من (الأقسة) توبة، ومن أعطاهم وقبل قربانهم عزل وأبعد ولم يعط توبة وغرم خمسة أرطال ذهبا للملك.

نكاح القريبات:

لا ينكح رجل قريبته إلى سبع بطون، فإن أصر على ذلك فلا يغفر له، ولا يعطى قربانا وإن مات، وإن أقلع عنها حرم القربان خمس عشرة سنة، ذلك حسب السنة عندهم، ثم يقبل بعد ذلك توبته، ويعطى القربان، أما المرأة لا تعطى قربانا إلا عند وفاتها.

وإذا أتى أحد بهيمة وكان له زوجة لم يعط القربان إلا بعد ثلاثين سنة، وإن لم تكن له زوجة فبعد خمس وعشرين سنة.

ومن تزوج من غير بركة (القسيس) فإنه يغرم للملك مائة دينار، ويضرب الزوجان مائة سوط، مائة سوط.

ومن قتل عبده يحرم القربان سنتين، وعلى قاتل العمد غير عبد، يحرمان القربان وبخضوعه عند الكنيسة إلى آخر وفاته.

ومن قتل خطأ، يحرم القربان سبع سنين، ثم خفف إلى خمس سنين.

وعلى الجملة فهذياناتهم أكثر من أن تحصى، ومن اطلع على كتب فقههم، رأى غرائب وعجائب[1].

❁❁❁❁❁❁❁

(١) الإعلام بما في دين النصارى من أوهام صـ ٤٠٥ - ٤٠٦ بتصرف، الأجوبة الفاخرة صـ ٣٩٦، ٣٩٧.

المبحث السادس

الكنائس النصرانية وسر التوبة

تختلف الكنائس النصرانية حول سر التوبة كعادتها فيما يتصل بمسائل دينهم، ويمكن حصر نقاط الاختلاف وأوجه الاتفاق فيما يلي:

[١] تتفق الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية على أن التوبة سر من أسرار الكنيسة السبعة، أما البروتستانت فلا تعترف كنيستهم بالتوبة كسر مقدس؛ إذ أنها لا تؤمن بأسرار الكنيسة، ويطلقون على التوبة التجديد أو الولادة الجديدة، أو الخلاص ويكون قصدهم من ذلك هو عملية التوبة، وفي المفهوم الأرثوذكسي لكل هذه التعبيرات التجديد، والولادة الجديدة والخلاص، تتم في سر المعمودية، أما سر التوبة فهي عملية تغيير في سلوك الإنسان.

[٢] لا تعترف الكنيسة البروتستانتية بالوساطة بين الله، والشخص التائب، بينما يعترف الكاثوليك والأرثوذكس بالوساطة، كما لا يعترف البروتستانت بما يمارسه غيرهم في الكنائس من طقوس وصلاة خاصة بالتوبة؛ إذ أنهم لا يعترفون بالكهنوت، يقول البابا شنودة: (أما الطوائف البروتستانتية، فتقدم توبة منفصلة تماما عن الكنيسة، مجرد عمل فردي لا علاقة له بالكهنوت؛ لأن البروتستانتية لا تؤمن بالكهنوت إنما تؤمن بعلاقة مباشرة مع الله)[١].

وعن الأدلة التي استدل بها القائلون بالوساطة يرد عوض سمعان عليهم بقوله:

(١) - اللاهوت المقارن جـ١/ ١٣٣.

(إننا لا ننكر أهمية وجود قسوس بين كل جماعة مسيحية، يكونون شيوخا في السن وفي الإيمان، وذلك لرعاية المؤمنين الذين فيها، ولكن ما ننكره هو أنه يجب أن نعترف لهؤلاء القسوس بخطايانا حتى ننال غفرانا لها كما يتضح مما يلي:

إن الآيات لا تدل على أن المؤمنين يجب أن يعترفوا بخطاياهم للقسوس أو الشيوخ، بل أن يعترفوا بها للأشخاص الذين يخطئون إليهم... كما أنها لا تدل على أن القسوس يغفرون الخطية أو يتوسطون لأجل غفرانها، بل نقول: (إن كان قد فعل المريض خطية تغفر له) أي أن الله هو الذي يغفرها له وليس القسوس.

كما يرد على ما يستدلون به على الاعتراف أمام الرسل، بأن الآيات لا تدل على أن الاعتراف يجب أن يكون سريا أمام أشخاص أيا كان مقامهم، حتى نحصل بواسطتهم على الغفران، بل تدل على أن هذا الاعتراف يجب أن يكون علنيا، وهذا ما يليق بنا جميعا أن نفعله عندما نخبر بفضائل الذي دعانا من الظلمة إلى نوره.

إن الاعتراف لا يكون قانونيا أو مجديا، إلا إذا كان مقدما للشخص المُساء إليه، وبما أن الخطايا التي تأتيها أحيانا هي قَبل كل شيء إساءة إلى الله؛ لأنها تتعارض مع الوصايا التي أعطاها لنا، وفي الوقت نفسه ليست هناك آية تدل على أن الله يأمرنا بالاعتراف بخطايانا لشخص سواه، إذن يجب أن تعترف بها له وحده[1].

[٣] تعتقد الكنيسة القبطية أنه لا يوجد بعد الموت سوى النعيم للأبرار والجحيم للأشرار، أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن هناك مكانا ثالثا يسمى المطهر،

(١) راجع: الكهنوت - عوض سمعان صـ ٣٨٩ وما بعدها بإيجاز.

تُعتقل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة، وتظل تعذب في النار عذابا أليما حتى ما بقي عليها من الدَّين للعدل الإلهي، وعندئذ يُسمح لها بدخول الملكوت[1].

[٤] يذهب الأرثوذكس والكاثوليك إلى أن التوبة لازمة للخلاص؛ لأنه لا يوجد أحد لا يخطئ مادامت هناك خطية، والتوبة تخلصهم من العقوبة، وتجعلهم مستحقين لدم المسيح وإن لم يتوبوا فسيهلكون جميعا، أما البروتستانت فلا يجعلون بين التوبة والخلاص صلة؛ إذ أنهم يقولون: إن الخلاص بدم المسيح وليس بالتوبة؛ لأن التوبة عمل من الأعمال ولا يخلص الإنسان بالأعمال[2].

[٥] تخالف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية الكنيسة الكاثوليكية بشأن صكوك الغفران؛ إذ أن الأرثوذكس يقولون بأن مغفرة الخطايا لا يمكن أن تتم بدون توبة وانسحاق قلب، أما الكاثوليك فيعتقدون أن مغفرة الخطايا يمكن أن توهب بلا توبة على أساس أن للكنيسة الحق في أن تعطي ما تشاء من الغفرانات التي تتناولها من ذخيرة استحقاق المسيح والقديسين؛ ولذلك راحت تبيع صكوك الغفران، بل إنها ذهبت إلى أن الغفران في هذه الحالة ليس قاصرا على الأحياء بل يشمل النفوس الميتة والموجودة في المطهر[3].

وإذا كان الكاثوليك يقولون بصكوك الغفران من منطلق أن دم المسيح كافٍ لخلاص البشر وفائض عن ذلك، وأن هناك قديسين وشهداء عملوا الصالحات بما هو أكثر من اللازم للخلاص، فإن الأرثوذكس أنكروا عليهم

---

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٨، المسيحية في العصور الوسطى صـ٩٨.

(٢) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٣٣، ١٣٤.

(٣) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٨.

ذلك، يقول حبيب جرجس: (إن هذا التعليم لا أساس له مطلقا في الكتاب المقدس الذي يُعلمنا أن الغفران هو لله وحده، ولا يوجد في الكتاب ما يشير إلى استحقاقات للقديسين والملائكة، ويمكن توزيعها على البشر، كما أنه لا أساس له في التقليد الكنسي ولا في تعاليم آباء الكنيسة، وكل تعليم لا أساس له في الكتب المقدسة والتقليد الرسولي هو بأكل واختراع ترفضه الكنيسة... وإن فضائل القديسين مهما كانت عظيمة لا يمكن أن تكون زائدة عما يجب ويفضل عنها حتى يوزع منها على الغير، فإن هذا التعليم غريب عن تعاليم المسيح[1].... إن هذا التعليم ليس غريبا فقط على المبادئ المسيحية ولكنه يجلب على المسيحية عارا كبيرا[2]).

وقد اعترض البروتستانت على الكاثوليك بشأن صكوك الغفران، بل كان هذا من الأسباب التي أشعلت نار الإصلاح الديني والتي قادها زعماء البروتستانت[3].

[٦] يذهب الأرثوذكس إلى القول بالتأديبات الكنسية التي تُوقَّع على الخاطئ بقصد تأديبه وإصلاحه، ويخالفهم في ذلك الكاثوليك؛ إذ يعتبرون هذه التأديبات قصاصات حقيقية، الغاية منها وفاء العدل الإلهي الذي أهانه الخاطئ بخطاياه ولكن الأرثوذكس يردون على الكاثوليك ويبررون ما يذهبون إليه بأن بولس لمَّا وضع التأديبات على المختلط بالدم في كورنثوس قال: (يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح) لكن لما رجع وتاب أرجعه إلى الكنيسة، وظاهر من ذلك أن الغاية من القصاص كانت تأديبية وإصلاح نفسه.... ويظهر من

---

(١) أسرار الكنيسة صـ ١٢٤، ١٢٥ بتصرف.

(٢) المرجع السابق صـ ١٢٧.

(٣) راجع: قصة الحضارة جـ ٢٢ / ٤٨، تاريخ الكنيسة جـ٤/ ١١٥ ـ المجامع المسيحية صـ ٤٩٠.

جميع أقوال الآباء أن الغرض من هذا التأديب هو الإصلاح؛ ولذلك سموه علاجا وقصاصا للتقويم، وشفاء للخطاة وحفظهم من خطايا جديدة، ولو كان الغرض من القانون وفاء العدل الإلهي لوجب أن تفرض هذه القوانين على جميع على جميع الخطايا بلا استثناء بحسب جرم الخطية، ولكن من الواجب على التائب إتمام قانونه كل بلا نقص[1].

ولقد احتكر الأساقفة أمر الحسم بالتأديبات، كما تطرفوا فيها كثيرا، فإذا كان الخاطئ أعزب منعوه من الزواج، وإذا كان من غير عزب أمروه بعدم المعاشرة الزوجية أو بالانزواء في دير، إلى أن يأذنوا له في العودة إلى بيته، ولذلك كان كثيرون من الذين يخطئون يؤجلون الاعتراف بخطاياهم حتى ساعة الانتقال إلى العالم الآخر[2].

وإذا كانت المذاهب النصرانية تختلف في كثير من النقاط التي تتصل بسر التوبة إلا أنهم جميعا يتفقون على أن الشخص يتقدم بتوبته سواء بواسطة الكاهن أو من غير وساطة يتوجه بها إلى المسيح، وليس إلى الله تعالى الذي يقبل التوبة عن عباده ويغفو عن السيئات؛ وذلك لزعمهم أن المسيح قدم دمه ليسفح تكفيرا عن خطايا البشر.

وبالرغم من مخالفة البروتستانت لكل من الكاثوليك والأرثوذكس في كثير مما يتصل بسر التوبة إلا أنهم يتفقون معهم في أن الغفران يطلب من المسيح؛ لأنه هو وحده الذي يغفر الخطايا لمن يعترف بها ويؤمن بها إيمانا حقيقيا[3]، وقال بطرس عنه: (له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا)[4].

---

(١) راجع: أسرار الكنيسة صـ١١٨.

(٢) الكهنوت صـ ٣٩٩ بتصرف.

(٣) راجع: الكهنوت صـ٣٧٣، ٣٩١.

(٤) أع: ١٠/ ٤٣.

والنصارى يقولون ذلك ويعتقدونه رغم اعترافهم بأن نصوص العهد القديم التي يقدسونها تأمر بطلب الغفران من الله وحده والاعتراف له وحدة بالخطايا، ومن هذه النصوص قول داود النبي: (أعترف للرب بخطيتي)[1]، (إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت)[2] ونحميا قد اعترف بخطايا بني إسرائيل التي أخطئوا بها إلى الله قائلا: (فإن وبيت أبي قد أخطأن)[3]، وقال دنيال: (وبينما أنا أتكلم وأصلي وأعترف بخطيتي وخطية شعبي إسرائيل، وأطرح تضرري أما الرب إلهي عن جبل قدس إلهي...)[4].

وهذه النصوص وغيرها من نصوص العهد القديم تدل على أن الإنسان اعترف بخطاياه لله ويطلب منه وحده الغفران، فإذا كان النصارى قد خالفوا ذلك فمن الذي أمرهم؟ هل المسيح هو الذي أمرهم أن يطلبوا منه الغفران؟ ويعترفوا بذنوبهم للقساوسة الذين يعتقدون أنهم خلفاؤه من بعده؟

معرفة ذلك تتضح من خلال بيان صلة المسيح عليه السلام بسر التوبة، وما يمارسه النصارى من طقوس خاصة به، وسوف يتضح هذا جليا في المبحث التالي إن شاء الله تعالى.

❂❂❂❂❂❂❂

(١) مزمور: ٣٢ / ٥.

(٢) مزمور: ٥١ / ٤.

(٣) نحميا: ١/ ٦.

(٤) دنيال: ٩/ ٢٠.

المبحث السابع

موقف الإسلام من سر التوبة وصكوك الغفران

لقد دعا المسيح عليه السلام قومه إلى التوبة كما دعا إخوانه السابقين من الرسل، وقد أخبر بذلك العهد القديم الذي يقدسه النصارى، وقد أمر أشعياء قومه بالتوبة إلى الله وقال لهم: (اغتسلوا تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم أمام عيني قفوا عن فعل الشر تعلموا فعل الخير اطلبوا الحق، أنصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة، هلموا نتحاجج بقول الروح، إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصرف، إن شئتم وسمحتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تأكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم)[١].

وأمر حزقيال قومه بالتوبة والرجوع إلى الله بقوله: (يقول السيد الرب توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلكة، اطرحوا عنكم معاصيكم التي عصيتم بها واعملوا لأنفسكم قلبا جديدا وروحا جديدا)[٢].

وجاء في سفر يوئيل: (يقول الرب: ارجعوا إلي بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم؛ لأنه رءوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر، لعله يرجع ويندم فيبكي وراءه بركة تقدمه وسقيبا للرب إلهكم)[٣].

وجاء في سفر يونان أمر الله له أن يأمر أهل نينوى أن: (يرجعوا كل واحد عن طريق الردائية وعن الظلم الذي في أيديهم)[٤].

---

(١) أشعياء: ١ / ١٦ - ٢٠.

(٢) حزقيال: ١٨ / ٣١،٣٠.

(٣) يوئيل: ٢/ ١٢ -١٤.

(٤) يونان: ٣/ ٨.

وجاء المسيح عليه السلام فدعا قومه إلى الله وأمرهم بالتوبة من ذنوبهم التي ارتكبوها، وقد وردت بذلك نصوص كثيرة في العهد الجديد منها قوله: (ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم)[١]، (لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة)[٢] (ابن الإنسان جاء يطلب ويخلص ما قد هلك)[٣] (توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات)[٤].

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن المسيح عليه السلام دعا قومه إلى التوبة إلى الله عز وجل وحثهم عليها (وكان من أنبل التعاليم التي نادى بها السيد المسيح، وكان هو القدرة العظمى في العمل بها، أن يغفر الناس بعضهم لبعض دائما عن بعض ما يرتكبه بعضهم في حق بعض من أخطاء وإساءات بل من جرائم وآثام، وأن يعفو بعضهم دائما عن بعض، لا عفو الضعيف المتخاذل المهزوم، وإنما عفو القوى القادر المنتصر، الذي يستطيع أن ينتقم ويستطيع أن يقابل الشر بالشر فلا يفعل)[٥].

كما بين لهم المسيح عليه السلام أن الذي يغفر لأخيه الذي أساء إليه يغفر الله له ويكون متصفا بصفة الغفران التي هي من صفات الله، فقال: (فكونوا إذن كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات كامل)[٦] وقال: (إن غفرتم للناس زلاتهم فإن أباكم السماوي يغفر لكم أنتم أيضا زلاتكم، أمّا إن لم تغفروا للناس زلاتهم فلن يغفر لكم أبوكم زلاتكم)[٧]

---

(١) يو: ١٢ / ٤٧.

(٢) مر: ٢/ ١٧.

(٣) متى: ١٨ / ١١.

(٤) متى: ٣/ ٢، مر: ١/ ١٥.

(٥) المسيح: زكي شنودة صـ ٢١٩.

(٦) متى: ٦ / ٤٨.

(٧) متى: ٦/ ١٤، ١٥.

وقال: (فإن أخطأ إليك أخوك فوبخه فإن تاب فاغفر له و إن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم ثم رجع إليك سبع مرات في اليوم قائلا: إنني تائب فاغفر له)(١).

وقد ورد في نصوص الأناجيل أن المسيح غفر لكثيرين ممن ارتكبوا الخطايا(٢) فغفر للمفلوج فقال له: (مغفور لك خطاياك)(٣) وقال عن المرأة المخطئة: (قد غفرت لها خطاياها الكثيرة)(٤) وقال لِلِّصِّ الذي التجأ إليه نادما عما فعله من شر: (اليوم تكون معي في الفردوس)(٥)، ثم بين المسيح عليه السلام لأتباعه كيفية التوبة والتكفير عن الآثام فقال: (إن التوبة عكس الحياة الشريرة؛ لأنه يجب أن تنقلب كل حاسة إلى عكس ما صنعت وهي ترتكب الخطيئة، فيجب النوح عوضا عن المسرة، والبكاء عن الضحك، والعفة عوضا عن البطر، والسهر عوضا عن النوم، والعمل عوضا عن البطالة، والعفة عوضا عن الشهرة، وليتحول الفضل إلى الصلاة والجشع إلى تصديق)(٦).

ويقول أيضا: (الحق أقول لكم: إن كل حيوان مفطور على الحزن لفقد ما يشتهي من الطيبات؛ لذلك وجب على الخاطئ النادم ندامة صادقة أن يرغب في أن يقتص من نفسه لما صنع عاصيا لخالقه، حتى أنه متى صلى لا يجسر أن يرجو الجنة من الله أو أن يعتقه من النار، بل أن يسجد لله مضطرب الفكر ويقول في صلاته: انظر يا رب الأثيم الذي أغضبك بدون أدنى سبب في الوقت الذي كان يجب عليه أن يخدمك فيه؛ لذلك يطلب الآن أن تقتص منه لما فعله بيدك لا بيد الشيطان عدوك حتى لا يشمت

(١) لوقا: ١٧ / ٣، ٤.

(٢) راجع: مصادر الوحي الإنجيلي جـ٢/ ٢٦١.

(٣) لوقا: ٥ / ٢٠.

(٤) لوقا: ٧ / ٤٧.

(٥) لوقا: ٢٣ / ٤٣.

(٦) برنابا: ١٠١ / ١ -٨.

الفجار بمخلوقاتك، أدب واقتص كما تريد يا رب؛ لأنك لا تعذبني كما يستحق هذا الأثيم)(١).

فقد تبين من هذه النصوص أن المسيح عليه السلام حث أتباعه على التوبة من الخطايا وأمرهم أن يعفو بعضهم عن بعض، كما تبين أنه جاء ليعلمهم كيف يعودون إلى الله ولم يقل لهم في يوم من الأيام أنه جاء من أجل أن يمحو الخطيئة البشرية.

يقول الدكتور/ أحمد غنيم: (إننا نجد عند السيد المسيح عليه السلام حديثا بل أحاديث عن الخطية وعن الخطايا، ولكن أية خطيئة وأي خطايا هي؟ إنها ـ كما تصرح سائر النصوص بوضوح ـ تلك الخطيئة والخطايا التي يرتكبها الناس أنفسهم بما تقترف أيديهم وألسنتهم ولكن دون إشارة ولا تلميح من قريب ولا من بعيد إلى خطيئة سابقة موروثة عن أبيهم آدم وعن أمهم حواء، ترى هذا صريحا غاية الصراحة في كافة أقوال المسيح عليه السلام كما وردت في سائر الأناجيل)(٢).

يقول الأسقف دافيد براون: (في الأيام الأولى لخدمته العلنية غفر المسيح لبعض الناس خطاياهم، دون أن يشير إلى أي ذبيحة أو تقدمة)(٣)، وبين أن له سلطانا أن يغفر الخطايا وهو يغفرها بمجرد كلمة مثل (مغفورة لك خطاياك) ثم هو يعلم الناس أن شفاء المفلوج أشد من غفران الخطايا بكلمة، وهذا يوضح أن فكرة سفك دم المسيح على الصليب باعتبارها ضرورة لمغفرة الخطايا إنما هو زعم لا أساس له من الصحة، ثم إنه عليه السلام أمر أتباعه بالإكثار والمداومة على التوبة من خطاياهم وأن يطلبوا المغفرة من الله وحده فقال: (إن غفرتم للناس زلاتهم فإن أباكم السماوي

(١) ذبيحة الاعتراف صـ ٤١،٤٠.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٩، مصادر الوحي الإنجيلي جـ٢/ ٥١٦.

(٣) يو: ٢٠ / ٢٣،٢٢.

يغفر لكم أنتم أيضا زلاتكم، أما إن لم تغفروا للناس زلاتهم فلن يغفر لكم أبوكم زلاتكم)[١].

يقول الأنبا ساويرس: أتظن في نفسك أن مخلوقا يغفر خطية أو يعتق أحدا من عبودية إبليس، لو كان لمخلوق استطاعة ذلك لسمي خالقا، وما نزل أحد من المخلوقين إلى الجحيم، بل كانوا كلهم يغلبون إبليس، وينعتقون من سلطانه، ولم يكن للمخلوقين استطاعة ذلك، من أجل كونهم من بني آدم خطاة، مغلوبين من الشيطان، وليس لواحد منهم القدرة على أن يخلص نفسه فضلا عن غيره)[٢][٣][٤].

كما أن المسيح لم يقل بأن يعترف المخطئ للقسيس، إنما طلب بالاعتراف بالخطيئة لمن أخطأ الإنسان إليه، وإن كان المخطئ هو القسيس نفسه، وهو ما يقصد من الاعتراف فيما استدلوا به على التوبة.

والنصارى ينسبون تأسيس سر التوبة إلى المسيح، وأنه أسسه بعد قيامته من بين الأموات[٥]، حيث نفخ في وجوه تلاميذه قائلا: (اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)[٦]، وبالرغم من خطئهم في فهم النص إلا أنه لا أساس له من الصحة؛ لأنه أضغاث أحلام وهو من الأحلام الكثيرة التي رآها كتابهم في نومهم أو في يقظتهم، وأثبتوها في كتبهم ونسبوها للمسيح.

أما قاصمة الظهر فهي زعمهم بأن إرادة الرؤساء الروحيين ملزمة لله كإلزامها

---

(١) متى: ١٨ / ١٨.

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق صـ ٣٤٤.

(٣) راجع برنابا ١٠١ / ١ -٨، ١٠٢ / ١ -٧.

(٤) ذبيحة الاعتراف صـ ٤١،٤٠.

(٥) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٦٩، مصادر الوحي الإنجيلي جـ٢/ ٥١٦.

(٦) يو: ٢٠ / ٢٢،٢٣.

للناس، وأن مشيئة الله خاضعة لمشيئتهم وعلى ذلك استدلوا بما جاء في إنجيل متى: (الحق أقول لكم: ما تربطونه في الأرض يكون مربوطا في السماء، وكل ما تحلونه في الأرض يكون محلولا في السماء)[١] (إن قلت: إن الرؤساء تغفر الخطايا اقتفاء بما فعله عيسى عليه السلام مع هذه المرأة قلت: على فرض صحة الرواية المذكورة أن المسيح غفر لهذه المرأة التي كانت من قبل خاطئة علنا؛ لأنها تابت، واعترفت بخطاياها علنا، أمام المتكئين في الوليمة ولم يختل بها مع كون الأساقفة والرهبان والقس والمطران لا تقاس عصمتهم بعصمة عيسى عليه السلام. نعم يقال: إن جواز اختلاء الرؤساء الروحانيين بالغواني والعذارى كان بإجماع الأساقفة بعد القرن الأول: وهو مردود من علمائهم، قال إمام فرقة البروتستانت (لوطر): إن الحواري ليس له أن يعين حكما شرعيا من جانب نفسه؛ لأن هذا المنصب كان لعيسى عليه السلام فقط)[٢].

إن المسيح عليه السلام أمر أتباعه بالندم على ما فعلوا من معاص[٣]، ويطلب الغفران من الله، وأن يبادر إلى فعل الخيرات، ولم يعطهم براءة من النار ولا رفع عنهم عقوبة كما فعل ويفعل النصارى من تبرئة الخاطئ من ذنبه مقابل شراء صك الغفران وتوقيعهم العقوبات الكنسية التي شرعوها من عند أنفسهم، والتي ما أنزل بها من سلطان.

(يا معشر الأساقفة الجاهلين، والقسيسين المتحكمين من أنتم حتى تكونوا مشرعين؟ أأنتم عقاب رب العالمين؟ أحصلتم على رضاه أجمعين؟ بل ينبغي أن تتحققوا أنكم في العذاب خالدون حيث كفرتم برسالة سيد المرسلين مع ما دلت عليها الشواهد والبراهين، فلقد صدق الله وهو أصدق القائلين، حيث قال مخبرا عن الأحبار والقسيسين: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ

---

(١) متى: ١٨ / ١٨.

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق صـ ٣٤٤.

(٣) راجع: برنابا ١٠١ / ١-٨، ١٠٢/ ١-٧.

مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[(١) ٢].

إن المسيح عليه السلام يتبرأ يوم القيامة مما نسبه إليه النصارى، ويعلن أن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب لمن يشاء ويعذب من يشاء: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[٣].

إن ما ينسبه النصارى للمسيح عليه السلام مما يتصل بسر التوبة الذي تمارسه الكنائس وكذلك ربطهم بين صَلبه ومغفرة الخطايا إنما هي خرافات وأقوال لا أساس لها من الصحة؛ إن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[٤] ويقول: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[٥] ويقول تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[٦].

إن الله هو خالقنا ورازقنا، وهو الذي يغفر ذنوبنا جميعا، إن الله تعالى قريب من الإنسان، إنه يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[٧]، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ

(١) سورة المائدة: الآية: (١٨).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من أوهام ص ٤٠٩.

(٣) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٤) النساء: الآية (١١٦).

(٥) الزمر الآيتان: (٣٥- ٥٤).

(٦) المائدة: الآية: (٣٩).

(٧) سورة البقرة الآية: (١٨٦).

ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١] وقد شرط الله في قبول التوبة أن تكون من قريب، وهو مثل شرط عدم الإصرار فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾[٢].

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[٣] فإذًا الله أقرب إلى الإنسان من نفسه التي بين جنبيه ويعلم ما يجول بخاطره، فلماذا يقبل الإنسان وسيطا بينه وبين ربه أو ينتظر المغفرة من أحد سواه؟

إن باب التوبة في الإسلام مفتوح لكل من يطرقه من بني آدم، بقبل توبة التائب بندمه على ما فرط منه، ومعاهدة ربه على عدم العودة إلى ما يغضبه، وقد جعل الإسلام طريق التوبة هو طريق الحياة؛ ولهذا جعل المبادرة إلى العمل الصالح، وفعل الحسنات، تمحو السيئات كما يمحو ضوء الشمس ظلام الليل، وإذا اقترن العمل بالإخلاص وقوة اليقين كان أزكى للنفس، وأبقى وأطهر وكانت المغفرة ماحقة للذنوب جميعا، ومن ثم كانت دائمًا مقترنة بالعمل الطيب: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[٤]، ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[٥].

(١) سورة آل عمران الآية: (١٣٥).

(٢) سورة النساء الآية: (١١٧).

(٣) سورة ق- الآية: (١٦).

(٤) سورة الأنعام الآية: (٥٤).

(٥) سورة طه الآية: (٨٢).

ومن مضلات الفتن أن يفتن العبد فيضل عن سبيل الله وهو يحسب أنه مهتدٍ، وهؤلاء النصارى ضلوا عن سواء السبيل، وفتنهم قساوستهم عن هداية الله، وصدَق فيهم وفي أمثالهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧ ﴾[1] وقوله: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[2] وقوله: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ ﴾[3].

۞۞۞۞۞۞۞

(١) سورة الزخرف الآيتان: (٣٦، ٣٧).

(٢) سورة فاطر الآية: (٨).

(٣) سورة الكهف الآيتان: (١٠٣، ١٠٤).

الفصل الخامس

سر مسحة المرضى
وموقف الإسلام منه

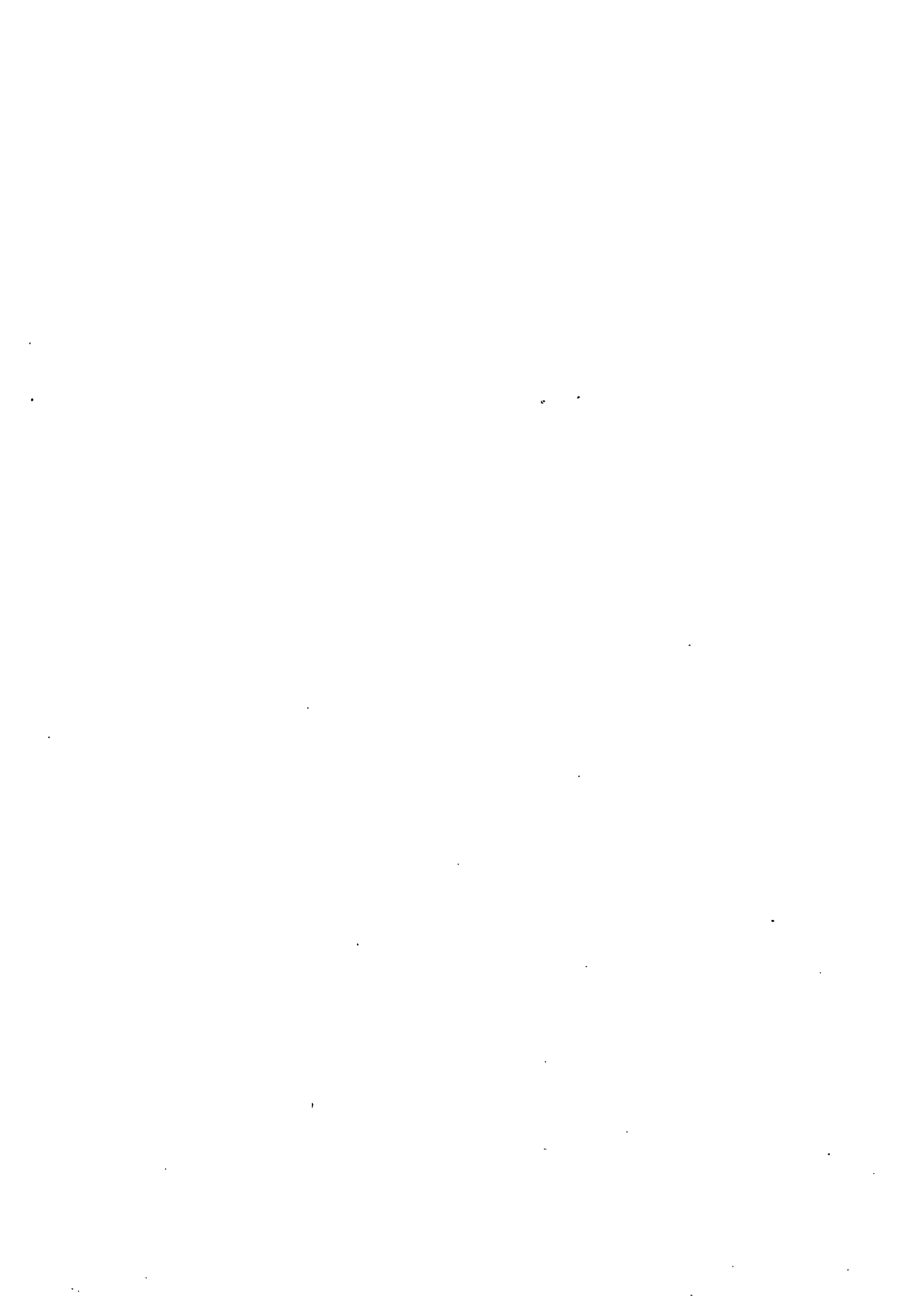
المبحث الأول: تعريف مسحة المرضى وبيان أدلتها عند النصارى.

المبحث الثاني: مسحة المرضى عبر العصور النصرانية.

المبحث الثالث: أهمية مسحة المرضى وكيفية ممارستها.

المبحث الرابع: الكنائس النصرانية ومسحة المرضى.

المبحث الخامس: موقف الإسلام من سر مسحة المرضى.



المبحث الأول

تعريف مسحة المرضى وبيان أدلتها عند النصارى

(١) تعريف مسحة المرضى:

أ- التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب: المرض: السقم نقيض الصحة يكون للإنسان والبعير... قال سيبويه: أمرض الرجل جعله مريضا، ومرضه تمريضا قام عليه.

ووليه في مرضه وداواه ليزول مرضه... وقال غيره: التمريض: حُسن القيام على المريض: وأمرض القوم إذا مرضت إبلهم، فهم ممرضون[١].

والمرض: السقم، وبابه طرب، و(أمرضه) الله (مرضه تمريضا) قام عليه في مرضه، والتمارض: أن يرى من نفسه المرض وليس به مرض، وعَيْن (مريضة) فيها فتور[٢].

ب- تعريف مسحة المرضى في الاصطلاح الكنسي:

جاء في معجم اللاهوت الكتابي: أن المرض يوحى قبل كل شيء بحالة ضعف وهزال فتنحصر فيما يمكن رؤيته من إصابات جلدية أو جروح أو كسور أو حمى واضطراب، وبين الأمراض المذكورة في الكتاب المقدس ضعف البصر، والعمى والعقم والدمامل، وبياض العين والجرب والكلف والبرص والكسر المبثور وقرحة مصر والبواسير والحكة والجنون والقرحة الخبيثة والفالج والحمى والصرع وضربة الشمس من العلاجات

(١) لسان العرب جـ٦/ ٤١٨ وما بعدها.

(٢) مختار الصحاح ص ٦٢١، راجع: القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم جـ٢/ ٢٣٣.

المستعملة إذ ذاك العصائب والزيت والزيت الممزوج خمرا، والاستحمام بالزيت والدهون والمراهم واللصق وأصول النبات والأوراق[١].

وعرَّف كُتَّاب النصرانية سر مسحة الزيت بعدة تعريفات منها:

(إنه سر يَمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس ويستمد له الشفاء من الله روحيا وجسديا)[٢] (أو هو سر تحل فيه النعمة بواسطة المسيح بالزيت والصلاة وبخدمة الكاهن على كل من كان يصيبه مرض خطير من المعمدين فتغفر له خطاياه، وتزداد قوة نفسه)[٣] ويعرفه حبيب جرجس بقوله: (هو سر مقدس ينال به المريض المؤمن شفاء أمراضه الروحية والجسدية؛ إذ يمسحه الكاهن بزيت مقدس ويستمد له النعمة الإلهية ويسمى سر الزيت المقدس)[٤].

ومن أسماء هذا السر بالإضافة إلى مسحة المرضى: سر القنديل، وسر الزيت المقدس[٥] وزيت المسحة أو المسحة المقدسة، زيت الصلاة ويطلق عليها الكاثوليك المسحة الأخيرة[٦].

أدله النصارى على مسحة الزيت:

يذهب النصارى إلى القول بأن المسيح عليه السلام أسس مسحة المرضى وأعطى لتلاميذه ورسله وللكهنة السلطان أن يشفوا المرضى، ويستدلون على ذلك بما جاء من نصوص في

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ٧٢٣ بتصرف، وراجع قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧٣.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٠، راجع: الدين المسيحي ص ٢٨١٠.

(٣) المسيحية في العصور الوسطى ص ١٠٥.

(٤) أسرار الكنيسة ص ١٢٨ وراجع: القيم الروحية في سر مسحة المرضى جـ٦/ ٩.

(٥) راجع: القيم الروحية في سر مسحة المرضى جـ٦/ ٩.

(٦) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ٣٨.

العهد الجديد؛ منها ما ذكره متى في إنجيله أن المسيح (دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض، وكل ضعف... اشفوا مرضى طهروا برصا أقيموا موتى، أخرجوا شياطين، مجانا أخذتم مجانا أعطوا)[١].

وفي إنجيل لوقا: (وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم... اشفوا المرضى الذين فيها...)[٢] ومنها ما قاله مرقس في إنجيله: إن الرسل (دهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم)[٣] وقال يعقوب: (أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له)[٤].

يقول حبيب جرجس: (فمن هذا القول يتضح أن هذا السر مُؤَسَّس من الله، وأن فعله سري؛ فإن يعقوب الرسول يكتب إلى مؤمني عصره مشيرا إلى شيء معروف وواسطة شفائية معلومة لديهم، ويحثهم على استعمالها عند المرضى، ومن المعلوم أن الرسل الأطهار لم يعملوا شيئا من تلقاء أنفسهم، بل كل ما علموه ونادوا به إنما تعلموه من السيد المسيح واستلموه منه ونادوا به ملهَمين من الروح القدس؛ لأنهم وكلاء أسرار الله لا مؤسسيها)[٥].

أي أن المسيح هو المؤسس للأسرار وأن الرسل الملهمين من الروح القدس [بزعم النصارى] هم وكلاء المسيح من بعده ولهم حق تنفيذ وممارسة الأسرار.

كما يستدل النصارى على مسحة المرضى بأقوال قديسيهم، ومنها قول يوحنا

(١) متى: ١٠/ ١، ٨.

(٢) لوقا: ١٠/ ٨، ٩.

(٣) مرقس: ٦/ ١٣٠.

(٤) يعقوب: ٥/ ١٤، ١٥.

(٥) أسرار الكنيسة ص ١٢٨.

فم الذهب: (إن الوالدين يلدوننا لهذه الحياة، أَمَّا الكهنة فللحياة الأخرى، أولئك لا يستطيعون أن ينقذونا من الموت الجسدي ولا أن يزيلوا مرضًا يتسلط علينا، وأما هؤلاء فكثيرا ما خلصوا نَفْسًا مريضة وقريبة من الهلاك وخففوا آلامًا من البعض ومنعوا العذاب عن الكثيرين ليس بالتعليم والإرشاد فقط بل بمساعدتهم بالصلوات أيضا)[1].

(١) صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، أسرار الكنيسة ص ١٣١.

المبحث الثاني

مسحة المرضى عبر العصور النصرانية

إذا كان النصارى يُرجعون تأسيس سر مسحة المرضى إلى المسيح عليه السلام، إلا أنهم يصرحون بعدم معرفة زمان محدد لنشأة وممارسة هذا السر، يقول «حبيب جرجس»: قد مارس الرسل هذا السر عندما أرسلهم المسيح للكرازة كما قال مرقس الإنجيلي: (ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم)[١] وإن كنا لا نعلم الوقت الذي فيه أسس الرب يسوع هذا السر وأمر به، فلا عجب في ذلك؛ لأن أشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع لم تكتب واحدة واحدة)[٢].

فهذا اعتراف صريح بأنهم لا يعرفون وقت بدء تأسيس هذا السر، والأقوى والأدهى من ذلك أنهم يعترفون بأن أمورًا كثيرة لم تُدون عن المسيح؛ إذن فما ينسبونه إلى المسيح لا أساس له من الصحة.

ويرجع المؤرخ النصراني «شارل جنيبير» مسحة المرضى إلى أنها كانت ضمن تقاليد اليهود الأساسية[٣]، ومع كل ما تقدم إلا أن النصارى يقولون بأن مسحة المرضى كانت مستعملة منذ الرسل مستدلِّين بأقوال قديسيهم على ذلك؛ فمنهم مَن اكتفى بإسناد سر المسحة إلى كلام يعقوب ومنهم من سماه عملاً سريًا، ومنهم من سماه سرًا[٤].

أما عن الممارسات والتطورات التي مرت بها مسحة المرضى عبر العصور النصرانية فقد ذكر (تسيو دول ري - مرمية) في كتابه «الأسرار حياة الإيمان»، ويمكن ذكرها

(١) مرقس: ٦/ ١٣.

(٢) أسرار الكنيسة ص ١٢٨.

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٥١.

(٤) راجع: أسرار الكنيسة ص ١٣١، تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧١ وما بعدها.

بإيجاز: فهو يذكر أن الكنيسة عاشت مسحة المرضى عبر العصور والثقافات بطرق متنوعة؛ فقد كانت تمارس في القرن الثاني والثالث بأن يقوم الكهنة والأساقفة بزيارة المرضى ويضعوا عليهم الأيادي ويصلي الكهنة ومساعدوهم، واستعملوا خدمة الزيت المقدس للمرضى، وكانت العبارات والطقوس متروكة للإلهام الشخصي ـ أي أنه لم يكن معروفًا لدى القساوسة وقتئذ تراتيل وطقوس معينة.

ويذكر أنه في القرن الرابع ظهرت صلوات تبريك الزيت المقدس على يد الأسقف؛ فقد جاء في «التقليد الرسولي» لهيبوليت: (إذا قدم أحد زيتا فليشكر الأسقف كما عند تعديمه الخبز، في صلاة كهذه: (أيها الإله، إنك تقدس هذا الزيت، الذي به مسحت الملوك والكهنة والأنبياء، لخدمة من يقبلونه، فليمنح التعزية كل من يذوقه، والصحة كل من يستعمله).

ويستعمل الزيتَ المقدسَ المريضُ أو المقعدُ المحتاجُ إلى مساعدة جسدية أو أدبية أو روحية، والخاطئُ أيضا، ويعتبرون هذا الزيت مباركا لتقديس الأسقف له بإحلال الروح القدس عليه.

ويذكر المؤلف صلاة البركة التي كانت تُمَارَس في الشرق كما جاءت في كتاب صلوات سيرابيون هي: (نسألك أن ترسل من علو سمائك قوة ابنك الوحيد الشفائية على هذا الزيت... لكي يبعد كل مرض وكل عجز.... ولكي يمنح المرضى النعمة وغفران الخطايا وليكن لهم دواء للحياة والخلاص ليجلب لهم الصحة وكمال النفس والجسد والروح والقوة الكافية لكي يتمجد اسم ابنك يسوع المسيح الذي صُلب وقام من الموت لأجلنا، والذي حمل أمراضنا وضعفنا والذي سوف يأتي ليدين الأحياء والأموات.

ثم يذكر المؤلف الصلاة التي كان يمارسها الرومان في القرن الخامس، والتي كان لها

تأثير في كل كتب الغرب الطقسية، وهي: (أَرْسِلْ يا رب، من علو السماء الروح القدس إلى زيت الزيتون هذا، الذي تنازلت فعصرته من هذه الشجرة الصلبة لكي يسعف أجسادنا ويصبح ببركتك لمن يمسح به أو يبشر به، دواءً للروح والجسد، وليطرد كل ألم وكل ضعف وكل مرض...).

وهذا الزيت كان يحفظه الغرب في البيوت ويستعمله المريض بحسب الطرق المناسبة خارجية كانت أم داخلية، أي أن القسس يباركون الزيت، أما ممارسة المسحة فيمارسها المريض بنفسه أو أي إنسان ولا يشترط قسيسًا، ويوضح ذلك ما كتبه البابا زخيا الأول سنة ٤١٦ م بصدد رسالة يعقوب: (هل فيكم مريض...) كتب يقول: (لا شك في أن هذا النص يعني المؤمنين المرضى الذين يحق لهم أن يمسحوا بالزيت المقدس، بهذا الزيت الذي كرمه الأسقف بحق ليس للإكليروس فحسب، بل للمسيحيين كافة، أن يستعملوا المسحة إذا ما اشتد المرض عليهم أو على ذويهم.... للأسقف وحده حق إعداد هذا الزيت بالطبع لا يجوز منحه) للخطاة «التائبين» لأنه «سر» فالذين نحرمهم من سائر الأسرار كيف نمنحهم شيئا مثل هذا؟

ويقول القديس سيزير أسقف آرل في القرن الخامس: (كلما عرض مرض ما، فليتناول المريض جسد المسيح ودمه، وليطلب بتواضع وإيمان الزيت الذي كرسه الكهنة، وليمسح به جسده ليتم فيه ما كتب، ترون أيها الإخوة أن مَن أسرع متوجهًا إلى الكنيسة وهو مريض يستحق صحة الجسد ومغفرة الخطايا).

وهذا يؤكد أنه من حق أي مريض أن يمارس مسحة الزيت بنفسه دون الرجوع إلى القس، إلا أن زخيا الأول كتب أن المسحة لا تمنح للخطاة إلا بعد تصالحهم، وليس لهم حق قبول المسحة إلا بعد المصالحة على فراش الموت؛ مما جعل هذه المسحة مرتبطة بالموت (فمنذ القرنين الحادي عشر والثاني عشر لم يعودوا يمنحون المسحة إلا على فراش

الموت وبعد التوبة والمناولة الأخيرة لكي تكون المصالحة تامة، وهكذا أصبحت المسحة (السر الأخير)، (المسحة الأخيرة).

وبناء على ذلك اقتصر منح المسحة على المرضى الذين يشرفون على الموت دون غيرهم، وهذا ما أكده مجمع ترانت.

وفي سنة ١٦١٤م نشر بولس الخامس كتاب: «الطقوس الرومانية» ذكر فيه الصلوات التي تُمارس عند مسحة المرضى، وهذه الصلوات: (اشف يا فادينا بنعمة الروح القدس ضعف هذا المرض ضد جراحة، واغفر خطاياه، واطرد عنه كل ما يؤذي نفسه وجسده، أَرْجِعْ إليه برحمتك صحة النفس والجسد، حتى إذا ما شفي بإسعاف محبتك يستطيع أن يرجع إلى أعماله العادية، نرجوك يا رب انظر بعطفك إلى عبدك الرازح تحت وطأة المرض وأعد القوة إلى هذا الحي الذي خلقت فليطهره المرض وليرجع إلى صحته بحنوك... رب خلص عبدك من المرض ورد له الصحة لتقمه يمينك ولتشدده قوتك، ولتحمه قدرتك، رُدَّهُ إلى جماعتك المقدسة متمتعًا بكل ما ترغب له..).

ولما كان القساوسة يمارسون مسحة المرضى عند مشارفة الشخص على الموت فقد أحدث ذلك صدمة نفسية بين المرضى الذين يتمنون الشفاء وبين القساوسة الذين يذكرونهم بالموت كما أحدث نزاعًا بين مرشدي المستشفيات والقساوسة.

ولقد اتخذ المجمع الفاتيكاني الثاني موقفًا من هذا النزاع وجاء فيه: (أن المسحة الأخيرة التي يمكن أن تسمى أيضا ومن الأفضل مسحة المرضى ليست فقط سِرَّ الذين يكونون في خطر الموت الشديد؛ وبالتالي فإن الوقت المناسب لقبولها هو حَقًّا عندما يبدأ المؤمن بالدخول في خطر الموت نتيجة ضعف جسدي أو بسبب الشيخوخة).

(سر المنازعين) هو القربانة الأخيرة: يمنحونه المحكوم عليهم بالموت والغرقى الذين لا خلاص لهم، والجنود قبل المعركة... أما المسحة فهي ليست لهم: إنها للمرضى).

وفي كتاب الأسرار الجديد في مقدمته الرعوية، يوضح:

- قبل كل عملية جراحية بالإمكان منح المسحة كلما كان المرض شديداً وكان سبب هذه لعملية.
- منح المسحة كل شيخ بدأت قواه تنحط و إن لم يكن مصاباً بأي مرض شديدٍ.
- بإمكان هذا السر أن يقوي الولد الواعي: أي القادر على أن يتناول بفائدة.
- يمنح المرضى الذين فقدوا وعيهم أو بدءوا بالهذيان إذا كان ما نعرف عن إيمانهم يسمح لنا بأن نظن أنهم لو كانوا واعين لطلبوا السر.
- لكن لا يمنح عندما يُدْعَى الكاهن إلى مريض ويجده قد مات، مهمته عندئذ هي أن يَضْرَع إلى الله كي يغفر للميت ويقبله في ملكوته.
- بالإمكان منح هذا السر أكثر من مرة إذا كان المريض قد شُفِيَ من مرضه الذي قبل فيه المسحة سابقا، أو إذا طالت حالة المرض وأصبحت خطرة من جديد.

ووضع المجمع ثلاثة طقوس: طقسًا للمسحة وحدها، وطقسًا للمناولة الأخيرة وكتابَ رُتَبٍ متكاملاً ـ حلة ـ مسحة ـ مناولة ـ في حالة تدهور الصحة المفاجئ والخطر.

ويزيد المجمع: (ولتأت عدد المسحات موافقًا للظروف ولبعد النظر في الصلوات المختصة برتبة مسحة المرضى لكي تأتي مطابقة للأوضاع المختلفة للمرضى الذين يقبلون هذا السر.

وفي تلك العصور كان الكاهن يقول في الصلاة: يا فلان، بهذه المسحة المقدسة فَلْيُقَوِّكَ الربُّ، بعظيم رحمته بنعمة الروح القدس، ج: آمين.

وبعد أن يحررك من خطاياك فليخلصك و ينهضك، ج: آمين[١].

وبعد فقد اتضح من خلال هذا العرض لمسحة المرضى عبر العصور النصرانية أنه لا توجد صيغة معينة للأدعية التي يقولها الماسح للمريض كما أنهم يختلفون فيمن يُطلب منه الشفاء؛ فمرة يطلبون الشفاء من الله الأب، ومنهم من يطلبها من المسيح الفادي، ومنهم من يطلبها من الروح القدس.

كما يتبين أنهم يختلفون فيمن له حق ممارسة المسحة؛ ففي العصور الأولى كان المريض يمسح نفسه أو يمسحه أحد النصارى، ثم اشترطوا بعد ذلك أن تمارس مسحة المرضى على يد الكاهن.

(١) راجع: كتاب الأسرار حياة الإيمان ص ٣٩٧ - ٤٠٨.

المبحث الثالث

أهمية مسحة المرضى وكيفية ممارستها

[١] أهمية مسحة المرضى:

لمسحة المرضى عند النصارى أهمية تجعلهم يحرصون على ممارستها وأهميتها عندهم:

(١) أن ممارسة مسحة المرضى التي يطلب بها شفاء الجسد تجعل الإنسان يحرص أولا على شفاء الروح، يقول الأنبا غريغريوس: بحكم الرابطة القوية بين الروح والجسد فإذا مَرِضَتِ الروحُ مَرِضَ الجسدُ معها لارتباطهما الوثيق معًا، وبالتالي لا يشفى الجسد إلا إذا شفيت الروح أولاً؛ لذلك يتطلب الرب من هؤلاء المرضى الذين حصدوا في أجسادهم نتائج خطاياهم فمرضوا في أجسادهم؛ لذلك يأمرهم صراحة بالاعتراف على الكاهن، والاعتراف المطلوب هو شكوى النفس من النفس أمام الله على يد الكاهن باعتباره مُمَثِّلاً للسلطة الإلهية[١] وبذلك يربطون بين مسحة المرضى والتوبة ويجعلون بين الشفاء والمغفرة تلازمًا لا ينفك.

(٢) تُعتبر مسحة المرض عندهم اختبارًا للعبد المريض؛ فقد جاء في معجم اللاهوت الكتابي: (يهدف اختبار المرض إلى إرهاف الشعور بالخطية عند الإنسان، وإننا نلاحظ ذلك بالفعل في مزامير التضرع؛ إذ أن طلب الشفاء مصحوب دائما بإقرار بالأخطاء)[٢].

(٣) يعتقدون أن الروح القدس يوحِّد بين الكهنة خادمي الأسرار وعائلة المريض وأصدقائه فيكونون أشبه بكنيسة محلية صغيرة يقودها الروح القدس، روح

---

(١) القيم الروحية في سر مسحة المرضى جـ٦/ ١٠، ١١ راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ٣٨٨ وأسرار الكنيسة ص ١٣١.

(٢) معجم اللاهوت الكتابي ص ٧٢٣.

الحب الذي يطلب إلى الأب ليعمل في حياة المريض و يشترك الشعب مع الكاهن في هذا العمل وتلك المشاعر[١].

[٢] ممارسة مسحة المرضى:

تشترط الكنيسة لممارسة سر مسحة المرضى شروطًا منها ما يختص بمن يمارس المسحة، ومنها ما يختص بالمريض وهي كما يلي:

١- للقساوسة حق ممارسة سِرِّ مسحة المرضى؛ إذ تعتبرهم الكنيسة خلفاء الرسل ومن ينوب عن القساوسة من الكهنة.

٢- يشترط عند ممارسة السر أن يكون الكاهن والمريض صائمين و يكون الصوم بالامتناع عن الطعام فترة لبضع ساعات، وقد تصل إلى ست ساعات، والغرض منه إعداد الجسد في حالة من الجوع تتناسب مع جوع النفس للبر؛ مستدلين بما جاء في إنجيل متى: (سعداء هم الجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون)[٢].

٣- لا يمارس السر إلا إذا كان هناك مرض حقيقي؛ لأن لكل سر من أسرار الكنيسة السبعة اختصاصًا وعملاً يتميز به ووظيفة تختلف عن وظيفة غيره، فسر مسحة المرضى هو السر الخاص بشفاء الأمراض الجسدية المتسببة عـن علل روحية ونفسية[٣].

٤- يُشترط قبل ممارسة مسحة المرضى توبة المريض واعترافه بخطاياه؛ لأنهم يعتبرون المرض سببه الخطيئة التي يفعلها الإنسان، يقول الأنبا غريغوريوس: يتطلب الرب من هؤلاء المرضى الذين حصدوا في أجسادهم نتائج خطاياهم فمرضوا في

(١) راجع: عطية الروح القدس ص ٥٨.

(٢) متى: ٥/ ٦.

(٣) القيم الروحية في سر مسحة المرضى ص ٣٢ بتصرف.

أجسادهم أن يتوبوا أولاً عـن خـطاياهم لشفاء الروح قبل أن تُشفى أجسادهم؛ لذلك يأمرهم صراحة بالاعتراف على الكاهن، والاعتراف المطلوب هو شكوى النفس من النفس أمام الله على يد الكاهن باعتباره ممثلا للسلطة الإلهية[١].

وبعد التحقق من هذه الشروط يُحضر الكاهن الزيت المخصص للمسحة ويقدسه ثم يمسح به المريضَ ويصلي صلاة القنديل[٢] التي تشتمل على سبع صلوات من الأولى إلى السابعة، ويقول الكاهن عند تقديس الزيت: (أيها الإله، إنك تُقدس هذا الزيت الذي به مسحت الملوك والكهنة والأنبياء لخدمة مَنْ يقبلونه فليمنح التعزية كل من يذوقه والصحة كل من يستعمله)[٣].

ومن صيغ مباركة الزيت الآخر يقول الكاهن: (أيها الرب الرءوف الشافي أنفسنا وأجسادنا قَدِّسْ هذا الزيت ليكون لكل الذين يمسحون به شفاء لهم من أدناس الروح وآلام الجسد لكي بهذا يتمجد اسمك القدوس؛ لأن لك المجد والخلاص ونرسل لك إلى فوق التمجيد أيها الأب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين)[٤].

- ويعتبر هذا الزيت المقدس سِرًّا عند النصارى ويحمل قوة إلهية.
- تعطى هذه القوة بالتكريس والذي يكرس هذا الزيت هو الأسقف.
- وهذا الزيت المقدس خاص بالمؤمنين المعمدين التائبين.
- هذا الزيت وقف على المرضى[٥].

---

(١) المرجع السابق صـ١١.

(٢) تُسمى صلاة القنديل بهذا الاسم؛ لأنه عند ممارسة مسحة المرضى يُوضَع في الوسط قنديل به سبع فتائل وتُوقد واحدة في بداية كل صلاة من الصلوات السبع.

(٣) الأسرار حياة الإيمان ص ٣٩٨.

(٤) صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ١٣٤.

(٥) الأسرار حياة الإيمان ص ٤٠٠.

الصلاة الأولى:

يبدأ الكاهن بالصلاة الرَّبِّيَّة وصلاة الشكر والمزمور الخمسين ثم يقول: أوشية المرضى وأيضا فلنسأل الله ضابط الكل أبا ربنا و إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر: اذكر يا رب مرض شعبك.

يقول الشماس: اطلبوا عن آبائنا و إخوتنا المرضى بكل مرض إن كان في هذا المسكن أو بكل موضع لكي يُنعم المسيح إلهنا عليهم وعلينا بالعافية والشفاء ويغفر لنا خطايانا يقول الشعب: يا رب ارحم.

ثم يتم الكاهن بقية أذكاره في الصلاة ويدعو الشعب من ورائه.

يقول الكاهن وهو يرشم الصليب في كل مرة يرد الشعب: يا رب ارحم.

من أجل السلام السمائي من الرب نطلب يا رب ارحم.

من أجل تقديس هذا الزيت من الرب نطلب يا رب ارحم.

من أجل تقديس هذا البيت والساكن فيه من الرب نطلب يا رب ارحم.

من أجل تقديس آبائنا و إخوتنا المسيحيين من الرب نطلب يا رب ارجم.

من أجل بركة هذا الزيت وتقديسه من الرب نطلب يا رب ارحم.

أيها الرب الرءوف المتحنن أعلن رحمتك لكل أحد، وأظهر قوتك في خلاص الآتين إلى مسحة كهنتك بأمانة واشفهم بنعمتك، وكل الذين سقطوا في سهام الأوجاع أنقذهم من سهام العدم ومضايقة الأفكار وآلام الجسد وسائر المكروهات الخفية والظاهرة بشفاعة والدة الإله وسؤال الملائكة ودم الشهداء وطلبات القديسين ورؤساء الآباء ومصاف الشهداء

نسألك يا رب من أجل عبدك (فلان) لتحمل عليه نعمة روح قدسك وطهره من جميع خطاياه، واغفر له جميع زلاته وَنَجِّهِ من كل شدة وخلصنا كلنا من الشر والشرير آمين.

ثم يعظ الكاهن الحاضرين ثم يقول التقديسات، وأوشية الإنجيل ثم المزمور ١/٦، ٦ ويقول الكاهن الثلاثة أواشي الصغار وقانون الإيمان[1].

الصلاة الثانية:

تُوقد الفتيلة الثانية ويقول الكاهن: وأبانا الذي في السماوات ثم يقول أوشية المسافرين: وأيضا فلنسأل الله ضابط الكل أبا ربنا إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر اذكر يا رب آباءنا و إخواننا المسافرين.

يقول الشماس: اطلبوا عن آبائنا و إخوانا المسافرين، والذين يُضمرون السفر في كل موضع، لكي يسهل طرقهم أجمعين، إن كان في البحر أو الأنهار أو البحيرات أو الطرق المسلوكة أو المسافرين بكل نوع لكي يردهم المسيح إلهنا إلى مساكنهم سالمين، ويغفر لنا خطايانا.

يقول الشعب: يا رب أرحم.

يقول الكاهن: والذين يضمرون السفر في كل مكان سهل طرقهم أجمعين إن كانوا في البحر أو الأنهار أو البحيرات أو الطرق المسلوكة أو السالكين بكل نوع، كل واحد بكل موضع ردهم إلى ميناء هادئة ميناء الخلاص.

تفضل اصحبهم في الإقلاع واصحبهم في السير، ردهم إلى منازلهم بالفرح فرحين وبالعافية معافين.

---

(١) صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ١٣٠ - ١٣٧.

اشترك في العمل مع عبيدك في كل عمل صالح، ونحن أيضا يا رب غربتنا التي في هذا العمر احفظها بغير ضرر ولا عاصف ولا قلق إلى الانقضاء.

يقول الشعب: يا رب ارحم.

ثم يقول الكاهن البولس من رسالة رومية ١٥/١-٧، ثم يقول الثلاثة التقديسات وأوشية الإنجيل ثم يقرأ المزمور ١٠١: ١-٢، ثم من إنجيل لوقا ١٩/ ١-١٠، ثم يطلب الكاهن الغفران من الرب للشَّخْصِ المريض.

الصلاة الثالثة:

تُوقد الفتيلة ويقول الكاهن:

وأبانا الذي في السماوات، ثم أوشية الأثمار التي تناسب عادة يوم الجمعة ختام الصوم الذي تقيم فيه الكنيسة صلاة مسحة المرضى لكل الشعب.

يقول الكاهن: تفضل يا رب أهوية السماء، وثمرات الأرض في هذه السنة باركها.

يقول الشماس: اطلبوا عن أهوية السماء ثمرات الأرض والشجر والكروم وكل شجرة في كل المسكونة، لكي يباركها المسيح إلهنا ويكملها سالمة بغير آفة ويغفر لنا خطايانا.

يقول الشعب: يا رب ارحم - يا رب ارحم.

وإذا أقيمت الصلاة في يوم آخر من أيام السنة تقال أوشية المياه أو أوشية الزرع حسب ما يناسب هذا اليوم.

ثم يكمل الكاهن بقية القراءات الخاصة بالصلاة وتشتمل على البولس من كورنثوس

الأولى ١٢/ ٢٨، ٨/١٣ وتقال الثلاثة التقديسات وأوشية الإنجيل، وفي نهايتها يذكر الطلبة التي يدعو فيها بالمباركة والغفران والمسامحة والرحمة للشخص[١] المريض.

وفي الصلاة الرابعة: تُوقد الفتيلة الرابعة، ويقول الكاهن وأبانا الذي في السماوات، ثم تمارس قراءات، وأدعية الصلاة والتقديسات الخاصة بها، ويساعده، الشمامسة ويدعو معه الشعب للمريض وهكذا في الصلاة الخامسة، السادسة، والسابعة[٢].

الصلاة على من عضه الكلب: (صلاة القديس) أبو توبو[٣]:

يأتي الذي عضه الكلب إلى الكاهن ومعه سبع خبزات من الفطير وسبع قطع من الجبن بلا ملح وسبع ثمرات من البلح، وقليل من الزيت والخمر وإناء من الماء ثم يحضر الكاهن سبعة صبيان دون البلوغ ويصلي صلاة الشكر ويرفع البخور بينما يرتل الشمامسة أرباع الناقوس ثم يقولون المزمور الخمسين ثم البولس من كورنثوس ٢/ ١٢ - ١٧ ثم تقال الثلاثة التقديسات وأوشية الإنجيل، والمزمور ٨٤ / ٦ -٥ ثم من إنجيل متى ٢١/١٥ -٢٨ ثم يقول الكاهن الأواشي الصغار وقانون الإيمان ثم يذكر طَرَفًا من سيرة المسيح ثم يدعو الكاهن للمريض بالشفاء ثم تقال المزامير الآتية: ١٩ يستجيب لك الرب... مزمور ٢٢ الرب يرعاني.... مزمور ١١٨ طوباهم الذين بلا عيب... مزمور ١٢٠ رفعت عيني إلى الجبال.

يقول الكاهن هذه الطلبة: (يا رب اسمع تضرعي أنا عبدك، أطلب إليك اليوم في كل زمان وفي هذه الساعة ترأف على عبدك (فلان) من الكلب حتى لا يمرض ولا يصير فيه حرج ولا يتألم من سم فمه ولا تجعل لأسنانه علامة في جسده ولا تتغير حواسه

---

(١) راجع: صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ١٤٤ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥-١٥٩.

(٣) أبو (توبو): اسم يوناني معناه الشافي.

ولا تقل روحه، بل يكون ثابتا بقوتك المقدسة ولك ينبغي الإكرام والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين).

ويمسك الأطفال السبعة أيدي بعضهم بعضًا ويدورون حول الكاهن والمريض سبع دوارات وهم يقولون: آمن بأنك ستشفى بالمرء، وأنك ستخلص من دائك بقوة وبفرح من الوهاب المنعم الأول الفائق، لك المجد الآن وكل أوان يا أيها الشافي.

ثم يقول الشماس الذي بين الأطفال للكاهن: السلام لك أيها المعلم فيجاوبه الكاهن قائلا: ولك السلام يا ولدي، ماذا جئت تطلب؟ يرد الشماس قائلا: قد جئت أطلب الشفاء والعافية من عند الله والقديس أبو توبو.

ثم يتناول من الفطير بفمه ويضعه في حجر الذي عضه الكلب، وهكذا يقول جميع الأطفال كذلك ويأخذ منهم اللقم ويضعها في حجر المريض، ثم يأخذها المريض ويفطر منها سبعة أيام ويشرب قليلا من الماء والخمر ويدهن بالزيت المصلى عليه فيبرأ ببركة الله والقديس أبو توبو[١].

وللنصارى الأرثوذكس صلاة التجنيز ـ صلاة الجنازة ـ والخاصة بهم، وهي تختلف باختلاف الشخص الميت؛ فللرجال الكبار صلاة خاصة بهم، وللنساء صلاة خاصة بهم، ولتجنيز الأطفال الذكور صلاة، وللبنات صلاة، وللنساء اللواتي يمتن عند الولادة صلاة خاصة بهن، وللبطاركة والمطارنة والأساقفة صلاة ولتجنيز القمامصة والقسوس صلاة، وللشمامسة صلاة تجنيز خاصة بهم، وكذلك الرهبان والراهبات لكل منهما صلاة تجنيز خاصة به، وعندهم صلاة اليوم الثالث والأربعين والتذكارات، وصلوات التجنيز في أسبوع الآلام[٢].

---

(١) راجع: صلوات الخدمات في الكنسية القبطية الأرثوذكسية ص ١٦٠- ١٦٩.

(٢) راجع: المرجع السابق ص ١٧٣، ٢٤٩.

وللكاثوليك صلاة يَدَّعُونَ أن المسيح تلاها عند ساعة موته يتلونها على من اقترب أجله وهذه الصلاة هي: (قد أتت الساعة يا أبت فمجد ابنك (ابنتك) ليمجدك ابنك. لكي بالسلطان الذي أعطيتني على كل ذي جسد أُعطي الحياة الأبدية أعطيتني إياه... أصلي لأجل مَن أعطيتني: هو لك وكل ما هو لي هو لك كما أن كل ما هو لي وهكذا تمجدت فيه ... والآن هو ماضٍ إليك ...

أعطيته المجد الذي أعطيتني - ليعرف العالم أنك أحببته كما أحببتني، يا أبت أريد أن يكون معي ذاك الذي أعطيتني وأن يتأمل بالمجد الذي أعطيتني؛ لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.

أيها الأب العادل، بينما العالم لم يعرفك هو عرف أنك أرسلتني عرفته اسمك ليكون فيه الحب الذي أحببتني وأكون أنا فيه.

أيها الأموات الأعزاء لقد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله عندما يظهر المسيح الذي هو حياتكم تظهرون أنتم معه أيضا في المجد التام.

إذ بالنسبة إلى جميع المؤمنين بك يا رب لم تُهْدَمْ الحياة بل تتغير وعندما ينتهي مقامهم على الأرض فلهم مقرهم الأبدي في السماء[1].

ويرتب النصارى على صلاة القنديل التي يصليها الكاهن ومساعدوه وعلى المريض فوائد ونتائج منها:

١- شفاء الأمراض الجسدية والروحية.

٢- أن الصلاة اجتماع في البيت ومباركة له ورف البخور فيه زيارة الكاهن للبيت وقراءته للتحليل وصلاة البركة كل هذه فوائد.

(١) الأسرار حياة الإيمان ص ٤٩٢ وما بعدها.

٣- من فوائدها أنها تشتمل على صلوات أخرى كثيرة؛ منها الصلاة الربية وصلاة الشكر والثلاثة تقديسات وصلوات أخرى عديدة لطلب مراحم الله.

٤- ومن فوائدها أنها تشتمل على جميع الأواشي الكبيرة التي تقدم لله رفع البخور ففيها صلوات من أجل المرضى ومن أجل المتنقلين ومن أجل المسافرين ومن أجل الموعوظين، وصلوات من أجل الكنيسة والاجتماعات ومقدمي القرابين ورئيس الدولة[1].

---

(١) راجع: أسرار الكنيسة ص ١٣٥، سنوات مع أسئلة الناس ص ٤٢ القيم الروحية في سر مسحة المرضى جـ٦/ ٣٧٠.

المبحث الرابع

الكنائس النصرانية ومسحة المرضى

١- يتفق الكاثوليك والأرثوذكس على أن مسحة المرضى سر من أسرار الكنيسة السبعة، ويخالفهم في ذلك البروتستانت؛ حيث لا يعترفون بأسرار الكنيسة ومع اعترافهم بالتعميد والعشاء الرباني إلا أنهم يعتبرونهما فريضتين.

يقول الأنبا شنودة الثالث: إن البروتستانت ليست عندهم (صلاة مسحة المرضى سواء اعتبرت سِرًّا من أسرار الكنيسة أم لا، وهم لا يؤمنون بالأسرار أو بأية صلاة طقسية ولا بالصلاة على المرضى كسر كنسي فيه تقديس الزيت والدهن به[1].

٢- تُطلق الكنيسة الكاثوليكية على مسحة المرضى اسم المسحة الأخيرة؛ إذ أنها لا تمارسها إلا عند إشراف الشخص على الموت، أما الكنيسة الأرثوذكسية فتطلق عليها سِرَّ مسحة المرضى أو سر الزيت المقدس؛ إذْ أنها تُمارس عندما يمرض الشخص سواء كان مرضه الأخير أم لا ـ وقد وجه الأرثوذكس النقد للكاثوليك لممارستهم المسحة عند إشراف الشخص على الموت، يقول حبيب جرجس: ما تفعله كنيسة رومية في هذا السر من عدم منحه إلا للمُشرفين على الموت بزعم أنه مسحة أخيرة للمريض حتى إنهم لا يمسحونه إلا عند اقتراب وفاته فهو تعليم غريب مخالِف لقول يعقوب الرسول وأقوال الآباء وعادة الكنيسة القديمة، ولم تبدأ هذه البدعة إلا في القرن الثاني عشر[2].

(١) اللاهوت المقارن جـ١/ ١٨.

(٢) أسرار الكنيسة ص ١٣٥.

٣- تتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة الأرثوذكسية في أن لمسحة المرضى صلاة خاصة بها، إلا أنهم يختلفون في كيفيتها؛ فالأرثوذكس يجعلون لمسحة المرضى صلاة يطلقون عليها صلاة القنديل، وتشتمل على سبع صلوات لكل صلاة منها قراءة خاصة بها، أما الكاثوليك فيصلون صلاة واحدة وإن اختلفت قراءاتها من فقرة إلى أخرى[١].

٤- تختلف كيفية التجنيز عند الأرثوذكس باختلاف الأشخاص الموتى؛ فالرجال والنساء الكبار لكل منهما صلاة تجنيز خاصة به، وكذلك الأطفال الذكور والبنات والنساء اللواتي تمتن عند الولادة والمطارنة والأساقفة والقمامصة والقسوس والشمامسة والرهبان والراهبات لكل منهم صلاة تجنيز تختلف عن الأخرى[٢].

أما البروتستانت فلا يطلبون الرحمة لنفس الميت ولا النياح له كل ما يحدث أن يدخل جثمان الميت إلى الكنيسة لتقرأ بعض الفصول وتلقى العظة لمجرد تعزية أسرة المتوفى أو للاستفادة من الموت ولكن لا يصلون مطلقا من أجل الميت ولا يطلبون مغفرة ولا يسألون الله من أجل أبدية هذا الذي انتقل[٣].

٥- يرتب الكاثوليك والأرثوذكس على مسحة المرضى نتائج إلا أن الكاثوليك يعتبرون هذه النتائج تعود على الشخص عند موته؛ إذ أنهم يمارسون المسحة للشخص المريض المشرف على الموت، أما الأرثوذكس فيقولون بأن فائدة المسحة

---

(١) راجع: صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ١٣٠ وما بعدها، الأسرار حياة الإيمان ص ٤٠٤، ٤٠٨.

(٢) راجع: صلوات الخدمات ص ١٧١ وما بعدها.

(٣) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٦.

تعود على كل الأشخاص الذين يحضرون صلاة القنديل، وأن البيت الذي تمارس فيه الصلاة يبارك بها.

أما البروتستانت فيعتبرون أن القراءة التي تُتلى على الميت بعد موته لا تعود عليه بل هي تعزية لأسرته وللاستفادة من الموت؛ إذ أنهم لا يؤمنون بسر مسحة المرضى ولا يمارسون له طقسا.

المبحث الخامس

موقف الإسلام من سر مسحة المرضى

حتى يتبين موقف الإسلام من سر مسحة المرضى لدى الكنيسة لابد من بيان معجزات المسيح عليه السلام كما بيَّنَها القرآنُ؛ ليتبينَ الفرقُ الواضحُ بين معجزات المسيح وبين ما جاء به آباء الكنيسة فيما زعموه بسر مسحة المرضى.

معجزات المسيح عليه السلام كما وضحها القرآن الكريم[1]:

لقد أيد الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بمعجزات ظاهرة وآيات باهرة تؤيد وتقوي حجته ليعلم الناس أنه رسول من عند الله تعالى، وقد ذكر الله تعالى هذه المعجزات في سورة آل عمران والمائدة ومريم:

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ

(١) المعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة تأييدا له لكي يصدقه الناس.

(٢) سورة آل عمران: الآية (٤٩).

بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

ومن هذه الآيات يتبين أن معجزات المسيح عليه السلام المذكورة في الآيات هي:

١- كلام المسيح عليه السلام في المهد.

٢- معجزة خلق الطير بإذن الله.

٣- إبراء الأكمه والأبرص.

٤- إحياء الموتى.

٥- كف بني إسرائيل.

٦- إنباؤه بالغيب.

وقد ذكر الشهرستاني معجزات المسيح بقوله: (كانت له آيات ظاهرة وبينات باهرة؛ مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ونفسُ وجودِ فطرته آيةٌ كاملةٌ على صدقه؛ وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ونطقه من غير تعليم سالف)[3].

وهذه المعجزات التي ذكرها الله في القرآن قد لمسها الناس المعاصرون لعيسى عليه السلام وعرفوها وتحدثوا عنها، وسأتناولها إن شاء الله تعالى بإيجاز.

---

(١) سورة المائدة: الآية (١١٠).

(٢) سورة مريم: الآيتان (٣٠، ٣١).

(٣) الملل والنحل ص ٢٣٤.

(١) كلام عيسى عليه السلام في المهد:

قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ ﴾[١] وقال: ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾[٢].

فقد تكلم عيسى عليه السلام في المهد بقدرة الله تعالى تبرئةً لأمه مما رماها به بنو إسرائيل، يقول الإمام الرازي: وقوله: ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ في موضع الحال والمعنى: يكلمهم طفلا وكهلا من غير أن يتفاوت كلامه في هذين الوقتين، وهذه خاصية شريفة كانت حاصلة له وما حصلت لأحد من الأنبياء قبله ولا بعده)[٣].

ولم تذكر الأناجيل المعتمدَة لدى النصارى أن المسيح تكلم في المهد، بل إن النصارى يُنكرون كلامَ المسيح في المهد مستدلين على ذلك بإنكار اليهود لكلام المسيح في المهد، ويرد عليه الجاحظ بقوله: (إنكم حين سويتم المسألة موهتموها ونظمتم ألفاظها ظننتم أنكم قد نجحتم وبلغتم غايتكم، ولعمري لئن حسن ظاهرها، وراع الأسماعَ مخرجُها إنها لقبيحة المفتش سيئة المعرى ... ولعمري لو كانت اليهود تُقر لكم بإحياء الأربعة الذين تزعمون و إقامة المقعد الذي تدعون و إطعام الجمع الكثير من الأرغفة اليسيرة وتصيير الماء جمدا، والمشي على الماء ثم أنكرت الكلام في المهد من بين جميع آياته و براهينه لكان لكم في ذلك مقال و إلى الطعن سبيل)[٤].

إن اليهود لا يؤمنون بمعجزات المسح ويقولون إنه أتى بها بقوة السحر وأنه قد تعلمه

(١) سورة مريم: ٢٩ - ٣١.

(٢) سورة مريم من الآية (١١٠).

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ١٢/ ١٣٢.

(٤) المختار في الرد على النصارى ص ٩٦، ٩٧.



أثناء وجوده في مصر واستدلوا على ذلك بأنهم وجدوا على جسد المسيح عليه السلام علامة لشق اللحم[١].

(٢) معجزة خلق الطير بإذن الله:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾[٢] وقال تعالى على لسان عيسى ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٣].

فكان عيسى عليه السلام يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله سبحانه، فصيرورة الطين طيرا كائنا بإذن الله، ولكن جرى الخلق على يد عيسى وينفخ من روحه عليه السلام بإذن الله تعالى، وهذه المعجزة دلالة على رسالته.

يقول الإمام الرازي: (إنه تعالى اعتبر الإذن في خلق الطين كهيئة الطير وفي صيرورته ذلك الشيء طيرا، وإنما أعاد قوله: (بإذني) تأكيدًا ليكون ذلك واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى وإيجاده)[٤].

ويذكر الأستاذ عبد الحميد جودة السحار أن هذه المعجزة (ذُكرت في إنجيل توما وإنجيل الطفولية... ولم تُذكر في الأناجيل الأخرى؛ لأنها وقعت قبل إيمان الحواريين بعيسى)[٥].

---

(١) راجع: التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٦٢، فضح التلمود ص ٦٤.

(٢) سورة المائدة: من الآية: (١١٠).

(٣) آل عمران: من الآية: (٤٩).

(٤) تفسير الفخر الرازي جـ١٢/ ١٣٤.

(٥) المسيح عيسى بن مريم – عبد الحميد جودة السحار ص ١٩٠.

(٣) إبراء الأكمة والأبرص:[١]

جاء في القرآن الكريم عن هذه المعجزة قوله تعالى: ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٢]. وقوله عز وجل: ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾[٣].

وقد ورد في الأناجيل كثيرٌ من النصوص التي تشير إلى أن المسح كان يشفي المرضى، ومنها ما جاء في إنجيل متى: (و إذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً: يا سيد، إن أرَدْتَ تقدر أن تطهرني؛ فمدَّ يسوع يده ولمسه قائلا: أريدُ فاطهر، وللوقت طهر برصه)[٤].

وفي إنجيل مرقس: (وجاءوا إلى أريحا وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس جالسًا على الطريق يستعطى، فلما سمع أنه يسوع الناصري ابتدأ يصرخ ويقول: يا يسوع ابن داود، ارحمني، فانتهره كثيرون ليسكت فصرخ أكثر كثيرا: يا ابن داود ارحمني، فوقف يسوع فأجاب يسوع وقال له: ماذا تريد أن أفعل بك؟ فقال له الأعمش: يا سيدي، أن أبصرَ. فقال له يسوع: إيمانك قد شفاك فللوقت أبصر وتبع يسوع في الطريق[٥].

وفي إنجيل لوقا: (وانحدر إلى كفر ناحوم مدينة من الجليل، وكان يعلمهم في السبوت فبهتوا من تعليمه؛ لأن كلامه كان بسلطان، وكان في المجمع رجل به شيطان نجس

---

(١) الأكمة: هو الذي وُلد أعمى، أو أنه الممسوح العين الذي لم يشق بصره ولم يخلق له حدقة، وقيل: هو الذي يُبصر بالليل، وقيل: إنه الأعشى، أي: أخلص. والأبرص: هو الذي به الوضع المعروف. راجع: تفسير الألوسي جـ٣/ ١٦٩.

(٢) سورة آل عمران: من الآية: (٤٩).

(٣) سورة المائدة: الآية: (١١٠).

(٤) متى: ٨/ ٢، ٣.

(٥) مرقس: ١٠/ ٤٦ - ٥٢.

فصرخ بصوت عظيم قائلا: آه، ما لنا ولك يا يسوع الناصري، أتيت لتهلكنا، أنا أعرفك مَن أنت قدوس الله فانتهره يسوع قائلا: احرص واخرج منه، فصرعه الشيطان في الوسط، وخرج منه ولم يضره شيءٌ، فوقعت دهشة على الجميع وكانوا يخاطبون بعضُهم بعضًا قائلين: ما هذه الكلمة لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج وخرج صِيت عنه إلى كل موضع في الكورة المحيطة)[١].

ويذكر لوقا أيضا أن المسيح شفى كثيرين في كفر ناحوم[٢] كما يذكر مرقس أن المسيح شفى مشلولا في كفر ناحوم[٣] وشفى أصم وأعقد فسمع وتكلم[٤] وشفى من الوثنيين[٥] وشفى مسكونا بروح نجسة[٦] ويذكر يوحنا أن المسيح فتح عيني مولود أعمى[٧]، وغير ذلك مما ورد في أناجيل النصارى المعتمدَة لديهم، وكذلك إنجيل برنابا[٨].

ويذكر برنابا أن المسيح كان يدعو للمريض بقوله: (أيها الإله القدير لأجل محبة أنبيائك الأطهار أَبْرِئْ هذا العليل) وكان يلمس العليل بيديه ويقول: (باسم الله أيها الأخ

---

(١) لوقا: ٤/ ٣١ - ٣٧.

(٢) راجع لوقا: ٤/ ٣٨-٤١.

(٣) راجع مرقس: ٢/ ١١، ١٢ .

(٤) راجع مرقس: ٧/ ٣٢ - ٣٧.

(٥) راجع مرقس: ٨/ ٢٢ - ٢٦ .

(٦) راجع مرقس: ٩/ ١٤- ٢٩.

(٧) راجع: يوحنا: ٩/ ١ - ٧.

(٨) راجع: يوحنا: ٩/ ٨ - ٣٨، ١١ / ١ -٦، لوقا ١٧/ ١١ -١٩، متى ٨/ ٥ -١٣، ١٢/ ٢٢ - ٢٩، ٩/ ٢٧ -٣١، مرقس: ٥/ ١ - ٢٠، برنابا ١١/ ١-١٠، ١٩/ ١٨ - ٢٤، ٢١ / ١-١٣، وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار نصوص الأناجيل التي تتحدث عن هذه المعجزة وقارن بينها، وبين أوجه الاتفاق والاختلاف ومن أراد المزيد فَلْيَرْجِعْ إلى كتابه: قصص الأنبياء صـ ٤٨٨ -٥٠٣ وراجع: نصرانية عيسى في التوراة والإنجيل والقرآن صـ ٢٨٠ -٢٩٥، تاريخ الأقباط جـ١/ ٥٠ وما بعدها، راجع الفارق بين المخلوق والخالق صـ ٨٤ وما بعدها، معجم اللاهوت الكتابي صـ ٧٥٠ وما بعدها.

ابْرَأْ)(١) أي أن مداواة المسيح عليه السلام للمريض كانت بالدعاء وحده لله تعالى، وكان يبرئ الأكمه والأبرص، وهما مرضان تعذر الطب قديمه وحديثه إيجادَ دواء لهما، والتمكن من أسباب الشفاء منها، إلا أن عيسى عليه السلام شفاهما بقدرة الله، وبرئ المريضان برقيته فكان ذلك دليلا قائما على رسالته عليه السلام.

(٤) معجزة إحياء الموتى:

جاء في القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾(٣).

وقد ذكرت الأناجيل نصوصًا كثيرة بشأن هذه المعجزة؛ منها ما جاء في إنجيل لوقا أن المسيح: (ذهب إلى مدينة تُدعى نابين وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير، فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول، ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة، فلما رآها الرب تحنن عليها، وقال لها: (لا تبكي) ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون، فقال: (أيها الشاب، لك أقول: قم) فجلس الميت وابتدأ يتكلم، فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميعَ خوفٌ، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه)(٤).

ويذكر مرقس أن المسيح أقام ابنة بايرس من الموت(٥)، وبرنابا يذكر أن المسيح نزل إلى أورشليم، ولما اقترب منها وجد أهلها يحملون إلى القبر ابنًا وحيدًا لأمه الأرملة: (فاقترب من أم الميت وقال لها بشفقة: لا تبكي أيتها المرأة، ثم أخذ يد الميت وقال: أقول لك: أيها الشاب،

---

(١) راجع برنابا: ١١/ ٧، ٧.

(٢) آل عمران: من الآية: (٤٩).

(٣) سورة المائدة: من الآية: (١١٠).

(٤) راجع لوقا: ٧/ ١١ -١٧.

(٥) راجع مرقس: ٥/ ٣٥ -٤٢.

باسم الله قُم صحيحًا؟ فانتعش الغلام، وامتلأ الجميع خوفًا قائلين: لقد أقام الله نبيًّا عظيمًا بَيْنَنَا وافتقد شعبه)[١] ويذكر يوحنا أن المسيح أقام ميتًا من قبره بعد أربعة أيام من الموت[٢].

فالمسيح عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى، والمحيي في الحقيقة هو الله العلي القدير، إلا أنه أجرى الإحياء على يد المسيح عليه السلام؛ ليكون ذلك برهانًا على نبوته ودليلاً على رسالته، قال الكلبي: كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى يا حي يا قيوم، وأحيا عاذر، وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره، فخرج حَيًّا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله فنزل عن سريره حَيًّا، ورجع إلى أهله وولد له، وقوله: (بإذن الله) رفعٌ لتوهم من اعتقد فيه الإلهية)[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾ أي: وإذ تخرج الموتى من قبورهم أحياء بإذني، أي: بفعلي ذلك عند دعائك، وعند قولك للميت: اخرج بإذن الله من قبرك، وذكر الإذن في هذه الأفاعيل إنما هو على معنى إضافة حقيقة الفعل إلى الله تعالى[٤].

وعلى ذلك فالمسيح لم يَدَّعِ أنه أحيا الموتى بنفسه كما يذهب إلى ذلك النصارى، بل أنكر على من قال ذلك، وَبَيَّنَ أنه ما شفى مريضًا أو أبرأ أكمهَ وأبرصَ أو أحيا مَيِّتًا إلا بإذن الله تعالى وقدرته و إرادته[٥].

(٥) إنباؤه بالغيب:

كان المسيح عليه السلام يُنبئ أصحابَه بأمور غائبة عن حِسِّهِ، ولم يعاينها؛ فكان ينبئهم بما يأكلون وما يَدَّخِرُونَ في بيوتهم، وقد حكى هذا القرآن الكريم في قول الله تعالى:

---

(١) برنابا: ٣/ ١٦-١٨.

(٢) راجع يوحنا ١١ /٣٨-٤٤.

(٣) تفسير الرازي جـ٨/ ٦٣، تفسير الألوسي جـ٣/ ١٦٩.

(٤) تفسير الرازي جـ ١٢/ ١٣٤.

(٥) راجع إنجيل برنابا ٩٢ / ١ -١٩.

﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩ ﴾[١].

روى السدي أنه كان يلعب الصبيان ثم يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم وكان يخبر الصبي بأن أمك قد خبأت لك كذا؛ فيرجع الصبي إلى أهله ويبكي إلى أن يأخذ ذلك الشيء، ثم قالوا لصبيانهم: لا تلعبوا مع هذا الساحر، وجمعوهم في بيت، فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم، فقالوا له: ليسوا في البيت، فقال: فمن في البيت، فقالوا: خنازير، قال عيسى عليه السلام: كذلك يكونون، فإذا هم خنازير)[٢].

وذكر في إنجيل مرقس أن المسيح تنبأ بخراب الهيكل وأحداث حدثت فيما بعد (وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه: يا معلم، انظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية فأجاب يسوع وقال له: انظر هذه الأبنية لا يُترك حجر على حجر لا يُنقض)[٣].

(٦) كف بني إسرائيل:

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[٤] رُوي أنه عليه السلام لَمَّا أظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهودُ قتلَه فَخَلَّصَهُ الله تعالى منهم حيث رفعه إلى السماء[٥].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية: (٤٩).

(٢) تفسير الرازي جـ٨/ ٦٤، تفسير الألوسي جـ٣/ ١٧٠.

(٣) مرقس ١٣/ ١ -٣ - وذكر أن المسيح تنبأ بأحداث محاولة القبض عليه لصلبه ونفيه ١٠ / ٣٣-٤٣، وتنبأ بِشَكِّهِمْ فيه ليلة القبض عليه، مر ١٤ / ٢٧، وذكر متى أن المسيح تنبأ بظهور أدعياء وحدوث مجاعات وأوبئة وزلازل وأوجاع، متى ٢٤ / ١ -٥، وكذلك لوقا؛ انظر: ٢١/ ٥-٣٨، ١٩/ ٤٣، ٤٤، وراجع: الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة صـ ٨٣ - ٨٧، علم اللاهوت بمعتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية صـ٢٥٣ وما بعدها.

(٤) سورة المائدة: من الآية: (١١٠).

(٥) راجع تفسير الرازي جـ١٢/ ١٣٥.

وقد أحس المسيح بهذا الكفر كما أخبر القرآن ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾[١]، ذلك لأنه لما وجدوه يحيي الموتى بإذن الله قالوا له: أنت الله؛ لأنه لا يحيي الموتى إلا الله، فأنت يا عيسى إله، فتوجه إلى القوم جميعا لما أحس بكفرهم قائلا لهم: ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[٢] ومن ثم قال الله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ ﴾[٣].

وذكر مرقس أن المسيح دخل (إلى المجمع وكان هناك رجل يده يابسة، فصاروا يراقبونه هل يشفيه في السبت، لكي يشتكوا عليه، فقال للرجل الذي له اليد اليابسة: قم في الوسط، ثم قال لهم: هل يحل في السبت فعلُ الخير أو فعل الشر؟ تخليص نفس أو قتل؟ فسكتوا، فنظر حولَه إليهم بغضب حزينًا على غلاظة قلوبهم، وقال للرجل: مد يدك، فمدها فعادت يده صحيحة كالأخرى، فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرودسيين وتشاوروا عليه لكي يهلكوه، فانصرف يسوع مع تلاميذه إلى البحر وتبعه جمع كثير[٤].

وعن معجزات المسيح عليه السلام يتحدث الإمام ابن كثير مُبيِّنًا علةَ كونها من هذا النوع فيذكر أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ ﴾، وكذلك كان يفعل؛ يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عِيَانًا بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله، ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ قيل: إنه الذي يبصر نهارًا ولا يبصر ليلاً، وقيل بالعكس، وقيل: الأعشى، وقيل: هو الذي يُولد أعمى وهو أشبهُ؛

---

(١) سورة آل عمران: من الآية: (٥٢).

(٢) سورة آل عمران: من الآية: (٥٢).

(٣) سورة الصف: الآية: (١٤).

(٤) إنجيل مرقس: ٣ / ١ -٧، ويوافقه في هذا لوقا ٦ / ٦ -١١، متى ١٢ / ٩ -١٥، أما يوحنا فيقول: فرفعوا الحجارة ليرجموه، أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازًا في وسطهم ومضى هكذا؛ يو ٨ / ١، ٥.

لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي، (والأبرص) معروف، ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ قال كثيرٌ من العلماء: بعث الله كلَّ نبي من الأنبياء بما يناسبُ أهلَ زمانه؛ فكان الغالبُ على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سَحَّارٍ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار، وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مُؤَيَّدًا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعثِ مَن هو في قبره رهينًا إلى يوم التناد[1].

أما عن علة مجيء معجزات المسيح على هذا النحو فيقول الشيخ/ محمد أبو زهرة: كون معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مُنَاسَبَةُ ذلك النوع لأهل زمانه لا لأنهم أطباء، فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكارُ الروح في أقوال بعضهم، وأفعال جميعهم، فجاء عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها أمرٌ خارقٌ للعادة مصدقٌ لما يأتي به الرسول، وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح وبرهان قاطع على وجودها، فهذا طين مصوَّر على شكل طير، ثم

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١/ ٣٦٥ وما بعدها، ويعلق الشيخ محمد أبو زهرة على قول ابن كثير فيذكر أن رينان الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي: يقرر أن اليهود ما كانوا على علم بالطب الطبيعي فيقول: (كانت صناعة الطب في المشرق في ذلك الزمان كما هي اليوم؛ فإن اليهود في فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التي وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ، وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف كتاب لأبقراط أبي الطب موضوعه «العلة المقدسة» يعني الهستريا، وفيه وصف هذه العلة وذكر دواءها إلا أن اليهود في فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب، وكان في اليهودية في ذلك الزمان كثيرون من المجانين وربما كان ذلك ناشئًا من سلامة الحاسة الدينية، فاليهود الذين بُعث المسيح بين ظهرانيهم لم يكونوا على علم إذن بالطب أو الطب الطبيعي على رأى الفيلسوف المؤرخ. محاضرات في النصرانية ص ٢١، ويقول الدكتور/ أحمد شلبي: الثابت أن معرفة بني إسرائيل بالطب كانت قليلة حينذاك، ومن قبل ذلك. - المسيحية ص ٤٠.

ينفخ فيه فيكون حيًّا، ما ذاك إلا لأن شيئًا غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه فكانت معه الحياة، وذا ميتٌ قد أكله البلى وأخذت أشلاؤه في التحلل وأوشكت أن تصير رميمًا يناديه المسيح عليه السلام فإذا هو حي يجيب نداء مَن ناداه، وما ذاك إلا لأن روحًا غير الجسم الذي غَيَّرَهُ البلى حَلَّتْ فيه بذلك النداء ففاضت عليه الحياة وهكذا، فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعيته، وتناسب أخصَّ رسالته وهي الدعوة إلى تربية الروح والإيمان بالبعث والنشور، وأن هناك حياة أخرى يُجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيءُ بإساءته إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، وهل ترى أن معجزة إحياء الموتى تسمح لمنكر الآخرة بالاستمرار في إنكاره، أو تسمح لجاحد البعث والنشور أن يستمر في جحوده، وقد أسلفنا لك القول أن اليهود كان يسود تفكيرَهم عدمُ الاعتراف بوجود الآخرة، وعدمُ الإيمان باليوم الآخر، إن لم يكن بالقول فبالعمل، فكان إحياء الموتى صوتًا قويًّا يحملهم على الإيمان حملاً، ولكنهم كانوا بآيات الله يجحدون[1].

كما أن معجزات عيسى عليه السلام تتفق في حقيقتها مع طبيعة مَوْلِدِهِ؛ إذ تهدف إلى إحياء الناحية الروحية عند اليهود التي افتقدوها وإقامة الدليل على وجودها.

موقف النصارى من معجزات المسيح عليه السلام:

نظر النصارى إلى معجزات المسيح عليه السلام على أنها أفعال إلهية وليست بأفعال بشر مع أن المسيح تبَرَّأَ ممن نَسَبَ إليه الألوهية حينما أجرى هذه المعجزات: (لقد كانت هذه المعجزات التي لجأ إليها عيسى لتأييد دعواه وَلِحَمْلِ الناس على تصديقِه بابًا نفذت منه دعوى القول بتأليهه، فما دام يشفي الأمراضَ والأوجاعَ ويردُّ البصرَ والحياةَ ويأتي بالخوارق التي يعجز عنها سائر البشر فلاشك أنه ليس إنسانًا عاديًّا، والأرجح أنه إلهٌ أو

(١) محاضرات في النصرانية ص ٢١، ٢٢.

ابن إله أو بعض إله، نَزَلَ من السماء وأتى إلى الأرض يعرض على الناس مكنات الآلهة وقدراتها على البشر)[١].

ولعل من الأسباب التي دعت النصارى إلى القول بألوهية المسيح هي ظهور معجزات كثيرة على يديه[٢] ولقد طفحت كتب النصارى بالتصريح بأن المسيح الذي جرت على يديه هذه المعجزات إله؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الإله، ولو أنهم

أنصفوا لوصلوا إلى حقيقة الأمر؛ إذ أن المسيح إنسان أرسله اللهُ وَأَيَّدَهُ بالمعجزات التي أَجْرَاهَا على يديه بقدرته وإرادته.

يقول القمص لوقا الأنطوني: (قال - أي المسيح - للمفلوج: (مغفورة لك خطاياك) فقد عرف أن هذا الإنسان خاطئ وبسلطانه على مغفرة الخطايا غفر له خطاياه... وكما قال لليهود: ليس أحد يغفر الخطايا إلا الله وحده فباعتباره الإله المتأنس كان له هذا السلطان، ولقد عرف السيد أصلَ وموضعَ الداءِ: الخطيئة)[٣].

وفي كتاب: سؤال وجواب: (أقام السيد المسيح لعازر من القبر بعد أن كان ميتًا منذ أربعة أيام، فآمن كثيرون أنه مُرْسَلٌ من الله وله قوة إلهية على إقامة الموتى، وشفاء البرص، وفتح عيون العمى، وإقامة المُقْعَدِينَ، وإخراج الأرواح الشريرة من الناس، وإبراء كافة الأمراض الجسدية والروحية عند الناس؛ فالمسيح الذي كان قادرًا على صنع العجائب لم يكن مجردَ إنسان أو نبي عادى، بل كان القدوسَ المرسلَ من الله الذي حمل أوجاعنا وشفى أسقامنا، وجاء لفدائنا وخلاصنا من قوة الشر والخطية والشيطان)[٤].

---

(١) المسيح إنسان أم إله ص ٦٨ .

(٢) راجع: الدين والإنسان ص ٢٥٦.

(٣) المواعظ الإلهية ص ٤٧.

(٤) سؤال وجواب ص ١٠١ وما بعدها.

ولقد صرحت النصوص الواردة في الأناجيل بأن المسيح كان يطلب شفاء المرضى وإحياء الموتى بقدرة الله، وكان يدعو ربه أن يتقبل منه ويستجيب دعاءه؛ ففي قصة إبراء عيسى للعشرة البُرص، التي رواها لوقا[١] وقبل أن يقوم بشفائهم يأمرهم بالذهاب إلى هيكل اليهود وتقديم أنفسهم للأحبار والكهان والابتهال إلى يهوه إله إسرائيل، وعندما يطيعون في الطريق يطهرون ويعود أحدهم إلى المعلم عيسى يشكره ويمجده الله رب عيسى، وهنا يفرح عيسى بالرجل الذي وضع الأمور في نصابها، وأعطى لكل ذي حق حقَّه، فالمجدُ لله مصدرِ المعجزات والشكرُ للإنسان الذي أجرى الله على يديه المعجزة[٢].

إن المسيح عليه السلام حينما أيده الله بالمعجزات لم يكن بِدْعًا من الرسل، بل كان كغيره من الرسل الذين أيدهم الله بالمعجزات التي أظهرها على أيديهم تأييدًا لهم، وقد جاءت نصوصُ العهد القديم الذي يقدسه النصارى ببعض هذه المعجزات منسوبةً إلى الرسل، ومنها ما جاء في سفر الخروج أن الله تعالى أنزل على بني إسرائيل المن والسلوى ليأكلوا منهما تأييدًا لنبيه موسى عليه السلام[٣] وأن إيلياء ذهب في ضيافة امرأة أرملة فقيرة وأنها لا تملك سوى بعض الدقيق والزيت سوف تصنعها فطيرة لابنها، فقال لها: اصنعي الكعكة وستجدين بعد ذلك أن كوار الدقيق وكوز الزيت لن ينفد أبداً[٤]. وبالنسبة لتطهير الأبرص فقد فعلها إليسع[٥].

إن أمر النصارى لم يقتصروا على تأليه المسيح من أجل معجزاته التي جاء بها، بل

(١) راجع لوقا: ١٧/ ١١- ١٩.

(٢) المسيح إنسان أم إله ص ٧٤.

(٣) راجع: سفر الخروج: ١٦/ ٤-٣١.

(٤) راجع: سفر الملوك الأول: ١٧/ ٨-١٦.

(٥) راجع سفر الملوك الثاني: ٥/ ٨- ١٤.

مما زاد الطين بلة أن نسبوا لأصحابه ولرسلهم معجزات؛ مثل معجزات المسيح مُدَّعِينَ أن الروح القدس الذي كان ينزل على المسيح نزل على هؤلاء وأيدهم بالمعجزات والخوارق مثلما كان يعطى المسيح؛ فيذكر سفر أعمال الرسل معجزات لبطرس فبينما كان هناك سائل أعرج على باب الهيكل يسأل الناس إحسانًا سأل بطرس فيمن سأل فقال هذا: (ليس لي فضة ولا ذهب، ولكن الذي لي فإياه أعطيك باسم يسوع المسيح الناصري: قُمْ وَامْشِ، ومسكه بيده اليمنى وأقامه ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه فوثب ووقف وصار يمشي ودخل معهما إلى الهيكل وهو يمشي ويطفر ويسبح لله)[1].

(إنهم كانوا يحملون المرضى في الشوارع ويضعونهم على فُرُشٍ وَأَسِرَّةٍ حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملينَ مرضَى ومعذبين من أرواح نجسة وكانوا يُبرأون جميعهم)[2].

ونلاحظ أن المسيح عليه السلام كان حينما يأتي بمعجزاته كان يستعين بربه الله، أما بطرس فإنه يستعين بربه المسيح، وهكذا انتقل إحياء الموتى إلى رسل النصارى؛ فقد أعطى سِفْرُ أعمال الرسل تلاميذ المسيح ما كان للمسيح نفسه من سلطان يتعلق بشفاء المرضى وإخراج الأرواح والشياطين وإحياء الموتى فيا للعجب!. وإذا كان رجال الكنيسة من قساوسة وأساقفة ومطارنة وباباوات قد أخذوا سلطانَ يسوع المسيح فَبَشَّرُوا بأنهم سوف يقضون على الأمراض الجسدية والنفسية وما إليها، بل وربما إحياء الموتى. فهل يوجد أكثر من ذلك عجب؟

ولكن عَجَبَنَا يزول إذا رجعنا إلى إنجيل متى[3] حيث يوجد فيه أن المسيح دعا تلاميذه

---

(١) أع ٣/ ٦-٨.
(٢) أع: ٥/ ١٥-١٦.
(٣) راجع: متى ١٠/ ٨.

الاثني عشر أعطاهم سلطانًا على الأرواح النجسة حتى يخرجوها ليشفوا كل الأمراض وكل ضعف قائلا: (اشفو مرضى، وطهروا برصًا، أَقِيمُوا موتَى وأخرجوا شياطين) حتى يهوذا الإسخريوطي الذي سلَّمه قد منحه هذا السلطان، فهل يا ترى أسعفته حياته أن يستعمله قبل أن يشنق نفسه أو أن تخرج أحشاؤه طِبْقًا لما اختلفت عليه الأناجيل؟[1].

وبعد الحديث عن معجزات المسيح عليه السلام وإبرائه الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله وبيان ادعاء رسل المسيح أنهم مارسوا ما كان يمارسه المسيح، وسارت الكنيسة على هذا الادعاء الباطل وأسسوا سِرَّ مسحة المرضى ونسبوا تأسيسَه إلى المسيح عليه السلام يقول الأنبا غريغريوس: أسس المسيحُ ـ له المجد ـ سِرَّ مسحة المرضى وأعطى تلاميذه ذلك في وجود سيدهم ومعلمهم (ودهنوا بالزيت كثيرًا من المرضى فشفوهم)[2].

وقد صار هذا السرُّ سِرُّ مسحة المرضى من بين أسرار الكنيسة السبعة[3].

بعد هذا يتبين أن هؤلاء ادعوا ذلك ونسبوه للمسيح زُورًا وبهتانًا، فلم يصنع المسيح زيتًا مقدسًا ولم يمسح به ولم يمارس صلاة القنديل كما تُمارس الآن في الكنائس بخصوص مسحة المرضى، وقد أقر بذلك كُتَّابهم.

يقول (تسيودول ري مرمية) لم يمسح يسوع أحدًا بالزيت قط)[4].

ويقول عوض سمعان: (إذا رجعنا إلى التاريخ نرى أن المسيحيين في القرنين الأول

---

(١) راجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢/ ٢٢، ٢٣، ٣٤، وقد فَنَّدَ الإمام ابن حزم وأبطل ما قاله متى وما نسبه إلى المسيح عليه السلام.

(٢) مرقس: ٦/ ١٣.

(٣) القيم الروحية في سر مسحة المرضى جـ٦/ ٢٢.

(٤) الأسرار حياة الإيمان ص ٣٨٨.

والثاني كانوا يعتمدون في أمر الشفاء على صلاة الإيمان وحدها، لكن الذين أتوا بعدَهم في القرن الثالث تَسَرَّبَ إلى ذهنهم الظنُّ بأن الزيتَ هو الذي يشفي المرض، وما لبث هذا الظن طويلاً حتى أصبح عقيدةً لديهم؛ فقد قرر مجمع بافيا سنة ٨٥٠ م أن في هذا الزيت سِرًّا، وأنه يطهر أيضا من الخطايا والآثام؛ ولذلك أخذ بعض رجال الدين يدهنون به المشرفين على الموت حتى ـ حسب اعتقادهم ـ ينطلق هؤلاء إلى العالم الآخر أطهارًا أنقياء؟)[١].

ومن هذا يتبين أن المسيح لم يؤسس سر مسحة المرضى كما يزعم النصارى، ولم يقدس زيتًا ولم يأمر بصلاة القنديل، ولم يجعل للرسل ـ فضلاً عن القسيس ـ خصوصيةَ شفاء المرضى؛ وذلك لأنه يعلم أن الذي يشفي المرضى إنما هو الله، وما على العبد إلا أن يأخذ بأسباب الشفاء والتضرع بالدعاء إلى الله تعالى، وصدق الله العظيم إذ يقول على لسان المسيح عليه السلام: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[٢].

ولقد مارست الكنيسة شفاء المرضى واعتقد اللاهوتيون أنهم قادرون على الإتيان بخوارق العادات، وزعموا أن الله فَضَّلَهُمْ بذلك على الآخرين، وشاع ذلك عنهم حتى طغى هذا الجانب على غيره، وأصبحت هذه الظاهرة أمرًا ملازمًا للدين المسيحي وطبيعةً خاصةً لدى مَنْ يقومون بالطقوس الدينية، وشاع هذا بين العامة؛ لأنهم عاجزون فكريًا عن التفريق بين الحقيقة، والادعاء ويميلون إلى تصديق الخرافات والشعوذة، وهذه الأمور في زماننا أصبحت ذائعةَ الصيت وبخاصة بين أهل القرى أن الكنيسة الفلانية بها القسيس الفلاني يشفي المرضى ويداوي الجرحى.

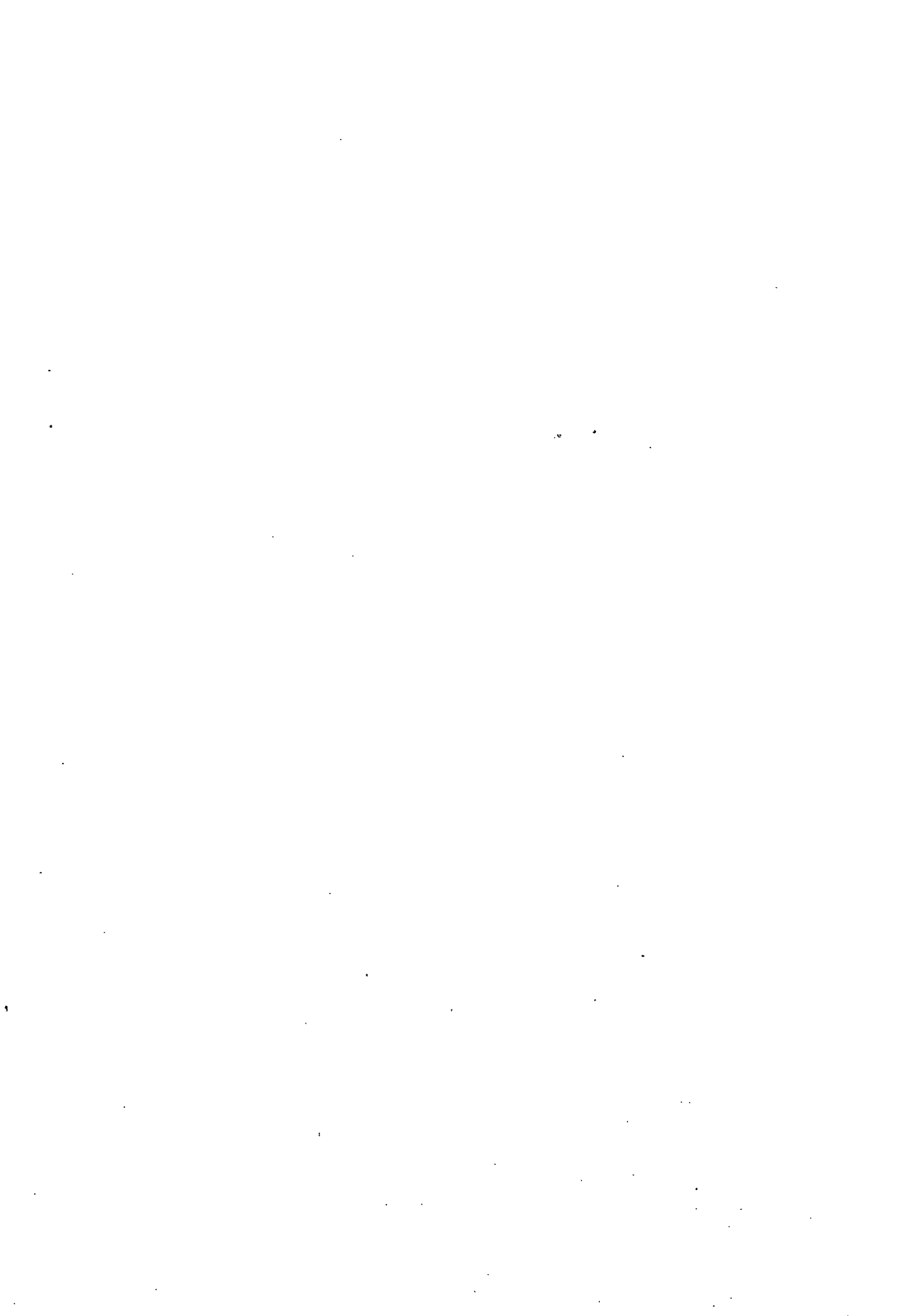
(١) الكهنوت ص٤٣١.

(٢) سورة المائدة: الآية: (١١٧).

بل وصل الأمر إلى التماس الأسباب دون فطنة من لا عقل لهم من المرضى في بعض الأمور التي تقوم على سبب، وذلك كحمل بعض النساء على أيدي بعض القساوسة ببعض الحِيَلِ، ومنها أن يعطي القسيس المرأة، قطعة صغيرة من القطن أو الصوف مبللة دون أن تشعر بنوع الماء، ويأمرها أن تضعها في رحمها في وقت كذا، وقد يكون القدر مطابقا فيتم الحمل وتشيع الفرحة دون إدراك أن هذا حمل من زنا، بل الأدهى والأَمَرُّ الشائعة التي تقوم بها هذه السيدة لصالح ذلك القسيس معلنةً أنها كانت عاقرًا مدةً من الزمان حتى زارت القسَّ الفلانيّ فتمَّ الحملُ على يديه، دون الوقوف على سبب الحمل[1].

---

(١) راجع: الأجوبة الفاخرة ص٦٣، ٦٤ بالهامش.



الفصل السادس

سر الزواج
وموقف الإسلام منه

المبحث الأول: تعريف سر الزواج وبيان أدلته عند النصارى.
المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن الزواج عند النصارى وبيان الغاية منه.
المبحث الثالث: أحكام الزواج عند النصارى.
المبحث الرابع: تعدد الزوجات والطلاق عند النصارى.
المبحث الخامس: الرهبنة والتبتل وموقف الكنيسة منهما.
المبحث السادس: الكنائس النصرانية وسر الزواج.
المبحث السابع: موقف الإسلام من الزواج الكنسي.



المبحث الأول

تعريف الزواج وبيان أدلته

[١] تعريف الزواج:

أ- التعريف اللغوي:

الزوج: خلاف الفرد يقال: زوج أو فرد، وعند ابن سيدة: الزوج الفرد الذي له قرين، الزوج الاثنان... ويُجمع الزوج أزواجًا وأزواج، ويقال للرجل والمرأة الزوجان، قال الله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ يريد ثمانية أفراد، وقال: ﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ قال: وهذا هو الصواب، يقال للمرأة: إنها لكثيرة الأزواج والزوجة، والأصل في الزوج الصنف والنوع من كل شيء، وكل شيئين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فيها زوجان، وكل واحد منهما زوج[١].

وفي مختار الصحاح:

(الزوج): البعل، والزوج أيضا المرأة، قال الله تعالى: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ويقال لها (زوجة) قال يونس: ليس من كلام العرب (زوجة) بامرأة بالباء (ولا تزوج) بامرأة بل بحذفهما فيهما، وقوله تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي: قرناهم بهن، من قوله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ أي: قرناءهم، وقال الفراء: (تزوج) بامرأة لغة، وامرأة مِزواج بكسر الميم أو كثيرة التزوج و(التزواج) والمزواجة و(الأزواج) معنًى، والزوج ضد الفرد وكل واحد منهما يسمى زوجًا أيضا، يقال للاثنين: هما زوجان، وهما زوج كما يقال: هما سيان وهما سواء[٢].

---

(١) لسان العرب جـ٣/ ١٨٨٤ وما بعدها بتصرف.

(٢) مختار الصحاح ص ٢٧٨، راجع: القاموس القويم جـ١/ ٢٨١.

ب- تعريف الزواج في اصطلاح الكنيسة:

عرف كتاب النصارى الزواج بعدة تعريفات منها:

(١) الزواج: سر تمنح بمقتضاه النعمة الإلهية بواسطة صلاة الكاهن على الزوجين اللذين ارتبطا علنًا أمام الكنيسة بوعد كل منهما للآخر أن يحفظ الأمانة ويصون العهد[١].

(٢) عرفت المادة: (١٤) من مشروع قانون الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس الزواج بأنه: (سر مقدس يتم بصلاة الإكليل على يد كاهن طِبْقًا لطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية يرتبط به رجل وامرأة بقصد تكوين أسرة والتعاون على شئون الحياة ويثبت بعقد يجريه الكاهن[٢].

(٣) عرف الأنبا غريغوريوس الزواج بقوله:

(هو هذه الرابطة الروحية المقدسة التي تتم بفاعلية نعمة الروح القدس التي تنحدر من السماء بناءً على استدعاء الكاهن، فَتُؤَلِّفُ بين العروسين الرجل والمرأة، وَتُوَحِّدُ بينَهما وتصيرهما جسدًا واحدًا؛ فيكون كل منهما مِلْكًا للآخر، وَوَقْفًا عليه وحرامًا على غيره؛ وذلك لإقامة أسرة طاهرة تَحْيَا بالتعاون والحبِّ لإيلاد أولاد طاهرين، وإنماء الكنيسة وملكوت الله على الأرض)[٣].

وفي دستور الكنيسة الإنجيلية أن: الزواج ارتباط وعقد مقدس بين رجل واحد وامرأة واحدة مدى الحياة[٤].

---

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٠.

(٢) شرح الأحوال الشخصية للمصريين الغير مسلمين - مستشار تادرس ميخائيل تادرس ص ٦٥.

(٣) القيم الروحية في سر الزيجة - الأنبا غريغوريوس ص٩ لجنة النشر للثقافة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٨٤م، راجع: خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية ص٤١، أسرار الكنيسة ص ١٣٧.

(٤) دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر ص ٤٧، دار الثقافة المسيحية ط (١) ١٩٨٥م.

وعرف شُرَّاع القانون الفرنسي عقد الزواج بأنه عقد بين رجل وامرأة يؤسسان به اجتماعًا يُقِرُّهُ القانونُ ولا يمكنهما حله بمحض إرادتهما(١).

إن مفهوم الزواج في الدين المسيحي هو أنه سنة مقدسة من الله تعالى، وهو رباط روحي يرتبط فيه رجل واحد وامرأة واحدة، وتُعرف هذه الرابطة برابطة الزواج التي يتساوى فيها كل من المرأة والرجل، فيكون كل منهما مساويًا وَمُكَمِّلاً للآخر(٢).

ويطلق النصارى على سر الزواج سِرَّ الشركة، الكنيسة الصغيرة وسر الإكليل.

[٢] أدلة النصارى على سر الزواج:

يستند النصارى إلى عدة نصوص من الكتاب المقدس على أن الزواج سِرٌّ من أسرار الكنيسة، من هذه النصوص ما جاء في سفر التكوين: (خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرًا أو أنثى، خلقهم وباركهم الله، وقال لهم: أثمروا واملئوا الأرض)(٣).

وفي إنجيل متى: (إن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى، قال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسدًا واحدًا، إذْ ليسا بعدُ اثنين بل جسدٌ واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان)(٤).

---

(١) دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص ٥١.

(٢) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ١١٨، الأسرار حياة الإيمان ص ٤١٤، جواب وسؤال جـ١/ ٧٦، يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٦٠، أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين ص ٣٤٢.

(٣) تك: ١ / ٢٧، ٢٨.

(٤) متى: ١٩/ ٤ - ٦.

كما يستدلون على أن الزواج سر مقدس بحضور المسيح عرس قانا الجليل؛ إذْ باركه بتشريفه وملأه نعمةً وبركةً بحضوره[١] ورفع الزيجة إلى درجة السرِّ[٢].

ومن أقوال بولس التي يستدلون بها:

(لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل، ولأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل؛ لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة، غيرَ أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب؛ لأنه كما أن المرأة هي من الرجل، هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة، ولكن جميع الأشياء من الله)[٣].

وقال: (إذا من زوج فَحَسَنًا يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن)[٤] (ليكن الزواج مكرمًا عند كل واحد والمضجعُ غيرَ نجس)[٥] (من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا، هذا السر عظيم)[٦].

كما يستدلون بأقوال آباء الكنيسة، ومن هذه الأقوال:

قول القديس أوغسطنيوس: (ثمة رباط سِرِّيٌّ للـزواج يربط بين المؤمن والمؤمنة في الزيجة؛ إذ يقول الرسول: أيها الرجال، أحبوا نساءكم كما أحبَّ المسيحُ الكنيسةَ)[٧]،

(١) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ١١٩.
(٢) أسرار الكنيسة ص ١٣٦.
(٣) ١ كو: ١١ / ٨ - ١٢.
(٤) ١ كو: ٧/ ٣٨.
(٥) عبرانين: ١٣/ ٤.
(٦) أفسس: ٥/ ٣١، ٣٢.
(٧) أفسس: ٥/ ٢٥.

ولا شك أن جوهر السر هو هذه الرابطة[1] ويقول: إن قداسة السر لها في زيجتنا المسيحية قوة أكثر من قوة ثمرة الأولاد في الأم[2].

ويقول أويجينس: (يقينًا إن الله هو الذي يجعل الاثنين واحدًا، فإذا زَوَّجَ اللهُ المرأةَ بالرجل فلا يكونان بعدُ اثنين، وحيث إن الله هو الذي جمع بينَهما فإن في هذا الجمع نعمةً من الله تجمع بينهما[3].

قال القديس غريغوريوس الكبير: ألم تقترن بالجسد؟ لا تَخَفْ من تتميم ذلك، فأنت طاهر والمسؤولية عليَّ لأني أنا عقدته وأنا أعطيك العروس[4].

ويقول أغناطيوس الشهيد: يجب على المتزوجين والمتزوجات أن يجروا اتحادهم برأي الأسقف؛ لكي يكون الزواج مطابقًا لإرادة الله لا بحسب الشهوة.

وبعد ذكر أدلة النصارى على أن الزواج سر من أسرار الكنيسة من خلال نصوص الكتاب المقدس لديهم وأقوال الرسل وآباء الكنيسة، يقول حبيب جرجس:

من هذا يتضح جَلِيًّا أن رباط الزيجة يصورُ اتحادَ المسيح بالكنيسة، وعلى هذا يكون الزواج سرًّا عظيمًا؛ لأنه مادام رباط الزيجة هو صورة حقيقة في جوهره يصوره سِرِّيًّا اتحاد المسيح بالكنيسة، وهذا الاتحاد هو بلا ريب مقدسٌ وبريء من الدنس، فمن الضرورةِ أن نُسلم بأن الزيجة أيضا قد تقدست في الشريعة المسيحية وامتلأت نعمة بوجه سريٍّ واستوفت السرَّ، وأنها من الأسرار المقدسة[5].

---

(١) القيم الروحية في سر الزيجة ص ١٢.

(٢) راجع: أسرار الكنيسة ص ١٣٩، صلوات الخدمات ص ٨٢.

(٣) القيم الروحية في سر الزيجة ص ١٢.

(٤) أسرار الكنيسة ص ١٣٩.

(٥) أسرار الكنيسة ص ١٣٨.

المبحث الثاني
لمحة تاريخية عن الزواج عند النصارى
وبيان الغاية منه

يربط النصارى بين سر الزواج عندهم وبين الزواج عبر العصور، فيجدون فيه سر اتحاد الله بالبشرية في شخص الإنسان، وسر اتحاد المسيح بكنيسته في جسد واحد[١].

والزواج ناموس طبيعي سَنَّهُ اللهُ تعالى منذ ابتداء الخليقة، جاء في سفر التكوين: (فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم، وباركهم الله، وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض)[٢].

وقال الرب بعد آدم: (ليس جَيِّدًا أن يكون آدم وحده، فاصنع له مُعِينًا نظيره)[٣] وعند خلق المرأة قال: (فأوقع الرب الإله سباتًا على آدم فنام، فأخذ واحدةً من أضلاعه وملأ مكانَها لحمًا، وبنى الربُّ الإله الضلعَ التي أخذها من آدم امرأةً؛ لأنها من أمر أخذت؛ لذلك يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدًا واحدًا)[٤].

على هذا النحو يجد الجنس معناه بالتعبير في الجسد عن الوحدة بين كائنين يدعوهما الله للتعاون معًا في حب متبادل، على أن الجنس بعد أن كان في كيانه الأصلي خالصًا من كل شعور بالخجل، سيصير عرضةً للاضطراب نتيجة للخطيئة[٥].

وبعد الطوفان لم يبطل الله هذا الناموس بل عاد وَثَبَّتَهُ: (وبارك الله نوحًا وبنيه

---

(١) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص٤١٣.

(٢) تك: ١/ ٢٧، ٢٨.

(٣) تك: ٢/ ١٨.

(٤) تك: ٢/ ٢١-٢٤.

(٥) معجم اللاهوت الكتابي ص ٤٠٢.

وقال: أثمروا، وأكثروا، واملئوا الأرض)[1]، وتحدَّث أيضا العهد القديم عن الزواج في كثير من نصوصه فتحدث عن زواج إسحاق[2]، وزواج طوبيا وسارة[3]، وزواج بوغروراعوث[4]، وغير ذلك.

يقول رفيق جرجس:

الزواج بالنسبة لشعب العهد القديم كان دفعة نحو تأسيس أجيال من الشعب الذي اختاره الرب؛ لذلك كان يحافظ على نقاء السلالة اليهودية، خوفًا أن يشوه هذه السلالة دمٌ وثنيٌّ وقد حذرهم الرب.... لذلك حياة اليهودي كلها بما فيها أحاسيسه الجنسية كانت خاضعةً لرقابة دينية صارمة، منها ما هو موجود في التوراة أو في التلمود أو في نظر الكهنة، وكان للزواج دورٌ عرقيٌّ لاستمرارِ نقاوةِ الدم اليهوديِّ، كانت حالة البتولية من الأشياء الغريبة لاعتقادهم أن لا أحدَ سيبنى بيتًا ولا يأخذ امرأة ولا ينجب طفلاً ولا يتخذ عملاً كما كانوا ينظرون إلى التبتل على أنه حالة شاذة مثل جماعة الإثانيين، ورغم أن الزواج بالنسبة لليهود ليس سرًّا كما هو في المسيحية إلا أنهم يعتقدون أن الزواج كانت تكتنفه العناية الإلهية؛ لذلك هو مقدس[5].

ويعتبر النصارى المسيح هو أول مَنْ تكلم عن الزواج الطبيعي مقرنين بين فداء المسيح والزواج، وكذلك بين العماد والزواج مُدَّعِينَ أن المسيح قدس الزواج وجعله سِرًّا من أسرار الكنيسة، فقد جاء في معجم اللاهوت الكتابي أن يسوع لا يكتفي برد نظام الزواج إلى ذلك الكمال الأصلي الذي كانت الخطيئة البشرية قد شوهته، وإنما يقرر له أساسًا جديدًا يطغى

---

(١) تك: ٩/ ١.

(٢) تك ٢٤/ ٥٨.

(٣) طوبيا: ٩/ ٦.

(٤) راعوث: ٤/ ١١.

(٥) الزواج هذا السر العظيم ص ٨.

عليه معناه الديني في ملكوت الله، فإنه بالعهد الجديد الذي يؤسسه في دمه الخاص، يصير هو نفسه عريس الكنيسة؛ ولذا فإن الزواج بالنسبة إلى المسيحيين الذين صاروا بالعماد هياكل الروح القدس هو هذا السر العظيم بارتباطه بسر اتحاد المسيح بالكنيسة[١].

ويحرم مجمع ترانت من يقول: (إن الزواج لم يؤسسه المسيح بل هو اختراع بشري)[٢] وفي العصور الأولى للنصرانية كان النصارى يتزوجون كسائر الناس، أي كالوثنيين المحيطين بهم، يتبعون الطقوس الزوجية ذاتها ولا يوجد لهم خط مسيحي مميز، فلا يحضر كاهن أو أسقف ولا توجد حفلة دينية خاصة، ثم بعد ذلك شارك الأسقف النصارى في الاحتفال بالزواج، وكان يحضر في زي عادي؛ إذ لم يكن يرتدي أي لباس خاصٍّ يدل على شخصه حتى لا يتعرض لخطر، وكان يمضي مع الشهود على عقدِ الزواج، وكان يُطلب منه غالبًا أن يبارك الزوجين بعد بركة رب العائلة، فكان يرتجل صلاة أو يضع يديه على العروسين من دون أن يتفوه بشيء، وظلوا على هذه الحالة إلى أن انتهى عهد الاضطهاد.

وبعد انتهاء عهد الاضطهاد ثبتت الكنيسة مباركة الزواج فظهرت تدريجيًا عبارةُ تبريك وقداسات الزواج، وبدأت في القرن السابع تأخذ الكتب الطقسية مكانًا بين النصارى، ومنذ القرنين الحادي عشر والثاني عشر، لم يعد للمعمدين زواجٌ مقبول إلا أمام الكنيسة، وأصبح زواج المسيحيين إذن كنسيًا منوطًا بالكنيسة[٣].

يقول ول ديورانت: رَفَعَتِ الكنيسةُ من شأن عقدة الزواج إلى أكبر حَدٍّ وجعلتها عقدةً دائمةً حين جعلت الزواجَ من الأسرار المقدسة[٤].

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص٤٠٤.

(٢) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص٤١٣.

(٣) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص٤١٥ وما بعدها.

(٤) قصة الحضارة جـ١٦/ ١٩.

ثم بعد ذلك نظمت الكنائس القوانين الخاصة بالزواج وما يتصل به من عقد خطبة وعقد قِرَانٍ، ولكل طائفة نظام خاصٌّ بها، كما وضعت قوانين موحدة لجميع الطوائف النصرانية في مصر[1].

الغاية من الزواج عند النصارى:

يحصر النصارى الغاية من الزواج في عدة نقاط:

١- استئناس الرجل بالمرأة أي بالزوجة وتعاونهما وتعاضدهما مَعًا وتضافرهما على أمور الحياة ومساعدة كل منهما الآخر، وإيجادهما اتحادًا روحيًا في جسد واحد بحيث يكون كل منهما مكملاً للآخَر.

٢- نمو النوع البشرى بالتناسل حسب الأمر الإلهي: (أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض) مما يزيد أعضاءَ الكنيسة.

٣- صيانةِ المرء من المروق عن الحدود وضبط ميلوه الجنسية وتحصين كل من الزوجين من الانفعالات الجسدية وبُعدها عن الاقتران المخالف لشريعة الله.

يقول زكي شنودة: لَمَّا كان الإنسان طوعَ أمرِ الطبيعة في إشباع رغبته الجنسية كسائر الكائنات الحية فقد وضع الله ناموسًا يتم بموجبه عقدُ زواج شرعيٍّ بين الرجل والمرأة ليكون وسيلة لِتَنَكُّبِ طرق الفساد[2].

---

(١) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص١٦٩، ٢٠١، الزواج والطلاق في جميع الأديان ص٢١٦، ٣٢٤، ٣٣٢، ٣٤٥، شرح الأحوال الشخصية ص٤٥، ١٣٤، ١٤٦، ٢٧٥.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٠، راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ١٢١، أسرار الكنيسة ص١٣٧، الزواج هذا السر العظيم ص ٢٤، القيمة الروحية في سر الزيجة ص٣٨.

المبحث الثالث

أحكام الزواج عند النصارى

[١] الخطبة:

(أ) تعريف الخطبة:

الخطبة (بكسر الخاء) كما جاء في القاموس: مصدر، وخطبة الرجل المرأة التي يخطبها مِن خطب المرأة خطبًا وخطبةً دعاها إلى التزوج.

وفي الاصطلاح الكنسي: هي اتفاق اختياري صادر عن حُبٍّ طاهر لغايةٍ مقدسةٍ بين الخطيب ومخطوبته مباشرةً أو بوساطة والديهما أو من ينوب عنهما(١).

وجاء في لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس مادة أولى: الخطبة عقد يتفق به رجل وامرأة على الزواج ببعضهما في أَجَلٍ مُحَدَّدٍ(٢).

وعند الكاثوليك: الخطبة عقدٌ به يَعِدُ الواحد الآخر بالزواج في المستقبل(٣).

فالخطبة حالة تمهيدية تسبق الزواجَ وتهيئ للخطيبين فرصةَ أن يختبر كلٌّ منهما الآخَرَ، وقد تنحلُّ ولا تنتهي بالزواج إذا أدرك الخطيبانِ أو أحدُهما أن المصلحة تقتضي الابتعادَ والعدولَ عن رباط الزوجية.

ويولي النصارى للخطبة أهميةً كبيرةً؛ من حيث تَعَرُّفِ كل من المخطوبين على الآخر معرفةً جيدةً؛ لِمَا يترتب على ذلك من إحداث عقدِ الزواجِ، الذي لا يقبل الفسخ إلا

---

(١) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ١٢٣.

(٢) دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص ٣٩.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٥٩.

في الحالات الضرورية الشديدة التي تتطلب الفسخ، ويضعون للخطبة شروطًا وعقدًا وطقسًا خاصًّا بها يُجْرِيهِ الكاهنُ في الكنيسة.

(ب) شروط الخطبة:

يشترط النصارى لانعقاد الخطبة شروطًا منها ما هو موضوعي، ومنها ما هو شكلي:

أ- شروط الخطبة الموضوعية:

من شروط الخطبة الموضوعية وفق ما جاء في المادة الثانية من لائحة الأحوال الشخصية ما يلي.

١- أن تكون المخطوبة خاليةً من الموانع الشرعية التي تمنع الزواج بها في الحال كما نصت على ذلك المادة الثانية من لائحة الأحوال الشخصية.

٢- أن لا تكون مخطوبةً لغيره خطبة شرعية؛ لأن في خطبته في هذه الحالة اعتداء على حقوق الآخرين.

٣- بلوغ السن القانوني: إذ نصت المادة (٣) على أنه لا تجوز الخطبة إلا إذا بلغ سن الخاطب سبع عشرة والمخطوبة خمس عشرة سنة ميلادية.

٤- الرضا بعقد الخطبة، وقد نصت المادة الرابعة على أن (تقع الخطبة بين الخطيبين بإيجاب من أحدهما وَقَبُولٍ من الآخِرِ، فإذا كان أحدهما قاصرًا وجب أيضًا موافقةُ وليه على ذلك، ويشترط في الرضا أن يكون سليمًا، فالغلط في الشخص يبطل الزواج ويعيب الإرادة بالنسبة للخطبة، وكذلك الإكراه[1].

---

(١) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص٤٢، اللآلئ النفيسة جـ٢/ ١٢٤ وما بعدها، أحكام الأحوال الشخصية ص٣٧٢ وما بعدها.

ب- الشروط الشكلية:

وتتمثل الشروط الشكلية للخطبة فيما يلي:

(١) المحضر ومشتملاته، وهو محضر يحرره كاهن الكنيسة الذي يجري عقد الخطبة، بعد تحققه من البيانات الخاصة بالخطيبين، وقد جاء في قانون الأحوال الشخصية بهذا الشأن ما يلي:

تثبت الخطبة في وثيقة يحررها كاهنٌ من كهنة الكنيسة مرخص له مباشرةَ عقد الزواج، وتشتمل هذه الوثيقة على ما يلي: -

١- اسم كل من الخاطب والمخطوبة ولقبَه وَسِنَّهُ وصناعتَه ومحلَّ إقامته.

٢- اسم كل من وَالِدَيِ الخطيبين ولقبه وصناعته ومحل إقامته، وكذلك اسم ولي القاصر من الخاطبين ولقبه وصناعته ومحل إقامته.

٣- إثبات حضور كُلٍّ من الخاطبين بنفسه، وحضور الولي إن كان بينهما قاصر، ورضاء كل من الطرفين بالزواج.

٤- إثبات حضور شاهدينِ على الأقل مسيحيينِ راشدينِ، وذِكْر اسم كل من الشهود وسنه وصناعته ومحل إقامته.

٥- إثبات التحقيق من خلو الخاطبين من موانع الزواج الشرعية.

٦- الميعاد الذي يحدد لعقد الزواج.

٧- قيمة المهر وشروط وفائه إذا حصل الاتفاق على المهر[1].

(٢) تحديد مدة الخطبة التي بعدها يتم عقد الزواج.

---

(١) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص١٦٩، واللآلئ النفيسة جـ٢/ ١٣٠ وما بعدها.

(٣) إعلان الخطبة بإشهار أمرها بين الناس حتى يتسنى لمن يريد الاعتراضَ أن يعترضَ عند قيام مانعٍ من الموانع التي تمنع إجراءَ الزواج، ويتمُّ الإعلان بتحريرِ الكاهن ملخصًا من عقد الخطبة في خلال ثلاثة أيام من تاريخ حصوله، ويعلنُه في لوحة الإعلانات بالكنيسة، وَتُرْسَلُ نسخةٌ إلى كاهن الكنيسة التي يقيم كلٌّ من الخطيبين في دائرتها لِيُعَلِّقَهُ في لوحة الإعلانات[١]، وفي الكنائس الكاثوليكية يُعلن عن الخطبة بالمناداة ثلاث مرات في أيام العطلة والأعياد[٢].

جـ- الطقس الخاص بالخطبة:

بعد تأكد الكاهن من عدم وجود موانع للزواج وتوفر شروط الخطبة وكتابة البيانات في محضر عقد الخطبة يتمُّ طقس الخطبة بإعلانه ذلك قائلا: (باسم ربنا يسوع المسيح مُخَلِّصِنَا نعلن بهذا المحفل إتمامَ خطوبة الابن المبارك (فلان) لمخطوبته الابنة المباركة (فلانة) مصلين جميعنا قائلين يا أبانا...إلخ).

ثم يقول ثانيا: (باسم ربنا يسوع المسيح مخلصنا تتم خطوبة الابنة المباركة (فلانة) على خطيبها المبارك (فلان) ويكررها مرةً ثالثةً ذَاكِرًا اسمَ الخطيب كما في المرة الأولى.

وبعد ذلك يقول المرتلون: (مستحق) ثلاثَ مراتٍ (هذا إذا كان الخطيب حاضرًا) وبعدها يتلو الكاهنُ الأدعيةَ والطلباتِ المرتبةَ من الكنيسة كل منها يرتل الشمامسة: آمين[٣] ويختم الصلاة، ويرشم الكاهن المخطوبين في كل مرة بالصليب قائلًا في المرة الأولى: بسم الأب والابن والروح القدس إله واحد مبارك، آمين، وفي الثانية يقول: مبارك

(١) راجع: شرح مبادئ الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس ص١٤٥، شرح الأحوال الشخصية ص٥٠ وما بعدها.

(٢) راجع: أحكام الأحوال الشخصية ص٣٨٧.

(٣) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ١٣٧، ١٣٨.

ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، آمين، وفي المرة الثالثة: مبارك الروح القدس المعزى، آمين، وفي كل مرة يرد عليه الشمامسة قائلين: آمين[١].

د- فسخ الخطبة:

عقد الخطبة عند النصارى ليس عقدا أبديًا شأنه شأن الزواج، بل لابد من أن تنتهي الخطبة إما بالزواج وإما بدون زواج أي بالانحلال، وقد يكون الفسخ باتفاق الطرفين أو من طرف واحد، جاء في المادة التاسعة من قوانين الأحوال الشخصية: يجوز الرجوع في الخطبة باتفاق الطرفين أو بإرادة أحدهما فقط، ويثبت ذلك في محضر يحرره رجل الدين، ويوقع عليه ممن عَدَلَ ويرفق بعقد الخطوبة، ويتولى رجل الدين إخطارَ الآخَرِ بهذا العدولِ بخطابٍ مُوصًى عليه مصحوبٍ بعلم الوصول في ظرف شهر من تاريخه[٢].

ولكن يشترط لفسخ الخطبة إبداء الأسباب التي تدعو إلى الفسخ..

وأسباب فسخ الخطبة هي:

١- ظهور فساد في أخلاق أحدهما فيما يختص بالعفة ولم يكن معلومًا للطرف الآخَر.

٢- إذا ظهرت بأحدهما عاهة سابقة على الخطبة ولم تكن معلومة للآخر.

٣- إذا وُجد بأحدهما مرضٍ مُعْدٍ.

٤- إذا اعتنق أحدهما دينًا آخر بعد الخطبة.

٥- إذا ارتكب أحدهما جريمةً مهينةً بالشرفِ وحُكم عليه بسببها بالحبس سنةً فأكثر.

---

(١) راجع: صلوات الخدمات ص٨١، ٨٤.

(٢) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص٢٠٢.

٦- إذا ارتكب أحدهما جريمة غير مهينة بالشرف.

٧- إذا غاب أحد الخطيبين إلى جهة غير معلومة للآخر أو بدون رضاه وطالت مدة الغياب حتى بلغت سنةً؛ علاوةً على الأجل المحدد للزواج[١].

٨- إذا التحق أحد الخطيبين بالرهبنة أو الكهنوت.

٩- إذا توفي أحد الخطيبين قبل عقد الزواج[٢].

الآثار المترتبة على الفسخ:

إذا عدل الخطيب عن الخطبة بغير سبب فلا يحق له استرداد ما يكون قد قدمه من شبكة أو هدايا، وإذا عدلت الخطيبة عن الخطبة بغير سبب فللخاطب أن يسترد ما قدمه لها من شبكة أو هدايا غير مستهلكة، وذلك دون الإخلال بما يحق لأحد الطرفين من تعويض قِبَلَ الآخَرِ، وتسقط دعوى التعويض بمضيٍّ سنة كاملة من تاريخ إخطاره بالعدول عن الخطبة، وإذا كان الطرف المسئول عن التعويض وما يجب رده قاصرًا كان وَلِيُّهُ ضامنًا للوفاء بالتزامه قِبَلَ الطرف الآخر[٣].

وإذا توفى الخاطب قبل الزواج فلورثته استرداد المهر أو ما اشترى به من جهاز وإذا توفيت المخطوبة فللخاطب أن يسترد المهر أو ما اشترى به من جهاز، أما الهدايا فلا تُرَدُّ في الحالتين، غير أنه إذا لم يحصل الاتفاق على مهر، وإنما قدمت هدية لتقوم مقام المهر فيكون حكمها حكم المهر[٤].

(١) شرح الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ١٨٠، أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٩٨.

(٢) دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص ٢٠٢.

(٣) راجع: أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٩٩ وما بعدها، شرح مبادئ الأحوال الشخصية ص ١٤٨ وما بعدها.

(٤) دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص٤٨.

وعند الكاثوليك يمكن الرجوع في ذلك إلى العرف و إلى القواعد العامة مع مراعاة ما كان بين الطرفين من شروط عند الخطبة.

أما عند الإنجيليين فإن المادة الخامسة من قانونهم تقضي بأنه إذا مات أحد الخاطبين وكانت الخطبة قد تمت بصفة رسمية فللخطيب الآخَر أن يسترجع ما أعطاه للمتوفى من مهر أو هدايا عدا ما اسْتُهْلِكَ، بشرط رَدِّ ما يكون أخذ من المتوفى[1].

[٢] أركـان الزواج وشــروطه:

يضع النصارى للـزواج شروطًا ويجعلون له أركانًا، وقد جاءت في قوانين الأحوال الشخصية الخاصة بهم كما يلي:

١- الزواج المسيحي رباط ديني مقدس، دائم ويتم علنًا بين رجل واحد وامرأة واحدة مسيحيين، صالحين للزواج، لتكوين أسرة تتعاون على شئون الحياة في معيشة واحدة.

٢- لا ينعقد الزواج صحيحًا إلا إذا تم بمراسيم دينية على يد رجل دين مسيحي مختص مصرح له بإجرائه من رئاسته الدينية.

٣- لا ينعقد الزواج إلا برضاء الزوجين.

٤- لا يجوز زواج الرجل قبل ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة، ولا زواج المرأة قبل بلوغها ست عشرة سنة ميلادية كاملة.

٥- إذا كان طالبَا الزواج لم يَبْلُغَا أو أحدهما سنَّ الرشد يشترط لصحة عقد الزواج موافقة الولي نفسه[2].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين ص ٤٣٤.

(٢) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص٢٠٣، الزواج والطلاق في جميع الأديان ص٢٦٥، أسرار الكنيسة ص١٤٣.

فهم يشترطون لصحة الزواج توثيق العقد على يد الكاهن؛ كي يأخذ الصيغة الدينية، ومن أركان الزواج وجود الزوج والزوجة وبلوغهما السن القانوني، ولابد من رضاهما رضًا لا يشوبه خطأ ولا إكراه، ولا غشٌّ، كما يشترطون رضَا الولي على الزواج إذا كان أحد الزوجين قاصرًا، وبتوفر الشروط يكون الزواج صحيحًا، وقد قسم الشراح لأحكام الأحوال الشخصية الشروط إلى قسمين؛ شروطًا موضوعية وشروطًا شكلية، وتخلُّف أي شرط من هذه الشروط يستلزم وجود جزاء معين، وقد تكون هناك شروط أخرى بين الطرفين بالنسبة للمسكن وفرش البيت وغيرها من الأمور التي تهمهما[1].

[٣] موانع الزواج عند النصارى:

مانع الزواج هو الذي يَحُولُ دونَ إتمامِه؛ كانعدام أحد شروط الزواج وقتَ التعاقد لا الطارئ عليه، أما إذا طرأ السبب بعد التعاقد كان ذلك سببًا في فسخ العقد لا مانعًا من موانعه.

وموانع الزواج كما ذُكِرَتْ في لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس هي:

مادة (١٨): تمنع القرابة من الزواج بالنسبة للرجل والمرأة على السواء.

(١) بالأصول وإن علوا، والفروع وإن نزلوا.

(٢) بالأخوة والأخوات ونسلهم.

(٣) الأعمام والعمات، والأخوال والخالات، دون نسلهم.

---

(١) راجع: شرح الأحوال الشخصية للمصريين الغير مسلمين ص٥٦، ١٨١، شرح مبادئ الأحوال الشخصية ص ١٥٩ وما بعدها، أحكام الأحوال الشخصية ص ٤٤٩ وما بعدها، أحكام الأسرة عند المصريين ص ٥.

مادة (١٩): تمنع المصاهرة من زواج الرجل:

(١) بأصول زوجته وفروعها، فلا يجوز له عند وفاة زوجته الزواج بأمها أو جدتها و إن علت ولا ببنتها التي رزقت بها من زوج آخر أو بنت ابنها، أو ببنت بنتها و إن نزلت.

(٢) زوجات أصوله، وزوجات فروعه، وأصول أولئك الزوجات وفروعهن، فلا يجوز له أن يتزوج بزوجة والده، أو زوجة عمه أو خاله أو جده، أو أمها أو جدتها أو ابنتها أو بنت ابنها أو بنت بنتها.

(٣) بأخت زوجته ونسلها وبنت أخيها ونسلها.

(٤) بزوجة أخيه وأصولها وفروعها.

(٥) عمة الزوجة وزوجة عمها، وخالتها، وزوجة خالها.

(٦) بأخت زوجة والده، وأخت زوج والدته، وأخت زوجة ابنه، وأخت زوج ابنته.

وما يحرم على الرجل يحرم على المرأة.

مادة (٢٠): لا يجوز الزواج:

(١) بين المُتَبنَّى والمُتَبنِّي وفروع هذا الأخير.

(٢) بين المُتَبنَّى وأولاد المُتَبنِّي الذين رُزق بهم بعد التبني.

(٣) بين الأولاد الذين تبناهم شخص واحد.

(٤) بين المُتَبنَّى وزوج المُتَبنِّي وكذلك بين المتبنَّى وزوج المتبنِّي.

مادة (٢١): يمتنع على كل الزوجين عقد زواج آخر قبل انحلال الزواج القائم بينهما انحلالا باتًّا، ويعتبر الزواج اللاحق في هذه الحالة باطلاً بطلانًا مطلقًا وتعدد الزوجات محظور في المسيحية.

مادة (٢٢): لا يجوز زواج مَنْ طُلِّقَ لعلة زناه.

مادة (٢٣): لا يجوز زواج القاتل عمدًا أو شريكه بزوج قتيله.

مادة (٢٤): لا يجوز للمسيحي أن يتزوج بمن ينتمي إلى دين آخر أو مذهب غير مسيحي كالسبتيين، وشهود يهوه.

مادة (٢٥): لا يجوز الزواج في الأحوال الآتية:

(١) إذا كان لدى أحد طالبي الزواج مانع طبيعي أو مرض لا يُرجى زواله يمنعه من الاتصال الجنسي كالعنة والخنوثة والخصاء.

(٢) إذا كان أحدهما مجنونًا.

(٣) إذا كان أحد الطرفين مصابًا بمرض قتال يجعله غير صالح للحياة الزوجية قد أخفاه عن الطرف الآخر كالسل والزهري والجذام ولم يكن الطرف الآخر يعلم به وقت الزواج.

مادة (٢٦): ليس للمرأة التي توفي زوجها أو قضى بانحلال زواجها منه، أن تعقد زواجًا ثانيًا، إلا بعد انقضاء عشرة أشهر ميلادية كاملة من تاريخ الوفاة إلا إذا وضعت قبل هذا الميعاد.

مادة (٢٧): العقم لا يحول دون صحة انعقاد الزواج حتى ولو كان غير قابل للشفاء[1].

(١) دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص٢٠٣، ٢٠٤، الزواج والطلاق في جميع الأديان ص ٢٦٧، ٢٣٨.

وبالنظر إلى هذه الموانع يمكن القول بأنها تتصل بالقرابة والمصاهرة، وموانع جسدية مرضية، والتبني، وهذه الموانع تنقسم إلى موانع مطلقة كصغر السن، موانع نسبية كالقرابة أو المصاهرة، أو هي موانع مبطلة، وموانع غير مبطلة:

الموانع المبطلة: هي التي يترتب عليها بطلان الزواج بانعدام شرط من شروطه الجوهرية كزواج أحد الزوجين أو سبب القرابة أو النسب.

والموانع الغير مبطلة: هي التي وإن وجبت قانونًا لا يترتب عليها بطلان الزواج بعد حصوله.

والرضاعة لا تعتبر مانعًا من موانع الزواج عند النصارى إلا السريان الأرثوذكس، فيشترط لقيام هذا المانع أن ترضع المرأة المتزوجة المولود سنتين كاملتين من لبنها خالصًا دون انقطاع، فإذا انقطع الرضاع قبل كمال السنتين أو إذا خُلِطَ بحليب المرضع مواد أخرى تزيد على كمية الحليب الذي ترضعه فإن هذا المانع لا يقوم(١).

وعند الكاثوليك تنص المادة (٦٢) على أن الإكليريكيين ذوي الدرجات الكبرى وكذا الشماس الرسائلي لا يستطيعون الزواج(٢) وهذه هي موانع الزواج عند النصارى على سبيل الإجمال والإيجاز(٣).

[٤] المعارضة في الزواج:

يعلن النصارى عن الخطبة بعد انعقادها سنة كاملة من تاريخ العقد؛ وذلك حتى

(١) راجع: المرأة في الأديان السماوية ص١٥٦.

(٢) شرح الأحوال الشخصية ص١٦٠.

(٣) يمكن مراجعة موانع الزواج بالتفصيل في المراجع التالية: شرح الأحوال الشخصية للمصريين ص٦٦-١٢١، ١٣٥-١٧٧، ١٥٤- ٢٣٢، ٢٥٢-٢٦١ وذلك للمذاهب النصرانية المختلفة، وراجع: أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ص٦٦.

يتسنى لمن يريد الاعتراضَ على الزواج أن يعترض عند قيام مانع من موانع الزواج، وعند ظهور مانع يجب على الكاهن أن يمتنع من إجراء العقد حتى تفصل جهة الاختصاص في موضوع المعارضة رفضًا أو قَبُولاً.

وقد جاء في قوانين الأحوال الشخصية بشأن المعارضة ما يلي:

مادة (٢٩): يكون للأشخاص الآتي ذكرهم حق المعارضة في الزواج:

(أ) من يكون زوجًا لأحد المتعاقدين.

(ب) الأب، وعند عدمه أو عدم إمكانه إبداء رغبته يكون حق المعارضة للجد الصحيح ثم الأم ثم الجد لأم ثم لباقي الأقارب المنصوص عليهم في المادة (١٦٠) بحسب الترتيب الوارد فيها وتقبل العارضة ولو تجاوز المتعاقد سن الرشد.

(جـ) الولي الذي يعينه المجلس المحلي طبقا للمادة (١٦٠).

مادة (٣٠): تحصل المعارضة في ظرف العشرةِ الأيام المنصوص عليها في المادة الثامنة بتقريرٍ يُقدم إلى الرئيس الديني المختص، ويجب أن يشتمل على اسم المعارض وصفته والمحلِّ الذي اختاره بالجهة المُزْمَع عقد الزواج فيها والأسباب التي يَبْنِي معارضته عليها، والتي يجب أن لَا تخرجَ عن الموانع المنصوص عليها، وإلا كانت المعارضة لاغيةً.

مـادة (٣١): ترفع المعارضة إلى المجلس الملي المختص في خلال ثلاثة أيام من تاريخ وصولها للفصل فيها بطريق الاستعجال.

ولا يجوز عقد الزواج إلا إذا قضى في المعارضة برفضها نهائيًّا[1].

---

(١) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص١٧٢، الزواج والطلاق في جميع الأديان ص ٢٧١، أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ص ٣٩٥.

[٥] الشكل الديني وضرورته في الزواج:

إجراءات عقد الزواج: جاء بشأن عقد الزواج وما يتصل به عدة مواد ضمن قوانين الأحوال الشخصية الخاصة بجميع الطوائف المسيحية بمصر، وهذه المواد هي:

مادة (٢٨): يثبت الزواج في عقد يحرره رجل الدين المرخص له بإجرائه، ويشتمل عقد الزواج على البيانات الآتية:

(١) اسم كلٍّ من الزوجين ولقبه وصناعته ومحل إقامته وتاريخ ميلاده من واقع شهادة الميلاد أو ما يقوم مقامها.

(٢) اسم كل من والدَي الزوجين ولقبه وصناعته، ومحل إقامته وتاريخ ميلاده، وكذلك اسم ولي القاصر من الزوجين ولقبه وصناعته ومحل إقامته

(٣) إثبات حضور الزوجين وحضور ولي القاصر إن كان بينهما قاصر.

(٤) إثبات رضاء الزوجين.

(٥) أسماء الشهود وألقابهم وأعمارهم وصناعتهم ومحل إقامتهم.

(٦) حصول الإعلان المنوه عنه في المادة (٧) من هذا القانون.

(٧) حصول العارضة في الزواج من عدمه وما تم فيها إن وجدت.

(٨) إثبات إتمام المراسيم الدينية اللازمة للزواج.

مادة (٢٩): يكون لدى رجل الدين المختص دفتر لقيد عقود الزواج، وأوراقُه مسلسلةُ الأرقامِ ومختومةٌ بخاتم الرئاسة الدينية، وكل ورقة تشمل على أصل ثابت وثلاث قسائم، وبعد تحرير العقد وإثباته على الوجه المتقدم

ذكره في المادة السابقة يُتلى على جمهور الحاضرين بمعرفة رجل الدين الذي حرره.

ويُوقع على الأصل والقسائم جميعها من الزوجين والشاهدين ورجل الدين الذي بَاشَرَ العقدَ وَأَتَمَّ مراسمَ الزواج، ويسلم إحدى القسائم الثلاث إلى الزوج، والثانية إلى الزوجة وَتُرْسَلُ الثالثةُ إلى الرئاسة الدينية التابع لها لحفظها بعد قيدها في السجل المعد لذلك، ويبقى الأصل الثابت بالدفتر عند رجل الدين لحفظه.

وفي المحافظات يكون على كل مطرانية أو أسقفية أو كنيسة إنجيلية أن ترسل إلى رئاستها الدينية في آخر كل شهر كشفًا بعقود الزواج التي تمت في دائرتها.

مادة (٣٠): وبعد إتمام المراسيم الدينية للزواج يجب توثيقه لدى الموثق المنتدب المختص.

مادة (٣١): يمتنع على الموثقين المنتدبين لتوثيق عقود زواج المصريين المسيحيين إجراء هذا التوثيق إلا إذا قدم له طالبًا التوثيق عقد الزواج الديني المثبت لإتمام المراسم الدينية[١].

وقبل إجراءات الزواج: يستصدر الكاهن تصريحا بإتمام عقد الزواج من الرئيس الديني المختص بعد تقديم محضر الخطبة إليه، وتوريد رسوم الكنيسة المقررة عليه[٢].

---

(١) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص ٢٠٤، ٢٠٥، شرح الأحوال الشخصية ص ٨١ وما بعدها، أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ص ٣٩٦ وما بعدها الزواج والطلاق في جميع الأديان ص ٢٧٣.

(٢) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص ٩٥.

[٦] عقد الأملاك:

عقد الأملاك: هو عبارة عن تعهد من رجل وامرأة بزواج مستقبل، ويحصل بواسطة كاهن الكنيسة، ويكون في وقت الخطبة أو وقت الإكليل قبل عقد الزواج، وهو في منزلة أقل من عقد الزواج، وانتهت الكنائس بعقده قبل الزواج وليس بعد الخطبة؛ لما كان يترتب عليه من متاعب، وبذلك أصبح حكمه الآن حكم الزواج[١].

ويتم عقد الأملاك في الكنيسة على يد الكاهن كالآتي:

(متى حضر الكاهن يبدأ بعقد الأملاك، فيرتدي أولا بالحُلَّة الكهنوتية «الصدر والبرنس» ثم يأخذ الكاهن خاتمَي الذهب ويلفهما مع الإكليل في الحلة ويعقد عليهما، ثم يسأل كل منهما شفويًّا: «أيْ العريس وعروسه» هَلْ قَبِلاَ عن رضًا ومحبة واختيار أن يقترنا ببعضهما؟ بعد ذلك يقبض الكاهن على الصليب بيمينه ويعلن أمام جمهور المسيحيين الحاضرين عقد الأملاك قائلا: باسم ربنا يسوع المسيح مخلصنا نعقد أملاك الابن الأرثوذكسي « فلان» على مخطوبته الابنة الأرثوذكسية «فلانة»، ثم يرشم علامة الصليب قائلاً: باسم الأب والابن والروح القدس، ثم يقول: مبارك الله الأب الضابط الكل... إلخ، ثم يقول الشمامسة: «أو المرنمون»: «كيرية أبليصون» ثلاثَ مرات، ويصلي الجميع، أبانا... إلخ، ثم يعقد الكاهن ثانية وهو يقول: نعقد أملاك الابنة على الابن، ويرشم بالصليب الرشم الثاني، ثم الرشم الثالث ويجاوبه الشمامسة: آمين.

وفي أثناء ذلك يصلى الكاهن الطلبة ثم يرتل الشمامسة النشيد الخاص بالزواج وبعده يبدأ الكاهن بالصلاة قائلا: ارحمنا... إلخ، فصلاة الشكر وبعدها يقرأ الشماس البولس من ١ كو ١/١-١١، فالثلاث تقديسات فالمرموز ٨٥/١٠، وبعده الإنجيل من يو ١/١-١٨.

---

(١) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص ٥٠، وصلوات الخدمات في الكنيسة ص ٨٥ بالهامش.

بعد قراءة الإنجيل يقول المرتلون: السلام للعريس، وبعد ذلك يصلي الكاهن الثلاثة أوشي فقانون الإيمان، ثم يقول الطلبة الخاصة بعقد الأملاك، وعندما يذكر اسم العريس وعروسه يرشم كل منهما في وجهه بعلامة الصليب ثم ينشد المرتلون: أيها المسيح كلمة الأب.

وبعد هذا النشيد يتلو الكاهن الصلاة الثانية للأملاك، وعندما ينتهي منها يقول المرتلون: كما أعطيت السلام، ثم يتلو الطلبة الثالثة والأخيرة ويجاوبه المرتلون: سلامي (أعطيكم) يو ١٥/٢٧ ثم يختم بصلاة الشكر.

ثم يقول: المرتلون: (ليباركنا الله) وبعدها يختم الكاهن عقدَ الأملاك بالصلاة الربانية وقراءة المرتلين في نهايتها كربة أبليصون ثلاث مرات[١].

[٧] قيام الكاهن بالتكليل:

تتطلب الشرائع الكنسية إلى جانب رضا الزوجين بالزواج قيام كاهن الكنيسة بالتكليل كشرط لانعقاد الزواج، يقول زكي شنودة: يتم الزواج بواسطة الله نفسه؛ إذ قال يسوع: (فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان، وَلَمَّا كان الكاهن هو وكيل الله، فيجب أن يتم على يديه، ويجب أن يتم الزواج في الكنيسة؛ لأنه سر من أسرار الكنيسة[٢].

واشترط الإنجيليون لصحة الزواج أن يتم على يد رجل الدين طِبْقًا للمراسيم الدينية وإلا كان باطلاً، كما جاء في المادة (١١): (لأجل أن يكون الزواج صحيحًا يجب أن يكون مستوفيًا للشرائط المُقَرَّرَة لدى الكنيسة التابع لها الطرفان، أما إذا كان الطرفان تَابِعَيْنِ لكنيستينِ مختلفتينِ فيجبُ أن يكون مستوفيًا لكاملِ شروطِ الصحة المتبعة لكل من الكنيستين[٣].

(١) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ١٤٠-١٥٠، صلوات الخدمات في الكنيسة ص٨٥-٩٦.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧١.

(٣) شرح الأحوال الشخصية ص ١٨٢.

وتشترط الكنيسةُ الكاثوليكيةُ أن يُعقد الزواجُ داخلَ كنيسة المنطقة التي يقيم فيها أحد الزوجين ولا ينتقل إلى كنيسةٍ أخرى إلا بعدَ موافقة كاهن كنيسة المنطقة، و إبداء أسباب ذلك.

ويتم التكليل طبقا للطقوس التي يتبعها الكاهن الذي ينتمي إلى الكنيسة التي يتبعها الزوجان؛ فإن بعض الكنائس تسمح بعقد الزواج فيها مادام أحد الزوجين يتبع الكنيسة التي يُعقد فيها الزواج، ويمكن عقد الزواج في الكنيسة التي تتبعها المرأة عند رضاء الرجل بذلك، وَيُحَرِّمُ الكاثوليكُ إتمامَ الزواج في أيام عيد الميلاد وفي الصوم الكبير، في الأوقات الأخرى التي قد تحددها شرائع طوائفهم، وقد تُجَوِّزُ الكنيسة عقد الزواج في الزمن المحرم بشرط عدم إظهار مظاهر الأبهة، أما الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية فتبيح الزواج في كل أيام السنة(١).

صلاة الإكليل(٢):

تمارس الكنيسة صلاة الإكليل للمتزوجين بعد عقد الأملاك، وهذه الصلاة تختلف باختلاف المتزوجين، فللأبكار صلاة والمترملين صلاة خاصة بهم.

فإذا كان المتزوجون أبكارًا أو أحدهما بِكْرًا والآخر مترملاً، فيمارس الكاهن الصلاة الخاصة بهم، وقبل مباشرة عقد الإكليل يؤتى بالعروس أولاً بالتراتيل الكنائسية الخاصة بذلك، وتجلس عن يمين العريس، ثم يبدأ الكاهن مباشرةَ صلاة الإكليل أمام الكنيسة فيصلي الكاهن قائلا: ارحمنا... إلخ، وبعد صلاة الشكر ورفع البخور يقرأ

---

(١) راجع: أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ص٦٠، ٦١، أحكام الأحوال الشخصية ص٦١٢ وما بعدها..

(٢) تُعرف الصلاة بصلاة الإكليل نسبةً إلى الإكليل (التاج) الذي يوضع على رأس العروس عند الزواج (الإكليل يشبه عصابة تُزَيَّنُ بالجوهر، ويسمى إكليلاً و (كلله تكليلا) ألبسه الإكليل) مختار الصحاح ص ٥٧٧.

البولس من أف ٥/ ٢٢ إلخ، فالثلاث تقديسات فمزموز ١٩/ ٥، مزمور ١٢٨/ ٣ فالإنجيل من متى ١٩/ ١-١٠.

وبعد قراءة الإنجيل ينشد المرتلون باللغة القبطية وبلحن الفرح: (هؤلاء الذين جمعتهم أَلِّفْهُمْ مَعًا، ثم يتلو الكاهن الطلبات ويجاوبه المرتلون قائلين: أيها المسيح كلمة الأب، ثم يصلي الثلاث أواشي وبعد تلاوة قانون الإيمان يقرأ الطلبات الخاصة بالإكليل على رأس العروسين، وفي ختام كلٍّ منها يقول المرتلون النشيد الخاصَّ بالإكليل.

بعد ذلك يتلو الكاهن الطلبة الخاصة بالحلة والثياب، ثم يرد المرتلون باللحن قائلين: الحلة الروحية، ثم يصلي الكاهن بخضوع لله صلاة شكرٍ ثم يُؤتى بالزيت وبعد الصلاة يرشمهما به، وبعد ذلك يتلو الطلبة ثم يصلي على الأكاليل لتكون للعروسين إكليلَ فرحٍ ومسرة، وفي آخر كل جملة يهتف الشعب والشمامسة (آمين) فليكن وأخيرا يضع الإكليل على رأسيهما وهو يصلي قائلا: ضع يا رب عبدك أكاليل النعمة الدائمة.

ثم يصلي الكاهن الصلاة الربانية ويقرأ التحاليل ثم يبارك العريس راشمًا إياه بعلامة الصليب قائلاً: يا الذي بارك أبانا آدم، وكذلك العروس حواء، ثم يلقي أخيرًا على مسمع العروس الوصايا الموضوعة من الكنيسة، وفي نهاية كل منها يجاوب المرتلون قائلين: اسمي يا ابنتي... إلخ مز ٤٥: ٩.

بعد ذلك يتلو الكاهن البركة وبعدها يرتل الشمامسة نشيد السلام، ثم يسلم الكاهن العروسين لبعضهما بأن يضع يدَ العروس في يد العريس وهو يقول: (سلام سيدنا يسوع المسيح... إلخ. ثم يتلو على مسمع العريس الوصايا الإنجيلية.

وبعد أن ينتهي الكاهن من تلاوة هذه الوصايا يطلب من الله أن يباركهما وينميهما في المحبة والسلامة ويحرسهما بالألفة والاتفاق ويمنحهما نعمةً ليعيشا في خوف الله

كل أيام حياتهما، وأن يرزقهما نسلاً ويكثرهما بحسب صلاحه، وأخيرًا يختم الإكليل بالصلاة الربانية[١].

صلاة الزيجة الثانية للأرامل:

جاء في كتاب (المجموع الصفوي) لابن العسال قوله:

(وأما الزيجة الثانية فدون الأولى، ولهذا رسم في القوانين أن لا يكون لها بركة إكليل بل صلاة استغفار) (وإن كان أحد المتزوجين بكرًا، فَلْيُبَارَكْ وحدَه، وهذه السنة للرجال والنساء جميعا)[٢].

يصلي الكاهن صلاة الشكر بعد رفع البخور، ويرتل المزمور الخمسين ويرتل الشمامسة ما يناسب ذلك، ثم يقرأ البولسية من العبرانيين ١/١٣ -٦ أوكيو ٧/٧-٩ ثم يقال الثلاث تقديسات وأوشية الإنجيل ثم يرتل المزمور ٣/١٢٧، والإنجيل يو ٢٧/٣-٢٩ ثم يقول الكاهن الثلاث أواشي الصغار قانون الإيمان ويصلي صلاةً خاصةً بعد ذلك، ثم يقول التحاليل الثلاثة والبركة، ويدهنهما بالزيت ثم يوصي الحاضرين، ويوصي كُلاًّ من الزوجين بالآخر خيرًا، ويدعو لهما بالخير والبركة[٣].

ويعتبر الزواج الذي لا تجرى له مراسم دينية في الكنيسة باطلاً في عرف النصارى، ويحتاج إلى إعادةٍ على أساس ديني ليكون صحيحًا وموجودًا قانونيًّا[٤].

وقد وُجدت اختلافات بين الكنائس بشأن إتمام الزواج في الكنائس التي لا يتبعها

(١) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ١٥١-١٦٣، وصلوات الخدمات ص٩٧ وما بعدها، القيم الروحية في سر الزيجة ص٦٣، الزواج هذا السر العظيم ص٢٨-٣١، دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر ص٤٧.

(٢) نقلا عن كتاب: القيم الروحية في سر الزيجة ص٩٧.

(٣) راجع: صلوات الخدمات في الكنيسة ص١١٩-١٢٥.

(٤) راجع: شرح الأحوال الشخصية ص٦١.

الزوجان أو أحدهما، في حالة عدم وجود كنائس في حدود الولاية الطقسية، فمنهم من يُجَوِّزُ انعقادَ الزواج في الكنائس المخالفة، ومنهم من يمنع ذلك[١].

ولا يُسمح بعقد الزواج سِرًّا عند الكاثوليك إلا لسببٍ جسيمٍ ومحرجٍ للغاية.

وفي حالة عدم حضور رجل الدين- وذلك في الظروف الاستثنائية - فإنه لابد من حضور الشهود كما جاء في قانون الأحوال الشخصية للكاثوليك[٢] رقم ٨٩:

(إذا حالت مشقة جسيمة دون الحصول على الخوري أو الرئيس الكنسي أو على الكاهن يأذن لهما لحضور الزواج بموجب القانون ٨٦، ٨٧، أو حالت هذه المشقة دون البلوغ إلى أحدهم:

(١) ففي خطر الموت يصح ويجوز الزواج المعقود أمام الشهود فقط حتى فيما سوى خطر الموت شرطَ أن يقدر بفطنة استمرار هذه الحالة مدة شهر.

(٢) إذا توفر في كلتا الحالتين وجودُ أي كاهن كاثوليكي بإمكانه أن يشهد العقد وَجَبَ أن يُدْعَى وأن يحضر الزواج مع الشهود ولو صح الزواج بحضور الشهود فقط[٣].

توثيق عقد الزواج:

يعتبر توثيق الزواج من المسائل التي تهم الزوجين والأولاد، وذلك لإثبات البنوة الشرعية، وما يترتب على ذلك من حقوق مثل الإرث.

---

(١) راجع: أحكام الأحوال الشخصية ص٦١٤ وما بعدهما.

(٢) راجع: أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ص٦١، أحكام الأحوال الشخصية ص ٦١٠.

(٣) راجع: أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ص٤٤٦، أحكام الأحوال الشخصية ص ٦٢٩.

وإثبات الزواج من المسائل التي تهم المجتمع، وذلك لِنَفْيِ أي خلط بين الزواج والعلاقات الحرة غير المشروعة؛ ولذلك تُلزم الكنيسةُ الكاهنَ القائمَ بالزواج بتحرير عقد الزواج وتوثيقه لدى المختصِّ بالتوثيق، وقد جاء في قوانين الأحوال الشخصية الخاصة بِمُتَّحِدِي الملة بهذا الشأن:

مادة (٣٠): بعد إتمام المراسيم الدينية للزواج يجب توثيقه لدى الموثق المنتدب المختص.

مادة (٣١): يمتنع على الموثقين لتوثيق عقود زواج المصريين المسيحيين إجراء التوثيق إلا إذا قدم له طالبًا التوثيقَ عقد الزواج الديني المثبت لإتمام المراسم الدينية[١].

وقد نظم القانون ٦٢٩ الصادر في ٢٦ ديسمبر ١٩٥٥م اللوائح الخاصة بالتوثيق وبيان التعليمات العامة بهذا الشأن، معدل لقانون ٦٨٨ لسنة ١٩٤٧م الخاص بالتوثيق[٢].

[٨] بطلان الزواج:

جاء في مشروع قانون الأحوال الشخصية المُوَحَّد لجميع الطوائف المسيحية بمصر بخصوص بطلان الزواج عدة مواد وهي:

مادة (٢): يكون الزواج باطلاً في الحالات الآتية:

(١) إذا لم يتوفر رضاء الزوجين رضاء صحيحًا.

(٢) إذا لم يتم بالمراسيم الدينية علنًا بحضور شاهدينِ مسيحيينِ على الأقل.

(١) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص٢٠٥.

(٢) راجع ذلك بالتفصيل في: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص٩٦ وما بعدها، أحكام الأحوال الشخصية ص٦٢١ وما بعدها، شرح مبادئ الأحوال الشخصية ص١٦٩ وما بعدها.

(٣) إذا لم يبلغ الزوجان السن القانوني للزواج المنصوص عليها في المادة ١٦ من هذا القانون.

(٤) إذا كان بأحد الزوجين مانع من موانع قرابة الدم أو مصاهرة أو التبني المنصوص عليها في المواد ١٨، ١٩، ٢٠.

(٥) إذا كان أحد طرفيه وقت انعقاده مرتبطًا بزواج صحيح قائم.

(٦) إذا تزوج القاتل عَمْدًا أو شريكه بزوج قتيله متى ثبت أن القتل كان بالتواطؤ بينهما بقصد الزواج ومتى ثبت أن الدافع على القتل هو الزواج.

(٧) إذا تزوج المسيحي بمن ينتمي إلى دين أو مذهب آخر غير مسيحي.

(٨) إذا قام لدى أحد الزوجين مانعٌ من الموانع المنصوص عليها في المادة ٢٥ من هذا القانون بشرط أن يكون ذلك قبل الزواج.

(٩) إذا كان أحد الزوجين سبق تطليقه لعلة زناه.

مادة (٣٣): يبطل زواج الرجل الذي يخطف المرأة أو يقيد حريتها في مكان ما بقصد تزوجها إذا عُقِدَ الزواجُ وهي في حوزته.

مادة (٣٤): إذا عُقِدَ الزواجُ بغير رضاء الزوجين أو أحدهما رضاء صحيحًا صادرًا عن حرية واختيار فلا يجوز الطعن في الزواج إلا من الزوج الذي وقع عليه الغش أو الغلط، وكذلك الحكم فيما إذا وقع غش في شأن بكارة الزوجة إذا ادعت أنها بكر وتبين أن بكارتها أزيلت بسبب سوء سلوكها أو في خلوها من الحمل وتبين أنها حامل.

مادة (٣٥): لا تقبل دعوى الإبطال في الأحوال المنصوص عليها في المادة السابقة إلا إذا رُفعت الدعوى في خلال ثلاثة أشهر من وقت أن يصبح الزوج المعيب رضائه متمتعًا بكامل رضائه، أو من وقت علمه بالغش أو الغلط.

مادة (٣٦): إذا عقد زواج القاصر بغير إذن وليه فلا يجوز الطعن فيه إلا من الولي أو القاصر وتقبل دعوى الإبطال من الولي إذا كان قد أقر الزواج صراحةً أو ضِمنًا أو كان قد مضى شهرٌ على علمه بالزواج، ولا تُقْبَلُ الدعوى أيضًا من الزوج بعد مُضِيِّ ثلاثة أشهر من بلوغه سنَّ الرشد المدني.

مادة (٣٧): الزواج الذي يُعقد بين الزوجين لم يبلغ كلاهما أو أحدهما السن المقررة لا يجوز الطعن فيه من وقت بلوغ الزوجين أو أحدهما سنَّ الرشد أو حملت الزوجة ولو قَبْلَ ذلك.

مادة (٣٨): الزواج الذي حُكِمَ ببطلانه أو بإبطاله يترتب عليه رغم ذلك آثاره القانونية بالنسبة للزوجين وذريتهما إذا ثبت أن كليهما كان حسن النية أي كَانَا يجهلان وقت الزواج سبب البُطْلاَنِ أو الإبطال الذي يشوب العقد، أما إذا لم يتوفر حسنُ النية إلا من جانب أحد الزوجين دونَ الآخَرِ فالزواجُ لا يترتبُ عليه آثارُه إلا بالنسبة للذرية وللزوج حسن النية.

مادة (٣٩): مَنْ تَسبَّبَ من الزوجينِ بخطئه في وقوع الزواج باطلاً أو قابلاً للإبطال وَجَبَ عليه أن يُعَوِّضَ الطرفَ الآخَرَ عن الأضرار التي لحقته من جراء ذلك[1].

وتختلف أسباب بُطْلاَنِ الزواج عند كل كنيسة عن الأخرى اختلافًا بسيطًا[2].

---

(١) دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) راجع: الزواج والطلاق في جميع الأديان ص٢٧٦، ٣٣٨، أحكام الأحوال الشخصية ص٦٤٣.

[٩] حقوق الزوجين وواجباتهما:

يوجد حقوق وواجبات للزوجين لكل منهما على الآخَرِ ومنها:

١- يجب لكل من الزوجين على الآخر الأمانة والاحترام والمعاونة على المعيشة والخدمة عند المرض والمساندة في مجابهة الحياة.

٢- يجب على الزوج حماية زوجته ومعاملتها بالمعروف ومعاشرتها بالحسنى، ويجب على المرأة إطاعة زوجها فيما له عليها من حقوق الزوجية، والمحافظة على ماله وملاحظة شئون بيته، وعليهما العناية بتربية أولادهما.

٣- على الزوجين وأولادهما أن يعيشوا معًا في منزل الزوجية الذي يختاره الزوج، ولا يجوز إقامة أي من وَالِدَيِ الزوجين معهم في ذلك المنزل بدون رضائهما إلا إذا كان غير قادر على المعيشة بفرده بسبب الشيخوخة أو المرض.

٤- على الزوجة إطاعة زوجها وهو التزام روحي وأدبي لا يجوز معه إكراه الزوجة بالقوة الجبرية على الإقامة في منزل الزوجية، وأن يقوم بالإنفاق على احتياجاتها المعيشية قدر طاقته.

٥- الارتباط الزوجي لا يوجب اختلاط الحقوق المالية بل تظل ذمة كل من الزوجين المالية منفصلة[1].

---

(١) راجع: دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص١٧٤، ٢٠٧، الزواج والطلاق في جميع الأديان ص٢٧٨، الزواج هذا السر العظيم ص٣٢ وما بعدها، القيم الروحية في سر الزيجة ص٣٣، أحكام الأحوال الشخصية ص٦٨١ وما بعدها، أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ص٣٩٩، شرح الأحوال الشخصية ص٨٤ وما بعدها.

ومن التعاليم التي حَثَّ بها العهد الجديد المرأة تجاهَ زوجها لأجل تحقيق السعادة الزوجية ما يلي:

١- أن الرجل هو رأسها وعليها أن تطيعه وتحترمه وإلا انهارت سعادتها.

٢- أن تحترم رأيه وإرادته وأن تتفاهم معه بالحسنى دون أن ترفع صوتها.

٣- أن تشعره دائما بأنه أقوى منها، وأن تطلب حمايته ومشورته ونصحه.

٤- أن تهتم به وتعمل على إسعاده، ولا تجرح إحساسه ولا تهين شعوره في شخصه أو عمله أو أهله.

٥- ألا تتعدى على حقوقه الشخصية.

٦- أن تكون متسامحة معه ولا تتدخل في شئونه الخاصة إلا بقدر، وألا تلح عليه في أن يعرفها ما يريد أن يحتفظ به لنفسه من أسرار.

٧- أن تعلم أن زوجها هو الأقرب لها فتجعله موطن سرها وتحبه وتضحي من أجله[1].

وفي الجانبَ المقابل أوصى بولس الرجال بحسن المعاملة لأزواجهن وبمحبتهن إذْ يقول في رسالته إلى أفسس: (أيها الرجال، أَحِبُّوا نساءَكم كما أَحَبَّ المسيح أيضا الكنيسة)[2].

وفي رسالة بطرس الأولى: (أيها الرجال، كُونُوا ساكنينَ بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضعف معطين إياهن كرمة)[3].

---

(١) مكانة المرأة في المسيحية ص٣٤، ٣٥ بتصرف.

(٢) أفسس: ٥/ ٢٥.

(٣) بطرس الأولى: ٣/ ٧.

المبحث الرابع

تعدد الزوجات والطلاق في النصرانية

[١] تعدد الزوجات:

يعتبر النصارى أن وحده الزيجة من خصائص النصرانية فلا يتزوج الرجل إلا بامرأة واحدة ولا تتزوج المرأة إلا برجل واحد، ولا يجوز لأحدهما أن يتزوج مرةً ثانيةً إلا بعد موتِ الآخَرِ، فلا يَجْمَع الرجلُ بينَ أكثرَ من امرأة[١].

ولذا فقد منع الدين النصراني تعدد الزوجات معلنًا أن يكون الزواج مُؤَسَّسًا على المحبة المتفانية والوفاء الغير محدود وسارت أغلبُ شرائع أرويا على هذا المنوال، وقد ورد هذا المبدأ في المجموع الصفوي ونصه: (أما الجمع بين زوجتين أو أكثر فلا يجوز؛ لأنه زنًا ظاهرٌ مستمرٌ، وقد نصت المادة ١٤٧ من القانون الفرنسي: ألا يُعْقَدَ زواجٌ ثانٍ قبلَ فسخِ الأولِ)[٢].

ويعلل النصارى عدمَ جوازِ تعددِ الزوجاتِ بعدةِ تعليلاتٍ منها:

١- أن الله تعالى لَمَّا خلق آدم لم يخلق له سوى امرأة واحدة (لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدًا واحدًا)، فلو أراد الله أن يكون للرجل أكثرُ من زوجةٍ لخلف له نساء عديدات.

٢- أن المسيح في جوابه على الفريسيين أعلن وحدةَ الزيجة ومنعَ تعددَ الزوجاتِ؛ إذ أَوْضَحَ أن الناموسَ الذي وضعه اللهُ تعالى عندَ البدءِ هو أن تكون امرأةٌ واحدةٌ

(١) راجع: القيم الروحية في سر الزيجة ص ٧٢.

(٢) دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص ٧٠.

لرجلٍ واحدٍ؛ إذ قال: إنه خلقهما ذكرًا وأنثى، وأنهما ليسا بعد اثنين بل جسدًا واحدًا وأن موسى أَذِنَ لهم بالطلاق لقساوةِ قلوبهم، ولكن منذ البدء لم يكن هكذا[١].

٣- يستدلون بقول بولس: (ليكن لكل واحدٍ امرأتُه، وليكن لكل واحدةٍ رجلُها... وليس للمرأة تسلطٌ على جسدِها، بل للرجل، وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة... لا تفارق المرأة رجلَها.. ولا يترك الرجل امرأته...والمرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حيا)[٢].

٤- يستدلون بقول ملاخي: (أن الرب هو الشاهد بينَك وبينَ امرأةِ شبابِك التي أنت غدرتَ بها وهي قرينتك وامرأة عهدك، فاحذروا لروحكم، ولا يغدر أحدٌ بامرأة شبابه لأنه يكره الطلاق)[٣] فهم يستدلون بهذا النص على عدم جواز تعدد الزوجات؛ لأن الله يكره الطلاق.

٥- يذكر حبيب جرجس أن تعدد الزوجات مَجْلَبَةٌ لأضرار كثيرة عائلية واجتماعية ومدعاة للشقاق والانقسام بين الرجل وزوجاته ولا يستطيع أن يسوي بين نسائه، والتعددُ يؤدي إلى عدم القدرة على تربية الأولاد؛ مما يترتب عليه أضرار اجتماعية، أَضِفْ إلى ذلك أن الرجلَ الواحدَ لا يقدرُ على تأدية الواجب الزوجي إلى كل واحدة من نسائه؛ فتصبح تلك النساء معرضاتٍ لخطر فقدان العفة؛ فإن تعدد الزوجات مخالفٌ لسنن الزواج ومضرٌّ بالعائلة وبالهيئة الاجتماعية[٤].

---

(١) راجع: متى: ١٩/ ٤-٨.

(٢) ١ كو ٢/ ٥، ١٠، ١١، ٢٩.

(٣) ملاخي: ٢/ ١٤-١٦.

(٤) راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص١٤٥.

وللرد على هذه الأدلة يمكن القول:

إن الله تعالى خلق لآدم زوجةً واحدةً سَيْرًا على سنته الكونية في الخلق، فقد خلق الله من كل شيء زوجين: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

وما جاء في إنجيل مرقس من قول المسيح حينما سأله الفريسيون عن طلاق الرجل لزوجته: (هل يحل للرجل أن يطلق امرأته؟ فأجاب: قائلا، ولكن من بدء الخليقة ذكرًا وأنثى خلقهما الله؛ من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا)[٢].

إن كلمة الالتصاق هنا يُقصد بها تبادل المحبة والمودة وليس المقصودُ منها المعنى الواقعيَّ لاستحالةِ التصاقِ الرجلِ بأبويه؛ لأننا هنا نكون أمام ثلاثةٍ في واحدٍ... وعلى هذا فيُقصد هنا بالالتصاق المعنوي[٣].

كما أنه لا يوجد في التوراة نصٌّ يمنع التعددَ بل وَرَدَ ما يفيدُ التعددَ؛ فقد جاء في سفر التكوين: (واتخذ لامك لنفسه امرأتين، اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة... وقال لامك لامرأتيه عادة وصلة: اسمعا قولي يا امرأتَي لامك وأصغيا لكلامي...)[٤].

وكذلك جمع يعقوب بين امرأتين هما ليئة وراحيل وهذا يدل على أن التعدد كان مباحًا[٥].

جاء في إنجيل متى قول المسيح: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئتُ

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٤٩).

(٢) مرقس: ١٠/ ٢، ٦، ٧.

(٣) الدين والمجتمع - د/ زيدان عبد الباقي ص ٧٧ وما بعدها بتصرف.

(٤) تكوين: ٤/ ١٩-٢٣.

(٥) راجع: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه صح١٧٧.

لأنقض بل لأكمل؛ فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل[١] والناموس الذي لم يأت المسيح لنقضه هو التوراة، حسب رأي أغلبية علماء الدين عندهم، إلا إذا ورد في الإنجيل ما ينقضها.

وقد ذكر (ستافور) أن رسالة المسيح كانت أخلاقية، ولم تكن لِسَنِّ قوانين وإصدار تشريعاتٍ، ودليلُ ذلك ما جاء في إنجيل لوقا: (وقال له واحد من الجمع: يا معلم، قُلْ لأخي أن يقاسمني الميراثَ. فقال له: يا إنسان، من أقامني عليكما قاضيًا أو مقسمًا)[٢]، ثم عاد (ستافور) فَبَيَّنَ أن عيسى عليه السلام شرع أخلاقيات جديدة وصاحبها إبطالُ مُقَابِلِهَا في التوراة، ثم ذَكَرَ سبعَ نقاطٍ أساسية خَالَفَ فيها الإنجيلُ التوراةَ، والمقام يقتضينا أن نذكرَ منها نقطتين تتعلقان بموضوعنا.

أ- عقوبة الزاني في التوراة القتل[٣] وخالف الإنجيل في هذا وترك الزانية بدون عقاب[٤].

ب- أباحت التوراة الطلاق[٥]، وحرمه الإنجيل[٦].

ولم يذكر أحد من الباحثين في المسائل الدينية أن الإنجيل خَالَفَ التوراةَ في حكم تعدد الزوجات، ولو كان هناك فقرة واحدة تفيد هذا صراحةً لملئت بها صفحات وصفحات لبيان مسايرة المسيحية في أصولها للاتجاه الأوربي في مقابل الإسلام.

---

(١) متى: ٥/ ١٧، ١٨.

(٢) لوقا: ١٢/ ١٣، ١٤.

(٣) راجع: اللاويين: ٢٠/ ١١-١٨.

(٤) راجع: يوحنا: ٨/ ١١.

(٥) راجع: تثنية: ٢٤/ ١.

(٦) راجع: مرقس: ١٠/ ٦-١٢.

ولو رجعنا إلى النصوص التي استدلوا بها على تحريم تعدد الزوجات نجد خلافَ ذلك؛ فهي تدل على تحريم الطلاق ولا تدل على تعدد الزوجات، فصيغة الإفراد التي وَرَدَتْ في إجابة عيسى عليه السلام جاءت لتماثلَ صيغةَ الإفرادِ في سؤال التلاميذ، فالإفرادُ كان لمطابقةِ مَثِيلِهِ في السؤالِ، وظروفُ النص تبين بوضوح أنه لتحريم الطلاق ولا يفيد منه تحريم التعدد إلا بتأويل متعسف.

أما الفقرة الثانية: (من طلق امرأته، وتزوج غيرها زنى، ومن تزوج التي طلقها زوجها زنى) فيُفهم تحريم التعدد من الجملة الثانية دون الأولى؛ لأنه ربما يكون الرجل الذي تزوج المطلقة ليس معددًا؛ لأنها بالنسبة له الزوجة الأولى، فَلِمَ كان زانيًا؟ فهو لم يعدد.

كان زانيًا لأنه دخل بامرأة لا زالت بعصمة رجل آخر؛ لأن الطلاق لم يُعترف به لا لأنه عَدَّدَ الزوجاتِ، إذًا ملابسات النص بأكمله تصرفه إلى تحريم الطلاق.

وقول بولس لا يدل على تحريم تعدد الزوجات، إلا إذا صيغ على الوجه التالي: فليكن لكل رجل امرأة ولكل امرأة زوج، ولا يخفى الفرق بين التعبيرين[1].

فلم يَرِدْ في العهد الجديد نصٌّ يدل صراحةً على تحريم تعدد الزوجات، وإنما يعتمد النصارى في تقييدهم الزواج بواحدة على نصوص يؤولونها تأويلاً بعيدًا عن مفهومها وسياقها.

وفي رسائل بولس ما يفيد جواز التعدد، فقد سئل بولس عن شروط الأسقف والشمامسة فكتب في رسالته إلى تيموثاوس: (يجب أن يكون الأسقف بلا لوم بَعْلَ امرأة واحدة... وليكن الشمامسة لكل بعل امرأة واحدة، والمفهوم الظاهر لهذه النصوص: «أن على الرجال أن يقتصروا على زوجة واحدة، وذلك إنما كان مرجعُه إلى أن رجال

(١) بين الإسلام والمسيحية- تحقيق د/ محمد شامة ص٨٠-٨٣ بتصرف.

الدين كانوا يفضلون لرجل الدين أن يَقْنَعَ بزوجة واحدة إذا لم يطق الرهبانية، ولقد توخوا من وحدة الزوجة الاكتفاء بأهون الشرور»[١].

وفي إلزام كل من الأسقف والشماس بذلك دليل على جوازه لغيره؛ لهذا لم يفهم أحد من النصارى في العصور الأولى أن دينهم يحرم عليهم تعدد الزوجات.

إن رجال الكنيسة كانوا يعددون الزوجات وكذلك الملوك؛ فقد كان (الديارميت) ملك أيرلندة زوجتان شرعيتان، وتزوج (الملوك الميرفين) عدة مرات بأكثر من زوجة، وكان (لشارمان) زوجتان وعدة سريات[٢]، وقد سَنَّ الإمبراطور «فلافيوس فالنتيان» قانونًا يبيح تعدد الزوجات في منتصف القرن الرابع الميلادي أباح فيه للمواطنين جميعًا أن يتزوجوا عدةَ زوجات إذا شاءوا، ولم يَحْتَجَّ الأساقفةُ ورؤساء الكنائس المسيحية؛ لأَنَّ كثيرين منهم كانوا يتخذون أكثرَ من زوجة شرعية وغير شرعية، ثم مارس الأباطرة الذين خالفوا (فالنتيان) تعددَ الزوجات واستمر العملُ بقانونه إلى عصر جنستان الأول (٥٢٧-٥٦٥) حيث حَرَّمَ التعددَ، إلا أنه لم ينجح في تحريمه ولم يكن في هذا التحريم متأثرًا بالمسيحية؛ لأن أكبر مستشاريه كان غير مسيحي، ولهذا لم يخضع لتحريم التعدد إلا قلة من المفكرين)[٣]، أما أكثر الشعب فلم يتقيد به ثم حدث بعد ذلك أن أصدر مجلس الفرنكيين بنورمبرج قرارًا يُجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين، وفي عام ١٥٣١م ناد المعمدانيون في موشير بأن من حق المسيحي أن تكون له عدة زوجات باعتبار هذا التعدد نظامًا إلهيًا مقدسًا، وهكذا بقي التعدد باعتراف الكنيسة إلى القرن السابع عشر

(١) راجع: نظام تعدد الزوجات في الإسلام- د/ كوثر كامل ص٢١، ٢٢- دار الاعتصام سنة ١٤٠٥هـ- حقائق الإسلام ص١٧٧.

(٢) راجع: المرأة في الإسلام -د/ علي عبد الواحد وافي ص١٦١، في محكمة التاريخ ص١١٨.

(٣) عالم الفكر -عدد مايو- يونيه سنة ١٩٧٦م الكويت ص٥٧.

الميلادي[١] وكانت حجةُ مَنْعِهِ أن الاكتفاء بالواحدة أخفُّ الشرور لمن لا يقدر على الرهبانية، ولم يكن منعه إكبارًا لشأن المرأة يومَ أن كان الخلاف بينهم على أنها ذات روح أو أنها جسد بغير روح... ولم يكن بينهم خلاف يومئذ على أنها حبالة الشيطان.

واعترفت الكنيسة بأبناء شرعيين للعاهل شرلمان من عدة زوجات، وقال وسترمارك (wesler mark) العالم الثقة في تاريخ الزواج أن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلى القرن السابع عشر، وكان يتكرر كثيرًا في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة.

وعرض جروتيوس «grotius» العالم القانوني المشهور لهذا الموضوع في بحث من بحوثه الفقهية فاستصوب شريعة الآباء العبرانيين والأنبياء في العهد القديم[٢].

كما توجد فِرَقٌ من النصارى تدافع عن إباحة التعدد في المجتمع النصراني، ومنها الفرقة الألمانية (الأنابقتسنس) التي ظهرت في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، ومنها فرقة المورمون بالولايات المتحدة الأمريكية التي ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، والتي كانت تنظر إلى أن تعدد الزوجات نظام إلهي في الديانة المسيحية، ولقد كان لقائدهم (بونج) عشرون زوجة، وكذلك نجد المبشرين في إندونيسيا يحاولون تغييرَ قانون الأسرة لإباحة التعدد إلى غير حَدٍّ لاستخدامه في نشر عقيدتهم، وفي سام تايلاند مازال التعدد يُمارس دون حَدٍّ على مسمع من المبشرين... إلخ[٣].

ولقد تأثرت النصرانية بالأمم الوثنية التي انتشرت فيها النصرانية مثل اليونان والرومان؛ فقد كانت تقاليدهم تُحَرِّمُ تعددَ الزوجاتِ المعقود عليهن، وقد سار أهلها بعد

---

(١) راجع: المرأة في الأديان السماوية- د/ صابر أحمد طه ص١٦١ -رسالة ماجستير- كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص١٧٧.

(٣) الدعوة الإسلامية في عهدها المدني- د/ رءوف شلبي ص٣٢١ - ٣٢٣ - نداء للجنس اللطيف- محمد رشيد رضا ص٢٤٤ وما بعدها بتصرف.

اعتنقاهم النصرانية على ما وجدوا عليه آباءهم من قبلُ، فلم يكن نظام وحدة الزوجة عندهم نظامًا طارئًا جاء به الدين الجديد الذي دخلوا فيه، وإنما كان نظامًا قديمًا جرى عليه العمل في وثنيتهم الأولى، ومن أجل أن تساير المسيحية هذا الوضعَ فقد حَرَّمَتْ تعددَ الزوجات حتى يدخل الأوربيون في دينهم، ومثل هذا الأسلوب اتخذ في العصر الحديث؛ فقد أباحت النصرانية المعاصرة تعدد الزوجات في أفريقيا السوداء[١].

حيث وجدت الإرساليات التبشيرية نفسَها أمام واقع اجتماعي وهو تعدد الزوجات لدى الإفريقيين الوثنيين، ورأوا أن الإصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين الدخول في النصرانية؛ فنادوا بوجوب السماح للإفريقيين النصارى بالتعدد إلى غير حدود[٢]، حتى القسيس في الكنيسة الإفريقية يجوز له أن يتزوج بأكثر من امرأة، بينما يحرم هذا على زميله في أوروبا فأيهما تكون النصرانية؟ أتحريم التعدد على النصارى في أوروبا أم جوازه لشركائهم في العقيدة في أفريقيا؟ لا نجد عندَهم جوابًا سوى أن نقول: تلك هي سياسة الكنيسة في نشر عقائدها؛ تحرم وتحلل لترغيب الناس في اعتناق المسيحية ثم يصير ما حللته أو حرمته بمرور الزمن شريعةً تُدافع عنها الأناجيل اللاحقة كأنه مُنَزَّلٌ من السماء، ولم يكن سوى تحريم لشريعة الله[٣].

يقول جورج زيدان: النصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزوج بامرأتين وأكثر ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزًا عندهم[٤].

وكذلك يؤكد الأستاذ (وسترمارك) ويؤيده (أرجست فوريل) و (سيداتير) على أن

(١) المرأة في الإسلام -د/ علي عبد الواحد وافي ص١٦١ بتصرف.

(٢) الإسلام والنصرانية في أفريقيا - لنورجيه - ص٩٢ -٩٨ بتصرف نقلًا عن نظام الأسرة في الإسلام ص٣٦ - في محكمة التاريخ ص١١٨.

(٣) راجع: بين الإسلام والمسيحية ص٨٤.

(٤) راجع: المرأة والأسرة ص٣٣٧.

الكنيسة وحدَها هي التي ابتدعت القول بمنع تعدد الزوجات خضوعًا لمؤثرات أجنبية عن النصرانية ذاتها[١].

ويقول (*Ashton*) أشتون: (لقد هاجمت الكنائس بأجمعها تعددَ الزوجات، واعتبرته خارجًا على القانون، لكن من الملاحظ أن كثيرًا من الرؤساء وغيرهم مستعدون لأن يطردوا في سبيله من الكنيسة)[٢].

أما عن احتجاج النصارى على منع التعدد بأنه يترتب عليه الأضرار الكثيرة فإن هذا الاحتجاج ليس له نصيب من الصحة، وسوف يتضح ذلك في النقطة التالية إن شاء الله تعالى.

مساوئ الاقتصار على زوجة واحدة:

لقد ترتب على منع الكنيسة أتباعَها من تعدد الزوجات والاقتصار على زوجة واحدة المساوئ الكثيرة منها اتخاذ العشيقات، وانتشار الزنا، وغير ذلك.

يقول المستشرق (دينية) الذي أسلم وسمى نفسه «ناصر الدين» في كتابه: (أشعة خاصة بنور الإسلام): لم يحقق تحريمُ تعدد الزوجات في المسيحية الغرضَ المقصودَ منه، بل أَسْفَرَ عن نتائجَ خطيرةٍ من الدعارة والعوانس من النساء والأبناء غير الشرعيين[٣].

لقد شاع في جميع أمم الغرب نظام الخادنة واتخاذ الأزواج للخليلات والزوجات للأخلاء، وهجر الزوجات للأخلاء، وهجر الزوجات منزل الزوجية، وفرار الأزواج مع عشيقاتهم، والزوجات مع عشاقهن، وأصبحت هذه الأمور وما إليها في كثير من

---

(١) موانع الزواج في الشرائع السماوية ص٥٣، في محكمة التاريخ ص١١٩.

(٢) المعاملات في الإسلام ص٩٤.

(٣) المرأة بين الجاهلية والإسلام - سعيد صادق ص١٧.

بلاد أوروبا وأمريكا شيئًا عاديًا وتبع نظام المخادنة ووحدة الزوجة في هذه البلاد كثرة أولاد السفاح[١].

ففي فرنسا مثلا بلغت نسبة أولاد السفاح ما يقارب من ٥٠ ٪ من مجموع المواليد، وفي مقاطعة (السين وحدها) خمسون ألف لقيط[٢]، وفي أمريكا أصدر الكاتب الأمريكي دكتور «كنس» كتابًا عن المرأة والحب قال فيه: إن هناك ١٠٠,٠٠٠ فتاة سنويًا يقربهن الرجال وتصبحن بلا شرف، وإن ما يقرب من ١٣٠,٠٠٠ ألف طفل يولد ولادة غير شرعية في الولايات المتحدة سنويًا[٣]، وفي معهد أبحاث أمريكا في لوس أنجلوس كَشَفَ العلماء هناك عن فضيحة أخلاقية مفزعة وهي أن عشرة آلاف فتاة في كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالاً غير شرعيين، وأن عدد البنات اللاتي ولدن ولادات غير شرعية في الولايات المتحدة يزيد على ٣٠٠ ألف فتاة، وأنه في مدرسة ثانوية واحدة في مدينة لوس أنجلوس ظهرت أعراض الحمل على ٢٥٠ طالبة، وما يحدث في أمريكا يحدث في بريطانيا وألمانيا والسويد وغيرها من دول أوربا[٤]، وبجانب ذلك ظهر اللواط والشذوذ الجنسي، بل إن أحد رجال الدين عام ١٤٩٢ أدين بممارسة اللواط.

وكان في روما وحدها ٦٨٠٠ عاهرة مسجلة بخلاف العاهرات اللاتي كن يمارسن هذه الحرفة سِرًا، وأكثر من ذلك نجد في البندقية في القرن السادس عشر طبقة من الخليلات المهذبات ينافسن أظرف السيدات في الملبس والثقافة والأدب والتردد على الكنيسة أيام الآحاد، وكان كثير من الأزواج يرى أن من حقه أن يكون له أكثر من عشيقة ويصف «أوليم المالزيدي» إسراف النورمان بأنهم كانوا يتبادلون العشيقات، وكان بعض النساء

(١) حقوق الإنسان في الإسلام -د/ علي عبد الواحد وافي ص٩٥- وزارة الأوقاف دار النيل للطباعة.

(٢) تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات - د/ عبد الحليم عويس ص٤٠ بتصرف - مكتبة الاعتصام ١٩٧٨م.

(٣) جريدة الزمان ٢٩/ ٨/ ١٩٥٣م نقلًا عن المرأة بين الجاهلية والإسلام ص١٢٠.

(٤) تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات ص٣٧.

المسيحيات الذاهبات إلى الحج يكسبن نفقة الطريق كما يقول الأسقف (بنتياس) ببيع أجسادهن في المدن القائمة في طريقهن، كما أباحت بعض المدن الدعارة قانونًا ووضعتها تحت إشراف البلديات[١] وفي مدينة لندن ذكرت التقارير أن ثمانين ألف بنت سُفك دم شرفهن على مذبح الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة[٢].

هذا بالإضافة إلى أن عدم التعدد جعل نسبة العوانس كثيرة في الغرب، فيقول «مبينار» وهو عضو مجلس النواب الفرنسي: إن في فرنسا الآن مليونًا وخمسمائة ألف فتاة لن يجدن لهن أزواجًا، ويقول العالم الإنجليزي «مستر جواو»: إن النظام البريطاني الجامد الذي يمنع تعددَ الزوجات نظام غير مُرْضٍ؛ فقد أضر بنحو مليوني امرأة ضررًا بالغًا حيث صيرهن عوانس[٣].

ولقد أثبتت الأرقام والإحصائيات أن العالم الغربي يواجه الآن مشكلة الحرام أكثرَ من الحلال في شأن المواليد، وأن نسبة الأطفال غير الشرعيين قد ارتفعت إلى ٦٠٪ وأن البلاد الإسلامية محفوظة من هذا الوباء لأنها تتبع نظام تعدد الزوجات[٤].

ولقد أفزعت هذه النتائج الخطيرة المفكرين في أمم الغرب المسيحي وخاصةً القادة وزعماء الإصلاح الاجتماعي، ولما أخفقت جميع الوسائل التي لجئوا إليها في نطاق النظام المسيحي لعلاج هذه الحالة، فكَّرَ كثيرٌ منهم في الخروج على هذا النظام وذلك بإباحة تعدد الزوجات، وهذه بعض اعترافاتهم وتصريحاتهم:

(١) قصة الحضارة - الجزء الخامس من المجلد الرابع ص ١٠٥ إلى ١١٠ بتصرف.

(٢) راجع: نظام الأسرة في الإسلام ص٣٩.

(٣) المرأة ومكانتها في الإسلام - أحمد الحصين ص١٣٧، ١٣٨.

(٤) راجع: أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة - حسين محمد يوسف ص١٠٣ بتصرف مكتبة الاعتصام.

قال الفيلسوف الألماني (شوبنهور) في رسالته «كلمة عن النساء»:

إن قوانين الزواج في أوربا فاسدة المبنى بمساواتها المرأة بالرجل؛ فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا، وضاعفت علينا واجباتنا، على أنها مادامت أباحت للمرأة حقوقًا مثل الرجل كان من اللازم أن تمنحها أيضا عقلاً مثل عقله.. إلى أن يقول: ولا تقوم امرأة من الأمم التي تُجيز تعدد الزوجات زوجًا يتكفل بشئونها، والمتزوجات عندنا عدد قليل وغيرهن لا يُحصين عددًا، تراهن بغير كفيل بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهي هائمة متحسرة، وبين ضعيفة من الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب ويتحملن شَاقَّ الأعمال، وربما ابتذلن فيعشن متلبسات بالخزي والعار[1] وهكذا يوضح لنا هذا الفيلسوف مساوئ الاقتصار على زوجة واحدة ويطالب النصارى بتعدد الزوجات ولكن بطريق خَفِيٍّ.

وقد أعلنت أستاذة جامعية في ألمانيا بأن حل مشكلة المرأة الألمانية هو إباحة تعدد الزوجات كما هو في التشريع الإسلامي؛ وذلك رغبةً في حماية المرأة الألمانية من احتراف البغاء فتقول: (إنني أفضل أن أكون زوجة من عشر نساء لرجل ناجح على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل فاشل تافه... إن هذا ليس رأيي وحدي بل هو رأي كثير من نساء ألمانيا[2].

وقالت كاتبة إنجليزية: «لقد كثرت الشاردات من البنات، وعم البلاء، وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذا كنت امرأة تراني انظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقةً عليهن وحزنًا وماذا عسى يفيدهن بثي وحزني، وإن شاركني فيه النساء جميعًا، لا فائدةَ إلا في العمل بما يمنع هذه الحالةَ الرجسةَ»، وإن العالِم (توماس) رأى الداءَ ووصف له

(١) راجع: نظام الأسرة في الإسلام - د/ محمد سالم، و د/ شعبان محمد ص٣٨- مكتبة جمهورية مصر.

(٢) تعدد الزوجات- د/ عبد الحليم عويس ص٢٠.

الدواء الكامل للشفاء وهو الإباحةُ للرجلِ أن يتزوجَ بأكثرَ من واحدة، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة وتصبح بناتنا ربات بيوت[١].

وفي عام ١٩٤٩م تقدم أهالي (بون) عاصمة ألمانيا بطلب إلى السلطات المختصة يطلبون فيه أن ينص الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات[٢]، وذكرت الصحف في هذا الوقت أن الحكومة الألمانية أرسلت إلى مشيخة الأزهر تطلب منها نظام تعدد الزوجات في الإسلام؛ لأنها تفكر في الاستفادة منه كحل لمشكلة زيادة النساء، ثم أتبع ذلك وصول وفد من علماء الألمان، اتصلوا بشيخ الأزهر لهذه الغاية، كما التحقت بعضُ الألمانيات المسلمات بالأزهر لتطلع نفسها على أحكام الإسلام في موضوع المرأة عامة وتعدد الزوجات خاصة[٣].

وقد دعا مؤتمر الشباب العالمي المنعقد في ألمانيا سنة ١٩٨٤م إلى تعدد الزوجات حلاً لمشكلة تكاثر النساء، وأعلن كبير أساقفة إنجلترا أنه لا يوجد علاج لمنع التحلل والانهيار العائلي إلا بإباحة تعدد الزوجات[٤].

وغير ذلك من المؤتمرات والنداءات والاعترافات الكثيرة التي ملئت بها بطون كتب الغرب تنادي وتعترف بأن تعدد الزوجات هو الأفضل والأصح.

وبهذا نصل إلى القول بأن الكنيسة لم تُحَرِّمْ تعددَ الزوجات دائمًا، وإنما حرمته أحيانًا، وأحلته أحيانًا، وهذا يدل على عدم مشروعية التحريم في مصادرها كما أنها لم تنجح بهذا القول فعادت ونادت بوجوب تعدد الزوجات حينما رأت انتشار الفساد والفجور

---

(١) راجع: الإسلام عقيدة وشريعة ص١٩٢، محاضرات في النظم الإسلامية ص١٩٧، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٣٦٧.

(٢) الأحكام الشخصية – د/ محمد يوسف موسى ص١٢١.

(٣) راجع: في محكمة التاريخ ص١٢٠، ١٢١.

(٤) راجع: الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب – أحمد بن حجر ص ٥٨ طبعة الدوحة.

وتعدد الصاحبات، وهي موافقة للطبيعة البشرية ولتعاليم الإسلام في هذا الشأن وقد شهد كُتَّابُ النصارى بذلك كما ذُكر، والحق ما شهد به الأعداء.

وإذا كان ما سبق يبين حال الغرب، فما هو حال الشرق؟ هذه واحدة من دوله تركيا.. ماذا جرى لها؟ وماذا حدث فيها؟

لقد هجرت الإسلامَ هجرًا غير جميل وولَّت وجهها إلى أوربا تلتمس منهم التشريع وتقتبس منهم التقدم والحضارة... فاتخذت لنفسها قانونًا مدنيًّا يمنع تعدد الزوجات كان ذلك ١٩٢٦م ثم مضت ثماني سنوات، وتكاثرت الولادات السرية، والزوجات العرفيات، والموءودات من الأطفال[(١)].

وبعدُ، فإن تعدد الزوجات قانون طبيعي، وسيبقى ما بقي العالم؛ ولذلك فإن ما فعلته الكنيسة لم يأت بالغرض الذي أراداته بل جاء بعكسه وانطوى تحته سيئات متعددة ظهرت بنتائج واقعية شديدة الخطر، جسيمة البلاء، ومنها الدعارة وكثرة العوانس من النساء والأبناء غير الشرعيين.

الطلاق في النصرانية:

انحلال الزواج: يعتبر النصارى أن من الخصائص الجوهرية للـزواج في شريعتهم كونه رابطة مؤبدة غير قابلة للانحلال، وعدم القابلية للانحلال يقوم على اعتبار أن الزواج في الشريعة المسيحية مقدس، وإذا كانت الشريعة النصرانية قد وضعت هذا المبدأ كقاعدة عامة، فإنه توجد حالات تنحلُّ فيها الرابطة الزوجية، ولكن تلك الحالات لم تَنَلْ من الأصل العام، وهو عدم قابلية الزواج فيها للانحلال، فالأصل هو عدم القابلية للانحلال، وعلى سبيل الاستثناء تنحل الرابطة الزوجية في حالات معينة.

---

(١) انظر ما جاء في العد ٥٥٦ من مجلة آخر ساعة المصرية الصادرة ٣/ ٦/ ١٩٤٥-للكاتب المصري محمد التابعي، وكان مقيمًا آن ذاك في تركيا - راجع: الإسلام عقيدة وشريعة ص١٩٣.

وجاء في قوانين الأحوال الشخصية للنصارى بشأن انحلال الزواج ما يلي:

مادة (١١١): ينحل الزواج الصحيح بأحد أمرين: -

الأول: موت أحد الزوجين حقيقةً أو حكمًا.

الثاني: التطليق بالنسبة للزواج المنعقد أمام الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية ينحل الزواج بالتطليق حسب مواد هذا القانون، ولكن بالنسبة للزواج الصحيح المكتمل بالمخالطة الجسدية الذي تعقده الكنيسة الكاثوليكية فلا ينحل إلا بالموت، أما الزواج الصحيح المقرر غير المكتمل فيجوز انحلالُه بناءً على طلب الطرفين أو أحدهما بعد موافقة الرئاسة الدينية الكاثوليكية إذا وُجِدَ سببٌ قويٌّ يوجب انحلاله[1].

مادة (١١٢): لا يجوز الطلاق بين المسيحيين بإرادة أحد الزوجين المنفردة ولا باتفاقهما، ومع مراعاة المادة السابقة يجوز طلب الحكم بالتطليق في الحالات الواردة في المواد ١١٣، ١١٤، ١١٥.

مادة (١١٣): يجوز لأي من الزوجين طلب التطليق إذا ترك الزوج الآخر الدين المسيحي إلى الإلحاد أو إلى دين آخر، أو مذهب لا تعترف به الكنائس المسيحية بمصر كالسبتيين، وشهود يهوه، والبهائيين.

مادة (١١٤): يجوز لكل من الزوجين أن يطلب التطليق بسبب زنا الزوج الآخر.

---

(١) ينحل الزواج عند الكاثوليك إذا اعتنق أحد الزوجين مذهبًا غير كاثوليكي، أو ربى أولاده تربية غير كاثوليكية أو سلك سلوكًا إجراميًّا أو مُضَيِّعًا للكرامة والاعتبار أو جعل زوجته في حالة خطر جسيم جدًّا أو نفسيًّا أو أساء إليه بحالة يصعب معها استمرار الحياة أو ما شابه ذلك من الأشياء - راجع الزواج والطلاق في جميع الأديان ص ٣٤.

مادة (١١٥): يعتبر في حكم الزنا كل عمل يدل على الخيانة كما في الأحوال الآتية:

(١) هروب الزوجة مع رجل غريب ليس من محارمها أو مبيتها معه بدون علم زوجها وإذنه بغير ضرورة.

(٢) ظهور خطابات صادرة من أحد الزوجين لشخص غريب تدل على وجود علاقة آثمة بينهما.

(٣) وجود رجل غريب مع الزوجة في منزل الزوجية بحالة مريبة.

(٤) تحريض الزوج زوجته على ارتكاب الزنا والفجور.

(٥) إذا حبلت الزوجة في فترة يستحيل معها اتصال زوجها بها لغيابه أو مرض.

(٦) الشذوذ الجنسي.

وما ينطبق على الزوجة ينطبق على الزوج[1].

ويمكن تلخيص هذه الأسباب في عدة نقاط وهي:

(١) الزنا.

(٢) الخروج عن الدين النصراني.

(٣) الحكم ببعض العقوبات الجنائية.

(٤) الاعتداء على حياة أحد الزوجين والإيذاء الجسيم.

---

(١) دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص٢١٦، الزواج والطلاق في جميع الأديان ص٣٢٦، أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ص ٤٠٠، ٤٠١، ٤٥١، شرح الأحوال الشخصية ص ٩٧، ١٧٣، ١٨٦.

وهذه الأسباب منها القاطع: وهي الزنا، والخروج عن الدين، ومنها الاختيارية وهي: سوء السلوك، والاعتداء على الحياة والإيذاء الجسيم، وسوء المعاشرة[١].

ويُستخلص من ذلك أن الطلاق عند النصارى لا يقع إلا بسبب الزنا، وبذلك جاءت تصريحات النصارى حول الطلاق وأسبابه، يقول زكي شنودة: (لا يصح الطلاق لدى المسيحيين إلا لعلة الزنا)[٢].

ويعتبرون أن عدم انفكاك الزواج صفة من صفات الزواج عندهم[٣]، ويستدلون على ذلك بما جاء من نصوص منسوبة إلى المسيح عليه السلام، ومنها قوله: (وقيل: مَن طلق امرأته فليعطها كتابَ طلاق، وأما أنا فأقول لكم: إن مَن طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني، ومن تزوج مطلقةً فإنه يزني)[٤].

(كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزني، وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزني)[٥].

وقال بولس: (وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب: أن لا تفارق المرأة رجلَها، وإن فارقته فتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها، ولا يترك الرجل امرأته)[٦].

يقول حبيب جرجس: (فمن هذه النصوص المقدسة يتضح أن الزيجة سر مقدس لا ينفك عقد رباطها إلا لسببين؛ **أولهما**: الموت الذي يجعل الزوج الحي حُرًّا من رباط الزواج، **وثانيهما**: الزنا الذي ينجس رباط الزيجة)[٧].

---

(١) راجع: شرح مبادئ الأحكام الشخصية ص٢٠٠ وما بعدها.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧١.

(٣) راجع: القيم الروحية في سر الزيجة ص٨٢.

(٤) متى: ٥/ ٣١، ٣٢.

(٥) لوقا: ١٦/ ١٨.

(٦) ١كو: ٧/ ١٠، ١١.

(٧) أسرار الكنيسة السبعة ص١٤٨.

إن ما استدل به النصارى من أدلة على تحريم الطلاق يتناقض مع شريعة التوراة التي جاء المسيح متبعًا لها غيرَ ناقض لما جاء فيها، وقد أباحت الطلاق كما جاء في سفر التثنية: (إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمةً في عيشة؛ لأنه وَجَدَ فيها عيب شيء، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر، فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست؛ لأن ذلك رجس لدى الرب فلا تجلب خطية على الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا)(١).

ومع ذلك نقض النصارى تعاليم التوراة مدعين أن موسى أجاز الطلاق بسبب ما كانت عليه حال قومه من البداوة والقساوة ولم يستحسن الله ذلك؛ لأنه يكره الطلاق، ولما كان يكرهه يكون ممنوعًا، ولذلك حرم الطلاق في العصر المسيحي(٢).

ثم يعلل النصارى تحريم الطلاق بما يترتب عليه من مضار منها:

(١) أنه يضاد الناموس الزوجي وينافي الغاية التي من أجلها انعقد فيصبح أحدُ الزوجين به أسوءَ حالاً من الآخَرِ، فالرجلُ لا يفقد من شرفه إلا قليلاً، وأما المرأة فتفقد شرفها.

(٢) أنه يضر بسعادة الزوجين؛ لأنه يزيل المحبة المتبادلة بينهما ويهدم ما كان قد بناه الزوجان من الإخلاص مدة سنين طويلة.

---

(١) تثنية: ٢٤/ ١ -٤.

(٢) راجع: القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ص ٢٠٠، ٣٩٨.

(٣) أنه يضر بتربية النسل التربية الصحيحة.

(٤) أنه يضر بخير الجماعة؛ لأنه ينزع السلام من العائلات و يلقي الشقاق بين أفراد الجماعة[١].

إن ما تُعلل به النصارى على تحريم الطلاق بما يترتب عليه من مضار، إنما هو الطلاق الذي ليس له سبب، كما أن المضار التي تترتب على عدم الطلاق عند توافر أسبابه أشد لِمَا يترتب عليها من تعاسة الزوجين وتفاقم الخصام والشقاق، كما أن ارتباط انحلال الزواج بالزنا دعوة إلى ارتكاب هذه الجريمة من أجل تخلص أحد الزوجين من الآخر وإلا انتظر كل منهما موت الآخر، أو التخلص منه بالقتل.

وترتب على تزمت الكنيسة الشديدة في مسألة الطلاق أن تمرد عليها أتباعها في كل مكان مطالبينَ بإباحة الطلاق وإزالة قيوده، حدث ذلك في إيطاليا وأمريكا واليونان وإنجلترا وغيرها من الدول التي تعتنق النصرانية[٢].

كما وجه مفكرو النصرانية وَكُتَّابُهَا النقدَ الشديد إلى الكنيسة وتعاليمها مطالبين بإباحة الطلاق لأتباعها، ومن أجل ذلك أضافت الكنيسة مواداً جديدة إلى قانون الأحوال الشخصية تُبيح بها الطلاق بالإضافة إلى ارتكاب جريمة الزنا[٣].

الآثار المترتبة على الطلاق:

١- يترتب على الطلاق انحلال الزوجية من تاريخ الحكم النهائي الصادر به فتزول حقوق كلٍّ من الزوجين وواجباتُه قِبَلَ الآخَرِ ولا يرثُ أحدُهما الآخَرَ عندَ موتِه.

---

(١) راجع: أسرار الكنيسة ص١٥٠، ١٥١، دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص١٣٩.

(٢) راجع: المرأة في الأديان السماوية ص ١٧٨ وما بعدها، المعاملات في الإسلام ص٨٩.

(٣) سبق بيان مواد هذا القانون أول هذا البحث.

٢- يجوز لكل من الزوجين بعد الحكم بالطلاق أن يتزوج من شخص آخر إلا إذا نص الحكم على حرمان أحدهما أو كليهما من الزواج، وفي هذه الحالة لا يجوز لمن قُضِيَ بحرمانه أن يتزوج إلا بتصريح من المجلس.

٣- يجوز لمن وقع بينَهما طلاق الرجوع لبعضهما بقرار يصدر من المجلس الملي العام بعد استيفاء الإجراءات الدينية التي تقتضيها قوانين الكنيسة.

٤- يجوز الحكم بنفقة أو بتعويض لمن حُكم له بالطلاق على الزوج الآخر.

٥- حضانة الأولاد تكون للزوج الذي صَدَرَ حكمُ الطلاق لمصلحته ما لم يأمر المجلس بحضانة الأولاد أو بعضهم للزوج الآخر أو لمن له حق الحضانة بعده، ومع ذلك يحتفظ كلا الأبوين بعد الطلاق بحقه في ملاحظة أولاده وتربيتهم أيًّا كان الشخص الذي عهد إليه بحضانتهم.

٦- لا يؤثر حكم الطلاق على ما للأولاد من الحقوق قبل والديهم[1].

(١) دراسات في قوانين الأحوال الشخصية ص١٧٧، أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ص٤٠٤.

المبحث الخامس

الرهبنة والتبتل وموقف الكنيسة منهما

الرهبنة في النصرانية:

الرهبنة في اللغة مشتقة: من رهب بالكسر، يرهب رهبةً ورهبًا بالضمِّ، ورَهَبًا بالتحريك، أي: خاف، وَرَهَبَ الشيء رهبًا، ورهبًا ورهبةً: خافه، ترهب الرجل إذا صار راهبًا يخشى الله.

والراهب: المتعبد في الصومعة وأحد رهبان النصارى، ومصدره الرهبة والرهبانية والجمع الرهبان....... والرهبانية مصدر الراهب والاسم الرهبانية[١].

ويذكر زكي شنودة في تاريخ الأقباط:

أن الرهبنة كما عرَّفها آباؤنا الأوائل: طموح يستوجب التضحية؛ إذ بها تتوثب الروح الانطلاق إلى قرب أنوار الله، وبسببها يفنى الجسد لتستحيل قواه العضوية إلى فكرة مجردة متناهية الصفاء يرى العقل خلالها وجهَ الحقيقة الخالدة الممثلة في رَبِّ الكون[٢].

فالرهبنة: هي سلوك بعض رجال الدين النصارى باعتزالهم وبُعدهم عن قومهم والاعتكاف في الصوامع يتعبدون فيها عزوفًا عن الدنيا وشهوتها وفتنتها مُحَرِّمينَ على أنفسهم الزواج والاختلاط بالنساء.

---

(١) لسان العرب ص ١٧٤٨ باب حرف الهاء بتصرف.

(٢) تاريخ الأقباط جـ ١/ ١٩٢.

الرهبنة في اليهودية:

لم تكن الرهبنة قاصرة على النصارى بل وُجدت قبل المسيح؛ فكان يعتنقها طائفة الإيسينيين من اليهود، وكانت هذه الطائفة قد أسست قبل ميلاد المسيح بنحو مائة عام، واعتزلت هذه الطائفة سائرَ فِرَقِ اليهود، وأطلقوا على أنفسهم الفقراءَ، وقضوا أوقاتهم في الصلاة والممارسات التقشفية توقعًا لمجيء (المسيا) المرتجى، وقد ضاقت آفاقهم، وأحب كلٌّ منهم الآخَرَ، وكرهوا مَنْ عداهم من أبناء الظلمة، وقد أفرطوا في التشديد على مراعاة آداب السلوك المتعارف عليها بينهم بحيث كانوا يوقعون العقاب على كل من يخالفها.

فعاشت طائفة الإيسينيين حياة الرهبنة وعرفوا بالزهد والتقشف والبعد عن متع الحياة.

بداية الرهبنة:

دخلت الرهبنة في النصرانية منذ عهد الاضطهاد والتعسف والتعذيب؛ إذ فر أتباع المسيح بدينهم إلى الصحارى خشية التعذيب، وانتشر في هذا العهد الفسق والمجون والجري وراءَ الشهواتِ وإشباعُ حاجة النفس الحيوانية، فكان كلُّ ذلك داعيًا إلى اعتزال هؤلاء النفر الحياةَ العامةَ والاتصال بها، وذلك لإذلال رغبات الجسد: لذلك اعتصم أولئك الزاهدون بالفقر والتجرد من مقتنياتهم وارتداء الثياب الخشنة والامتناع عن الطعام إلا ما يسد الأود، وإرهاق أبدانهم بكل صنوف المشقات، ونذر العفة المطلقة، وقد آمنوا في دواخل نفوسهم أن هذا هو الطريق الأمثل لبلوغ الكمال الإنساني[1].

---

(١) فجر المسيحية ص ١٧٤.

المراحل التي مرت بها الرهبنة:

مرت الرهبنة بمرحلتين:

المرحلة الأولى: كانت هروبًا من الناس إلى الصحارى والبعد عن الحياة العامة في المدن والقرى والعيش في الكهوف والمغارات لمحاربة الجسد والإكثار من العبادة.

المرحلة الثانية: كانت بعد دخول عدد كثير من النصارى في الرهبنة فبنوا لهم صوامع مجاورة بعضها لبعض وضربوا حولها بسور أطلق عليها أديرة حماية لأنفسهم من اللصوص(١).

أساس الدعوة إلى الرهبنة:

أما عن أساس الدعوة إلى الرهبنة، قد انقسموا بشأنها إلى فريقين:

الفريق الأول: يقول: إن أساس الرهبنة هو المسيح عليه السلام؛ لأنها كانت دعوته، فقد ترهبن المسيحُ، واستدلوا بما جاء في إنجيل متى بقوله للغني: (إن أردتَ أن تكون كاملاً فأذهب ربع أملاكك، وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعالى اتبعني)(٢)، وقد كان المسيح يصعد إلى الجبل ليصلي و يعلم الجوع، وكان يوحنا المعمدان يعيش في البراري؛ لذلك كان النصارى يبنون الأديرة في البراري(٣).

(١) راجع: المسيحية - د/ أحمد شلبي ص ٢٤٤.

(٢) متى: ١٩/ ٢١.

(٣) المسيحية ص٢٤٥، تاريخ الأقباط جـ١/ ١٣٩، النصرانية والإسلام ص ٧١، والحياة الرهبانية ص ١٥.

الفريق الثاني: يقول: إن الرهبنة كانت ضمن التعاليم التي جاء بها المسيح عليه السلام؛ فقد كان يجالس الخطاة ويحب المرح واللهو واللعب بخلاف يحيى المعمدان، فقد كان يعتزل الناس، ويهرب من الفجور ليبحث عن مكان فيه الهدوء والنقاوة والطهر، واستند أصحاب هذا الرأي إلى قول المسيح: (بمن أشبه هذا الجبل يشبهه أولادا جالسين في الأسواق ينادون إلى أصحابهم، ويقولون: زمرنا لكم فلم ترقصوا نحنا لكم فلم تلطموا، لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فيقولون فيه شيطان، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون: هو إذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة، والحكمة تبررت من بنيها)[١].

مكان ظهور الرهبنة:

أول ما ظهرت الرهبنة ظهرت في مصر كما ذكر في تاريخ الأقباط: وعلى هذه الصورة ـ أي الاعتزال ـ بدأت الرهبنة في مصر فخرج أفراد من المسيحيين عن ديار أهلهم ويمموا شطر الأكمات والتلال البعيدة عن معالم العمران، وانفرد كل منهم وحيدًا متعبدًا لله في كهف لا يعاونه على تدبير أمره رفيق ولا صديق[٢].

وأول من ابتدع الرهبنة القديس (أنطونيوس الشهيد) الذي وُلد سنة ٢٥١ م وفى بلدة قمن العروس بمركز الوسطى في مصر، وكان من أسرة متدينة ومتمسكة بتعاليم المسيح، ولما مات أبوه عكف على إدارة أملاك أبيه، ولكنه امتثل لقول المسيح حينما قال للشاب الغني: (إن أردتَ أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط للفقراء فيكون

(١) متى: ١١ / ١٦ - ١٩.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١/ ١٨٧.

لك كنز في السماء وتعالى اتبعني) فلما سمع (أنطونيوس) هذا القول باع أملاكه ووزعها على الفقراء والمساكين وذي الحاجات وخرج يجاهد نفسه ويميت شهواته، وكان قوته الملح والماء، واعتزل الناس وعاش في المغارات والبيوت المهجورة، وشاع صلاحه بعد ذلك فاتبعه كثير من الناس تبركًا به وطلبًا للشفاء من الأمراض، ثم ساروا على طريقته بعد ذلك واعتزلوا الناس وبنوا الصوامع، ثم جاء بعد ذلك القديس (باخومبوس) فأنشأ أول دير مسيحي في العالم في مصر.

وجاهد (أنطونيوس) الحكام الظلمة الذين كانوا يعذبون أتباع المسيح، ويجادلهم ويحاجهم إلى أن بلغ من العمر مائة وخمسة أعوام، ثم توفى في السابع عشر من شهر يناير سنة ٣٥٦ م.

ثم انتقلت الرهبانية من مصر إلى بلدان الشرق كله ثم إلى آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين[١].

الرهبنة في بلاد الغرب:

انتقلت الرهبنة من بلاد الشرق إلى الغرب في القرن الرابع عشر الميلادي، أدخلها (أثناسيوس الكبير)، و(إيرونيوس)، و(أمبروز)، و(أوغسطنيوس) وكان رائدها في فرنسا (مارتن) وقد انتشرت الرهبنة بالطريقة الفردية والجماعية، وأخذت الشكل المنظم على يد الراهب (بندكت) الذي التزم بالتعاليم وضرب المثل في الزهد والتقشف وأطلق على أتباعه (البندكتيون) فساروا على نهج «بندكت»[٢].

---

(١) راجع: فجر المسيحية ص ١٧٥، وتاريخ الأقباط جـ١/ ١٩٨، وتاريخ الكنيسة الإنجيلية ص ٢٣، وتاريخ الكنيسة القبطية ص ٧١ وما بعدها.

(٢) راجع: فجر المسيحية ص ١٧٩، حياة الرهبانية ص ١٨.

الالتحاق بالرهبنة:

يتم الالتحاق بالرهبنة بوضع طالبها تحت الاختبار، ويمر بالتجارب ليعرف هل يستحق الالتحاق أم لا؟ فإذا نجح في الاختبار يرقد على ظهره أمام الهيكل ويصلي عليه الرهبان صلاتهم على الميت، كأن الشخص خرج من الحياة، ولم يحسب من أبناء هذا العالَم، وتدق النواقيس ويطوفون بالراهب الجديد في الكنيسة والهيكل منشدين ومرتلين ثم يتجهون إلى حجرة الأمين حيث يتبادلون التهاني، بذلك يكون قد تمت إجراءات إسباغ صفة الرهبنة على الراغب فيها[١].

وقد وضعت الكنائس قوانين خاصة بالرهبنة لتنظيمها وبيان شروط القبول فيها وإلغائها،[٢] ومن أسس الرهبنة النصرانية البتولية والوحدة والانفراد والتجرد[٣]، فاشترط النصارى في الراهب والراهبة أن لا يتزوجوا، وأن الزواج مناف لباب التقرب إلى الله تعالى، وأن ترك النكاح من جملة المناسك والقربات، ويعرضون الرجال والنساء للزنا والفساد في بيوت العبادات ويسدون باب الذرية الصالحة وهم فيما يذهبون إليه في ضلال[٤].

مراتب الرهبنة:

للرهبنة مراتب خمسة هي:

المرتبة الأولى: تشمل العلمانيين الأنقياء.

المرتبة الثانية: تشمل المتوحدين داخل الدير[٥] الذي يعيشون داخل الدير عيشة مشتركة.

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢١٥.

(٢) راجع: في الرهبان وأموال الكنيسة ص ١٠ وما بعدها.

(٣) راجع: مذكرات في معالم تاريخ الكنيسة جـ١/ ٨٢ وما بعدها.

(٤) راجع: الأجوبة الفاخرة ص ٣٣٨.

(٥) يوجد في مصر عشرة أديرة للرجال وستة أديرة للنساء، وأديرة الرجال منتشرة في المناطق الصحراوية، أما=

المرتبة الثالثة: تشمل المتوحدين داخل الدير الذين يلازمون فلاليهم ملازمةً تامةً فلا يخرجون منها إلا للصلاة الجماعية يوم الأحد.

المرتبة الرابعة: تشمل المتوحدين المنفردين في الصحارى والجبال.

المرتبة الخامسة: تشمل السواح الذين بلغوا درجة الكمال في التعبد ووصلوا إلى منتهى الآمال التي يطمع إليها الأبرار والأطهار من سكان البراري والقفار(١).

مساوئ الرهبنة:

الرهبنة بُعد عن الحياة ومتعها، وانتقالٌ إلى حياة الزهد والتقشف، وقد كان الرهبان الأوائل يعملون لكسب أقواتهم والتصدق على الفقراء، إلا أنه جاء من بعدهم قوم استغلوا الرهبنة لاستدرار عطف الناس، فارتكنوا إلى الراحة واعتمدوا على ما يأتيهم به الناس من أموال فظهرت سلبيات الرهبنة التي شوهت النصرانية، وأدخلت فيها الوثنية الرومانية.

فقد كانت الرهبنة شَرًّا على الإنسانية والمدنية من بهيمية رومة الوثنية، وأيضًا كان للرهبان تأثيرات سلبية على الأخلاق؛ فزلزلت دعائم الحياة المنزلية وعم الكنود والقسوة على الأقارب، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حنانًا ورحمة وتفيض عيونهم من الدمع تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد فيخلفون الأمهات ثكالى، والأزواج أيامى والأولاد يتامى عالةً يتكففون الناس(٢).

=أديرة النساء ففي داخل المدن، راجع: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٨٤ وما بعدها، مذكرات في معالم تاريخ الكنيسة جـ١/ ٩٤، وما بعدها.

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٨٤ وما بعدها، مذكرات معالم تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة نسك ص ١١ مذكرات في معالم تاريخ الكنيسة جـ١/ ٨٨.

(٢) ماذا خسرت العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٨ بتصرف.

ولقد فسدت الأديرة التي كانت ملاجئ للرهبان لينعزلوا فيها عن الحياة العامة (ولم يكونوا بمنأى عن متناول الفساد الذي كان وباءً قد تفشى في كل مكان، وتخطى كل الحدود، حتى بلغ الأديرة وانتشر بين الرهبان، فانغمسوا في كافة المفاسد والموبقات)[١].

ولقد شاع فساد رجال الدين النصارى من القساوسة والرهبان وملأت رائحتهم القذرة كل بلاد الدنيا وذلك باعتراف كُتَّابهم أنفسهم.

ويقول الأنباء (باسيليوس) مطران أبي تيج: إن الأديرة لا تقي من الفساد وإن الرهبان يحيون حياةً شريرةً، وجاء في مجلة رسالة الحياة المسيحية عن الرهبنة والأديرة: (الأديرة تحتوى على فساد عميق وهيهات أن يوجد بها مَنْ يصلح للبقاء؛ إذ أنها تضم بين جدرانها أفاكين أولى بهم غيابات السجون)[٢].

ويذكر ول ديورانت: أن الأسقف (بتيفاس) شكا إلى البابا (زخاري) (٧٤٢) أن الأسقفيات تعطى (للشرهينِ من غير رجال الدين، وللزانين من القسيسين، وأن بعض الشمامسة يحتفظون بأربع سراري أو خمس، وقد اتهم (بيد الموقر) في هذا القرن بعينه (بعض أساقفة) إنجلترا بأنهم يضحكون ويهزلون ويروون الأقاصيص، ويمرحون، ويسكرون ويحيون حياة الملذات والفسق[٣]... إلخ.

ويذكر ول ديورانت أيضا أنه: في «نورفولك» بإنجلترا مثلاً نظرت المحاكمُ في ثلاث وسبعين تهمة خاصة بعدم العفة في عام ١٤٩٩ م. وكان منها خمس عشر تهمة موجهة إلى رجال الدين، وفي «ريبون» كانت أربع وعشرون تهمةً من ١٢٦ موجهة إلى رجال الدين في «لامبث» كانت تسع تُهَمٍ من ثمانٍ وخمسينَ موجهةً إلى رجال الدين، أي أن

(١) المسيحية في العصور الوسطى ص ٤٢.

(٢) راجع: المسيحية ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) راجع: قصة الحضارة جـ١٤/ ٣٨٣.

ثلاثًا وعشرين في المائة من مجموع هذه التهم موجهةٌ إليهم مع أن عدد رجال الدين أقلُّ من اثنين في المائة من مجموع السكان، ومنهم من كانت له صلات جنسية بالتائبات من النساء، وكان للآلاف من القساوسة خطايا، وفي ألمانيا كان لهم كلهم تقريبا، وفي روما كان هذا هو الأمر المتبع المألوف وتقدر بعض التقارير عدد العاهرات فيها بسبعة آلاف من بين السكان الذين لم يكونوا يزيدون على مائة ألف... يقول (هاردون) أسقف إنجلترا في تقرير له (١٤٢٨ م) أن رجال الدين في أبرشيته لم يكونوا يرون في اتخاذ الخطايا إثمًا، وأنهم لم يحاولوا قطُّ أن يُخْفُوا ذلك عن أعينِ الناس، وكان في بومرانزا ١٥٠٠ حالة من هذا النوع، ويعترف الأهلون بأنها لا غبارَ عليها، بل كانوا يشجعون؛ لأنهم يرونها وقاية لبناتهم وزوجاتهم[١].

وقد أنكر المصلحون لزومَ الرهبنة على رجال الدين؛ وذلك لما رأوا فيها من كبت للجسد الإنساني وتعذيب له من غير ضرورة، وترتب على هذا الكبت انفجار غريزة الإنسان في رجل الدين فطلب اللذة من الحرام وترك طريق الحلال والمنهل العذب الذي حللته الشرائع، ويتفق مع طبيعة الإنسان[٢].

ولما كان للرهبنة سلبيات كثيرة، فإن الله تعالى بين أنه لم يفرضها عليهم بل ابتدعوها من عند أنفسهم، وأنهم لم يلتزموا بها قال الله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٣].

فهؤلاء الرهبان كانوا مبتدعين فيما ذهبوا إليه، ولم يلتزموا بما ابتدعوه ولم يحافظوا

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢٢/ ٤٦، ٤٨ بتصريف.

(٢) راجع: محاضرات في النصرانية ص ١٧٨، مجلة الدراسات الإسلامية ص ١٧٤.

(٣) سورة الحديد من الآية (٢٧).

عليه، فقلة من النصارى قاموا برعاية الرهبانية، وحافظوا على التعاليم، والكثرة الغالبة لم يرعوا حقها وظهر منهم الفسق، وتركوا الرهبنة ظاهرًا وباطنًا.

والرهبانية دعوة نصرانية لمحاربة الأبدان وللقضاء على الجنس البشرى، ففي إنجيل متى: (يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يقبل فليقبل)[1].

إن النصرانية قد فشلت في الدعوة إلى الرهبانية عند التطبيق العملي؛ لأنها تتطلب من البشر فوق ما يطيق احتماله، وكبت النوازع الفطرية على هذه الصورة أمر مستحيل؛ فدفعة الجسد قوية عنيفة، وهي لا تفتأ تلح على الإنسان، وتضغط عليه ضغطًا ليستجيب إليها، فإذا وقع الفرد بين ضغط الغزيرة الدائم المُلِحّ وبين العقيدة التي توحي إليه أن الاستجابة لهذا الضغط دنس لا يجوز أن يلوث به نفسه فليس لذلك إلا نتيجة واحدة أو إحدى نتيجتين:

أولاهما: أن يستجيب لوحي العقيدة إن استطاع فيترهبن وينقطع عن الحياة والأحياء.

ثانيهما: أن يستجيب لدفعة الجسد العنيفة المُلِحَّة فيُطْلِق الشحنةَ الحبيسةَ التي يرهقه حبسها ويعذبه، ولكنه مع هذا لا ينجو من العذاب، فهناك الصراع الداخلي العنيف الذي ينشب في ضمير الفرد الذي تستولي عليه هذه العقيدة، صراع بين ما فعله وما كان ينبغي أن يفعله، صراع بين الجسد والروح وينتهي بالعقد النفسية، أو بالاضطرابات العصبية التي تضيع نشاط الفرد وتبدد طاقاته[2].

---

(١) متى: ١٩/ ١٢.

(٢) راجع: الإنسان بين المادية والإسلام - محمد قطب ص ١٢.

التبتل وموقف النصرانية منه:

البتول من النساء: العذراء المنقطعة من الأزواج، وقيل: هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا، (والتبتل) الانقطاع عن الدنيا إلى الله كذا (التبتل) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ ﴾[(١) (٢)].

لقد شرع بولس للنصارى التبتلَ كما شرع غيره مما لم يأت به المسيح عليه السلام، وفضل حالة البتولية على حالة الزواج حيث قال: «لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله الواحد، هكذا والآخر هكذا، ولكن أقول لغير المتزوجين والأرامل: إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا؛ لأن التزوج أصلح من الحرق... وأما العذراء فليس عندي أمر من الرب فيهن، ولكنني أعطي رأيًا كمن رحمه الرب أن يكون أمينًا، فأظن أن هذا حَسَنٌ لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا، أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة، لكنك وإن تزوجت لم تخطئ، وإن تزوجت العذراء لم تخطئ، ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد، وأما أنا فإني أشفق عليكم، فأقول هذا أيها الأخوة الوقت منذ الآن مقصر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم، والذين يكون كأنهم لا يكون، والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون... غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضي الرب، وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته، إن بين الزوجة والعذراء فرقًا غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسةً جسدًا وروحًا، وأما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضي رَجُلَهَا... إذا من زَوَّج فحسنًا يفعل ومن لا يُزَوِّج يفعل أحسن، المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حَيًّا، ولكن إن

(١) سورة المزمل، من الآية: (٨).

(٢) مختار الصحاح ص ٤٠.

مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط، ولكنها أكثر غبطةً إن لبثت هكذا بحسب رأيي وأظن أنا أيضا عندي روح الله[١].

فالزواج عند بولس ليس غاية في ذاته، وإنما هو مجرد وسيلة لدرء المعصية ويستند الفكر المسيحي في تفصيل هذه البتولية على أساس أن غير المتزوج وغير المتزوجة إنما يركزان كل اهتمامهما لإرضاء الرب في حين أنه إذا تزوج الرجل فإن اهتمامها سينصرف إلى إرضاء زوجها، فطريقُ العزوبية أقصر في الوصول إلى الملكوت من طريق الزواج، ويقولون: إن البنات العذارى سوف يسطعن في السماء كالنجوم المتلألئة.

هذه هي فكرة بولس عن الزواج وهي غير صحيحة؛ لأن المتزوج أقرب إلى الرب من العزب، وهذا الشيء يدركه كل متزوج بقصد العفاف، وبالرجوع إلى تعاليم بولس حول الزواج من خلال رسالته يتبين مدى تناقض النصوص، فبينما يقول في رسالته إلى العبرانيين: (ليكن الزواج مكرمًا عند كل واحد، والمضجع غير نجس)[٢]، نراه بعد ذلك يتجه عكس هذا الاتجاه، ففي رسالته الأولى إلى كورنثوس: (ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل: إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا)[٣]، ولكن بولس يعود في الإصحاح نفسه فيقول: (لكنك وإن تزوجت لم تخطئ وإن تزوجت العذراءُ لم تخطئ)[٤] ثم يعود لرأيه القائل بأفضلية العزوبة، ويدافع عنها بقوله: (غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب، وأما المتزوج فيهتم في ما للعالَم كيف يرضي امرأته، إن بين الزوجة والعذراء فرقًا؛ غيرُ المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسةً جسدًا وروحًا، وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها)[٥].

(١) راجع: ١كو ٧/ ٧-١٠، ٢٥ - ٤٠.

(٢) عبرانيين: ١٣ / ٤.

(٣) ١كو ٧/ ٨، ٩.

(٤) ١كو ٧ / ٢٨.

(٥) ١كو: ٧/ ٣٢ - ٣٤.

ثم يمضي بولس نحو التزهيد في الزواج المتعاقب بمثل تزهيده في الزواج الأول فيقول في الإصحاح نفسه: (إذا من زوج فحسنًا يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن، المرأة مرتبطة بالناموس، مادام رجلها حَيًّا، ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب، ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي)[١].

ويتضح من هذا النص أن بولس يؤكد في صراحة وجلاء أن هناك وصايا يحكيها عن الله لا عن نفسه، وعندئذ يحق لنا القول إن آراءه في العزوبة صادرة عنه، ثم نرى بولس الذي كان يتحمس للعزوبة ينتهي إلى السماح بالزواج لرجال الدين أنفسهم قائلا: (فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم؛ بعل امرأة واحدة.. ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة)[٢]، (إن كان أحد بلا لوم بعل امرأة واحدة له أولاد مؤمنون)[٣].

وعلى هذا فالزواج عند بولس ليس واجبًا دينيًّا، و إنما يندب إلى عقده لتجنب الخطيئة بارتكاب الزنا، أما من يستطيع أن يكبح جماح شهوته فأفضل له وأطهر ألا يتزوج، وعلى هذا نستطيع القول بأن بولس ذهب إلى أن خير الرجال والنساء هم الذين لا يتزوجون؛ لأن الذين يَسْمَوْنَ بأنفسهم عن حاجات اللحم والدم إنما يهبون أنفسهم لله، أما الذين يتخذون أزواجًا فإنهم يهتمون بشؤون الحياة الدنيا ويقضون حياتهم في الحدب على نسائهم و إرضاء مطامعهن، على أن بولس قد قَرَّرَ بعدَ كل ذلك أنه خيرٌ للرجل أن يتزوج إذا خشي على نفسه أن يحترق، ومعنى الاحتراق كما فسره بعض فقهاء الدين المسيحي: إنما هو الرغبة الملحة التي يحسها الآدميون، وهو الطبيعة المشوقة التي رُكِّبَتْ في نفوس الناس[٤]، وبالرغم من ذلك لم يتبع بولس في هذا الشأن إلا أناس قلة نادوا بالعزوبة، من

---

(١) ١كو ٧/ ٣٨: ٤٠.

(٢) ١كو: ٧/ ٢، ١٢.

(٣) تيطس: ١/ ٦.

(٤) المرأة في مختلف العصور - أحمد خاكي ص ٣٢.

هؤلاء يوحنا فم الذهب فقال: (إذا كنتم تريدون الطريق الأسمى والأعظم فالأفضل ألا يكون لكم علاقة مع أية امرأة كانت، كما أسس مارسبون في القرن الثاني الميلادي طائفةً حَرَّمَتِ الزواجَ بتاتًا على جميع أتباعها[١]، وقد عقد مجمع فنقرة سنة ٣٨١ م خصيصًا للتنفير من الزواج وأشاع بأنه لا أمل لأحد من المتزوجين في دخول ملكوت الله[٢].

وأيد توليان رأي بولس فقال: الزواج لمن لم يقوَ على العفة أفضلُ من أن يحترق بنار جهنم، ولكن الخير أن يتقي الإنسان الأمرين معًا فلا يتزوج ولا يُعَرِّضُ نفسَه لعذاب النار، وإن قصارى ما يحققه الزواجُ أنه يعصم الفردَ من الخطيئة، على حين أن التبتلَ يروِّض المرءَ على أعمال القديسين، ويذلل له السبيل إلى منزلةِ الإشراقِ ويتيحُ له أن يأتيَ بالمعجزات[٣].

ونادى أحد رجال الكنيسة الغربية في روما في القرن الرابع الميلادي وهو «شنت جيرم» بتحريم الزواج، فقال: لتضرب البلطة شجرة الزواج الجافة، ولكن تطور الأفكار وإلحاح الطبيعة جعل هؤلاء الناس يغيرون أفكارهم عن الترهب فجعلوه لطبقة معينة وسموه بالرهبنة الاختيارية (الخاصة بالباباوات)[٤].

وعلى هذا حرمت الكنيسة على الكهنة الزواج حتى يؤدوا الصلاة بالناس كل يوم وهم طاهرون، كما أمرت الكنيسة الراهبات بالامتناع الكامل عن الجنس وتغطية الجسم والابتعاد عن كل شيء يمكن أن يجعل الجسد جذَّابًا[٥].

---

(١) راجع: الأسفار المقدسة ص ٩٦.

(٢) راجع: المرأة في اللاهوت الكنسي ص ١٢٧.

(٣) راجع: الأسفار المقدسة ص ٩٥

(٤) راجع: الأسرة تحت رعاية الإسلام ص ٨٥.

(٥) راجع: الرجل والجنس - د/ نوال السعداوي ص ٣٤، ٣٥.

إن نظرة النصارى إلى الزواج نظرة سلبية، وهي لا تشعر إطلاقًا بأن الزواج سِرٌّ إلهي مقدس، ولقد ترتب على الدعوة للتبتل من المساوئ ما ترتب على الرهبنة من مساوئ عمت النصرانية، وقوضت الأخلاق التي دعا إليها المسيح عليه السلام.

وقد أدت نظرة النصارى إلى التبتل على أنه الحالة المثلى وإلى الزواج على أنه مجرد ضرورة إلى نظام العزوبة المفروض على القسيسين والرهبان عند الكاثوليك، ودعوة النصارى إلى التبتل تعمل على انقراض النوع الإنساني وَتُعَجِّلُ بفناءِ الكونِ من عالمنا الأرضي[1].

إنه لمن الواضح أن النصارى لم يلتزموا بالزعم القائل بأن الزواج سر إلهي مقدس إلا في القرن السابع عشر الميلادي فأدخلوا الزواج ضمن أسرار الكنيسة السبعة، وعلى الرغم من اعترافهم بهذه العبادة فإنهم لم يضعوها موضعَ التطبيق إلا في القرن العشرين عندما نادى باباوات الكنيسة الرومانية بتحليل الزواج، حتى بالنسبة للقساوسة، وليس هذا فحسب بل إنهم حرَّموا تحديدَ النسل وَحَثُّوا على زيادته والإكثار منه خاصةً بعد أن لاحظوا زيادةَ عددِ المسلمينَ وكثرةَ توالدهم؛ ولذلك زعم الأب بولس في مؤتمر الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٨ م بأن الزواجَ شرطٌ أساسيٌّ لسلامة الشعوب المسيحية، ودليل على قوة الإيمان بالله.

(١) راجع: الأسفار المقدسة ص ٩٧.

المبحث السادس

الكنائس النصرانية وسر الزواج

بعد الحديث عن أحكام الزواج وما يتصل به يمكن الوقوف على نقاط الاتفاق والاختلاف بين المذاهب النصرانية حول الزواج كما وضح من خلال الدراسة السابقة:

١- تَعْتَبِرُ الكنائسُ النصرانيةُ جميعُها الزواجَ من المقدسات الدينية، ولكنه في المذهبين الأرثوذكسي والكاثوليكي يُعتبر من الأسرار الكنسية والأعمالِ المقدسةِ، أما البروتستانت فلا يجعلون الزواج سِرًّا إلهيًّا؛ إذ أنهم لا يعترفون بأسرار الكنيسة وهو عندهم نظام مدني بمعنى أنه نظام تقتضيه حاجة البشر ولا يعد سِرًّا مقدسًا، وقد اعتبر البروتستانت الزواج أفضل من التبتل، ورأى الأرثوذكس والكاثوليك أن التبتل أفضلُ من الزواج عند مَنْ لا يخاف على نفسه الزنا.

٢- الخِطبة وهي مقدمة للزواج وتُعرف عند الأرثوذكس بعقد الأملاك، ولابد لإتمامها أن تُجرى وفقًا للطقوس الدينية على يد الكاهن، وكذلك تفعل الكنيسة الكاثوليكية الشرقية، والنص في ذلك عند الأرثوذكس أن الخطبة تتم على يد كاهن بحضور شاهدينِ على الأقل. والبروتستانتُ يرون أن الخطبة تكون بطلب الزواج وتتم بحصول اتفاق بين ذكر وأنثى راشدينِ على عقد الزواج بينهما بالكيفية والشروط المعروفة في عقد الزواج، وتثبت بكتابة محضر ممضي بشهادة شاهدينِ على الأقل.

وعندَ الأقباطِ والسريانِ الأرثوذكسِ يجب أن تتضمنَ وثيقةُ الخطبة بيانَ ميعاد الزواج، ويجوز تعديل هذا الميعاد باتفاقِ الطرفينِ، وعندَ الكاثوليكِ والبروتستانتِ يجوزُ تحديدُ ميعادِ الزواجِ عندَ الاتفاق على الخطبة أو بعد ذلك.

أما عن سنِّ الخطبة فعند الأقباط الأرثوذكس لا تجوز الخطبة إلا إذا بلغ سن الخاطب سبع عشرة سنة، والمخطوبة خمس عشرة سنة ميلادية كاملة، وإذا كان أحد الخاطبين قاصرًا فإنه يلزم أن يوافق وليه أيضا على الخطبة، وعندَ الرومِ الأرثوذكسِ ليس هناك سِنٌّ خاصٌّ للخطبة؛ لأنهم يعتبرونها مرحلة من مرحلتَي الزواج، وقد نصت المادة الأولى من اللائحة الصادرة في مارس ١٩٣٧م الخاصة بهم على أن سن الزواج هو ١٨ سنة للشاب و ١٥ سنة للفتاة، ولم يحدد لدى الطوائف الكاثوليكية سن للخطبة مادام الشخص قد بلغ سن السابعة، مع مراعاة أن الزواج ينعقد صحيحًا في هذه الحالة بدون حاجة إلى موافقة الولي، فإن الخطبة تنعقد من باب أولى.

أما بالنسبة للإنجيليين فيُشترط لجواز الخطبة أن يكون الخاطبان بَالِغَيْنِ سنَّ الرشد، وأما عن توثيق الخطبة وإثباتها: فعند الأرثوذكس والبروتستانت تحرر وثيقة للخطبة تثبت فيها بيانات عن الخاطبينِ، ويوقِّع عليها الكاهن والخطيبان والشهود، وتوثيق الخطبة جزء من الشكل الذي لا تنعقد بغير توفره، وعند الكاثوليك يجب تدوين الخطبة في دفتر خاص عند الكاهن أو الرئيس الكنسي ولكن كوسيلة للإثبات.

وتُشهر الخطبة عند الأقباط الأرثوذكس والطوائف الكاثوليكية، وذلك لإعلام الناس بها وليتمكن كل من له اعتراض على زواج الخاطب بالمخطوبة أن يتقدم باعتراضه، ولم تنظم مجموعات الأحوال الشخصية للسريان الأرثوذكس والبروتستانت إشهار الخطبة إلا أنه لا يوجد عندهم ما يمنع من إجراء هذا الإشهار في كنائسهم.

وأما عن آثار الخطبة، فإنه لا يترتب عليها مثل ما يترتب على الزواج

لأنها مجرد عقد بوعد بالزواج يجوز للطرفين أو أحدهما أن يعدل عنه، فعند الأرثوذكس يجوز لكل من الخاطبينِ العدولُ عن الخطبة، وعلى الكاهن إخطار الطرف الآخَرِ بالعدول، عند الكاثوليك لا دعوى للمطالبة بعقد الزواج بناءً على الوعد بل لتعويض الأضرار إن وجدت، أما الأرثوذكس فعندهم يُترك أمر التعويض لتقدير القاضي، أما البروتستانت فعندهم إذا عدل أحد الخطيبين عن الآخر بعد الخطبة بدون سبب كافٍ حكمت السلطة المختصة للآخَرِ بالتعويضات ويخصم منها ما يكون قد دُفِعَ نقدًا من أحد الخطيبين، وأما الهدايا العينية فتضيع على الناكث، وتبقى للآخر.

٣- يعتبر الرضا في الزواج شرطًا أساسيًّا؛ فلا بد من رضا الزوجين قبل الزواج، وقد اتفقت على ذلك المذاهب النصرانية، وإذا كان سِنُّ الزوجين أو أحدهما دون الحادية والعشرين فيشترط رضا الولي، ولا ينعقد الزواج إلا بالرضا المنجز، فإذا اقترن الرضا بِأَجَلٍ أو بشرط فلا ينعقد به زواج أصلاً بل يعتبر خطبة أو التعبير عن الإرادة يكون صريحًا أو ضمنيًّا، ويثبت رضاء الأخرس بإشاراته إذا كانت معلومة ومؤديةً إلى فهم مقصود.

ولا زواج بين غائبين؛ لأن التعبير عن إرادتهما لا يمكن تحققه علنًا أمام الكاهن والشهود، ويجوز الزواج بالوكالة عند الكاثوليك دون الأرثوذكس، ثم أجازه الأرثوذكس عند الضرورة بشرط أن يأذن بذلك الرئيس الكنسي المحلي كتابة.

٤- بالنسبة لموانع الزواج: يعتبر الأقباط الأرثوذكس العجز الجنسي مبطلاً للزواج، بينما يعتبره الروم الأرثوذكس سببًا من أسباب الطلاق التي تبيح فسخ العلاقة الزوجية بناءً على طلب المتضرر من الزواج، والكنيسة الأرمينية تجعل الزواجَ ممتنعًا عند وجود العجز الجنسي، وعقم الرجل أو المرأة لا يجعل الزواج باطلاً

في جميع المذاهب النصرانية، والعجز الجنسي الطارئ بعد الزواج لا أثرَ له على العلاقة الزوجية عند الكاثوليك والبروتستانت.

ويعتبر النصارى أن ارتباط أحد الزوجين بزواج قائم مبطلٌ للزواج؛ إذ أنه لا يجوز تعددُ الزوجات في النصرانية، والمذهب الكاثوليكي ينص على أنه لا يجوز حل عقد الزواج الصحيح إلا بالموت، فلا يجوز لأحد الزوجين أن يتزوج مرةً ثانيةً إلا إذا ثَبَتَ أن قرينَه قد توفي، وعند الأقباط الأرثوذكس لا يجوز لأحد الزوجين أن يتخذ زوجًا ثانيًا مادام الزواج قائمًا، وكذلك عند الروم والأرمن الأرثوذكس والبروتستانت.

أما بالنسبة لاختلاف الدين بين الزوجين، فجميع المذاهب النصرانية تجعل زواج النصراني بغير النصرانية باطلاً مُطْلَقًا، بل حرمت بعض المذاهب الزواج من النصراني مختلفِ المذهب، فعندَ الأقباطِ الأرثوذكس لا يكفي اتحاد الدين النصراني بين الزوجين، ولكن يجب أيضا اتحادهما في المذهب، وعند الكاثوليك يعتبر الزواج بين كاثوليكي وبين مسيحي يعتنق مذهبًا آخر محرمًا، ولكنه غير باطل، وعند الروم الأرثوذكس يصرح بزواج الأرثوذكسي بنصراني من غير مذهبه عندما يأخذ الطرف غير الأرثوذكس عهدًا على نفسه كتابيًا أن يقوم بمراسم زواجه كاهن أرثوذكسي، وأن يعمد ويعلم الأولاد حسب المذهب الأرثوذكسي والاختصاص القضائي للكنيسة الأرثوذكسية.

وعند الكاثوليك يعتبر الزواج المنعقد بين شخص غير معمد وآخر غير معمد باطلاً والزواج بين كاثوليكي وغير كاثوليكي منهي عنه، ولكنه غير باطل، والكنيسة البروتستانتية لم تنص على بطلان زواج النصراني من غيره، وإنما جعلت تغيير أحد الزوجين ديانتَه النصرانيةَ بعدَ الزواج من أسبابِ الطلاقِ.

ويعتبر الزنا سببًا من أسباب الطلاق عند الأرثوذكس والبروتستانت، أما الكاثوليك فلا يعتبرونه سببًا للطلاق بل عليه المفارقةُ الجسديةُ، وشريعة الأرمن الأرثوذكس والبروتستانت لا تمنع الزواجَ بين الزانِي وشريكِه بعد تطليق الزاني أو موته، أما الأقباط الأرثوذكس فلا يجوز عندهم الزواج ممن ارتكب جريمة الزنا، وعند السريان الأرثوذكس يُعتبر الزنا مانعًا للزوجة من الزواج، ولا يجوز زواجهما بشريكها أو بغيره، أما الزوج الزاني فله بعد تطليق زوجته الزواج بشريكة في الزنا أو بغيرها؛ لأن النص مقصورٌ على المطلقةِ، وعندَ الكاثوليك لا يصحُّ عقدُ الزواجِ بينَ من اقترف الزنا مع التواعد بالزواج، أو مع مَنْ قتل أحدُهما زوجَه، أو تعاون مع صاحبِه فَقَتَلاَ الزوجَ ولم يَزْنِ أحدُهما بالآخَرِ.

وتعتبر المذاهب النصرانية التي تعترف بالرهبنة أنها من موانع الزواج؛ لأنها تفضلها على الزواج، وقد خرج على هذا المبدأ لوثر، وهو راهب كاثوليكي فتزوج ضاربًا المثلَ بنفسه، وتبعه كثيرٌ من البروتستانت، ولا يعتبر السريان الأرثوذكس الرهبنة مانعًا للزواج.

أما بالنسبة للكهنوت فإن الكنيسة الكاثوليكية قد حرمت منذ القرن الرابع للميلاد زواج أصحاب الرتب الكهنوتية الكبرى، بل حرمت عليهم ممارسةَ حقوقِ الزوجيةِ التي عقدوها قبلَ أخذهم الوظائفَ، وأصحابُ هذه الرتب هم الأساقفة والقسس والشمامسة، والأقباط الأرثوذكسية يمنعونَ الزواجَ بكل صاحبِ رتبةٍ كهنوتيةٍ تعلو رتبةَ القسِّ والقمص، فإذا تزوج واحدٌ منهم سقطت عنه صفة الكهنوت فورًا ولا يكون زواجه باطلاً[1].

وأباح إنجيليون زواج الكاهن وكذلك السريان الأرثوذكس والأرمن

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٩.

الأرثوذكس حيث لم يرد بمجموعاتهم نص يعتبر الكهنوت مانعًا عندَهم من موانع الزواج، يقول ول ديورانت: كان زواج القساوسة في القرنين التاسع والعاشر أمرًا مألوفًا في إنجلترا وغالة وشمال إيطاليا، وكان البابا هدريان الثاني نفسه متزوجًا، وكتب «راتريوس» أسقف فيرونا في القرن العاشر يقول: إن أساقفة أبرشيته كلهم تقريبًا متزوجون، ولم يستهل القرن الحادي عشر حتى كانت العزوبة بين رجال الدين غير الرهبان من الأمور الشاذة النادرة[١].

وبذلك يتضح أن الكهنوت لم يكن من موانع الزواج عند كل النصارى، وهناك موانع أخرى للزواج تتفق فيها وتختلف الكنائس النصرانية؛ كمانع القرابة والمصاهرة والرضاعة والتبني والقرابة الروحية بين المعمِّد والمعمَّد، وغير ذلك.

٥- يشترط لعقد الزواج عند النصارى أن تتوفر فيه المراسيم الدينية؛ فعند الأرثوذكس يتم الزواجُ بصلاةِ الإكليلِ على يدِ كاهنٍ طبقًا لطقوس الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانت يشترطون لعقد الزواج الإكليل على يد كاهن الكنيسة، كما يشترط الكاثوليك إجراءَ الزواج على يد كاهن كنيسة المنطقة التي يقيم فيها أحد الزوجين.

وينعقد الزواج عادةً في الكنيسة عندَ طوائفِ الأرثوذكسِ والبروتستانت دونَ أن يُعْتَبَرَ ذلك شرطًا من شروط الزواج، أما عند الكاثوليك فالأصلُ ألا ينعقد إلا في كنيسة الخورانية[٢] ولا يجوز إبرامه في غيرها من الكنائس أو

(١) قصة الحضارة جـ ١٤/ ٣٨٢.

(٢) الخوري: هو خليفة الأسقف وهي لفظة يونانية الأصل مشتقة من (الخوريبسكوبوس) ويعادلها وظيفة قمص أي نائب الأسقف، وعلى ذلك فالكنيسة الخورانية هي التي يرأسها قمص- راجع اللآلىء النفيسة جـ٢/ ٢٨٥.

المعابد عموميًّا كان المعبدُ أو شبهَ عمومي، إلا بإذن الرئيس المحلي أو الخوري، ولكن يجوز عقدُ الزواج في البيوت الخاصة عند الضرورة.

كما تشترط جميع المذاهب علانيةَ الزواج، ويوجد عند الكاثوليك نوعٌ من الزواج السري، ويجيزه الرئيس الديني لسبب خطير ومصلحة عظيمة، والمذاهب النصرانية الأخرى لا تعرف هذا النوع من السرية في الزواج، وتتطلب شرائع الأرثوذكس والكاثوليك توثيقَ الزواج بأن يحرر كاهنٌ بياناتِه، ويقيده في سجلات مُعَدَّةٍ لذلك كدليل لإثبات الزواج ولم تتطلب شريعة البروتستانت شيئًا من ذلك.

٦- لا تجيز الشريعة النصرانية الطلاق حتى لو اتفق الزوجان عليه ولا يقع إلا لعلة الزنا، وعند وقوعه يسمى تفريقًا بَدَنِيًّا؛ وذلك لأن رابطةَ الزواجِ قائمةٌ على التأبيدِ وعدمِ الانحلالِ، فعندَ الكاثوليكِ يَحْرُمُ الطلاقُ لأي سببٍ مَهْمَا عَظُمَ شأنُه، وحتى الخيانة الزوجية نفسها لا تُعَدُّ في نظرِه مبررًا للطلاق، وكل ما يبيحه في حالة الخيانة الزوجية هو التفرقة الجسدية مع اعتبار الزوجية قائمةً بينَهما من الناحية الشرعية، ولا يجوز لأحدهما عقدُ الزواج مع شخص آخر؛ لأن ذلك يعتبر تعددًا للزوجات وهو غير مباح.

أما الأرثوذكس البروتستانت فيبيحون الطلاقَ في حالة الخيانة الزوجية، وقد أدى تمردُ الأمم النصرانية على نظام الطلاق إلى استحداث الكنيسة قوانينَ مدنيةً تبيح حلَّ عقدِ الزواجِ مثل خروج أحد الزوجين من الديانة أو حكم عليه بعقوبة شائنة وإساءة أحدهما للآخَرِ، أو هجر أحدهما للآخَرِ، والإصابة بالجنون، إلا أن هذه الأسباب ليست محلَّ اتفاقٍ بين كل الطوائف النصرانية، ويجوز للمطلقة أن تتزوج بزوجها السابق أو بغيره عند طوائف الأرثوذكس والبروتستانت، ويمنع ذلك الكاثوليكُ.

٧- لا يوجد نظام الرهبنة إلا عند الأرثوذكس والكاثوليك، أما البروتستانت فلا وجودَ للرهبنة عندَهم، وكل رُتَبِ الخدام متزوجون، حتى في الكنيسة الأسقفية التي هي في موضعٍ متوسطٍ بينَ الكاثوليكيةِ والبروتستانتيةِ، وتؤمن ببعض أسرار الكنيسة فالكهنوت والأفخارستيا لا يوجد فيها رهبنةٌ ولا تبتل؛ فالأساقفة ورؤساء الأساقفة متزوجون[1].

(١) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٦.

المبحث السابع

موقف الإسلام من الزواج الكنسي

لقد أُرسل المسيحُ عليه السلام متبِعًا لشريعة التوراة، وقد صرح بذلك كما جاء في إنجيل متى: (لا تظنوا أني جئتُ لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل؛ فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعي أصغر في ملكوت السماوات، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات)[1].

فإذا كانت شريعة التوراة جاءت بإباحة الزواج وتعدد الزوجات و إباحة الطلاق عند تعسرِ استمرارِ الحياة الزوجية فإن على النصارى اتباعَ ذلك؛ لأن المسيح عليه السلام جاء مُتَّبِعًا لهذه الشريعة.

ولقد جعل الله تعالى الزواج سنةً من سُنَنِهِ في خلقه، فكل المخلوقات تتزاوج وانتشرت ذرية آدم عليه السلام بعد زواجه من حواء، ولقد تزوج رسل الله وكان لهم ذرية؛ إذ أن التزواج هو أساس تكوين الأسرة التي هي لبنة من لبنات الأمة (ومن هنا يأخذ الزواج نفس العناية التي تأخذها الأسرة إن لم تكن أقوى وأشد، ولا يُعرف دينٌ من الأديان السماوية إلا وكان للزواج فيه المكانة الأُولى مما يستدعي العنايةَ والاحترامَ وكذلك لا نعرف أمةً من الأمم التي تعرف قيمة الحياة إلا كان الزواج لديها آخِذًا تلك المكانة من العناية والاهتمام، وليس ذلك فقط لأن الزواج أصلُ الأسرة، بل لأنه مما تدعو إليه الفطرةُ وتقضي به الطبيعة)[2].

---

(١) متى: ٥/ ٧-١٩.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة ص١٤٢.

ولقد حثَّ المسيح عليه السلام أتباعَه على الزواج منفذًا لسنة الله ولشريعة التوراة التي جاء فيها: (أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض)[١] ولقد حضر المسيح عليه السلام العرسَ الذي كان في قانا الجليل، وكانت هناك أُمُّ المسيح، ودعي إليه المسيح[٢] وتلاميذه؛ فحضور المسيح هذا العرس فيه دلالة على أنه معترف بِحِلِّ الزواج وضرورتِه، فلم يدع إلى التبتل والرهبنة وقتل الغريزة الجنسية التي دعا إليها من ينتسبون إليه الذين ساد بينهم الاعتقادُ بأن العزوبة أمثلُ من الزواج، وأن الحصور أدنى إلى الله ممن يقرب النساء[٣]، ضاربيَن بتعاليم المسيح عرضَ الحائط، ومتبعين لتعاليم بولس الذي جاء بشرائع ما أنزل الله بها من سلطان ونسبها إلى الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام.

ورغم ادعاء النصارى بأن الزواج سر إلهي مقدس لا يجوز انفصاله إلا أن أناجيلهم تُصور عيسى عليه السلام في صورة الكاره للحياة الدنيا والداعي إلى تدميرها وإهلاكها، بل تصوره الداعي إلى تفكيك الأسرة وتشتتها، والعبارات التي تشهد لذلك توجد في الأناجيل جنبًا إلى جنب مع العبارات التي استندوا إليها في تقديس الزواج، فقد جاء في إنجيل متى أن شابًا دَنَا من المسيح وقال له: (أيها المعلم الصالح، دلني على عمل صالح لأرث الحياة الأبدية.... قال يسوع: إن كنت تريد أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل شيء لك وأعطه للمساكين، فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني، فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزينًا لأنه كان ذا مال كثير، فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم: إنه يعسر على الفتى دخول ملكوت السماوات... كل من يترك بيتًا أو إخوة أو أخوات أو أبًا أو أُمًّا أو امرأةً أو بنينَ أو حقولاً لأجل اسمي يأخذ ضِعفًا ويرث الحياة الأبدية)[٤].

---

(١) تك: ١/ ٢٨.

(٢) راجع: يوحنا: ٢/ ١، ٢.

(٣) راجع: الأسفار المقدسة ص٩٤.

(٤) متى ١٩: ١٦، ٢١-٢٣، ٢٩.

وَتُصَوِّرُ الأناجيل عيسى عليه السلام - أيضا - في صورة من يدعو إلى إهلاك النسل واستئصاله والمناداة بإفناء الجنس البشري كما جاء في إنجيل متى: (إن من الخصيان من ولدوا كذلك من بطون أمهاتهم، ومنهم من خصاهم الناس، ومنهم من خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يحتمل فليحتمل)(١).

كما تصوره في صورة من يهدم المجتمع ويؤلب أفراده بعضهم على بعض ويزرع الكراهية والحقد في المجتمع ويدعو إلى الحرب والدمار: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته)(٢).

ومع كل ذلك، ومع دعوة النصارى إلى التبتل والرهبنة التي فرضوها على أنفسهم ولم يرعوها حق رعايتها، فإنهم يقولون بأن الزواج سرٌّ من أسرار الكنيسة التي أسسها المسيح، ويقول زكي شنودة: لما كان الإنسان طوع أمر الطبيعة في إشباع رغبته الجنسية كسائر الكائنات فقد وضع له ناموسًا يتم بموجبه عقد زواج شرعي بين الرجل والمرأة ليكون وسيلة لتنكب طرق الفساد، وقد جعل السيد المسيح الزواج - فوق كونه ناموسًا طبيعيًا - سرًا من أسرار الكنيسة، إذ قال: (فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان(٣))(٤).

فإذا كان المسيح عليه السلام بَيَّنَ لأتباعه أن الزواج وسيلة لتنكب طريق الفساد فإن ما أحدثه النصارى من إيجاد طرق للوقوع في الفساد لا يرضى عنه المسيح ولا يقره، مثلما

(١) متى: ١٩ / ١٣.
(٢) متى: ١٠ / ٣٤-٣٦.
(٣) متى: ١٩/ ٦.
(٤) تاريخ الأقباط جـ١ / ٢٧..

تَرَتَّبَ على التبتل والرهبنة من فساد عَمَّ أماكن العبادة عندهم والأديرة وغيرها من أماكن جعلت لتكون بؤرًا للرذيلة.

وإذا كان المسيح عليه السلام متبعًا لشريعة التوراة التي تبيح تعدد الزوجات فإن مَنْ يخالف ذلك يكون غيرَ متبع للمسيح، فادعاء النصارى تعدد الزوجات ادعاء باطل لا صلة للمسيح عليه السلام به، فقد ورد في التوراة أن كثيرًا من الأنبياء كان لهم زوجتان وأكثر؛ مثل إبراهيم ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم.

ويحرم النصارى الطلاق إلا لعلة الزنا؛ محتجين بقول المسيح في رده على الفريسيين حينما سألوه قائلين: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ فأجابهم قائلاً: أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا أو أنثى من أجل هذا يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا؛ إذ لَيْسَا بعدُ اثنين بل جسدًا واحدًا، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان)[1]، وقوله: (وقيل: مَنْ طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني ومن تزوج مطلقة فإنه يزني)[2].

إن تعليل تحريم الطلاق بأن ما جمعه الله لا يصلح أن يفرقه الإنسان، وهذه الجملة صحيحة المعنى، فمعنى أن الله جمع بين الزوجين أنه أَذِنَ بهذا الزواج وشرعه فصح أن ينسب الجمع إلى الله، وإن كان الإنسان هو المباشر لعقد الزواج، فإذا أَذِنَ الله في الطلاق وشرعه لأسباب ومسوغات تقتضيه حينئذ يكون من عند الله، وإن كان الإنسان أيضًا هو الذي يباشر التفريق، أليس الله هو الذي فرق بينهما بسبب الزنا[3].

ومع تصريح المسيح عليه السلام بإباحة الطلاق لعلة الزنا فإن النصارى الكاثوليك

(١) متى: ١٩/ ٣-٦.

(٢) متى: ٥/ ٣١، ٣٢.

(٣) راجع: الحلال والحرام ص ١٧٩.

لا يبيحون الطلاق بهذه العلة، ويعتبرونها سببًا للمفارقة الجسدية دون الطلاق ولا يُفرق بين الزوجين إلا بالموت.

كما أن المسيح عليه السلام لم يؤسس للنصارى صلاة خاصة بالخطبة ولعقد الزواج ولم يجعل لزواج الأبكار صلاة وللأرامل صلاة، وكل هذا ابتدعه القوم من قِبَلِ أنفسهم، وإذا كانوا يصرحون بأن المسيح أسس لهم سر الزواج، ويرتبون على حضور المسيح لعرس قانا الجليل أمورًا لم يقل بها المسيح ولم يقصدها، كشرط عقد الزواج في الكنيسة على يد كاهن ينوب عن المسيح، إذا كانوا يصرحون بذلك فإنهم أيضا يصرحون بأن سر الزواج لم يدخل ضمن أسرار الكنيسة السبعة إلا في القرن السابع عشر الميلادي، وعلى الرغم من ذلك نجد أن المبدأ الذي ساد وما زال سائدًا لدى معظم الطوائف المسيحية إلى اليوم هو مبدأ الزهد والعزوف عن الزواج وجعل التبتل المكرس هو الزواج الحقيقي[١].

وقد يكون النصارى اقتبسوا نظام التبتل والرهبنة من البوذية التي سبقتهم بالدعوة إلى ذلك؛ فقد ذُكِرَ عن بوذا: الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة الزوجية كأتون نار متأججة، ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب الابتعاد عن الزنا[٢].

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن المسيح عليه السلام دعا إلى الزواج وحث عليه كما فعل سائر الرسل ولم يَدْعُ إلى التبتل والرهبنة والتي تؤدي إلى انقراض السلالة الإنسانية، ولم يأت بتحريم الطلاق ولا بتحريم تعدد الزوجات التي جاءت بها شريعة التوراة ولم يأمرهم بصلاة الإكليل الخاصة بالخطبة والزواج وغيرها من طقوس وشروط موضوعة من قِبَلِ القوم أنفسهم.

إن المسيح عليه السلام لم يؤسس للنصارى سر الزواج كما أنه لم يؤسس غيره من الأسرار،

(١) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ٤٥٤.

(٢) الديانات القديمة لأبي زهرة ص ٦٧.

وكل ما فعله المسيح بهذا الشأن أنه حث القوم على الزواج وشاركهم أفراحهم وباركهم وما عدا ذلك فلا صلة للمسيح به.

لا رهبانية في الإسلام:

ولقد نعى الله تعالى على هؤلاء القوم الذين ادعوا الرهبانية ولم يلتزموا بها وفسقوا وضلوا عن طريق الله، قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

ولقد أعلن رسول الله ﷺ أنه لا رهبانية في الإسلام، روى الإمام البخاري بسنده، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساءَ فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني)[2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية النكاح وضرورته لخير الفرد والجماعة، حتى كان من سنة سائر الأنبياء والمرسلين فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[3] ونَفَّرَ من العزوبة التي تصدر عن مبدأ كراهية الإسلام لكل ما لا يوائم بين الغريزة والعقل ولا يوازن بين الواقع وضرورات الحياة الإنسانية.

---

(١) سورة الحديد: من الآية: (٢٩).

(٢) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح جـ١/ ٢٣٧.

(٣) سورة الرعد: الآية: (٣٨).

ونهى رسول الله ﷺ عن التبتل فعن سعد بن أبي وقاص قال: (رَدَّ رسول ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا)[١].

ولما للزواج من أهمية يترتب عليها تنظيم قوى الإنسان وتوجيهها إلى الخير والكمال دعا الإسلام إليه على هذه الصورة الخاصة، ثم حث عليه الشباب عند المقدرة على أعبائه قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾[٢] فشجع الله تعالى الفقراء على الزواج ووعدهم أن يغنيهم من فضله ويكفيهم مؤونة الزواج والنفقة اللازمة؛ لأنه تعالى واسع الفضل، وأنه عليم بأحوال عباده أجمعين.

كما أمر الله تعالى غير القادرين أن يستعففوا حتى يغنيهم ويوسع عليهم من رزقه فقال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ ﴾[٣] ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ: (يا معشر الشباب، مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء)[٤].

إن الإسلام أول دين اعتنى بموضوع الزواج من كل ناحية من النواحي، وقد قرر في سبيل تنظيمه وتأمينه والترغيب فيه تعليمات متينة كلها حكمة ومصلحة للمجتمع الإنساني.

أما تقليد النصارى لعيسى عليه السلام في التجنب عن الزواج تقليد خارج عن مقتضى الطبيعة البشرية؛ إذ أن لعيسى عليه السلام مقامه المقدس ألا وهو مقام الرسالة والنبوة،

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب ما يكره من التبتل والخصاء جـ٣/ ٢٣٩.

(٢) سورة النور: الآية: (٣٢).

(٣) سورة النور: الآية: (٣٣).

(٤) صحيح البخاري -كتاب النكاح -باب من لم يستطع الباءة فليصم جـ٣/ ٢٣٨.

والأنبياء والرسل هم الأعلمون بأسرارهم وأسباب اختلاف طبيعتهم البشرية مِنْ ترك الزواج كعيسى وقبول الزواج كغيره من الأنبياء عليهم السلام، فترك الزواج من قِبَلِ عيسى عزيمة، وقبوله من قِبَلِ غيره رخصة، والله تعالى يقول مخاطبا رسولَه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾(١).

(١) سورة الرعد: الآية: (٣٨).



الفصل السابع

سر الكهنوت وموقف الإسلام منه

المبحث الأول: تعريف الكهنوت الكنسي وبيان أدلته عند النصارى.

المبحث الثاني: الكهنوت تاريخيا.

المبحث الثالث: درجات الكهنوت الكنسي (درجات الأكليروس).

المبحث الرابع: سلطات آباء الكنيسة والعصمة البابوية.

المبحث الخامس: الكنائس النصرانية وسر الكهنوت.

المبحث السادس: موقف الإسلام من سر الكهنوت الكنسي.



المبحث الأول

تعريف الكهنوت الكنسي وبيان أدلته

(١) تعريف الكهنوت:

أ- التعريف اللغوي:

الكاهن: معروف، كَهَنَ له ويَكْهَنُ ويَكهُن وكَهُنَ كهانةً وتَكَهَّنَ تَكَهُّنًا قضى لله بالغيب، وكُهُنَ كَهَانَةً إذا صار كاهنًا.. ورجل كاهنٌ من قوم كهنةٍ وكُهَّان وحرفتُه الكهانةُ، الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار، والعرب تسمي كل من يتعاطى علمًا دقيقًا كاهنًا، ومنهم مَنْ كان يسمي المنجم والطبيب كاهنًا[١] والكاهن عند اليهود والنصارى رجل الدين الذي ارتقى إلى درجة الكهنوت والجمع كهان، والكهنوت: وظيفة رجال الدين عند اليهود والنصارى ونحوهم[٢].

ب- تعريف الكهنوت في اصطلاح الكنيسة:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: الكاهن: هو خادم دين، وفي اصطلاح الكتاب المقدس: الشخص المخصص لتقديم الذبائح[٣].

يقول عوض سمعان: (كلمة «الكهنوت» على وزن «الملكوت» و«الجبروت» هي المصدر من كلمة كاهن، وكلمة كوهين العبرية المرادفة للكلمة الأخيرة تدل على الاقتراب من الله على أساس ذبيحة مقبولة أمامه، كما تدل على «الإنباء بأموره تعالى للآخرين، وذلك بوصف العمل الثاني مترتبًا على العمل الأول، أما الكلمة اللاتينية

(١) راجع: لسان العرب ص٣٩٤٩ وما بعدها، مختار الصحاح ص٥٨١.

(٢) راجع: المعجم الوجيز ص٥١٤.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٧٩١.

المترجمة «كاهن» فمعناها كما يقول علماء اللغات: «يأتي المعبر» ولذلك فالمراد بها أن الكاهن هو الشخص الذي يعبر العالم ليأتي إلى الله»[١].

واستعمُلت كلمتا الكهنوت والكاهن في الكنيسة الأولى للدلالة على الخدمة المكرسة، وعلى الخادم الذي يرأس الأفخارستيا[٢].

وعرّف رجال الدين النصارى سر الكهنوت بعدة تعريفات منها:

سر الكهنوت: هو عمل مقدس به يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخب ويطلب من أجله فينال النعمة الإلهية التي ترفعه إلى إحدى درجات الكهنوت[٣].

ويعرِّفه حبيب جرجس بقوله: يراد بهذا السر رتبة الإكليريكيين للوظائف المعنية بالكنيسة[٤].

ويعرِّفه تسيو دول مرمية بقوله: هو الطقس الذي يجعل من مؤمن عادي شماسًا وكاهنًا وأسقفًا[٥].

وعلى هذا فَسِرُّ الكهنوت معناه السر الذي يحصل الشخص به على النعمة التي تؤهله لأداء رسالة المسيح بين البشر ويمارس الأسرار الكنسية، ومن أسماء الكهنوت، الشرطونية (أي وضع اليد)، وسر الدرجة الأكليروس وهرمية الدرجات.

---

(١) الكهنوت -عوض سمعان ص١٧.

(٢) راجع: المعمودية الأفخارستيا والكهنوت ص٧١.

(٣) تاريخ الأقباط: جـ١/ ٢٧١.

(٤) أسرار الكنيسة ص١٥٧.

(٥) الأسرار حياة الإيمان ص٢٩٣.

(٢) أدلة النصارى على سر الكهنوت:

يذهب النصارى إلى أن المسيح هو الذي أسس سر الكهنوت، وذلك باختياره الاثني عشر رسولاً والسبعين تلميذًا، وأعطاهم سلطات الكهنوت، ومنها التعميد والتثبيت وتقديس القربان، وغفران الخطايا، وقد انتقلت هذه المواهب من الرسل إلى خلفائهم[(١)].

ويستدلون على سر الكهنوت بما جاء في العهد الجديد من نصوص؛ منها قول المسيح: (كما أرسلني الأب أرسلكم أنا، ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)[(٢)] وجاء في إنجيل متى: (الحق أقول لكم: ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء)[(٣)].

وقال بولس لتيوثاوس: (لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخية)[(٤)] وقال لتيطس أسقف كريت: (من أجل هذا تركتك لكي تكمل الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة قسوسًا كما أوصيتك)[(٥)] وقال لأسقف أفسس: (وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناسًا أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضًا)[(٦)].

وجاء في اللآلىء النفيسة: إن المسيح اختار فئة مخصوصة من المؤمنين للكهنوت وسماهم رسلاً وعهد إليهم تدبير كنيسته وسياسة شعبه وإرشاد الناس إلى طريق الحق

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧١.

(٢) يوحنا: ٢٠/ ٢١-٢٣.

(٣) متى: ١٨/ ١٨.

(٤) اتى: ٤/ ١٥.

(٥) اتى: ١/ ٥.

(٦) اتى: ٢/ ٢.

والخلاص، وأنابهم عنه في رعاية خرافه الناطقة، وأيدهم بالقوة كما أخذها من الأب ومنحهم السلطان على ربط الخطايا وحلها وغفرانها ومسكها، وإقامة أسراره، ومنحها للمؤمنين باسمه، وأمر بالطاعة لهم وسماع كلمتهم، وهدد بالعقاب الصارم لمن يخالفهم ناسبًا الطاعة لهم طاعة له ولأبيه كما أن احتقارهم له ولأبيه أيضا، واعدًا أن يكون معهم ومع خلفائهم إلى انقضاء العالم.

حفظ الرسل لأنفسهم هذه الحقوق الممنوحة لهم من الله واستعملوها فيما يؤول لتدبير الكنيسة فأقاموا لهم نوابًا وخلفاء، مانحين (بوضع اليد) القوة التي أعطوها

من الرب مثبتين أنها من الروح القدس نفسه، وخولهم الحق دون غيرهم في تعليم وإرشاد المؤمنين، وتتميم الأسرار الإلهية، وفوضوا لهم رسامة القسوس، واختيار الأمناء الأكفاء لهذه الخدمة المقدسة والحائزين للصفات التي أوضحوها لهم[1].

ولسر الكهنوت صلة وثيقة عند النصارى بسائر الأسرار الكنسية؛ إذ أن رجال الكهنوت هم الذين تُمارس الأسرار على أيديهم؛ فهم يقومون بالتعميد والتثبيت وتقديس القربان ومسحة المرضى وغفران الخطايا وعقد الزواج والصلاة الخاصة به.

(١) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٢٦٥ وما بعدها.

المبحث الثاني

الكهنوت تاريخيًّا

يعتبر النصارى أن الكهنوت في العهد الجديد امتدادٌ لكهنوت العهد القديم، وقد مر الكهنوت في العهد القديم بعدة مراحل؛ إذ يعتبرون الكهنوت قديمًا قِدَمَ الإنسان؛ لأن هابيل ونوحًا و إبراهيم و إسحاق و يعقوب وأيوب كانوا يقدمون الذبائح لله، وكان هناك كاهن في أيام إبراهيم يدعى ملكي صادق، و يعرف كهنوت هؤلاء جميعًا بكهنوت البطاركة أو الآباء القدامى[(١)].

ثم انتقلت ممارسة الكهنوت إلى رؤساء العائلات فكانوا يقومون بذبيحة الفصح؛ وذلك بأمر موسى لهم فعرف الكهنوت بكهنوت العائلات[(٢)]، أي أن الكاهن هو رئيس العائلة فقد جاء في سفر الخروج: (دعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم: اسبحوا وخذوا لكم غنمًا بحسب عشائركم واذبحوا الفصح)[(٣)].

ثم اتسعت دائرة الكهنوت بمرور الزمن، وأصبح لكل الفتيان امتياز تقديم الذبائح لله كما جاء في سفر الخروج: (أرسل فتيان بني إسرائيل فاصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران)[(٤)] وعرف هذا الكهنوت باسم: (الكهنوت القومي العام).

ثم بعد ذلك تعينت رتبة الكهنوت في عائلة هارون: (وقرب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل لِيَكْهَنَ لي)[(٥)] ومنذ ذلك الحين اقتصر ممارسة الكهنوت

---

(١) راجع: الكهنوت ص٤١.

(٢) راجع: قاموس الكتاب المقدس ص٧٩١.

(٣) خ: ١٢/ ٢١.

(٤) خ: ٢٤/ ٤-٥.

(٥) خ: ٢٨/ ١.

على سلالة هارون من الذكور الذين ليس فيهم أي عيب أو تشو يه جسدي، وكان يتخذ لرتبة عظيم الكهنة من الأبكار، وكانت تفرض على الكاهن في حياته ومعيشته قوانين لم تكن تفرض على غيره من اللاويين أو من عوام الشعب وكان عدد الكهنة قليلاً في أول الأمر: (وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت، وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات، والكهنة يضربون بالأبواق)[١].

ثم انتقلت ممارسة الكهنوت في عهد داود إلى أربع وعشرين فرقة؛ منها ست عشرة من عائلة العازار وثمان من عائلة إيتامار، ثم انتقل بعد ذلك إلى فِرَقٍ أخرى غير أصيلة[٢].

تقديس الكهنة في العهد القديم:

جاء في الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج بشأن تقديس الكهنة: (وهذا ما تصنعه لهم لتقديسهم ليكهنوا لِيَّ، خذ ثورًا واحدًا ابن بقر، وكبشين صحيحين، وخبزًا وفطيرًا وأقراص فطير ملتوتة بزيت ورقاق فطير مدهونة بزيت من دقيق حنطة تصنعها، وتجعلها في سلة واحدة وتقدمها في السلة من الثور والكبشين، وتقدم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء، وتأخذ الثياب وتلبس هارون القميص وجبة الرداء والصدارة وتشده بزنار الرداء، وتضع العمامة على رأسه وتجعل الإكليل المقدس على العمامة، وتأخذ: (من المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة وتنطقهم بمناطق هارون وبنيه، وتشد لهم قلانس فيكون لهم كهنوت فريضة أبدية، وتملأ يد هارون وأيدي بنيه)[٣].

---

(١) يشوع: ٦/ ٤.

(٢) راجع: قاموس الكتاب المقدس ص٧٩١، معجم اللاهوت الكتابي ص٦٧٩، الكهنوت ص٤١ وما بعدها.

(٣) خ: ٢٩/ ١-١، وراجع اللاويين صح ٨.

ففي هذا الإصحاح يوضح الرب لموسى الطريقة التي بها يكرس هارون وبنيه لخدمته فبعد أن يقدسوا ذواتهم وينقُّوها يتقدم موسى متممًا لهم التطهير بالماء قبل أن يلبسهم الملابس، وبعد أن يغتسلوا يلبسهم الثياب الخاصة الكهنوتية التي اختيروا لها ثم يقدم ثورًا وكبشين ذبائح خاصة بالتكريس، فالثور يكون ذبيحة عن خطاياهم، والكبش الأول للتقديس والثاني للرضا أمام الرب علامة رضا عن هذه الخدمة وبعد أن ينتهي من تقديسهم وإعدادهم يرشدهم الرب إلى ما يجب عليهم عمله من تقديم الذبيحة الدائمة صباحًا ومساءً[١].

وبعد أن كملت لهارون وبنيه أيام التقديس، بدءوا يمارسون أعمالهم المُخَصَّصِينَ؛ لها فقدم الذبيحة الخاصة به، وكذلك الذبيحة الخاصة بالشعب بحضور الناس، ثم رفع يديه وبارك الشعب[٢].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: أما تقديس الكهنة فكان يُحتفل احتفال عظيم يدوم سبعة أيام، وكان ذلك الاحتفال يجرى بتقديم الذبائح والاغتسال ولبس الثياب المقدسة ونضح الدم والدهن والزيت، أما ثياب الكاهن فكانت قميصًا من كتان أبيض يمتد من العنق إلى الكاهلين منه، أكمام ضيقة وسروال من كتان، ومنطقة مطرزة باسمانجون وأرجوان وقرمز وكان يضع على رأسه عمامة، ويرجح أن الكاهن كان يخدم وهو حافي القدمين، وكان يلبس فوق القميص رداءً مطرزًا بذهب وألوان كالمنطقة، وكان يشد حول خصره بزنار من نفس الألوان والنقوش[٣].

---

(١) راجع: دراسات في أسفار موسى الخمسة ص٢٤٣.

(٢) راجع: سفر اللاويين صح ٩.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٣٩٣، الكهنوت ص١٧٦، ١٨٧.

أعمال الكهنة في العهد القديم:

كان الكهنة يقومون بالخدمات الكهنوتية، ومنها تقديم الذبائح والقرابين ورفع البخور وترتيب خبز الوجوه، ومن الأعمال الروحية التي كانوا يقومون بها تقبل أقوال الله وحفظها، وأداء العبادة والشكر والصلاة لله، ومن الخدمات الكهنوتية تطهير المصابين بالبرص والملوثين بالنجاسة، ومن الأعمال الروحية التي يقوم بها الكهنة والمتعلقة بالناس التعليم وبيان الحلال والحرام والطاهر من النجس، واستخدام الأبواق عند طلب التجمع حول خيمة الاجتماع أو الارتحال في البرية أو الاستعداد للحرب، وكانوا يقومون بمباركة بني إسرائيل وكتابة الشريعة والقوانين[(١)].

وفي قاموس الكتاب المقدس: كانت واجبات الكهنة الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية وعدا ذلك فإنهم كانوا يخدمون في الاحتفالات والتطهير ويعتنقون بالآنية المقدسة والنار المقدسة والمنارة الذهبية وأثاث المقدس، وكانوا يطلقون الصوت في الأبواق المقدسة ويحملون تابوت العهد ويقضون في دعاوى الغيرة ويقدرون المال للافتداء وينظرون في شأن البرص، ويفسرون الناموس للشعب[(٢)].

ومن بين درجات الكهنوت عندهم درجة الكاهن الأعظم وهو رئيس الكهنة، وكانوا يحتفلون بتنصيبه سبعة أيام، وله ثياب خاصة به، ومن واجباته أنه لا يسمح لأحد غيره بدخول قدس الأقداس، وهو المشرف المسئول عن الهيكل وهو رئيس المجمع الأعلى لليهود.

وكان لا يُسمح للكاهن أن يمس ميتة إلا إذا كان من الناس المقربين إليه، ولا يجوز له حلق شعره أو جز لحيته ولا يتزوج بامرأة مُطَلَّقَةٍ، ويكون طاهرًا في داخله ومظهره

(١) راجع: معجم اللاهوت الكتابي ص٦٨١، الكهنوت ص٢١١ وما بعدها.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٧٩١.

الخارجي، وكان للكهنة عُشر الأعشار المدفوعة للأويين، وفداء الأبكار، والرقائع، وقيمة الأشياء المنذورة، وباكورات المحصولات وجزء من غنيمة الحرب، خبز الوجوه والقرابين(١).

الكهنوت في العهد الجديد:

يعتبر النصارى المسيح هو الكاهن الأعظم والوحيد مع اعترافهم بأن المسيح لم ينسب إلى نفسه ولو مرة لقب الكاهن(٢)، ومن ثم يربط النصارى بين الكهنوت قبل المسيح والكهنوت في عهده، ويجعلون للأفعال الكهنوتية القديمة مدلولاً لها في العهد الجديد ومنها مثلاً: ذبيحة المحرقة ترمز إلى المسيح بوصفه الذي أرضى الله ونفذ مشيئته إلى التمام، والدقيق الملتوت بالزيت يشير إلى حياة المسيح المملوءة بالروح القدس، فالذبائح والقرابين كانت رمزًا إلى المسيح من نواحٍ متعددة ويربطون بين الأعمال الروحية والخدمات الكهنوتية في العهد القديم والعهد الجديد(٣).

ومن ثم ترتب على هذا الربط، زعم النصارى أن المسيح استخلف من بعده مَنْ يقوم بممارسة الخدمات الكهنوتية وخولهم القوة ومنحهم السلطان ليكونوا معلمين وخدامًا، وسلم لهم المهام التي يجب أن يتموها كما جاء في الإنجيل(٤)، ثم عين سبعين آخرين أيضا وأرسلهم اثنين اثنين إلى كل مدينة وموضع(٥).

---

(١) المرجع السابق ص٧٩٣.

(٢) راجع: معجم اللاهوت الكتابي ص٦٨٢، الأسرار حياة الإيمان ص٢٨٦، خمس وخمسون حقيقة ص٦٠.

(٣) راجع: الكهنوت ص٢٢٤ وما بعدها.

(٤) راجع: لو ٦/ ١٢، ١٣، متى ٢٠، يو١٥/ ١٦.

(٥) راجع: لو ١٠/ ١-٤.

فأعطى المسيح هؤلاء الرسل السلطان والحق في تعليم الأمم وإتمام الأسرار كما جاء في إنجيل متى: (دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر)[١] وفي إنجيل يوحنا: (كما أرسلني الأب أرسلكم أنا، ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)[٢].

يقول حبيب جرجس: إن الرسل القديسين أقاموا في الكنائس التي أسسوها أساقفة وشمامسة ومنحوهم موهبة الخدمة بوضع أيديهم عليهم، كما أمروهم أن ينوبوا عنهم في سياسة الكنيسة وخولوا لهم سلطان إقامة الأساقفة والقسوس في كل مدينة لرعاية شعب الله وإتمام الخدمة الإلهية[٣]، وقد وضع بولس للمسئولين في الجماعات ألقابًا كهنوتيةً: وكلاء أسرار الله، ويصف بشارة الرسل بأنها خدمة كهنوتية[٤].

ومن خلال هذا المبحث يتبين أن الكهنوت كما ورد في الكتاب المقدس كان على عهد إبراهيم وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وداود، وسليمان، ثم كان الكهنوت في العهد الجديد امتدادًا لما كان في العهد القديم من المسيح إلى تلاميذه من بعده من رجال الدين، وظهرت الدرجات الكهنوتية عند النصارى ومنها درجات الأساقفة والقساوسة والشمامسة فهي درجات لصاحبها شروط وطقوس تُمارس عند تعيينه، كما كان للكهنة شروط وطقوس في العهد القديم، ومن ثم فقد جعلت الكنيسة الكهنوت سِرًّا من أسرارها السبعة المقدسة، وهذا السر يناله الكهنة وقت رسامتهم التي لا حَقَّ لأحد في

(١) متى ٢٨/ ١٨-٢٠.

(٢) يو ٢٠/ ٢١، ٢٢.

(٣) أسرار الكنيسة السبعة ص١٥٩.

(٤) راجع: معجم اللاهوت الكتابي ص٦٨٥.

إجرائها غير رؤساء الكهنة أو الأساقفة لأنهم الذين لهم الامتياز الرسولي أن يمنحوا الروح القدس بوضع أيديهم[1].

(١) راجع: المسيحية في العصور الوسطى ص ١٠٥.

المبحث الثالث

درجات الكهنوت الكنسي «رجال الأكليروس»

أولا: درجات الكهنوت:

تعتبر الدرجات الكهنوتية الرئيسية في الكنيسة ثلاثًا وهي: الأسقفية، والقسوسية والشمامسية[1] وهي ما تُعرف بدرجات الأكليروس[2]، وهو اللفظ الأعلى الذي يشمل جميعَ رجال الكنيسة، وكانت الرتب الرئيسية الثلاث في الكنيسة في كل جهات العالم هي الأساقفة والشيوخ (وقد أطلق عليهم بعد ذلك الكهنة) والشمامسة، وكان الشيوخ وكل الكنيسة يرشحون الأسقف ثم يصدق الأساقفة الآخرون على هذا الترشيح، ويرسمونه لأنه لا يرسم الأسقف إلا الأسقف ـ أما الشيوخ (القساوسة) فكانوا يُنتخبون بوساطة الأساقفة ثم يرشمون على أيدي الأسقف والشيوخ الآخرين، أما الشمامسة فيختارهم ويرشمهم الأسقف وحده.

وكان الشيوخ يقومون بكل الطقوس لأنهم من رجال الدين ثم بدءوا يعينون بالتدريج رعاة للكنائس المحلية؛ إذ زاد عدد الكنائس في القرى، أما الشمامسة فكانوا مسئولين مسئولية مباشرة أمام الأسقف وكانوا يساعدونه في الأمور العملية[3]، ثم أضيف إلى هذه الدرجات الثلاث ثلاث درجات أخرى وهي: البابا، والبطريرك، والمطران[4].

---

(١) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٢٧١، تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٢، أسرار الكنيسة ص١٨٤، المعمودية الأفخارستيا والكهنوت - بيان ليا - ص ٧٣ وما بعدها.

(٢) يطلق على رجال الدين عند الأقباط الأرثوذكس والكاثوليك الأكليروس، وينقسم رجال الدين إلى قسمين؛ أحدهما الرهبان والراهبات والقسم الآخر الكهنة، ومن الرهبان يختار البطريرك والمطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة، راجع: المجتمع القبطي في مصر في ق١٩ ص١١.

(٣) راجع: تاريخ الكنيسة جـ٢/ ٩٣.

(٤) راجع: النصرانية دراسة مقارنة ص ٢١١.

وبذلك أصبحت درجات رجال الدين النصارى هي ست درجات وهي: البابا والبطريرك، والمطران، والأسقف، والقس، والشماس، ومع وجود هذه الدرجات الست إلا أنها ترجع إلى الثلاث درجات الأولى والقديمة في الكنيسة (إن كل رتبة من هذه الرتب الثلاث ـ الأسقف والقس، والشماس ـ ينطوي تحتها ثلاث درجات أو أصناف فتكون جملتها تسعة)[1].

والرتب الأولى الكنائسية فتخص الرؤساء ـ البطاركة والمطارنة والأساقفة وهؤلاء على اختلاف أسمائهم أو درجاتهم يدعون رؤساء؛ لأنهم يرأسون الكهنة والشمامسة، ويُطلق البعض على البطريرك لقب البابا، ثم القمص وهو دون الأسقف ويعرف بالخوري أو كبير القسوس ثم القسس والشمامسة ويندرج تحتها الخدام والقراء والمرتلين[2]، وسوف أتناول إن شاء الله تعالى درجات الكهنوت بشيء من التفصيل كُلٌّ على حدة.

(١) البـــابـا:

كلمة البابا كلمة شرقية محضة، وأول من سمي بها أسقف الإسكندرية من أبناء أبرشيته في القطر المصري وفي إسكندرية عينها، وقال المحققون: إنها كلمة عربية الأصل مترجمة عن كلمة بطريرك الأعجمية التي كان يسمى بها أسقف أنطاكية وحده، وقيل: إن كلمة بابا مُرَكَّبَة من آب أباء ثم استدرجت إلى بابا، وخففت بلفظ بابا، وذهب آخرون إلى أنها كلمة يونانية الأصل مأخوذة من باباس معناها الأب فقط، وكان يستعملها النصارى الشرقيون لقبًا للقسوس.

وفي العصور الوسطى كان البابا هو رأس الكنيسة والحاكم المطلق فيها وجميع الأساقفة كانوا يدينون له بالولاء التام ويوجهون كل رعاياهم للخضوع لأوامر البابا،

---

(١) راجع اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٢٧٩.

(٢) راجع: أسرار الكنيسة ص ١٨٦.

وكان له سلطة تعيين الأساقفة، واعتبرت مراسيم البابوية لها قوة قرارات المجامع الكنسية.

وقد أطلق هذا الاسم أولا على بطريرك الإسكندرية، ثم انتقل إلى كراسي أفريقية ورومية، والغرب، أما الآن فهو مخصوص للحبر الأعظم في روما، وإن كان يطلق الآن أيضا على بابا الإسكندرية[١].

وقيل: إن اسم البابا كان يُطلق قبل القرن الحادي عشر على كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة، ولكن في القرن الحادي عشر في عهد جريجوري السابع اختص بهذا اللقب رئيس أساقفة روما[٢].

أما عن سبب ظهور هذا الاسم بين أسماء رجال الإكليروس، فإن صاحب كل درجة من الدرجات كان يُخاطب مَنْ فوقه منهم الأب، فالتبس ذلك عليهم، فاخترعوا لبطرك الإسكندرية (البابا) دفعًا للاشتراك في اسم الباب وجعله أبًا للكل، ثم نقل اسم (البابا) إلى بطرك روما وأبقوا اسم البطريق على بطريرك الإسكندرية[٣].

ومن هذا يتبين أن اسم البابا لم يكن من درجات الكنيسة الأولى، بل ظهر متأخرًا، ويطلق في هذا العصر على بابا روما، الذي يرأس أساقفة المذهب الكاثوليكي، والذي يَعتبر نفسه خليفة لبطرس كبير الحواريين، ويطلق على رئيس أساقفة الأرثوذكس في الإسكندرية اسم البابا، والذي يعتبر نفسه خليفة لمرقس الإنجيلي.

---

(١) راجع: اللآلِيء النفيسة جـ٢/ ٢١٣ بالهامش، المسيحية في العصور الوسطى ص٩٢.

(٢) راجع: في العبادات المسيحية ص٩٠.

(٣) راجع: المرجع السابق ص٤٧.

(٢) البطريرك:

البطريك أو البطريرك هو لقب على القائم بأمور دين النصرانية، والمسئول الديني الأول في كل قطر بأكمله[١]، ولفظة بطريرك يونانية الأصل وصحتها باتربارشيس مركبة من (باتربا) أي العشيرة، وأرشيس أي الرئيس، فيكون معناها رئيس العشيرة، وأول من سُمِّيَ بهذا الاسم رؤساء عشائر اليهود؛ فإنهم بعد خراب أورشليم وتشتت شملهم من المدن المتفرقة وخصوصًا في الإسكندرية واصطلحوا أن يقيموا عليهم مقدمين ورؤساء كانوا يسمونهم بطاركة أي رؤساء عشائر أو قبائل، ثم أُطلق على أسقف أنطاكية وحده، وقصد به رئيس الأمة، ثم أطلق اسم البطريرك على أسقف أنطاكية والإسكندرية[٢].

والبطريرك هو رئيس الأساقفة، وقد يختار أساقفة كل مدينة رئيسًا لهم ويطلق عليه بطريرك، (ومن بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكانة أسمى وأصبح لهم نفوذ كبير وأخذ كل منهم لقب بطريك، وهؤلاء هم رؤساء الأساقفة في المدن التالية، أنطاكية وبيت المقدس، والإسكندرية، والقسطنطينية، وروما، ومن الملاحَظ أن أربعة من هؤلاء في الشرق وواحدا فقط في الغرب)[٣].

ويلزم البطريرك خمسة أشياء:

١- حفظ الدين على أصوله المستقرة، وقطع البدع وحل الشبه.

٢- تنفيذ الأحكام بالحق وقطع المنازعات.

٣- تقدير العطاء للمستحقين من غير سرف ولا تقصير.

٤- تقليد الرئاسات لمستحقيها، وأموال الصدقات للكفاة الأمناء.

---

(١) تاريخ الكنيسة جـ٢/ ٩٤.

(٢) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٢٨٢ بالهامش، النصرانية دراسة مقارنة ص٢١٢.

(٣) المسيحية ص٥٠.

٥- أن يباشر الأمور العامة ويتصفح الأحوال الخاصة بنفسه ولا يكتفى بالتفويض في كل الأمور ويتشاغل باللذات، أو العبادات فإن للعبادات أوقاتا مخصوصة[١].

(٣) المطران:

المطران: كلمة يونانية مأخوذة من كلمة (متروبولس) ومعناها المدينة الأم أو العاصمة التي رحل منها قوم وأقاموا في غيرها فالأُولَى أُمٌّ والثانية بنتٌ لها، والمطران هو الأسقف الأعلى للمدينة الأُمّ[٢].

ويذكر شارل جنيبير أنه لم يظهر (المطارنة) بصورة رسمية إلا في بداية القرن الرابع، ولكنهم وجدوا بالفعل قبل ذلك بزمن طويل[٣].

والمطرانية أقل رتبة من البطريركية وأرقى من الأسقفية، وإن كان كُتاب النصارى يجعلون الدرجات الثلاث ـ البابا، البطريرك، المطران ـ مرتبة واحدة ذات درجات ثلاث، فألقاب المطارنة أو الباباوات أو البطاركة تُطلق على أساقفة الإسكندرية وروما وقرطاجنة وأنطاكية.

ويمكن الفصل بين هذه الدرجات بالقول بأن البابا هو رئيس أساقفة كل مذهب من المذاهب النصرانية كبابا روما، وبابا الإسكندرية، والبطريرك هو رئيس الأساقفة والمسئول الديني الأول في كل قطر من الأقطار، والمطران هو رئيس أساقفة المدينة الأم أو العاصمة للمدن والقرى المجاورة لها وهي ما تعرف اليوم بالأبرشيات[٤].

---

(١) المجموع الصفوي ص٢٨ نقلا عن في العبادات المسيحية ص٥٠.

(٢) راجع: تاريخ الكنيسة جـ٣/ ٥١، والنصرانية دراسة مقارنة ص٥١.

(٣) راجع: المسيحية نشأتها وتطورها ص١٤٥.

(٤) أبرشية: لفظة يونانية معناها في الأصل المكان المرؤوس، وهي في الاصطلاح المدني معناها المنصرفية أو القضاء أو المديرية والمقاطعة، وهي مشتقة من كلمة أبارخوس ومعناها الرئيس أو المتسلط، ومنها سميت أقسام السلطة الروحية أبروشيات - راجع اللآلىء النفيسة ص٢٨١ بالهامش.

(٤) الأسقف:

الأسقف: كلمة يونانية الأصل (بيسكبس) ومعناها الرقيب والناظر، وكان اليونانيون يسمون بها آلهتهم، ثم أصبح في المسيحية خليفة الرسول في كل شيء معدًّا الرتبة العامة، وعمله محصور في رعيته ومكانه فقط وله قوة على إقامة القس والشماس[1].

وكان الأسقف قائد الجماعة؛ لأنه كان يرشم ويقام لإعلان الكلمة وليكون إمامًا للاحتفال الإفخاريستي، وكان يحيط به مجمع القسوس والشمامسة الذين كانوا يساعدونه في مهمته[2].

وقد كان الأساقفة في البدء لم يشتغلوا بالتعليم ولا بالتبشير إلا بوصفهم القدوة الطيبة التي يجب أن تحتذى، وكان أهم عمل لهم دعم اتجاهات الكنيسة في ممارسة الأخلاق الحسنة ومبادئ الإيمان الصحيحة، وكان لهم الإشراف على المسائل الزمنية للجماعة، وبعد ذلك أصبح الأسقف على أثر نمو الطقوس الدينية رئيسًا للعبادات الجماعية، وكان ذلك تطويعًا حتميًّا لمفهوم القس الأكبر عند اليهود[3].

فقد كان ارتقاء الأساقفة نتيجة التطور الطبيعي للأمور، وكان الأساقفة يرسلون الشيوخ والشمامسة إلى الأرياف والقرى ليخدموا في كنائسها الناشئة؛ ومن ثم أصبح الأسقف المدير الفعلي والمشرف عليهم، ورئيس كل اجتماعات اللجان، وفي نهاية القرن الثاني كان الأسقف هو الرئيس الفعلي الذي لا ينافسه أحد في كنيسة واحدة أو عدة كنائس[4].

---

(١) راجع: النصرانية ص ٢١٣، الكهنوت عوض سمعان ص٣٢١.
(٢) المعمودية والأفخارستيا والكهنوت ص٧٤ بتصرف.
(٣) راجع المسيحية نشأتها وتطورها ص١٣٦، ١٣٧، تاريخ الكنيسة جـ٣/ ١٧٣ فجر المسيحية ص٨٧.
(٤) راجع: تاريخ الكنيسة جـ١/ ١٤٨، المسيحية في العصور الوسطى ص٩٣.

وبالرغم من ذلك فإن النصارى يقولون بأن الرسل قد عينوا الأساقفة وحددوا لهم الوظائف الخاصة بهم، وأعطوهم سلطانًا وامتيازًا خاصًا عن القسوس؛ لأنهم منحوهم حَقَّ إقامة القسوس ووضع اليد عليهم.

ويستدلون بما جاء من نصوص عن بولس، ومنها قوله لتلميذه تيطس: (من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل الأمور الناقصة، وتقيم في كل مدينة شيوخًا كما أوصيتكم)[١]، ونهاهم عن الإسراع في وضع اليد (لا تضع يدا على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين)[٢] كما أعطوهم حق محكامتهم (لا تقبل شكايا على شيخ «قس» إلا على شاهدينِ أو ثلاثة شهود، الذين يخطئون وَبِّخْهُمْ أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف)[٣] وأعلنوا حق مكافأتهم «أما الشيوخ» «القسوس» المديرون حسنًا فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولاسيما الذين يتبعون في الكلمة والتعليم)[٤].

وتعتبر الكنيسة الأسقفية هي الدرجة العليا في الكهنوت، والأسقف كاهن ذو درجة ورتبة أولى موكول إليه كما للكاهن، أن يقدم القرابين ويعمل ما يعمله الكاهن، وهو في كنيسته ورعيته نائب المسيح؛ ومن ثَمَّ له حَقُّ الرياسة على الكهنة الذين تحت إرادته وعلى رعيته، وله السلطانُ أن يقيمَ الكهنةَ لشعبِه ويمنحهم الحقوق والسلطة الروحية فهو الذي يعلم الشعب ويديره ويقيم له الرعاة المدبرين والمعلمين[٥].

كما أن لهم حق محاكمة القسوس واختبار الأكفاء لهذه الخدمة المقدسة ولهم حق

(١) تيطس: ١/ ٥.

(٢) اتي: ٥/ ٢٢.

(٣) اتي: ٥/ ١٩، ٢٠..

(٤) اتي: م/ ١٧.

(٥) أسرار الكنيسة ص١٨٧، الأسرار حياة الإيمان ص٣١٥ وما بعدها.

إقامة الكهنة والشرطونية[١]، وكان للأسقف في الكنيسة الأولى اختصاصات معينة أكثرها روحية، وفي بعض الأحيان زمنية، مثل إجراء الأسرار، ورئاسة الحفلات الدينية ورسامة خدام الكنيسة، وإدارة الأموال العامة، والفصل في القضايا والمنازعات التي كان يأبى المسيحيون عرضها على المحاكم الرومانية الوثنية.... وكان يتم اختيار رئيس جديد من الشيوخ بانتخاب عامٍّ يشترك فيه كل أفراد الجماعة المسيحية كواجب مقدس[٢].

وللأسقف نائبٌ يطلق عليه القمص، والقمص درجة أقل من الأسقف وأعلى من القس وكانت تعرف بالخوريبيسكوبوس، وهو خليفة الأسقف على القرى والمزارع، وأصبح يعرف الآن بالقمص، وهو المدعو (أبروطس عند اليونان) وهي لفظة يونانية الأصل ومعناها نائب الأسقف، والإيغومانوس (القمص) يونانية الأصل، ومعناها كبير القسس، وله أن يقضي في بعض الأحكام، وما أشكل عليه يرفعه إلى أسقفه ليحكم فيه، وله أن ينوب عن الأسقف في غيابه ويكرس المذبح والمعمودية، ولكن بإذن أسقفه، ويعرف القمص في بعض الكنائس بالخوري[٣]، وعلى ذلك فالقمص هو نائب الأسقف أو هو كبير القسوس.

وكان الأسقف هو وحده صاحب الحق في التعميد، ولكن مع تمادي الوقت، واتساع حدود كنيسته كان يمنح هذا الحق للمشيخية أو لأساقفة القرى والمزارع حافظًا لذاته تثبيت المعموديات التي مارستها المشيخية[٤].

وقد كان للنصارى عدة أسقفيات منها ما هو قائم كأسقفية أروشليم والإسكندرية وروما ومنها لم تعد قائمة، وهي أسقفيات أفسس، وأزمير، وأثينا، وليون، وقرطاجنة[٥].

---

(١) راجع: اللآلِيء النفيسة جـ١/ ١٧٢.

(٢) راجع: فجر المسيحية - حبيب سعيد ص٨٨، المعمودية وأفخارستيا والكهنوت ص ٧٥.

(٣) راجع: اللآليء النفيسة جـ٢/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(٤) راجع: المرجع السابق جـ٢/ ٢٨٧.

(٥) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٨٥ وما بعدها.

(٥) القسيس أو القس:

قسيس لفظة سريانية، وباليونانية أبريسفيتيروس وبالقبطية (niyehho) وترجمتها بالعربية الشيخ[١]، ويطلق على القسيس اسم الكاهن أو كاهن الكنيسة والكهنة هم معاونو الدرجة الأسقفية[٢]، وقد يطلق على القسس أحيانًا أساقفة، وهذا لا ينفي المعنى الحرفي نظرًا لوجود التناسب والتقارب بين معنى كل من الاسمين، فالأسقف معناه الرقيب أو الناظر، والقس معناه الشيخ، وهو يتضمن ذلك فإنه رقيب، وناظر على الشعب، وأما الأسقف فعلى الجميع[٣].

وعن القسوسية قال صاحب أعمال الرسل: (وانتخبا لهم قسوسًا في كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به)[٤].

والقسيس وظيفته تقديس القرابين وعماد المتعمدين، وتزويج المتزوجين، وتأدية خدمة الأسرار وتوزيعها على الشعب وتعليمهم ووعظهم، وتعيين الشمامسة وتكليفهم بالخدمات[٥].

(٦) الشماس:

الشمامسة هي درجة من درجات الكهنوت بها يتولى صاحبها ولاية خاصة لمساعدة القسيس عند تلاوة القداس وإتمام الخدمة المنوطة بها، الشماس: لفظة سريانية معناها

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة ص١٨٧.

(٢) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص٣١٨.

(٣) راجع: اللآلئ النفيسة ج٢/ ٢٧٢.

(٤) أع: ١٤/ ٢٣.

(٥) راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص ١٨٧.

خادم، وفي العبرية شماس وباليونانية (دياكون)[1] قال بولس عن الشمامسة: يجب أن يكون الشمامسة ذوي وقار لا ذوي لسانين، غير مولعين بالخمر ولا طامعين بالربح القبيح[2].

الشمامسة يعاونون الكهنة في الكنائس وتوزيع الصدقات والوعظ ولهم أن يكرزوا بالإنجيل، ولكن بإذن الأسقف، وأن يقوموا خادمين ومنذرين للصلاة بين يدي الكهنة، وأن يتفقدوا المرضى والمتضائقين لإطلاع الأسقف على أحوالهم ليتفقدهم، ولهم أن يصلوا على الولائم ويكسروا الخبز للبركة ويوزعوه عند غياب القس[3].

كما يوجد أيضا الأيودياكن (تابع الشماس أو المعين) ووظيفته خدمة الشماس وحمل الكتب وإصلاح المصابيح في القداس، والأغتسطس «القارئ» ووظيفته قراءة الكتب، والإبصليتس «المرتل» له أن يرتل فقط[4].

ومما سبق يتبين أن الدرجات الكهنوتية الأساسية في الكنيسة والتي تعتبر أقدم الدرجات هي: الأسقفية، والقسوسية، والشمامسة، وأضيف إليها درجة البابا، والبطريرك، والمطران، ومساعد الأسقف ويعرف بالقمص أو الخوري.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم يتبين أنه لم يُذكَرْ فيه إلا القسيس والراهب في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ﴾[5] ويمكن القول بأن القسيس كان يقوم بالأمور السياسية والإدارية، والراهب كان يختص بالأمور التعبدية، وهذا يدل على أن ماعدا القسيسين والرهبان لم يكن موجودا في النصرانية، بل هي درجات وضعتها الكنيسة المعاصرة.

---

(١) راجع: أسرار الكنيسة ص ١٨٧، الأسرار حياة الإيمان ص٣٢١ وما بعدها.

(٢) اتى: ٣/ ٨.

(٣) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٢٨٩، العبادات المسيحية ص٥٢، الأسرار حياة الإيمان ص٣٢٣، أسرار الكنيسة السبعة ص ١٨٧.

(٤) راجع: اللآلىء النفيسة جـ٢/ ٢٩٠.

(٥) – سورة المائدة: من الآية: (٨٢).

ثانيًا: الطقوس الخاصة بالكهنوت:

يرتب النصارى لكل درجة من درجات الكهنوت طقسًا خاصًا بها يُمارس في الكنيسة بوساطة الأسقف؛ إذ أن من خصائصه وحده ممارسة سر الكهنوت، ولأنه له حق وضع اليد(١)، ويستدلون على ذلك بقولهم: إن الرسل كانوا يتممون هذا السر بوضع أيديهم على المنتخبين إلى الدرجة الكهنوتية(٢).

ثالثًا: رسامة الأسقف:

يرسم الأسقف يوم الأحد ويقوم برسامته أسقفان أو ثلاثة مع البطريرك، يبدأ البطريرك برشمه قائلا: فلان أسقف، وبعد الطلبة ينبه رئيس الشمامسة الشعب بالصلاة فيجاوبه المرتلون وكل الأكليروس ثم يقول مخاطبًا الأساقفة: ارفعوا أيديكم إلى العلا... إلخ.

ثم يتلو البطريرك طلبة، وبعد أن يتجه إلى الشرق يتلو طلبة أخرى ويتجه إلى الغرب، ويضع يده على رأسه ويصلي، وفي نهاية الصلاة يخاطب رئيس الشمامسة الشعب والمرتلين: قفوا حسنًا، ثم يضع الأساقفة أيديهم ويتلو البطريرك صلاة التكريس، وعند نهايتها يقول رئيس الشمامسة: صلوا من أجل السلامة، وبسلام من الرب نطلب ثم يتلو طلبة أخرى، وفي نهاية كل صلاة يهتف الشعب: يا رب ارحم ثلاث مرات، ثم يضع يده ويتلو طلبة أخرى ويرشمه ثلاثًا على اسم الثالوث الأقدس قائلا: ندعوك أسقفًا، وفي الرشم الثالث يهتف الشمامسة والمرتلون وكل الإكليروس: (مستحق) ثم يلبسه بذلة الكهنوت الخاصة برتبته، ثم الإسكيم، وأخيرًا يعطيه العصا الرعوية فالصليب فالإنجيل، ثم يتلو أحد الكهنة طلبة، وفي نهايتها يقول البطريرك:

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٢، قصة الحضارة جـ٢/ ١٩، اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٢٩٢، أسرار الكنيسة السبعة ص ١٩٠.

(٢) راجع: اتى: ٤/ ١٤.

السلام للجميع، وبعد صلاة الشكر يعطي السلام للكل ثم يدخله الهيكل، مخاطبًا إياه بقول المسيح: نعمًا أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك[١].

وقد أورد بولس في رسالته إلى تيطس الشروط التي يجب توفرها في الأسقف فقال: (يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب، ولا مدمن الخمر ولا ضراب، ولا طامع في الربح القبيح بل مضيفًا للغرباء محبًّا للخير بارًّا وَرِعًا ضابطًا لنفسه ملازمًا للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لكي يكون قادرًا أن يعظ للتعليم الصحيح ويوبخ الناقضين)[٢].

رابعًا: رسامة القس:

تتم رسامة القس بأن يعظ الأسقف في الحاضرين، وبعدها يسأل الشماس أمام الحاضرين:

- يا ابني الحبيب، أتريد أن تصبح كاهنًا معاونًا للأساقفة في الكهنوت لخدمة وقيادة شعب الله وبهدى الروح القدس؟
- جواب: نعم، أريد ذلك.
- أتريد أن تتمم بأمانة خدمة الكلمة، أي التبشير بالإنجيل وعرض الإيمان الكاثوليكي؟ جواب.
- أتريد أن تحتفل بإيمان أسرار الكنيسة، بحسب تقليد الكنيسة لمجد الله وتقديس الشعب المسيحي؟ جواب.

---

(١) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٣٠٠ وما بعدها.

(٢) تيطس: ١/ ٧.

- أتريد، يومًا بعد يوم أن تتحد أكثر فأكثر بالكاهن الأعلى يسوع المسيح الذي قدم ذاته عَنًّا لأبيه، وأن تتكرس معه لله لأجل خلاص البشر؟ جواب.

- أتعد بأن تعيش بالاتحاد مع أسقفك في الاحترام والطاعة؟ جواب.

ثم يجثو الشماس أمام الأسقف، ثم ينبطح أرضًا، بينما الشعب يرتل طلبة جميع القديسين: السماء بأسرها مجتمعة تصلي، ثم يضع الأسقف يديه على رأس الشماس وهو صامت، ويضع كل الأساقفة أيديهم، ويحل الروح القدس في هذا الصمت.. ثم يمد الأسقف يديه، وهو محاط بمجلسه ويقول صلاة التكريس الخاصة بذلك.

ثم يدهن الأسقف يد الكاهن الجديد بالميرون المقدس ويقول: ربنا يسوع المسيح الذي كرسه والده بالروح القدس وملأه قوة، هو يعطيك القوة لتقديس الشعب المسيحي وتقدمه ذبيحة الإفخارستيا لله ويسلمه الخبز والكأس للقداس: اقبل تقدمة الشعب المقدس وقدمها لله، عليك أن تعطي ما أنت صانع وأن تعيش ما تعمل وأن تطبق حياتك على سر صليب الرب.

ويواصلون القداس، الكاهن الجديد ومجلس الأساقفة يقدسون مع أسقفهم، ويدعو المؤمنون جميعا إلى التناول من الكأس[1].

خامسًا: رسامة الشمامسة:

تتم رسامة الشماس كرسامة الكاهن في وقت القداس بعد أن يدعو طالبي الشماسية، وبعد أن يعدوا بتتميم المهمة الموكولة إليهم بجدية ويرتل الحاضرون طلبة جميع القديسين ثم يضع الأسقف وحده يده عليهم ويقول صلاة التكريس الخاصة بذلك.

---

(١) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص٣١٩-٣٢١.

ثم يتابعون القداس، ويعاون الأسقف الشمامسة الجدد[١].

وقد وردت الشروط الواجب توافرها في الشمامسة في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس فيقول: (يجب أن يكون الشمامسة ذوي وقار لا ذوي لسانين، غير مولعين بالخمر الكثير، ولا طامعين بالربح القبيح، ولهم سر الإيمان بضمير طاهر)[٢].

(١) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ٣٢٤، ٣٢٥، اللآلىء النفيسة جـ٢/ ٢٩١، ٣٠٠.

(٢) اتيمو ٣/ ٨-١٢.

المبحث الرابع

سلطات آباء الكنيسة والعصمة البابوية

[١] سلطات آباء الكنيسة:

يذهب النصارى إلى أن لآباء الكنيسة عندهم سلطة منحتها لهم الأناجيل، وهي سلطة دينية في العقائد وما تكنه الضمائر، وهذه السلطة موروثة عن المسيح والتي أعطاها لبطرس يفهمونها من قول المسيح: (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيتك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات)(١).

ولا تقف هذه القدرةُ التي أعطاها المسيح عند حد بطرس بل إنها تتعداه إلى كل التلاميذ ومن بعدهم من رجال الدين النصارى، (الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء، وأقول لكم أيضا: إن اتفق اثنان منكم على الأرض أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قِبَل أبي في السماوات)(٢).

بل إن هذه القدرة تتعدى ذلك إلى عالم الجن والشياطين، والقدرة على شفاء المرضى كما جاء في الإنجيل: (ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوةً وسلطانًا على جميع الشياطين وشفاء أمراض وأرسلهم ليكروزا بملكوت الله ويشفوا المرضى)(٣).

---

(١) متى: ١٦/ ١٨، ١٩.

(٢) متى: ١٨/ ١٨، ١٩.

(٣) لوقا: ٩/ ١، ٢.

كما أعطاهم الحق في غفران الخطايا (فقال لهم يسوع أيضا سلام، كما أرسلني الأب أرسلكم أنا، ولما قال: هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)(١).

واستنادًا إلى هذه النصوص أعطى رجال الدين النصارى لأنفسهم سلطةً عُلْيَا على مَنْ دونهم من النصارى، وجعلوا أنفسهم وسطاء بين الله والإنسان، وليس الشخص حرًّا في اعتقاده ومعارفه ويتصرف كما يرشده عقله، بل كما يمليه عليه رئيسه الكهنوتي، وليس لكل ذي عقل فهمُ نصوص الكتاب المقدس بل إنما يتلقى فهمه وتفسيره من رؤساء الكنيسة خوفًا من الزيغ عن الإيمان السليم، وما على المستمع إلا الطاعة(٢).

فالكنيسة تعتقد أن الله قد جعل في أيدي رجال الدين ما لم يجعله في يد أحد، وذلك أن كل ما يفعلونه في الأرض يفعله الله في السماء، فهم الذين يقبلون التوبات ويعفون عن السيئات، وبأيديهم صلاح الأحياء والأموات(٣).

وفي حوالي سنة ١٠٧م كتب الأسقف إجناسيوس، أسقف كنيسة أنطاكية إلى المسيحيين في سميرنا ما يلي:

(عليكم أن تطيعوا آباء الكنيسة كما أطاع عيسى أباه، أطيعوا أئمتكم الروحانيين كما تطيعوا الرسل ولا يباشر أحد منكم شأنًا من الشئون التي تقوم بها الكنيسة (كالتعميد والزواج وحضور الموت والصلاة) بدون حضور آباء الكنيسة، أنى يوجد الأسقف فإن حضوره يعد حضورًا للمسيح نفسه تبعًا لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية.

والأب والأئمة الروحانيون لهم سلطان لقيادتنا وإرشادنا باسم المسيح فمن أيديهم

---

(١) يوحنا: ٢٠ / ٢١ - ٢٣.

(٢) راجع: النصرانية والإسلام ص١٥٣.

(٣) راجع: بين الإسلام والمسيحية ص٧٧.

نتلقى حياة الطهر عن طريق التعميد وهم الذين يعطوننا الخبز المقدس في العشاء الرباني، وهم الذين يربوننا لنصبح أبناء الله، وهم عوض عيسى وآباؤنا الروحانيون فعلينا أن نتعمق في احترامهم وحبهم وطاعتهم، وكل رجال الكنيسة العظام من الأب المقدس إلى الأسقف يصدرون الأوامر لتنفيذ الكنيسة ولسلامة المسيحيين من الذنوب والهموم النفسية وتشجيعهم على فهم حياة الكنيسة.

والمسيحيون أعضاء يتكون منهم جسد عيسى المقدس فعليهم أن يمتثلوا لأوامر الأساقفة وأن يسلموا أنفسهم للآباء الروحانيين)[١].

وتعتبر الكنيسة أن سلطة رجالها فوق كل سلطة مدنية؛ فلا تخضع لأي سلطة مدنية (ولقد نشر البابا في روما منشورًا سنة ١٨٦٤م جاء فيه لعنُ كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية أو جواز أن يفسر أحد شيئًا من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يعتقد بأن الشخص حرٌّ فيما يعتقد ويدين لربه، وفي سنة ١٨٦٨م أصدر البابا منشورًا يقضي على المؤمنين بأن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وأفكارهم)[٢].

ومنذ مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م أصبح لرجال الكنيسة السلطان الفعلي على الناس وفرضوا عليهم أوامرهم سواء وافقت النصوص أم خالفت، سواء أكانت صوابًا أم جافت الحق، واستعملوا سيف الملك وقضيبَه لتنفيذ ذلك[٣].

وجاء في قوانين الكنيسة الخاصة بالرؤساء والمجامع أنه: يملك الرؤساء والمجامع وفقا للمرسوم والشرع سلطانًا سيدًا على مرؤوسيهم[٤].

---

(١) المسيحية ص ٢٠٠.

(٢) النصرانية والإسلام ١٥٣.

(٣) راجع: محاضرات في النصرانية ص١٢٧.

(٤) في الرهبان وأموال الكنيسة ص١٩.

ولقد تأثر النصارى بالأمم الوثنية فيما ذهبوا إليه من إعطاء رجال الدين هذا السلطان لدرجة أنهم جعلوهم وسطاء بينهم وبين الله، وقد ذكر (البيركامي) أن فكرة الوساطة بين الإنسان وربه جذورها في الفكر الديني الإغريقي فيقول: (قد يظن البعض أن فكرة الوساطة بين الإنسان وربه فكرة مسيحية بَحْتَةٌ، ولكنها فكرة إغريقية)(١).

وأشار القرآن الكريم إلى مضاهاة النصارى للكافرين، ونعى عليهم ذلك واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧ ﴾(٣).

ويقول الإمام ابن تيمية: هو سبحانه خاطب النصارى بهذا؛ لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا القوانين والنواميس ويصوغون لأكابرهم الذين صاروا عندهم عظماء في الدين أن يصنعوا لهم شريعة وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك لا يَرُدُّونَ ما يتنازعون فيه من دينهم إلى الله ورسله... بل ما وضعه لهم أكابرهم من القوانين الدينية والنواميس الشرعية بعضها ينقلونه عن الأنبياء وبعضها عن الحواريين، وكثير من ذلك ليس منقولاً، لا عن الأنبياء، ولا عن الحواريين، بل مِنْ وضع أكابرهم وابتداعهم(٤).

---

(١) نقلا عن: المسيح والمسيحية والإسلام ص١١٢.

(٢) سورة التوبة: الآيتان: (٣٠، ٣١).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٧٧).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢/ ٨٦.

وقد ترتب على إعطاء رجال الكنيسة هذه السلطة المفاسد الكثيرة، ومن هذه المفاسد على سبيل المثال بيعهم للمناصب الدينية من أجل حصولهم على المال، فَهُمْ لا ينظرون هل يجمعون المال من طريق الحلال أو طريق الحرام، وبيع هذه المناصب عرف بالسيمونية[1]، والتي كانت هي الطريقة الوحيدة للحصول على المناصب الكنسية.

ولقد اعترف كتابهم بفساد رجال الدين، وانهماكهم على الملذات والشهوات وتركهم للخدمة التي أُركنت إليهم، يقول جاد المنفلوطي: عم الفساد وأصبح رجال الدين في حالة يرثى لها، وأصبحت المباذل التي يرتكبونها على كل لسان، وارتفعت بعض الأصوات تشجب تصرفاتهم وتدين أعمالهم، ولكنهم تمادوا في غيهم معتمدين على ما لهم من سلطان استطاعوا به أن يسكتوا أصوات معارضيهم ومنتقديهم، وقد لعبت الأموال الطائلة التي أتخمت بها خزائن رجال الدين وجيوبهم دورًا كبيرًا في إهمالهم لواجباتهم الرعوية، وترديهم في هاوية الشر والفساد؛ لأنه أصبح في مقدورهم تحقيق كل ما يطلبون، والغالبية العظمى من رجال الدين كانوا على الصورة التي رسمنها، وأصبح الفساد هو الطبع الغالب والسمة المميزة لهم، لا فرق بين كاهن وأسقف.

وفي خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر زاد الفساد بصورة أثارت عليهم الرأي العام وقد وصف سكرتير البابا (بندكت الثالث عشر) حال رجال الدين بقوله: (إن واحدًا في الألف منهم فقط هو الذي كان يواظب على القيام بأعباء خدمته)[2].

وهكذا ترتب على هذه السلطة التي أعطاها رجال الدين النصارى لأنفسهم الفساد في كل زمان ومكان) باعتراف النصارى أنفسهم، وقد طفحت الكتب بذكر أنواع الفساد المختلفة[3].

---

(١) السيمونية: هي شراء المناصب الدينية بالمال نسبة إلى سيمون الساحر الوارد ذكره في سفر الأعمال، والذي أراد الحصول على البركة مقابل مال قدمه لذلك الغرض ليقوم هو ببيع هذه البركة بثمن معلوم للراغبين في الدخول في المسيحية - راجع المسيحية في العصور الوسطى ص ٤٠.

(٢) راجع: المسيحية في العصور الوسطى ص١٦١، ١٦٢.

(٣) راجع: قصة الحضارة جـ١٤/ ٣٨١، ٣٩٣، جـ٢٢/ ١٩ وما بعدها، المسيحية في العصور الوسطى=

فهؤلاء قوم قد ضلوا طريق الله فكيف يأتي الهدى من قِبَلِهِمْ، وصدق الله إذ يقول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧ ﴾[١].

[٢] عصمة البابا:

يعتبر النصارى البابا هو خليفة المسيح في الأرض، وبيديه مفاتيح السماء والأرض وبيده التحليل والتحريم؛ ومن ثم فهو معصوم من الخطايا وارتكاب الآثام؛ لأن الروح القدس ينطق من خلاله، وأصبح البابا رأس الكنيسة ومصدرَ ولايتها، والحارسَ الأولَ على قوانينها ونظمها، وعقائدها ومعلم أتباعها المعصوم من الخطأ، هذا فضلاً عن كونه نائبَ المسيح[٢].

وقد نشأت عقيدة عصمة البابا نتيجة التغيرات التشريعية التي مرت بها النصرانية ذلك حينما كتب بولس رسائله في العصر الجديد وضمنها التعاليم والتشريعات التي أدخلها على النصرانية، وأخذ بها النصارى، وبمرور الزمن ظهر لهم أن الأناجيل والرسائل لا تفي بما أرادوا أن يصيغوه من معتقدات؛ ومن ثم اقترحوا عقد المجامع ليثبتوا بها ما يشاءون من الأصول، ثم استغنى الكاثوليك عن المجامع وعن الكتب المقدسة بعدما أثبتوا عصمة البابا، فانتقلت كل السلطة إلى بابا روما الجالس على كرسي الخلافة البطرسية، وأصبح له الحكم فيما يعود من الأحكام الاعتقادية والتشريعية والأخلاق[٣].

=ص ٣٩، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٩١، المسيح والمسيحية والإسلام ص ١٢٧ وما بعدها، الأخلاق في الأديان السماوية الثلاثة ص ٣٦٧ وما بعدها، ماهية الحروب الصليبية ص ٧٨، ٨١.

(١) سورة المائدة: الآية: (٧٧).

(٢) راجع: أوربا العصور الوسطى جـ١/ ١.

(٣) راجع: الإنجيل والصليب - عبد الأحد داود ص٢٣، إنجيل مرقس تاريخيا وموضوعيا ص٣٨٤.

وإذا كان مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م قرر ألوهية المسيح، فإن مجمع رومية سنة ١٨٦٩م قرر عصمة البابا فانتقل حق التشريع إليه كرأس للكنيسة فاستطاعت المجامع أن تخالف الآلهة وتقرر عصمة البابا.

يقول الأب بولس إلياس: (لقد خول السيد المسيح الكنيسة عَيْنَ السلطان الذي تلقاه من أبيه السماوي عندما قال لتلاميذه: كما أرسلني الأب، هكذا أنا أرسلكم؛ وذلك يشمل سلطان الكهنوت والتدبير والتعليم... وعصمة الكنيسة هذه امتياز تنعم به هي والبابا رأسها نائب المسيح المنظور، ولا يعتبر البابا معصومًا عن الضلال إلا عندما يعلن أو يرذل بطريقة احتفالية عقيدة من عقائد الإيمان أو تعليمًا له مساس بالآداب المسيحية ولا تزال هذه المرحلة معمولاً بها حتى الآن)[١].

وقد ساعدت البابا الظروفُ التي مرت بها الدولة الرومانية من الانقسامات السياسية والصراع على السلطة، وفي وسط هذا الانقسام، وذلك الصراع استقل البابا استقلالاً تامًا، ولم يعد تابعًا لأي من الملوك والأمراء (وقد تقرر هذا من بعد كما صار تعيين الباباوات باختيار المجامع، لا بتعيين ملك أو أمير مهما تكن قوته وسطوته وصار الباباوات بعد تعيينهم غيرَ خاضعين بأي نوع من أنواع الخضوع لأي ملك من الملوك، وعلى النقيض من ذلك لهم هم السلطان الذي لا يرد على مسيحي، مهما تكن مكانته، يستوي في ذلك الأمير والخفير، والراعي والرعية، فليس لأي ملك سلطان على البابا، والبابا له سلطان على كل ملك؛ لأنه مسيحي وله السلطان الكامل على كل مسيحي)[٢].

وقد وضع البابا جريجوري السابع عدة مبادئ أسماها بالأوامر البابوية وهي:

(١) أن لا يلقب أحد بالمسكوني إلا البابا فهو وحده الذي يتمتع بسلطة عالمية.

---

(١) يسوع المسيح ص ١٨٨، ص ١٩٠.

(٢) محاضرات في النصرانية ص١٦٨، ١٦٩.

(٢) ألا يقبل الأمراء رِجْلَيْ أحدٍ غيره، وعلى جميع الأمراء العلمانيين أن يقبلوا قَدَمَيِ البابا.

(٣) أن لا يعلن في الكنائس باسم أحد غيره، ولا يذاع على الأرض بذكر أحد غيره.

(٤) أن لا يباح لأحد غيره بمبايعة القياصرة وتوليتهم، وللبابا وحده سلطة تعيين الأساقفة وعزلهم.

(٥) له الحق في عزل الأباطرة.

(٦) لا يجوز عقد أي مجمع ديني عام إلا بأمر البابا ولا يسمى المجمع مسكونيا إلا إذا عُقد بأمر البابا.

(٧) ليس لأي فرد أن يلغي قرارًا بابويًّا، في حين أنه من حق البابا أن يلغى قرارات بقية الناس.

(٨) كما أنه: للبابا حق في محاكمة جميع الناس وليس لأحد الحق في محاكمته.

(٩) لا يُسأل البابا عمَّا يفعل ولا يحاكم على تصرفاته.

(١٠) للبابا وحده الحق في أن يعفي الرعايا ويحلهم من العهود وأيمان الولاء التي قسموها لحكامهم[١].

ولم تكن عقيدة عصمة البابا محل إجماع عند جميع النصارى، بل وُجد من رفضها من النصارى، وممن أنكر عصمة البابا «ويكليف» الذي قال: (ليس للبابا قوة في الربط والحل أكثر من أي كاهن)[٢] «ومارسيليوس» الذي هاجم بعنف سلطة البابوية المعصومة والحق الإلهي)[٣].

---

(١) المجامع المسيحية ص ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) تاريخ الكنيسة جـ٤/ ٥٢.

(٣) تاريخ الكنيسة جـ٤/ ٦٦.

وبعد قرار مجمع روما سنة ١٨٦٩م والذي قرر عصمة البابا (قام أكابر اللاهوتيين الألمانيين منهم: ميشيل ودولنجر، وأنطونيوس، وكذلك الآباء الفرنسيين والإيطاليون وكثير من المسيحيين الغربيين، رفضوا هذه العقيدة المضادة للكتاب المقدس وهجروا الكنيسة البابوية، ولقبوا أنفسهم كاثوليك قدماء، وأرادوا بهذه التسمية أن يدللوا أنهم كاثوليك حقيقيون يحافظون على عقائد الكنيسة الكاثوليكية القديمة ويرفضون البدع العصرية الجديدة كمعتقد العصمة البابوية، وغيره مما سيظهر أيضا.

وعقدوا المجامع لإعلان هذا الرفض على الجميع فعقدوا من أجل ذلك مجامع متعددة في كل من ميونخ سنة ١٨٧١م، كولونيا سنة ١٨٧٢م، وقسطنطيا سنة ١٨٧٣م، ونادوا في هذه المجامع كلها.. أن العقيدة البابوية مضادة للإنجيل... وعلى هذا ابتعدوا عن البابوية[١].

ومما يطعن في عصمة باباوات النصارى السلوك الفاسد لأكثرهم فقد أتوا بأفعال لا يجوز أن تأتي من البسطاء فضلاً عن رؤساء الدين في النصرانية وأصحاب التشريع فيها، ويصف «ول ديورانت» ما حدث لكرسي البابوية في القرن العاشر الميلادي بقوله: (ظل كرسي البابوية عدة سنين لا يُنال إلا بالرشا أو القتل أو رغبات النساء ذوات المقام السامي، والخلق الدنيء وبقيت أسرة «ثيوفيلاكت» أحد كبار الموظفين في قصر البابا ترفع الباباوات إلى كراسيهم وتنزلهم عنها كما يحلو لها، واستطاعت ابنته مروزيا أن تنجح في اختيار عشيقها سرجيوس الثالث لكرسي البابوية (٩٠٤-٩١١م) كما أفلحت زوجته ثيودورا في تنصيب البابا يوحنا العاشر (٩١٤ -٩٢٨م) وقد اتهم يوحنا هذا بأنه عشيق ثيودورا، ولكن هذا الاتهام لا يقوم عليه دليل قاطع... ثم رفعت «مروزيا» في عام ٩٣١ م يوحنا الحادي عشر (٩٣١ - ٩٣٥ م) إلى كرسي البابوية، وكان الشائع على الألسنة أن يوحنا هذا ابن لها غير شرعي من سرجيوس الثالث، وفي عام ٩٣٢م سجن

---

(١) المجامع المسيحية ص٤٥٦، ٤٥٧.

ابنها «أليريك» يوحنا هذا في قلعة سانت أنجيلوا... ثم عين «أكتافيانا» بابا بعد موت أجابتوس الثاني، وتم له ما أراد، فأصبح حفيد مروزيا هو البابا يوحنا الثاني عشر، وامتازت مدة ولايته بضروب من التهتك والدعارة في قصر لاتيران)(١).

وممن شغل الكرسي البابوي بندكت (١٠٣٢-١٠٤٥م) الذي عين بابا في الثانية عشرة من عمره فدنس منصبه بحياة الفحش إلى حد جعل الشعب يثور عليه ويخرجه من روما، ولما أتعبه منصب البابوية باعها إلى جريجوري السادس (١٠٤٥-١٠٤٦م) بألف (أو ألفى) رطل من الذهب(٢).

وقد أورد مؤلف كتاب: (الفارياق) حقائق مذهلة عن شيوع الفساد بين البابوات يتفق فيها مع ما ذكره ول ديورانت ومنها:

(١) استوزر البابا سرجيوس تاو دورة أم ماروزيا التي تزوجت بمركيز طوسكاني فاتصل البابا بماروزيا فولدت ولدًا رباه عنده داخل قصره بالفاتيكان.

(٢) كان البابا يوحنا الثاني عشر المسمى «أكفافيانوس» خليعًا ماجنًا، وقد قُتل وهو معانق لامرأة، وكان القاتل هو زوجها.

(٣) اختلف البابا غريغوريوس السابع مع إمبراطور النمسا أترى الرابع فقرر خلعه فذهب إمبراطور النمسا إلى هذا البابا المذكور في روما، ولما دخل عليه وجده مختليًا «بالكونتيسة ماتيلدة» أوأكانوزا.

(٤) لما عقد البابا إينوست الرابع المجمع ١٣ على الإمبراطور فريدريك حكم عليه بالكفر رَدَّ على البابا واتهمه بالزنا والرشوة غير مرة.

---

(١) راجع: قصة الحضارة جـ ١٤/ ٣٧٥، ٣٧٦، المسيحية في العصور الوسطى ص ٤٠، ٤١.
(٢) راجع: قصة الحضارة جـ ١٤/ ٣٧٩.

(٥) كان البابا كليمضوس الخامس عشر، يجول في فيينا وليون لجمع المال ومعه عشيقته دون أي حياء.

(٦) قام البابا يوحنا الثالث والعشرون بسم سلفه، وباع الوظائف الكنسية وأنه كان كافرًا ولوطيًا معا[1].

كما أن البابا أنيوست الثامن (١٨٨٤ - ١٨٩٢ م) وجد صعوبة كبيرة في موازنة دخله ونفقاته فجرى على السنة التي جرى عليها سكتس الرابع: (١٤٧١ - ١٤٨٤ م)، ومعظم حكام أوربا، فملأ خزائنه بالأموال التي كان يتقاضاها من طلاب المناصب الكبيرة، ولما وجد ما في هذا من نفع كبير أنشأ مناصب جديدة وعرضها للبيع، فرفع أمناء البابوية إلى ستة وعشرين، وحصل بذلك على ٤٠٠ و٦٢ دوقة، وكان واجبهم الثقيل هو ختم القرارات البابوية بخاتم من رصاص.

وبعدُ فهذه هي بعض ما ارتكبه باباوات النصارى من جرائم خلقية يندى لها الجبين بالإضافة إلى ما ارتكبوه من جرائم قتل وسفك للدماء وتعذيب من خلال محاكم التفتيش والتي سبق الحديث عنها، فهل للكنيسة وأتباعها بعد ذلك القول بعصمة البابا؟

---

(١) راجع: الفارق بين المخلوق والخالق ص٣٣٨وما بعدها، النصرانية والإسلام ص١٨٦.

المبحث الخامس

الكنائس النصرانية وسر الكهنوت

تختلف الكنائس النصرانية حول سر الكهنوت في كثير من مسائله وتتفق في بعضها، وهذا شأنها في كل ما يتصل بمسائل العقيدة والشريعة عندهم.

فالكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية تعترف بسر الكهنوت، وأنه من أسرار الكنيسة السبعة، بينما لا تعترف به الكنيسة البروتستانتية[1] ويقولون: إنه لا كهنوت في العهد الجديد، وينادون بكاهن واحد في السماء وعلى الأرض هو المسيح دون أي كهنوت للبشر، ويعتبرون كل المؤمنين بالمسيح كهنة، ولا فارق في ذلك بين إنسان وآخر، ومن يدعى قسًّا من الطوائف البروتستانتية لا يقصد به أنه كاهن، إنما هذا لقب يعني عندهم أنه خادم أو راعٍ، أو معلم، وليس كاهنًا يمارس أسرار الكنيسة، كما لا يؤمن البرتستانت برئاسة الكهنوت؛ إذ لا توجد رئاسة كهنوتية من البشر[2].

وعلى ذلك فإن البرتستانت لا يعترفون بدرجات الكهنوت التي يعترف بها الكاثوليك والأرثوذكس، وأن الشيخ هو القسيس وهو الأسقف والراعي والناظر[3].

تعتقد الكنيسة القبطية أن الرسل متساوون جميعا في الفضل فلا رئاسة لوحد منهم على الآخر، أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن المسيح قد أقام بطرس نائبًا على الأرض ورئيسًا على الرسل ورأسًا للكنيسة، وقد ترتب على ذلك أنه لما كان بابا روما هو خليفة بطرس فهو إذًا رأس الكنيسة من بعده وهو نائب المسيح على الأرض؛ ومن ثم فهو

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٦، اللآلىء النفيسة جـ٢/ ٢٦٦.

(٢) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٢ أسرار الكنيسة السبعة ص ١٥٨.

(٣) راجع: خمس وخمسون حقيقة ص٦٧.

معصوم من الخطأ[١]، والبروتستانت يعتبرون أن الوعد الذي ذكره المسيح لبطرس ليس له وحده بل لكل تلاميذ المسيح ويفسرون الحل والربط بأن بطرس يأخذ مكان المجتهد في الكنيسة فيحرم ما هو محرم وضد إرادة الله، ويحلل ما هو محلل ولا يتنافى مع التعاليم الإلهية[٢].

وبالنسبة للطقوس الخاصة برجال الكهنوت فإنها تختلف في الكنيسة الكاثوليكية عنها في الكنيسة الأرثوذكسية في اتفاقهم على أن لتعيين رجال الكهنوت طقوسًا خاصة، وأن لكل درجة طقسًا خاصًا بها، فلكل من الأسقف والقس والشماس طقس خاص[٣].

أما البرتستانت فليس عندهم طقس خاص برسامة الكهنة، وإن كانوا يؤمنون بوضع اليد في إقامة الخدام[٤] ولم توضع الأيدي في إقامة الخدام في الكنيسة البروتستانتية إلا في الأزمنة الأخيرة[٥].

ويعتبر الكاثوليك رجال الكهنوت وسطاء بين الله والناس فلا تمارس الأسرار إلا على أيديهم، وإذا مارسها الناس دون مشاركة الكاهن فهي غير صحيحة، وغير مقبولة.

أما البروتستانت فلا يعترفون بوساطة الكنيسة بين الله والناس، ويعتقدون بعلاقة مباشرة بين الله والناس فلا يؤمنون بالكهنوت ولا شفاعة القديسين ولا الاعتراف والتحليل؛ إذ أن ذلك كله لونٌ من الوساطة[٦].

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٨.

(٢) راجع: جواب وسؤال جـ٢/ ٧٩.

(٣) راجع: اللآلئ النفيسة جـ٢/ ٢٩١، وما بعدها، الأسرار حياة الإيمان ص ٢١٧ وما بعدها، أسرار الكنيسة السبعة ص ١٦٥.

(٤) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٤٣.

(٥) راجع: أسرار الكنيسة السبعة ص ١٦٩.

(٦) اللاهوت المقارن جـ١/ ١٣٨.

يقول الكاثوليك بعصمة البابا من الخطايا والذنوب ويسايرهم في ذلك الأرثوذكس، ويرفض البروتستانت القولَ بعصمة البابا، وقد عارض القول بالعصمة أيضا كثيرٌ من النصارى؛ منهم الذين أطلقوا على أنفسهم كاثوليك قدماء[١].

ومن أهم مبادئ الإصلاح في الكنيسة عند زعماء الإصلاح أنه: ليس لكنائسهم مَن يترأس عليها رياسة عامة، بل لكل كنيسة رياسة خاصة بها، والرياسة الكنسية التي تستمد الخلافة من أحد الحواريين أو من المسيح نفسه لا وجود لها عندهم[٢].

---

(١) راجع: المجامع المسيحية ص٤٥٦.

(٢) محاضرات في النصرانية ص١٨٥.

المبحث السادس

موقف الإسلام من سر الكهنوت الكنسي

يعتقد النصارى أن المسيح هو الذي وضع أساس الكهنوت وذلك باختياره الاثني عشر رسولا ثم السبعين الآخرين وأعطاهم سلطات الكهنوت ومنها التعميد، وتقديس القربان، وغفران الخطايا[١]، وأن المسيح أراد أن يقام إكليريكيون يمتازون عن عامة الشعب بطقس خاص يكرسون به لأجل مباشرة الخدم الكنسية ويقلدون به الولاية الروحية على الشعب[٢].

ومع هذا الاعتقاد فإننا نجد المسيح لم يكن له صلة بالكهنوت، ولم يرسم أحدًا لهذا العمل، وذلك باعتراف النصارى، فقد جاء في معجم اللاهوت الكتابي: لا ينسب أي نص من نصوص العهد الجديد تسمية الكاهن إلى أحد من المسؤلين في الكنيسة ولكنَّ تَحَفُّظَ يسوع في استعمال هذه التسمية كبيرٌ إلى حد أن صمته ليس له تفسير قاطع[٣].

ولم يأخذ يسوع لقب كاهن أبدًا.. ولم يقم بوظيفة طقسية لكي يقدم أو يضحي شيئًا ما لم يتم كهنوته بالاحتفالات بل هو شخصه بالذات[٤].

ويؤكد ذلك شارل جنيبير الذي يبين أن ظهور درجات الكهنوت عند النصارى كان نتيجة اتصالهم بالأمم الوثنية[٥]، واليهود الذين كانوا يكونون جماعات أو اتحادات

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧١.

(٢) أسرار الكنيسة السبعة ص ١٦٥.

(٣) معجم اللاهوت الكتابي ص ٦٤٨.

(٤) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٥) يوجد تشابه كبير بين رسامة الكهنة عند النصارى ورسامتهم عند الصابئين؛ مما يدل على أن النصرانية اللاحقة قد اقتبست من الصابئة السابقة عليها.

دينية، وكان لكل جماعة مديرها المنتخب وصندوقها الذي تموله الاشتراكات ويشرف عليه مندوب خاص، لذلك كان المسيحيون سواء منهم الوثني أو اليهودي الأصل على عِلم بالأساليب المحتملة لإقامة حكومات تدير جماعاتهم، وقد فرضت الضرورات أنواع الوظائف وسمي الموظفون بأسماء أخذت عن اللغة الشائعة مثل:

- (بريسبيتيروس) أي: شيخ.
- (إبيسكـوبـوس) أي: مشرف.
- (دياكـونـوس) أي: خادم.

وقد تطورت معاني هذه الكلمات فيما بعد إلى: قس، وأسقف، وشماس، ثم بمرور الزمان وجدت الرغبة في تنظيم الشعائر والطقوس، وهو عمل تفرضه البيئة المحيطة ويحتمه وجود (متخصصين) وكان لذلك أثره في تحديد ودعم هذه الوظائف، واتسعت هذه التأثيرات جميعًا في نزعتها إلى منح نفس الأشخاص الوظائف التي كانت متميزة فيما مضى من تعليم وتبشير وإدارة، أو إلى تخويل شخص واحد، هو الأسقف الأمير، الإشراف الأعلى على كل الوظائف، فكانت نشأة الأسقفية الملكية هي المرحلة الأولى من مراحل تنظيم الكنيسة[١].

وعلى ذلك فإن النظام الكهنوتي لم يكن في النصرانية منذ نشأتها كما يدعي النصارى.

يقول الدكتور/ أحمد شلبي: (إن الكنيسة استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات، ونعود إلى ذلك بشيء من الإيضاح فنقول: إنه في خلال القرون الأولى للمسيحية كانت هناك تنظيمات قليلة في الكنيسة؛ لأن المسيحيين كانوا ينتظرون عودة

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٣٥، ١٣٦ بتصرف، فجر المسيحية ص٨٧، دراسات في أسفار موسى الخمسة ص ٤١٢.

المسيح ليقود حياتهم، ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت، كان يلاحظ فيه كبر السن واسمه مستعار من الإغريقية، وهو (*Preslys*) أي الرجل الشيخ، فلما لم يَعُدْ عيسى وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ المسيحيون يعملون نظمًا أكثر دقة ودوامًا)[1].

إن المسيح عليه السلام لم ينصب تلاميذه على كنيسة؛ لأنه لم يؤسسها كما يزعم النصارى، والنص الذي يستندون إليه في أمر المسيح لبطرس ببناء الكنيسة و إعطائه مفاتيح السماء والأرض والتحليل والتحريم نص لا أساس له من الصحة، وقد فهمه النصارى فَهْمًا غير صحيح[2].

إن المسيح أمر تلاميذه بالذهاب لدعوة خراف بني إسرائيل الضالة والتبشير باقتراب ملكوت السماء، وهؤلاء الاثني عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: (إلى طريق أمم لا تمضوا و إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السماوات)[3].

ويذكر جون لوريمر أن من الصعوبة تمييز وجود هيئات إدارية أو رُتَبًا دينية في الكنيسة في العصور الأولى للنصرانية؛ ومما يدل على ذلك الغموض استعمال كلمة أسقف مرادفة لكلمة شيخ ويعني شيئًا واحدًا أو وظيفة واحدة، ففي تلك الأيام كان ينظر إلى الأسقف على أنه ناظر أو كاهن، ولكنه لم يكن يفوق الشيخ في رتبته، ثم ظهر بعد ذلك نظام كنسي أكثر تنظيمًا ووضوحًا بعد أن اتسعت الكنيسة جغرافيًّا وتنوعت أنشطتها.

---

(١) المسيحية ص ٨٨، ٨٩..

(٢) سبق الحديث عن هذا النص في الباب الأول عند الحديث عن المسيح وصلته بالكنيسة ص ٣٢ وما بعدها.

(٣) متى: ١٠ / ٥ - ٧.

ومما يؤكد عدمَ وجود الدرجات والنظام الكهنوتي على عهد المسيح أو في العصر الذي جاء بعده أن بولس والرسل الآخرين عند النصارى لم يُظهروا أي اهتمام بالمركز أو اللقب الديني وإن كان بولس ذكر عدة وظائف في رسائله، وهي الرسل والأنبياء والمعلمون والمبشرون والرعاة لكنه لم يكن هو نفسه مُهْتَمًّا بمراكز كهذه[١]؛ مما يدل على أنها لم تكن ذات أهمية عند النصارى الأوائل.

كما أن المسيح عليه السلام لم يقل بوجود وساطة بين الله وبين خلقه كما يدعي رجال الكنيسة، بل ويجعلون المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله وبين الناس[٢] كما بَيَّنَ لهم أنه إنسان مثلهم لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضَرًّا.

وما يفعله أصحاب الرتب الكهنوتية والباباوات من ارتكاب الآثام والموبقات التي يندى لها الجبين ليدلُّ دلالةً واضحةً على أنه لا توجد صلة بين هؤلاء وبين المسيح عليه السلام الذي أَمَرَ بفعل الفضائل والتحلي بها والبعد عن الرذائل والتخلي عنها.

وهذه السلطة الجائرة التي أعطوها لأنفسهم والتي بها انتهكوا الأعراض، وسلبوا الأموال وسفكوا الدماء، لا شك أنها سلطة جائرة لم يعطها لهم المسيح.

ولقد جاء الإسلام فمحا أثر هذه السلطة حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم، فالإسلام لم يدع لأحد بعد الله ورسوله سلطانًا على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه، والرسول ﷺ كان مُبَلِّغًا وَمُذَكِّرًا، لا مهيمنًا ولا مسيطرًا قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ ﴾[٣]. إن الإسلام لا يقر الكهنوت ولا في الإسلام وساطة بين الله وبين خلقه.

---

(١) راجع: تاريخ الكنيسة جـ١/ ٦٩، ٨٦، ٨٧.

(٢) راجع: الكهنوت ص ١١٧، ١١٨.

(٣) سورة الغاشية: الآيتان: (٢١، ٢٢).

وليس لأحد في الإسلام أن يحل أو يربط لا في الأرض ولا في السماء، بل الإيمان يعتق المؤمن من كل رقيب فيما بينه وبين الله سوى الله وحده، ويرفع عنه كل رق إلا العبودية لله وحده، وليس لمسلم مهما علا شأنه حق على آخر مهما انحطت منزلته إلا حق النصيحة والإرشاد قال تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾[1] فالمسلمون يتناصحون فيما بينهم ثم يقوم منهم جماعة من العلماء تدعو إلى الحق والخير وتردهم إلى السبيل السوي، وليس لأحد الحق في أن يتتبع عورة غيره أو أن يتجسس على عقيدته.

والخليفة عند المسلمين ليس معصومًا ولا يهبط عليه وحي، وليس له الحق في أن يستأثر بتفسير كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، بل هو مجتهد يصيب ويخطئ، كما أنه لا يرتفع فوق البشر، بل يتفاضل الناس في الإسلام بصفاء العقل وكثرة الإصابة في الحكم، والخليفة مطاع ما دام يعمل ما يتفق مع القرآن والسنة، فإن خالف وجب على الناس أن يستبدلوا به غيره.

ومما لا شك فيه أن المسيح عليه السلام أمر أتباعه بمثل ما أمر به الإسلام أتباعه؛ إذ أن الوحي الذي ينزل على الأنبياء يخرج من مشكاة واحدة.

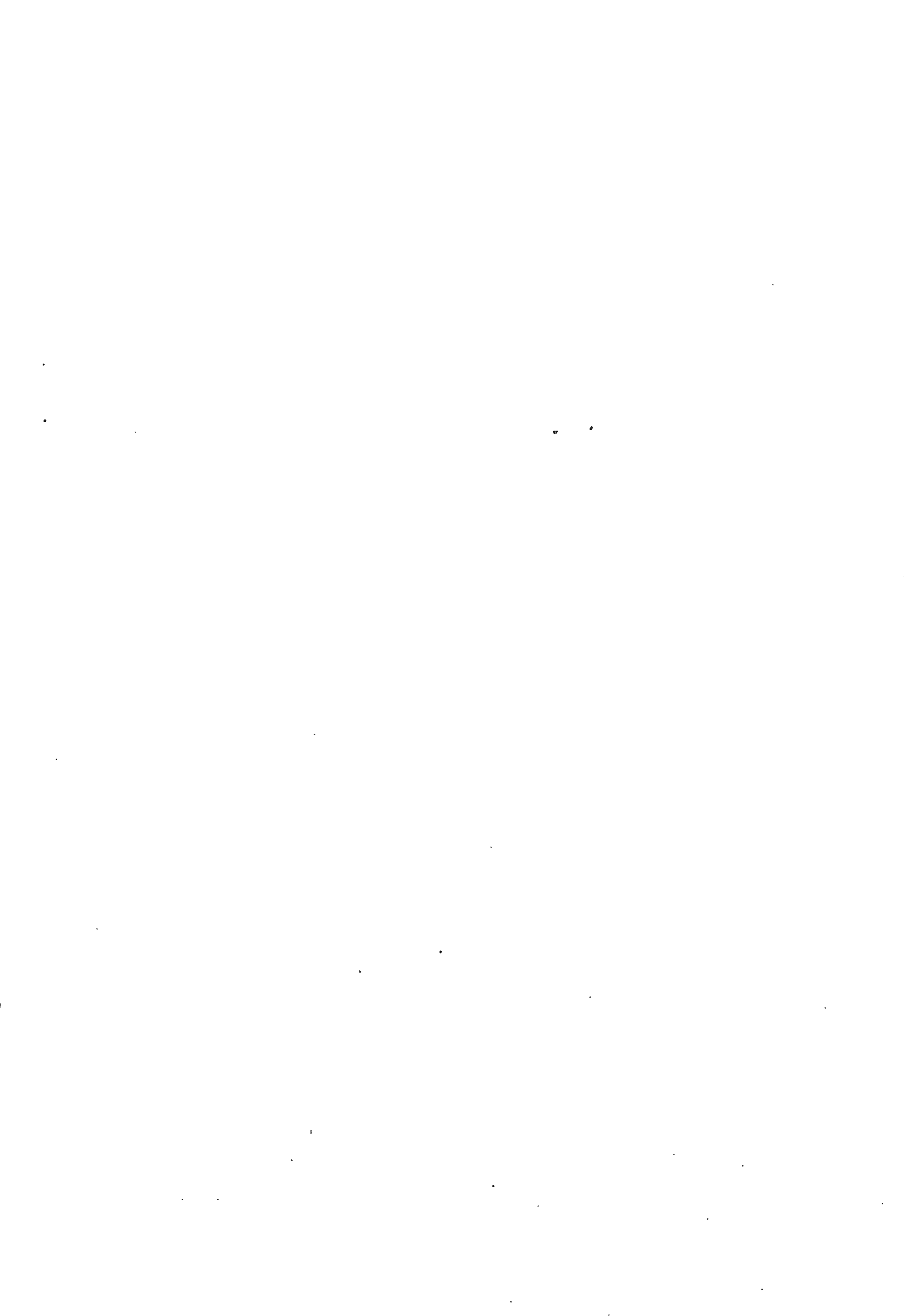
---

(١) سورة العصر الآية: (٣).



الباب الثالث

الطقوس الكنسية وموقف الإسلام منها



التمهيد

[١] الارتباط بين طقوس الكنيسة والعبادة:

يزعم آباء الكنيسة أن بين العبادة والطقوس صلة لا تنفك أبدًا منذ نشأتها؛ إذ أن الطقس هو نظام الخدمة ويعني الترتيبات والنظم الروحية التي يجب مراعاتها في العبادة المسيحية.

ويعتقد النصارى أن بين الأسرار والطقوس صلة وثيقة؛ إذ إن لكل سر من أسرار الكنيسة طقسًا خاصًا به يمارسُه الكاهن المختص بممارسة الأسرار، ولا يعتبر السر صحيحًا إلا إذا مارس الكاهن الطقوسَ الخاصةَ به.

ومن طقوس الكنيسة المستقلة عن الأسرار: السجود أمام الهيكل عند دخول الكنيسة، وتقديس الصليب وحمله وأداء الصلوات السبع التي فرضتها الكنيسة، وهي صلاة البكور، وصلاة الساعة الثالثة، والسادسة، والتاسعة، والحادية عشرة والثانية عشرة ثم صلاة منتصف الليل[١].

وإذا كان النصارى يربطون بين العبادة والطقوس فإن من العلماء مَنْ يجعل بين الطقوس والأساطير صلة وثيقة ويرون أن الطقوس قد سبقت نشأة الأسطورة التي تُعد عندهم تفسيرًا تمثيليًا للطقوس[٢] فكأن الأساطير في نظرِ كثيرٍ من العلماء أصل المعتقدات الدينية؛ لأن العقائد قد تَلَبَّسَتْ بالأساطير في جميع القبائل الفطرية كما يقول العقاد[٣].

---

(١) راجع: التقليد المقدس ملاك لوقا ص٨٠.

(٢) الأسرار حياة الإيمان ص٧.

(٣) راجع: الدين والإنسان ص١٩.

ومما يؤكد أن الطقوس الكنسية الحالية ليس لها أصل في النصرانية الصحيحة وأنها دخيلة عليها ما ذكره الدكتور محمد مجدي مرجان من أن تلاميذ المسيح اضطروا إلى نقل دعوته إلى الشعوب الوثنية من أجل إحياء هذه الدعوة، فاعتنقها الرومانيون واليونانيون وغيرهم ومن أجل الإبقاء على النصرانية بين تلك الشعوب طَعَّمُوا وأدخلوا على الدين بعضَ الطقوس والعادات والشعائر التي كانت منتشرة بين تلك الشعوب الوثنية، وظن هؤلاء المبشرون أن هذا يقرب الديانة المسيحية إلى أذهان الوثنيين، ومع مرور الوقت ستتطهر من تلك العادات والطقوس وستعود إلى صفائها، ودخل الناس في النصرانية وغض الحواريون الطرف عن هذه العادات والشعائر الدينية؛ وذلك للإبقاء على الديانة، ولعل الناس أن يستقيموا بعد ذلك على المنهج الصحيح، إلا أن الذي حدث هو عكس ما توقعه هؤلاء المبشرون؛ فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي أتى بها المسيح عليه السلام[1].

كما وُجد تشابه كبير في المراسيم البرهمية والبوذية وطقوسها وبين النصرانية الحالية، وكان هدف هذه الطقوس كلها هو التقرب إلى الآلهة والبلوغ إلى مكان عال عند الآلهة، ولم تكن تتم الصلوات دون هذه الطقوس والمراسيم[2].

وعلى أي حال فإن النصارى ربطوا بين العبادة التي يمارسونها والطقوس الكنسية برباط وثيق الصلة التي لا ينفصم في اعتقادهم.

وينكر البروتوتستانت الطقوس، ولا يستخدمون الكتب الطقسية ولا يعترفون بالطقوس الكنسية المستقلة ولا بالطقوس التي تصاحب أسرار الكنيسة[3].

---

(١) راجع كتاب: الله، للعقاد ص١١.

(٢) الله واحد أم ثالوث د/ محمد مجدي مرجان ص١٤ بتصرف، راجع: ملكوت الله في اليهودية والنصرانية والإسلام ص ١٧٢، راجع: الهند القديمة حضارتها ودياناتها ص٩٥، ٢٢٠.

(٣) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٣.

[٢] الطقوس في المصادر النصرانية:

يربط النصارى بين العبادة والطقوس، ويعتبرون ذلك متمشيًا مع طبيعة الله الذي يحب النظام والترتيب في كل شيء وبناءً على ذلك يقولون بقِدم الطقوس ويستدلون على ذلك بعدة نصوص من الكتاب المقدس عندهم.

فيذكرون أن نوحًا عليه السلام بعد جفاف مياه الطوفان بني مذبحًا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة والطيور (وأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا)(١).

وجاء سفر التكوين أن إبراهيم بني مذبحًا للرب وكان يقدم تلك الذبائح والمحركات في كل مكان يذهب إليه أو ظهر الرب لإبرام، وقال: لِنَسْلِكَ أَعْطِ هذه الأرض فبنى هناك مذبحًا للرب ـ الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت للرب ودعا باسم الرب(٢).

ويذكر السفر أن يعقوب عند رجوعه من حاران سكن في سكون (وأقام هناك مذبحًا ودعاه إيل إله إسرائيل)(٣). وبنى مذبحًا آخر في (لوز) أي بيت إيل(٤).

ويذكر الكتاب المقدس أن الله في أيام موسى اهتم بأن ينظم بنفسه طرق العبادة وطقوسها، وقد خصص لذلك جزءًا كبيرًا من سفر الخروج ثم سفر اللاويين بأكمله، ووصف لموسى وهارون كل ما يتعلق بنظام العبادة، وشدد في اتباعه حتى أن كل مَنْ يخالفه لا ينجو من العقاب الإلهي، وهذا ما حدث بالفعل لابنَي هارون «تاداب وأبيهو»

---

(١) راجع: تك: ٨/ ٢٠، ٢١.

(٢) تك: ١٢/ ٨٢٧.

(٣) تك: ٣٣/ ٢٠.

(٤) راجع: تك ٣٥/ ٧٢٦.

اللَّذينِ خَالَفَا الطقسَ؛ إذ قَدَّمَا نارًا غريبة في المجمرة... فخرجت نار من عند الرب وأكلته فماتا أمام الرب[1].

ويذكر سفر أخبار الأيام الأول أن داود لما أراد أن ينقل تابوت العهد إلى مدينة داود قال: (ليس لأحد أن يحمل تابوت الله إلا اللاويين؛ لأن الرب إنما اختارهم لحمل تابوت الله ولخدمته إلى الأبد)[2].

وقال لرؤساء آباء اللاويين: (أنتم رءوس آباء اللاويين فتقدسوا أنتم وإخوتكم وأصعدوا تابوت الرب إله إسرائيل إلى حيث أعددت له؛ لأنه إذ لم تكونوا في المرة الأولى اقتحمنا الرب إلهنا لأننا لم نسأله حسب المرسوم، فتقدس الكهنة واللاويون ليُصعدوا تابوت الرب إله إسرائيل، وحمل بنو اللاويين تابوت الله كما أمر موسى حسب كلام الرب بالعصي على أكتافهم[3].

ويذكر هذا السفر أن سليمان عندما نقل التابوت من الخدمة إلى قدس الأقداس في الهيكل الذي بناه راعي هذا الطقس وعمل حسب المرسوم[4].

يقول ملاك لوقا: نلاحظ أن الله قد عني بالحديث عن الأبنية التي تتم فيها النجاة والخلاص ويذكر دقائقها وتفاصيلها أكثرَ مما عني بالكلام عن الخليفة في مطلع سفر التكوين وقد عني أيضا بأنواع الذبائح التي تقدم، وطرق تقديمها والظروف التي تقدم فيها، كما كرس هارون وبنوه كهنة يتسلسل منهم الكهنوت، وباقي سبط اللاويين كله، على كثرة عدده لخدمة خيمة الاجتماع وطقوس العبادة فيها... وذلك يبين ما

(١) راجع: التقليد المقدس ص ٨٣.

(٢) سفر أخبار الأيام الأول: ١٥/ ٢.

(٣) أخبار الأيام الأول: ١٥/ ١٢-١٥.

(٤) راجع: سفر الأيام الثاني/ ٦.

للطقوس من منزلة رفيعة في نظر الله؛ لأنها تظهر مجدًا للعبادة، وعواطف الاحترام لبيت الله وللأسرار المقدسة، وتنعش روح المصلين وتسهل للبسطاء منهم معرفة أمور الدين ونواميسه وأسراره بأدائها أمام حراسهم[١].

كما يربط النصارى بين طقوس الكنيسة وبين المسيح عليه السلام، ويستدلون على ذلك بخضوعه لشريعة الختان في اليوم الثامن لولادته، (ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حُبِلَ به في البطن)[٢].

كما يستدلون على اهتمام المسيح بالطقوس بمشاركته القوم في مناسبتهم وطقوس عبادتهم واجتماعاتهم، وأعيادهم بما جاء منسوبًا إليه (وكان فصح اليهود قريبًا فصعد يسوع إلى أورشليم في عيد الفصح وآمن كثيرون باسمه إذ رأوا الآيات التي صنع)[٣]، (وكان عيد المظال قريبًا.... ولما كان إخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو أيضًا إلى العيد لا ظاهرًا بل كأنه في الخفاء.. ولما كان العيد صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلم)[٤].

ويذهب النصارى إلى أن الرسل وضعوا النظم في الكنائس كما رأوها من المسيح، زاعمينَ أن بولس استلم الطقس والعقيدة من الرب نفسه حسب قوله: (لأني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضًا)[٥]، وينصح تلميذه تيموثاوس بوجوب تسليم الطقوس والعقائد قائلا: (وما سمعتَه مني بشهود كثيرين أُودعه أناسًا أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضًا)[٦].

---

(١) التقليد المقدس ص٨٤، ٨٥.

(٢) لوقا: ٢/ ٢١.

(٣) يوحنا: ٢/ ١٣، ٢٣.

(٤) يوحنا: ٧/ ٢، ١٠، ١٤.

(٥) ١ كو: ١١/ ٢٣.

(٦) تي: ٢/ ٢.

كما ينصح تلميذه تيطس أسقف كريت قائلا: (من أجل ذلك تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخًا كما أوصيتك)[١].

وبناء على ما سبق تبين أن النصارى يعتقدون أن الطقوس التي تمارسها الكنيسة إنما هي امتداد للطقوس التي كانت في الأزمنة الماضية على عهد نوح وإبراهيم وداود وسليمان، وعيسى وعهد الرسل تلاميذ المسيح.

---

(١) تي: ٢/ ٥.

الفصل الأول

سجود النصارى للهياكل والصور عند دخول الكنيسة وموقف الإسلام منه

المبحث الأول: تعريف الهياكل والصور وأدلة النصارى على تقديسها.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية لعبادة الصور والتماثيل وتقديسها.

المبحث الثالث: تأثر النصارى بالأمم الوثنية في تقديس الصور والتماثيل وعبادتها.

المبحث الرابع: الاختلاف الكنسي حول تقديس الصور والتماثيل وعبادتها.

المبحث الخامس: نهي المسيح عليه السلام عن تقديس الصور والتماثيل وتحريم عبادتها.

المبحث السادس: تحريم الإسلام ونهيه لاتخاذ الصور والتماثيل وتقديسها.



المبحث الأول

تعريف الهياكل والصور وأدلة النصارى على تقديسها

[١] تعريف الهياكل والصور:

تعريف الهياكل:

الهيكل: الضخم من كل شيء، والهيكلة من النساء العظيمة، والهيكل من الخيل الكثيف العَبْل واللبن. والهيكل بيت للنصارى فيه صنم على خلقة مريم فيما يزعمون..... والهيكل: البناء المشرف، والهيكل بيت الأصنام(١).

التمثال: الصورة والجمع تماثيل، ومثل له الشيء: صورة كأنه ينظر إليه، وامتثله هو تصوره، والمثال: معروف، الجمع أمثلة، مثل، مثلت له كذا تمثيلا إذا صورت له مثاله بكتابة وغيرها..... والتمثال: اسم للشيء المصنف شبهًا بخلق من خلق الله وجمعه التماثيل، وأصله من مثلت الشيء بالشيء، إذا قدرته على قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهًا به، واسم ذلك الممثل تمثال(٢).

وفي قاموس الكتاب المقدس:

هيكل: كلمة سومرية معناها البيت الكبير، الهيكل هو مكان لعبادة الله وهو يقوم مقام الكنيسة اليوم. ولكن اليهود لم يطلقوا اسم هيكل على مكان العبادة بل على مكان واحد كبير في القدس.. أما هيكل القدس فقد بناه سليمان(٣).

---

(١) لسان الغرب جـ٦/ ٤٦٨١ بتصرف.

(٢) المرجع السابق جـ٦/ ٤١٣٥ بتصرف.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص١٠١٢ بتصرف.

الهيكل بمثابة المكان المقدس حيث يُفترض أن يكون الله حاضرًا بين البشر، ليتقبل عبادتهم ويشركهم في إنعامه وحياته، ولاشك أن إقامته المألوفة تتعدى حدود هذا العالم، ولكن هناك تطابق جزئي بينهما وبين الهيكل الذي بفضله يستطيع الإنسان أن يدخل في علاقة مع عالم الآلهة[١].

وللهياكل تطلق على التماثيل التي يصنعها عُبَّادُهَا ليقتربوا إليها بالعبادة ويقدموا لها القرابين ويعظموها، وقد تكون الهياكل في صورة كواكب أو أشخاص أو حيوانات أو غيرها.

والهياكل في الكنيسة مكان مقدس لا يدخله غير الأكليروس للخدمة، ويلزم خلع الحذاء خارجًا قبل الدخول فيه ولا يكنسه إلا الشماس، وترابه يُرْمَى في ماء جَارٍ.

ويتكون الهيكل من الدرج والشرقية:

فالشرقية: قبو في الحائط الشرقي للهيكل، ويحيط بالدرج، وتمثل الشرقية حضن الأب المفتوح وغالبًا نحو أيقونه للسيد المسيح، وأمام الأيقونة يقاد سراج دائم يعرف «بالقنديل الدائم» يشير - إلى النجم الذي ظهر للمجوس، والذي قادهم إلى حيث الرب. ويمكن أن تعلو الشرقية طاقة لدخول النور.

والدرج: هو سبع درجات نصف دائرية وباستدارة الحائط يوجد كراسي الكهنوت أعلاها كرسي الأسقف، وحوله كرسي الكهنة حيث ترتيبهم[٢].

تعريف الصورة:

الصورة: بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة، و(صوره تصويرًا) (فتصور) (وتصورت) الشيء توهمت (صورته فتصور) لي (والتصاوير) والتماثيل[٣].

---

(١) راجع: معجم اللاهوت الكتابي ص٨٢٧.

(٢) راجع: الطقوس الكنسية ص٢١.

(٣) مختار الصحاح ص٣٧٣، ٦١٥ راجع: المعجم الوسيط جـ١/ ٥٤٨.

وفي لسان العرب: الصور بكسر الصاد جمع صورة.. وتصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي والتصاوير: التماثيل.. قال ابن الأثير: الصورة تَرِد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته - يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته(١).

وفي قاموس الكتاب المقدس: صور يصور صورة وتصويرًا: قيل: إن الله خلق الإنسان على صورته، والمقصود من ذلك بما يمكن للبشر من صفاته الروحية، وقيل: إن المسيح صورة الله، أي: واحد معه في الجوهر الإلهي، وكان بنو إسرائيل القدماء يزينون سقوف بيوتهم وحيطانها بصور وألوان. وقد ندد حزقيال أشد التنديد بما جرى في خادع تصاوير شيوخ بني إسرائيل المظلمة، وربما كانت الإشارة في ذلك إلى تصوير الأصنام في البيوت والقبور ومواضع العبادة كعادة المصريين والآشوريين(٢).

تُعرف الصور عند النصارى بالأيقونات، فجعلوا للمسيح صورًا بأشكال مختلفة، ولمريم العذراء ولتلاميذ المسيح وحوارييه للقديسين عندهم، وعلقوها في كنائسهم وبيوتهم لتقديسها وعبادتها.

والأيقونة: لفظة يونانية، معناها الصور أو الرسم ويستعمل اللفظ في المصطلحات الدينية عند النصارى للإشارة إلى صورة القديسين، والأيقونات في عرف الكنيسة نوعان منها العادي ومنها العجائبي(٣).

أدلة النصارى على تقديس الهياكل والصور:

ورد في العهد القديم نصوص صريحة بتحريم اتخاذ الصور والتماثيل وتقديسها،

---

(١) لسان العرب جـ٤/ ٢٥٢٣ بتصرف، القاموس القويم جـ١/ ٣٨٥.

(٢) راجع: قاموس الكتاب المقدس ص٥٥٩، معجم اللاهوت الكتابي ص٤٨٦.

(٣) انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى. د/ أسد رستم ص٧٩.

ومنها الوصية الثانية من الوصايا العشر التي تقول: (لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحته، وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن)(١).

ورغم وضوح النص وبيانه للتحريم إلا أن النصارى قدسوا الهياكل والصور وعبدوها، وجاءوا بأدلة يستدلون بها على إباحة ما ذهبوا إليه ومن هذه النصوص: ما جاء في سفر العدد منسوبًا إلى الله بأنه أمر موسى يصنع الحية: (اصنع لك حية محرقة وضعها على راية، فكل من لُدغ فنظر إليها يحيا)(٢)، ويدَّعون أن هذا العمل كان رمزًا لصليب المسيح: (وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به، تكون له الحياة الأبدية)(٣) ويستدلون بما نسب إلى سليمان من صنع الزينة في بناء الهيكل(٤). ويذكر العهد القديم أن ـ سليمان رسم (نقشًا بنقركاروبين ونخيل وبراعم زهر من داخل وخارج(٥) وعمل للباب مصراعين أو رسم عليهما نقش كاروبيم ونخيلاً وبراعم زهر وغشاهم بذهب(٦) ومن الأدلة ما جاء في رسالة بولس لأهل غلاطية (....أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبًا(٧).

(١) خر: ٢٠ / ٤، ٥، تث ٥/ ٨، ٩.

(٢) عدد: ٢١/ ٨.

(٣) يو: ٣/ ١٤.

(٤) راجع: ١ ملوك ٦ / ٢٣-٢٨.

(٥) ١ ملوك: ٦ / ٢٩.

(٦) ١ ملوك: ٦/ ٣٢.

(٧) غلاطية: ٣/ ١.

المبحث الثاني

الجذور التاريخية لعبادة الصور والتماثيل وتقديسها

لقد وجدت الهياكل والصور عند الأمم الوثنية، مثل قدماء المصريين والهنود والصابئة تلك الأمم التي شاعت فيها الأساطير التي تَرَتَّبَ عليها ظهور عبادة الهياكل والصور والطقوس الكهنوتية.

ففي مصر عُرف بين أهلها قصة أوزيس وأزوريس، وتأليههما وعبادة الشمس والقمر وأصناف من الحيوان والطير كالصقر والنسر والقطط والنسناس والعجل، والتمساح وعجل أبيس وصوروا لها صورًا وصنعوا تماثيل، وعبدوها وقدسوها. وإلى جانب هذه المعبودات ظهرت عبادة النيل وتقديسه وكان له شكل مميز، فصورت المعبودات لها رأس حيوان وجسد إنسان، وصور النيل بصورة إنسان له لحية رجل وثدي أنثى، ويلبس كما تلبس الآلهة الأخرى اللباس الخاص بها[1].

وقد شاع بين المصريين القدماء عقيدة تصوير آلهتهم وصنع التماثيل لهم، ومن أجل تخليد ذكراهم وتقديسهم وعبادتهم، وقد بقي من هذه الصور والتماثيل الكثير في متاحفهم ومعابدهم التي كانوا يقدمون فيها القرابين، وقد تقدم المصريون بصلواتهم للتماثيل الرمزية التي أقيمت لآتون وآمون... حيث ظن المصريون المتأخرون الذين أعقبوا حكم الكهنة أن تلك التماثيل الرمزية آلهة مختلفة فعبدوها، وتعددت الآلهة، وصارت المدن مليئة بتلك الآلهة، وكانت لكل مدينة آلهتها التي تقدسها دون الآلهة الأخرى[2].

---

(١) راجع: الدين والإنسان ص ٦٥، والإنسان في ظل الأديان القديمة صـ ١٤-١٥، جذور- الفكر المادي ص ١٠٥ تاريخ الكنيسة جـ ٢/ ١٩، وأديان العالم ص ٣٣.

(٢) الأديان في كفة الميزان ص ٢٧، ٢٨ بتصرف.

ولاشك أنه كان لهذه العقيدة الأثر الواضح على النصرانية بعد دخولها مصر، فاقتبست النصرانية من الديانة المصرية الكثيرَ، ومنها عبادة الهياكل والصور وتقديسها، وذلك باعتراف كُـتَّابِ النصارى أنفسهم، ففي معرض حديثه عن المعتقدات الدينية التي كان يؤمن بها المصريون قبل دخول المسيحية مصر يقول زكي شنودة: كانوا يصورون في يد آلهتهم علامة ترمز إلى الحياة وكانوا يسمونها (عنخ) وهي قـريبة في تكـوينها من علامة الصليب التي اتخـذها المسيحيون شعارًا ورمزًا لهم بعد ذلك[١].

ووجدت في الهند الصور والهياكل المقدسة لدى أهلها، وهي تختلف في صورها وأشكالها ومعظم الأدوات التي تعبر عن العقائد والأديان تضم الآلهة الأُنثى أكثر بكثير من آلهة الذكور، ولذلك وجد الآلهات مزينة بالحلي الجميلة أو في بعض الأحيان تحمل الأطفال في بطنها، أو ترضع الأطفال، وهناك تماثيل للآلهة تعبر عن تقديم الناس النذور إليها عندهم كثيرًا من الحيوانات، كما تصورها بعض التماثيل الحيوانية، وقد نال الثور مكانًا بارزًا بين تلك الآلهة[٢].

وتعدد الأديان في بلاد الهند ووجد لدى أهل الأديان القديمة عبادة الهياكل والصور وتقديسها، كما عند البراهمة، والبوذيين وأصحاب الروحانيات وغيرهم.

ويذكر الشهرستاني أن أصحاب الروحانيات على اختلاف مذاهبهم وأفكارهم كانوا يتخذون أصنامًا لمعبوداتهم بصور مختلفة، فيذكر أن الباسنوية، زعموا أن رسولهم «ملك روحاني» نزل من السماء على صورة بشرية وأمرهم أن يتخذوا على مثاله صنمًا يتقربون إليه ويعبدونه، ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف، والتبخير والغناء والرقص وأمرهم بتعظيم البقرة، والسجود لها حيث رأوها، وأن يفزعوا في التوبة والتمسح بها[٣].

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٣٤.

(٢) راجع: الهند القديمة حضارتها وديانتها ص٤٤.

(٣) راجع: الملل والنحل ص٦٠١ الدين والإنسان ص١٠٢.

كما يذكر الشهرستاني أن الباهورية زعموا أن رسولهم (ملك روحاني) على صورة بشر اسمه (باهود) أتاهم، وهو راكب على ثور، على رأسه إكليل مكلل بعظام الموتى من عظام الرءوس، ومتقلد من ذلك بقلادة، وبإحدى يديه قحف إنسان وبالأخرى مزراق ذو ثلاث شعب[(١)].

واتخذ الهندوس تمثالاً للإله سيغارب، ولديهم لوحات طينية عديدة تشير إلى وجوده، وله ثلاثة وجوه، ويوصف بأنه إله وحوش الغابات وأمير النساك والرهبان؛ ولذلك عرض في صورة قائد عسكري، وكذلك تشير لوحات عديدة إلى آلهة كثيرين[(٢)].

وأهم شعائر الهندوس الدينية أن يعد التمثال أحسن إعداد، وأن يقام في المعبد ويعامله عباده كأنه حي يسمع ويعي، ويدهونونه بالزيت ويضمخونه بالطيب ويخضع العُبَّاد للتمثال كي تُقبل توسلاتهم وعبادتهم والشخص ينظف نفسه ويقلل من الطعام أو يصوم ويتخذ أمام إلهه جلسة خاصة، ويشير إليه بأصبعه في خضوع ويحبس أنفاسه ما أمكن[(٣)].

واتخذ أهل اليونان تماثيل لآلهتهم، وعبدوها وقدسوها وتأثر بهم في ذلك النصارى فيذكر عنهم الشيخ محمد أبو زهرة أنهم: صوروا لكل ربٍّ من هذه تمثالاً يُعبد، ولقد كان للتماثيل الكبيرة محالٌّ خاصة بها، يزعمون أن الآلهة تُوحي إليهم فيها على لسان الكهنة، ويتقربون في تلك المحال للآلهة بالقرابين والنذور، وأشهرها معبدُ (دلفي) لأبولون بمدينة (فوكيس)[(٤)].

---

(١) راجع: الملل والنحل ص٦٠٢.

(٢) راجع: الهند القديمة حضارتها القديمة ودياناتها، ص٤٥.

(٣) راجع: أديان الهند الكبرى ص٥٠، ٥١، الأديان في كفة الميزان ص١٩.

(٤) الديانات القديمة ص١١٣.

ومما لا شك فيه أن النصرانية تأثرت بالفكر والفلسفة اليونانية، دخل الكثير منها في النصرانية واتخذ الرومان أصنامًا من الخشب، ثم اتخذوها من الرخام على مثال أصنام اليونان[١] وقد سبق بيان كيف تحولت النصرانية من نصرانية المسيح إلى نصرانية روما بعد تَأَثُّرِهَا بكل أفكارها الوثنية.

كما عبد أهل الصين أتباع الكنفوشوسية الهياكل التي تدل على قوى الطبيعة وأقاموا لها الشعائر وقدموا لها القرابين، وكان في الصين هيكل عظيم بداخله هياكل ثلاثة ترمز إلى مذابح ثلاثة، لكلِّ معبودٍ هيكلٌ، كما وجد لدى الصينيين عبادة الأرواح فيتخذون لوحات للأباطرة السابقين وللشمس والقمر والنجوم والغيوم والأمطار والرياح والرعود، كما يعبدون الأسلاف، فيتخذون لوحات من الخشب ينقش على وجهها اسم الشخص الذي تمثله، ومن حين إلى آخر تقدم إلى هذه اللوحات التقدمات في عيد ميلاد المتوفى وهكذا[٢].

وعبد الصائبة الهياكل والشمس: (فأصحاب الهياكل هم: عبدة الكواكب؛ إذ قالوا - بإلهيتها، وأصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان؛ إذ سموها آلهة في مقابل الآلهة السماوية وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله)[٣].

واتخذ كلٌّ من الفريقين أصنامَ وصورَ آلهتهم بأشكال مختلفة وتقربوا إليها وعبدوها وقدسوها وقدموا إليها الذبائح والنذور، ويتخذ المندائيون من الصائبة صورةً لمندى في معابدهم وهي صورة فوتوغرافية[٤]

(١) راجع المصدر السابق ص١١٥

(٢) راجع: أديان العالم ص ١٢٩، ١٣٠.

(٣) الملل والنحل ص ٣٣٧.

(٤) راجع: الصابئة المندائيون ص ٢٠٣.

ومن ذلك تبين أن عبادة الهياكل والصور كانت متبعةً في الأديان القديمة؛ كالديانة المصرية القديمة، وديانات الهند المختلفة، والرومان، واليونان والصائبة وغيرهم، واقتبست الديانة النصرانية الحالية من كل هذه الأديان، ويؤكد ذلك وجه التشابه بين النصرانية وهذه الديانات في كثير من مسائل العقيدة والشريعة، ومما هو متعارَف عليه أن اللاحق هو الذي يقتبس ويقلد السابق، وهذه الأديان سابقةٌ على النصرانية؛ مما يدل دلالة أكيدة وواضحة على هذا الاقتباس.

وسوف يتضح ذلك جَلِيًّا إن شاء الله تعالى من خلال الحديث عن عبادة النصارى للهياكل والصور.

المبحث الثالث

تأثر النصارى بالوثنية
في تقديس الصور والتماثيل وعبادتها

لقد تبين من خلال المبحث السابق أن أهل الأديان الوثنية عبدوا الهياكل والصور وقدسوها وقدموا لها النذور والقرابين، ولقد اعترف علماء النصرانية بأن هذه العبادة وغيرها قد تسربت إلى النصرانية مع عِلم القائمين رجال الديانة سواء كانوا من رجال الدين أو رجال السياسة.

يقول (درا ير): دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين ولم يُخلِصُوا له يومًا من الأيام، وكذلك كان قسطنطين فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم يتقيد بالأوامر الدينية إلا قليلاً من آخر عمره ٣٣٧ م.. وإن هذا الإمبراطور الذي كان عبدًا للدنيا لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئًا رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين ـ النصارى والوثنيين ـ أن يوحدهما ويؤلف بينهما حتى إن الديانة الجديدة ستظهر إذا ـ طعمت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة، وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وأرجاسها[١].

ويذكر ول ديورانت: أنه كان لاعتناق الدولة الرومانية للمسيحية أثر كبير في ظهور عبادة التماثيل[٢] ويؤكد ذلك رءوف حبيب بقوله: عندما أصبحت المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية قُرْبَ نهاية القرن الرابع الميلادي، لجأ المسيحيون

(١) راجع: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٥، ١٨٦.

(٢) راجع: قصة الحضارة جـ ١٤/ ١٥٥.

إلى سرعة تحويل المعابد الوثنية إلى كنائس، كما شرعوا في نقش الصلبان على أعمدتها، وعلى أعتاب أبوابها، وكذلك عمدوا إلى تغطية الرسوم الوثنية القديمة التي على جدرانها بطبقة من الملاط أو الجص وزينوها بصور الرسل والقديسين والشهداء وكتبوا حولها أحيانا النصوص الدينية بالأحرف القبطية[١].

فرفع النصارى الرسوم الوثنية من على جدران المعابد واستبدلوها بصور الرسل والقديسين وهياكلهم، ونقل النصارى العبادات الوثنية على دينهم، وكان من بين هذه العبادات عبادة الهياكل والصور وتقديسها، فكان لذلك الأثر الكبير على تحريف العبادة في النصرانية، ولقد لقيت هذه التعاليم رواجًا لدى العوام، لما رأوا عند اليهود وكهنة الوثنيين عبادة الهياكل والصور ووجدوا مذابح وكهنة وغيرها.

فقلدوا غيرهم في العبادة، وتلبية لرغبة هؤلاء العوام أدخل رجال الدين النصارى طقوسا خارجية يحس بها الشعب وذكر «موسيهم» أن الشعب بوجه عام توغل جميعه في الخرافات ولم يكترز بشيء إلا بالتماثيل والأيقونات والمعاذات أو الفقر «أي التعاويذ» كالخلاخيل، والأحجبة، وبالطقوس الفاسدة التي طمع الإكليروس في فرضها عليهم، نعم إن العلماء لم يفقدوا بالكلية كل معرفة حق، بل مزجوها ودنسوها بآراء وتعاليم بعضها مضحك وسقيم وبعضها مضر وخبيث وبعضها غير نافع ومضل[٢]

وبناء على ذلك فقد قام النصارى بعبادة الهياكل والصور وتقديسها، بل وأسرفوا في هذه العبادة فتقدموا بالعبادة للمسيح ولرسلهم وللقديسين وللعذراء، وغيرهم من الباباوات ورجال الدين عندهم.

---

(١) الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ص ١١.

(٢) النصرانية والإسلام ص ٩٢.

سجود النصارى للهياكل والصور:

لقد جاءت شريعة التوراة التي يدعي النصارى اتباعها بتحريم عبادة الهياكل والصور في كثير من النصوص؛ منها ما جاء ضمن الوصايا العشر لموسى عليه السلام وأتباعه، ففي سفر الخروج: (لا تسجد لإله آخر؛ لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو.. لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة)[١]. وفي سفر التثنية: (لا يكن لك إله آخر أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور)[٢].

وجاء في المزامير نعي على الذين اتخذوا آلهة من ذهب وفضة وصنعوا لها التماثل مع أنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر: (أصنامهم فضة وذهب عمل أيدي الناس، لها أفواه ولا تتكلم، لها أعين ولا تبصر، لها آذان ولا تسمع، لها مناخر ولا تشم، لها أيدٍ ولا تلمس، لها أرجل ولا تمشي، ولا تنطق بحناجرها، مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها)[٣].

ومع إقرار النصارى بهذه النصوص وما تضمنت عليه من وصايا صريحة تُحَرِّمُ اتخاذ الصور والتماثيل، إلا أنهم يؤولونها من أجل تبرير ما يذهبون إليه من تقديس الهياكل والصور، ففي معجم اللاهوت الكتابي: (إن هذا التحريم المذكور في الوصايا العشر يسهل تبريره بالنسبة إلى الآلهة الباطلة (الأوثان) ويصعب تفسيرها إذا كان الأمر خاصًّا بصورة يهوه، لا بقصد أصحاب الكتب المقدسة، أن يقاوموا السحر الوثني، وأن يحافظوا على سُمُوِّ الله، نعم إن الله لا يكشف مجده في عجول ذهبية وصور صنعتها يد الإنسان، ولكن خلال أعمال خلقه)[٤].

---

(١) خروج ٣٤/ ١٤، ١٧.

(٢) تثنية ٥ / ٧ - ٩، خروج ٢٠ / ٣-٥.

(٣) مزمور ١١٥ / ٤ - ٨.

(٤) راجع: معجم اللاهوت الكتابي ص ٤٨٦.

ويفسر القمص صليب سوريال ما جاء في الوصية من قول: (لا تصنع لك تمثالاً) بقوله: لا تتخذ لك شيئًا من هذا للسجود والعبادة بدليل قوله: لا تسجد لهن ولا تعبدهن، ولكن البعض منهم أخذوا الكلام بحرفيته فمنعوا صناعة النحت والتصوير حتى لمجرد الزينة مع أن موسى نفسه أمر بصنع الكروبيم والحية النحاسية[١].

ويذكر مسيح فهمي تأويلاً آخرَ لهذه الوصية فيقول: يتضح أن الله قد فرَّق في وصاياه بين ـ استخدامات الأيقونات أو الصور في العبادة التي يحددها هو بوصاياه، وبين صنع الأيقونات لعبادة أمور خاصة يراها الإنسان ويرهبها من وجهة نظره الخاصة سواء كانت هذه الأمور سمائية أو أرضية، فروح الوصية كانت وقفَ كل تسلل وثني إلى العبادة وليس منع استخدامات الصور في ذاتها[٢].

إن هؤلاء القوم يقولون غير ما يعتقدون؛ إنهم يقدسون الهياكل والصور ويعبدونها في كنائسهم ومع ذلك لا يقولون بالتحريم مع أنهم حرفوا الوصية عن مفهومها الحقيقي ولم يكتفوا بذلك بل نسبوا إلى نبي الله موسى صناعة التماثيل المختلفة.

ولقد ذكر الإمام ابن القيم في معرض حديثِه عن تلاعب الشيطان بالنصارى تلاعبه بهم في تصوير الصور وعبادتها، فيقول: (لا تجد كنيسة من كنائسهم لا تخلو من صورة مريم والمسيح وجرجس وبطرس وغيرهم من القديسين عندهم والشهداء، وأكثرهم يسجدون للصور ويدعونها من دون الله تعالى[٣].

الجذور التاريخية لصناعة الأيقونات والتماثيل:

يذهب النصارى إلى أن صنع الهياكل والصور قديم، وأنه ظهر قبل الميلاد وفي

---

(١) دراسات في أسفار موسى الخمسة ص ٢١٧.

(٢) الطقوس الكنسية ص ٤٤، اللاهوت المقارن جـ١/ ٣٧١.

(٣) إغاثة اللهفان جـ١/ ٢٨٨.

الوقت الذي حرم الله فيه تحريمًا قاطعًا صُنع أي صورة أو تمثال بصفة عامة عاد فأوصى موسى بصنع تمثالين للشاروبيم[١] بأجنحة متقابلة لتغطي على غطاء التابوت ليدل على الحضرة الإلهية.

ثم عاد وأوصى موسى[٢] لكي يصير الشاروبيم مرة أخرى على الحجاب الحريري الذي يفصل قدس الأقداس[٣] عن القدس؛ وذلك ليدل على ما كان، وجود في الداخل، وهذا يقابله الأيقونات في الكنائس الآن.

ويذكرون أن يشوع وقع أمام التابوت ساجدًا على وجهه من الصباح إلى المساء، ورقص داود أمامه مُسَبِّحًا بآلات الطرب والفرح، ثم عاد الرب وأمر موسى بصنع الحية النحاسية لتكون مصدر شفاء لكل من ينظر إليها وأمر الرب أن يأخذ اثني عشر من قاع نهر الأردن بعد أن انغلقت مياهه وَعَبَرَ بنو إسرائيل لتقام كشاهد ومذكرًا للأجيال بعمل الله مع شعبه قائلا: (تكون هذه علامةً في وسطكم إذا سأل غدًا بنوكم قائلين: ما لكم وهذه الحجارة؟ تقولون لهم: إن مياه الأردن قد انغلقت أمام تابوت عهد الرب عند عبوره الأردن، انغلقت مياه الأردن فتكون هذه الحجارة تذكارًا لبنى إسرائيل إلى الدهر)[٤].

ثم جاء هيكل سليمان فكان: (جميع حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشًا بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج[٥]، وجعلوا سليمان تمثال الشاروبيم

(١) اسم عبري معناه: حرارة من يهوه، رئيس عائلة جاء من بابل مع زر بابل.. قاموس الكتاب المقدس ص ٥٠٨.
(٢) راجع: سفر الخروج ٢٦ / ٣١.
(٣) قدس الأقداس: القسم الخارجي والداخلي من المسكن، وكان في القدس مائدة خبز الوجوه، والمنارة ومذبح البخور، وقد يسمى المحراب قدسًا على أنه يسمى غالبًا قدس الأقداس، وقد تطلق على ما يجاور موضوع العبادة.
(٤) يشوع: ٤ / ٦-٧.
(٥) ملوك ٦ / ٥٩.

في قدس الأقداس[١] ثم صور كروبيم على الحجاب الحريري الذي يفصل قدس الأقداس عن القدس، وكانت الأخشاب كلها والحجارة منقوشةً على شكل براعم زهور وصور ونخيل، وكذلك عمل المدخل البيت نفس النقوش والصور[٢].

ويقول شنودة الثالث: (وهكذا كان بيت الرب مزينًا بالصور والتماثيل والرسوم وظل الناس يعبدون الرب ولم يعبدوا هذه الصور والتماثل ولم يخالفوا الوصية الثانية..) ويقول: (ولم يخطئ في السجود أمام تابوت الرب لأنه لم يكن يعبد التابوت بل الرب الذي يحل عليه ويكلمه من بين الكاروبيم. وهكذا لم يخطئ داود النبي حينما احتفل برجع التابوت بكل إكرام ورقص قدامه[٣].

وبهذا يستدل النصارى على أن التماثيل والصور والنقوش بكافة أنواعها ورموزها ومدلولاتها كانت جزءاً لا يتجزأ من العبادة الطقسية عند بني إسرائيل كما ذُكرت في العهد القديم.

وبعد ظهور النصرانية التي ورثت اليهودية لم يلجأ النصارى في القرن الأول إلى عبادة الصورة والتماثيل وظلوا متفذين لوصية التوراة: (لا تصنع لك إلهًا منحوتًا) وبعد دخول بولس النصرانية وتصريحه بأن الإنسان خلق على صورة الله واستند بعض المفكرين على نصوص رسائله التي تقول بالتجسد على تبرير استعمال الصور في الكنائس وإن استعمالها دليل شاهد منظور على صدق التجسد.

ويذكر ول ديورانت: أن عبادة الصورة في كل مكان خاصة في البلاد التي تتبع مذهب الكنيسة اليونانية بنوع خاص؛ فكانت الصور في الكنائس والأديرة والمنازل

(١) راجع ملوك الأول ٦ / ٢٤، ٢٥.

(٢) ملوك ٦ / ١٨، ٢٩، الطقوس الكنسية ص ٤٤، اللاهوت المقارن جـ١ / ١٧٠ وما بعدها.

(٣) راجع اللاهوت المقارن جـ١ / ١٧٢.

والحوانيت، وحتى أساس المنازل والحلي والملابس لم تخلوا منها[1].ومن ثم دخلت عبادة وتقديس الصور والهياكل إلى الكنائس النصرانية، ويعلل النصارى تأخر ظهور الأيقونات في القرن الأول لعدة أسباب وهي:

١- تأخر ظهور الكنائس كأمكنة مستقرة وثابتة للعبادة؛ إذ أن الرسوم والتصاوير متعلقة فقط بمكان الصلاة.

٢- عدم توافر الهدوء والسلام الكافي للمناخ الفني.

٣- عدم توافر الفنانين المتخصصين في الصور والهياكل؛ وذلك لزيادة التدقيق بخصوص الوصية الثامنة التي تحرم اتخاذ التماثيل.

٤- وجود أمور هي أشد ضرورة في تأسيسها أكثر من الاهتمام بالأيقونات.

٥- العزوف عن الدنيا عند كثير من النصارى الأوائل وميولهم إلى العزلة والرهبنة[2].

وفي القرن الثاني والثالث اقتصرت الأيقونات على التعبير بالرموز فقط كظهور المسيح بصورة حَمَل يحمل الصليب، أو بصورة رَاعٍ يحمل خروفًا والروح القدس بحمامة، وفي القرن الرابع: ظهرت أيقونة العذراء حاملةً الطفل يسوع، وأيقونة للمسيح يبارك طفلا، وآخر يقيم لعازر وأيقونة ذبح إسحق، وأخرى لبولس، وأخرى للمسيح مع بطرس، ثم تحولت الأيقونات لإبراز شخصيات بعض القديسين تاريخيًا.

وفي القرن الخامس رسمت الأيقونات للتعريف بالإنجيل؛ وذلك بتصوير حوادث الإنجيل ومواضيعه، وظهرت أيضا أيقونات للبطارقة والقديسين المشهورين بالإضافة إلى الأيقونات التي تصور المسيح وتلاميذه.

(١) راجع: النصرانية دراسة مقارنة ص ١٩٠.

(٢) راجع: الطقوس الكنسية ص ٤٥.

وفي القرن السابع دخلت الأيقونات رسميًا في كنيسة إنجلترا؛ منها أيقونات لمريم العذراء وللرسل القديسين وأخرى تمثل حوادث الإنجيل ورؤيا يوحنا، وأخرى تمثل العلاقة بين العهدين الجديد والقديم، وأيقونة تمثل المسيح وهو معلق على الصليب[١].

يقول إدوار جيبون: أخذ أتقياء المسيحية يقيمون الصلاة أمام القديسين وتسربت إلى الكنيسة الكاثوليكية شعائر الوثنية المتمثلة في الركوع و إيقاد الشموع وحرق البخور وصمت صوت العقل وسرى الاعتقادُ بأن الصور لابد أن تكون قد وُهبت قوة إلهية، ويمكن اعتبارها موضوعًا صحيحًا للعبادة الدينية.... وسرى هذا الاعتقاد أيضا بالنسبة للعذراء مريم، وصدق اليونان واللاتينيون أن روحها وجسدها صعدا إلى السماء، ورسخ استخدام التماثيل والصور بل وعبادتها قبل القرن السادس الميلادي[٢].

أثر الإسلام في ظهور حركة تحطيم الصور والتماثيل بالكنائس:

لقد وُجد في العصور النصرانية المختلفة معارضون للأيقونات يصرحون بحرمة صناعتها وتقديسها، إلا أنه للحال كانت تخمد أصواتهم كلما ظهرت، وفي القرن الثامن الميلادي ظهرت حركة قوية ضد الأيقونات وتزعمت هذه الحركة الكنيسة البيزنطية، وكان هناك أشخاص كثيرون يقومون بتحطيم الأيقونات، والتنديد بعبادتها مثل: إيربنيئوس، وترتليان، وأوديجينوس، وجيروم، وأوغسطينوس وغيرهم ممن جاء بعدهم.

وقد كان لكرك من محطمي الصور والتماثيل فيذكر صاحب كتاب: «الكنيسة المغتربة» أن: (أحد الأعياد العظيم قد اقترب، وكان من عادة شعب متز أن يقوموا فيه برحلة لبضعة أميال خارج المدينة للحج إلى كنيسة مشهورة بتماثيل العذراء والقديسين،

---

(١) راجع: الطقوس الكنسية ص ٤٦، ٤٧.

(٢) المجامع المسيحية ص ٣٠٤.

وإذ امتلأ فكر لكرك بتحذيرات العهد القديم من عبادة الأوثان، وبدون أن يخبر أحدًا بما عَزَمَ، تسلل لكرك من متز في الليلة السابقة لهذا الاحتفال وحطم تماثيل الكنيسة، وعندما وصل العابدون في اليوم التالي وجدوا شظايا تماثيلِهم المحطمة منثورةً على بلاط الكنيسة امتلئوا غضبًا[١].

وقد قامت جماعة من الأساقفة الذين يقاومون الأيقونات، فالتفوا حول الإمبراطور البيزنطي لون الثالث الذي أصدر منشورًا عام ٧٢٦ م بتحطيم الأيقونات، وقد عارض الإمبراطور يوحنا الدمشقي واعتبر ذلك القرار تدخلاً غير مرغوب فيه في شئون الكنيسة، معلنًا أنه لا شأن للإمبراطور بأمر العبادة التي يجب أن يحكم فيها رجال الدين، لكن الإمبراطور «ليون» قضى على هذه الحركة المعارضة وأمر بنزع الصور من كل الكنائس في كل أنحاء الإمبراطورية[٢].

وقال يوحنا الدمشقي دفاعًا عن عبادة التماثيل: (حيث إن البعض يأخذون علينا عبادةَ وتكريم تمثال مخلِّصنا وتمثال سيدتنا، وكذلك تماثيل سائر القديسين وخدام المسيح، فليذكروا أنه في البدء خلق الله الإنسان على صورته... ولم يكن استعمال التماثيل أمرًا مألوفًا في العهد القديم ولكن بعد أن صار الله في أحشاء رحمته إنسانًا حقًّا لأجل خلاصنا.. وعاش على الأرض ـ وصنع معجزات وتألم وصُلب وقام ثانية، ورفع إلى السماء حيث إن جميع هذه الأمور قد حدثت فعلاً، وشاهدها البشر فإنها كُتبت لتذكيرنا وتعليمنا نحن الذين لم نكن موجودين وقتئذ حتى إن كنا لم نر، إلا أننا بالسمع والإيمان ننال بركة الرب، حيث إنه ليس كل إنسان يعرف القراءة أو يجد وقتًا للقراءة، فقد حبذ الآباء تصويرَ هذه الحوادث في تماثيل، باعتبارها حوادث بطوله خارقة، لتكون لهم تذكارًا قويًا مُرَكَّزًا، ولا شك أنه عندما لا تجري ذكر آلام المسيح في خواطرنا، ونرى

(١) الكنيسة المغترية ص ٢٦٥.

(٢) المسيحية في العصور الوسطى ص ٥٢، ٥٣ المجامع ص ٣١١، ٣١٢.

تمثال المسيح مصلوبًا، سرعان ما تحضرنا ذكرى آلامه فنجثوا خاشعين، لا تَعَبُّدًا للتمثال المادي بل تَعَبُّدًا لمن له التمثال.. وهذا تقليد غير مكتوب مثله مثل العبادة نحو الشرق، وعبادة الصليب وكثير من أمثال هذه الأمور[١].

وترتب على ظهور حركة معارضة الأيقونات أن عُقدت عدة مجامع بشأن الحكم على الأيقونات فكان مجمع القسطنطينية عامي ٧٥٣، ٧٥٤ م، والذي قرر تحريم عبادة الصورة وما يتعلق بها، ثم كان مجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧ م، والذي أعاد تقديس الصور، ولم يُنْهِ هذا المجمع مشكلةَ عبادة الصور والتماثيل، بل عقد مجمع فرانكفورت المحلي سنةَ ٧٩٤ م للرد على قرارات مجمع نيقية وجاء في قراراته:

١- استبعاد قرارات مجمع نيقية الثاني الذي ثَبَّتَ خدمة الأيقونات وعبادتها.

٢- رفض عبادة التماثيل، وأنه لا يجوز إطلاقا أن يقدم لها أي تعبد أو خشوع أو احترام أو تكريم، كما لا يجوز السجود قدامها أو إيقاد الشموع أو حرق البخور أمامها، ولا تقبيل هذه التماثيل عديمة الحياة ولو كانت تمثل العذراء والطفل[٢].

ولم تنته المجامع ولا الخلافات بشأن الصورة والهياكل، وازداد الصراع وانقسم النصارى إزاء هذه العبادة إلى فِرَقٍ ومذاهبَ شتى؛ ما بين مؤيد ومعارض، ومنهم من اتخذ طريقًا وسطًا في تقديس الصور والتماثيل فعظموها على أنها آثار تذكارية، وفي الغرب رفضت قرارات مجمع القسطنطينية لمقاومي الأيقونات، ونيقية الثاني لمدافعي الأيقونات معلنينَ أن العبادات تُقَدَّم لله وحده، أما القديسون فيكرمون فقط. كما أعلنوا أنه يمكن استخدامُ الأيقونات في الكنائس وإن كانت ليست ضرورية، وأنه من الغباء تقديم بخور، أو إيقاد شموع أمامها، وفي مصر حطمت الصور التي كانت تغطي حوائط الكنائس[٣].

(١) الكنيسة المغتربة ص ٥٦، ٥٧، اللاهوت المقارن جـ١/ ١٧٣.

(٢) الكنيسة المغتربة ص ٥٨.

(٣) راجع: الطقوس الكنسية ص ٤٩.

مما لاشك فيه أنه كان لظهور الإسلام الأثر الكبير في إشعال نار الحرب على عبادة الصور والتماثيل، وذلك باعتراف كُتَّاب ومؤرخي النصارى؛ يقول جاد المنفلوطي: عندما سيطر المسلمون على بلاد الشرق وشاهدوا الصور واللوحات معلقةً في الكنائس ورأوا الناس يتبركون بها و يسجدون أمامها وجد المسيحيون ذواتهم متهمينَ بتهمة الشرك والانحراف عن عبادة الإله الواحد الأحد[1].

يقول أ-هـ بردوبنت: لم ينتصف القرن السابع حتى كان الإسلام قد انتشر في الجزء الأكبر من بلاد الغرب، والإسلام يستنكر عبادة الأصنام والصور من أي نوع، وكانت الحماسة المتقدة للدين الجديد من القوة بحيث أنه في أقل من مائة سنة امتد سلطان أتباعه من الهند إلى أسبانيا[2].

ويقول رولاند بيتون أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة بيل الأمريكية: (بدأ الإسلام ونادى أن الله واحد، وقاوم الأصنام وانتصر الإسلام، وأثر تقدم الإسلام على المسيحية فقد بدأ البعض من المسيحيين ينكرون التماثيل والصور الموجودة في الكنائس بعد أن سمعوا بتعليم الدين الإسلامي.

كما وجه علماء الإسلام النقد الشديد للنصرانية المحرَّفة التي أباحت عبادة الصور والتماثيل فيقول الإمام ابن حزم: إنهم بأجمعهم متفقون على أن يصوروا في كنائسهم صورة يقولون هي صورة باطرة وصورة بولس والصليب وصورة جبرائيل وميكائيل وصورة إسرافيل ثم يسجدون للصورة سجود عبادة، و يصومون لها تدينًا، وهذا هو عبادة الأوثان بلا شك والشرك المحض، وهم ينكرون عبادة الأوثان ثم يعبدونها علانيةً، وحجتهم في هذا حجة عبادة نفسٍ وهي أنهم يتقربون بذلك إلى أصحاب تلك الصور بأعينها[3].

---

(١) المسيحية في العصور الوسطى ص ٥٢.

(٢) راجع: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٥٦.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢/ ٦١.

ويقول الإمام ابن القيم: اختاروا عبادةَ صورٍ خطوها بأيديهم في الحيطان مزرقة بالأحمر والأصفر والأزرق لو دنت منها الكلاب لبالت عليها، وأعطوها غاية الخضوع والذل والخشوع والبكاء وسألوها المغفرة والرحمة والرزق والنصر[1].

اتخاذ الصور والتماثيل ووضعها بالكنائس:

بعد ظهور حركة مقاومة الهياكل والصور واستمرارها عدة قرون وتأثُّر هذه الحركة بظهور الإسلام، إلا أنه باستمرار الوقت وطول الزمان قد أخمدت، وعادت عبادة الهياكل والصور مرة أخرى إلى الكنائس وتطور أمرها فأصبحت الهياكل والصور جزءا من الكنائس، فكل كنيسة لا تخلو من الهياكل والصور، ويوجد فيها هياكل ثلاثة تقع في شرق الكنيسة وتغطيها القباب العالية، وأهمها الهيكل الأوسط وهو الرئيس، والذي كُرس على اسم القديس أو القديسة الذي أقيمت على اسمه الكنيسةُ.

وفي داخل الهيكل يقع المذبح في الوسط، تعلوه مظلة خشبية تُزين من الداخل برسوم دينية بالألوان تمثل في الوسط منظرًا نصفيًّا للسيد المسيح، وحوله المخلوقات الأربعة والصادوفيم والشاربيم والملائكة، وأحيانًا تزين المظلة من الخارج أيضًا برسوم مختلفة.... ويوجد خلف المدرج، وهو يتخذ عادةً شكلاً نصف دائري، وفي أعلاه بوسط الحائط توجد القبلة، وفي وسطها صورة السيد المسيح وهو على العرش وجدران تلك الهياكل تُزين برسوم جصية بالألوان وتمثل مناظر للرسل والقديسين والملائكة أو الشهداء الذين يثبت على اسمهم تلك الكنائس كما تزين جدران الأجنحة والدهاليز بالرسوم، وكذلك الأعمدة الرخامية كانت تُرسم عليها صورة زيتية تمثل الرسلَ والقديسين بالألوان.

وكانت الصور والرسوم الجصية هي السائدة في الكنائس الأولى ما بعد القرن العاشر

(١) هداية الحيارى صـ٥٧، إغاثة اللهفان جـ٢/ ٢٨٨.

الميلادي تقريبًا، ثم أخذت تحل محلها الأيقونات التي تصور على اللوحات الخشبية، وانتشر استعمالها في جميع الكنائس، ولا تخلو منها أي كنيسة في جميع أنحاء القطر؛ لذلك يشاهد الهياكل وأعالي أحجبتها وجدران الكنيسة وجميع أركانها زاخرة بهذه الأيقونات على اختلاف أشكالها بأنواعها[١].

وفي كنائس النصارى الحالية توجد الهياكل والصور التي يقوم النصارى بالسجود لها عند دخولهم الكنائس ويعظمونها ويقدسونها، ويقدمون لها القرابين والنذور ويسألونها قضاء حوائجهم واستجابةَ دُعائهم.

ويبرر النصارى قيامَهم بهذه العبادة بقولهم: إننا حينما نسجد للصليب فنحن نسجد للمصلوب وليس للخشب، وإلا كنا مُلْزَمينَ أن نسجد لكل شجرة في الطريق، وإذا كانت الشياطين ترتعب من القديسين وتفر من أمامهم بل ومن ظلهم إذا خيم عليهم أفلا تكون صورهم كظلهم، كما يزعمون أن هذه الصور تساعدهم على فهم أحداث ونصوص ووقائع الكتاب المقدس.

ويقول شنودة الثالث: إننا لا نعبد الصور ولا الأيقونات وإنما نكرمها، وفي ذلك تكريم أصحابها حسب قول الرب لتلاميذه: (إن كان أحد يخدمني يكرمه الرب[٢]). (فإن كان الرب يكرم قديسيه ألا نكرمهم نحن؟)[٣].

بل إن النصارى يتمادون في ضلالهم فيزعمون أن روح القدس تحل محل الصورة بعد وضعها فوق المذبح أثناء صلاة القداس، ويصلى عليها الصلاة المدونة في كتاب التكريس

(١) راجع: الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة صـ١٢ - ١٣ ويتناول هذا الكتاب الكنائس التي توجد بمدينة القاهرة مبينًا بالتفصيل ما تشتمل عليها هذه الكنائس من أجزاء، ومبينًا الهياكل التي توجد فيها، وما تشتمل عليه كل كنيسة من صور وتماثيل وموضحًا أماكن تواجدها، راجع: صـ٢٢ :٧٤.

(٢) يو ١٢: ٢٦.

(٣) اللاهوت المقارن جـ١/ ٧٢.

ثم يمسحها رئيس الكهنة بدهن الميرون، إذا فرغ من توزيع القربان ينفخ في وجه كل صورة قائلا: اقبلوا الروح القدس ثلاث مرات[1].

إن هؤلاء القوم قد ضلوا الطريق المستقيم وأضلوا غيرهم فاتبعوهم في ضلالهم وصدق قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١ ﴾[2].

(١) راجع: الطقوس الكنسية ص٥٠.

(٢) سورة التوبة: من الآيتين: ٣٠، ٣١.

المبحث الرابع

الاختلاف الكنسي حول تقديس الصور والتماثيل وعبادتها

من خلال الحديث عن عبادة الأيقونات والتماثيل والهياكل عند النصارى تبين أنها ليست من المسيحية الصحيحة وأنها عبادة وثنية دخيلة على الدين الصحيح. وكان النصارى تجاهها فريقين، الفريق الأول مؤيد لتقديس الهياكل والصور زاعمًا أنها من الدين وأن مجمع نيقية الأول أشار إليها ضمن تقديس الصليب إلا أن النصارى لم يلتفتوا إليها إلا بعد زمن طويل.

والفريق الثاني معارض لتقديس الهياكل والصور والذي يرى في ذلك في خروجًا على روح الدين الصحيح، ودعوة إلى عبادة الأوثان التي نهت عنها النصوص المقدسة.

وترتب على ذلك عقد المجامع لمناقشة هذه القضية، وكانت نتيجة هذه المجامع غير حاسمة فكان كل مجمع يلغى قرارات المجمع الآخر ويلعن أتباع كل مجمع الفريق الآخر، واستمر الخلاف حول هذه القضية خلال العصور النصرانية[1].

وترتب على هذه المجامع زيادة الانقسامات بين الكنائس النصرانية، وبالأخص بعد مجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧م الذي أقر عبادة الصور، ولما كانت قرارات المجمع غير مُلزمة للجميع أحدث ذلك اختلافًا وكان على النحو التالي:

أ - في الغرب: قَبِلَ البابا هادريان الأول قرارات المجمع، وأصبح الكاثوليك يُجِلُّونَ ذلك المجمع على أنه المجمع السابق بين المجالس الكنسية (المسكونية)، وانقادت روما وإيطاليا لذلك.

---

(١) راجع: قصة الحضارة ج١٤/ ١٥٤ : ٥٨ ، المسيحية في عصر الإصلاح ص٩٧: ٩٩.

ب - أما كنائس فرنسا وألمانيا و إنجلترا وأسبانيا فقد اتخذت طريقًا وسطًا بين عبادة الصور وتدميرها فقبلوها في معابدهم على أنها آثار تذكارية تاريخية.

جـ - لم يوافق (كرلوس) قيصر الغرب على قرارات المجمع ولم يُقرها ورفضها؛ لأنه كان من أنصار محطمي هذه العبادة، وأمر بأن لا يسمى هذا المجمع مسكونيًا بل مجمعًا كاذبًا(١).

ويقول «رولاندبينتون» عن مجمع نيقية الثاني وما ترتب على قراراته: (كان هذا آخر مجمع تتفق فيه الكنيستان الشرقية والغربية). وقد ترك هذا الصراع حول الصور أثرَه في الكنيسة الشرقية التي رفضت التماثيل وأقرت بالصور لتستفيد من الصور وتتخلص من قرب التماثيل للعبادة الوثنية، ولكن الكنيسة الغربية ظلت محتفظة بالتماثيل للعذراء والمسيح(٢).

ثم بعد ذلك استقرت عبادة التماثيل والصور في الكنائس النصرانية و إن كان بعضها يعارض ذلك، و يعترف النصارى بأنه قد لُوحظ بالفعل ازدياد تكريم القديسين والشهداء وأصبح هذا الاتجاه الآن ثابتًا في كل حياة الكنيسة.

وتطبيقًا لقرار مجمع نيقية الذي ينص على أنه: (إذا وجد أي أسقف من الآن فصاعدًا يدشن هيكلًا بدون رفات أو ذخائر القديسين، يعزل بوصفه متعديًا على التقاليد، ومن أجل تطبيق ذلك كانت رفات وذخائر وأجزاء أجساد القديسين والشهداء جزءًا متممًا لتشييد كل كنيسة(٣).

---

(١) راجع: المجامع المسيحية ص ٣١٨ وما بعدها.

(٢) مواقف من تاريخ الكنيسة ص٢٧.

(٣) راجع: تاريخ الكنيسة جـ٣/ ٣٥٥.

أما عن موقف الكنائس الحالية من الهياكل والصور فيقول زكي شنودة: تتخذ الكنيسة القبطية (الأرثوذكسية) صور القديسين للتذكرة والعبرة، أما الكنائس البروتستانتية فتنكر ذلك، وتعتبر الصور محرمة. ويقول: سمحت الكنيسة القبطية بوضع الأيقونات في الكنائس وتسمح بعمل أيقونات بارزة أو منحوتة على شكل تماثيل حتى تبتعد عن مظاهر الوثنية. أما الكنيسة الكاثوليكية فتتخذ التماثيل فضلًا عن الصور وتقديسها في أماكن العبادة وتعظيمها والسجود لها[١].

ومن هذا يتضح أن الكاثوليك أجازوا عبادة الصور والتماثيل معًا، واحتجوا على ذلك بأن لها تأثيرًا على عواطف الشعب، وأجازت الكنيسة الأرثوذكسية عبادة الصور ويرون أنها مسألةُ لَبَاقَةٍ، كما يعتقدون أنه من الواجب تكريم أيقونة المسيح وأيقونات القديسين، وأن من الواجب السجود لبقايا القديسين وتكريمهم والاستغاثة بهم والتضرع بهم إلى الله. أما البروتستانت فقد منعوا عبادة الهياكل والصور إلا أنهم وضعوا الصليب فوق المذبح وفوق كنائسهم[٢].

ولا يؤمنون بالسجود للأيقونات ولا للقديسين، وليس للشهداء ولا القديسين شفاعة ولا معنًى للصلاة على الصالحين وطلب الرحمة لهم.

ويذكر شنودة الثالث: أن البروتستانت أصبحوا يوزعون صورًا في مدارس الأحد عن السيد المسيح والملائكة والأنبياء، وفلك نوح بكل ما يحوي من حيوانات وكذلك صورة الراعي الصالح وغنمه وصورة داود وهو يرعى، وصورة إيليا والغربان تعوله، ولعازر المسكين والكلاب تلحس قروحه.. وصورة بلعام.... وصورة الشيطان وهو يجرب المسيح على الجبل[٣].

---

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٩، ٢٧٦، النصرانية ص٢٠٤.

(٢) راجع: النصرانية دراسة مقارنة ص١٩٨، ١٩٠.

(٣) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٧٣.

وتحت عنوان: لا أيقونات ولا صور في البروتستانتية يقول شنودة الثالث: قد أخذت حرب الأيقونات دورًا هامًا في التاريخ بينهم وبين الكاثوليك؛ فلا يؤمنون بوجود صور وأيقونات في الكنيسة ولا بإيقاد شمعة أمام صورة أحد القديسين ولا ينذر على اسمه، فهذا نوع من طلب الشفاعة وهم لا يؤمنون بالشفاعة[١].

وبالرغم من هذا التصريح فإن البروتستانت كانوا يتمسكون بالوصية الثانية التي تُحرم صناعة التماثيل المنحوتة والصور، وينكرون ما وُجد عند الكاثوليك والأرثوذكس من صور وأيقونات في الكنائس[٢] وباعتبار أن شريعة موسى شريعة المسيحيين إلا ما ورد نص صريح من المسيح بنسخه أو تعديله[٣].

---

(١) المرجع السابق جـ١/ ١٧.

(٢) راجع: محاضرات في النصرانية ص١٨٧، اللاهوت المقارن جـ١/ ١٧٠.

(٣) راجع: الأسفار المقدسة ص١٤٥.

المبحث الخامس

نهي المسيح عليه السلام عن تقديس الصور والهياكل وتحريم عبادتها

لقد بُعث المسيح عليه السلام إلى قومه متبعًا شريعة التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام، والتي تحرم اتخاذ الهياكل والصور وعبادتها، وسار المسيح عليه السلام على ذلك وأمر أتباعه بما جاءت به التوراةُ، ونهاهم عن أن يقدموا العبادة لغير الله تعالى، ولما دخل الهيكل ابتدأ يُخرِجُ الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلًا لهم: مكتوب أن بيتي بيت الصلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص[1].

لم يوجد في نصوص الأناجيل التي بين يدي النصارى نص يبين أن المسيح عليه السلام أمرهم بعبادة التماثيل والصور والسجود لها؛ إذ لو كان ذلك جائزًا لهم لكان الأولى بالتلاميذ أن يسجدوا للمسيح في حياته، ولمَّا كان ذلك غير متحقق دل على أن ما يفعله النصارى غير جائز.

يقول الإمام القرافي: أكثر النصارى يسجدون للتصاوير في الكنائس، وهو من كفرهم القبيح، وأي فَرْقٍ بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير، ولو أن السجود للصور دين لسجدت التلاميذ للمسيح عليه السلام في حال حياته؛ فإن صورته أفضل مما يصورونه في الكنائس، وليس في كتبهم من حرف من شرع التصوير ولا من السجود للتصاوير، بل مملوءة بالتوحيد والتمجيد وكفر من يفعل مثل هذا[2].

كما أن تلاميذ المسيح لم يأمروا النصارى بصنع الهياكل والصور، ومثل النصارى

---

(١) راجع: إنجيل متى: ٢١/ ١٢، ١٣.

(٢) الأجوبة الفاخرة صـ٣٣٦.

كمثل قوم نوح الذين سول لهم الشيطان بأن يتخذوا تماثيل لصالحيهم تعظيمًا لهم، ثم بمرور الزمان، وتقادم العهود قدست هذه التماثيل وعبدت من دون الله أو مع الله، وقد حكى القرآن قولهم: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ۝ ﴾[1].

يقول الرازي: إنه كان يموت أقوام صالحون فكانوا يتخذون تماثيل على صورهم يشتغلون بتعظيمها، وفرضهم تعظيم أولئك الأقوام الذين ماتوا حتى يكونوا شافعين لهم عند الله وهو المراد من قولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[2]...... وأنه ربما مات ملك عظيم أو شخص عظيم فكانوا يتحذون تمثالًا في صورته و ينظرون إليه، فالذين جاءوا بعد ذلك ظنوا أن آباءهم كانوا يعبدونها فاشتغلوا بعبادتها لتقليد الآباء، أو لعل هذه الأسماء وهي: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر أسماء خمسة من أولاد آدم، فلما ماتوا قال إبليس لمن بعدهم: لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم ففعلوا، فلما مات أولئك فال لمن بعدهم: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم[3].

ويتقرب النصارى إلى الهياكل والصور من أجل أن تقبل عبادتهم ويشفعون لهم عند الله، حالهم حال مشركي العرب الذين قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[4] وقد سبق بيان مدى التشابه بين عبادة الهياكل والصور عند الأمم الوثنية وما عند النصارى، ومما لاشك فيه أن هذه العبادة كفر بالله وضلال كبير يبرأ منها أنبياء الله ورسله؛ لأنهم لم يكونوا لِيَدْعُوا إلى ضلالة، والمسيح عليه السلام بريء من عبادة الهياكل والصور وتقديسها عند من يزعمون أنهم أتباعه وعلى دينه من النصارى.

---

(١) سورة نوح: الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الزمر: الآية: (٣).

(٣) التفسير الكبير للرازي جـ٣/ ١٤٣، ١٤٤.

(٤) سورة الزمر: الآية: (٣).

فلقد زين لهم الشيطان سوء صنيعهم كما زين للمشركين الذين كانوا يطوفون بالبيت عرايا ولا يقفون بعرفات ويزعمون أن الله أمرهم بهذا، فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(١)]، وهؤلاء النصارى وأمثالهم هم الأخسرون أعمالاً قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ ﴾[(٢)].

يقول الإمام ابن القيم عن مكايد الشيطان بالنصارى: (ومن أعظم مكايده ـ أي الشيطان ـ التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته: ما أوحاه قديمًا وحديثًا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثانًا، وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجسادًا لها ظل، ثم جعلت أصنامًا، وعُبدت مع الله تعالى[(٣)].

فما يزعمه النصارى اليوم من عبادة الهياكل والصور مدعين أن دينهم يأمرهم بهذا إنما هو من تزيين الشيطان لهم هذه العبادة، ولقد سبقهم أجدادهم اليهود من قبل، فنسبوا إلى نبي الله هارون أنه صنع العجل، ففي سفر الخروج: (لما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا؛ لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وأتوني بها، ونزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم

(١) سورة الأعراف: الآية: ٢٨.
(٢) سورة الكهف الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.
(٣) إغاثة اللهفان جـ١/ ٢٠٢.

وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكًا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر)[1].

ولقد نزَّه الله تعالى هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ مما نسبه القوم إليه، وبيَّن القرآن الكريم أن الذي صنع العجل الذهبي هو السامري، أما هارون فقد قال لهم كما ذكر القرآن الكريم: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾[2] وبعد رجوع موسى قال لهم: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾ ثم قال موسى للسامري: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ ثم توجه موسى إلى بني إسرائيل قائلاً: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾[3].

كما صرحت نصوص العهد القديم بأن سيدنا سليمان قد ارتد وعبد الأصنام لتأثره بزوجاته الحسان الوثنيات، فقد ورد سفر الملوك: (أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موابيات وعمونيات وأروميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم؛ لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات

---

(١) سفر الخروج: ٣٢/ ١ - ٤.

(٢) سورة طه: الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٣) سورة طه: الآيات من ٨٦: ٩٨.

وثلاثمائة من سراري، فأمالت نساؤها قلبه وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب إلهة كقلب داود أبيه)(١).

ولقد نزه الله سليمان مما نسبه القوم إليه كما نزه هارون من قبل، فقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢). وقال: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾(٣).

وقال: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾(٤).

وإذا كانت الآيات تبيِّن أن الجن كانوا يصنعون التماثيل لنبي الله سليمان، فإن التماثيل التي كانت في عهده ـ كما ذكر العلماء ـ لم تكن تماثيل لذي روح من إنسان أو طير أو حيوان، وإنما كانت تماثيل لما لا روحَ له كالأشجار والمناظر الطبيعية فتكون شريعته عليه السلام موافقة لشريعتنا(٥).

وبناءً على ما تقدم يمكن القول بأن ما ينسبه النصارى اليوم إلى المسيح من إباحة

---

(١) سفر الملوك الأول: ١١/ ١ - ٤.

(٢) سورة ص: الآية ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٤) سورة سبأ: الآيتان ١٢، ١٣.

(٥) راجع: تفسير آيات الأحكام جـ٢/ ٤٠٦.

عبادة الهياكل والصور، أو ما ينسبونه إلى تلاميذه مثل ما نسبه اليهود من قبل إلى موسى وهارون وسليمان، ودونوه في كتبهم المقدسة لديهم غير صحيح.

فالمسيح عليه السلام ما أمرهم إلا بعبادة الله وحده، ولم يأمرهم بعبادة أحد سواه سواء كان هذا المعبود من البشر أو مما يصنعه القوم بأيديهم من تماثيل وصور، فليس للمسيح صلة بما يفعله النصارى من تقديسهم للهياكل والصور والسجود لها عند دخولهم الكنائس.

المبحث السادس

تحريم الإسلام ونهيه عن اتخاذ الصور والتماثيل وتقديسها

لقد كان للإسلام موقف حاسم وقاطع من التماثيل والصور؛ فنعى القرآن الكريم على التماثيل وشنَّع على من كان يعكف عليها: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ ﴾[1] وندد بمن يتخذ الأصنام والأوثان آلهة ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾[2].

وفي القرآن الكريم من قصص إبراهيم عليه السلام في تحطيم الأصنام ما هو معروف، وقد ورد أن رسولنا محمدًا ﷺ حطم الأصنام التي كانت في جوف الكعبة والتي كانت على الصفا والمروة، والدين الإسلامي دين التوحيد وعدوُّ الشرك، وليس في الإسلام ذنب أعظم من الشرك؛ ولذلك فقد كانت حملته شديدة على الأصنام، وحرمت الشريعة الإسلامية (التماثيل) لأنها تؤدي إلى ذلك المنكر الفاحش. ولفت القرآن الكريم الناس إلى الإخلاص في العبادة والعبودية لله رب العالمين، وساق القرآن كثيرًا من المحاجة التي جرت والمحاورات بالمنطق والاستدلال العلمي فيما بين الأنبياء وأقوامهم من شأن عبادة غير الله في العديد من السور.

وجاءت السنة المطهرة بالنعي على التصوير والمصورين، والنهي عن اتخاذ الصور والتنفير منها؛ ولذلك فإن من المقطوع به أن الإسلام حرم التماثيل والتصاوير تحريمًا قاطعًا جازمًا.

---

(١) سورة الأنبياء: من الآية: (٥٢)

(٢) سورة الصافات: الآيتان: ٩٥، ٩٦.

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تدل على التحريم حتى كانت تبلغ حد التواتر، ومن هذه الأحاديث على سبيل المثال لا الحصر:

ما رواه الإمام البخاري عن ابن عباس عن أبي طلحة رضي الله عنهم قال: قال النبي ﷺ: (لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلبٌ ولا تصاوير[١]).

وما رواه الأعمش عن مسلم قال: كنا مع مسروق في دار يسار بن تمير فرأى في صُفَّتِهِ تماثيل، فقال: سمعت عبد الله قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: (إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورن[٢]).

وروى الإمام مسلم عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (أخبره) أن رسول ﷺ (قال: إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم[٣]).

(وعن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل؛ فعرفت في وجهه الكراهية، قالت: يا رسول الله، أتوب إلى الله و إلى رسوله، ماذا أذنبتُ؟ قال رسول الله ﷺ: هذه النمرقة؟ فقالت: اشتريتها تقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: إن أصحاب هذه الصور يُعذبون يومَ القيامة، و يقال لهم: أَحْيُوا ما خلقتم. وقال: «إن البيت الذي فيه صور لا تدخله الملائكة»[٤].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب اللباس باب التصاوير جـ٤/ ٤٤ شرح صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان جـ٤/ ٨٤، الموطأ كتاب الاستئذان باب ما جاء في الصور والتماثيل جـ٣/ ٩٦٥.

(٢) صحيح البخاري: جـ٤/ ٤٤ كتاب اللباس باب التصاوير.

(٣) شرح صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم وتصوير صور الحيوان جـ١٤/ ٥٣.

(٤) شرح صحيح مسلم كتاب اللباس باب تحريم تصوير الحيوان جـ١٤/ ٩٠. صحيح البخاري جـ٤/ ٤٥.

وعن عمر بن حطان عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئا فيه تصاليب إلا نقضه[١].

وعن سعيد بن أبي الحسن قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال: يا ابن عباس، إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير. فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: سمعته يقول: (من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروحَ وليس بنافخٍ فيها أبدًا فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه ـ فقال: ويحك، إن أبيت إلا أن تصنع فعليكَ بهذا الشجرِ وكل شيء ليس فيه روح[٢].

وعن قتادة قال: كنت عند ابن عباس وهم يسألونه ولا يذكر النبي ﷺ حتى سئل فقال: سمعتُ محمدًا ﷺ يقول: (من صور صورة في الدنيا كُلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ[٣]).

وعن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسةً رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي ﷺ فقال: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصور فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة[٤].

ويظهر من هذه النصوص النبوية السابقة أن العلة في تحريم التماثيل والصور هي المضاهاة والمشابهة لخلق الله تعالى، والبعد عن مظاهر الوثنية بحماية العقيدة من الشرك

---

(١) رواه البخاري كتاب اللباس باب التصاوير جـ٤/ ٤٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب البيوع باب بيع الصور جـ٢/ ٢٨.

(٣) صحيح البخاري جـ٤/ ٢٦ كتاب اللباس باب مَنْ صَوَّرَ صورةً كُلف أن ينفخ فيها الروح.

(٤) صحيح البخاري جـ١/ ٨٦ كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد.

وعبادة الأصنام[١] فما دخلت الوثنية إلى الأمم الغابرة إلا عن طريق الصور والتماثيل كما دل عليه حديث أم سلمة وأم حبيبة، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوَّروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة، وكما حدث لقوم نوح من عبادتهم لود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا[٢]).

إن الغلو في تعظيم الصالحين والقديسين في حياتهم والتبرك بآثارهم وقبورهم بعد مماتهم هما أوسع أبواب الشرك بالله، وقد سدهما النبي ﷺ سدًّا عنيفًا فلم يُقر أحدًا على الغلو في تعظيمه حبًّا أو تعظيم قبره منها.

وقد روى النسائي عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[٣]) وعن عطاء بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[٤]).

---

(١) راجع الحلال والحرام في الإسلام صـ٩٨، تفسير آيات الأحكام جـ٢/ ٤٠٩ وما بعدها.

(٢) يحرم من الصور والتماثيل: التماثيل المجسمة إذا كانت لذي روح من إنسان أو حيوان والصورة المصورة باليد لذي روح حرام بالاتفاق، والصورة إذا كانت كاملة الخلق بحيث لا ينقصها إلا نفخ الروح وتحرم الصورة إذا كانت بارزة تُشعر بالتعظيم ومعلقة يراها الداخل. أما ما يباح من الصور والتماثيل: فكل صورة أو تمثال لما ليس بذي روح كتصوير الجمادات والأنهار والأشجار، والمناظر الطبيعية التي ليست بذات روح فلا حرمة في تصويرها، وكل صورة ليست متصلة الهيئة كصورة اليد وحدها أو العين أو القدم فإنها لا تحرم؛ لأنها ليست كاملة الخلق، وكما يستثنى من التحريم لعب الأطفال، أما التصوير الفوتوغرافي فيرى الفقهاء أنه لا يدخل دائرة التحريم فليس فيه مضاهاة أو مشابهة لخلق الله وأن حكمه حكم الرقم في الثوب المستثنى بالنص؛ يقول الشيخ السايس: إن هذا ليس تصويرًا بل حَبْس للصورة وما مثله إلا كمثل الصورة في المرآة. لا يمكنك أن تقول. إن ما في المرآة صورة، وإن أحدًا صوَّرها، راجع: تفسير آيات الأحكام للسايس جـ٤/ ٦١، وتفسير آيات الأحكام للصابوني جـ٢/ ٤١١. وما بعدها، والحلال والحرام في الإسلام صـ١٤٤.

(٣) سنن النسائي - كتاب الجنائز - باب اتخاذ القبور مساجد جـ٤/ ٧٨.

(٤) الموطأ - كتاب قصد الصلاة في السفر - باب جامع الصلاة جـ١/ ١٧٢.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: (لا يجتمع في دين الإسلام قبر ومسجد بل أيهما طرأ على الآخر منع منه وكان الحكم للسابق ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدًا، ولعن زوارات القبور، وكان هديه أن لا تهان القبور وتوطأ ويجلس عليها ويتكأ عليها، ولا تعظم بحيث لا تتخذ مساجد فيصلى عندها وإليها، وتتخذ أعيادًا وأوثانًا[1]).

ولقد سبق بيان أنه كان للإسلام الأثر الكبير في وجود معارِضين من النصارى للهياكل والصور؛ وذلك بعد اتصالهم بالمسلمين وفد اعترف كُتابهم بذلك.

(١) راجع زاد المعاد جـ١/ ١٤٦، إغاثة اللهفان جـ١/ ٥٣، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم صـ١٠٧، العبادات في الإسلام صـ٩٣.

الفصل الثاني

تقديس النصارى للصليب وحمله وموقف الإسلام منه

المبحث الأول: تعريف الصلب والفداء.

المبحث الثاني: بيان عقيدة الصلب والفداء عند النصارى ومناقشتها.

المبحث الثالث: بيان عقيدة قيامة المسيح عند النصارى ومناقشتها.

المبحث الرابع: اختلاف الكنائس في تقديس الصليب وحمله.

المبحث الخامس: المسيح عليه السلام لم يعرف الصليب ولم يأمر بحمله.

المبحث السادس: الإسلام ينفي القتل والصلب عن المسيح عليه السلام.



المبحث الأول

تعريف الصلب والفداء

[١] تعريف الصليب:

جاء في لسان العرب: الصليب والصلب: الصديد الذي يسيل من الميت، والصلب مصدر صلبه يصلبه صلبًا، وأصله من الصليب وهو الودك، وفي حديث عَلِيٍّ أنه استفتى في استعمال صليب الموتى في الدلاء والسفن فأبى عليهم، وبه سمي المصلوب لما يسيل من ودكه، والصلب هذه القتلة المعروفة، واشتق من ذلك لأن دكه وصديده يسيل، وقد صلبه صلبًا وصلبه شُدد للتكثير... والصليب: المصلوب، والصليب الذي يتخذه النصارى +++قتله والجمع صلبان وصُلب..... وثوب مصلب فيه نقش كالصليب[١].

وفي مختار الصحاح: (الصلب) و(الصليب) الشديد وبابه ظرف، و(الصلب) معروف وبابه ضرب و(صلبه) أيضا شُدد للكثرة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[٢] وجمع الصليب (صلب) بضمتين، وصلبان[٣].

وفي قاموس الكتاب المقدس: صلب يصلب صلبًا ـ صليب: صلب الضحية: تعليقها على صليب تنفيذًا لحكم الإعدام فيها، وكان يتم ذلك بربط اليدين بالرِّجلين به أو بصورة أفظع بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية[٤].

ويعتبر النصارى الصليب هو رمز الإيمان عندهم ويفتخرون به بالرغم مما كان

(١) لسان العرب جـ٤/ ٢٤٧٧

(٢) سورة طه الآية: ٧١.

(٣) مختار الصحاح صـ٣٦٧، القاموس القويم جـ١/ ٣٨٠.

(٤) قاموس الكتاب المقدس صـ٤٤٥.

يلحق صاحبه من قبل من خزي وعار، وهو موضع تقديس الأكثرين، وحمله علامة على أنهم من أتباع المسيح، وفي معجم اللاهوت الكتابي: (لقد مات يسوع) مصلوبًا فأصبح الصليب الذي كان أداة للفداء مع الموت والألم والدم أحدَ الأركان الأساسية التي تساعد على تذكيرنا بخلاصنا، إنه لم يعد عارًا بل أصبح مطلبًا وعنوانًا للمجد، للمسيح أولًا ثم للمسيحيين من بعده[1]).

ويستند النصارى إلى عدة نصوص على عقيدة الصلب والفداء؛ منها ما جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: (فالله إذا أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح[2])، (ولكن الله بَيَنَّ محبتَه لنا لأنه ونحن بعد خطاه مات المسيح بأجلنا فبالأولى كثير ونحن متبررون الآن بدمه نخلص من الغضب[3]).

[٢] الفـــداء:

(الفِداء) بالكسر يُمد ويقصر، وبالفتح يقصر لا غير و (فداه) و (فاداه) أعطى فداء فأنقذه و (فداه) بنفسه و (فداه تفديه) قال له: جُعِلْتُ فداك، (تفادوا) فدى بعضُهم بعضًا و (افتدى) منه بكذا. و (تفادى) فلان من كذا تحاماه وانزوى عنه. والفدية و (الفدى) والفداء كله بمعنى[4].

وفي القاموس القويم: فداه: دفع مالاً فخلصه من الأسر بفدية فداء، والمال المدفوع يسمى فدية وفادى فداء ومفاداة: بتبادل أسرى بأسرى.... وفاداه: دفع فديته وأنقذه مثل

---

(١) راجع: معجم اللاهوت الكتابي صـ٤٨٢، أديان العالم ٢٥٧.

(٢) رومية: ٨/ ٣، ٤.

(٣) رومية: ٥ / ٨، ٩.

(٤) مختار الصحاح صـ ٤٩٤.

فداه، ويطلق الفداء على الفدية، ما يقدم من المال لتخليص الأسير أو ما يقدمه لله جزاءً لتقصير في العبادة مثل كفارة الصوم والحلق ولبس المخيط في الإحرام، والأضحية: فداء... وافتدى: قدم الفدية عن نفسه ليخلصها من الأسر، وافتدى الأسير فداه وأنقذه[١].

وفي قاموس الكتاب المقدس: فدى فداء فاد افتدى: تشير لفظة الفداء في العهد القديم في أغلب الأحيان إلى خلاص الجسد، وأما في العهد الجديد فتشير إلى الخلاص من الخطيئة ومن نتائجها، وإلى الخلاص من رق الناموس، وإلى بذل الجهد في استعمال الوقت في خدمة الله... ومن التأمل في الشرائع التي كانت سائدة في العهد القديم تتجلى أمورٌ كثيرةٌ تُشير إلى مبدأ الفداء الذي أكمله المسيح إذْ قدم نفسه لفك كل قيد ورفع كل مسؤولية وافتداءِ جميع من كانوا تحت رِقِّ عبودية الخطيئة بشرط أن يقبل الخطأ الفادي بإيمان قلبي[٢].

فالفداء هو الخلاص من الموت الناتج عن الخطيئة التي دخلت إلى البشرية بآدم[٣] ومن الأدلة التي يستدل بها النصارى على الفداء ما جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: (من أجل ذلك كأنما إنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع)[٤] و (لأن أجْر الخطية هو الموت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع، ولكن الله بَيَّنَ محبتَه لنا لأننا ونحن بعدُ خطاة مات المسيح لأجلنا[٥]).

ومن رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: (لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا

(١) القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم جـ٧٤ بتصرف.

(٢) راجع: قاموس الكتاب المقدس صـ٦٧٢، معجم اللاهوت الكتابي صـ٥٩٥.

(٣) مبادئ العقائد المسيحية صـ١٦.

(٤) رومية: ٥/ ١٢.

(٥) رومية: ٦/ ٢٣.

في المسيح سيحيا الجميع[١]). وفي إنجيل لوقا: (مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه[٢])، وفي رسائل بولس: (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذْ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلق على خشبة[٣]).

---

(١) رومية: ٥/ ٨.

(٢) اكو: ١٥/ ٢٢.

(٣) لوقا: ١/ ٦٨.

المبحث الثاني

بيان عقيدة الصلب والفداء عند النصارى ومناقشتها

أولا: بيان عقيدة الصلب والفداء:

يعتقد النصارى أن المسيح مات مصلوبًا فداء للخليقة، وذلك أن الله لشدة حبه للبشر من ناحية أخرى فقد أرسل وحيده ليخلص العالم من الخطيئة التي ارتكبها آدم حينما أكل من الشجرة المحرمة، وأن عيسى قد صلب عن رِضًى تامٍّ فتغلب بذلك على الخطيئة، وأنه دفن بعد صلبه وأنه قام بعد ثلاثة أيام متغلبًا على الموت ثم ارتفع إلى السماء.

وتعتبر عقيدة الصلب من أهم الأسس التي قامت عليها العقائد النصرانية، بل هي الأساس الذي تدور حوله هذه العقائد؛ فمسألة البنوة والتأليه في نظرهم علة لمسألة الصلب(١).

ومن لم يؤمن بقضية الصلب لا يعد نصرانيًّا، لذلك أدمجوا قضية الصلب في دستور إيمانهم الذي يجمع كل عقائدهم فقالوا فيه: (هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومريم العذراء، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي، وتألم وقُبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب)(٢).

وعلى هذا فالله ـ كما يزعم النصارى ـ نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء وتأنس وصلب، ورضي بإراقة دمه ليرفع على البشر وزر خطيئة آدم(٣).

---

(١) راجع: مشكلات العقيدة النصرانية صـ ١١٣، الفاروق بين المخلوق والخالق صـ ٤٠٠ والنصرانية والإسلام صـ٧١ هذا هو الحق رد على مفتريات كاهن كنيسة صـ٥٧.

(٢) راجع: المجامع المسيحية صـ٢٤٢.

(٣) راجع: الملل والنحل للشهرستاني صـ ٢٣٥ الأسفار المقدسة صـ ٩١ بين الإسلام والمسيحية صـ٧٢، دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام، منصور حسن منصور صـ ٢٠٢.

واشترط أتباع المسيح حمل الصليب تنفيذًا للوصية التي جاء فيها (من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني)[١]، وحول هذا النص يقول جورج فورد: (هذا بالأكثر هو التمثيل بالمسيح الذي حمل صليبًا لم يضعه آخر عليه بل هو قصد وأقامه وحمله حبًّا ليخلص النفوس من الخطيئة والهلاك)[٢].

ويمكن تلخيص عقيدة الصليب على النحو التالي:

١- الخطيئة الأصلية وتوارثها

خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحواء عليهما السلام وأسكنهما الجنة، وأحل لهما كل أطيابها وما نهاهما عن شيء إلا عن شجرة واحدة وأوصاهما ألا يقرباها، ولكن آدم وحواء عَصَيَا ربهما وأكلا من الشجرة فترتب على ذلك سقوطهما في الخطأ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[٣].

ولكن هل أصر آدم وحواء على فعلتهما؟

يحدثنا القرآن الكريم أن آدم وحواء تابا إلى الله وندما على فعلتهما فقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٥].

---

(١) مرقس: ٨/ ٣٤

(٢) القول الصريح في سيرة يسوع المسيح صـ٣٠٢.

(٣) سورة البقرة: الآيتان: ٣٥، ٣٦.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٣٧.

(٥) سورة الأعراف: الآية: ٢٣.

ويرفض القرآن الكريم أن تنسحب خطيئة آدم وحواء على كل الناس كما يعتقد علماء اللاهوت النصارى؛ فالمسؤولية الدينية في نظر القرآن الكريم شخصية محضة أنزل الله ذلك في آيات عدة[١] وقال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[٢]، ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[٣]، ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٤].

ولكن النصارى يرون أن الله تعالى لم يغفر لآدم خطيئته بل تقتصر هذه الخطيئة على آدم وحواء؛ فلقد امتدت حكم الدم الموبوء بالخطيئة إلى البشرية كلها على مر الأجيال[٥] ويؤكد ذلك القس إلياس مقار بقوله: (وغير خافٍ أن الأبوين الأولين لم يُصْبِحَا خاطئين فحسب بل مورثين الخطيئة لجميع أبنائهما على وجه التعاقب والاستمرار[٦]).

ويشير إلى ذلك بولس بقوله: (من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الميت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع)[٧].

وفي رسالة حنا مقار العيسوي إلى أبي عبيدة الخزرجي قوله:

(أما بعد، حمد الله الذي هدانا لدينه، وأيدنا بيمنه وخصنا بابنه ومحبوبه ومد علينا رحمته بصلبه يسوع المسيح إلهنا، الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، والذي فدانا بدمه المقدس، ومن عذاب جهنم وقانا ورفع عن أعناقنا الخطيئة التي كانت في أعماق

(١) بين الإسلام والمسيحية صـ١٠ بالهامش.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة النساء: الآية: ١١١.

(٤) سورة الإسراء: الآية: ١٥.

(٥) راجع: المسيح إنسان أم إله صـ١٤٣، ومشكلات العقيدة النصرانية صـ١١٤.

(٦) القضايا المسيحية الكبرى صـ٣٧٣، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل صـ٣٥٨ وما بعدها.

(٧) رومية: ٥/ ١٢.

بني آدم بسبب أكله من الشجرة، التي نهى عنها مخلصنا المسيح بدمه وفدانا بدمه وعذاب جهنم وقانا، أهرق دمه في مرضات جميع ولد آدم إذا كان الذنب باقيًا في أعناق جميعهم فكلهم تخلص منه إلا من كفر به وشك فيه...[(١)]).

فآدم حين ارتكب الخطيئة لم يعاقبه الله عليها ولم يقتص منه لأن جزاء الخطيئة[(٢)] هو الموت، ولكن الله لم ينفذ حكم الموت الجسدي في آدم الذي أنذره به في حالة العصيان: (حين تأكل منها موتًا تموت) بل أنقذه من هذا الموت، وذلك بتوقع الموت على حيوان عوضًا عنه، وإن كانت هذه الذبيحة الحيوانية في حد ذاتها غير كافية للفداء لكن لأنها كانت رمزًا إلى ذبيحة عظمى في نظر الله لذلك اكتسبت وقتئذ شرعًا قوة الفداء[(٣)].

وقد وضع النصارى للفدية شروطًا كلها تنطبق على عيسى لكي يبرروا صلبه ومنها:

(١) أن يكون هو نفسه بلا خطية ـ لأن المديون لا يستطيع أن يوفي دَين غيره.

(٢) أن يكون من جنس البشر لكي يكون العقاب صحيحًا.

(٣) أن تكون لطاعته وآلامه قيمة غير محدودة لكي يستطيع أن ينوب عن جميع البشر، ولا يكون كمجرد الذبائح الوقتية التي كان اليهود يقدمونها في العهد القديم.

---

(١) بين الإسلام والمسيحية صـ٥٩ وما بعدها صـ ٧٢ الأجوبة الفاخرة صـ٢٩٧.

(٢) سبق الحديث عن الخطيئة وأنواعها عند النصارى في الباب الثاني، الفصل الرابع، عند الحديث عن سر التوبة، وقد تبين أن الخطيئة عند النصارى نوعان: خطيئة موروثة، وخطيئة فردية، الخطيئة الموروثة التي يزعمون أنهم ورثوها عن آدم بعد عصيانه وأكله من الشجرة المحرمة، والخطيئة الفردية: هي التي يرتكبها الإنسان من تعدٍّ على الآخرين بالفعل والقول، وقد جاء الرد على عقيدة الخطيئة عند النصارى في نفس الفصل عند الحديث عن المسيح عليه السلام وصلته بسر التوبة عند النصارى.

(٣) راجع: فلسفة الغفران عوض سمعان صـ٨٠ مبادئ العقائد المسيحية صـ٢٦، يسوع المسيح في ناسوته ولاهوته صـ٨٦، المسيحية في الإسلام صـ١٦٠، الله واحد أم ثالوث صـ٣٨، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي صـ٣٦.

(٤) أن يكون في أسمى مرتبة ممكنه في نظر الله، لكي يقبل الله نيابته عن جميع البشر، وهذه الصفات كلها لا توجد إلا في شخص المسيح فهو إنسان كامل وإله كامل.....[١].

٢- العدل والرحمة:

يقول النصارى: إن الله من صفاته العدل والرحمة فبمقتضى عدله كان عليه أن ينفذ حكم الموت في آدم وحواء تنفيذًا لِوَعْدِهِ السابق: (لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت) ولكن بمقتضى رحمته كان عليه أن يعفو عنها بلا قيد ولا شرط[٢]).

وهكذا يتنازع الإنسان مطلبانِ: العدل بطلب تنفيذ الحكم عليه كاملًا لا تساهل فيه ولا تفريط، والرحمة تُطلب من جانبها الصفح عنه صفحًا تامًّا لا حساب فيه ولا عتاب، وَكِلاَ المطلبين يغاير الآخَرَ بل يناقضه، ومن المستحيل أن يتصرف تصرفًا تدعو إليه رحمته ويكون مناقضًا لعدله أو يفعل ما يتطلبه عدله وتناقضه رحمته، فارتباط الله بقانونه الذاتي يجعله لا يصنع رحمة تمس عدله، ولا عدلاً يمس رحمته[٣]).

فكيف يكون الحل لهذا المشكلة التي تجمع بين مطلبين متناقضين؟

يجيب على ذلك القس وديع ميخائيل قائلا: (كان لابد أن يتدخل الله نفسه لكي يحل مشكلة عدالته ورحمته، وما كان في الاستطاعة أبدًا إيجاد حل لهذه المعضلة إلا عن طريق الله خاصةً وأن العالم كله بدخول الخطيئة إليه اجتاز الموت إلى جميع أفراده بلا استثناء تحت قصاص من الله، وهنا يأتي دور التجسد وضرورته[٤]).

(١) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي صـ٢٨٣، كفارة المسيح صـ ١١٣، مبادئ العقائد المسيحية صـ٣٣.
(٢) راجع: المسيح إنسان أم إله ص١٤٣.
(٣) راجع: المسيحية في الإسلام: إبراهيم لوقا ص ١٦١.
(٤) راجع: براهين ألوهية المسيح ص ١١٢.

٣- الكفارة بسفك الدم:

يقول بولس في رسالته إلى العبرانيين: (وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة[١]).

ولكن ما هي الفدية التي يمكن أن تكفر عن آدم وما هي الدماء التي يكفي سفكها لتخليص آدم وزوجته وذريته من الخطيئة ـ يقول إبراهيم لوقا: إن الفدية يجب أن تكون طاهرة من كل عيب ودنس، مقدسة بلا لوم، وليس في كائنات العالم بأسرها من هو طاهر وقدوس وبلا عيب سوى الله عز وجل، ويجب أن تكون أيضا عظيمة القدر توازي ثمن العالم بأجمعه سوى الله.

وهنا نشأت مشكلة أخرى هي أن الله لا جسد له يقدمه فدية عن العالم فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسدًا فيه يتحد اللاهوت والناسوت، وهذا ما تم في السيد المسيح باعتباره اللهَ ظهر في الجسد، ففي المسيح كمال مَطْلَبَيِ العدلِ والرحمةِ، وهكذا كان لابد لله أن يتجسد ويتخذ صورة بشر ليموت عن البشر[٢]).

وعن هذا يقول بولس: : (لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة ومولدًا تحت ناموس يفتدي الذين هم تحت الناموس لننال التبني[٣]).

لكن لماذا كان موت المسيح عن طريق الصلب، ولم يمت بطريقة أخرى؟ يجيب على ذلك الأنبا شنودة الثالث بقوله:

---

(١) عب: ٩/ ٢٢.

(٢) راجع: المسيحية في الإسلام صـ١٦٢، خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية صـ٢٨ وما بعدها.

(٣) غلاطية: ٤/ ٤.

قد كان الموت بالصليب يعتبر عارًا فاختار الرب أشنع الميتات وأكثرها عارًا في ذلك الزمان؛ ولذلك يقول الرسول عن الرب إنه: (احتمل الصلب مستهينًا بالخزي[1]).

إذن في الصليب خزي؛ ولهذا يقول: فلنخرج إليه إذن خارج المحلة حاملين عاره؛ لأن الصليب كان معتبرًا عارًا، وفي العهد القديم كان الصليب يعتبر لعنة إذ قيل: (ملعون كل من عُلق على خشبة) والسيد المسيح أراد بالصليب أن يحمل كل اللعنات التي وقعت على البشرية، وأشار إليها الناموس[2]، لكي يمنحنا بركة ولا تكون هناك لعنة فيما بعد، وكان الصليب يعتبر عثرة بالنسبة لليهود[3]، فاختار المسيح هذا العار، وحول الصليب إلى قوة...

وكان الصليب أيضًا من أكثر أنواع الموت إيلامًا؛ إذ تتمزق فيها أنسجة الجسد بطريقة مؤلمة جدًّا كما يجف الماء الموجود في الجسد لكثرة النزيف والإرهاق الجسدي، والمسيح بهذا حمل الآلام ـ التي كانت تستحقها البشرية والصليب كان ميتة يرتفع فيها من يموت على الأرض، وهكذا قال المسيح: (وأنا إن أرتفع أجذب إلى الجميع، وهكذا كما ارتفع على الصليب، ارتفع إلى المجد في صعوده ورفعنا عن مستوى الأرض والتراب بصلبنا معه... وكان في موته باسطًا ذراعيه لكل البشرية إشارةً لقبوله الكل[4].

٤- الصلب ووصف عملية التنكيل والتعذيب التي مر بها عيسى «الإله المتجسد قَبْلَ صلبه»:

أسهب كُتَّابُ النصرانية في سرد نظرية الصلب، ووصف عمليه التنكيل والتعذيب

(١) عب: ١٢/ ٢.

(٢) راجع: تثنية: ٢٨.

(٣) أكو ١/ ١٨.

(٤) راجع: سنوات مع أسئلة صـ٤٨، ٤٩.

التي مر بها عيسى «الإله المتجسد» قَبْلَ صلبه، تتفق الأناجيل التي تعترف بها الكنيسة على أن المسيح قد صُلب، ولا يشذ عن هذه الأناجيل سوى إنجيل برنابا وهو من الأناجيل التي لا تعترف بها الكنيسة، كما تتفق الأناجيل الأربعة على أن المسيح كان يَعرف أنه سيُصلب، وكان يعرف الوقت الذي سيُصلب فيه، كما كان يَعرف على وجهِ التحديدِ أن تلميذَه يهوذا الإسخريوطي هو الذي سيسلمه لمن سيصلبونه، بل إن الأناجيل تذكر أن المسيح كان يعرف مقدمًا الحالة التي سيكون عليها كل تلميذ من تلاميذه؛ فيهوذا سيسلمه إلى أعدائه ليصلبوه، وبطرس سينكر معرفتَه به ثلاثَ مرات، وكلهم سيشكون فيه ليلة تسليمه[1].

وسأقتصر هنا على بعض ما ورد في الأناجيل حول هذه القضية، فيقول مرقس في إنجيله عن كيفية القبض على عيسى تمهيدًا لصلبه: (وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه ولكنهم قالوا: ليس في العيد لئلا يكون شغب... ثم إن يهوذا الإسخريوطي واحد من الاثني عشر، مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم، ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة، وكان يطلب كيف يسلمه في فرصة موافقة... ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع: الحق أقول لكم: إن واحدا منكم يسلمني الآكل معي فابتدءوا يحزنون ويقولون له واحدا فواحدا: هل أنا؟ وآخر: هل أنا؟ فأجاب وقال لهم: هو واحد من الاثني عشر الذي يغمس معي في الصفحة... وجاء إلى ضيعة اسمها جثسيماني فقال لتلاميذه: اجلسوا هاهنا حتى أصلي، ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينة جدًّا حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا، ثم تقدم قليلًا وَخَرَّ على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن، وقال: يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك فأجرعني هذه الكأس).

---

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٥٧ وما بعدها، خلاصة الأصول الإيمانية صـ٤٥ وما بعدها، القول الصريح في سيرة يسوع المسيح صـ٤٠٤، ٤٩٦، الحقيقة بين المسيحية والإسلام صـ ٤٦، المسيح والمسيحية والإسلام صـ١٧٤.

ويمضي مرقس في روايته فيقول: (وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وَعِصِيٍّ من عند رؤساء الكهنة والكنيسة والشيوخ، وكان مُسَلِّمه قد أعطاهم علامة قائلاً: الذي أُقَبِّلُهُ فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه[(١)]).

كما يذكر متى ما حدث للمسيح من صلب وتنكيل فيقول: (فقال لهم بيلاطس: ـ أي للشعب ـ فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟ قال له الجميع: لِيُصْلَب. فقال الوالي: وأي شر عمل فكانوا يزدادون صراخًا قائلين: ليصلب.

فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب قالوا: دمه علينا وعلى أولادنا؛ حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب، فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية، وجمعوا عليه كل الكتبة فَعَرَّوْهُ وألبسوه رداءً قرمزيًا وصفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمنيه. وكانوا يجثون قدامه يستهزئون به قائلين: السلام يا ملك اليهود، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعدما استهزؤوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصليب، وفيما هم خارجون وجدوا إنسانًا قيراوانيًا اسمه سمعان فَسَخَّرُوهُ ليحملَ صليبَه، ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثة وهي المسمى موضع الجمجمة وأعطوه خَلًّا ممزجًا بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد أن يشرب، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها.... وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب... ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة ونحو التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلي إيلي لِمَ سبقتني، أي: إلهي إلهي لماذا تركتني..[(٢)]).

---

(١) مرقس: ١٤ /١، ٢، ١٠، ١١، ١٧، ٢٠، ٣٢، ٣٦، ٤٣، ٤٦.

(٢) متى: ٢٧/ ٢٢ - ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٤٦، راجع: الميسا المنتظر صـ ١٩٢، ٢٠٤.

وهكذا تمت المأساة بعد أن حوكم عيسى أمام الكهنة، وبعد ذلك وُضع في القبر واستمر ثلاثة أيام، وذهبت روحه خلالها إلى جهنم؛ لأن نفوس الأبرار من آدم إلى المسيح لم تخرج من الجحيم إلا بعد قيام المسيح من قبره[١]، ثم قام بعد ثلاثة أيام من موته واستمر أربعين يومًا ثم رُفع إلى العرش ليجلس عن يمين الأب ويحاسب الخلق يوم القيامة[٢].

هذه هي رواية الأناجيل لقضية الصلب، أو هي القاسم المشترك بينها؛ لأن الأناجيل الأربعة مختلفة اختلافًا كبيرًا في إيراد هذه القضية، وأن الإنسان ليتملكه العجب في اختلاف تلك الأناجيل في أساسَ هامٍّ من أسس الديانة النصرانية[٣]، وكان ينبغي على النصارى أن يحرقوا كل صليب يقدرون على إحراقه إن كانوا عقلاء[٤].

وبعد بيان هذه العقيدة الباطلة تتضح لنا علة تقديس النصارى للصليب وحمله، ولم يقتصر أمرُهم على ذلك، بل إنهم يرشمون وجوههم على هيئة الصليب صباحًا ومساءً، وفي كل الأوقات تقديسًا للصليب، ويعتبرون مجرد رسم علامة الصليب باسم الأب والابن والروح القدس فيها إعزازًا للصليب وإيمانًا بقوته القاهرة للشيطان والسحر والأعداء والسم وقوة النعمة والبركة التي يجلبها رشمه، كما أن فيها اعترافًا بحقائق الإيمان، وفي كل مرة يرشم بالصليب اعتراف بفداء المسيح وموته[٥] كما يعتقد النصارى أنه مجرد وقوف الخاطئ أمام الله ممسكًا بالصليب متوسلًا بدم المسيح تسقط عنه الخطيئة ويرفع عنه حكمها، وتزول لعنتها من عليه، لذلك يحملون الصليب ويقبلونه كثيرًا في الصلاة

---

(١) راجع: أدلة اليقين في الرد على المبشرين صـ٢٣٢، وخلاصة الأصول الإيمانية صـ٤٨ وما بعدها.

(٢) راجع: مشكلات العقيدة النصرانية صـ ١٤٢.

(٣) راجع: النصرانية والإسلام صـ٥٠ خلاصة الأصول الإيمانية صـ٥٠ وما بعدها.

(٤) راجع: هداية الحيارى صـ ٥٤.

(٥) راجع: مبادئ العقائد المسيحية صـ٨٢.

وخارجها، وهم في كل سجدة يقبلون الصليب لاعتقادهم أنهم به نالوا المواهب الكريمة وصار لهم قبول وجراءة وقدوم إلى الأب[1].

مناقشة عقيدة الصليب والفداء:

لقد أجمع النصارى على أن الإله صُلب تكفيرًا عن خطيئة البشر التي ارتكبها أبوهم آدم، وهذه الخطيئة لا يمكن أن تمحى إلا بحدوث عدة أمور:

أحدها: أن يصبح الإله جسدًا أو يرضى لنفسه أن يكون ذليلًا مهانًا.

ثانيها: أن ينتحر ذلك الإله ويقتل نفسه ويا ليته قتل نفسه بيده؛ لأن ذلك يكون فيه شيء من الكرامة لكنه أسلم نفسه صاغرًا مهانًا لليهود فصلبوه وعذبوه ولم يمكنوه من أن يشرب جرعة ماء.

ثالثها: أن يدخل نار جهنم ويعذب نفسه عذابًا أليمًا.

رابعها: أن يصير الإله ملعونًا بذلك الصلب[2].

كل ذلك فعله الإلهُ ليمحوَ خطيئةَ آدم... فهل هذا يُعقل في حق الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن هذا اعتقاد يُنبئ عن جهل بالغ وفاضح تُنكره العقول السليمة لعدة وجوه:

١- إذا كان الإله هو الذي خلق الخلق، وهو الذي فطرهم على هذه الحالة، ويعلم أن منهم المسيء ومنهم المحسن أزلاً، وأعد لكل منهم جزاء عادلاً، فلأي شيء يحزن ويجزع وينكسر قلبه لأجل خطاياهم، أما كان بالأجدر أن يخلق الإله القادر

(١) راجع توجيهات في الصلاة متى المسكين صـ٧٢٥.

(٢) راجع: أدلة اليقين في الرد على المبشرين صـ٢٣١.

ما لا يحزنه ابتداء؛ فإن قالوا: إنه لم يكن يعلم ابتداءً بما سيحدث فقد وصفوه بالجهل، وهذا يتنافى مع مقام الألوهية[(١) ٢].

٢- إذا كان آدم قد أخطأ فما ذنبُ ذريته ليتوارثوا الخطيئة من بعده، وهذا مبدأ قد نهت عنه كل الشرائع، وقد صرحت التوراة التي بأيديهم بذلك؛ فجاء في سفر التثنية ما نصه: (لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد؛ فكلُّ إنسان بخطيئته يُقتل)[٣].

ويقول النبي أرمياء في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حِصْرِمًا وأسنان الأبناء ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحِصْرِمَ تضرس أسنانه[٤].

ويقرر النبي حزقيال رفضَه لمبدأ توريث الخطيئة فيقول: (وأنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن إثمَ الأب؛ أما الابن فقد فعل حقًّا وعدلًا وحفظ جميع فرائض، وعمل بها فحياة يحيا النفس التي تخطئ هي تموت، والابن لا يحمل من إثم الأب شيئًا، والأب لا يحمل من إثم الابن شيئًا، بِرُّ البارِّ عليه يكون، وشرُّ الشرير يكون[٥].

كما أن المسيح يعتبر الأولاد أبرارًا وأتقياء ولم يولدوا خطاة، وهذا واضح من تصريحاته؛ فجاء في إنجيل متى ما نصه: (وقدموا إليه أولادًا لكي يلمسهم، وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدموهم، فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لهم:

---

(١) راجع: أدلة اليقين صـ٢٣٩، النصرانية والإسلام صـ٥١، وحقيقة التبشير صـ٥٢.

(٢) راجع: المسيحية صـ١٥٨، وأدلة اليقين في الرد على المبشرين صـ٧٢٧.

(٣) سفر التشبيه صح ٢٤/ ٢٦.

(٤) أرميا: ٣١/ ٢٩، ٣٠.

(٥) حزقيال: ١٨/ ١٩/، ٢٠.

دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم؛ لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله، الحق أقول لكم: من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله؛ فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم[١].

وهذا يتفق مع ما جاء به القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٢] ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٣]. ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ ﴾[٤]، وهل من العدل أن يضار البشر جميعا بسبب خطيئة ارتكبها آدم؟ وكيف رضي الله أن يخلد موسى و إبراهيم وسائر الأنبياء والمرسلين في النار بسبب خطيئة آدم؟

ثم ما بال المسيح يحتمل وزرَ جريرة آدم وَيَصْلَى ذلك العذاب الذي استغاث منه هذه الاستغاثة الشديدة، والتي سبق بيانها في قصة الصلب، ويا ليته كان المسيح فحسب بل الإله كله حل فيه، فالخطيئة لم تقتصر على النوع الإنساني، بل تعدته إلى الإله فذاق مرارة العذاب ألونًا[٥].

٣- و إذا كانت الكلمة قد تجسدت لمحو الخطيئة الأصلية فما العمل في الخطايا التي توجد بعد ذلك؟ ومنها ما هو أعظم من خطيئة آدم؛ مثل إنكار وجوده سبحانه وتعالى أو السخرية والاستهزاء به، بل قتله كما يقولون؟ فما فائدة صلبه إذًا عن خطيئة واحدة، وترك خطايا أعظم جرمًا منها؟[٦].

---

(١) مرقس: ١٠ / ١٣: ١٦.

(٢) الإسراء: من الآية: ١٥.

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٤) الإسراء: من الآية صـ١٣.

(٥) راجع: المسيحية صـ١٥٨.

(٦) راجع: النصرانية والإسلام صـ٥٢.

٤- وإذا كانت الخطيئة قد بطلت بمجيئه فالذين قتلوه من اليهود غيرُ آثمين ولا خاطئين؛ لأنه لا خاطئ بعد مجيئه ولا خطيئة، وكذلك الذين قتلوا حوارييه، وأحرقوا أسفاره غير خاطئين، وكذلك من يفسق من جماعتهم منذ ذلك الدهر إلى الآن ويقتل ويسرق ويزني ويكذب ويرتكب كل ما نهي عنه غير خاطئ ـ كما ينبغي أن يكون اليهود محل احترام النصارى؛ لأنهم خلصوهم من الخطايا وأحيوهم حياة أبدية[١].

٥- يدعي النصارى أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، فأي عدل وأي رحمة في صلب وتعذيب غير المذنب، وما وضعت العقوبات في الشرائع الإلهية إلا لتأديب الجناة ليكفوا غيرهم عن ارتكاب الجرائم، فمن العدل إذن أن تقع العقوبة على المخطئ لا على غيره؛ وإلا كان هذا عبثًا فكيف يصح إذًا أن يُعاقب المسيح «الإله المتجسد» الذي لم يقع منه جُرْم؟ فإن قالوا: إنه قد قَبِلَ ذلك قلنا: إن مَنْ يراجع قصة الصلب يجد أنه قد جزع جزعًا شديدًا من هول ما سيلاقيه من الموت، ومن ذلك ما ورد في متى: (حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها: جشيماني فقال للتلاميذ: اجلسوا ها هنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابن زيدي وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينة جدًّا حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلًا وَخَرَّ على وجهه، كان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنتَ)[٢].

وجاء في نفس الإنجيل: (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم: إيلي إيلي لم شبقتني، أي: إلهي إلهي لماذا تركتني)[٣].

---

(١) راجع: النصيحة الإيمانية صـ ٢٣٠، والمسيحية صـ ١٥٩، ١٦٠.

(٢) متى٢٦/ ٣٨، ٣٩.

(٣) متى ٢٧/ ٤٥، ٤٦.

فإذا كان المسيح «الإله المتجسد» قد سَلَّمَ نفسَه باختياره فَلِمَ أصيب بكل هذا الجزع والخوف، ولم دعا اللهَ من أجل أن يرفع عنه هذه البلوى؟ فهل مع كل هذا يكون هو الإله؟ وهل يجزع الإله؟ أو يناجي نفسه؟ ولكن ها هم النصارى الذين أَلْغَوْا عقولهم فلم يدركوا للكلام معنًى؛ لأن المتأملَ في هذه النصوص يجد أن ذلك المصلوب المسكين يعلم أن فوقه قوةً أخرى هي قوة الإله فهو يناجيه(١).

كما أن ما نسبوه للمسيح من كلام يدل على عدم رضاه عليه السلام بقضاء الله وقدره، وعدم التسليم لحكم الله وأمره، وعيسى عليه السلام مُنَزَّهٌ عن ذلك كله فيكون المصلوبُ غيرَه، وقد جاء في أسفار العهد القديم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وهارون عليهم السلام لما حضرتهم الوفاة كانوا مستبشرين فَرِحِينَ بلقاء ربهم ولم يجزعوا من الموت أو يهابوه مع أنهم عبيد الله وأنبياؤه والمسيح ـ كما زعموا ابن الرب؛ فكان من الواجب أن يكون أثبتَ منهم، وقد ذكروا عكس ذلك، فدل على أن المصلوب غيره(٢).

٦- لماذا كان عيسى وحده مسئولاً من بين كل البشر عن خطيئة آدم؟ ولماذا يتحملها وحدَه؟ إن عيسى عند النصارى متحمل لكل خطايا البشر، وهم يحصرون الإيمان والنجاة في الاعتقاد بصلبه وفدائه، وهذا هو طريق النجاة والبراءة من النار ودخول الجنة والعودة إليها.

وما هي مضادة غفران الخطايا للعدالة؟ ألا يتعارض هذا مع صفة الرحمة؟ إن الكتاب المقدس الذي بين يَدَيِ النصارى يذكر أن الله سبحانه صفح وتاب

---

(١) راجع: أدلة اليقين في الرد على المبشرين صـ ٢٣٧.

(٢) راجع: بين الإسلام والمسيحية صـ ١٦٤.

على أهل نينوى عندما صاموا وتابوا[١] إلا أن النصارى يقولون: إن الصوم والصلاة والصدقة والتوبة لا تُجدي شيئًا؛ لأنها طريقة بشرية ولا بد في التوبة من وسيلة إلهية؛ وهي أن يصلب نفسه على الصليب ولا تدري ما هي الحكمة من ذلك؟

٧- إذا كان النصارى يقولون بأن المسيح قد صُلب ومات ودفن في قبره ومكث ثلاثة أيام في القبر وهو عندهم الإله المتأنس الخالق والرازق والمدبر... فمن كان يقوم إذن برزق الخلق في تلك الأيام؟ ومن كان المدبر للسموات والأرض؟ وكيف كان حال الوجود و إلهه في القبر؟ وهل دفنت الكلمة معه؟ فالقبر الذي وسع الكلمة لابد وأنه كان عظيمًا و إن أسلمته وذهبت فكيف أمكنه المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج[٢].

و إن اعتقاد النصارى في الصلب والفداء كاعتقاد أهل الوثنية؛ إذ يعتقدون أن ألهتهم المتجسدين نزلوا إلى الجحيم بعد قتلهم أو صلبهم ليخلصوا الأموات[٣].

٨- بالرجوع إلى أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى يُلاحظ أنه لم يَرِدْ على لسان المسيح ولا غيره من الأنبياء الذين جاءوا قبله نصٌّ واحد يشير من قريب أو بعيد إلى هذه الخطيئة الأزلية الموروثة عن آدم وحواء، إنما نجد عند المسيح عليه السلام حديثًا بل أحاديث عن الخطيئة والخطايا، تلك الخطيئة والخطايا التي يرتكبها الناس أنفسهم بما تقترف أيديهم وألسنتهم، وهذا واضح غاية الوضوح في صلب الدعوات التي لقنها لتلاميذه فجاء فيها ما نصه: (واغفر لنا

---

(١) راجع سفر يونان ص ٢.

(٢) راجع: الأجوبة الفاخرة صـ٢٦٩

(٣) راجع: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية صـ ١٥١.، الهند القديمة حضارتها ودياناتها صـ٢٢٢، أديان العالم صـ ٩٧، ومبادئ العقائد المسيحية صـ ٤٦.

كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا)[1]، وكذلك قوله: (فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يَغفر لكم أيضا أبوكم السماوي، و إن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم[2]).

اختلاف روايات الأناجيل في الصلب:

ومما يدل أيضا على بطلان عقيدة الصلب عند النصارى اختلاف روايات الأناجيل الواردة في هذا الموضوع في نقاط عديدة منها:

١- اختلافهم في حامل الصليب:

يقول مرقس: (ثم خرجوا بعد ليصلبوه، فسخروا رجلًا مجتازًا كان آتيًا من الحقل، وهو سمعان القيرواني أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه، وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذي تفسيره موضع الجمجمة[3]).

وتتفق رواية متى ولوقا ورواية مرقس في أن حامل الصليب هو سمعان القيرواني، أما يوحنا فيقول: إن حامل الصليب هو المسيح نفسه فيقول: (حينئذ أسلمه بيلاطس إليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة، ويقال له بالعبرانية جلجثة[4]).

يقول دينس ينهان: (لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصليب بحمل صلبانهم بأنفسهم... ويقر يوحنا أن هذا كان ما حدث فعلًا في حالة يسوع. ولكن على

(١) متى ٦/ ١٢.

(٢) متى: ٦/ ١٤، ١٥.

(٣) مرقس: ١٥/ ٢٠ - ٢٢.

(٤) يوحنا: ١٩/ ١٦، ١٧.

العكس من ذلك نجد حسب رواية مرقس (ومتى ولوقا) أن شخصًا مجهولًا يُدعى سمعان القيرواني هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلًا من يسوع[١].

٢- ما ورد في الأناجيل عن شراب المصلوب:

يقول مرقس: (أعطوه خمرًا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل)[٢] ويقول لوقا: (والجند أيضا استهزءوا به وهم يأتون ويقدمون له خلاً)[٣]، ويقول متى: (أعطوه خلاً ممزوجًا بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد أن يشرب)[٤].

يقول أبو عبيدة الخزرجي: (الأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يصوم أربعين يومًا وليلة، ويقول للتلاميذ: إن لي طعامًا لستم تعرفونه، ومن يصبر على ذلك العطش والجوع أربعين يومًا وأربعين ليلة كيف يُظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يومٍ واحدٍ؟ هذا لا يفعله أدنى الناس، فكيف بخواص الأنبياء؟ أو كيف بالرب تعالى على ما تدعونه؟ فيكون حينئذ المدعي للعطش غيره، وهو الذي شُبِّهَ لكم[٥].

٣- سبب الصلب وعلته:

يقول لوقا: (وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية: هذا هو ملك اليهود[٦] ويقول مرقس: (وكان عنوان علته مكتوبا: ملك اليهود[٧]) يقول متى:

---

(١) راجع: المسيح في مصادر العقائد المسيحية صـ ١٦٦، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل صـ٤٤٢، الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢/ ٤٣.

(٢) مرقس: ١٥/ ٢٣.

(٣) لوقا: ٢٣/ ٣٦.

(٤) متى: ٢٧/ ٣٤.

(٥) بين الإسلام والمسيحية صـ ١٦٤.

(٦) لوقا: ٢٣/ ٣٨.

(٧) مرقس: ١٥/ ٢٦.

(يجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة: هذا هو يسوع ملك اليهود[١] ويقول يوحنا: (وكتب بيلاطس عنوانا ووضعه على الصليب، وكان مكتوبا: يسوع الناصري ملك اليهود[٢]).

ومن الواضح أن الروايات الأربع لم تتفق على صيغة العبارة المكتوبة؛ مما يدل على أنها روايات غير صحيحة. إن الحقيقة تبقى هنا دائما محل خلاف.

٤- اللصان والمصلوب:

يقول «مرقس»: (وصلبوا معه لصين؛ واحد عن يمينه وآخر عن يساره..... واللذان صُلبا معه كانا يعيرانه[٣])، ويتفق متى مع مرقس في أن اللصين كانا يعيرانه، ولكن لوقا يقول: (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا: إن كنتَ أنتَ المسيحَ فخلص نفسَك وإيانا، فأجاب الآخرُ وانتهره قائلا: أو +++لا أنت تخاف الله؛ إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه، أما نحن فبعدل؛ لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محله. ثم قال ليسوع: اذكرني يا رب متى جئتُ في ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس[٤].

ولقد اختلفت الأناجيل أيضا في موقف اللصين من المصلوب، ولا شك في تكذيب هذه الوقائع وأن قائليها طالت عليهم الأزمانُ إلى أن يقولوا أشياء ليسوا منها على يقين[٥].

يقول الإمام «ابن حزم»: إحدى القضيتين كَذِبٌ بلا شك؛ لأن متى ومارقس أخبرا بأن اللصين جميعا كانا يسبانه، ولوقا يخبر بأن أحدهما كان يسبه والآخر كان ينكسر

(١) متى: ٢٧ / ٣٧.

(٢) يوحنا: ١٩/ ١٩.

(٣) مرقس: ١٥/ ٢٧، ٣٢.

(٤) لوقا: ٢٣/ ٣٩ - ٤٣.

(٥) راجع: شفاء الغليل في الرد على من حَرَّفَ الإنجيل صـ٦٠.

على الذي يسبه و يؤمن به، والصادق لا يكذب في مثل هذا. وليس يمكن هاهنا أن يُدَّعَى أن أحد اللصين سبه في وقتٍ آمَنَ فيه آخَرُ، ولأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبه، وإنكار من لم يساعده قط على ذلك، وكلهم متفق على أن كِلاَ اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب، فوجب ضرورة أن لوقا كذب، أو كذب من أخبره، أو أن متى كذب مارقس أو الذي أخبره ولابد[1].

٥- وقت الصلب:

يقول «مرقس»: (وكانت الساعة الثالثة فصلبوه[2]). أما يوحنا فيذكر أن ذلك حدث بعد الساعة السادسة: (وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة. فقال بيلاطس لليهود: هو ذلك ملككم فصرخوا: خذه اصلبه.... فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب[3]).

يقول «ينهام»: (منذ اللحظة التي روى فيها القديس مرقس إنكار الناس ليسوع نجد أن الوقت قد خُطط بعناية بحيث تكون الفترة ثلاثية الأحداث أو التوقيتات؛ مثل: إنكار بطرس ثلاثَ مرات[4] وقت الصلب الساعة الثالثة[5] وقت الظلمة من السادسة إلى التاسعة[6] وقت المساء[7] وفي هذا المثل على الأقل فإن الحساب يبدو مصطنعًا؛ إذ أنه من الصعب أن كل ما روته الأعداد ١٥: ١ - ١٤ يمكن حدوثه في فترة الثلاث ساعات ويبين إنجيل يوحنا[8] بوضوح أن ذلك لم يحدث.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢/ ٤٤ الأجوبة الفاخرة صـ١١٣.

(٢) مرقس: ١٥/ ٢٥.

(٣) مرقس ١٩: ١٤ – ١٨.

(٤) راجع: مرقس ١٤/ ١٨، ٧٢.

(٥) مرقس: ٢٥/ ٢٥.

(٦) مرقس: ١٥/ ٢٥.

(٧) مرقس: ١٥/ ٤٢.

(٨) يوحنا ١٩/ ٤٤.

٦- صلاة المصلوب:

وبشأن صلاة المصلوب يقول لوقا: (ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحدًا عن يمينه والآخر على يساره. فقال يسوع: يا أبتاه، اغفِر لهم؛ لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون)[١] ولقد انفرد لوقا بذكر هذه الصلاة التي حذفتها الأناجيل الأخرى.

٧- صراخ المصلوب:

يقول مرقس: ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمةٌ على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إلوي إلوي لِمَ شبقتني؟ الذي تفسيره: إلهي إلهي لماذا تركتني[٢] ويتفق متى مع مرقس في أن المصلوب صرخ[٣] ويقول لوقا: (نادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي[٤] ويقول يوحنا: (فلما أخذ يسوع الخلَّ قال: أكمل. ونكس رأسه وأسلم الروح[٥].

فَمَتَّى ومرقس يصرخان بصراخ المصلوب، وبينما يكتفي لوقا بقوله: يا أبتاه في يديك أستودع روحي ولم يذكر يوحنا أن المصلوب صرخ.

٨- في أعقاب الصلب:

وعن أعقاب الصلب يقول متى: (وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد

---

(١) لوقا: ٢٣/ ٣٢، ٣٤

(٢) مرقس: ١٥/ ٣٢، ٣٤.

(٣) راجع متى: ٢٧/ ٤٦.

(٤) لوقا: ٢٣/ ٤٦.

(٥) يوحنا: ١٩/ ٣٠.

القدسيين الراقدين وخرجوا من القبر بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين[١]) ويقول مرقس: (انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل، ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح فقال: حقًّا كان هذا الإنسان ابن الله[٢]. ويقول لوقا: (أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه؛ فلما رأى قائد المائة ما كان مجد الله قائلا بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًّا[٣] أما يوحنا فإنه لا يعلم شيئًا عن هذه الأحداث. فهل يوحنا لم يكن عنده علم بهذه الأحداث؟ أم أن الآخرين ذكروا ما لم يكن؟ فلا ندري أيًّا منهم على الصواب؟

٩- شهود الصلب:

يقول مرقس: (وكانت أيضا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوس وسالومة اللواتي أيضا تبعنه وَخَدَمْنَهُ حين كان في الجليل، وَأُخَرُ كثيرات اللواتي صعدن معه إلى أورشليم[٤]).

ويقول متى: (وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل بخدمته، وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وبوس وأم ابني زيدي[٥]). ويقول لوقا: (وكان جميع معارفه نساء، وكن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك[٦]) ويقول يوحنا: (وكانت واقفات عند صلب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة

(١) متى: ٢٧/ ٥١ - ٥٣.

(٢) مرقس: ١٥/ ٣٨ - ٣٩.

(٣) لوقا: ٢٢/ ٤٥ - ٤٧.

(٤) مرقس: ١٥/ ٤٠، ٤١.

(٥) متى: ٢٧/ ٥٥، ٥٦.

(٦) لوقا ٢٣/ ٤٩

كلوبا ومريم المجدلية[١]) فلوقا لم يذكر أسماء نساء، ومرقس ذكر أسماء بعض النسوة ولم يذكر الأخريات اللاتي قال عنهن: إنهن كثيرات.

يقول جون فتتون: (لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع، ورغم أن بطرس قد تبعه من بعيد إلى فناء دار رئيس الكهنة فإننا لا نسمع عنه شيئًا أكثر من هذا، وبعد إنكاره ليسوع؛ إن مرقس ومتى ولوقا يخبراننا أن شهود الصلب كن نساء تبعن يسوع من الجليل إلى أورشليم، وقد رأين دفنه واكتشفن القبر خاليا صباح الأحد وقابلن يسوع بعد قيامته[٢]).

وبعد هذا العرض تبين أن روايات الأناجيل حول أحداث الصلب اختلفت حول حامل الصليب وشرابه وسبب الصلب وموقف اللِّصَّيْنِ من المصلوب، ووقت الصلب وصلاة المصلوب وصراخه وغيرها من الأحداث التي أعقبتَ الصلبَ والشهود وغيرها من الأحداث التي ذُكرت الأناجيل بشأن الصلب. فالأناجيلُ اختلفت فيما بينها اختلافًا جديًا، وهو اختلاف يكفي لرفض ما يذكره أحد الأناجيل، وإذا أخذنا برواية الإنجيل الآخر وأيهما نرفض؟ وفي هذا ردٌّ على من يدعي من النصارى أن مسألة الصلب متواترة؛ فالعلم بها قطعي[٣].

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار: لم تختلف الأناجيل الأربعة في مسألة من المسائل كاختلافهم في تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله؛ فلا تكاد جزئية من الجزئيات في أحدهما تتحد في الجزئية نفسها في إنجيل آخر، ولما كانت هذه الأناجيلُ من تأليف قومٍ يدعي المسيحيون لهم الإلهامَ ويعتقدون خلوها من الخطأ: كان ينبغي أن تكون كتابتهم

(١) يوحنا: ١٩ / ٣٥.

(٢) راجع: مناظرة بين الإسلام والنصرانية صـ١٠٦.

(٣) راجع: عقيدة الصلب والفداء صـ٢٩، ٨٤.

في هذه الحادثة المهمة التي هي مناط النجاة ودعامة الإيمان في نظرهم متطابقةً متوافقةً بحيث لا يكونُ فيها اختلافٌ أصلاً؛ إذ النفسُ لا تطمئن إلى الأخذ برواياتٍ إذا اتفقت في موضع واحد من قصةٍ جاءت فيها جميعُها؛ فإنها تتخالف في مواضع كثيرة، وإذا لم يكن الراوي أمينًا كلَّ الأمانة كانت الثقة في روايته والتصديق بها غير سائغ[1]).

ولقد اختلف النصارى أيضا في شكل الصليب؛ فقد ذُكر في قاموس الكتاب المقدس أن الصليب ثلاثةُ أشكالٍ: (×) والصليب (T) والصليب (+) وهذا نصُّ ما جاء في قاموس الكتاب المقدس (وللصلبان نماذج رئيسية ثلاثة، أحدهما المدعو صليب القديس إندارواس وهو على شكل(×) وثنيهما بشكل (+) وثالثهما بشكل السيف (T) وهو المعروف بالصليب اللاتيني، ولعل صليب المسيح كان من الشكل الأخير كما يعتقد الفنانون، والأمر الذي كان يسهل وضعُ الضحية وعنوانها على القسم الأعلى فيه[2].

فإذا كان النصارى مختلفين في شكل الصليب فهذا يؤكد أنهم اشتبه عليهم كل شيء فيما يتصل بالصلب، وأن الحقيقة غابت عنهم، وصدق الله تعالى إذا يقول: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[3] ومما يؤكد بطلانَ ما ذهب إليه القوم وأنهم مازلوا مشتبهين في المصلوب أن مجمع الفاتيكان المنعقد سنه ١٩٦٣ م أصدر وثيقة لتبرئة اليهود من دم المسيح جاء فيها: (إن اليهود لم يصلبوا السيد المسيح إطلاقًا، وإنما صلبوا شخصًا لم يعرفوه، ولو عرفوا أنه المسيح لم يفعلوا ذلك؛ فالرسول بطرس عندما نُودِيَ عليه وسئل إذا كان يعرف المسيح قال: ليس هو ثلاث مرات، وقال: إنه ليس من تلاميذه، وهذا يعني أن أقربَ الناس إلى المسيح لم يعرفه فكيف يعرفه اليهود؟

(١) قصص الأنبياء صـ٥١٦، الفاروق بين المخلوق والخالق صـ٣٣٦.

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ٥٤٦.

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٧.

وجاء أيضا: ربما كان بطرس قد أنكر المسيح إنقاذًا له، وربما الرجل الذي قرروا صلبَه هو شخص آخر لا أحد يعرفه، فليس من المؤكد أنه هو المسيح... إذًا اليهود صلبوا رجلاً ليس من المؤكد أنه هو المسيح[1].

(١) راجع: تفاصيل المجمع وما ورد في جلساته الثلاثة وما ترتب على ذلك من ردود فعل في العالم النصراني واليهودي في كتاب: المجامع المسيحية صـ٤٣٨: ٤٧٤، دراسات في إنجيل مرقس تاريخيًا وموضوعيًا صـ٥٢٧: ٥٣١، بنو إسرائيل في القرآن والسنة صـ٥٨٣: ٥٨٤.

المبحث الثالث

بيان عقيدة: قيامة المسيح عند النصارى ومناقشتها

[١] بيان عقيدة قيامة المسيح:

قيامة المسيح تعني عند النصارى قيامته من بين الأموات بعد صلبِه ودفنِه في زعمهم، ويذكرون أنه أخبر بقيامته من بين الأموات مراتٍ عديدةً قبلَ صلبِه وموتِه ودفنِه إلا أن التلاميذَ لم يذكروا قولَه إلا بعدَ قيامةِ المسيحِ من بينِ الأموات[١].

ومنذ ذلك الحين أصبحت عقيدةُ قيامةِ المسيحِ أحدَ الدعائمِ الأساسيةِ لدعوة النصارى، يستدلون على ذلك بعدة نصوص ذُكرت في العهد الجديد؛ ومنها ما ذكره متى بقوله: (وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوعُ قائلاً: لا تعلموا أحدًا بما رأيتم حتى يكون ابن الإنسان من الأموات، وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع: ابن الإنسان سوف يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونهم وفي اليوم الثالث يقوم فحزنوا جدًّا[٢]، (ويسلمونه إلى الأمم يهزأ به ويجادلوه ويصلبوه، وفي اليوم الثالث يقوم[٣]). وفي إنجيل مرقس: (وابتدأ يُعْلِمُهُمْ أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيرًا ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة ويُقتل، في اليوم الثالث يقوم[٤])، وفي إنجيل: لوقا: (إنه ينبغي أن ابنِ الإنسان يتألم كثيرًا ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة ويُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم[٥]).

---

(١) راجع: قاموس الكتاب المقدس صـ ٧٧٩، مصادر الوحي الإنجيلي صـ٢٠٥، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل صـ٣٨٦.

(٢) متى ١٧/ ٩.

(٣) متى: ١٧/ ٢٢، ٢٣.

(٤) مرقس: ٨/ ٣١.

(٥) لوقا: ٩/ ٢٢/ ١٨/ ٢٣.

وفي إنجيل يوحنا: (أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه.... وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده[١]؛ (لأنهم لم يكونوا بعدُ يعرفون الكتابَ أنه ينبغي أن يقوم من الأموات[٢].

ولقد تناولت الأناجيل المتعددة عند النصارى قيامةَ المسيح بالذكر واتفقوا في أشياء واختلفوا في أشياء أخرى[٣].

يقول جورج فورد: ظهر المسيح ظهورَه الثانيَ كالأول ليس لتلاميذه ولا لرجاله من تابعية بل للنساء وهن ذاهبات راكضات ليتممن وصية الملائكة ويبشرن التلاميذ بالقيامة، فتممن ذلك بأن أخبرن التلاميذ الأحد عشر ومن معهم فلم يصدقوا ولاسيما قولهن إنهن قد رأين المسيح بل نسبوا إليهن الهذيان.

ولقد حولت العناية الإلهية عدمَ تصديق التلاميذ إلى أعظم بركة؛ لأن ذلك أصبح من أهم البراهين الدامغة على صدق القيامة، قال أحد المفسرين: إن شكوك التلاميذ لم تَزُلْ إلا شيئًا فشيئًا عن توالي البراهين القاطعة، فشكهم الأولُ يُقَوِّي ثقتَنا بشهادتهم بعدَ تيقنهم، شكوا وقتًا قصيرًا لكي لا نشك أبدا[٤] ويعتبر النصارى قيامةَ المسيحِ من بين الأموات من أهم الأحداث في سيرته؛ إذ أنها تبعث على الإيمان بدعوته و إلهيته[٥] ويعتقدون أن المسيح قادرٌ على القيامة من بين الأموات؛ إذ أن القيامة والحياة بالنسبة له سيان، ففي إنجيل يوحنا: (أما هو القيامة والحياة[٦]). (ولم يَقُم المسيح بعدَ يومٍ واحدٍ

---

(١) يو: ٢/ ١٩،٢٢.

(٢) يو: ٢٠/ ٩.

(٣) راجع: متى: ٢٨/ ١ – ٢٧ مرقس: ١٦/ ١ – ٧، لوقا ٢٤/ ١ –٧ يوحنا: ٢٠/ ١ – ٧.

(٤) القول الصريح في سيرة يسوع المسيح صـ٥٢٥، يسوع المسيح. إلياس نجمة ص ٣٦٨.

(٥) راجع: مضادر الوحي الإنجيلي صـ٢٠٥.

(٦) يوحنا: ١١/ ٢٥

من دفنه بل بعد ثلاثة أيام حتى يؤكد للعالم أنه مات فعلاً، ولم يتأخر كثيرًا عن ثلاثة أيام حتى لا يعلق نفوس تلاميذه، وقبل أن يتشتتوا حتى يكونوا شهودًا بالقيامة في كل المسكونةِ؛ ولكي يثبتَ فإنه قبل الموت الموضوع عليه من أجلنا ولم ير فساد بقوة لاهوته(١).

وإذا كان النصارى يقولون بقيامة المسيح فإنهم يؤكدون ذلك بزعمهم أن المسيح مكث بعد القيامة أربعين يومًا رآه خلالها شهودٌ كثيرون في أماكن عديدة في ظروف مختلفة كما أخبر بذلك كتاب العهد الجديد؛ فقد ظهر لمريم المجدلية، ولبعض النساء والتلميذات، ولبطرس، وللتلميذين اللّذين كانا ذاهبينِ إلى عمواس، وللرسل العشرة وأكل أمامهم ليتحققوا من وجوده بينَهم، وظهر الأحد عشر رسولاً وَتُومَا، وظهر لسبعة من التلاميذ الذين كانوا يصطادون في بحر الجليل، وظهر للأحد عشر رسولا في الجليل، ظهر لخمسمائة من المؤمنين(٢)+++(٣).

ويعتبر النصارى قيامةَ المسيح أقوى ضمانٍ لهم على أنهم سيقومون من بين الأموات ويزعمون أن المسيح صَعَدَ إلى السماء بعد أربعين يومًا من قيامته، يقول زكي شنودة: (ظهر يسوع بعد ذلك مرارًا لتلاميذه، وبعدَ أربعينَ يومًا من قيامته اجتمع بهم على جبل الزيتون، وراح يعلمهم، ثم ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم)(٤).

ويقولون: إنه صعد إلى يمين أبيه، حيث يجلس على العرش كملك، فكان لابد وأن

---

(١) مبادئ العقائد المسيحية صـ٧١.

(٢) راجع: مر ١٦/ ٩، متى ٢٨/ ٩، ١ كو ١٥/ ٥ لو ٢٤/ ١٥ - ٣١، لو ٢٤/ ٣٦ - ٤٣ يو ٢٠/ ٢١ - ٢٨، ٢١/ ١ - ٢٤. متى ٢٨/ ٢٦، ٢٧، اكو ١٥/ ٦.

(٣) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٧٥٠ معجم اللاهوت الكتابي صـ٦٤٧.

(٤) تاريخ الأقباط جـ١/ ٦٥، قاموس الكتاب المقدس صـ٨٦٩، يسوع صـ٣٧٧، يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته صـ٦١.

يصعد إلى السماء؛ ولذا فإن صعوده يبدو في تأكيدات الإيمان الأولى ليس ظاهرة معتبرة لذاتها بعدما هي تعبير لابد منه[١].

[٢] مناقشة عقيدة قيامة المسيح عند النصارى:

لقد سبق مناقشة عقيدة الصلب عند النصارى وَتَبَيَّنَ مدى بطلانها، وإذا كان النصارى يرتبون قيام المسيح وصعوده عند النصارى على الصلب، فإن ما ترتب على باطل فهو باطل؛ ولتأكيد بطلان عقيدة قيامة المسيح وصعوده عند النصارى نُلقي الضوءَ على اختلاف روايات الأناجيل[٢] والتي يَتبين منها مدى التناقض.

وأما وقت ذهاب النسوة إلى القبر فيذكر مرقس أنه يوم السبت عند طلوع الشمس، وأما الآخرون فيذكرون أن النسوة ذهبن بعد الفجر ولا زال الظلام، ويحدد مَتَّى ومرقس يومَ الذهابِ بأنه السبت، أما لوقا و يوحنا فيكتفيان بذكر أول الأسبوع كما أن النصارى يُجمعون بأن القيامة كانت بعدَ الصلبِ بثلاثةِ أيام، أما حسب رواية الأناجيل وتحديد يوم القيامة بالسبت فلا يكون مَرَّ على الدفن ثلاثةُ أيام[٣].

وهنا الخطأ واضحٌ والاختلافُ بَيِّنٌ لا يمكن الجدلُ في إنكاره؛ فقد أجمعت الأناجيلُ الثلاثة: (متى ومرقس ولوقا على أن المسيح مات على الصليب يوم الجمعة مساء وقبل منتصف الليل أُنزل من على الصليب ودفن حتى لا ينجس الأرض لو بات على الخشبة؛ لأنه ملعون من الله، وظل مدفونًا بقيةَ الليل ونهار السبت وقبل الفجر يوم الأحد؛ فيكون بذلك ظَلَّ في بطن الأرض نهارًا واحدًا وليس بأي حال ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ[٤].

---

(١) راجع: أع ٢/ ٣٤، رومية ٨/ ٣٤. عب ١/ ٣، ٨/ ١. معجم اللاهوت الكتابي صـ٤٧٤.

(٢) ذكرت قيامة المسيح وظهوره في الأناجيل المعتمدة عن النصارى في لوقا صح: (٢٤)، مرقس: (١٦)، متى: (٢٨) يوحنا: (٢٠).

(٣) راجع: الفاروق بين المخلوق والخالق صـ٢٦، الأجوبة الفاخرة صـ١١٥.

(٤) راجع: ملكوت الله في اليهودية النصرانية والإسلام صـ١٤٢.

ويذكر متى أن التي ذهبت هي مريم المجدلية ومريم الأخرى، ويزيد عليهما مرقس سالومة، ويذكر لوقا أن النساء كثيرات ولم يُسَمِّهِنَّ، ويوحنا يقول: إن التي ذهبت مريم المجدلية وحدَها.

ويذكر متى أن النسوة كن حاملات حنوطًا ليدهن به جسدَ المسيح، أما رواية مرقس ويوحنا فلم يذكر فيها ذلك. بل تذكر رواية يوحنا أن نيغوديموس لَفَّ المسيح بأكفان مع الأطياب.

وتذكر رواية متى أن الذي كلم المرأتينِ إنما هو الملاك، وأما مرقس فيذكر أن الذي كلم النسوةَ إنما هو شابٌّ في القبر لبس حلة بيضاء، ويذكر لوقا أن الذي كلم النسوة رجلانِ واقفانِ عليهما ثيابٌ براقةٌ، وأما يوحنا فيذكر أن مريمَ المجدليةَ ذهبت إلى القبر فنظرت الحجرَ مرفوعًا عن القبر فذهبت وجاءت بسمعان وبطرس وتلميذ آخَر، ودخلوا القبرَ فلم يَجِدُوا إلا الأكفان موضوعةً، ولم يجدوا المنديلَ الذي كان موضوعًا على رأس المسيح ووجدوه موضوعًا في مكان وحدَه. ثم يذكر يوحنا أن مريم المجدلية نظرت بعد ذلك فرأت في القبر ملكينِ بثيابٍ بيضٍ أحدهما جالسٌ عند الرأسِ والآخرُ عند القدمينِ حيث كان الجسد موضوعًا[(١)].

فلا يتفق كَتَبَةُ الأناجيل على شيء من العناصر الرئيسية لقصة الزيارة قَدْرَ اتفاقهم على جعل مريم المجدلية في موضع الصدارة بين الزائر، حتى أن يوحنا يجعلها الزائرة الوحيدة، وبذلك صارت مريم المجدلية هي المصدر الرئيسي لكل ما قيل عن قيامة المسيح من الأموات[(٢)].

---

(١) راجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صـ١٢١. المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل صـ٣٨٦ وما بعدها.

(٢) راجع: مناظرة بين الإسلام والنصرانية صـ١٣٣.

إن روايات الأناجيل تذكر أن القبر كان عليه حراسٌ شاهدوا قيامةَ المسيح، فلو كان المسيح هو ذلك الذي صلبوه ثم وضعوه في القبر، ثم أقاموا عليه حراسًا وختموه لكان الأَوْلَى به حين يقوم من الموت ـ كما يَدَّعُونَ ـ أن يحدث ذلك على مرأى ومسمع من أعدائه قبل أصدقائه حتى تتحقق المعجزة بشهادة الشهود وخاصةً وأن المسيحَ مَارَسَ معجزاتِه كلَّها أمامَ الناسِ سواءً المؤمنين به أو المكذبين له.

أما أن توجد مقبرةٌ خاليةٌ، فيقال: إن المسيح الذي دفن فيها قد قام ولم يره أحدٌ فذلك شيء لا يقوم على أي أساس؛ بسبب التضارب الواضح فيما ترويه الأناجيل عن القيامة التي تُعتبر ركيزةً من ركائز العقائد المسيحية[١].

أما عن صعود المسيح عليه السلام إلى السماء فقد أغفله يوحنا ومتى وهم من الحواريين الاثني عشر، وذكره لوقا ومرقس وهما من الحواريين واختلفا، فقال مرقس: إن سيدنا يسوع لمَّا قام كَلَّمَ تلاميذَه تكليمًا ثم صعد من نومه وخالفه لوقا فقال: إنما صعد بعد قيامته بأربعين يومًا مع أن الصعود أمرٌ عظيمٌ لا ينبغي أن يخفى على التلاميذ ويعلمه غيرهم[٢].

لقد اختلف النصارى في نقل حادثة القيامة والظهور كما في غيرهما؛ فخلطوا الحقائق بالأباطيل، فتغيرت المعالم وضاعت الحقائق، بل إن يوحنا لم يذكر حادثة الرفع في إنجيله مما يؤكد ـ كما سبق ـ بطلانَ هذه العقيدة كغيرها التي يعتقدها النصارى، وَتَرَتَّبَ على ذلك بُعْدُ النصارى عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام[٣].

---

(١) راجع: المسيح في مصادر العقائد المسيحية صـ٢١٩، قصص الأنبياء صـ٥٣٠.

(٢) راجع: الأجوبة الفاخرة صـ١١٧، مرقس: ١٦/ ١٩، لوقا: ٢٤/ ٥١.

(٣) راجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صـ١١٤، ١٢٣، عقيدة الصلب والفداء صـ٤٧، ٨٢، قصص الأنبياء صـ٢٣٢ وما بعدها، المسيح والمسيحية والإسلام صـ١٨٥ وما بعدها، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ٣٩٩.

إن عقيدة القيامة عند النصارى مستمدةٌ من الديانات الوثنية، ويتأكد ذلك من خلال مقارنة الديانات القديمة بالنصرانية (الحالية)؛ فيذكر صاحب: (كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) أن وثنيي الهند يعتقدون بقيام كرشنا من الموت وبصعوده إلى السماء بجسده، وأنه لما كان صاعدًا ظهر نور أضاء الأرض والسماء.. وراما وهو فشنو في أحد الأدوار التي ظهر فيها بالناسوت من بعدما أتم أعمالَه الأرضيةَ صعد إلى السماء، وداد إلى لاهوته، وقام بوذا من بين الأموات.

ويعتقد الصينيون أنه لما أتم الأركيون أعمالَه الخيرية وإحساناتِه في الأرض صعد بجسده إلى الفردوس، ويعدونه إلهًا، ويوجد عدة هياكل مهمة شُيدت من أجله وباسمه.

ويعتقد المجوس بألوهية زورستر وأنه بعدما أتم أعمالَه صعد إلى السماء..... وأن الله المخلص إسكولا بيوس بعدما قتلوه قام من بين الأموات.. والمخلص أدولي (ويدعى تموز أيضا) بعدما قتلوه قام من بين الأموات.... وأوزيريس المخلص المولود من عذراء قام من بعد موته، والمصريون يدعونه (الواحد المبحوث) إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله من بين الأموات، وأتيس مخلص الفريجيين وإلههم قُتل ظلمًا ثم قام من بين الأموات... ومتراث مخلص الفرس مات قتيلاً ثم قام من بين الأموات... والمخلص باخوص ابن العذراء سمبل بعد قتلِه قام من الأموات، ويقولون إنه بعد قيامه صعد إلى السماء، ويعتقدون أن هرقل المخلص ابن الإله تروس من الأم البشرية قُتل وقام من بين الأموات وصعد إلى السماء على غمامة يحفها رعد.

واحفاريوس قام من بين الأموات وكان المؤمنون به من اليونانيين يدلون الناس على المكان الذي صعد منه إلى السماء ويلدون إله الإسكندينافين ومخلصهم قُتل وقام من الموت إلى الحياة الأبدية، وفري وياخوص قُتلا وَقَامَا من بين الأموات... وكوتزلكوتل

مخلص المكسيكيين الذي قُتل صلبًا قام من بين الأموات.... وكما قال الوثنيون عن قيام أبناء إلهتهم من بين الأموات فقالت النصارى عن يسوع المسيح تمامًا، وكيف لا يقولون هنا بحقه هو أحدُ أبناءِ الذين تَجَسَّدُوا بحسب اعتقادهم[١].

ويتبين من هذا التشابهُ الكبيرُ بين هذه الديانات الوثنية والنصرانية أن أحدَها اقتبسَ من الآخَرِ، وَيُعْرَفُ أن اللاحقَ يقلدُ ويقتبس من السابق، والنصرانية هي اللاحقةِ، وبناءً على ذلك؛ فقد اقتبست عقيدة القيامة والصعود من هذه الديانات الوثنية[٢].

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية صـ١٥٧: ١٦٣ بإيجاز.

(٢) المرجع السابق صـ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٩، الأديان القديمة صـ٣٧، ٤٩، ٥٠ المسيحية ١٨٠، ١٨٢، والنصرانية والإسلام صـ٥٩، ١٠٠، ١٠٤، ١١٠ مناظرة بين الإسلام والنصرانية صـ٢٦٤.

المبحث الرابع

اختلاف الكنائس في تقديس الصليب وحمله

لقد اختلفت الطوائف النصرانية قديمًا وحديثًا بشأن تقديس الصليب فَوُجِدَ من الطوائفِ القديمةِ مَنْ أنكرت الصلبَ والخطيئةَ؛ كالبلاجيوسية التي تُنكر تعليم الكتاب بخصوص اتحاد كل الجنس البشري في تعدي آدم، وتعلم بأن خطيئة آدم لم تؤثر إلا فيه وفي علاقاته هو وحدَه بالله، وأن كل إنسان يُولد في العالم أصلاً بلا خطيئة، وبذلك يضعف إحساسُ الإنسان بحاجتِه إلى مُخَلِّصٍ وتمنعه من معرفة نفسه معرفةً حقيقيةً وتقودُه إلى السعيِ وراءَ الخلاصِ في ذاتِه، ولكن إدراك اشتراكنا في السقوط يرتبط في الكتاب المقدس أشد الارتباط باشتراكنا في عمل المسيح الكفاري (آدم الثاني) وبينما الكتاب يؤكد المسؤولية الشخصية والإرادة الحرة؛ فإن هذا لا يتعارض مع تعليم إرادة الله علاقات الإنسان بآدم بل بالحري يؤيدها، وعليه فكما يشترك الجميع في الدينونة كذلك للجميع نصيب في الخلاص[1]. وقالت هذه الطائفة: إن سمعان القيرواني قد صُلب بدلاً من يسوع[2].

إن عقيدة الصلب لم تُعرف في النصرانية إلا بعد مجمع نيقية الأول، الذي قَرر قانون الإيمان الذي يشتمل على أن المسيح صُلِبَ في عهد بيلاطي كفارةً عن خطيئة البشر، ومنذ ذلك الحين ظهر، وقد سبق بيان أن هيلانة أُمَّ قسطنطين هي التي أدخلت على النصرانية تقديسَ الصليب وحملَه.

ومن الفِرَقِ التي أنكرت صلبَ المسيح فرقةُ الغنوسطيين: وهم أول من اعتقدوا بعدم

(١) راجع: الكنيسة المغتربة صـ٣٥، ٣٦.

(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية صـ٢٧٢.

صلب المسيح، وانتقل اعتقادُهم هذا إلى بعض الذين رفضوا الوثنية، واعتنقوا المسيحية في القرون الأولى... وذهب هؤلاء إلى أن المسيحَ لم يُصْلَبْ، وأن الذي صُلِبَ هو شخص غيره خُيِّلَ اليهود أنه المسيح(١).

وقال (الدوكيتون) في أوائل القرن الثاني: (إن الله بسبب محبته للناس أرسل المسيح إليهم ليرشدهم ويهديهم، لكن لمَّا وُجد أن اليهود قد عقدوا النيةَ على صلب المسيح ورفعه إلى السماء؛ ولذلك فإنهم لم يصلبوه، بل شخصًا آخر تراءى لهم (أوخيل إليهم) أنه المسيح(٢).

وكان الاعتقاد الشائع بين النصارى الأوائل أن المصلوب رجل غير المسيح، وما يؤكد ذلك أن فرقة الموحدين الذين تزعمهم آريوس دافعت عن هذا الاعتقاد وحاربت أعداءَها من أجل الإبقاء على الدين الصحيح الذي جاء به المسيح، كما أن تعاليمَ الاثني عشر أصحاب المسيح لم يذكر فيها أن المصلوب هو المسيح.

يقول أدولف هرنك أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين: يشير إلى حقيقة خلو بعض الرسائل المسيحية الهامة من أي ذِكْرٍ للصليب ونظرية الفداء والكفارة، فيقول: (لا يوجد في مكان من تعاليم الاثني عشر أيُّ ذِكْرٍ للخلاص الذي يقدمه المسيح، وحتى إعلال الإنجيل المتعلق بموته وقيامته ولم يلاحظ شيء عنه).

إن كتابات هرمس المطولة تُبين أن ذلك لم يكن حادثًا وقع ولا يوجد فيها أَيُّ ذِكْرٍ على الإطلاق لميلاد يسوع وموته وقيامته...... إلخ. رغم أن المؤلف كانت عندَه المناسبةُ التي يذكر فيها ذلك.

---

(١) النصرانية دارسة مقارنة صـ١٨١.

(٢) المرجع السابق صـ١٨٢.

إنه يصف عمل يسوع بأنه:

١- حفظ الشعب الذي اختاره الله.

٢- تنقية الشعب من الخطية.

٣- تعريفهم طريقَ الحياةِ ونشر الناموس الإلهي[١].

وبالنسبة للمذاهب النصرانية المعاصرة فإنهم اتفقوا جميعًا على الاعتقاد بصلب المسيح وقيامتِه بين الأموات، وصعوده إلى السماء، ولا اختلاف بينَهم في ذلك.

كما أجمعوا على القول بأن خطيئة آدم عَمَّتْ جميعَ نسلِه، وصار البشرُ عامةً عاجزينَ عن إيفاء العدل الإلهي حقَّه والتفكير عن معصيتهم، وظلوا على ذلك حتى تجسد الأقنوم الثاني ووفَّى دينَهم وكفَّر عن معصيتهم[٢].

أما من ناحية تقديس الصليب وحمله فإن الكنائس الكاثوليكية تجعل تقديسَ الصليبِ وحملَه من طقوسها التي يجب على كل فرد الالتزامُ بها، فَغَالَوْا في ذلك لدرجة أنهم يتقدمون بالصلاة والسجود للصليب ويرشمونه على وجوههم، وعند ممارسة الأسرار يقدسون السرَّ بالرشم عليه ويبدءون قراءاتهم بالرشم فعلقوه على كنائسهم في الداخل والخارج وعلى مساكنهم وفي أعناقهم وأيديهم وآذانهم، ورسموه على أثوابهم وأدوات طهيهم وعلى حوائط بيوتهم ومكاتبهم، بل وعلى أرضيات البيوت وغيرها من الأشياء الممتهنة وغير الممتهنة، ولا يسير رجال الدين عندهم إلا وهو وفي أعناقهم أو حاملين في أيديهم الصلبان.

---

(١) تاريخ العقيدة: أدولف هرتك جـ١/ ٢٠١ نقلًا عن المسيح في مصادر العقائد المسيحية صـ٢٧٥.

(٢) علم اللاهوت بحسب معتقدات الكنيسة القبطية الأرذثوكسية، القمص ميخائيل مينا جـ١/ ٣٠٥ ط: (٥) ١٩٧٤م، خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية. صـ٢٣ - ٢٦.

وتعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية أن السيد المسيح بعد موته ذهبت نفسُه الطاهرةُ وهي متحدةٌ باللاهوت إلى الجحيم، وأخرجت نفسَ آدم وحواء وجميع الأنفس المسجونة بطائلة الخطيئة الأصلية. وماتوا على الرجاء وأصعدتهم إلى الفردوس، وأما الكنائس البروتستانتية فترفض هذه العقيدة[١].

والبروتستانت لا يرشمون ذاتَهم بعلامة الصليب قبلَ الصلاةِ وبعدَها قائلينَ: باسم الأبِ والابن والروح القدس، ولا يرشمون الطعامَ بعلامةِ الصليبِ قبلَ الأكلِ ولا يستخدمونَ الصليبَ للبركة، لا في رشم الناس ولا في رشم الملابس.

ويحتفل الأرثوذكس والكاثوليك بأعياد الصليب، أما البروتستانت فلا يحتفلون بأعياد الصليب ولا يقبلون الصليب.

وكل الأسرار المقدسة عند الأرثوذكس والكاثوليك يُستخدم فيها الصليبُ لزعمهم أنها كلها نابعةٌ من استحقاقات دم المسيح على الصليب[٢].

وهؤلاء يقدسون الصليبَ ويحملونَه مستدلينَ بما نُسب إلى المسيح من قول: (من لا يأخذ صليبَه ويتبعني فلا يستحقني[٣]) (إن أراد أحدٌ أن يأتِيَ ورائي فلينكر نفسَه ويحمل صليبه ويتبعني)[٤] وفي حديثِه مع الشابِّ الغنيِّ قال له: (اذهب وبع كل ما وراءك وأعطه للفقراء.... وتعالى اتبعني حاملاً الصليب[٥]) وقال: (من لا يحمل صليبَه ويأتي ورائي لا يقدر أن يكون لي تلميذًا[٦]).

---

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٧.

(٢) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٤٩، ١٥٤.

(٣) متى: ١٠/ ٣٨.

(٤) متى: ١٦/ ٢٤. مرقس: ٨/ ٣٤.

(٥) راجع: متى: ١٩/ ٢٧.

(٦) لوقا: ١٤/ ٢٧.

وقد سبق بيان بطلان عقيدة الصليب والفداء وقيامة المسيح وصعوده التي يعتقدها النصارى ويقولون بها ويرتبون عليها تقديسَهم للصليب وحملَه، ولا شك أن ما بُنِيَ على باطلٍ فهو باطلٌ، فَبَطَلَ تقديسُهم للصليب وحمله.

المبحث الخامس

المسيح عليه السلام لم يعرف الصليب ولم يأمر بحمله

إذا كان النصارى يعتقدون بصلب المسيح فهل أخبرهم المسيحُ عليه السلام بهذا؟ أو أَمَرَهُمْ بحملِ الصليبِ وتقديسِه؟

ويجيب على ذلك شارل جنيبير إذ يقول: يجب علينا أن لا ننسى أنه ـ أي المسيح ـ لم يؤسس شيئًا: لم يأت بدين جديد ولا حتى بأي من طقوس العبادة جديد[١].

إن النصارى الأوائل لم يعرفوا شيئًا عن الصليب، بل لقد أنكروا، عقيدة صلب المسيح عليه السلام ولم يقل منهم أحد بصلبه، ومن هؤلاء برنابا الذي أنكر صلبَ المسيح وَبَيَّنَ أن اللهَ ألقى شبهَه على يهوذا الإسخريوطي فيقول في ذلك برنابا: (ولما دنت الجنودُ مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دُنُوَّ جم غفير؛ فلذلك انسحب إلى البيت خائفًا، وكان الأحد عشر نيامًا، فلما رأى اللهُ الخطرَ على عبدِه أَمَرَ جبريلَ وميخائيلَ ورفائيلَ وأوريلَ سفراءَه أن يأخذوا يسوعَ من العالم.

فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد، ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أُصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نيامًا، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شَبَهَ يسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا آخذًا يفتش لينظر أين كان المعلم؛ لذلك تَعَجَّبْنَا؛ وأنت يا سيد هو معلمنا، أنسيتنا الآن؟[٢].

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٨.

(٢) برنابا: ٢١٥، ٢١٦ / ١ – ٩.

أما هو فقال متبسمًا: (هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا ووجهَه وشخصَه بلغتْ من الشبهِ بيسوعَ أن اعتقد تلاميذُه والمؤمنون به كافةً أنه هو يسوع؛ لذلك خرج بعضُهم من تعليم يسوع معتقدينَ أن يسوع كان نَبِيًّا كاذبًا، وأنه فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر؛ لأن يسوع قال: إنه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم؛ لأنه سيؤخذ من ذلك الوقت من العالم[1].

ثم يذكر برنابا أن المسيح طلب إلى الله أن ينزل إلى الأرض بعد رفعِه ليرى أمه وتلاميذه، وليزيل ما علق بنفوس الناس من شك في أمره ومن اعتقاد بأنه هو الذي صُلب، وأنه نزل بعد ثلاثة أيام ثم يقول: (ووبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات وقام قائلاً: (أتحسبونني أنا والله كاذبين.... الحق أقول لكم: إني لم أَمُتْ، بل يهوذا الخائن احذروا؛ لأن الشيطان سيحاول جهدَه أن يخدعكم، ولكن ـ كونوا شهودي في كل إسرائيل وفي العالم كله لكل الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها)[2].

فهذا شهادة أحد الحوارين الذين كانوا حاضرينِ لحادثة القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه، ولقد كان برنابا في روايته متسقًا مع المقدمات والنتائج؛ لا تناقضَ بين مقدمة ونتيجتها، إن رواية برنابا واضحةٌ وصريحةٌ... ولكنه لم يأت بأمر ما من عند نفسه بل جاء بما ألمحت إليه الأناجيل الأربعة، ولم تستطع أن تخفيه، وإن كان كُتَّابُهَا قد فسروها تفسيرًا يتفق مع اتجاهاتهم[3].

وإذا كان برنابا يصرح بأن المسيح لم يُقتل ولم يُصلب إنما الذي صُلب يهوذا الذي ألقي عليه شبه المسيح فإن القرآن الكريم يؤكد ذلك ويثبته في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا

(١) برنابا ٢١٧/ ٨٠ - ٨٣.

(٢) برنابا: ٢٢١/ ١٥ - ١٩.

(٣) راجع الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة صـ١٥٠.

قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[١] بل إن الأناجيل التي يعتمد عليها النصارى في قضية الصلب والقيامة والصعود تُصرح وتنص على ما قال به برنابا ففي إنجيل لوقا: (فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى طرحوه إلى أسفل، وأما هو فجاز في وسطهم ومضى)[٢].

وفي إنجيل يوحنا: (فرفعوا حجارةً ليرجموه، وأما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازًا في وسطهم ومضى)[٣]. وفيه أن المسيح قال لليهود عندما أرسل الفريسيون رؤساءَ الكهنة خدامًا ليمسكوه: (أنا معكم زمانًا يسيرًا ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أن تأتوا)[٤].

وهذا يدل على أنه حينما يريدون القبض عليه لقتله وصلبه فإنهم لن يجدوه وأنهم لن يستطيعوا الوصولَ إليه مهما أُوتوا من قوةٍ أو حاكوا من مؤامرات؛ لأنه لن يكون بعدُ في عمالهم «ثم أمضى إلى الذي أرسلني»).

ورواية مرقس تُبين بوضوح أن عيسى عليه السلام لم يُقبض عليه؛ وبالتالي لم يقتل ولم يصلب، ولكنه شُبِّهَ لهم، ولذلك ساورهم الشكُّ فيمن يريدون القبضَ عليه، وقد أخبرهم بذلك في قوله: (إن كلكم تَشُكُّونَ فِيَّ هذه الليلةَ)[٥] وعندما راجعه بطرس وقال له: (إن شكَّ الجميعُ فأنا لا أَشُكُّ)[٦] أكد له عيسى عليه السلام: (قال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم في هذه الليلة قبل أن يصيح الديكُ مرتين تنكرني ثلاثَ مرات)[٧].

---

(١) سورة النساء: الآية: ١٥٧.

(٢) لوقا: ٤/ ٢٩، ٣٠.

(٣) يوحنا: ٨/ ٥٩

(٤) مرقس: ١٤/ ٢٧.

(٥) يو: ٧/ ٣٣، ٢٤

(٦) مرقس: ١٤/ ٢٩.

(٧) مرقس: ١٤/ ٣٠ ومن أراد المزيد فليراجع متى: ١٧/ ٢، مر: ٩/ ٢، ١٦/ ١٢، ١٤ لو: ٩/ ٢٩، ٢٤/ ١٥،=

فأصحاب الأناجيل الأربعة الذين اعتمد عليهم النصارى في رواية قصة الصلب وغيرِها يتفقونَ مع برنابا في أن الكل شكَّ في المصلوب وأنهم صرحوا بذلك. فَمِنْ أين للنصارى القطعُ بأن المصلوب هو عين المسيح عليه السلام دون الشبهِ، بل إنما حَصَلَ الظنُّ والتخمينُ وصدق قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ﴾[1].

كما أن النصارى ينسبون للمسيح وصيةً أمر فيها بحمل الصليب ويحتجون بها على حمله وتقديسه، ومع أن الأناجيل التي ذَكَرَتْ ذلك ذكرت أيضًا حلولَ اللعنةِ على كل من يتعلق بالصليب: (ملعونٌ ملعونٌ من يتعلق بالصليب)[2] فهل يُعقل أن يُوجب اللعنة على نفسه، وقد ذكر المسيح أنه كان مباركًا مقدسًا كما جاء في إنجيل متى: (متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة والقديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده)[3] فهل بعد ذلك يأمرُ بحمل الصليب الذي صُلب عليه بزعم النصارى.

أهذه شعائر الدين وتلك الخشبة كانت وبالاً عليه بزعمكم حتى تتخذوها تذكارًا؟ والأناجيل الأربعة لم تذكر أن التلاميذ لم يأتوا وراءه ولم يحملوا صليبًا بل واحد منهم دَلَّ عليه ولم يُنقل أن أحدًا حمل الصليب وتبع المسيح.

وأنه على صحة قول المسيح: (ومن لا يحمل صليبَه و يأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا)[4] فيُؤَوَّلُ بأن مراده عليه السلام حثهم وتحريضهم على أن يدعوا إلى دين الله

=١٦، ٣١، يو: ٢٠ / ٢٤، ٢١ / ٤ ومنها يتبين أن تلاميذ المسيح قد عهدوا تغيراتِ شَبَهِ المسيح وهيئته قبل ذلك؛ وهذا يُسَهِّلُ إلقاءَ شبهِ المسيح على غيره.

(١) سورة النساء من الآيتين: ١٥٧، ١٥٨.

(٢) غلاطة: ٣/ ١٣.

(٣) متى: ٢٥/ ٣١.

(٤) لوقا ١٤/ ٢٧.

ويجاهدوا في سبيل الله ويبيعوا أنفسهم في ذلك بحيث لا تأخذهم في الله لومة ولائم، والمراد بالصليب: آلة القتل لا الصليب المعروف عند النصارى الآن، فكان المسيح يقول: ليتبعني كل منكم وآلةُ موتِه على كتفيه وكفنُه على عاتقِه مقاتلاً في سبيل الله، ومؤثرًا ما عند الله على الحياة الدنيوية، فهو من قبيل قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾[1] ويدل على ذلك أمره للتلاميذ بأن يبيعوا ثيابهم ويشتروا سيوفًا[2].

فإذا كان المسيح عليه السلام لم يأمر أحدًا من النصارى بحملِ الصليبِ وتقديسِه؛ فالسؤالُ الآن: من أين أخذت النصرانيةُ ذلك؟

إنه بالنظر إلى زمان ظهور الصليب في النصرانية، وكذلك بالرجوع إلى دراسة عقائد الديانة الوثنية تتضح الإجابةُ على هذا السؤال.

إن النصارى يعترفون بأن هيلانة هي التي أدخلت الصليب على النصرانية بعد اعتناق قسطنطين لها، أي أن الصليب لم يأمر المسيحُ بتقديسه، يقول الشيخ إبراهيم خليل: الصليب رمز للحياة والتضحية منذ آلاف السنين، وهذا الرمز وُجد منقوشًا على الألواح الحجرية الموضوعة فوق القبور البالغة القِدَم، ولقد شغل الصليبُ مكانةً دينيةً مرموقةً في مصر وفي آشور فارس والهند، ويقال: إن الإمبراطور قسطنطين قد اتخذه رمزًا للإيمان المسيحي نقلاً عن المحورينِ المتعامدينِ للمجموعةِ الشمسيةِ التي كانت جيوشُه قد جاءت بها من بلاد الغال رمزًا لعبادتهم الشمس.

وعلى هذا يكون الصليب رمزًا دينيًّا قديمًا جدًّا لا يمتُّ للمسيحية بصلة، ثم يذكر عن

---

(١) سورة التوبة: الآية: ١١١.

(٢) راجع: الفارق بين المخلوق والخالق صـ١١٣، ١١٤ والنصرانية والإسلام صـ٢٨.

آرثر فصندلاي ما أورده في كتابه: (صخرة الحق) قوله: (حتى سنة ٦٨٠م لم تكن الفكرة قد تبلورت حول الرمز الذي يُعطى لصليبِ عيسى، وقبل ذلك كان يُرمز للمخلص مذار، فَاسْتُبْدِلَ عندئذ بالجمل رجل مربوط إلى صليب ومذار هو المسيح المخلص للفُرْسِ سنةَ ٤٠٠ ق م)[١].

ثم يذكر السير آرثر فندلاي أن الصليب كان عندَ الفراعنةِ يُستخدم كعلامةِ الحياةِ، وفي اليونان كان الصليبُ يُستخدم كرمزٍ للحبِّ والتضحيةِ، وكذلك الأمرُ في التبت والهند[٢]. ومن ثم أصبح الصليبُ في ٦٢٢م في عهد هرقل رمزًا للجيوش الصليبية، ولقد وُجد تقديسُ الصليب وعقيدةُ الصلب عندَ الأممِ الوثنيةِ السابقةِ على النصرانية؛ مما يؤكد أن تقديسَ الصليبِ وحملَه مقتبسٌ من هذه الأمم؛ لأن النصرانية هي اللاحقة.

ومن هذا يتضح كلَّ الوضوح أن المسيح عليه السلام ليس له صلةٌ بالصليب الذي يقدمُه النصارى ويحملونَه وَيُصَلُّونَ له ويتبركونَ به ويجعلونه الأساسَ الأولَ الذي بَنَوْا عليه كل عقائد دينهم التي ما أنزل الله بها من سلطان[٣].

---

(١) راجع: محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن صـ١٦٣، ١٦٤ النصرانية دراسة مقارنة صـ١٨٧.

(٢) راجع: المرجع السابق صـ١٦٤، مشكلات العقيدة النصرانية صـ١٣٤، النصرانية والإسلام صـ٨٣، ٨٤.

(٣) راجع: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية صـ٧٤: ٨٣ والنصرانية والإسلام صـ٥٦، ٥٧ - عقائد أساسية، مدخل في علم اللاهوت صـ١٧١، الديانات القديمة صـ٣٦، المسيحية صـ١٧١، فجر المسيحية صـ٤٧ عقيدة الصلب والفداء صـ١١٧.

المبحث السادس

الإسلام ينفي القتل والصلب عن المسيح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾[1] ويقول تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير: (قد أوضح الله الأمرَ وجلاه وَبيَّنَهُ وأظهره في القرآن الكريم الذي أنزله على رسول الكريم المؤيد بالمعجزات والبيانات والدلائل الواضحات فقال تعالى وهو أصدق القائلين رب العالمين المطلّع على السرائر والشعائر الذي يعلم السرَّ في السماوات والأرض العالم بما كان وما يكون لو كان كيف يكون (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي: رأوا شبهَه فظنوه إياه؛ ولهذا قال: (و إن الذين اختلفوا فيه لفي شك) من ذلك وحيرة وضلال وسعر؛ ولهذا قال: (وما قتلوه بقينا) أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين، (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا) أي: منيع الجناب لا يُرام جناية ولا يُضام من لاذَ ببابه (حكيمًا) أي: في جميع ما يقدره و يقضيه من الأمور التي يخلقها، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم[3].

---

(١) سورة النساء: الآيتان: ١٥٦، ١٥٧.

(٢) سورة آل عمران: ٥٤، ٥٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ١/ ٥٧٥.

وَتُبَيِّن آياتُ سورةِ النساءِ أن المسيحَ ما قُتل وما صُلب، فعندَ القبضِ عليه ألقي شبهُه على شخصٍ آخرَ فظنوه عيسى وقبضوا عليه، وكان قد رَفَعَ اللهُ عيسى إليه، يقول الإمام الزمخشري: رُوِيَ أن رهطًا من اليهود سبوه وسبوا أمَّه فدعا عليهم: اللهم أنتَ ربي وبكلمتِك خلقتني، اللهم العن مَنْ سبني وسبَّ والدتي، فمسح اللهُ من سبهما قردةً وخنازيرَ، فأجمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود، فقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يُلْقَى عليه شبهي فيقتلُ ويصلبُ ويدخلُ الجنةَ؟ فقال رجل منهم: أنا، فألقى اللهُ عليه شبهَه فَقُتِلَ وَصُلِبَ، وقيل: كان رجلٌ ينافق عيسى، فلما أرادوا قتلَه قال: أنا أدلكم عليه، فدخل بيتَ عيسى فَرُفِعَ عيسى وأُلْقِيَ شبهُه على المنافقِ فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنونَ أنه عيسى؟ وقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبُنا؟ وإن كان هذا صاحبُنا فأين عيسى؟... وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى واليدُ يدُ صاحبنا[1].

وذكرت الآيات أن الله رفع المسيح إليه في قوله تعالى: (بل رفعه الله إليه) (إني متوفيك ورافعك إلي) وقد اختلف العلماء في نهاية المسيح؛ فمنهم من قال: إن الله نَجَّاهُ من أعدائِه وتوفاه، ومنهم من قال: إن الله توفاه، ومنهم من قال: إنه رُفع إلى السماء دون وفاة، وقال قتادة وغيره: إني رافعك إليَّ ومتوفيك يعني: بعدَ ذلك، وعن ابن عباس: إني متوفيك أي: مميتك..... وقال ابن جرير: توفيه هو رفعه. وقال: الأكثرون: المراد بالوفاة هنا النوم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾[2].

وهذا الرأي هو الراجح؛ وذلك لأسباب منها:

١- أنه يتفق مع ما ورد في إنجيل برنابا أن المسيح وأنصاره كانوا نيامًا قبل الرفع.

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري جـ١/ ٥٨٠، تفسير الألوسي جـ٦/ ١٠، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٥٨٢. العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ٢٧٦ وما بعدها.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ١/ ٣٦٧.

٢- أن هذا يتفق مع ما أمر به القرآن من رَدِّ المتشابهِ إلى المُحْكَمِ ليُفْهَمَ معناه، ولفظُ التوفي هنا متشابهٌ؛ لأنه يحتمل التوفيَّ بالموت والتوفيَّ بالنوم، ولكن لفظ الرفع إلى الله محكمٌ وصريحٌ في معناه، وتأويلُه برفع الروح أو رفع المكانة لا مسوغَ ولا مبررَ له، كما أنه يتعارض مع قوله تعالى: (ومطهرك من الذين كفروا) إذ المراد به إنجاؤه من مكرهم حين أرادوا قتلَه، ولو فُسرت الوفاةُ بالموت لما تم التطهير بمعنى النجاة.

٣- ورد في تفسير قتادة للآية أن فيها تقديمًا وتأخيرًا، وتقديرُه: إني لرافعك إليَّ ومتوفيك بعد ذلك.

٤- كون هذا الرأي أرجح لأنه مستقًى من القرآن الكريم ومن صحيح أحاديث الرسول ﷺ، وفي هذا السلامة كل السلامة من شطط العقل وكثرة تأويلاته لأمور لا مدخل له فيها، ولا مجال له في رفضها أو قبولها.

ويقول الإمام الرازي: رَفْعُ عيسى عليه السلام إلى السماء ثابتٌ بهذه الآية ـ بل رفعه الله إليه، ونظير هذه الآية قوله في آل عمران: (إني متوفيك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا) واعلم أنه تعالى لما عَقَّبَ ما شرح أنه وصل إلى عيس أنواع كثيرة من البلاء والمحن أنه رفعه إليه دَلَّ ذلك على أن رفعَه إليه أعظمُ في باب الثواب من الجنة ومن كل ما فيها من اللذات الجسمانية[1]. وَرَأْيُ جمهور العلماء على أن عيسى عليه السلام رُفع السماء[2].

(١) راجع تفسير الرازي جـ١١/ ١٠٤، ١٠٥ بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٥٩١، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص٥٩١.

(٢) راجع: عقيدة الصلب والفداء صـ٨، ٩، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل صـ٣٢١ وما بعدها ويؤول الأسقف «دافيد وبراون» قوله تعالى: {وما قتلوه وما صلبوه} يقول (كيف أن اليهود) قد خاب فألهم، وفشلت خطتهم لأنهم إذا صلبوا المسيح كانوا يتصورون أنهم قد تخلصوا منه نهائيًا وإلى الأبد، ونعم شُبِّهَ لهم أنهم إذا قتلوه وظنوا أنهم قضوا عليه، لكن بقيامته اتضح أنهم قتلوه وما صلبوه بمعنى: أنهم لم يتمكنوا من القضاء عليه كما كانوا يريدون؛ فالمسيح هو كلمة الله الذي صار جسدًا بالصلب، قتل اليهودُ الجسدَ لكنهم لم يقتلوا الكلمة راجع: هل صُلب المسيح: الأسقف دافيد براون ص٧٠.

موقف لعيسى آخر الزمان:

الحق الوحيد الذي تحدث عنه النصارى وهم يوضحون مصير عيسى بعد الصلب - في زعمهم - فهو حديثُهم عن المجيء الثاني لعيسى، وإن كانوا قد اختلفوا في كيفية إقامة ملكوته، وهل هو ملكوت أرضي أم سماوي؟ واختلفوا في موعده[١].

ولم يصل النصارى إلى رأى قاطع إلى أن بُعث رسول الله محمد ﷺ، وكشف لهم الحقائق؛ فقد أخبر الرسول الكريم أن عيسى سوف ينزل في آخِرِ الزمان وأنه سوف يكسرُ الصليبَ، ويريقُ الخمرَ، ويقتل الدجالَ ويقيمُ الملةَ العوجاءَ وينزل بشريعةِ الإسلامِ، وجاءت عدةُ أحاديثَ عن نزول المسيح آخِرَ الزمان منها:

ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزلَ فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً؛ فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويقبض المال حتى لا يقبله أحدُ، وحتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها، ثم قال أبو هريرة وأقرؤا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[٢]، وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم[٣]).

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد علات وليس بيني وبينه نبي[٤]) وقال: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من

---

(١) راجع: ملكوت الله، القس فهيم عزيز ص ٣٢، ٣٥.

(٢) صحيح البخاري جـ٢/ ٢٥٦ كتاب بدء الخلق باب نزول عيسى ابن مريم عليها السلام.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة، شرح صحيح مسلم للنووي جـ٢/ ١٩٣، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى حكما.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي جـ١٥/ ١١٩ كتاب الإيمان باب فضائل عيسى عليه السلام.

علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد، فليس بيننا نبي)[١]، وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في فضل عيسى عليه السلام)[٢].

ولقد امتدح القرآن الكريم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في آيات كثيرة ومنها، قول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٣] وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي جـ١٥/ ١١٩ كتاب الإيمان باب فضائل عيسى عليه السلام.

(٢) ذكر الإمام ابن كثير في تفسير الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض من السماء آخر الزمان قبل القيامة، وكذلك الأحاديث الواردة في فضله عليه السلام جـ١/ ٥٦٧.

(٣) سورة آل عمران: الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٤) سورة النساء من الآية ١٧١.

(٥) سورة مريم الآية: ٣٤.



الفصل الثالث

الصلاة الكنسية وطقوسها
وموقف الإسلام منها

المبحث الأول: المراد بالصلاة الكَنسِية عند النصارى.
المبحث الثاني: أحكام الصلاة عند النصارى.
المبحث الثالث: الصلاة في الكنائس النصرانية.
المبحث الرابع: الصلاة الكنسية لم يأت بها المسيح عليه السلام.



المبحث الأول

المراد بالصلاة الكنسية لدى النصارى

١- تعريف الصلاة في اللغة:

الصلاة: الركوع والسجود، والجمع صلوات، فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة، وبه سميت الصلاة؛ لما فيها من الدعاء والاستغفار، والصلاة لزوم ما فرض الله تعالى، والصلاة واحدة الصلوات المفروضة، وهو اسم موضوع المصدر، تقول: صليت، ولا تقل: تصلية..... وأصلها في اللغة الدعاء؛ فسميت ببعض أجزائها، وقيل: أصلها في اللغة التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقدس، والصلاة تأتي بمعنى مكان الصلاة مجازا، ومثل قوله تعالى: ﴿ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴾ فالصلوات أماكن عبادة وصلاة)[1].

أما في الاصطلاح الكنسي: فتختلف اختلافا بَيِّنًا عما جاء به المسيح عليه السلام وعما عليه نحن المسلمين.

فليس للصلاة تعريف خاص عند النصارى، إلا أنه وجدت عدة تعريفات لها كلها تركز على معناها العام ولا صلة لها بالمضمون والمحتوى ومنها:

ما جاء في اللآلئ النفيسة: الصلاة معناها لغة: الدعاء، وفي الاصطلاح الديني: ارتفاع العقل إلى الله وسكب النفس أمامه، أو بالصراخ إليه والاقتراب له، والتضرع أمامه، أو مناجاة الروح خالقها فيها يجلب رحمته ويستمطر بركته، ويدفع نقمه[2].

---

(١) راجع: لسان العرب جـ٤/ ٢٤٩٠، مختار الصحاح ص ٣٦٩، القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم جـ١/ ٣٨٢.

(٢) اللآلئ النفيسة جـ١/ ١٢٩، راجع: التوجيهات في الصلاة ص٣٥.

ويعرف «ابن العسال» الصلاة بقوله: الصلاة مخاطبة الإنسان للإله تعالى بشكره وتمجيده والإقرار بربوبيته، بالاعتراف له بذنوبنا والطلب منه ما يرضاه لنا[١].

ويعرفها «هاليسبي» بقوله: الصلاة هي السماح للرب أن يدخل إلى صميم أعوازنا، وهي فتح القلب للرب يسوع فيدخل مالئا القلب بسلامه الكامل[٢].

وعن معنى الصلاة يقول القس «فايز فارس»:

الصلاة هي رفع أشواق القلب إلى الله باسم المسيح من أجل الأمور المطابقة لمشيئة الله مع الشكر لله على مراحمه والاعتراف بخطايانا[٣].

ويقول د/ موريس تاوضروس:

الصلاة والدين معنيان مترادفان، فالصلاة والدين هما شيء واحد بعينه ـ الصلاة هي أساس الحياة الروحية وقوامها لأنها الدين في حقيقته وجوهره[٤].

ويعرف القمص «لوقا الأنطوني» الصلاة بقوله: هي رفع العقل والقلب إلى الله، أي صلة المخلوق بالخالق، أو هي النوع الإنساني نحو الأب السماوي وليس شرود الفكر في الأمور الدنيوية والأفكار العالمية... مع الحب والشكر على النعم التي أسبغها الله على الإنسان مع الندم على ما اقترفه من أخطاء[٥].

ويعرف «إدوارد باوندز» الصلاة بأنها صراع مع الله فيقول: (الصلاة في أسمى

---

(١) المجمع الصفوي لابن العسال صـ١٥٦ نقلا عن العبادات المسيحية ص ١٦.

(٢) الصلاة - هاليسبي - تعريب نعيم عشم ص٨٧ لجنة خلاص النفوس للنشر ١٩٦٨.

(٣) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص٢١٤، راجع: خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية ص٤٥.

(٤) أضواء على الإيمان المسيحي ص٨٢.

(٥) المواعظ الإلهية لقدسات آحاد وأعياد السنة القبطية ص٢٧، ٢٨.

معانيها وأوج نجاحها هي صراع مع الله، إنها امتحان الإيمان وتزكيته)[١] ويقول «حوري أمرس»: (الصلاة هي الكلام مع الله كما لو كنا نكلم إنسانا)[٢] ويقول كبريال مرسال: (الصلاة هي أن تقبل محبة الله لنا)[٣].

وبعد عرض هذه التعريفات للصلاة عند النصارى يتبين أنه لا يوجد تعريف خاص بالصلاة عندهم بمعنى يوضح مضمون هذه الصلاة، والتعريفات كلها تدور حول معانٍ عامة؛ مثل التعبير عن الشعور الروحي للإنسان نحو خالقه، أو هي حديث مع الله يناجي فيها خالقه، فيشكره في حالات الفرح ويستغيث به في حالات الضيق، ويحمده ويسبحه، على أن يكون المصلي في شركة روحية دائمة مع الله، فهم يعتبرون الصلاة شركة مع الله[٤].

٢- أدلة الصلاة عند النصارى:

يستدل النصارى على الصلاة عندهم بعدة نصوص؛ منها ما جاء في إنجيل لوقا من أن المسيح كان يصلي فطلب تلاميذه منه أن يعلمهم الصلاة فيقول لوقا: (إذ كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه: يا رب، علمنا أن نصلي كما علم يوحنا أيضا تلاميذه، فقال لهم: متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، واغفر لنا خطايانا؛ لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير)[٥].

---

(١) حياة الصلاة، إدوارد ياوندز ص٥٢.

(٢) الأسرار حياة الإيمان ص٥٠١.

(٣) الأسرار حياة الإيمان ص٥٠١.

(٤) راجع: قاموس الكتاب المقدس ص٥٤٧، سؤال وجواب جـ٢/ ٤٢.

(٥) لوقا: ١١/ ١ – ٤.

وفي إنجيل متى: (فَصَلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء وكذلك على الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا المذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير؛ لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين، فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أيضا أبوكم أيضا زلاتكم[1].

ويطلق النصارى على هذا الدعاء اسم الصلاة الربانية؛ لأنهم يزعمون أن ربهم المسيح هو الذي علمهم إياها؛ لذلك فهم يلتزمون بها في صلواتهم علاوة على إضافات من أدعية أخرى من سفر المزامير الذي يقولون عنه: إنه خزانة ذهبية لصلوات داود النبي وغيره من الأنبياء[2].

ولهذا يقول قاموس الكتاب عن الصلاة الربانية: هي صلاة الصلوات كما أن الكتاب المقدس كتاب الكتب ولا تعني بذلك أنها الصلاة الوحيدة أو أننا لا نصلي غيرها بل نعني أنها مثال صلواتنا ونموذج لروحها وأسلوبها، ولا يمكن أن تخرج صلاة كهذه إلا من فم ابن الله[3].

وجاء في إنجيل متى أيضا في نفس الإصحاح ما نصه: (متى صليت فلا تكن كالمرائي فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس الحق وأقول: إنهم قد استوفوا أجرهم وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، أبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية، وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم

---

(١) متى: ٦/ - ١٥.

(٢) راجع: النصرانية والإسلام ص١٣١.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٥٥١.

فلا تتشبهوا لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه)[١]. (فاسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة)[٢].

وجاء في إنجيل يوحنا: (ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الأب، أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل شيء وحين تسمع لي لكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: ليؤمنوا أنك أرسلتني)[٣]. بالتأمل في هذه النصوص وغيرها الواردة في الصلاة يتضح أن الصلاة في النصرانية غير إلزامية؛ لعدم وجود نص في العهد الجديد يدل على الإلزام بها؛ ولذلك يرى كثير من النصارى أن الصلاة اختيارية، وليست إجبارية، كما يتضح أنه لا صلاة في النصرانية بالمعنى الشرعي المعهود وإنما صلاة بمعناها اللغوي العام أي تضرع ودعاء.

(١) متى: ٦/ ٥ – ٨.

(٢) متى: ٢٦/ ٤١.

(٣) يوحنا: ١١/ ٤١، ٤٢.

المبحث الثاني

أحكام الصلاة عند النصارى

الصلاة هي ركن من أركان النصرانية؛ فهي عندهم تقربهم إلى الله عن طريق المسيح، ولقد جاء في كتاب الأصول والفروع: إن الدين قلب مقتنع بوجود الله الخالق الحافظ الفادي، فتكون الصلاة ترجمان ذلك القلب، ويعبر بها عما يخالجه من الأشواق والعواطف، فبالنظر لاقتناعه بقداسته تكون الصلاة كلمات التعظيم والتسبيح له، وبالنسبة لاقتناعنا في الخطيئة تكون الصلاة لكلمات التذلل والتواضع والاستغفار، وبالنسبة للاحتياج إليه تكون الصلاة طلبا ودعاء(١).

وتشتمل الصلاة عند النصارى على أحكام، ومن هذه الأحكام: أقسامها وعددها ومواقيتها وأهميتها، وشروطها وكيفيتها وآدابها، وسوف تتضح هذه الأحكام من خلال هذا البحث إن شاء الله تعالى، وذلك ببيان كل منها على حدة.

[١] نوع الصلاة:

تنقسم الصلاة عند النصارى إلى ثلاثة أنواع وهي(٢):

١- الصلاة الفردية:

وهي التي يقف فيها المصلي أمام الله بالصلاة والدعاء منفردا وحده، يقول القس «فايز فارس»: فكما يحتاج المرء إلى طعام يومي لجسده هكذا يحتاج إلى ساعات الاختلاء مع الله، وهذه هي الصلاة الودية مع الله.... وقد كان المسيح نفسه يصرف ساعات

---

(١) نقلا عن محاضرات في النصرانية ص ١١١.

(٢) راجع: الصلاة مفتاح النهضة ص ٧٤ وما بعدها.

طويلة في الاختلاء مع الأب السماوي[١] وجاء في إنجيل متى بشأن الصلاة الفردية: (وأما أنت فمتى صليت فادخل في مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية)[٢].

ومن أمثلة الصلاة الفردية عند النصارى صلاة «داود»: (من أقصى الأرض أدعوك إذا غشي عليّ قلبي إلى صخرة أرفع من تهديني)[٣] وصلاة العشار[٤]، وصلاة اللص على الصليب[٥].

٢- الصلاة الجماعية:

وهي التي يطلق عليها البعض اسم الصلاة الجمهورية، حيث يشترك فيها المصلي مع عدد آخر في المكان المخصص لذلك والمعروف بالكنيسة، أو أي مكان آخر مخصص للعبادة، والجدير بالذكر أن بعض الكنائس المسيحية تستعمل كتبا خاصة للصلاة تجمع فبها الطلبات والابتهالات والاعترافات، والتعاليم والتفاسير، والأقوال المستمدة من الكتاب المقدس وهي تستعمل كما يقول أحد رجال الدين النصارى لمساعدة العابدين على جمع أفكارهم، ووضعها بصورة متناسقة ومتوافقة، وتستعمل هذه عادة في الصلوات الجمهورية، كما جاء في نفس الكتاب عن الصلوات الفردية ما نصه: أما الصلوات الفردية فتكون عادة مرتجلة أو محفوظة ويرفعها المؤمن بحرارة عندما يسكب نفسه أمام الله في الصلاة والدعاء، ولكل مؤمن الحرية أن يرفع تضرعاته بحسب احتياجاته وحسب تنوع الظروف بالنسبة له)[٦].

---

(١) حقائق أساسية عن الإيمان المسيحي ص ٢١٥.

(٢) إنجيل متى: ٦/ ٦.

(٣) مزمور: ٦١/ ٢.

(٤) راجع: لو/ ١٨/ ١٣.

(٥) راجع: لو: ٢٣٥/ ٤٢.

(٦) سؤال وجواب جـ١/ ٤٢، ٤٣.

والصلاة الجماعية تهدف إلى مساعدة الآخرين في صلواتهم الفردية، وإلى خلق جو ملائم للعبادة، وكذلك تساعد على الاشتراك في أهداف واحدة[١] ويقول القس «بول واي شو»: الصلاة الكنسية واحدة من أهم الخدمات التي نقدمها في كنيستنا هي الصلاة الجماعية أثناء كل فترة من فترات العبادة التي تقام بالكنيسة، فنحن عادة نفتتح عبادتنا بفترة صلاة جماعية يصلي فيها الجميع في وقت واحد[٢].

وطريقة هذه العبادة على ما بَيَّنَ (بركيت) أن الناس يجتمعون كل مساء وصباح في الكنيسة ويقرأ أحدهم جزءا من (الكتاب المقدس) ويكون في الأغلب قطعة من (المزامير) وعند نهاية كل نشيد من أناشيد المزامير، ويدعون خافضين ركبتهم، وسكب الدموع بهذه المناسبة اعترافا بالذنوب عمل مستحسن، وهذه الطريقة لا تزال متبعة من القرن الثالث المسيحي[٣].

٣- العبادة العائلية:

وهي التي يجمع فيها الرجل زوجته وأولاده حوله ويقرأ لهم شيئا من الكتاب المقدس، ويطلب لهم المغفرة والبركة من الله[٤].

وليس لها وقت معين؛ فقد تكون في الصباح أو في المساء أو على مائدة الطعام أو قبل الطعام[٥]، ويقول القس: بول واي شو: وقت العبادة العائلية لابد أن تشتمل على الترانيم، وقراءة الكتاب والصلاة، كما لابد من توفر جو الثقة المتبادلة والأمانة المطلقة

---

(١) راجع: أضواء على الإيمان المسيحي ص١٠٢.

(٢) الصلاة مفتاح النهضة ص٧٩.

(٣) راجع: العبادات المسيحية ص٢٠.

(٤) راجع: أدلة اليقين في الرد على المبشرين ص٣١

(٥) راجع: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص٢١٥.

بين أعضاء العائلة في هذا الوقت؛ وذلك بإتاحة وقت للمشاركة، يعبر كل فرد عن مشاكله وهمومه وآرائه الشخصية أمام بقية أفراد العائلة[١].

وعند النصارى صلوات أخرى غير هذه الأنواع الثلاثة، أو قد تكون مندرجة تحتها، وهي تختلف بحسب الغاية منها، ومن هذه الصلوات: الصلاة من أجل الآخرين كالصلاة من أجل الموتى والمرضى والمسافرين، والملوك، والمتألمين والمتضايقين، والصلاة من أجل القرابين والسلامة والاجتماعات، وصلاة النذر والتكريس وصلاة الشكر، والصلاة لمنع المخاطر[٢] وهناك صلاة التسبيح وهي عبارة عن تسبيح الرب[٣].

ويقول «بول واي شو»:

في لقاء المجموعات يصلي الأعضاء من أجل احتياجات بعضهم البعض، وقائد المجموعة يقوم بزيارة المرضى منهم، ويصلي معهم، ولقد تعلم شعبنا أهمية الصلاة؛ ولذلك فهم يصلون لأجل كل شيء: الكنيسة، والدولة، والنهضة، والخطاة[٤].

ويستدلون على هذه الصلوات بعدة نصوص منها: (وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة، و إذا هم يكسرون الخبز في البيوت وكانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب، مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب، وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون)[٥]، (وكانوا كل يوم في الهيكل وفي البيوت معلمين ومبشرين

---

(١) الصلاة مفتاح النهضة ص٧٠.

(٢) راجع: أضواء على الإيمان المسيحي ص٩٧: ١٠١ توجيهات في الصلاة ص٢٦ وما بعدها / والكهنوت ص٢٢٦.

(٣) راجع: الصلاة لها ليسبي ص٩٣ وما بعدها.

(٤) الصلاة مفتاح النهضة ص٨٣.

(٥) أع / ٢: ٤٦، ٤٧،

بيسوع المسيح)[١] (وكيف لم أؤخر شيئا من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلمتكم به جهرا في كل بيت)[٢]، (... وعلى الكنيسة التي في بيتها)[٣].

[٢] عدد الصلوات ومواقيتها:

لا توجد لدى النصارى نص من كتابهم المقدس يحدد لهم عددا معينا من الصلوات كل يوم، أو يحدد مواقيت لها، بل وَكَلَ ذلك إلى نشاط المصلين ورغبتهم في العبادة.

يقول القس: (بول): الله يستطيع أن يتكلم إلينا دائما لكننا ينبغي أن نعرف توقيته، ومعرفة توقيت الله يحتاج منا إلى تدريب وصبر فينبغي أن نسمع في الوقت الذي يريد فيه الله أن يتكلم إلينا، ليس قبله ولا بعده، وهذا يستلزم منا أن نكون يقظين تماما ومستعدين في كل وقت للسمع والطاعة[٤]، إلا أن النصارى يستحسنون حفظ أوقات معينة للصلاة؛ ولذا اقتبسوا من اليهود العدد والوقت حيث إن اليهود كانوا يعبدون الله في هيا كلهم في صباح كل يوم ومسائه[٥].

فاستنبطوا من ذلك أنه تلزم الصلاة مرتين أحدهما في الصباح والأخرى في المساء[٦] وزادوا على ذلك مستندين إلى ما جاء في إنجيل لوقا: (وقال لهم أيضا مثلا في أنه ينبغي أن يصلي كل حين وألا يُمَلّ.....)[٧] كما جاء في نفس الإصحاح: (أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم)[٨].

---

(١) أع / ٥: ٤٢.

(٢) أع: ٢٠ / ٢٠.

(٣) رومية: ١٦٠ / ٥

(٤) الصلاة مفتاح النهضة صـ١٢١، محاضرات في النصرانية ص٢٣٣.

(٥) راجع: المسيحية ٢٣٠، والنصرانية والإسلام ص٨٦.

(٦) راجع: محاضرات في النصرانية ص١١٣، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص٢١٥.

(٧) لو: ١٨ / ١.

(٨) لو: ١٨ / ٧.

وجاء في آخر رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي: (صلوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شيء؛ لأن هذه مشيئة الله في المسيح من جهتكم)[١] وعلى ذلك زاد النصارى في الصلوات إلى سبع في اليوم والليلة وهي كالتالي:

١- صلاة الساعة الأولى: وتسمى صلاة باكر أو صلاة الفجر أو السحر.

٢- صلاة الساعة الثالثة: وتؤدى الصلاة في هذه الساعة تشبها برجال الله القديسين.

٣- صلاة الساعة السادسة: وهي تعبر عن الظهور، وفي مثل هذه الساعة صلب المخلص.

٤- صلاة الساعة التاسعة: في هذه الساعة ذاق يسوع الموت بالجسد على الصليب وأسلم الروح.

٥- صلاة الساعة الحادية عشر: وتسمى صلاة المغرب، في هذه الساعة نزل جسد المسيح من على الصليب.

٦- صلاة الساعة الثانية عشرة: وتسمى صلاة النوم، في هذه الساعة وُضِعَ يسوع في القبر.

٧- صلاة نصف الليل: هي تذكر بمجيء المسيح الثاني[٢].

أما صلاة الستار فهي خاصة بالرهبان يصلونها قبل النوم مباشرة[٣].

هذا بالإضافة إلى الصلاة الجمهورية التي تقام في بيوت العبادة في أوقات معينة مثل أيام الأحد والأعياد الدينية، كما أن الكنيسة النصرانية على مر العصور قد رتبت

---

(١) تسالونيكي: ٥/ ١٧/ ١٨.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٤٦، اللآلئ النفيسة جـ١/ ١٤٩ وما بعدها، مبادئ العقائد المسيحية صـ٨٣: العبادات المسيحية ص١٦، المسيحية ص٢٦، النصرانية والإسلام ص٨٧.

(٣) راجع: اللآلئ النفيسة جـ١/ ١٥٦.

أوقاتا خاصة للصلاة بالنسبة للطقوس الكنيسة المختلفة[١] إلا أن بعض النصارى يرى أن الصلاة ليس لها عدد معين ولا وقت معين ويقولون: إن الإنسان المصلي يستطيع أن يصلي في كل زمان ومكان[٢]. ويستند أصحاب هذا الرأي إلى بعض النصوص الواردة في العهد الجديد مثل ما جاء في إنجيل يوحنا: (الله روح الذين يسجدون له، فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا)[٣]، ومما جاء في آخر رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي: (صلوا بلا انقطاع)[٤] ويعلق على هذا النص صاحب رسالة الأصول والفروع فيقول: معنى هذا أن تستحضر في أذهاننا روح الصلاة على الدوام، وكلما خطر على البال ذكر الله ومحبته نرفع قلوبنا إليه سواء كان بالقول أو بالتوجيهات القلبية بدون كلام، والله يعلم ما في القلوب[٥].

[٣] شروطها وآدابها:

للصلاة عند النصارى شروط لا تقبل بدونها، إذا توفرت هذه الشروط في إنسان نال ثمارها وهي:

١- أن تقدم باسم المسيح طبقا لما جاء في إنجيل يوحنا حاكيا عن المسيح: (الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم إلى الآن لم تطلبوا شيئا باسمي، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا)[٦] ويعللون ذلك بأن الإنسان بسبب خطاياه أبعد عن رضا الله ولكن بدم المسيح زال هذا البعد وأصبح قريبا

---

(١) راجع: سؤال وجواب جـ١/ ٤٣، خلاصة الأصول الإيمانية ص٤٩.

(٢) راجع: محاضرات في النصرانية ص١٣٤، النصرانية والإسلام ص ٨٧، كفارة المسيح ص٥١.

(٣) يوحنا ٤/ ٢٤.

(٤) تسالونيكس: ٥/ ١٧.

(٥) راجع: محاضرات في النصرانية ص ١٣٤.

(٦) يو: ١٦ / ٢٣، ٢٤.

إليه ويشير إلى ذلك بولس في رسالته إلى أهل أفسس فيقول: (لكن الأب هو المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح؛ لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدا ونقض حائط السياج المتوسط)(١).

ثم إن الصلاة باسم المسيح كما يزعم النصارى تمثل وحدته معهم بحيث تكون طلباتهم طلباته وصلاحهم صلاحه، وحياتهم حياته، وبالجملة فكأنه يحيا فيهم ولأجلهم كما أن المسيح عندهم هو الوسيط الوحيد بين الله والناس؛ فلا بد أن تكون الصلاة باسمه حتى يرفعها، وقد خاطب تلاميذه بذلك قائلا: (مهما سألتم باسمي فلذلك أفعله ليتمجد الأب بالابن، وإن سألتم باسمي فإني أفعله)(٢).

كما يتوجهون في صلاة باكرة بصلاتهم إلى مريم العذراء قائلين: (أنت هي أم النور المكرمة..... ويقدمون لك تمجيدات يا والدة الإله، السماء الثانية.... الأم الباقية عذراء الآن، الأب اختارك والروح القدس ظللك والابن تنازل وتجسد منك)(٣).

٢- أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بأنهم سينالون ما يطلبون، وذلك طبقا لما جاء في إنجيل مرقس ما نصه: (لذلك أقول لكم: كل ما تربطونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم(٤) ويقول: «إدوارد باوتدز»: (بقدر ما تعطي الصلاة من وقت

---

(١) أفسس: ٢/ ١٣، ١٤، يوحنا/ ١٤ / ١٣، ١٤.

(٢) اللاهوت المقارن جـ١/ ٩٢، راجع: الصلاة مفتاح النهضة ص ٤٩، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، الأخلاق في الأديان ص ٣٠٣، محاضرات في النصرانية ص ١١٢، حقائق الله المختبرة ص ١٥٢، توجيهات في الصلاة ص ١١٢٥.

(٣) راجع: مبادئ العقائد المسيحية ص ١١٧، اللاهوت المقارن جـ١/ ٩٢.

(٤) مرقس ١١/ ٢٤.

بقدر ما تقترب إلى الله وتزداد شركتنا معه، إن سر نجاح الصلاة هو كثرتها وتعميقها هذا ما يجعل لصلاتنا كيفية خاصة وطريقة معينة بها تصبح صلاة مستجابة[١].

وهذان الشرطان هما أهم شروط الصلاة عند النصارى، ومن شروط الصلاة الأخرى أن تكون بخشوع ووقار وتواضع، إذا كانت خالية من هذا فتكون معيبة ولا تقبل من صاحبها، يقول صاحب كتاب: (علم اللاهوت النظامي): ولا يخفى أن هذا التغافل كثيرا ما يصحب صلوات المسيحيين، وأن الذين يحضرون مواضع الصلاة الجمهورية ويكررون ألفاظ الوقار أو يتظاهرون أنهم يتحدون مع المصلي في صلاته بدون شعور وانتهاء ليست خدمتهم مقبولة البتة)[٢].

ومن شروط استجابة الصلاة أيضا أن تكون بلجاجة وإلحاح، وتكون بمواظبة بلا انقطاع، أن تكون بحسب مشيئة الرب، وتؤدى بحرارة وثبات، وبإصغاء وانتباه، وأن تكون القلوب متصافحة مع الجميع خالية من أدران الحقد، أي تؤدى بالمحبة[٣].

كما يشترط النصارى أن تشتمل الصلاة على عناصر ثلاثة هي:

١- الشكر وتمجيد الله.

٢- الاعتراف بالخطايا والتوبة عنها.

٢- الدعاء إلى الله[٤].

أما عن الطهارة والضوء فيقول أحد رجال الدين النصارى: (إن التعاليم المسيحية

---

(١) حياة الصلاة ص ٢١.

(٢) راجع: علم اللاهوت النظامي ص ١١٤٦.

(٣) راجع: اللآلئ النفيسة جـ١/ ١٣٦ وما بعدها، المواعظ الإلهية ص ٤١: ٤٣، حياة الصلاة ص١١٧.

(٤) راجع: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص٢١٦.

لا تفرض على الإنسان المصلي لله أن يتوضأ أو يغتسل قبل الصلاة بأية طريقة؛ لأن المسيح يريد قلوبا نظيفة وأفكارا نقية تتجه إلى الله بإيمان، وبروح الصلاة لذلك، يمكن أن يصلي الإنسان في عمله وفي بيته وفي مدرسته، أو في أي مكان آخر دون أن يفرض عليه الاغتسال أو الوضوء قبل الصلاة فالمهم في الأمر هو الاختلاء بالله والشركة معه بغض النظر عن الزمان أو المكان كما أنه ليس من الضروري الاغتسال قبل الصلاة؛ لأن الله يريد لقلب المصلي وفكره أن يكونا نظيفين)[١].

[٤] كيفية أداء الصلاة وممارستها:

ليست الصلاة عند النصارى عبادات خاصة معلومة يجب عليهم تلاوتها، وإنما ترك لهم حرية اختيار العبارات التي يتلونها بشرط ألا تخرج عن قاعدة الصلاة التي علمهم إياها المسيح لكي يسيروا على منوالها، وهي المسماة بالصلاة الربانية[٢] كما أنه لا توجد هيئة معينة ثابتة أثناء الصلاة ويشير إلى هذا الأنبا يؤانس

بقوله: (كانت العادة أن يصلي الناس إما وقوفا والأيدي مرفوعة قليلا نحو السماء وإما ركوعا على الركبتين، وإما سجودا والوجه على الأرض)[٣].

ويقول «أو يجانوس»: إنه توجد أوضاع عديدة للجسم يمكن للمرء أن يتخذها أثناء الصلاة إلا أن ـ الأيدي المرفوعة والعيون الخاشعة التي تتطلع في رهبة إلى السماء تَفْضُل غيرها من الأوضاع[٤]، وهذا يعني أن الصلاة قد تقتصر على الوقوف بهيئة الركوع أو السجود، وهكذا لا يوجد وضع ثابت لها وقد ترتب على هذا اختلاف نظام وكيفية

(١) سؤال وجواب جـ١/ ٤٤.

(٢) راجع: قاموس الكتاب المقدس ص٥٥١، النصرانية والإسلام ص٨٥.

(٣) راجع: كنيسة الرسل، الأنبا يؤانس ص٢٥٣.

(٤) راجع: الصلاة، أوريجانوس، ترجمة موسى وهبة ص١١٧.

الصلاة في النصرانية ويشير إلى هذا أحد الباحثين في الأديان بقوله: (ليس للصلاة في النصرانية ترتيب خاص، إنما هي أدعية تختلف من مكان إلى مكان، وغاية ما يلزم أن تحويه أن تكون على نسق الصلاة الربانية التي قدمها لهم المسيح وهي: أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك)[١].

ويشير صاحب اللآلئ النفيسة إلى عدة أوضاع للصلاة فقول: اعتاد المؤمنون قديما وحديثا أن يستعملوا أثناء عبادتهم وتقديم صلواتهم حركات خضوعية ظاهرية. نعم وإن كان الله يعتبر حال القلب أكثر مما يعتبر هيئة الجسد في عبادته..... ومن أشكال أوضاع الصلاة الوقوف.. الجثو والركوع والسجود... رفع الأيدي أو بسطها.. قرع الصدر... إحناء الرأس[٢].

فلا تتقيد الصلاة بوضع معين يتخذه الإنسان ولا في اتجاه معين، وقد استشهدوا بصلاة دانيال أنها كانت متجهه نحو أورشليم[٣] وبذلك يتجهون نحو الشرق.... ولكن دانيال كان يتجه نحو أورشليم باعتبار أنها مكان عبادة الله... وإذا كان هناك اتجاه معين نتجه إليه فهو إلى فوق، إلى السماء، وقد صلى دانيال جاثيا على ركبتيه[٤] وصلى العشار واقفا[٥]، وصلى عبد إبراهيم ساجدا[٦]، وكذلك يعقوب أبو الأسباط، وصلى أيوب خارا على وجهه[٧] وصلى إيليا وهو جالس وواضع وجهه بين ركبتيه[٨].

---

(١) راجع: المسيحية ص٢٣٠، محاضرات في النصرانية ص١١٢، قاموس الكتاب المقدس ص٥١١.

(٢) راجع: اللآلئ النفيسة جـ١/ ١٧٤.

(٣) راجع: دانيال: ٦/ ١٠.

(٤) راجع: دانيال: د/ دانيال: ٦/ ١٠.

(٥) لو: ١٨/ ١٣.

(٦) تك ٢٤/ ٢٦.

(٧) أيوب: ٢١/ ١٦.

(٨) إيليا: ١٨/ ٤١.

ولعدم وجود هيئة واحدة للصلاة عند النصارى، فلقد أدخلت بعض طوائفهم الموسيقى في الصلاة حيث صاغوا الأدعية كلها في أناشيد وترتيمات تغنى بألحان مرسومة ومقررة[١] و يعلق على هذا أحد الباحثين بقوله: إنهم لا يصلون إلا على عزف الآلة التي يسمونها أرغون[٢] كما يعهده في الكنائس، ومن المعلوم أن إدخال الموسيقى والألحان في الصلاة يقضي على روحها المتمثل في الخشوع والخضوع والإقبال على الله سبحانه وتعالى بالقلب والقالب[٣].

[٥] كيفية الصلاة:

١- الوقوف على القدمين.

٢- شد الوسط بالزنار.

٣- التوجه بالوجه إلى المشرق.

٤ الرشم بالأصبع مثال الصليب من فوق إلى أسفل ومن الشمال إلى اليمين، ويدعون أن رسم الصليب يطرد الشيطان.

٥- تلاوة ألفاظ الصلاة بخوف ورعدة، تلاوة يكون الروح متحركا نحو الباري.

٦- ومما يستحب في الصلاة رفع الأيدي مبسوطات الأكف، وبالأكثر أوقات الطلبات.

٧- رفع العينين إلى العلو.

٨- دق الصدر عند الاستغفار ندما على ما فرط من المعاصي، وأسفا على ما فات من العمر بغير عمل صالح.

---

(١) راجع: الأركان الأربعة ص٧٠.

(٢) الأرغون: آلة من آلات الموسيقى، وهي اختراع غربي، راجع: الفارق بين المخلوق والخالق ص٤٩.

(٣) راجع: الأركان الأربعة ص٦٦، اللآلئ النفسية جـ١/ ١٧٨.

٩- البكاء لمن يمكن[1].

ويعتقد النصارى أن روح القدس تحل على المصلي أثناء الصلاة[2]، وكما أنهم يتجهون أثناء صلاتهم بالتوسل إلى مريم العذراء ويتشفعون بها، كما أنهم يخاطبون الملائكة والطبيعة والناس وأنفسهم والشياطين[3]، وتستعمل الكنيسة في ختام صلواتها: ارحم أي يا رب مرة أو ثلاث مرات، (٤١) واحد وأربعين مرة استمطارا لرحمة الله باللجاجة والإلحاح[4].

[٦] معطلات الصلاة:

من الأسباب التي تؤدي إلى عدم استجابة الصلاة هي:

١- عدم التوبة من الخطيئة التي يرتكبها الإنسان، ولا يعترف بها ولا يريد التخلص منها.

٢- رفض الغفران.

٣- الغضب والشك.

٤- كسر الوصايا العشر.

٥- المسلك الشهواني العاطفي.

---

(١) راجع: العبادات المسيحية ص٢٠، وتوجيهات في الصلاة ص٧ وما بعدها، خلاصة الأصول الإيمانية ص٤٦.

(٢) راجع: الكهنوت ص٢٢٧، توجيهات في الصلاة ص١٢،

(٣) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ٩٢.

(٤) راجع: اللآلئ النفيسة جـ١/ ١٧٠، وخص الذكر بالعدد واحد وأربعون لادعاء النصارى أن المسيح جلد وهو مساق إلى الصلب ٣٩ جلده تنفيذا لحكم الشريعة الموسوية على المذنب، ثم طعن بالحربة مرة واحدة في جنبه وضرب بالقصبة في رأسه مرة واحدة فيكون المجموع واحدا وأربعين.

٦- رفض اعتراف البعض بخطاياه للبعض الآخر.

٧- البخل والجشع[١].

[٧] فوائد الصلاة وأهميتها:

يرتب النصارى على الصلاة فوائد تعود على المصلي، كما أن لها أهمية عندهم، ومن هذه الفوائد التي يقولون بها والآثار التي تنتج عنها: الإحساس بالطمأنينة، والكرامة والوقار، وبالتبعة لله، والاحتفاظ بالوضع الخاص وسط المجموع، والتغلب على كل إحساس بالخوف، والصلاة تجدد الحياة؛ لأنها تهب القوة والشجاعة والثبات والطمأنينة والأمل وتحول الشر إلى الخير والضيق إلى فرج، والمرارة إلى الحلاوة، والصلاة تشفي المرضى[٢].

ويعتبر النصارى للصلاة أهمية عندهم ومنها:

١- الصلاة جوهر الحياة الدينية.

٢- الصلاة من طبيعة النفس الإنسانية؛ لأن الدين طبيعة النفس وكيان جوهرها.

٣- الصلاة هي المظهر الحقيقي المجسم لحياة إنسانية لم تحجبها غيوم الآثام ولم تَلْهُ بها الأوهام.

٤- الصلاة إشعار للإنسان بحقيقة نفسه، ومن يعرف من هو، فلابد له أن يمارس واجبه الذي هو الصلاة.

٥- الصلاة اتصال مباشر بين القلب والله.

---

(١) راجع: حقائق معجزات الله المختيرة اليوم ص١٥٠، ١٥١.

(٢) راجع: أضواء على الإيمان المسيحي ص٩٤: ٩٩، باقة من الصلوات المستجابة ص٥، ٢٣، ٣٦ سر التقوى ص١٠٨ وما بعدها، توجيهات في الصلاة ص٢٣، الصلاة مفتاح النهضة ص١٣ - وما بعدها.

٦- الصلاة هي المصدر الحقيقي لحياة الإيمان، وهي بمثابة نبضات قلب حياتنا الروحية الجديدة[١].

وبعد: فهذه هي أحكام الصلاة عند النصارى فيما يتصل بأنواعها، وعددها، وقت أدائها وشروطها وآدابها، وكيفية ممارستها وأسباب عدم استجابتها وفوائدها وأهميتها، وذلك من خلال ما ذكره كتابهم المقدس وما كتبه رجال اللاهوت عندهم.

(١) حياة الصلاة ص٩٥، معجم اللاهوت الكتابي ص٤٧٩، وأضواء على الإيمان المسيحي ص٨٣ - وما بعدها، الصلاة: لهالسبي ص٥٥.

المبحث الثالث

الصلاة في الكنائس النصرانية

تعتبر الصلاة طقس من الطقوس المشتركة بين الكنائس النصرانية الثلاثة، الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية، أما الصلوات الخاصة بالأسرار فلا يعترف بها البروتستانت؛ إذْ أنهم لا يعترفون بأسرار الكنيسة السبعة كما لا يستخدمون أي كتب طقسية خاصة بالصلوات المختلفة[١].

وتتفق الكنائس بشأن الصلاة في أشياء أخرى؛ فتتفق في أنواع الصلاة الثلاثة الفردية والعائلية والجمهورية[٢]، كما يتفقون في أن الصلاة تؤدى في أوقات خاصة إلا أن هذه الأوقات غير محددة عند البروتستانت فلا يؤمنون بالصلوات السبع ولا بمواقيتها ولا بمحتواها ولا يلتزمون بمبدأ الصلوات المحفوظة عموما، ويصلي كل إنسان متى شاء وكيفما شاء[٣].

جاء في دستور الكنيسة الإنجيلية: (يجوز للكنيسة أن تعين أياما خصوصية علاوة على يوم الرب متى قضت الظروف بمناسبة الأمر أو لزومه، ويجب أن يكون أيضا للكنائس المحلية أوقات معينة في غير يوم الرب للصلاة، ودرس الكتاب المقدس... ولو أنه يجب أن يكون العقل دائما في حالة تعبد إلا توجد أوقات معترف بها في كلمة الله للعبادة)[٤].

---

(١) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٣.

(٢) راجع: دستور الكنيسة الإنجيلية ص٤٠، أضواء على الإيمان المسيحي ص١٠٢.

(٣) المرجع السابق ص٤٠، ٤١.

(٤) راجع اللاهوت المقارن جـ١/ ١٨.

وفي اللآلئ النفيسة: (إن تعيين أوقات الصلاة قد اصطلحت عليه كل الكنائس المسيحية حتى البروتستانت أنفسهم عينوا أوقاتا خصوصية للصلاة العامة والانفرادية؛ إذ جاء في كتاب كشف الظلام وجه ٤٠ ما نصه: نعين أوقاتا مرتبة خصوصية كما نعين أوقات طعامنا، ويجب أن لا نسمح لعمل أو لغفلة أو لإنسان أن يمنعنا عن هذه الممارسة بظروفها التامة أن الإنسان لا يمكن أن تكون نفسه ناجحة ما لم يعين أوقاتا خصوصية لأجل الصلاة السرية، وليكن ذلك أقل ما يكون مرة أو مرتين في النهار، و إذا صلى ثلاث مرات فيكون أنفع[١].

يؤمن الكاثوليك والأرثوذكس بالصلاة الربانية و يقومون بأدائها كما يعتقدون أن المسيح قد صلاها وعلمها لتلاميذه، إلا أن البروتستانت لا يستخدمونها في بدء الصلاة ولا في نهايتها، ولا يلتزمون بها إطلاقا ولا يلتزمون مطلقا بصلاة المزامير، ولا مانع في بعض الاجتماعات من أن تردد الصلاة الربانية باعتبار أنه لا خطأ فيها ولكن بغير التزام[٢].

و إذا كان الأرثوذكس والكاثوليك يعظمون مريم العذراء، و يتقدمون بالصلاة لها، فإن البروتستانت يخالفونهم في ذلك[٣]، فينكرون إنكارا باتا جميع ما تقيمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم أم المسيح من طقوس واحتفالات وأعياد وتعتبر ذلك خروجا على أصول الدين[٤].

وتعتقد الكنيسة القبطية بوجوب الصلاة على المنتقلين الصالحين، وطلب الرحمة لهم أما الكنائس البروتستانتية فلا تعتقد بذلك[٥] وكما لا يؤمن البروتستانت

---

(١) اللآلئ النفيسة جـ١/ ١٤٨.

(٢) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص٥٣٠، ٥٣١، اللاهوت المقارن جـ١/ ١٨.

(٣) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ٩٢.

(٤) راجع: الأسفار المقدسة ص١٤٥.

(٥) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٦، اللاهوت المقارن جـ١/ ١٦.

بالصلاة الخاصة بالمرضى ولا يقيمونها ولا يستصبحون بخورا أثناء الصلاة كما يفعل الأرثوذكس[١].

وتحرم الكنيسة البروتستانتية أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعبد كما تفعل الكنائس الأخرى إذ تقيمها بلغة ميتة كاللاتينية والقبطية[٢] وتستعمل الكنائس النصرانية المزامير في الصلاة إلا أن البروتستانت يستعملونها نظما لا نثرا، ويذكر وسهيم المؤرخ البروتستانتي في تاريخه أن المسيحيين الأولين كانوا يستعملونها في عبادتهم في الأوقات الخاصة بها[٣].

وجاء في دستور الكنيسة الإنجيلية: (يجب أن تكون كل صلاة ملائمة لمكانها في الخدمة، أن يتجنب التكرار والإطالة بغير داعٍ، كما يجب أن يدرس خادم الكلمة باهتمام مواضع الصلاة لأجل كل خدمة، وأن يعد قلبه وفكره ليقود الشعب بكيفية نافعة ومقبولة لدى الله)[٤].

ويتجه النصارى بالصلاة جهة المشرق زاعمين أن المسيح هو نور العالم، والمشرق مطلع الأنوار - وموضوع ظهور مجد الرب[٥] ويخالف في ذلك البروتستانت، فيتجهون إلى أي جهة يقفون بوجوههم إليها حسب موضع كل واحد منهم، وبناء على توجه الكاثوليك والأرثوذكس جهة المشرق فقد جعلوا هياكل كنائسهم جهة المشرق.

وتقوم الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية برسم الصليب عند قيامهم بالصلاة

---

(١) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ١٨

(٢) راجع: الأسفار المقدسة جـ١/ ١٤٦ محاضرات في النصرانية ص١٨٦، الأركان الأربعة ص٧٠.

(٣) راجع: اللآلئ النفيسة جـ١/ ١٤٦.

(٤) دستور الكنيسة الإنجيلية ص٤٣.

(٥) راجع: اللآلئ النفيسة جـ١/ ١٦٨.

قائلين باسم الأب والابن والروح والقدس، أما البروتستانت فلا يرشمون ذواتهم بعلامة الصليب قبل الصلاة ولا بعدها[١].

إلا أن صاحب اللآلئ النفيسة يذكر أن البروتستانت كانوا يستعملون رسم الصليب قديما في كنائسهم مستدلا بقول «موسهيم» المؤرخ البرتستاني عن طقوس الكنيسة في القرن الثاني: (إنهم كانوا يعمدون... وكانوا يرشمون الصليب على المعمدين ويمسحونهم ويستودعونهم الله بالصلاة ووضع الأيدي، وظنوا أن في رسم الصليب قوة فعالة ضد كل نوع من الشر ولاسيما عند رحيل الأزواج الشريرة، ولهذا لم يشرع أحد في شيء له بدون أن يرسم الصليب، وفي كتاب الصلاة الهامة للكنيسة الأسقفية ما يدل على أن الإنجيليين يستعملون إشارة الصليب الذي نستعمله نحن)[٢].

وتشترك الصلاة في الكنائس البروتستانتية مع الصلاة الكاثوليكية في إجراء الاعتراف والتوبة والاستغفار وتجديد الإيمان، وتوثيق العقائد الأساسية، والحمد والثناء، والدعاء، وتلاوة الإنجيل إلا أن أساليبها وصبغتها تابعة لمناهج كنائسها المقررة، وتتميز بأشياء.... وفي الكنائس الإنجليكانية تتقدم العبادة أجراس تدق إيذانا بالصلاة وتتلى قطعة من الإنجيل، وكلمة الإيمان كنشيد يغنى به[٣].

وبعد فهذا هي أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكنائس النصرانية بشأن الصلاة.

---

(١) راجع: اللاهوت المقارن جـ١/ ٢٠.

(٢) اللآلئ النفيسة بتصرف ص١٦٠، ١٦١

(٣) الأركان الأربعة ض٧٠، ٧١ بتصرف.

المبحث الرابع

الصلاة الكنسية لم يأت بها المسيح عليه السلام

إن الصلاة الكنسية على الوجه السابق لم يأت بها المسيح عليه السلام؛ حيث إن هذه الصلاة عبارة عن رسوم وطقوس وحركات، فضلا من أنها ليست ذات ركوع ولا سجود ولا قنوت ولا يشترط فيها الطهارة.

وكانت الصلاة في فجر النصرانية على غرار الصلاة اليهودية إذ كان المسيح عليه السلام وحواريوه يمارسون الصلاة حسب ما جاء في شريعة موسى عليه السلام، ويشير إلى هذا كاتب مقال: الصلاة عند النصارى في دائرة معارف الأديان والأخلاق فيقول: (إن المسيح كان يشارك اليهود في صلواتهم، ويحضر عبادة الهيكل، وكذلك كان يفعل أئمة المسيحية القدامى، وكانت العبادة المسيحية تقوم على تلك العبادة التي نشأ عليها الجيل المسيحي الأول[١]، ثم أدخل على الصلاة في النصرانية بعد ذلك ما خالفت به اليهودية، ويشير إلى هذا «أبو الحسن الندوي» في كتابة الأركان الأربعة فيقول: (قد كان أول تأليف للصلاة المسيحية في القرن الرابع في مجمع نيقية)[٢].

إن الصلاة من أقدام العبادات البدنية التي عرفت في الرسالات الإلهية؛ وذلك لما لها من الأثر العظيم في تهذيب النفوس وتطهيرها، وهي لم تخل منها شريعة من الشرائع الإلهية، وقد بين ذلك القرآن الكريم في كثير من آياته ومنها عهد الله لإبراهيم عليه السلام، وإسماعيل بعد بناء البيت بتطهيره للطائفين والعاكفين والراكعين الساجدين: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٣]،

---

(١) راجع: دائرة معارف الأديان والأخلاق ونقلا عن الأركان الأربعة لأبي الحسن الندوي ص٦٧ بالهامش.

(٢) الأركان الأربعة ص٦٧، ٦٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

وقوله: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾[(١)]، وينوه الله بشأن إسماعيل عليه السلام فيقول: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾[(٢)].

(م ٣٧ الكنيسة).

وفي عظة لقمان لابنه وصيته له بالصلاة: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[(٣)].

وأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل، وكانت إقامة الصلاة من أهم مواده وعناصره: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[(٤)] وقال تعالى لرسوله موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾[(٥)] وقال موسى عليه السلام لبنى إسرائيل: ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ ﴾[(٦)].

ونطق عيسى عليه السلام في المهد محدثا بنعمة الله عليه كما أخبر بذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[(٧)].

ونادت الملائكة الكرام مريم ابنة عمران كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ يَا مَرْيَمُ

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٣١.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٢.

(٥) سورة طه: الآية ١٤.

(٦) سورة يونس: من الآية ٨٧.

(٧) سورة مريم: الآية ٣١.

ﱡﭐ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﱠ[١]. فالله أمر مريم بالقنوت في الصلاة؛ إذ القنوت إطالة القيام في الصلاة أو أصل القيام في الصلاة، كما أمرها بالسجود والركوع، (والمراد من ذلك كله الأمر بالصلاة إلا أنه أمر سبحانه بها بذكر أركانها مبالغة في إيجاب المحافظة عليها لما أن في ذكر الشيء تفصيلا تقريرا ليس في الإجمال)[٢]، وبين الله أنه اصطفاها وطهرها فهي طاهرة في بدنها وثيابها وعقيدتها.

والصلاة التي كانت تؤديها مريم هي الصلاة التي جاء بها موسى عليه السلام، وأمر بها بني إسرائيل، وكانت هذه الصلاة ذات ركوع وسجود، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في قوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾[٣].

وهذه الصلاة التي أمر بها موسى هي الصلاة المعهودة التي أمر الله بها أنبياءه ورسله حيث كان الجميع يؤدون الصلاة بركوع وسجود وقنوت لله رب العالمين وهم على طهارة كاملة طهارة الثوب والبدن والمكان[٤].

وفي حديث الإسراء والمعراج الذي روته كتب السنة يتبين منه أن رسول الله ﷺ صلى في بيت المقدس ركعتين بالأنبياء، كما أنه بعد فرضية الصلاة خمسين صلاة راجع رسول الله ربه بعد أن بين له كليم الله موسى أن أمته لن تقدر على ذلك إلى أن وصلت خمس صلوات في اليوم والليلة، وهذا يدل دلالة واضحة وقاطعة على أن الصلاة كيفيتها وهيئتها التي صلى بها رسولنا محمد ﷺ وأمرنا أن نصليها هذه الصلاة هي التي كان يصليها الأنبياء السابقون بنفس الكيفية والهيئة التي نصليها[٥].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٣.

(٢) راجع: روح المعاني للألوسي جـ٣/ ١٥٧، التفسير الكبير للرازي جـ٨/ ٤٨، تفسير ابن كثير جـ١/ ٣٦٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٤) راجع: النصرانية دراسة مقارنة ص٢٢٨ومابعدها.

(٥) راجع حديث الإسراء في: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة جـ١/ ٧٣، شرح صحيح مسلم للنووي حـ٢/ ٨١ كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماء.

ولم يكن عيسى عليه السلام بدعا من الرسل بل جاء بمثل ما جاءوا به، فكان متبعا لشريعة موسى عليه السلام، والتي من بين تعاليمها الصلاة التي تشتمل على قيام وركوع وسجود كما كان يتوجه بالصلاة لله وحده، دون سواه، ويطلب منه ما يريد.

وجاء في إنجيل برنابا: (وبعد أن صرف الليل كله في الصلاة صلى يسوع في الصباح قائلا: يا رب، إني عالم أن الكتبة يبغضونني، والكهنة مصممون على قتلي، أنا عبدك؛ لذلك أيها الرب الإله القدير الرحيم، اسمع برحمة صلوات عبدك، وأنقذني من حبائلهم؛ لأنك أنت خلاصي. وأنت تعلم يا رب أني عبدك إياك أطلب، وكلمتك أتكلم؛ لأن كلمتك حق هي تدوم إلى الأبد)[١].

كما أمر المسيح أتباعه بالصلاة والإخلاص فيها لله تعالى: (صلوا بدون انقطاع يا تلاميذي؛ لتعطوا الحق أقول لكم لعمر الله إن المرائين يصلون كثيرا في كل أنحاء المدينة لينظرهم الجمهور ويعدوهم قديسين، ولكن قلوبهم ممتلئة، شرا فهم ليسوا على جد في ما يطلبون، فمن الضروري أن تكون مخلصا في صلاتك إذا أحببت أن يقبلها الله)[٢].

ويذكر برنابا أن المسيح كان يصلي الفجر والمغرب[٣]، وتشهد بذلك أيضا الأناجيل المعتمدة لدى النصارى، فيروي مرقس عن المسيح أنه في الصبح باكرا جدا قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء، وكان يصلي هناك[٤] ويروي مرقس أيضا أن المسيح قال لتلاميذه: (امكثوا ها هنا حتى أصلي... وقال لهم: إن نفسي حزينة حتى الموت... ثم تباعد قليلا وخر على الأرض وكان يصلي)[٥] ويقول لوقا مخبرا عن المسيح: (فأما هو فكان يعتزل في

(١) برنابا: ١٣/ ٢ - ٨.

(٢) برنابا: ٣٦/ ١٠، ١٦ - ١٩.

(٣) راجع: برنابا: ١٠٦ / ١، ٣٣/ ١.

(٤) لوقا: ١/ ٣٥.

(٥) مرقس: ١٤/ ٣٢، ٣٤، ٣٥.

البراري ويصلي)[١] (وفيما هو يصلي على انفراد كان التلاميذ معه)[٢] وفي إنجيل يوحنا: (فأتى إلى مدينة السامرة... وكانت هناك بئر يعقوب، فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر. وكان نحو الساعة السادسة فجاءت امرأة لتستقي ماء.... قالت له المرأة: يا سيد، أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. قال لها يسوع: يا امرأة، صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم)[٣].

فهذا يوحنا يشهد أن المسيح معترف برب لا تجوز العبادة لغيره، ولا تنبغي الربوبية لسواه ولو كان الأمر على معتقد النصارى لقال لها: أضربي عن معتقدات أسلافك واسجدي لي، ولأبي وروح القدس، فإني ثالث الآلهة، لكنه أخبرها بأنه تحت رق العبودية، وأنه يسجد لمستحق الربوبية، وكان يصلي متجها لبيت المقدس قبلة الأنبياء، ولم يزل يصلي لها مدة إقامته إلى أن رفع فأحدث النصارى بعده الصلاة إلى جهة المشرق وتركوا قبلة المسيح التي كان يتجه إليها لعبادة ربه ولإقامة الصلاة[٤].

ويذكر الرازي أن النصارى استقبلوا المشرق لأن جبريل عليه السلام إنما ذهب إلى مريم عليها السلام من جانب المشرق[٥] لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾[٦].

---

(١) مرقس: ٥/ ١٦.

(٢) مرقس: ٩/ ١٨.

(٣) يوحنا: ٤/ ٥: ٧، ١٩: ٢٢.

(٤) راجع: النصرانية ص٧٢.

(٥) التفسير الكبير للرازي جـ٤/ ١٠٤.

(٦) سورة مريم: الآية ١٦.

وقد ذكر بعض الباحثين أن الاتجاه إلى الشرق كان رغبة من النصارى في تعمد المخالفة لليهود؛ ففي نصوص الصلاة لأوريجانوس: (وإلى الشرق انظروا) ويوضح المترجم ذلك فيقول: الاتجاه إلى الشرق في العبادة والصلاة، وكان من الطقوس الشائعة عند قدماء المصريين والفُرس وغيرهما، والمسيحيون الأوائل احتفظوا بعادة الاتجاه نحو الشرق أثناء الصلاة، ولكنهم أضفوا عليها معاني المسيحية وقيما روحية[١].

ويقول القرافي: النصارى يصلون للشرق ويتحرون مطلع الشمس قبلتهم حيث كانوا، والمسيح عليه السلام طول مقامه يصلي لبيت المقدس، وكذلك موسى عليه السلام، وجميع النبيين عليهم السلام واعتذروا ـ أي النصارى ـ عن هذه الزلة العظيمة والبدعة الشنيعة بأنها الجهة التي صلب إليها إلههم. ولو أن لهم عقلا لرفضوا هذه الجهة في العبادة[٢].

ولقد أمر عيسى عليه السلام أتباعه وبني إسرائيل بعبادة الله وحده كما أخبر القرآن الكريم: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ ﴾[٣].

ولإن كان النصارى يتجهون بالعبادة إلى المسيح أو إلى غيره من الآلهة التي يتقربون بالصلاة إليها فإن المسيح عليه السلام بريء منها، لأنه لم يأمرهم بها ولا بالتوجه وبالعبادة لغير الله بل أمرهم بما أُوحي إليه من عند الله: ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ ﴾[٤].

---

(١) الصلاة لأوريجانوس ص٢٢٠ نقلا عن التشريع بين اليهودية والنصرانية والإسلام ص٢٠٨.

(٢) الأجوبة الفاخرة ص٣٢٧، راجع: إغاثة اللهفان جـ١/ ٢٨٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٧.

ولقد حكم الله بالكفر على الذين يتجهون بالعبادة لغيره، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[١] ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[٢].

إن المسيح عليه السلام كان يصلي لله تعالى وهو على طهارة، فقد كان طاهرا ومطهَّرا إلا أن النصارى لا يشترطون الطهارة في صلاتهم زاعمين أن الطهارة طهارة القلب (فيبول أحدهم ويتغوط ويقوم من فوره من غير استنجاء لصلاته، وهو مما أحدثوه بعد المسيح عليه السلام، ولا يوجد في شريعة من الشرائع إهمال الأدب مع الله تعالى في مناجاته والوقوف بين يديه، بل الشرائع تأمر العبد أن يقوم بين يدي الله تعالى على أكمل أحواله، فيجمعون في صلاتهم بين ملامسة أقبح القاذورات ويستقبلون ما لم يشرع لهم من الجهات ويتضرعون إلى رجل من بني آدم قضوا عليه بالهوان والممات ويسألونه بالمسامير التي سمر بها على الخشبة أن يغفر لهم الزلات)[٣].

ولقد حكم الله تعالى بنجاسة هؤلاء القوم حِسِّيًا ومعنويا - عقائديا - فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾[٤] يقول الإمام ابن كثير: (أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين دينا وذاتا بنفي المشركين الذين هم نجس دينا عن المسجد الحرام وأن لا يقربوه بعد نزول هذه الآية وكان نزولها في سنة تسع، ولهذا بعث رسول الله ﷺ عليًا صحبة أبي بكر رضي الله عنهما عامئذ وأمره أن ينادي في المشركين أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. فأتم الله ذلك وحكم به شرعا وقدرا)[٥].

(١) سورة المائدة: الآيتان ٧٢، ٧٣.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ٧٢، ٧٣.

(٣) راجع: الأجوبة الفاخرة ص٣٢٨، إغاثة اللهفان جـ٣/ ٢٨١.

(٤) سورة التوبة: الآية (٢٨).

(٥) تفسير ابن كثير جـ٢/ ٢٤٧، وراجع: سيرة ابن هشام جـ٤/ ١٣٩.

فلم يحج الرسول ﷺ في العام التاسع لأسباب منها مخالطة المشركين للبيت غير طاهرين مدنسين في عقائدهم وأبدانهم. ولقد فطن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لذلك عام فتح بيت المقدس فلم يصل في كنيسة القيامة؛ لأنها مكان نجس يطأه قوم غير طاهرين فلا تصح الصلاة فيه؛ لأن من شروطها طهارة الثوب والبدن والمكان، وهذا غير متحقق عند النصارى ولا في الكنائس.

وعن الآية يقول الألوسي: (أخبر عنهم بالمصدر للمبالغة كأنهم عين النجاسة، أو المراد ذو نجس لخبث بواطنهم وفساد عقائدهم أو لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس أو لأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي مُلابِسة لهم) وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير)[1].

ولقد مال إلى ذلك الإمام الرازي فقال: (إن هذا النص صريح في أن المشرك نجس، وفي أن المؤمن ليس بنجس... ويقول: جاءت الأخبار الصحيحة في أن الوضوء تطهير الأعضاء عن الآثام والأوزار، فلما فسر الشارع كون الوضوء طهارة بهذا المعنى، فما الذي حصلنا على مخالفته والذهاب إلى شيء يبطل القرآن والأخبار والأحكام والإجماعية)[2].

ويؤكد ذلك ما أخرجه ابن مردويه عن هشام بن عروة عن أبيه عن جده قال: (استقبل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فناوله يده فأبى أن يتناولها فقال: يا جبريل، ما منعك أن ـ تأخذ بيدي؟ فقال: إنك أخذت بيد يهودي فكرهتُ أن تمس يدي يدا قد مستها يد كافر فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ فناوله يده فتناولها)[3].

كما أن صلواتهم مشتملة على البهتان والكفر والفجور وسؤ الأدب مع الله تعالى،

(١) تفسير الألوسي جـ١٠/ ٧٦.
(٢) تفسير الرازي جـ١٦/ ٢٦، ٢٧.
(٣) تفسير الألوس جـ١٠/ ٧٦.

ومع المسيح عليه السلام، فهم في صلاتهم مرة يتضرعون إلى المسيح باسم الربوبية ومرة بأنه خروف الله، ولا شك أن هذا من الخلط في القول والتخبط في الضلال.

إن النصارى انحرفوا في الصلاة عما كان عليه المسيح عليه السلام حيث إن الصلاة الحالية التي يتعبد بها النصارى قد وضعت من خلال الكنيسة بعد ذهاب عيسى عليه السلام وحوارييه، وأنه لا إلزام فيها ولا تحديد، ولا صيغة ثابتة، بل ترك ذلك لأهواء البطارقة والأساقفة ولا يخفى ما في ذلك من إفساد لبعض مقاصد الصلاة حيث إنه من مقاصد الصلاة غرس مراقبة الله تعالى في القلب ورعاية حدوده والحرص على المواقيت والدقة في المواعيد والتغلب على نوازع الكسل والهوى وجوانب الضعف الإنساني.

وهذه المقاصد الأخلاقية تتنافى مع ما عليه الصلاة النصرانية من عدم الإلزام وعدم التحديد في الوقت والصيغة[١].

ويدعي النصارى أن المسيح يستفيد من صلاتهم، فيتجلى عليهم بها، وفي اليوم الذي يكثرون فيه من الصلاة يتجلى عليهم بقوة وقدرة كاملين. يقول «إدوارد باوندز»: في الواقع إن نجاح عمل الله بكل قوته وكامل قدرته، وعندما يسكب القديسون كل قوتهم في الصلاة تأتي أيام الانتصار والغلبة... والله يبني عمله ويؤسسه على الصلاة؛ فحين أراد المسيح أن يؤسس ملكوته على الأرض قال: (اسألوا)[٢].

كما أنهم يتوجهون بالصلاة والدعاء إلى مريم العذراء، وهذا يتنافى مع ما كانت عليه مريم في حياتهم من توجهها بالعبادة والركوع والسجود والقنوت لله رب العالمين، وقد وجُدَ من بين النصارى من عارض تقديم العبادة لمريم العذراء مثل (بيفانيوس)، ومع ذلك لم يأمر القوم بعبادة الله الواحد الأحد بل بعبادة الثالوث المقدس[٣].

---

(١) راجع العبادات في الإسلام ص٢٢١.

(٢) حياة الصلاة ص٨٠.

(٣) راجع: المسيحية في العصور الوسطى ص٤٤.

كما يتوجه النصارى بالصلاة أيضا إلى القديسين وغيرهم[١]. والصلاة الربانية التي يتوجهون بها إلى الثالوث المقدس عندهم (يختص كل أقنوم منها بابتهال معين لا يقدمه إلى الأقنومين الآخرين، ـ وذلك كالآتي: (أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك (توسل إلى الأب مصدر العدل)، ليأت ملكوتك (توسل إلى الابن مصدر الرحمة). لتكن مشيئتك كما في السماء وكذلك على الأرض (توسل إلى الروح القدس مصدر النعمة). خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم (توسل إلى الأب)... وهكذا إلخ[٢].

كما أن صلاة النصارى تقوم على الشرك الصارخ بالله سبحانه وتعالى حيث يفتتحونها بالتصليب على وجوههم، ويقدمونها باسم المسيح ويتخذونه واسطة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى، وكذلك يسألونه في صلاتهم هو وأمه المغفرة لذنوبهم، وهذا بلا شك خلط في مقام الألوهية، كما أنه ليس من اللياقة والأدب مع الله تبارك وتعالى طلب مشيئة الله سبحانه وتعالى نافذة في جميع خلقه من سمائه وأرضه بالضرورة فلا معنى لطلبها[٣].

وأما طلب المغفرة في قولهم: (واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين، فعلى الرغم من أن طلب المغفرة حسن يليق أن يطلب منه تعالى، إلا أن تشبيهها بمغفرة الطالب للمذنب المسيء إليه فيه مأخذين؛ أحدهما: أن مغفرة الله لعبده أَجَلّ وأعظم وأعم من مغفرة العبد لمثله. ثانيهما: أن إسناد المغفرة إلى الإنسان فيه تَعَدٍّ واضح على مقام الألوهية؛ إذ لا يغفر الذنوب إلا الله، أما الإنسان فأقصى ما يستطيع أن يفعله أنه يسامح المذنب ليس إلا[٤].

---

(١) راجع: الأسرار حياة الإيمان ص٥٠٤.

(٢) راجع: الله واحد أم ثالوث ص٢٩، ٣٠.

(٣) راجع: العبادات المسيحية ص٢٢.

(٤) راجع: العبادات المسيحية ص٢١.

ومما لا ريب فيه أن الشرك والتعدي على مقام الألوهية يتنافى مع مقاصد الصلاة الأخلاقية؛ لأن الصلاة الحقيقية التي لم تمتد إليها يد الأتباع بالتحريف والتغيير تحبب للعبد المحافظ عليها الإيمان وتزينه في قلبه وتكره إليه الكفر والفسوق والعصيان[١].

كما أن إدخال الموسيقى في الصلاة أدى إلى تحويلها من عبادة روحية خلقية سَمْتها الخشوع والخضوع إلى عبادة شيطانية سَمْتها التمايل والطرب والغناء. وصلاة يختلط فيها الذكور بالإناث والفتيات بالفتيان الساقطات الغانيات تحت وقع الموسيقى الهادئة والأضواء الخافتة لا يرجى من ورائها إلا كل شر متوقع. فهي ليست بالصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ لأنها تُؤَدَى في جو تشيع فيه الفحشاء ويُتَعَبَّد فيها بالمنكر.

ويؤدي النصارى صلاتهم بدون طهارة فقد يكون الشخص متبولا أو متغوطا دون أن يمس ماء أو يستحم، مع أن المسيح ـ كما سبق ـ كان يتطهر ويغتسل من الجنابة، ويوجب الغسل على الحائض، ويقول النصارى: (إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة؛ لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين وأقرب إلى مخالفة الأميين، وهذه الصلاة رب العالمين بريئ منها؛ لأنه كيف يتقرب إليه بمثل هذه الصلاة، وكذلك المسيح وسائر النبيين[٢].

ثم إن الصلاة بدون طهارة تتنافى مع ما تهدف إليه الصلاة من حث على النظافة والتطهير والتجميل والتزين، يقول أحد المهتدين إلى الإسلام وهو الدكتور/ علي سليمان بنوا: (مما كان يباعد بيني وبين المسيحية أنها لا تحوي في تعاليمها شيئا يتعلق بنظافة وطهارة البدن لاسيما قبل الصلاة، فكان يخيل لي أن في ذلك انتهاكا لحرمة الرب؛ لأنه كما خلق لنا الروح فقد خلق لنا الجسد كذلك، وكان حقا علينا ألا نهمل أجسادنا)[٣].

---

(١) راجع: الأركان الأربعة ص٤٩.

(٢) راجع: هدية الحيارى ص٢١٢.

(٣) لماذا أسلمنا ص٨٠ مكتبة الحرمين للعلوم النافعة.

والنصارى يزعمون أن صلاتهم التي يصلونها كصلاة المسيح، والتي تستخدم للمجد والخلاص للنفوس ولتأسيس الحياة[١]، ولكن أي حياة روحية توصلهم إليها هذه الصلاة؟

إن الصلاة التي يؤديها النصارى ما هي إلا أقوال يلوكها اللسان لا جوهر لها فلا تدبر للعقل ولا خشوع من القلب؛ إذ أن الصلاة بالطريقة التي يمارسها النصارى ليس لها أي قيم روحية، مثل ما للصلاة في الإسلام والتي لاشك أن عيسى كان يصلي بمثلها، فهي صلاة ذات بساطة ولطافة ونبالة كما أن الأقوال والحركات التي في الصلاة الإسلامية هي ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان، وهي خالية من مبالغة الورع وتكلفات الخضوع، والتظاهر بذلك مما هو غريب في العبادات؛ لأن الله سبحانه وتعالى عليم بما في الصدور، وهو الغني الحميد[٢].

كما أن الصلاة في الإسلام نظافة وتطهير وتزين وتجمل، اشترط الله لها تطهير الثوب والبدن والمكان من كل مستقذر نجس، بل جعل مفتاحها الطهور قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾[٣].

هذا على حين كان القسيسون والرهبان في العصور الوسطى يعدون الإهمال والقذارة

---

(١) راجع: حياة الصلاة ص١١٨.

(٢) راجع: أوربا والإسلام ص٧٨.

(٣) سورة المائدة: الآية (٦).

من وسائل القُرب إلى الله، والنظافة والتجميل من عمل الشيطان، حتى أن راهبا أثنى على آخر فقال: يرحمه الله، لقد عاش طول عمره ولم يقترف إثم غسل الرجلين؟[١].

إن صلاة النصارى ليس فيها الثناء على الله تعالى مثل ما في فاتحة الكتاب عند المسلمين ولا بعضه، وطلب تقديس اسم الأب و إتيان ملكوته تحصيل حاصل فهو لغو لا يليق بالعاقل وذكره بصيغة الأمر باللام (ليتقدس ـ لتكن) غير لائق، إن لم تقل في انتقاده ما هو أشد من ذلك[٢].

فالصلاة في النصرانية الحالية قد فقدت جوانبها الأخلاقية، فصلاة مفتاحها النجاسة وبدايتها التصليب على الوجه وصيغتها شرك بالله من المستحيل أن تشتمل أو تحث على الأخلاق الفاضلة، فصلاتهم الحالية أشبه ما تكون بصلاة الأمم الوثنية كقدماء المصرين والهنود إذ أنهم يؤدون صلاة تشتمل على التسبيح والسجود وقراءة الأوراد والتراتيل والرقصات المقدسة، وتؤدى في المعابد وبطقوس خاصة أمام تماثيل الآلهة[٣].

وفي النهاية يتبين أنه لا توجد صلة بين الصلاة التي كان يؤديها المسيح عليه السلام وبين صلاة النصارى الحالية التي يمارسونها في كنائسهم على اختلاف مذاهبهم.

---

(١) راجع: العبادات في الإسلام ص١٧٦.

(٢) راجع: العبادات المسيحية ص٢١، ٢٢.

(٣) راجع: الدين والإنسان صـ ١١٠ ، ٢٦٠.



الخاتمة

أهميـة المـسجد في الإسلام ودوره في الدعوة إلى الله والفرق بينه وبين الكنيسة عند النصارى:

تتمة للبحث و إتماما لفائدة وبيان ما بين المسجد والكنيسة من بون شاسع وفوارق كبيرة وقبل ذكري لأهم النتائج أردت أن أبين دور المسجد وأهميته للدعوة الإسلامية خاصة في العصر الحاضر؛ إذ بهذا البيان تتضح أولى نتائج البحث في هذه المميزات التي يتميز بها المسجد في الإسلام عن الكنيسة لدى النصارى.

أهمية المسجد ودوره في الدعوة إلى الله:

المساجد في الإسلام هي بيوت الله في الأرض؛ فيها يذكر اسم الله ويتوجه الناس إليه بالعبادة قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ ﴾[1] وفي المسجد يجتمع الناس لتلاوة القرآن ودراسته فيكون ذلك مدعاة لأن تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله فيمن عنده) كما جاء في الحديث النبوي: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)[2].

والمسجد هو بيت القضاء والمدرسة، وفيه تتضح الصلة بين الدين والمجتمع، وشمول الإسلام لكل أنواع النشاط البشري وتنظيمه لجميع العلاقات التي تربط الإنسان بربه

---

(١) سورة النور: الآية (٣٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر جـ١٤/ ٢١.

وبالمجتمع الذي يعيش فيه سواء في ذلك المجتمع الخاص كالأسرة أم المجتمع العام كالوطن والأمة أم المجتمع الأعم كالإنسانية كلها.

والمسجد في الإسلام له دور كبير في خدمة المجتمع والحفاظ على حقوقه، ولم يكن أبدا مكانا للعبادة فقط؛ لأن الإسلام ليس مجرد علاقة روحية خاصة يرمز إليها بالصلاة أو المسجد، وإنما هو دين شامل ينظم العلاقات الاجتماعية كما ينظم العلاقات الروحية سواء بسواء.

والمسجد في الإسلام عندما يذكر تذكر معه الصلاة؛ ذلك لأن الصلاة أظهر شعائر الإسلام وأقوى الدلائل على الخضوع والاستسلام لله رب العالمين؛ لما فيها من الركوع والسجود والقنوت، ولما فيها من الأركان القولية والفعلية التي تدل على الخضوع والاستسلام لله تعالى[١].

والصلاة كفريضة من فرائض الإسلام، وشعيرة من أهم شعائره، إنما هي مجرد الوصول إلى الغاية التي من أجلها جاءت الرسالات الإلهية وهي إقامة الحق والعدل والخير في الأرض، ومنع عدوان الناس بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[٢] وفي الحديث عن طاووس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها إلا بعدا)[٣].

قال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ قال: (إن الصلاة فيها ثلاث خصال؛ فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست

---

(١) راجع: وظيفة المسجد في المجتمع المعاصر - للشيخ / عبد الله المشد ص٣٣٧ - المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية ٢٢ ذي الحجة ١٣٨٩ هـ - ٢٨ فبراير ١٩٧٠م - إصدار مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٥).

(٣) راجع: المعجم الكبير للطبراني جـ١١/ ٤٥ حديث رقم ١١٠٢٥.

بصلاة: الإخلاص والخشية وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر وذكر الله القرآن يأمره وينهاه)[١].

والصلاة التي هي من أهم شعائر الله التي تؤدى في المسجد تغرس في قلوب العبد مراقبة الله ورعاية حدوده، والتغلب على نوازع الكسل والهوى، والصلاة تقوي الإنسان على مواجهة الصعاب؛ لذلك أمر الله بالاستعانة بها مع الصبر على الشدائد والنوازل قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[٣].

إن الصلوات الخمس معارج إلهية أوجبها الله على عباده في أوقات متفرقة من اليوم والليلة، يخلص المؤمن من دنياه ويتفرغ لربه بالتكبير والمناجاة وطلب المعونة والهداية يلقى فيها المؤمن بنفسه في كفالة الربوبية الرحمية متمثلا العظمة المطلقة التي تصغر أمامها كل عظمة في هذه الحياة، وإن تلك الرحلات لجديرة أن تفرج همه، وأن تخفف ويله، وأن تحقق رغائبه الخيرة[٤].

إن المسلمين في المسجد يَدَعُونَ فيه أحقادهم ومطامعهم وشرورهم وفسادهم قبل دخوله، ويدخلون إليه بقلوب متفتحة الإيمان، ويستوي فيه الكبير والصغير والأمير والخفير والغنى والفقير.

كما أن الصلاة تعلم المسلم التواضع والاعتراف بفضل المنعم عليه والرحمة لعباد

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣/ ٤١٦.

(٢) سورة البقرة الآية: (٥٤).

(٣) سورة البقرة الآية: (١٥٣).

(٤) راجع: الإسلام عقيدة وشريعة ص٨٤.

الله والإخلاص في العبادة والأعمال لله والاستعانة بالله والتوكل عليه ويستشعر ذلك عند قراءته لفاتحة الكتاب، فإذا وجد من المصلين من ضعفت أخلاقهم كان ذلك دليلا على عدم خشوعهم في الصلاة، ويترتب على ذلك عدم إتمام الصلاة عندهم، وكذلك من يراءون بالصلاة فلا ترق قلوبهم ولا تفتح للخير صدورهم، ولقد توعدهم الله بقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝ ﴾[1].

(ولعلنا ندرك أن الإتيان بها بين ما ذكر في هذه السورة فيه إيماء قوي إلى أن السهو عن روح الصلاة ـ الذي يجعلها صورة جافة لا يؤدي حق الله فيها من خشوع ومراقبة واستشعار عظمته ـ سبب قوي في التكذيب بيوم الدين وإهانة اليتيم، وإهمال حق المسكين كما هو سبب في غرس شجرة الرياء في القلوب، وانصراف الإنسان عن فضيلة التعاون وعن البر بأخيه الإنسان)[2].

وحث الإسلام على أداء الصلاة في المسجد وفي جماعة؛ لما تحققه بين المسلمين من ازدياد القوة والتعاون والألفة والأخوة، ويتعلم منها المسلم أنه وإخوانه سواسية أمام الله لا يفترق أحدهما عن الآخر إلا بقدر تقواه لله، يقف الفقير بجوار الغني، والحاكم بجانبه المحكوم والكبير بجانب الصغير قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3] وقال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[4].

وجاءت الأحاديث النبوية ترغب في أداء الصلاة في جماعة وترهب من عدم أدائها

---

(١) سورة الماعون: الآيات ٤-٧.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة ص٨٤.

(٣) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٤) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

من أجل تقوية الجانب الأخلاقي عند المسلم، ومنها ما رواه عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)[١].

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفسي بيدي لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء)[٢].

كما أن الصلاة تغرس في المسلم خلق التواضع والرحمة، بل إن المسلم إذا لم يتخلق بخلق التواضع لله والرحمة لعباد الله لا تقبل منه الصلاة فقد جاء في الحديث القدسي عن رب العزة: (إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب)[٣].

إن الصلاة التي هي شعار المسجد تصقل نفس المؤمن وترهف حسه وترقق وجدانه بما فيها من صلة بالله ومناجاة له وخشوع وخضوع.

كما أن البعد عن الرزائل والتطهير من سوء القول وسوء العمل هو حقيقة الصلاة، فالمسلم في صلاته يتواضع؛ لأنه يدخل الصلاة بقوله: الله أكبر فيعلم أن الله فوق كل كبير فلا يغتر بنفسه ولا يتكبر، ويقرأ باسم الله الرحمن الرحيم فيتصف بصفة الرحمة.

ففي الصلاة الصبر والخشوع والمراقبة والبر والإخاء والمساواة والتواضع والرحمة والألفة، والشكر لله، والصلاة تَخَلٍّ عن الرذائل وَتَحَلٍّ بالفضائل، فلكل هذا استحقت أن تكون الصلاة أعظم عبادة في الإسلام.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ كتاب الصلاة ـ باب فضل الجماعة جـ٤/ ١٠.

(٢) فتح الباري جـ٤/ ٧ كتاب الصلاة - باب فضل الجماعة.

(٣) الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية للشيخ/ على المدني ص٣٠.

هذه هي بعض الجوانب الخلقية للصلاة التي تؤدى غالبا في المسجد، والتي إذا ذكرت ذكر معها المسجد، وأنها بمثابة شحنة روحية هائلة، ودروس أخلاقية عالية وتوجيهات إلهية سامية، تدفع الإنسان في نشاطه إلى الطريق الأمثل، والسلوك الأفضل في جميع علاقاته الخاصة والعامة دنيا ودينا.

وهذا الفوائد والمعاني غير موجودة في الصلوات الكنسية التي يؤديها النصارى والتي هي مجردة من أي معنى أخلاقي أو أي فائدة تعود على الإنسان من ورائها.

المسجد ودوره في الحياة العملية:

إن المساجد وشعارها البارز هو الصلاة، لا تعطل الحياة العلمية ولا تعوق النشاط الدنيوي، فالله سبحانه يرشد إلى أنها مكان للتزود بالطاقة اللازمة للسعي في الحياة الجادة المثالية، تلك الطاقة التي تعتمد على القيم الروحية، والمثل الأدبية الرفيعة التي لا ينبغي لعاقل أن يتخلى عنها حين يؤدي واجبه؛ لأنها صمام الأمن له من الزلل وقوة هائلة تعينه على التحمل والمثابرة، وتفتح نفسه بالأمل والرجاء، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

والمراد بالصلاة هنا صلاة الجمعة بدليل الآية السابقة عليها، وهي تصلى في المسجد جماعة، ثم ينتشر بعدها المصلون في الأرض لمباشرة نشاطهم الدنيوي الذي يختلف من شخص لآخر يعبر عنه قوله: ﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: فَلْيَسِرْ كل في الطريق الذي يأنس به، ولينصرف إلى العمل الذي يناسبه ليصل الجميع إلى ما يريدون مع إرشادهم إلى استصحاب ذكر الله ومراقبته في كل الشئون، وذلك الذكر الذي تمليه عليهم صلاتهم التي كانوا متصلين فيها بربهم منذ قليل، وهذه المراقبة هي أساس الفلاح والنجاح في جميع الأعمال.

إن الله حين أمر نبيه ﷺ بقيام الليل كان يصلي بالمسجد فيصلي ببعض أصحابه

(١) سورة الجمعة: الآية ١٠.

بصلاته فيصبحون وآثار التعب بادية عليهم من طول السهر ولا يستطيعون مواصلة العمل لكسب العيش، وأداء الالتزامات الدينية والدنيوية إلا بجهد شاق فخفف الله عنهم واكتفى منهم بإحياء جزء من الليل ولو قليلا مبينا حكمة هذا التخفيف بأنه لا ينبغي أن تكون العبادة معوقه لهم عن الكفاح والعمل قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾(١).

هذا هو المسجد الذي لا يعطل النشاط الحيوي، بل يأمر به، ويدعوا إليه ويحث عليه، وتلك هي الصلاة التي يقول الله فيها لنبيه: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ ﴾(٢) أي: إذا انتهيت من الصلاة فاتعب واجتهد في الحياة بالعمل والكفاح لنشر دعوة الله وبناء المجتمع الإسلامي الجديد، ولا تنقطع لها، وتقعد عن أداء واجباتك والتزاماتك، التي تفرضها عليك الرسالة وحياتك الاجتماعية.

كما أن الجلوس في المسجد لا ينبغي أن يكون إلا بمقدار ما يشحن روح الإنسان بالقوة والعزم والثقة بالله، ثم ينطلق بعد ذلك إلى العمل تحت تأثير هذه الشحنة ولعل هذا المعنى يشير إلى نظام توزيع الصلاة من الفجر إلى العشاء، أي من وقت الاستيقاظ من النوم للعمل اليومي إلى وقت الاستراحة بالنوم بعد العشاء ولعل توزيع الصلاة في هذه المسافة على فترات تشير إلى أنها أشبه بمحطات التمويل التي يتزود منها المسافر كلما احتاج ليستطيع مواصلة السير في طريقة الطويل إلى النهاية(٣).

---

(١) سورة المزمل: الآية: ٣٠.

(٢) سورة الشرح: الآية: ٧.

(٣) - راجع: وظيفة المسجد في المجتمع المعاصر ص٣٤٣.

ومن هنا لم تكن علاقة الإنسان الروحية بربه قاطعة عن علائق الدنيا كما بَيَّنَ ذلك رسول الله ﷺ في رده على الرهط الثلاثة الذين سألوا عن عبادته، وكأنهم تقالوها، فعزم بعضهم على قيام الليل كله والآخر على صيام الدهر كله، والثالث على الامتناع عن الزواج، فَرَدَّ عليهم رسول الله ﷺ بقوله: (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١].

ويقول لعبد الله بن عمر وقد كان يرهق نفسه بكثرة الصيام والقيام: (صم وأفطر، وقم ونام؛ فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا)[٢].

وظيفة المسجد في الإسلام:

لقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الوظيفة التي يقوم بها المسجد والمهمة المنوطة به، فقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[٣].

ومعنى ذلك أن الله أذن أن ترفع المساجد، ورَفْعها هو تعظيمها، واحترامها وتقديسها؛ لأنها بيوت الله التي يُعبد فيها بعيدا عن بيوت الأصنام التي كان يعبدها المشركون: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[٤] وهذا الرفع معنوي وحسي[٥]،

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح جـ٣/ ٢٣٧.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب حق الجسم في الصوم جـ١/ ٣٣٨.

(٣) سورة النور الآيتان (٣٦، ٣٧).

(٤) سورة الجن: الآية: (١٨).

(٥) راجع: تفسير الرازي جـ١٤/ ٣.

بمعنى أن تُهيأ المساجد وتُعد لاستقبال المصلين، وأن يكون بناؤها موحيا بعظمة الإسلام وعلو شأنه الذي لا ينبغي أن يعلو عليه دين، وهذا الرفع الحسي إلى جانب الرفع المعنوي يعطي معنى طيبا في مجال التنافس الذي يتخذ الباطل فيه من المظاهر والوسائل ما يغطي أو يحاول أن يغطي بها على الحق، ومهما يكون من شيء فإن الرفع بكلا معنييه لا ينبغي أن يصرف الناس إلى الظواهر الخالية من الروح والمعاني السامية، ويمكن رفعها الحسي بقدر لا يشغل المصلين عن خشوعهم لله.

والمساجد يذكر فيها اسم الله سواء كان هذا الذكر في الصلاة أو خارج الصلاة كقراءة القرآن ونحوها، ويشمل الذكر الأذان، الذي يرفع الصوت بالتكبير لله والشهادة بوحدانيته وبرسالة نبيه، وفيه الدعوة إلى الصلاة والفلاح، وهذه المساجد يذكر فيها اسم الله وحده كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1].

وعن قتادة قال: (كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحده وحده)[2]، ويقول الرازي: (قول الأكثرين أنها المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله، ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين؛ وذلك أن أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس، فأمر الله المسلمين بالإخلاص والتوحيد)[3].

إن المساجد يسبح فيها لله بالغدو والآصال، وذلك بالصلوات كما قال أكثر المفسرين، فالغدو إشارة إلى صلاة الصبح، والآصال إلى الظهر، والعصر والعشاءين، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كل تسبيح في القرآن صلاة)[4].

---

(١) سورة الجن: الآية: (١٨).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤/ ٤٣٢.

(٣) راجع: تفسير الرازي جـ٣٠/ ١٦٢.

(٤) المراجع السابق جـ٢٤/ ٤.

وهذه المساجد مهيأة لأداء الصلوات فيها بعيدا عن صخب الدنيا، والصفق في الأسواق لمن يشتغلون بالتجارة والأعمال لكسب العيش حيث تكون المساجد في هدوئها وقَدَاستها أنسب الأمكنة لأداء الصلاة في خشوع لا يتحقق في الأسواق وزحمة الأعمال؛ فالمؤمنون الصادقون لا يشغلون بدنياهم عن ذكر الله حين ينادي المؤذن، ولا عن الصلاة حين يحين وقتها، ولا عن الطاعة التي تزكو بها النفس، وتتطهر من فتنة الدنيا.

هذه هي مهمة المساجد كما ذكرتها الآية القرآنية مضافا إليها مهام أخرى تدخل تحت لفظ: (ذكر اسم الله) ومنها تلقي العلم، وتعليمه ومزاولة أعمال البر، وفي كل شئون الطاعة التي لا تقبل إلا عند قصد وجه الله بها، ولا تتم على خير الوجوه إلا بذكر الله ومراقبته.

ولقد كان المسجد على عهد الرسول ﷺ مصدرا للإشعاع الروحي والمادي للمسلمين، فهو مكان العبادة، وساحة القضاء، ومدرسة العلم، وندوة الأدب ومعهد الثقافة الإسلامية الرشيدة، أي أنه كان لأمور الدين والدنيا معا[١].

ولقد اختار رسول المسجد للقيام بذلك ولتبليغ الوحي وتوضيحه في خطب الجمعة ومجالس العلم، وفي كل فرصة تسنح له، والمساجد أنسب الأماكن لهذه المهمة العظيمة خصوصا عند اجتماع المسلمين للصلاة فيه جماعة خمس مرات كل يوم، وفي يوم الجمعة يجتمع عدد أكبر تلقى عليهم خطبه الجامعة وإرشاداته المنوعة، ولتعليم ذكر الله والتذكير به وبدينه وشرعه.

ولقد كان ﷺ يعقد مجالس العلم في مسجده ويتزاحم المسلمون عليها ويتنافسون في القرب منه لتمام الاستفادة منه، روى الإمام البخاري بسنده عن أبي واقد الليثي أن

---

(١) راجع: فقه الدعوة - د/ جمعة علي الخولي ص٥٧ المكتبة التوفيقية ط(١) ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد قال فوقفا علي رسول الله ﷺ قال: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه)[١].

ولقد حث الرسول ﷺ أتباعه كثيرا على حضور مجالس العلم في المسجد فكان المسجد المحمدي مدرسة الدعوة، وكان كذلك دار الدولة فيه يهيئ النبي العمل للعاطل، والعلم للجاهل، والمعونة للفقير، ويرشد إلى الأمور الصحية والاجتماعية ويذيع الأنباء التي تهم الأمة ويلتقي بسفراء الدولة ويرتب جنود المعارك في الحرب ويبعث الدعاة والمندوبين في السلم، وهكذا كان المسجد على عهد الرسول وظل كذلك في عهد أصحابه، ومن تبعهم بإحسان[٢].

كما كان التعليم يُمارس في المساجد في كل البلاد الإسلامية قرونا قبل أن تُبنى المدارس في القرن الخامس الهجري، وحلقات مالك في الحرم المدني، ومسلم بن خالد الزنجي في الحرم المكي، والحسن البصري، وأجلة العلماء في مصر وبجامع عمرو بن العاص وبالأزهر كلها معروفة مشهورة[٣].

وكان هناك مهامّ أخرى للمسجد على عهد رسول الله ﷺ منها أنه كان مكانا يَستقبل فيه الرسول ﷺ الوفودَ سواء كانت حاضرة لطلب العلم أو عقد سلع أو إبرام معاهدات، وكانت تُجمع الصدقات والأموال العامة في المسجد وتوزع على المستحقين، وكان المسجد يبيت فيه الفقراء والغرباء الذين لا يجدون مأوى، وكان يعرف هذا المكان

(١) صحيح البخاري - كتاب العلم - باب من قعد حيث ينتهي به المجلس جـ١/ ٢٣.

(٢) راجع: العبادات في الإسلام ص١٩٦.

(٣) راجع: وظيفة المسجد في المجتمع المعاصر ص٣٤٦.

بالصفة، وكان في المسجد مكان لعلاج المرضى وبخاصة في أيام الحروب وكان يعلن عن النكاح في المسجد وذلك لإشهاره في أكبر اجتماع للمسلمين ويصلح بين المتخاصمين في المسجد[١].

هذه بعض ألوان من الاستعمالات التي كان يستخدم النبي ﷺ فيها مسجده الشريف، بهذا يتضح جليا أن المسجد في الإسلام يقدم الخدمة الدينية والدنيوية على السواء، بشكل يراعى فيه قدسيته وكرامته، فهو مكان تدب فيه الحركة والنشاط لعمل الخير العام بكل ألوانه، وذلك دليل على حيوية الإسلام ومرونته وتجاوبه مع حاجات البشر فيما يكملهم دينا ودنيا.

ومن أجل ذلك جعل الله عمارتها بإقامة الصلاة فيها، وكثرة التردد عليها وتحمل المشاق في سبيل ذلك أمارة الإيمان الكامل الذي يستحق الثواب الجزيل، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨ ﴾[٢].

ولا غرو بعد ذلك أن وجدنا رسول الله ﷺ أول عمل يقوم به بعد هجرته إلى المدينة هو بناء المسجد؛ وذلك لربط الأمة بالله عن طريقه، وليصلهم به بالغدو والآصال، ولتقام فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت واستخفى بها المسلمون في مكة[٣]، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨ ﴾[٤].

---

(١) راجع: الرحيق المختوم ص٢١٧.

(٢) سورة التوبة الآية: (١٨).

(٣) راجع: فقه الدعوة صـ٥٥١، فقه السير للغزالي صـ١٩٢.

(٤) سورة التوبة الآية: (١٠٨).

وخرّج مسجد رسول الله قادة هداية، وصناع حضارة، ورواد معرفة، وملوك الدار والآخرة، ومعلمي البشر، ومؤدبي الجبابرة من الخلفاء أمثال أبي بكر وعمر، ومن القادة أمثال أبي عبيدة وخالد، ومن القضاة أمثال علي وأبي بن كعب، ومن العلماء أمثال زيد بن ثابت، وابن عباس، ومن النساء عائشة وحفصة وأم عمارة وأم سليم، وانطلقت الدعوة الإسلامية من هذا المسجد لتُخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولترسم لهم سبل الهداية والإصلاح.

ولقد أثبت التاريخ الإسلامي أن المسجد لعب دورا فعالا في الأمة وبناء تقدمها فكريا وحضاريا على مختلف العصور، ويعرف ذلك كل من أمعن النظر في حياة الرسول ﷺ ومن جاء من الصحابة والتابعين.

عناية الإسلام بالمساجد:

لما كانت المساجد بهذه الأهمية حث الإسلام إلى جانب إقامتها وتشييدها على إعدادها وتهيئتها تهيئة كاملة لتمكين المترددين عليها من الاستمتاع الروحي والعقلي بيسر وسهولة، وترغيب المسلمين في التردد عليها وعدم الزهد فيها، ومن مظاهر هذا الإعداد ما يأتي:

١- أجاز بعض العلماء أن يبذل أقصى جهة في إظهار بنائها بالمظهر الرائع الذي يشعر النفوس بعظمة الإسلام واهتمام المسلمين بمتعبدهم، ودليله ما قام به عثمان بن عفان في بناء مسجد النبي ﷺ، روى الإمام مسلم بسنده عن عبيد الله الخولاني يذكر أنه سمع عثمان بن عفان عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ: «إنكم قد أكثرتم، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بني مسجدا لله تعالى ـ قال بكير: حسبت أنه قال: يبتغى به وجه الله ـ بني الله له بيتا في الجنة)»[1].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - فضل بناء المساجد والبحث عليها جـ٥/ ١١.

ونهى الإسلام عن زخرفة المساجد حتى لا ينشغل المصلي في صلاته؛ فقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحمير أو تصفير المسجد وقال لمن يقوم بالبناء: (أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر، وإياك أن +تحر أو تصفر الناس)[١].

٢- أمر الإسلام بتطهير المساجد وتنظيفها من الأقذار ومن كل ما يؤذى المسلمين ورغَّب في ذلك كثيرا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أسود أو امرأة سوداء كان يقم المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات قال: أفلا كنتم آذنتوني به؟ دلوني على قبره، أو قال: قبرها، فأتى قبرها فصلى عليها)[٢].

ونهى النبي ﷺ عن تقذيرها بنحو البصاق، فقام ﷺ بنفسه وأزال آثار بصاق على الجدر، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد أن النبي ﷺ أبصر نخامة في قبلة المسجد فحكها بحصاة، ثم نهى أن يبصق الرجل بين يديه أو عن يمينه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى)[٣].

وعن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: (البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها)[٤]، وعن أنس أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فحكها بيده، ورئي منه كراهية لذلك وشدته عليه، وقال: (إن أحدكم إذا قام في صلاته فإما يناجي ربه، أو ربه بينه وبين قلبه؛ فلا يبزقن في قلبه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه، ثم أخذ طرف ردائه فمزق فيه ورد بعضه على بعض، قال: أو يفعل

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب بنيان المسجد جـ١/ ٨٩.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب كنس المسجد والتقاط الخرق جـ١/ ٩١.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب: ليبزق عن يساره وتحت قدمه اليسرى جـ١/ ٨٤.

(٤) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب كفارة البزاق في المسجد جـ١/ ٨٤.

هكذا)[١]، ويلحق بهذا كل ما ينفر الناس من التردد على المساجد أو يؤذيهم عند وجودهم فيها كالرائحة الكريهة التي يشير إليها قوله ﷺ: (من أكل من هذه البقلة فلا يقربن مساجدنا حتى يذهب ريحها يعني الثوم)[٢] وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا ولا يصلي معنا)[٣] وعن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكرات فغلتنا الحاجة فأكلنا منها فقال: من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس)[٤].

كما نهى الإسلام عن إنشاد الضالة في المساجد صَوْنًا لها عن رفع الأصوات فيها بغير ذكر الله، وحتى لا تُنتهك حرمتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا رَدَّها الله عليك؛ فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا)[٥].

كما حرم الإسلام دخول المسجد على الجنب والمرأة الحائض، وكذلك نهى عن الحدث في المسجد، روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه).[٦]

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب: إذا بدره البزاق فليأخذ بطرف ثوبه جـ١/ ٨٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي- كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب: نهى عن أكل الثوم والبصل ونحوهما عند حضور المسجد جـ٥/ ٤٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي- كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب: نهى عن أكل الثوم والبصل ونحوهما عند حضور المسجد جـ٥/ ٤٩.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي- كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب نهى عن أكل الثوم والبصل ونحوهما عند حضور المسجد جـ٥/ ٤٩.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهى عن نشد الضالة في المسجد جـ٥/ ٥٤.

(٦) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب الحدث في الصلاة جـ١/ ٨٩.

فاشترط الإسلام على من يدخل المسجد من المسلمين أن يكون على طهارة.

كما اشترط الطهارة للصلاة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾.[1]

كما نهى عن المرور في المساجد بسلاح دون إخمادها فقال رسول الله ﷺ: (من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصالها ولا يعقر بكفه مسلما).[2]

يقول الألوسي: (منع اتخاذها ـ المساجد ـ طريقا وهو مكروه أو حرام، وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود أن اتخاذها من أشراط الساعة، وفي الفتية: معتاد ذلك يأثم ويفسق، نعم إن كان هناك عذر ولم يكره المرور، ومن تعظيمها رشها وعمها وكذا تعليق القناديل فيها وفرشها بالآجر والحصير ويعلقون القناديل، لكن من مال أنفسهم لا من مال المسجد إلا بأمر الحاكم).[3]

كما نهى الإسلام عن إغلاق المساجد لتظل مفتوحة تستقبل المسلمين

(١) سورة المائدة الآية: (٦).

(٢) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب المرور في المسجد جـ١/ ٩٠.

(٣) تفسير الألوسي جـ١٨/ ١٧٦ بتصرف.

للصلاة وتلقّي العلم والاعتكاف والاجتماع للتعارف وما إلى ذلك، وقد استدل العلماء على هذا بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾[1]، إلا أن العلماء أجازوا إغلاقها في غير وقت الصلاة خشية العبث أو الإفساد، والأمر متروك للظروف.

دور المسجد في المجتمع المعاصر:

للمسجد في المجتمع المعاصر دوره الكبير في تقديم الخدمات الجليلية للمجتمع كما كان يؤديها في عصر الرسول والخلفاء من بعده وفي عصور أخرى.

والمجتمع المعاصر فيه من المشاكل وله من المتطلبات ما كان لكل مجتمع سبق، وتزيد عليها الآن أمور وُجدت بحكم التطور والتقدم العلمي وسهولة الاتصال بين الأقطار والشعوب وانتقال النظم والعادات والمشاكل من مجتمع إلى آخر.

ومشاكل المجتمع الإسلامي على الخصوص كثيرة وما يوجد الآن من انحرافات نتيجة ظهور آراء وأفكار ومذاهب وفلسفات دخيلة وردت إلينا من المجتمعات الأجنبية بصيغتها الخاصة وطابعها المعين، ونشأ عن كثرة هذه الآراء وتنوع المذاهب فرق وأحزاب وجمعيات وتنظيمات وصحف ووسائل دعاية لكل منها أتباعها المتعصبون لها وأصبح في ذلك الخطر كل الخطر على وحدة الجماعة وتماسكها، وفي مجتمعنا الإسلامي الآن تيارات الوجودية والشيوعية والانحلال ترمي له الصهيونية العالمية، وكلهم يقصدون بذلك الدين الإسلامي، ويريدون تحطيمه والقضاء عليه.

وفي مجتمعنا الإسلامي مشاكل للعمال والفلاحين والتجار والموظفين والجماهير

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١١٤).

عموما وهم جميعا ينتظرون رأي رجال الدين؛ لأن كثيرا من هذه المشاكل تتعلق جذورها بالإيمان الكامن في قلوبهم.

وفي بعض المجتمعات الإسلامية زيادة عددية في الأفراد مع قلة في التكيف الاجتماعي الحديث القائم على رعاية النوع قبل رعاية العدد وهو في حاجة إلى توعية قوية للعناية بالتربية والتهذيب والحث على العمل المنتج الدائب لتغطية مطالب الحياة، والأخذ بسبل النهوض العلمي والوسائل الحديثة لترقية هذا المجتمع من جميع نواحيه.

وفي المجتمع الحديث تنتشر المخدرات والسموم القاتلة وراجت أفكار ومفاهيم تريد أن تبرر هذه المحرمات بنوع من التأويل للقرآن والسنة، وما أكثر مشاكل المجتمع وتجددها وتنوعها.

إن المسجد في مجتمعنا المعاصر يستطيع أن يقدم خدمات جليلة عن طريق الدين الذي له من المرونة والصلاحية بحيث يمكن أن يتناول كل ما يحدث في المجتمع تناولا يوضح المبهم ويصحح الخطأ ويقوم المعوج ويعالجه معالجة تساعد الخير على أن يبقى ويثبت ضد الشر ليزول ويختفي؛ وبذلك يسهم المسجد في إقرار الأمن ومحاربة الإجرام ومكافحة العصبية الطائفية والقبلية والأخذ بالثأر ومقاومة الآراء المنحرفة والتيارات المضادة للإصلاح ومحاربة الاستغلال والإقطاع والاحتكار، وكذلك يحارب المسجد المخدرات والشائعات ويسهم في التقليل من أخطار الحرائق والمرور والزحام وفي الدعوى إلى الدفاع المدني، كما يسهم في تطهير المجتمع من البدع والخرافات والعادات الباطلة وفي الدعوى إلى البر والمعونة على الخير ورعاية الأسرة وتنظيمها، وفي نشر الوعي الصحي وتوجيه الشباب إلى الخير وصيانتهم من الانحراف وفي تشجيع العامل على إتقان عمله وحسن الصلة بينه وبين رب العمل، وفي تعويده على الادخار والإسهام في المشروعات الوطنية المثمرة، وفي حماية الثروة الزراعية من الآفات والعمل على زيادة الإنتاج.

كما يحارب الغش والتحايل والنصب والتزوير ويقوي الروح الوطنية في نفوس المواطنين ويدعوهم إلى البذل والتضحية والجهاد المقدس لحماية بلاد ومقدسات المسلمين وتأمين المحرمات وتثبيت أركان الإسلام إلى غير ذلك من كل نشاط يقول الدين فيه كلمته ويرى فيه رأيه.

وإذا كان المسجد الحديث يستطيع أن يقدم هذه الخدمات كلها للمجتمع المعاصر فإنه لا يستغني أبدا عن تعاون جميع الأجهزة الأخرى في الاضطلاع بمهمته الضخمة وسيرها في اتجاه واحد لخدمة المصلحة العامة، ومن المستحيل أن يصل أي جهاز إلى ما يريد من إصلاح إذا كانت الأجهزة الأخرى المتصلة به تسير في اتجاه مضاد أو تعوقه عن السير في اتجاهه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾[1].

المقارنة بين المسجد في الإسلام والكنيسة عند النصارى:

من خلال البحث في الكنيسة أسرارها وطقوسها تبين الفرق بينها وبين المسجد في الإسلام ومن هذه الفروق:

(١) أن المساجد في الإسلام بُنيت من أجل عبادة الله وحده وبأمر منه قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨ ﴾[2] وقال جل شأنه: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ ﴾[3].

أما الكنيسة في النصرانية فلم تُبن بأمر الله، كما أن المسيح عليه السلام لم يأمر

(١) سورة المائدة من الآية: (٢).

(٢) سورة الجن الآية: (١٨).

(٣) سورة النور الآية: (٢٦).

بنائها ولم يَثبت أن أحدا من تلاميذه بني كنيسة، كما أن العبادة في الكنيسة تؤدى لغير الله؛ فالصلاة تصلى باسم المسيح والقديسين والعذراء، وهذا شرط من شروط صحة الصلاة الكنسية، كما أن النصارى يسجدون في الكنائس للهياكل والصور التي توجد بداخله أما في الإسلام فلا سجود لغير الله تعالى قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ ﴾[1].

قال تعالى ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ ﴾[3].

(٢) إن الصلاة في الإسلام تصح إذا أديت في المسجد أو خارجه قال تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[4] وهذه خاصية اختصت بها أمه سيدنا محمد ﷺ وفضل بها الرسول على سائر الأنبياء فقال: (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل)[5].

ولا وساطة في الإسلام بين العبد وربه؛ فالعبد المسلم يقف بين يدي ربه يناجيه فلا يحجبه عن ربه حاجب.

أما العبادة في الكنيسة فتقوم على وساطة أباء الكنيسة ورجال الأكليروس بين العباد وربهم؛ إذ جعلوا أنفسهم حجابا على باب الله المسيح ومنعوا الناس من الاتصال المباشر به أو التقرب إليه؛ لذلك قيدوا العبادة بمكان معين هو الكنيسة،

---

(١) سورة الكوثر الآية: (٢).

(٢) سورة العلق من الآية: (١٩).

(٣) سورة فصلت من الآية: (٣٧).

(٤) سورة البقرة من الآية: (١١٥).

(٥) صحيح البخاري – كتاب الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا جـ١/ ٨٧٠.

فلا تجوز إلا فيه، وقيدوها بمراسيم وطقوس كهنوتية خاصة لا تُقبل بدونها، كل هذا يحتاج للقيام به دفع الإتاوات للكهنة القائمين على شئون الكنيسة.

أما الإسلام فقد حرر العبادة من قيود المكان وجعل الأرض كلها مسجدا وطهورا يصلي المسلم حيثما أدركته الصلاة، وفي الحقل أو المدرسة أو في المصنع وعلى شاطئ النهر أو في جوف الصحراء.

ويذهب المسلم إلى المسجد لصلاة الجماعة، فلا تتقيد صلاته الجامعة بمراسيم كهانة أو إتاوة محراب ويؤمه في الصلاة الجامعة من هو أهل للإمامة بين الحاضرين باختيارهم لساعتهم وإن لم يكن معروفا عندهم قبل ذلك.

(٣) يتجه المسلم في صلاته في المسجد أو خارجه جهة قبلته نحو بيت الله الحرام، أما النصارى فيصلون للشرق ويتحرون مطلع الشمس قبلتهم حيث كانوا، والمسيح عليه السلام طولَ مقامه كان يصلي لبيت المقدس وكذلك موسى عليه السلام وجميع النبيين عليهم السلام، واعتذر النصارى عن هذه الذلة العظيمة والبدعة الشنيعة بأنها الجهة التي صلب إليها إلههم[1].

(٤) كما أن العبادة التي تؤدى في المساجد مفهومة المعنى معروفة المغزى بأسلوب واضح وكلمات صادرة من الوجدان نابعة من القلب، أما الصلوات الكنيسة فهي طقوس مبهمة لا فائدة من ورائها، ولا يستطيع العقل استيعابها ـ ذلك لأن آباء الكنيسة ورجالها حينما يؤدون الطقوس الدينية إنما يرنمون ويلوون الكلام بألسنتهم؛ مما يعرف حديثا بالغناء والطرب؛ ذلك لأن صلواتهم لا تؤدى بالكنيسة إلا بمصاحبة آلات اللهو والموسيقى وقد أخبرنا الله بذلك، قال تعالى:

---

(١) راجع: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ٢/ ٣٢٧.

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[١].

وهذا العمل ممقوت في الإسلام بل يرد مثل هذه العبادات والصلوات على أهلها قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢] فكل من عبد الله بآلات اللهو والموسيقى والطرب والغناء مما يحدث في الكنيسة أو غيرها هذا هو الكفر البوار بعينه .

أما المسلم الحق فهو الذي يعبد الله بصلاة ذات خشوع وخضوع؛ ومن ثم مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾[٣].

والعبادات الكنيسة تتنافى مع فطرة الله التي فطر الناس عليها؛ ومن ذلك على سبيل المثال التعميد الذي جعلته الكنيسة سِرًّا من أسرارها وطقسا من طقوسها مع أن المسيح لم يأت به ولم يأمر حوارييه بهذا التعميد، بل جاءوا به من الأمم الوثنية، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٤] ومن ثَم رَدَّ الله عليهم هذه الطقوس فقال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾[٥].

(٥) وفي المسجد وفي كل مكان من أرض الله يصلي فيها المسلم يرفع الإذن الذي

(١) سورة آل عمران: ٧٨.

(٢) سورة الأنفال الآية: (٣٥).

(٣) سورة المؤمنون الآيتان: (١، ٢).

(٤) سورة التوبة من الآية: (٣٠).

(٥) سورة البقرة من الآية: (١٣٩).

هو نداء الإسلام إلى الصلاة بخلاف جميع أساليب الدعوة والإعلام بالعبادات في الأديان الأخرى، وليس له نظير بينها فهو ليس صوت ناقوس مبهم مجهول المعنى ولا صوت بوق مزعج خالٍ من الحكمة، إنه صوت واضح يخاطب القلب والعقل معا، ويضم بين ألفاظه الإقرار بعظمة الله وجلاله والدعوة إلى توحيد الله وكماله وإثبات رسالة النبي محمد صلى الله وسلم، ثم الدعوة إلى المثول بين يدي الله وحضور الصلاة طريق الفلاح والنجاح، يقول الإمام الدهلوي: (اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يكون الأذان صرف إعلام وتنبيه، بل يضم مع ذلك أن يكون من شعائر الدين بحيث يكون النداء به على رءوس الخامل والنبيه تنويها بالدين ويكون مُرَكَّبًا من ذِكْر الله ومن الشهادتين والدعوة إلى الصلاة ليكون مصرحا بما أريد به)[١].

(٦) والمساجد في الإسلام أماكن طاهرة لا يدخلها إلا كل من تطهر من الحدث والخبث ويظهر ذلك جليا في قول الله لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد لأول بيت من بيوت الله في الأرض: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾[٢] وقول الله لموسى عليه السلام: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ١٢﴾[٣] ومن ثم أَوْجَبَ الإسلامُ الطهارة على كل من أراد أن يدخل المسجد، وحرم دخول المساجد على الحائض والجنب، ونهى عن البصاق فيها، وحث على رفع الأذى منها وأن تجنب الصبية والمجانين دخولها من أجل الحفاظ على طهارتها وقدسيتها، وشرع الإسلام الاستنجاء عند قضاء الحاجة والوضوء للصلاة فلا تصح بدون طهارة، وامتدح

(١) راجع: حجة الله البالغة جـ١/ ١٥٢، الأركان الأربعة ص ٥٠.

(٢) سورة البقرة من الآية: (١٣٥).

(٣) سورة طه الآية: (١٢).

الله المصلين المتطهرين بقوله: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾[1].

وهذا لا يتوفر في كنائس النصارى؛ إذ لا تُشترط الطهارة عند دخول الكنائس كما لا تشترط الطهارة للصلاة ولا الطهارة من البول والغائط[2]، ولما كان هذا شأن الكنيسة وشأن النصارى ومن شاركهم في الشرك حرم الله عليهم دخول المسجد الحرام لنجاستهم قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ ﴾[3].

(٧) وفي المساجد يقف الناس بين يدي الله رب العالمين سواسية متساوين لا فرق بين أحد منهم في صفوف منظمة، يقف الرجال خلف الإمام يليهم الصبيان ثم النساء في الصفوف الخلفية.

وهذا لا يحدث في كنائس النصارى التي تخصص لكل فئة من فئات آباء الكنائس وعوامّ النصارى مكانا للجلوس فيه لا يصح أن تتعداه إلى غيره، ثم يقف الرجال مع النساء والفتيات مع الفتيان دون خضوع ولا خشوع مما يترتب على ذلك حدوث أفعال ممقوتة لا يرضى عنها رب العالمين.

وفي المسجد لا أفضلية بين أحد من المسلمين للجلوس في مقدمة الصفوف، فمن دخل أولا كان له الحق في الجلوس في الصف الأول، وهكذا الذي يليه إلى أن يجلس الجميع حيث ينتهي بهم المجلس بعكس ما يحدث في الكنسية.

---

(١) سورة التوبة الآية: (١٠٨).

(٢) راجع: الأجوبة الفاخرة ص ٣٢٨.

(٣) سورة التوبة من الآية: (٢٨).

(٨) والصلاة في الإسلام محددة الوقت وواجبة الأداء بعكس الصلوات الكنيسة؛ فهي غير واجبة الأداء وتؤدى في أي وقت دون الالتزام بأوقات محددة.

كما وضع الإسلام للمساجد آدابا يجب على المسلم مراعاتها منها: دخولها على حالة طهارة والدخول بالرجل اليمنى والدعاء عند الدخول والخروج بالرجل اليسرى والدعاء عنده، وعدم رفع الصوت فيه إلا بذكر الله أو مدارسة القرآن والعلم وتحريم إنشاد الضالة فيه، وكذلك البيع والشراء، وأمر الإسلام بتنظيف المساجد وتجنب الصبية من العبث فيها وسن ركعتين تحية دخول المسجد وغيرها من الآداب التي لا تتوفر في كنائس النصارى ولا يلتزم بها.

(٩) والمساجد في الإسلام بيوت الله أي أنها خالصة لله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨ ﴾[1] فهي خالية من الصور والتماثيل الأيقونات، أما الكنائس فإنها أماكن تكتظ بتلك الصور والتماثيل والأيقونات لآباء الكنيسة والقساوسة والرهبان فضلا عن صور العذراء والمسيح التي اتخذها النصارى في الكنائس يقدمون لها القرابين ويعظمونها بل ويقدسونها بالركوع والسجود اعتقادا منهم بأنها آلهة من دون الله وصدق الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣١ ﴾[2].

وما علم هؤلاء أن المسيح بريء كل البراءة من هذه الصور وتلك الأيقونات وتلك العبادة والصلوات، ويوم القيامة يقول الله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ

(١) سورة الجن الآية: (١٨).

(٢) سورة التوبة: (٣١).

ٱللَّهِ ﴾[١] فما يكون الجواب من عيسى عليه السلام إلا كما قال القرآن الكريم: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[٢].

(١٠) حرم الإسلام بناء المساجد على المقابر أو اتخاذ قبور الصالحين مساجد بخلاف النصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم أماكن للعبادة وبنوا عليها الكنائس مقتدين باليهود في ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله عليه وسلم قال: (قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٣].

وبعدُ فهذه هي أهم أوجه المقارنة بين المسجد في الإسلام وبين الكنيسة عند النصارى ذكرتها لبيان وإظهار ما بين المسجد والكنيسة من بون شاسع وفوارق كبيرة؛ بها يتبين لكل ذي عينين الحق من الباطل والسمين من الغث والهدى من الضلال والرشد من الغي، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: (١١٦).

(٢) سورة المائدة، الآية: (١١٧).

(٣) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب تحريم اتخاذ القبور مساجد جـ١/ ٨٧.

(٤) سورة الرعد، الآية: (١٧).

أهم النتائج

وبعد هذه الدراسة المقارنة في موضوع الكنيسة أسرارها وطقوسها تأتي أهم النتائج على النحو التالي:

[١] أن الله عز وجل أرسل عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل في وقت كانوا فيه أحوج ما يكونون إلى من يأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم، فقد جرفتهم المادة وأعمتهم الشهوات وسيطر عليهم الرياء وبعدوا عن روح الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام، وضلوا عن الصراط المستقيم وكانت دعوته عليه السلام امتدادا لدعوة موسى عليه السلام، وتمثلت دعوة المسيح لهم في أمرهم بعبادة الله وحده و إبعادهم عن النفاق والرياء، وأمرهم بالرضا بما قسم الله لهم وحثهم على الزهد في الدنيا وأن يتوجهوا نحو الشريعة ولبها الخالص وبشرهم باقتراب ملكوت الله وبعثة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

[٢] إن المسيح عليه السلام لم يؤسس الكنيسة ولم يأمر أحدا بتأسيسها بل ولم يَجُلْ بفكره ذلك في حياته، وما اخترعته الكنيسة من أسرار وما يمارس فيها من طقوس لا صلة لها بالمسيح عليه السلام.

[٣] إن تلاميذ المسيح عليه السلام ساروا على نهجه، فلم يؤسسوا كنيسة، ولم يأمروا ببناء الكنيسة، و إنما الذي أسسها وأمر ببنائها إنما هو بولس الذي أدخل على دين عيسى ما ليس منه، وألغى ما كان فيه من تعاليم وشرائع، لينفس بذلك عما كان يدور بفكره من عقائد وثنية تأثر بها وما كان يحمل في قلبه من بغض وكراهية للمسيح عليه السلام وأتباعه.

[٤] بناء على تعاليم بولس فقد اهتم النصارى بالكنائس وببنائها وبزخرفتها،

وأدخلوا عليها الفنون المعمارية، وجمعوا لها الأموال فكان النظام المالي الخاص بالكنيسة حيث قننوا لها القوانين التي أطلقوا عليها القوانين الكنيسة.

[٥] لقد فرضت الكنيسة السلطة الدينية على أتباعها، فَتَكَوَّنَ الجهاز الكنسي الذي جعل لنفسه حق التشريع دون غيره، فوضع القانون الكنسي الذي استمد مواده من قوانين المجامع الكنسية وقراراتها ومن العادات الدينية القديمة ومن أقوال البابوات ومن القانون الروماني.

[٦] ونتيجة للتحريف والتغيير الذي دخل على تعاليم المسيح دخلت الكنيسة في صراع مع العلم والعلماء، مما أدى بالناس إلى عدم فهم العقيدة التي جاءتهم نتيجة هذا التحريم، كما أقحم رجال الدين أنفسهم في غير تخصصهم وفيما ليس لهم به علم أو دراية.

كما دخلت الكنيسة في صراع طويل ومرير مع الحكام والأمراء والسلاطين والمدنيين من أجل السيطرة على السلطة السياسية، واستمر هذا الصراع عدة قرون وانتهى بانتزاع السلطة من أيدي الكنيسة في العصور الوسطى.

[٧] كان وراء انشقاق الكنيسة إلى مذاهب مختلفة أرثوذكسية وكاثوليكية وبروتستانتية أسباب أدت بها إلى ذلك، منها الديني ومنها السياسي، وانشقت كل طائفة إلى فرق متعددة، فكان كل صاحب رأي يُكَوِّن لنفسه طائفة لها مبادئها وأسرارها وطقوسها الخاصة بها، واستمر هذا الاختلاف في العقائد والتشريعات، وقد أخبرنا الله عن ذلك في قوله: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] ومن ثَمَّ نهى الله المسلمين

---

(١) سورة مريم: الآية: (٣٧).

عن التفرقة والتحزب والاختلاف فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾(١) وأمرنا بالاعتصام بحبله فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾(٢) وامتن الله على الأمة الإسلامية بأن جعلها أمة واحدة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾(٣)) وقال جل شأنه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾(٤).

وما ذلك إلا لأن التفرق والتحزب والشقاق في الدين إنما يؤدي إلى ضياع العمل الصالح وإفساد الأمة وتخلفها، وهذا بخلاف الوحدة والاعتصام بحبل الله المتين فإنه يؤدي إلى الفلاح والنجاح والرقي والتقدم؛ ومن ثَم كان الخطاب من الله للمؤمنين بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(٥).

[٨] إن الأسرار الكنسية لم تكن معروفة لدى النصارى زمن المسيح عليه السلام، ولم تكن من الأمور التعبدية ولا التشريعية التي جاء بها، كما تبين من الدراسة أن هذه الأسرار لم تظهر كلها مرة واحدة، بل كان الدافع وراء ظهور كل سر هو تحقيق غرض من أغراض رجال الكنيسة، ومن ثم اختلفوا في عدد الأسرار؛ فمنهم مَن قال: إنها سبعة أسرار، ومنهم من زاد على ذلك، ومنهم من أنقصها عن ذلك، مما ظهر جليا في الاختلاف الكنسي الذي دار بين المذاهب الثلاثة حول هذه الأسرار.

---

(١) سورة آل عمران: من الآية: (١٠٥).

(٢) سورة آل عمران: من الآية: (١٠٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٩٢).

(٤) سورة المؤمنين: الآية: (٥٢).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (١٥٩).

[٩] يعتبر النصارى أن الصلة بين أسرار الكنيسة والطقوس قوية؛ لأنه لا يصح السر إلا بممارسة الطقس الخاص به بالشروط الموضوعة له، ويعتقدون أن للأسرار الكنسية أهميتها وفاعليتها بالنسبة للممارسين لها، ويرتبون لكل سر أهمية خاصة به، وفعلا ناتجا عنه، ويعتبر سر المعمودية عندهم من أهم أسرار الكنيسة، فيحرصون عليه ويهتمون به، وتعتبره الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية سِرًّا من الأسرار السبعة الكنسية، أما البروتستانت فيعتبرنه فريضة الأسرار ويمارس الكاثوليك والأرثوذكس التعميد عند الولادة، أما البروتستانت فيعمدون الكبار البالغين فقط، ويقوم الأرثوذكس بممارسة التعميد عن طريق التغطيس، أما الكاثوليك فيعمدون بالرش، وكلاهما يشترط أن يمارس التعميد على يد كاهن الكنيسة، وأما البروتستانت فلا يشترطون ذلك؛ لأنهم لا يعترفون بدرجات الكهنوت؛ لذلك تعيد الكنيسة الأرثوذكسية تعميد من يدخلها من البروتستانت بحجة أن تعميدهم غير مكتمل الشروط الموضوعة للعماد.

كما تعيد الكنيسة الأرثوذكسية تعميد الهراطقة، وتختلف الكنائس حول غاية المعمودية؛ فمنها من يرى أنها رمز وإشارة للحقيقة الداخلية التي تحددها النعمة الإلهية نتيجة للإيمان، ويرى البعض الأخرى أنها هي التي تحدث التجديد والمغفرة.

[١٠] تبين من خلال البحث أنه يوجد تشابه كبير وواضح بين المعمودية عند النصارى ومعمودية الأمم الوثنية، مما يدل دلالة قاطعة على أن النصارى قد اقتبسوا من هذه الأمم وديانتها الكثير وأدخلوه في دينهم، ولا توجد صلة بين المسيح عليه السلام وبين ما يمارسه النصارى في كنائسهم بشأن المعمودية وطقوسها،

ومن ثم رد الله على الجميع هذه المعمودية مبينا أن هذه المعمودية إنما هي صبغة زائفة وباطلة؛ لأنها من صنع البشر، أما الصبغة الصحيحة فهي التي صبغ الله بها خلقه، قال الله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾[1] تلك الصبغة التي هي الفطرة التي فطر الله البشر عليها حين الخلق، ومن ثم قال الله تعالى لكل بني البشر: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾[2] إن هذه الفطرة هي الإسلام الذي اختاره الله تعالى دينا لعباده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[3].

[١١] تعتبر الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية تثبت العماد سِرًّا من أسرار الكنيسة، وتعترف به الكنيسة البروتستانتية، وتخالف الكنيسة الكاثوليكية الكنيسة الأرثوذكسية في وقت الممارسة؛ إذ أن الأرثوذكس يمارسونه بعد العماد مباشرة، أما الكاثوليك فيؤخرونه بعد الطفولة، وتكتفي الكنيسة الكاثوليكية بوضع الأيدي عند ممارسة التثبيت، أما الأرثوذكس فيجمعون بين المسح بالميرون ووضع الأيادي، ويعتبرون وضع الأيادي هو الختم والمسح بالزيت هو المسحة المقدسة، كما أن لكل منها تراتيل خاصة عند ممارسة الطقس.

وقد كان الزيت الذي تستعمله الكنيسة في العصور الأولى يقتصر على زيت الزيتون، أما اليوم فقد أضافت إليه الكنيسة ثلاثين صنفا.

ومن خلال البحث تبين أن المسيح عليه السلام لم يؤسس سر تثبيت العماد

(١) سورة البقرة: من الآية: (١٣٨).

(٢) سورة الروم: الآية: (٣٠).

(٣) سورة آل عمران: من الآية: (١٩).

ولم يمسح بزيت ولم يقدسه ولم يأمر أحد بممارسة المسح، وما يذهب إليه النصارى فيما يتصل بسر تثبيت العماد لا أساس له من الصحة إطلاقا، وذلك باعتراف كتابهم.

[١٢] يعتبر النصارى العشاء الرباني سِرًّا مقدسا يرمز إلى عشاء المسيح مع تلاميذه، حيث أكلوا الخبز وشربوا الخمر، وأن الخمر يشير إلى دم المسيح الذي سفك لنجاة البشر، والخبز يشير إلى جسده الذي كسر لهذا الغرض أيضا، وهم يستدلون على ذلك بنصوص ينسبونها إلى المسيح، ويمثل العشاء الرباني عندهم أهمية كبيرة، إلا أنهم يختلفون حوله؛ فالكاثوليك والأرثوذكس يعتبرونه سرا من أسرار الكنيسة والبروتستانت يعتبرونه فريضة، كما أن الكاثوليك يستعملون الخبز والخمر في العشاء ويتناوله جميع المشتركين، ويقوم بإعداد الوليمة القربانية عند الكاثوليك والأرثوذكس القساوسة، بينما يقوم بإعدادها أي شخص عند البروتستانت.

ينظر الكاثوليك والأرثوذكس إلى القربانة نظرة تقديس لدرجة أنهم بعد مباركة الطعام يسجدون له ويصلون؛ لزعمهم أنه أصبح جزءا من جسد المسيح، بينما يعتبره البروتستانت تذكارا بفداء المسيح، وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن المسيح موجود في العشاء الرباني بجسده ولاهوته معا، أما الأرثوذكسية فتعتقد أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد ودم المسيح بطريقة سرية بعد تناوله، أما الكنيسة البروتستانتية فلا تؤمن بالاستحالة.

ومن خلال البحث في النصوص التي تتعلق بالعشاء الرباني تبين مدى التناقض بينها، وبطلان ما يدعيه النصارى من نسبة تأسيس العشاء الرباني إلى المسيح، فهو عليه السلام لم يؤسس العشاء الرباني، ولم يأمر به، ولم يأت بطقوس

خاصة به ولم يمارسها ولم يأمر بممارستها، بل تبين من خلال البحث مدى الصلة القوية والتشابه الكبير بين النصرانية والديانات الوثنية فيما يتصل بالعشاء الرباني؛ مما يدل على أنهم استمدوا كثيرا من مسائل العشاء الرباني من هذه الأمم الوثنية.

[١٣] يعتقد النصارى أن المسيح أسس لهم سر التوبة بعد قيامته من بين الأموات ويعتبره الكاثوليك والأرثوذكس سرا من أسرار الكنيسة السبعة، بينما يعتبره البروتستانت تجديدا وليس سراء، ولا يعترفون بالوساطة بين التائب وبين الله، وبينما تعترف الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية بالوساطة، ويعتبران التوبة لازمة للخلاص، أما البروتستانت فيقولون بأنه لا خلاص للإنسان إلا بالعمل، ويعتقد الأرثوذكس بأنه لا يوجد بعد الموت سوى سر النعيم للأبرار والجحيم للأشرار، أما الكاثوليك فيعتقدون أن هناك مكانا ثالثا يُسمى المطهر تُعتقل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة، وتظل تُعذب في النار حتى لا يبقى عليها دين للعدل الإلهي ثم يسمح لها بدخول الملكوت.

[١٤] اخترعت الكنيسة الكاثوليكية صكوك الغفران لمحوِ خطايا مَن ارتكب إثما أو قَصَّرَ في أداء الطاعة، وهذا الصك يعطى لطالبه مقابل مبلغ من المال يدفعه ثمنا له، واستغل البابوات هذه الصكوك لجمع المال من أجل الثراء والترف، ولم يعترف الأرثوذكس والبروتستانت بصكوك الغفران؛ إذ أن مغفرة الخطايا لا يمكن أن توهب بلا توبة، ولقد كانت صكوك الغفران من الأسباب التي أشعلت نار الإصلاح الديني الذي قاده زعماء البروتستانت، وإذا كان الكاثوليك قد اخترعوا صكوك الغفران، فإن الأرثوذكس اخترعوا التأديات الكنسية التي تُوَقَّع على الخاطئ، وهذه التأديات تختلف باختلاف الخطأ الذي

يرتكبه الإنسان، ولم يعترف بهذه التأديات الكاثوليك؛ لأنهم يعتبرون هذه التأديات قصاصات حقيقية.

[١٥] إن التوبة والعفو عن المسيء والإحسان إليه إنما هي طريقة الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولقد دعا المسيح عليه السلام بني إسرائيل ـ كما دعا إخوانه من الرسل الكرام من قبل ـ وحثهم على العودة إلى الله والعفو والصفح عن المسيئ، ولم يبين لهم أنه جاء من أجل أن يمحو الخطيئة البشرية كما يدعي النصارى، فما يمارس في الكنيسة بشأن سر التوبة لا صلة للمسيح عليه السلام به؛ إذ لا يقدر على غفران الخطايا إلا الله وحده، وقال المسيح عليه السلام لأتباعه: (ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم)[١]، وقال: (توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات)[٢].

[١٦] من أسرار الكنيسة مسحة المرضى، وتعرف عند الكاثوليك بالمسحة الأخيرة، أما عند الأرثوذكس فتعرف بسر مسحة المرضى أو الزيت المقدس، فلا يمسح عند الكاثوليك إلا للمشرفين على الموت، ولمسحة المرضى صلاة تعرف بصلاة القنديل وتشتمل على سبع صلوات عند الأرثوذكس، وصلاة واحدة عند الكاثوليك، وبالنسبة لصلاة التجنيز ـ صلاة الجنازة ـ فللرجال صلاة خاصة بهم، وكذلك للنساء والأطفال صلاة خاصة تصلى عليهم بعد الموت.

ويعتقد الأرثوذكس أن لمسحة المرضى نتائج تعود على الممسوح وعلى الحاضرين، أما عند الكاثوليك فنتائج الصلاة خاصة بالميت، وأما البروتستانت فلا يعترفون بأن شيء من ذلك يعود على الميت.

---

(١) يو: ١٢/ ٤٧.

(٢) متى ٣/ ٢، مر: ١/ ١٥.

[١٧] إن للمسيح عليه السلام معجزات أيده الله بها، ومن هذه المعجزات كلامه في المهد وإبراؤه الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله وخلقه الطير ونفخه فيه بإذن الله، وإنباؤه بالغيب، وهذه المعجزات ذكرها القرآن الكريم، وقد لمسها الناس المعاصرون لعيسى عليه السلام، ولم يُخْبِرْ المسيح بأنه يفعل ذلك؛ لأنه إله كما يدعي النصارى، بل أخبرهم بأنه يفعل ذلك بإذن الله وقدرته وإرادته، ولقد طفحت كتب النصارى بالتصريح بأن المسيح ما فعل هذه المعجزات لأنه إله، ولو أنهم أنصفوا لوقفوا على حقيقة الأمر؛ وهو أن المسيح إنسان أرسله الله وأيده بالمعجزات التي تثبت للمنكرين لرسالته أنه رسول مؤيَّد من عند الله.

فما ينسبه النصارى إلى المسيح من تأسيسه لسر مسحة المرضى إنما هو زور وبهتان فلم يصنع زيتا ولم يمسح به أحدا ولم يصل صلاة قنديل التي يصليها النصارى الآن بل ادعى رجال الكنيسة أن لهم القدرة على الإتيان بالمعجزات الخارقة للعادة، بزعمهم أنهم مؤيدون بالروح القدس، وجرهم ذلك إلى القيام بأعمال السحر والشعوذة التي تمارسها الكنيسة اليوم وامتد خطرها إلى أناس من عوام المسلمين.

[١٨] جعل النصارى الزواج سرا من أسرار الكنيسة، ووضعوا له الأحكام التي اختلفوا فيها أيضا، كاختلافهم في سائر أحكام، دينهم فوضعوا للخطبة أحكاما وجعلوا لها عقدا وطقسا خاصا بها، وجعلوا للزواج أركانا وشروطا وموانع ومبطلات، ووضعوا لكل من الزوجين حقوقا لأحدهما على الآخر، وحرموا تعدد الزوجات ومنعوا الطلاق وابتدعوا الرهبنة والتبتل، وهم في كل مسألة من هذه المسائل لم يتفقوا أبدا، ومما زاد الطين بلة أنهم نسبوا ذلك للمسيح عله السلام، مع أن المسيح بريء منه ولا صلة له

به، وقد ترتب على تلك التشريعات المساوئ الكثيرة التي أفسدت المجتمع الذي يدين بالنصرانية.

[١٩] سر الكهنوت من أسرار الكنيسة السبعة عند الكاثوليك والأرثوذكس، ويجعلون له درجات؛ منها البابا والبطريرك والمطران والأسقف والقس والشماس، وجعلوا لكل درجة طقسا خاصا يُمارس عند تنصيب الأشخاص له، وأعطتهم الكنيسة سلطة، وحددت لهم وظائف خاصة بكل درجة، وقالت الكنيسة الكاثوليكية بعصمة البابا وخالفها في ذلك الأرثوذكس والبروتستانت وهم في كل ذلك يدّعون أن المسيح قد أسس لهم ذلك، وقد تبين من خلال البحث في أسرار الكنيسة أنها من اختراع رجال الكنيسة، وليس للمسيح عليه السلام صلة بهذه الأسرار.

[٢٠] أن الكنيسة تربط بين الأسرار والطقوس وتجعل بينهما صلة وثيقة؛ لأن لكل سِرّ من أسرار الكنسية طقسا خاصا به يمارسه الكاهن المختص بممارسة الأسرار كما لا يعتبر السر عندهم صحيحا إلا إذا مارس الكاهن الطقس المختص به، وجعلوا للكنيسة طقوسا خاصة مستقلة عن أسرار الكنيسة، ومنها السجود أمام الهيكل بمجرد دخول الكنيسة وتقديس الصليب وحمله، وأداء الصلوات، ويستمد النصارى أدلتهم الخاصة بهذه الطقوس من نصوص الكتاب المقدس لديهم، ويحاولون إقامة الأدلة على أن المسيح قد مارس هذه الطقوس بزعمهم.

[٢١] يقدس النصارى الهياكل والصور، ويتقدمون إليها بالعبادة والصلاة والدعاء، ويطلبون منها الشفاعة، ويقيمون الأدلة على ذلك من نصوص يؤولونها في كتابهم المقدس ناقضين الوصية الواردة بشأن تحريم الصور والتماثيل.

ومن خلال البحث تبين أن عبادة الهياكل والصور وغيرها عند النصارى

أنها ليست من الدين الصحيح، وأنها عبادة وثنية دخيلة عليه، وقد دخلت هذه العبادة النصرانية منذ مجمع نيقية الأول المنعقد سنة ٣٢٥ م.

[٢٢] أن المسيح عليه السلام لم يأمر النصارى بعبادة الهياكل والصور والسجود لها ولا تقديسها وإنما أمرهم بعبادة الله الواحد الأحد، فليس للمسيح عليه السلام صلة بما يفعله النصارى اليوم من تقديسهم للهياكل والصور والسجود لها عند دخول الكنيسة.

ولقد كان للإسلام موقف حاسم وقاطع من التماثيل والصور، فجاءت النصوص بتحريمها والنهي عن صناعتها أو تقديسها أو فعل شيء يقرب منها أو يماثلها، وجاءت نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية بتحريم اتخاذ التماثيل والصور، ولقد كان لذلك الأثر الكبير في ظهور حركة المعارضة للهياكل والصور من بين أتباع الكنيسة وذلك باعتراف كتاب النصارى أنفسهم.

[٢٣] من بين طقوس الكنيسة تقديس الصليب وحمله وجعله شعارا للنصرانية، وحمله علامة على أنهم من أتباع المسيح، ومن لم يؤمن بذلك لا يُعَدّ نصرانيا، وأدمجوا قضية الصلب في دستور إيمانهم الذي يجمع كل عقائدهم، وهم بذلك يعتبرون أنفسهم منفذين للوصية التي ينسبونها للمسيح، والتي جاء فيها: (من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني)[١].

[٢٤] إذا كان النصارى يرتبون قضية الصلب على مسألة الخطيئة الموروثة التي يتعللون بها فقد تبين بطلان ذلك فقد رفض القرآن الكريم أن تنسحب خطيئة آدم وحواء على كل الناس كما يعتقد علماء اللاهوت النصارى، فالمسئولية

(١) مرقس: ٨ / ٣٤.

الدينية في نظر القرآن الكريم شخصية محضة كما تَبَيَّنَ بطلانُ ذلك بمنطق العقل، وأيضا من خلال نصوص كتابهم المقدس.

[٢٥] أن المسيح عليه السلام ما قُتِلَ وَما صُلِبَ وإنما نجاه الله من أيدي البشر ولم تمتد إليه أي أيدٍ بسوء، ونجاه الله من القوم فألقى الله شبه المسيح على يهوذا الإسخربوطي فقتلوه مصلوبا، ولم يعلم القوم يقينا مَن هو المصلوب، وصدق قول الله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝ ﴾[١].

ولقد اختلفت روايات الأناجيل الأربعة في ذكر أحداث الصلب؛ فاختلفت في قصة مسح جسد المسيح بالطيب وقصة خيانة يهوذا، والعشاء الأخير ودفنه، واختلفت الأناجيل في الليلة الأخيرة وأحداثها، واختلفت في المحاكمة وزمنها ومكانها وإنكار بطرس وتوقيت الصلب ويوم وقوعه، واختلف الأوائل من النصارى في المصلوب فقال بعضهم: ما صلب المسيح ولكن صلب أحد تلاميذه كما اختلفوا في نظرية الفداء والخلاص، وهذا يكفى لتنحية شهادة الأناجيل عن ذلك الحادث جانبا.

[٢٦] لقد استمد النصارى عبادة الصيب واتخاذه شعارا لدينهم من الديانات الوثنية السابقة عليهم، وهي من التشريعات الجديدة التي لم يشرعها المسيح ولا حواريوه؛ لأن الصليب لم يكن معروفا زمن المسيح ولا في زمن الحواريين ولم يعرف الصليب في النصرانية إلا بعد مجمع نيقية وتروم النصرانية فاتخذوه

---

(١) سورة النساء الآيتين (١٥٦ – ١٥٧).

شعارا لهم في حروبهم وقدسوه وحملوه في أعناقهم وأيديهم ورسموه على أجسادهم وعلقوه على كنائسهم وبيوتهم.

[٢٧] تعتبر الصلاة من طقوس الكنيسة التي يضع النصارى لها شروطا خاصة بها، وعددا تؤدى به، ووقتا تقام فيه، وكيفية يمارسونها بها، ومن خلال البحث في صلاة النصارى تبين أنها صلاة لا تمت لدين الله بصلة؛ لأنها تقوم على الشرك الصارخ؛ إذ يتقربون بها إلى العباد وليس لله تعالى.

كما أنهم يؤدونها بدون طهارة، وهي ليست واجبة وجوب فرض، كما تؤدى بكيفية غير صحيحة؛ فصلاتهم غير الصلاة التي كان يؤديها المسيح عليه السلام ورسل الله من قبله ومن بعده، فصلاة المسيح كانت تشتمل على قيام وركوع وسجود وتؤدى على طهارة، فخلت صلاة النصارى من كل ذلك وأصبحت عبارة عن إشارات يرسمها المصلي على وجهه وصدره وهو يقرأ فقرات من الإنجيل والتي لا يفهم معناها ولا مغزى من ورائها.

[٢٨] من خلال الحديث عن دور المسجد في الإسلام تبين أن له دورًا بارزًا في الإسلام؛ إذ تؤدى فيه أهم شعائر الإسلام وعباداته وهي الصلاة والتي يترتب على أدائها التخلق بالأخلاق الحميدة والتخلي عن كل صفة رذيلة، كما أن للمسجد دوره في الحياة العملية؛ فمنه يتزود المسلم بالطاقة اللازمة للسعي في الحياة الجادة المثالية ويستمد منه القوة التي تعينه على التحمل والمثابرة وتفتح نفسه بالأمل والرجاء، وتحددت وظيفة المسجد من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ، والمسجد في الإسلام هو مصنع للرجال منه يتخرج قادة الأمة وصناع الحضارة ورواد المعرفة ومعلمو البشر، ومن أجل هذا وغيره كانت عناية الإسلام بالمساجد وحثه على الاهتمام بنظافتها

والالتزام بآدابها، والمسجد في الإسلام تنعقد عليه دائما الآمال من خلال أدائه لدوره الذي رُسم له في أن يسهم إسهاما كبيرا في حل مشاكل المجتمع المعاصر مع مشاركة الأجهزة الأخرى له في تحقيق ذلك.

وتبين من خلال المقارنة بين المسجد والكنيسة أن المساجد بنيت من أجل عبادة الله وحده بعكس الكنائس التي تؤدى فيها العبادة لغير الله وأن المساجد أماكن طاهرة ولا يدخلها إلا كل من هو على طهارة، وهذا لا يتوفر في الكنائس وغير ذلك من الفروق بين المسجد في الإسلام والكنيسة في النصرانية.

التوصيات

[١] الاعتناء بدراسة الأديان والمذاهب في كليات جامعة الأزهر؛ لأن دراستها تُوقِفُنَا على معرفة الحق من الباطل، كما أنه لابد من دراسة كتب النصارى المقدسة لديهم دراسةً تخصصيةً دقيقةً؛ لمعرفة ما يتفق منها مع القرآن والسنة وما لا يتفق، وما فيها من تحريف خاصة بعد ظهور تلك الدارسات النقدية التي وجهها متحررو الفكر في الغرب لهذه المصادر، أمثال باوخ سيبنوزا وآدم كلارك، وموسى بركاي وغيرهم.

وعلى جامعة الأزهر أن تتبنى طبع وتحقيق المصادر والمراجع والمخطوطات التي يحتاج إليها الباحثون، خاصة طلاب الدارسات العليا ممن يكبون في هذا التخصص، حيث يعانون من الذهاب إلى ديار القوم ومكتباتهم للحصول على المراجع والمصادر غير الإسلامية.

[٢] على المسلمين أن يوجهوا غايتهم القصوى لإنشاء المركز الإسلامية لنشر الدعوى الإسلامية في مناطق تجميع اليهود والنصارى خاصة في الدول الغربية والولايات المتحدة؛ لكثرة عددهم فيها، هذا يؤدي إلى اعتناق كثير منهم للإسلام ولتبصيرهم به وإقناعهم بالقرآن، وبهذا تستطيع الدعوة الإسلامية أن توجد أرضا جديدة لها في هذه البلاد، كما توقف الحملات المصرية ضد الإسلام أو على الأقل تؤدي إلى تقليصها؛ فالدعوة الإسلامية اليوم يجب أن يعاد تقويمها، وأن توضع الخطط المدروسة لدرء هذا الخطر التنصيري في بلاد المسلمين.

[٣] على المسلمين أن يعودا إلى الاستمساك بدينهم ذي العقيدة الصحيحة والتشريعات ذات المغزى الروحي؛ لأنه بمقدار تمسك الأمة بعقيدتها يكون النصر على

أعدائها؛ لأن الإيمان هو المحرك والدفع إلى طريق الهدى والرشاد، وليكن لهم في سلفهم الصالح أسوة حسنة؛ فقد انتصروا مع أنهم كانوا قلة إلا أنهم كانوا على إيمان قوي وعقيدة راسخة.

[٤] على المشتغلين بالدعوة إلى الله من علماء الأزهر والأوقاف والمؤسسات الإسلامية أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم؛ إذ أن القدوة الحسنة هي أهم الدعائم، فالمسلمون الذين يطوفون الآن في المشارق والمغارب في أمريكا وفي أوربا وفي اليابان وفي أفريقيا لو كانوا صورة صادقة للإسلام الصافي لاستجاب لهم كثيرون، لكنهم يحملون أسماء إسلامية فقط ويتصرفون تصرُّفات تُحسب على الإسلام والمسلمين، ولو أنهم فعلوا بعضا مما يفعله دعاة التنصير لما كان حال الإسلام والمسلمين على ما هو عليه اليوم.

[٥] على دعاة الأمة أن يدرسوا ما عند النصارى من عقائد وتشريعات وطقوس، ويقارنوا بينها حتى يستطيعوا أن يدفعوا الباطل ويزودوا عن الحق، ولا يكون ذلك إلا بالدراسة لما عند النصارى، مما يسمونه بعلم اللاهوت أو الفكر الكنسي، كما على الدعاة الالتزام بالمنهج الإسلامي الصحيح في مجادلة أهل الكتاب وغيرهم من المخالفين الذين يخالفوننا في الدين عملا بقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[١]. وقوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ ﴾[٢].

[٦] على الحكومات الإسلامية أن ترصد في ميزانياتها مبالغ وفيرة للدعوة الدينية،

(١) سورة النحل الآية: (١٢٥).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

وأن تقوم بالصرف بسخاء على المبعوثين الإسلاميين إلى الدول غير الإسلامية التي يعملون فيها، كما يجب عليها أن تمنح أبناء هذه الدول من المسلمين المنح التعليمية، واستقبالهم في المعاهد الإسلامية بها ليتلقوا العلوم الدينية من ينابيعها الصافية في البلاد الإسلامية، وليتفقهوا في أمور دينهم حتى إذا رجعوا إلى قومهم قاموا بإرشادهم، وبث الدعوة الإسلامية بينهم فكانوا مشاعل تضيء لهم بنور الإيمان ظلام الكفر والطغيان، تنفيذا لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1].

[٧] على الأمة الإسلامية الاهتمام بالمساجد من أجل أن تؤدي وظيفتها في المجتمع الإسلامي المعاصر كما كانت تؤديه على عهد رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم، من أجل الحدّ من زحف نشاط الكنائس النصرانية الدائم في كل بلاد العالم بما فيها البلاد الإسلامية.

[٨] الدعوة إلى عقد المناظرات على غرار ما كان في الماضي - بين علماء الإسلام ورجال الكهنوت النصارى، من أجل بيان الحق الذي جاء به الإسلام لمن ضللهم كهنة النصارى، بيان أن ما هم عليه ما هو إلا باطل ما أنزل الله به من سلطان، وأن المسيح عليه السلام لم يأت به ولم يَدْعُ إليه، وبيان أن ما يمارس في الكنائس من أسرار وطقوس لا صلة للمسيح به.

[٩] على الأمة الإسلامية حُكَّامًا ومحكومينَ ألَّا يعظموا شعائر النصارى، ولا يقدسوها كما يحدث في كثير من المناسبات؛ كالاحتفال بعيد الفطر وعيد الغطاس وعيد القيامة والميلاد وغيرها من الأعياد والمناسبات، ففي ذلك تعظيم

(١) سورة التوبة الآية: (١٢٢).

لهؤلاء القوم الذين كفروا بالله وافتروا عليه الكذب وما قدروه حق قدره، كما أن في المشاركة في ذلك إقرارا من المسلم بما ذهب إليه النصارى من عقائد وشرائع باطلة مخالفة لدين الله الصحيح الذي جاء به رسول الله جميعا، وعلى المسلمين ألا ينساقوا وراء الدعوات الكاذبة الضالة المضلة فيقلدوا النصارى في ضلالهم.

وعلى الحكومات الإسلامية التي تعلن تمسكها بدين الإسلام أن تُلزم النصارى بما التزم به السابقون منهم أيام الخلافة الراشدة؛ فقد اشترط النصارى على أنفسهم لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أن يوقروا المسلمين، ويقوموا إليهم من مجالسهم إن أراد المسلمون الجلوس، ولا يتشبهوا بالمسلمين في ملابسهم أو في فرق الخمور، وأن يجزوا مقادم رؤوسهم، وأن يشدوا الزنار على أوساطهم وأن لا يظهروا الصليب على كنائسهم ولا يحملوه، ولا يظهروا كتابا من كتب دينهم في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا يضربوا بنواقيسهم في كنائسهم إلا ضربا خفيفا ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم، ولا يظهروا النيران معهم في شيء من طريق المسلمين، ولا يرفعوا أصواتهم في الصلاة ولا القراءة في كنائسهم.

فيا ليت الحكام المسلمين ينفذون هذه الشروط ويلزمون حكوماتهم بتنفيذها من أجل إحقاق الحق و إبطال الباطل.

و إن المسلمين جميعا مدعوون إلى تطبيق مبادئ الإسلام والالتزام بأحكامه في مجالات الحياة حتى تعود لهم قوتهم وكرامتهم: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ ﴾[1].

(١) سورة الروم من الآيتين (٤، ٥).

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[1].

وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آلة وصحبة أجمعين وآخر دعونا أن الحمد الله رب العالمين.

(١) سورة هود من الآية: (٨٨).

أهم المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم - كلام الله رب العالمين:-

ثانيا: كتب التفسير:

١- التفسير الكبير ومفتاح الغيب - للإمام الفخري الرازي - دار الفكر - بيروت ط (٢) - ١٩٨٣ م.

٢- تفسير القرآن العظيم - للحافظ إسماعيل بن كثير - دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الريان للتراث - بدون تاريخ.

٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي دار الفكر ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥- روائع البيان تفسير آيات الأحكام - محمد علي الصابوني - مكتبة الغزالي دمشق ط (٢) ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٦- تفسير القرآن الكريم - للإمام/ محمود شلتوت - دار الشروق ط (١١) - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق ط (١٠) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - ٤٦٧ - ٥٣٨هـ - تحقيق محمد الصادق قمحاوي - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأخيرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

ثالثا: كتب السنة:

٩- سنن أبي داود - للإمام الحافظ أبي سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي - نشر وتوزيع محمد علي موسى حمص ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

١٠- صحيح البخاري بحاشية السندي - دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي - الناشر دار التراث العربي.

١١- صحيح مسلم بشرح النووي - المطبعة المصرية ومكتبتها - بدون تاريخ.

١٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للإمام بن حجر العسقلاني مكتبة القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م.

١٣- موطأ الإمام مالك تصحيح وتخريج/ محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية.

رابعا المعاجم اللغوية:

١٤- القاموس المحيط - للفيروز آبادي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٥- القاموس القويم للقرآن الكريم - إبراهيم أحمد عبد الفتاح - مجمع البحوث الإسلامية ط (١) ١٤٠٤هـ/ ١٩٣٨م.

١٦- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط (٢).

١٧- المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

١٨- مختار الصحاح - للإمام محمد بن بكر بن عبد القادر الرازي - دار الفكر العربي - بدون تاريخ.

١٩- لسان العرب - لجمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور - دار المعارف - بدون تاريخ.

خامسا: الكتب الإسلامية:

٢٠- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة - لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي - تحقيق د/ بكر زكي عوض - ١٩٨٦م.

٢١- الإسلام عقيدة وشريعة - للإمام: محمود شلتوت - دار الشروق - ط (١٦) ١٤١٠هـ/ ١٩٨٦م.

٢٢- الأركان الأربعة - لأبي الحسن الندوي - دار القلم الكويت - ط (٤) ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٣- الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة - محمد عبد الرحمن عوض - دار البشير للطباعة والنشر ١٩٨٦م.

٢٤- الأديان في كفة الميزان - د/ محمد فؤاد الهاشمي - دار الحرية القاهرة ١٩٨٦م.

٢٥- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام - د/ علي عبد الواحد وافي - دار نهضة مصر ١٩٨٤م.

٢٦- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - للشيخ محمد عبده - مكتبة محمد علي صبيح بدون تاريخ.

٢٧- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام - للإمام: القرطبي - تحقيق د/ أحمد حجازي السقا - دار التراث العربي - ١٩٨٠ م.

٢٨- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية - إبراهيم خليل أحمد - مكتبة الوعي العربي ١٩٧٣.

٢٩ - الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام عبد الله التل - المكتب الإسلامي - ط (٢) ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٣٠- الإنسان في ظل الأديان - د/ عمارة نجيب - المكتبة التوفيقية ١٩٧٧م.

٣١- أحكام الأسرة عند المسيحيين المصريين ومدى تطبيقها بالمحاكم - د/ عبد الناصر توفيق - مطبعة السعادة ١٩٧٨م.

٣٢- أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين - د/ توفيق حسن فرج - منشأة المعارف ط (٣) ١٩٦٩م.

٣٣- أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام - للشيخ/ عبد الرحمن الجزائري - مطبعة الإرشاد ط (١) ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

٣٤- أديان الهند الكبرى - د/ أحمد شلبي - دار النهضة المصرية ط (٥) ١٩٧٩م.

٣٥- أساليب الغزو الفكري - د/ علي جريشة - محمد شريف الزيبق - دار الاعتصام - ط (٣) ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٦- إظهار الحق - للشيخ/ رحمت الله الهندي - تحقيق د/ أحمد حجازي السقا - دار التراث العربي ط (٢) ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - للإمام/ ابن القيم الجوزية - تحقيق/ محمد سيد كيلاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

٣٨- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - للإمام: ابن تيمية - مطبعة المدني ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

٣٩- آلهة في الأسواق - د/ رءوف شلبي - الدار الإسلامية للطباعة والنشر - ط (٣) ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م.

٤٠- إنجيل المسيح عليه السلام بين وحي السماء ووضع البشر - د/ محمد أبو الغيط الفرت - دار الكتاب الجامعي ط (٢).

٤١- أوربا العصور الوسطى - د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - دار النهضة العربية- ط (٣) ١٩٧٢م.

٤٢- أوربا والنصرانية - د/ محمد سيد أحمد المسير - دار الطباعة المحمدية ١٩٨٨م.

٤٣- الله واحد أم ثالوث - د/ محمد مجدي سرحان - دار النهضة العربية.

٤٤- أوربا والإسلام - د/ عبد الحليم محمود - المكتبة العصرية بصيدا - بدون تاريخ.

٤٥- أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة - حسن محمد يوسف - مكتبة الاعتصام ٤٦- البداية والنهاية - للحافظ إسماعيل بن كثير - دار الفكر العربي بدون تاريخ.

٤٧- بنو إسرائيل في القرآن والسنة - د/ محمد سيد طنطاوي - الزهراء للإعلام العربي - ط (١) ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٨- بين الإسلام والمسيحية - لأبي عبيدة الخزرجي - تحقيق د/ محمد شامة - مكتبة وهبة - ط (٢) ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤٩- تاريخ القرن التاسع عشر - محمد قاسم بك - حسين حسني باشا -المطبعة الأميرية ١٩٨٣م.

٥٠- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب - عبد الله الترجمان الأندلسي - تحقيق د/ محمود علي حماية - مطبعة دار الثقافة للطباعة والنشر ط (١) ١٩٣٢م.

٥١- التبشير والاستشراق أحقاد وأطماع -محمد عزت الطهطاوي - مجمع البحوث الإسلامية - بدون تاريخ.

٥٢- التبشير والاستعمار في البلاد العربية - د/ مصطفى خالدي - د/ عمر فروخ - المكتبة العصرية بيروت ط (٣) ١٩٥٧م.

٥٣- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام - محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة بدون تاريخ.

٥٤- تفسير التاريخ علم إسلامي - د/ عبد الحليم عويس - دار الصحوة للنشر ١٤٠٧هـ.

٥٥- جذور الفكر المادي - د/ عبد المعطي محمد بيومي - دار الطباعة المحمدية - ط (١) ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٦- الحلال والحرام في الإسلام - د/ يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة - طـ (١٠) ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٥٧- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - عباس محمود العقاد - المكتبة العصرية بيروت ١٩٥٧م.

٥٨- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر - م/ أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - ط (١) ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٥٩- حوار بين مسلم ومسيحي - د/ محمد فؤاد الهاشمي - دار الرسالة ١٩٨٤م.

٦٠- دارسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تاريخيًا وموضوعيًا - د/ محمد عبد الحليم مصطفى أبو السعد - مطبعة الجبلاوي - ط (١) ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦١- دراسات في النصرانية - د/ محمد إبراهيم الجيوشي - دار الهداية للطباعة - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٢- دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام - منصور حسين عبد العزيز - الشركة المصرية للطباعة ط (١) ١٩٦٣م.

٦٣- الديانات القديمة- محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

٦٤- الدين والإنسان في الأديان والمذاهب القديمة - د/ عبد الغفار عزيز - د/ عمار نجيب - د/ حسن الهواري - الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - ط (١) ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٦٥- الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل - للإمام/ أبي حامد الغزالي - تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي - دار الهداية - ط (٢) ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٦- الزحف إلى مكة- د/ عبد الودود شلبي - الزهراء للإعلام العربي - ط (١) ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٦٧- الزواج والطلاق في جميع الأديان - عبد الله المراغي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٦٨- شرح مبادئ الأحوال الشخصية في شريعة الأقباط الأرثوذكس - د/ حسام الدين كمال الأهواني - دار النهضة العربية - بدون تاريخ.

٦٩- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل - لأبي المعالي الجويني إمام الحرمين تحقيق د/ أحمد حجازي السقا - ط (٣) ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٧٠- الصابئون في ماضيهم وحاضرهم - السيد عبد الرازق الحسيني - منشورات المكتب العربي بغداد ط (٩) ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

٧١- العبادة في الإسلام - د/ يوسف القرضاوي - دار الجميع للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٧٢- العبودية - للإمام ابن تيمية - دار المدني - ط (٤) ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٧٣- عبقرية المسيح - عباس العقاد - دار نهضة مصر - بدون تاريخ.

٧٤- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية - محمد بن طاهر التنير البيروتي - تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي - دار الصحوة للنشر - ط (١) ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م.

٧٥- العقائد المسيحية بين القرآن والعقل - د/ هاشم جودة - مطبعة الأمانة - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٧٦- عقيدة الصلب والفداء - محمد رشيد رضا - الفتح للإعلام العربي القاهرة - ١٩٩١م.

٧٧- الغارة على العالم الإسلامي - أ- ل شاتلية - ترجمة محب الدين الخطيب - مساعد اليافي - مكتبة أسامة بن زيد - بيروت - بدون تاريخ.

٧٨- غارة تبشيرية جديدة على إندونيسيا - أبو هلال الإندونيسي - دار الشروق - ط (٤) ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٧٩- الفاروق بين المخلوق والخالق - عبد الرحمن بن سليم البغدادي - الشهير بباجة زادة - مكتبة الثقافة الدينية ط (٢) ١٤٠٧هـ -/ ١٩٨٧م.

٨٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل - للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي - مكتبة السلام العالمية ١٣٤٨هـ.

٨١- فقه الدعوة - د/ جمعة علي الخولي - المكتبة التوفيقية - ط (١) ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٨٢- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر د/ أحمد سمايلوفتش - دار المعارف ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٨٣- في العبادات المسيحية دراسة نقدية د/ محمود علي حماية ١٩٩٠م.

٨٤- قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام - د/ توفيق الطويل - دار الفكر العربي سنة ١٣٦٦هـ.

٨٥- قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - دار التراث - (٢) ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

٨٦- كفاح دين - محمد الغزالي - دار الكتب الإسلامية - ط (٤) ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٨٧- لماذا أسلمنا - مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناقهم الإسلام - مكتبة الحرمين للعلوم النافعة - ١٣٩٨هـ/ ١٩٦٩م.

٨٨- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبو الحسن الندوي - المركز الإسلامي للطباعة والنشر - ط (٧) ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٧م.

٨٩- المجامع المسيحية وأثرها في النصرانية - د/ محمد رجب الشتيوي - مطبعة التقدم ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٩٠- محاضرات في النصرانية - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - ط (٣) ١٣٨١هـ/ ١٩٦٦م.

٩١- محاضرات في مقارنة الأديـان - إبراهيم خليل أحمد - دار المنار - ط (١) ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٩٢- ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير - إبراهيم السليماني الجبهان - مكتبة زهران - بدون تاريخ.

٩٣- محاكم التفتيش نشأتها وتطورها - د/ إسحاق عبيد - دار المعارف - ط (١) ١٩٧٨ م.

٩٤- محنة الأقليات المسلمة في العالم - محمد عبد الله السمان - الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف ١٩٨٧ م.

٩٥- محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن - إبراهيم خليل أحمد - دار المنار ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

٩٦- محمد ﷺ نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن - محمد عزت الطهطاوي - مكتبة النور - ط (٢) ١٣٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٩٧- المختار في الرد على النصارى - أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ - تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي - دار الصحوة - ط (١) ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤م.

٩٨- مريم والمسيح - للشيخ محمد متولي الشعراوي - مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٧ م.

٩٩- مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء - أحمد ديدات - ترجمة علي الجوهري - دار الاعتصام - ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

١٠٠- المسيح والمسيحية والإسلام - د/ عبد الغني عبود - دار الفكر العربي - ط (١) ١٩٨٤م.

١٠١- المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل - عبد الكريم الخطيب - الناشر دار الكتب الحديثة - ط (١) ١٩٦٥ م.

١٠٢- المسيح إنسان أم إله - محمد مجدي مرجان - دار النهضة العربية ١٩٧٥ م.

١٠٣- المسيح ورسالته في القرآن - د/ محمد سيد أحمد المسير - مكتبة المجلد العربي - القاهرة ١٩٨٨ م.

١٠٤- المسيح في مصادر العقائد المسيحية - م/ أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - ط (٢).

١٠٥- المسيحية - د/ أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - ط (٧) ١٩٨٣م.

١٠٦- مشكلات العقيدة النصرانية - د/ سعد الدين السيد صالح - دار الهدى للطباعة - ط (١) ١٤٠٢/١٩٨١.

١٠٧- ماهية الحروب الصليبية - د/ قاسم عبده قاسم - عالم المعرفة - شوال ١٤١٠ هـ/ مايو ١٩٩٠م.

١٠٨- المصطلحات الأربعة في القرآن - أبو الأعلى المودودي - دار التراث العربي- ط (٢) ١٩٧٨م.

١٠٩- المعاملات في الإسلام - د/ عبد الستار فتح الله سعيد - دار الطباعة والنشر الإسلامية - ط (٢) ١٤٠٦ هـ.

١١٠- الملل والنحل - محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني - مكتبة الأنجلو المصرية - ط (١) ١٩٧٧م.

١١١- ملكوت الله في النصرانية واليهودية والإسلام - عبد المجيد الجندي - دار الدعوة ١٩٨٣م.

١١٢- المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان - بين الشيخ أحمد ديدات والقس سوجارت، جمع وترتيب: د/ أحمد حجازي السقا - مكتبة زهران - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م.

١١٣- مناظرة بين الإسلام والنصرانية - بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية - دار الحديث القاهرة - ط (٢) ١٤١٢ هـ.

١١٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض - طـ (٢) ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١١٥- الميسا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم - د/ أحمد حجازي السقا - مكتب الثقافة الدينية - ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.

١١٦- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام - م/ أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - ط (١) ١٤٠٠ هـ/ ١٩٧٩.

١١٧- النصرانية دراسة مقارنة - د/ محمد رجب الشتيوي - دار الطباعة المحمدية - ط (١) ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م.

١١٨- النصرانية والإسلام - المستشار محمد عزت الطهطاوي - مكتبة النور - ط (٢) ١٤٠٧هـ /١٩٧٨ م.

١١٩- نصرانية عيسى عليه السلام في التوراة والإنجيل والقرآن ومسيحية بولس في الكتاب المقدس - صلاح العجماوي - لواء الحمد للنشر والإعلام - الإسكندرية - ط (١) ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.

١٢٠- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية - نصر بن يحيى بن سعيد المتطيب - تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي - دار الصحوة للنشر ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

١٢١- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - شمس الدين محمد بن بكر بن قيم الجوزية - تحقيق د/ أحمد حجازي السقا - المكتبة القيمية - ط (٢) ١٣٩٩هـ.

١٢٢- هذا هو الحق رد على مفتريات كاهن كنيسة - لابن الخطيب - المطبعة المصرية ومكتبتها - ط (٢) ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

١٢٣- الهند القديمة حضارتها وديانتها - د/ محمد إسماعيل الندوي - دار الشعب ١٩٧٠م.

١٢٤- الوجيز في أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين - د/ توفيق حسن فرج - مؤسسة الثقافة الجماعية - ط (٢) ١٩٨١ م.

١٢٥- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء - د/ رءوف شلبي - دار الاعتصام - ط (٢) ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

سادسا: المراجع النصرانية:

١٢٦- اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة - القمص يوحنا سلامة - مكتبة المحبة ط (٣) - بدون تاريخ.

١٢٧- الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات - عزت زكي - دار النشر للكنيسة الأسقفية ١٩٧٤م.

١٢٨- الأرثوذكسية في الكراسي الشرقية - جورج خضر - منشورات النور - ١٩٨٢م.

١٢٩- الأسرار حياة الإيمان - تسيو دول ري - مرمية - تعريب الخوري يوسف ضرغام - مطبعة الكسليك - لبنان ١٩٨٦م.

١٣٠- الأفخارستيا: كتابيًا، تاريخيًا، كنسيًا - ملاك لوقا - مكتبة المحبة ١٩٩١م.

١٣١- أديان العالم - حبيب سعيد - دار الثقافة والنشر للكنيسة الأسقفية - بدون تاريخ.

١٣٢- أسرار الكنيسة السبعة - حبيب جرجس - مكتبة المحبة - ط (٦) ١٩٧٩م.

١٣٣- إسهام كنائس الشرق الأوسط في التعليم - إعداد ومراجعة د/ موريس أسعد - إصدار مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٧٧م.

١٣٤- أضواء على الإيمان المسيحي - د/ موريس تاضروس - إيديني للطباعة ١٩٨٤م.

١٣٥- اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها - إدوارد جيبون - ترجمة محمد علي أبو درة وآخرين - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (٣) أجزاء ١٩٨٩م.

١٣٦- أنا والكنيسة والمجتمع - مكرم نجيب - دار الثقافة - ١٩٨٧م.

١٣٧- إنجيل برنابا - ترجمة خليل سعادة - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح - بدون تاريخ.

١٣٨- إنجيل برنابا في ضوء العقل والدين -عوض سمعان - دار الثقافة والنشر للكنيسة الأسقفية ط (٤) القاهرة.

١٣٩- الله ذاته ونوع وحدانيته - عوض سمعان - دار التأليف والنشر الأسقفية بالقاهرة - بدون تاريخ.

١٤٠- إيماني - أو القضايا المسيحية الكبرى - إلياس مقار - دار الثقافة - ط (٣) ١٩٨١م.

١٤١- باقة من الصلوات المستجابة - سمير وهبة - لجنة خلاص النفوس للنشر - ط (٣) ١٩٨٨م.

١٤٢- براهين قيامة المسيح - ملاك لوقا - مكتبة المحبة - ١٩٩١م.

١٤٣- براهين ألوهية المسيح - د/ وديع ميخائيل - ط (٤) ١٩٨٤ م.

١٤٤- التقليد المقدس - ملاك لوقا - مكتبة المحبة -١٩٩١م.

١٤٥- التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي - متى المسكين - دير القديس أنبا مقار - ط (٢) ١٩٨٧م.

١٤٦- التوبة - متى المسكين - دير القديس أنبا مقار - ط (٣) ١٩٨٣م.

١٤٧- تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر ١٨٥٤/١٩٨٠م - أديب نجيب سلامة - دار الثقافة ط (١) ١٩٨٣م.

١٤٨- تاريخ الكنيسة- جون لوريمر - دار الثقافة - بدون تاريخ.

١٤٩- تاريخ الكنيسة - يوسابيوس القيصري - ترجمة مرقس داود- ط (٢) ١٩٧٩م.

١٥٠- تاريخ الكنيسة القبطية - منسي يوحنا - مكتبة المحبة ١٩٨٣م.

١٥١- تاريخ المسيحية - فجر المسيحية - حبيب سعد - دار الجيل للطباعة - ١٩٧٧م.

١٥٢- تاريخ مرقس البشير - كامل صالح نحلة.

١٥٣- تاريخ أوربا العصور الوسطى - هـ .أ . ل فشر - ترجمة محمد مصطفى زيادة - دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

١٥٤- تاريخ ابن البطريق - أفتشيوس المكنى سعيد بن البطريق - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت - سنة ١٩٠٥م.

١٥٥- تفسير قداس الكنيسة القبطية - القمص مرقس داود - مكتبة المحبة.

١٥٦- تفسير إنجيل متى - جون ديسلي - الناشر مكتبة النيل المسيحية - بدون تاريخ.

١٥٧- توجيهات في الصلاة - متى المسكين - مطبعة دير القديس أنبا مقار - ط (٤) ١٩٨٣م.

١٥٨- جواب وسؤال- المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط بيروت - بدون تاريخ.

١٥٩- حقائق أساسية عن الإيمان المسيحي - القس فايز فارس - دار الثقافة المسيحية- ط (١) ١٩٦٨ م ، ط (٢) ١٩٧٨ م.

١٦٠- حقائق معجزات الله المختبرة - م/ باسليا شلينك - مكتبة المحبة ١٩٩٠ م.

١٦١- حياة التوبة والنقاوة - شنودة الثالث - ط (٣) ١٩٨٢ م.

١٦٢- حياة الصلاة - إدوارد باوندز - تعريب د/ ماهي فهمي - لجنة خلاص النفوس للنشر- ط (٢) ١٩٨٢ م.

١٦٣- الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية - أفلاطون مطران موسكو - عَرَّبَهُ بتصرف يوحنا خربون.

١٦٤- خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - حبيب جرجس - مكتبة الهلال - ط (٩) ١٩٢٥م.

١٦٥- الخدمة والعمل الجماعي - الأنبا صموئيل - مكتبة التربية الكنسية بالجيزة ١٩٨٠م.

١٦٦- خمسة وخمسون حقيقة من حقائق الإيمان الأساسية - مكتبة كنيسة الأخوة- ط (٢) ١٩٨٠م.

١٦٧- الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة - تُرْجِمَ من اللغة اليونانية عن مختصر تاريخ إستفانوس قوميطا المقتطف من تاريخ فلانيوس مطران أثينا ثم طبع بإذن كيرللس البطريك الأورشليمي - مطبعة الفير المقدسة البطريركية في أورشليم – سنة ١٨٦٧م.

١٦٨- الدين المسيحي - الأنبا يوانس - الأب - زوبير شدياق - د/ إبراهيم سعيد - كامل بطرس المصري - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

١٦٩- دراسات في أسفار موسى الخمسة - صليب سوريال - مكتبة التربية الكنسية الأرثوذكسية - ط (١) ١٩٨٧.

١٧٠- دراسات في قوانين الأحوال الشخصية - صليب سوريال - مكتبة التربية الكنسية - ط (١)١٩٩٠م.

١٧١- دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر - دار الثقافة المسيحية - ط (١) ١٩٨٥ م.

١٧٢- ذبيحة الاعتراف - الأنبا ساويرس - إصدار أبناء البابا كيرلس السادس ١٩٧٣م.

١٧٣- الرهبنة الديرية في مصر - د/ رءوف حبيب - مكتبة المحبة - ١٩٧٦م.

١٧٤- روحانية طقس القراءات - الأنبا متاؤس - لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف - ط (١) ١٩٩١ م.

١٧٥- الزواج هذا السر العظيم - رفيق جرجس - مؤسسة بيتر للطباعة - ١٩٩٠م.

١٧٦- سر التوبة - حبيب جرجس - مكتبة المحبة ١٩٧٩ م.

١٧٧- سر العشاء الرباني - الأرشدياكون نقولا بشارة - مطبعة التوفيق بمصر - بدون تاريخ.

١٧٨- سنوات مع أسئلة الناس - شنودة الثالث - مطبعة الأنبا رويس- ط (١) أبريل ١٩٩٠م.

١٧٩- الشكر- الأفخارستيا- نشأته والأدوار التي مر بها - عوض سمعان - المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧٠ م.

١٨٠- شرح الأحوال الشخصية للمصريين الغير مسلمين - مستشار/ تادرس ميخائيل تادرس - دار الطالب لنشر ثقافة الجامعات - ط (١) ١٩٥٦ م.

١٨١- الصابئة المندائيون - الليدي دراوور - ترجمة/ نعيم بدوي - غضبان رومي - مطبعة الديواني بغداد - ط (٢) ١٩٨٧.

١٨٢- الصلاة - هاليسبي - تعريب/ نعيم عشيم - لجنة خلاص النفوس للنشر - ١٩٦٨م.

١٨٣- الصلاة مفتاح النهضة - القس بول واي شو - تعريب فخري كريم يوسف - لجنة خلاص النفوس للنشر - ط (٢) ١٩٨٧ م.

١٨٤- صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - مكتبة المحبة - بدون تاريخ.

١٨٥- الطقوس الكنسية - مسيحة فهمي - مطرانية الغربية للأقباط الأرثوذكس - معهد الخدمة - بدون تاريخ.

١٨٦- العشاء الرباني - عوض سمعان - المطبعة التجارية الحديثة السكاكيني بالقاهرة - صدر عن دار الثقافة المسيحية بمصر - بدون تاريخ.

١٨٧- عشاء الرب - متى خليل الديري - مكتبة كنيسة الأخوة ١٩٧٣م.

١٨٨- عطية الروح القدس - تادرس يعقوب - مطبعة الأنبارويس - ط (١) ١٩٩١م.

١٨٩- عصر المجامع - كيرللس الأنطواني- الطبعة الأولى -المطبعة التجارية الحديثة السكاكيني - ١٩٥٢ م.

١٩٠- عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت - د/ دونالدد يماري - ترجمة/ شاكر إبراهيم سعيد - مكتبة النيل المسيحية - بدون تاريخ.

١٩١- علم اللاهوت بحسب معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - القمص ميخائيل مينا - مطبعة النصر شبرا مصر - ط (٦) سنة ١٩٧٦م.

١٩٢- علم اللاهوت النظامي - الناشر دار الثقافة المسيحية - دار الجيل للطباعة.

١٩٣- فضح التلمود - الأب أي . بي - برانايتس - دار النفائس - ط (٣) ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.

١٩٤- في الرهبان وأموال الكنيسة ومعنى الكلمات للكنائس الشرقية - البابا بيوس الثاني عشر - تعريب أكاليسوس كوساقب - المطبعة البولسية لبنان - ١٩٥٢م.

١٩٥- القيم الروحية في سر الزيجة - الأنبا غريغوريوس - لجنة النشر للثقافة القبطية الأرثوذكسية - ١٩٨٤ م.

١٩٦- القيم الروحية المنطوية في مسحة المرضى - الأنبا غريغوريوس - لجنة النشر للثقافة القبطية الأرثوذكسية ١٩٨٢ م.

١٩٧- القول الصريح في سيرة يسوع المسيح - جورج فورد - كنيسة قصر الدوبارة - ١٩٨٣ م.

١٩٨- قاموس الكتاب المقدس - تأليف مجموعة من أساتذة اللاهوت - صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - ط (٢) ١٩٧١م.

١٩٩- قصة الكنيسة القبطية - إيزيس حبيب المصري - مكتبة المحبة ١٩٨٤ م.

٢٠٠- قصة الحضارة - ول ديورانت - ترجمة محمد بدران وآخرين - الناشر: لجنة التأليف والترجمة - جامعة الدول العربية - الإعداد ١١، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٢.

٢٠١- الكتاب المقدس - العهد القديم والعهد الجديد - دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط العيد المئوي ١٨٨٣م - ١٩٨٣ م.

٢٠٢- كفارة المسيح - عوض سمعان - كنيسة قصر الدوبارة - بدون تاريخ.

٢٠٣- الكنيسة المغتربة - ا. هـ . برودبنت - وليم وهبة ببا - الناشر: مكتبة الأخوة بقاعة الإنجيل رمسيس القاهرة - ط (٢) ١٩٧٣ م.

٢٠٤- الكنيسة الخالدة - متى المسكين - دير القديس أنبا مقار - ط (٣) ١٩٨٤م.

٢٠٥- الكنيسة المسيحية في عصر الرسل - الأنبا يؤانس - مكتبة مارمرقس- ط (٢).

٢٠٦- كنز النفائس في اتحاد الكنائس- المعلم نقولا إمبرازي - ترجمة الخوري يوحنا خرون - مطبعة التوفيق المركزية بالقاهرة.

٢٠٧- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - وليم أدي - صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت - ١٩٧٣ م.

٢٠٨- الكهنوت - عوض سمعان - دار الثقافة المسيحية - ط (٢) ١٩٨٥ م.

٢٠٩- اللاهوت المقارن - شنودة الثالث - الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس - ط (١) ١٩٩١ م.

٢١٠- الله والمال - ترجمة القس موسى وهبة مينا، إكلمنص الإسكندري - دار السلام للطباعة - ط (٢) ١٩٧١ م.

٢١١- مبادئ العقائد المسيحية أصالتها وفاعليتها - مطرانية الأقباط الأرثوذكس بالجيزة - إبديني للطباعة - بدون تاريخ.

٢١٢- المجتمع القبطي في مصر في القرن ١٩ - رياض سوريال - مكتبة المحبة ١٩٧١م.

٢١٣- مجد المسيح في الكنيسة - شرح لرسالة بولس لأهل أفسس - أنيس شرش - مطبعة المعارف القدس - بدون تاريخ.

٢١٤- مرقس الرسول - الأنبا شنودة الثالث - ط (٢) ١٩٧٥ م.

٢١٥- مذكرات في معالم تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - يافي جيد بشارة - مطرانية الأرثوذكس بالغربية ١٩٨٣ م.

٢١٦- المسيح - زكي شنودة - مكتبة المحبة - ١٩٧٥ م.

٢١٧- المسيحية نشأتها وتطورها - شارل جنيبير - ترجمة د/ عبد الحليم محمود - المكتبة العصرية صيدا بيروت - بدون تاريخ.

٢١٨- المسيحية في العصور الوسطى - جاد المنفلوطي - دار الجيل للطباعة ١٩٧٣م.

٢١٩- المسيحية في عصر الإصلاح - عزت زكي - دار الجيل للطباعة ١٩٨٠ م.

٢٢٠- المسيحية في الإسلام - إبراهيم لوقا - المطبعة التجارية الحديثة - ط (٣) ١٩٥٨م.

٢٢١- مصادر الوحي الإنجيلي - يوسف درة الحداد.

٢٢٢- المعمودية والأفخارستيا والكهنوت - بيان ليما - منشورات النور - مجلس كنائس الشرق الأوسط - ١٩٨٤ م.

٢٢٣- المعمودية بين المفهوم والممارسة -مكرم نجيب - دار الثقافة ط (١) ١٩٩٠م.

٢٢٤- المعمودية المسيحية - تعريب فارس فهمي - الناشر بيت عنيا - ط (١) ١٩٩١م.

٢٢٥- معجم اللاهوت الكتابي - تأليف نخبة من علماء اللاهوت - دار المشرق - ط (٢) ١٩٨٨م.

٢٢٦- محمد الرسول والرسالة - د/ نظمي لوقا - دار الكتب الحديثة - بدون تاريخ.

٢٢٧- من دحرج الحجر؟ براهين على قيامة المسيح - فرانك موريسون - تعريب: حبيب سعيد - الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة - بدون تاريخ.

٢٢٨- الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة - د/ رءوف حبيب - مكتبة المحبة ١٩٧٩ م.

٢٢٩- مواقف من تاريخ الكنيسة - رولاند بليتنون - ترجمة/ عبد النور ميخائيل - دار الثقافة المسيحية - ط (٢) ١٩٧٨ م.

٢٣٠- موسوعة تاريخ الأقباط - زكي شنودة - مكتبة المحبة - ط (٢) ١٧٦٨ م.

٢٣١- موجز تاريخ العالم - هـ . ج . لويلز - ترجمة سعيد عبد العزيز توفيق - دار الفكر العربي سنة ١٩٤٧ م.

٢٣٢- المواعظ الإلهية لقداسات آحاد وأعياد السنة القبطية - القمص: لوقا الأنطواني - دار الجيل للطباعة - ط (١) ١٩٨٧ م.

٢٣٣- هل صُلب المسيح - دافيد براون - ترجمة/ جاد المنفلوطي - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر - بدون تاريخ.

٢٣٤- الوحدة المسيحية - متى المسكين - دير القديس أنبا مقار - ط (٣) ١٩٨٥م.

٢٣٥- الوصية الثامنة: لا تسرق، العشور النذور، البواكير - الأنبا غريغريوس - لجنة الثقافة والنشر للكنيسة الأرثوذكسية - ١٩٨٧م.

٢٣٦- يسوع المصلوب - منسي يوحنا - بكنيسة المحبة ١٩٨٧م.

٢٣٧- يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته - د/ هاني رزق - مكتبة المحبة- ط (٢) ١٩٧١ م.

سابعا: الرسائل العلمية والمجلات والمؤتمرات:

٢٣٨- الأخلاق في الأديان السماوية وأثرها في المجتمع المعاصر «رسالة ماجستير» جمال السيد برس - مكتبة كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة - ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٣٩- الانشقاق الكنسي وكيفية استثماره في الدعوة إلى الله «رسالة دكتوراه» د/ أحمد عبد العزيز أحمد أبو العمايم - كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة - ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

٢٤٠- حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا - العدد الثالث ١٤١٢هـ/ ١٩٩١ م - بحث بعنوان: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوربي في العصور الوسطى د/ أحمد على عجيبة.

٢٤١- الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه «رسالة ماجستير» أحمد علي علي عجيبة - كلية أصول الدين والدعوة بطنطا - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٤٢- المرأة في الأديان السماوية الثلاثة «رسالة ماجستير» صابر أحمد طه - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة - ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م.

٢٤٣- المال بين اليهودية والنصرانية والإسلام دراسة مقارنه «رسالة ماجستير» للباحث - مكتبة كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة - ١٤٠٨ هـ/ ١٩٩٠ م.

٢٤٤- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت - السنة الرابعة العدد الثامن - ذي القعدة - ١٤٠٧هـ/ أغسطس ١٩٨٧م. (بحث) الزواج بين المسيحية والإسلام - د/ عزية طه.

٢٤٥- المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بحث: (وظيفة المسجد في المجتمع المعاصر) للشيخ/ عبد الله المشد.

الفهرس

الموضوع	صفحة